

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز | 3 |

@ 3 @ \$ بسم الله الرحمن الرحيم \$ سورة التوبة \$ # تفسير سورة براءة هذه السورة مدنية إلا آيتين ^ لقد جاءكم رسول ^ إلى آخرها وتسمى سورة التوبة قاله حذيفة وغيره وتسمى الفاضحة قاله ابن عباس وتسمى الحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين قال ابن عباس ما زال ينزل ومنهم ومنهم حتى ظن أنه لا يبقى أحد وقال حذيفة هي سورة العذاب قال ابن عمر كنا ندعوها المفششفة قال الحارث بن يزيد كانت تدعى المبعثرة ويقال لها المثيرة ويقال لها البحوث وقال أبو مالك الغفاري أول آية نزلت من براءة ^ انفروا خفافا وثقالا ^ وقال سعيد بن جبير كانت براءة مثل سورة البقرة في الطول واختلف لم سقط سطر بسم الله الرحمن الرحيم من أولها فقال عثمان بن عفان أشبهت معانيها معاني الأنفال وكانت تدعى القريبتين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعها في السبع الطول وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبشارة وبراءة نزلت بالسيف ونبت العهود فلذلك لم تبدأ بالأمان . # قال القاضي أبو محمد ويعزى هذا القول للمبرد وهو لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا كما يبدأ المخاطب الغاضب أما بعد دون تقريظ ولا استفتاح بتجيل وروي أن كتبه المصحف في مدة عثمان اختلفوا في الأنفال وبراءة هل هي سورة واحدة أو هما سورتان فتركوا فصلا بينهما مراعاة لقول من قال هما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم مراعاة لقول من قال منهم هما واحدة فرضي جميعهم بذلك # قال القاضي أبو محمد وهذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب الله هكذا وروي عن أبي بن كعب أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بوضع بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة ولم يأمرنا في هذا بشيء فلذلك لم نضعه نحن وروي عن مالك أنه قال بلغنا أنها كانت نحو سورة البقرة ثم نسخ ورفع كثير منها وفيه البسمة فلم يروا بعد أن يضعوه في غير موضعه وسورة براءة من آخر ما نزل علي النبي صلى الله عليه وسلم وحكى عمران بن حدير أن أعرابيا سمع سورة براءة فقال أظن هذه من آخر ما أنزل الله على رسوله ف قيل له لم تقول ذلك فقال أرى تنقص وعهودا تنبذ . # قوله عز وجل \$ التوبة 1 - 3 \$

@ 4 @ # براءة ^ رفع على خبر ابتداء مضمرة تقديره هذه الآيات براءة و بصرح أن ترفع بالابتداء والخبر في قوله ^ إلى الذين ^ و جاز الإبتداء بالنكرة لأنها موصوفة فتعرفت تعريفا ما و جاز الإخبار عنها وقرأ عيسى بن عمر براءة بالنصب على تقدير التزموا براءة ففيها معنى الإغراء و براءة ^ معناها تخلص وتبرؤ من العهود التي بينكم وبين الكفار البادئين بالنقض تقول برئت إليك من كذا فبرئ الله تعالى ورسوله بهذه الآية إلى الكفار من تلك العهود التي كانت ونقضها الكفار وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون من من وهذه الآية حكم من الله عز وجل بنقض العهود والموادعات التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين طوائف المشركين الذين ظهر منهم أو تحسس من جهنم نقض ولما كان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لازما لأتمه حسن أن يقول ^ عاهدتم ^ قال ابن إسحاق وغيره من العلماء كانت العرب قد وافقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا عاما على أن لا يصد أحد عن البيت الحرام ونحو ذلك من الموادعات فنقض ذلك بهذه الآية وأجل لجميعهم أربعة أشهر فمن كان له مع النبي صلى الله عليه وسلم عهد خاص وبقي منه أقل من الأربعة الأشهر بلغ به تمامها ومن كان أمده أكثر من أربعة أشهر أتم له عهده إلا إن كان ممن تحسس منه نقض فإنه قصر على أربعة أشهر ومن لم يكن له عهد خاص فرضت له الأربعة الأشهر يسبح فيها في الأرض أي يذهب مسرعا أمانا كالسيح من الماء وهو الجاري المنبسط ومنه قول طرفة بن العبد # (لو خفت هذا منك ما نلتني % حتى نرى خيلا أمامي تسبح) + السريع + # وهذا نبي عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشعر من الكفار نقضا وترصا به إلا من الطائفة المستثناة وقال ابن عباس رضي الله عنه أول الأشهر الأربعة شوال وحينئذ نزلت الآية وانقضوا عند انسلاخ الأشهر الحرم وهو انقضاء المحرم بعد يوم الأذان بخمسين يوما فكان أجل من له عهد أربعة أشهر من يوم نزول الآية وأجل سائر المشركين خمسون ليلة من يوم الأذان # قال القاضي أبو محمد اعترض هذا بأن الأجل لا يلزم إلا من يوم سمع ويحتمل أن البراءة قد كانت سمعت من أول شوال ثم كرر إظهارها مع الأذان يوم الحج الأكبر وقال السدي وغيره بل أولها يوم الأذان وأخرها العشر من ربيع الآخر وهي الحرم استعير لها الاسم بهذه الحرمة والأمن الخاص الذي رسمه الله والزمه فيها وهي أجل الجميع ممن له عهد وتحسس منه نقض وممن لا عهد له وقال الضحاك وغيره من العلماء كان من العرب من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة وكان منهم من بينه وبينهم عهد وتحسس منهم النقض وكان منهم من بينه وبينهم عهد ولم ينقضوا ف قوله ^ فسبحوا في الأرض أربعة أشهر ^ هو أجل ضربه لمن كان بينه وبينهم عهد وتحسس منهم نقضه وأول هذا الأجل

@ 5 @ يوم الأذان وأخره انقضاء العشر الأول من ربيع الآخر وقوله ^ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ^ هو حكم مبين للأول حكم به في المشركين الذين لا عهد لهم البتة ف جاء أجل تأمينهم خمسين يوما أولها يوم الأذان وأخرها انقضاء المحرم وقوله ^ إلى الذين عاهدتم ^ يريد به الذين لهم عهد ولم ينقضوا ولا تحسس منهم نقض وهم فيما روي بنو ضمرة من كنانة عاهد لهم المخش بن خويلد وكان تبقى من عهدهم يوم الأذان تسعة أشهر وحكي الطبري عن فرقة أنها قالت إنما أجل الله أربعة أشهر من كان عهده ينصرم عند انقضائها أو قبله والمعنى فقل لهم يا محمد سبوا وأما من كان له عهد يتمادي بعد الأربعة الأشهر فهم الذين أمر الله بهم بالوفاء وقوله ^ واعلموا أنكم غير معجزي الله ^ معناها واعلموا أنكم لا تفتنون الله ولا تعجزونه هربا من عقابه ثم أعلمهم بحكمه بخزي الكافرين وذلك حتم إما في الدنيا وإما في الآخرة # وقوله تعالى ^ وأذان من الله ورسوله إلى الناس ^ الآية ^ وأذان ^ معناها إعلام وإشهار و ^ الناس ^ ها هنا عام في جميع الخلق و ^ يوم ^ منصوب على الظرف والعامل فيه ^ أذان ^ وإن كان قد وصف فإن رائحة الفعل باقية وهي عاملة في الظرف وقيل لا يجوز ذلك إذ قد وصف المصدر فزالته عنه قوة الفعل وبصرح أن يعمل فيه فعل مضمرة تقتضيه الألفاظ وقيل العامل فيه صفة الأذان وقيل العامل فيه ^ مخزي ^ # قال القاضي أبو محمد وهذا بعيد و ^ يوم الحج الأكبر ^ قال عمر وابن عمر وابن المسيب وغيرهم هو يوم عرفة وقال به علي وروي عنه أيضا أنه يوم النحر وروي ذلك عن أبي هريرة وجماعة غيرهم وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال منذر بن سعيد وغيره كان الناس يوم عرفة مفترقين إذ كانت الحمس تقف بالمزدلفة وكان الجمع يوم النحر يبنى فلذلك كانوا يسمونه الحج الأكبر أي من الأصغر الذي هم فيه مفترقون # قال القاضي أبو محمد وهذا زال في حجة أبي بكر لأنه لم يقف أحد بالمزدلفة وقد ذكر المهدوي أن الحمس ومن اتبعها وقفوا بالمزدلفة في حجة أبي بكر والذي تظاهرت في هذا الأحاديث في هذا المعنى أن علي رضي الله عنه أذن بتلك الآية يوم عرفة إثر خطبة أبي بكر ثم رأى أنه لم يعلم الناس بالإسراع فتنبهم بالأذان بها يوم النحر وفي ذلك اليوم بعث معه أبو بكر من يعينه بالأذان بها كابي هريرة وغيره وتتبعوا بها أيضا أسواق العرب كذي المجاز وغيرها فمن هنا يترجح قول سفيان إن ^ يوم ^ في هذه الآية بمعنى أيام بسبب ذلك قالت طائفة ^ يوم الحج الأكبر ^ عرفة حيث وقع أول الأذان وقالت طائفة أخرى هو يوم النحر حيث وقع إكمال الأذان واحتجوا أيضا بأنه من فاته الوقوف يوم عرفة فإنه يجزيه الوقوف ليلة النحر فليس يوم عرفة على هذا يوم الحج الأكبر # قال القاضي أبو محمد ولا حجة في هذا وقال سفيان بن عيينة المراد أيام الحج كلها كما تقول يوم صفين ويوم الجمل يريد جميع أيامه وقال مجاهد ^ يوم الحج الأكبر ^ أيام منى كلها ومجامع المشركين حيث كانوا يذبحون المجاز وعكاظ حين نودي فيهم ألا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا # قال القاضي أبو محمد وهذا كما قال عثمان لعمر حين عرض عليه زواج حفصة إنني قد رأيت ألا

@ 6 @ أتزوج يومي هذا وكما ذكر سيبويه تقول لرجل ما شغلك اليوم وأنت تريد في أيامك هذه واختلف لم وصف بالأكبر فقال الحسن بن أبي الحسن وعبد الله بن الحارث بن نوفل لأنه حج ذلك العام المسلمون والمشركون وصادف أيضا عيد اليهود والنصارى # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف أن يصفه الله في كتابه بالكبير لهذا وقال الحسن أيضا إنما سمي أكبر لأنه حج فيه أبو بكر ونبتت فيه العهود # قال القاضي أبو محمد وهذا هو القول الذي يشبهه نظر الحسن وبيانه أن ذلك اليوم كان المفتاح بالحق وإمارة الإسلام بتقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبتت فيه العهود وعز فيه الدين وذلل الشرك ولم يكن ذلك في عام ثمان حين ولي

رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج عتاب بن أسيد كان أمر العرب على أوله فكل حج بعد حج أبي بكر فمتركب عليه فحقه لهذا أن يسمى أكبر وقال عطاء بن أبي رباح وغيره الحج أكبر بالإضافة إلى الحج الأصغر وهي العمرة وقال الشعبي بالإضافة إلى العمرة في رمضان فإنها الحج الأصغر وقال مجاهد الحج الأكبر القرآن والأصغر الأفراد وهذا ليس من هذه الآية في شيء وقد تقدم ما ذكره منذر بن سعيد ويتجه أن يوصف بالأكبر على جهة المدح لا بإضافة إلى أصغر معين بل يكون المعنى الأكبر من سائر الأيام فتامله واختصار ما تحتاج إليه هذه الآية على ما ذكر مجاهد وغيره من صورة تلك الحال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة سنة ثمان فاستعمل عليها عتاب بن أسيد وقضى أمر حنين والطائف وانصرف إلى المدينة فأقام بها حتى خرج إلى تبوك ثم انصرف من تبوك في رمضان سنة تسع فأراد الحج ثم نظر في أن المشركين يحجون في تلك السنة ويطوفون عراة فقال لا أريد أن أرى ذلك فأمر أبا بكر على الحج بالناس وأنفذه ثم أتبعه علي بن أبي طالب على ناقته العضاء وأمره أن يؤذن في الناس بأربعة أشياء وهي # لا يحج بعد العام مشرك ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة وفي بعض الروايات ولا يدخل الجنة كافر ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته وفي بعض الروايات ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله أربعة أشهر يسبح فيها فإذا انقضت ف ^ إن الله بريء من المشركين ورسوله ^ # قال القاضي أبو محمد وأقول إنهم كانوا ينادون بهذا كله فهذا للذين لهم عهد وتحسس منهم نقضه والإبقاء إلى المدة لمن لم يخبر منه نقض وذكر الطبري أن العرب قالت يومئذ نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب فلام بعضهم بعضاً وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش فأسلموا كلهم ولم يسبح أحد # قال القاضي أبو محمد وحينئذ دخل الناس في دين الله أفواجا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر علياً أن يقرأ على الناس الأربعين آية صدر سورة براءة وقيل ثلاثين وقيل عشرين وفي بعض الروايات عشر آيات وفي بعضها تسع آيات ذكرها النقاش وقال سليمان بن موسى الشامي ثمان وعشرون آية فلحق علي أبا بكر في الطريق فقال له أبو بكر أمير أو مأمور فقال بل مأمور فنهض حتى بلغا

@ 7 @ الموسم فلما خطب أبو بكر بعرفة قال قم يا علي فأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علي ففعل قال ثم وقع في نفسي أن جميع الناس لم يشاهدوا خطبة أبي بكر فجعلت أتبع الفساطيط يوم النحر وقرأ جمهور الناس أن الله بريء بفتح الألف على تقدير بأن الله وقرأ الحسن والأعرج أن الله بكسر الألف على القطع إذ الأذان في معنى القول وقرأ جمهور الناس ورسوله بالرفع على الإبتداء وحذف الخبر ورسوله بريء منهم هذا هو عند شيخنا الفقيه الأستاذ أبي الحسن بن البادش رحمه الله معنى العطف على الموضع أي تؤنس بالجملة الأولى التي هي من ابتداء وخبر فعطفت عليها هذه الجملة وقيل هو معطوف على موضع المكتوبة قبل دخول أن التي لا تغير معنى الابتداء بل تؤكد وإذ قد قرئت بالكسر لأنه لا يعطف على موضع أن بالفتح وانظره فإنه مختلف في جوازه لأن حكم أن رفع حكم الابتداء إلا في هذا الموضع وما أشبهه وهذا قول أبي العباس وأبي علي رحمهما الله ومذهب الأستاذ على مقتضى كلام سيبويه أن لا موضع لما دخلت عليه أن إذ هو معرب قد ظهر فيه عمل العامل ولأنه لا فرق بين أن وبين ليت ولعل والإجماع أن لا موضع لما دخلت عليه هذه وقيل عطف على الضمير المرفوع الذي في بريء وحسن ذلك أن المجرور قام مقام التوكيد كما قامت لا في قوله تعالى ^ ما أشركنا ولا آبائنا ^ وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عزم رسوله بالنصب عطفاً على لفظ المكتوبة وبهذه الآية امتحن معاوية أبا الأسود حتى وضع النحو إذ جعل قارئاً يقرأ بخفض ورسوله والمعنى في هذه الآية بريء من عهودهم وأديانهم براءة عامة تقتضي المحارحة وأعمال السيف وقوله ^ فإن تتم ^ أي عن الكفر ووعدهم مع شرط التوبة وتوعددهم مع شرط التولي وجاز أن تدخل البشارة في المكروه لما جاء مصرحاً به مرفوع الأشكال . # قوله عز وجل \$ التوبة 4 - 5 # هذا هو الاستثناء الذي تقدم ذكره في المشركين الذين بقي من عهودهم تسعة أشهر وكانوا قد وفوا بالعهد على ما يجب وقال قتادة هم قريش الذين عاهدوا زمن الحديبية # قال القاضي أبو محمد وهذا مردود بإسلام قريش في الفتح قبل الأذان بهذا كله وقال ابن عباس قوله ^ إلى مدتهم ^ إلى الأربعة الأشهر التي في الآية وقرأ الجمهور ينقضوك بالصاد غير منقوطة وقرأ عطاء بن يسار وعكرمة وابن السميع ينقضوك بالصاد من النقص وهي متمكنة مع العهد ولكنها قلقة في تعديها إلى الضمير ويحسن ذلك أن النقص نقض وفاء وحق للمعاهد وكذلك تعدى أتموا ب إلى لما

@ 8 @ كان العهد في معنى ما يؤدي ويبرأ به وكأنهم يقتضون العهد و ^ يظاهروا ^ معناه يعاونوا والضمير المعين وأصله من الظهر كان هذا يسند ظهره إلى الآخر والآخر كذلك وقوله ^ إن الله يحب المتقين ^ تنبيه على أن الوفاء بالعهد من التقوى وقوله تعالى ^ فإذا أنسلخ الأشهر الحرم ^ الآية الإنسلاخ خروج الشيء عن الشيء المتلبس به كأنسلاخ الشاة عن الجلد والرجل عن الثياب ومنه قوله تعالى ^ نسلخ منه النهار ^ فشيبه انصرام الأشهر أسمائها وأحكامها من الزمن بذلك وقد تقدم القول فيمن جعل له انقضاء الأشهر الحرم أجلاً وما المعنى ب ^ الأشهر الحرم ^ بما أغنى عن إعادته وقوله ^ فاقتلوا المشركين ^ أمر بقتال المشركين فخرج الأمر بذلك بلفظ اقتلوا على جهة التشجيع وتقوية النفس أي هكذا يكون أمركم معهم وهذه الآية نسخت كل موادة في القرآن أو مهادة وما جرى مجرى ذلك وهي على ما ذكر مائة آية وأربع عشرة آية وقال الضحاك والسدي وعطاء هذه الآية منسوخة بقوله ^ فأما منا بعد وأما فداء ^ وقالوا لا يجوز قتل أسير البتة صبراً إما أن يمن عليه وإما أن يفادي وقال قتادة ومجاهد وغيرهما قوله ^ فأما منا بعد وأما فداء ^ منسوخ بهذه الآية وقالوا لا يجوز المن على أسير ولا مفادته ولا شيء إلا القتل وقال ابن زيد هما محكمتان # قال القاضي أبو محمد ولم يفسر أكثر من هذا وقوله هو الصواب والأيان لا يشبه معنى واحدة معنى الأخرى وذلك أن هذه الآية قوله ^ فاقتلوا المشركين ^ ^ وخذوهم واحصروهم ^ أفعال إنما تمثل مع المحارب المرسل المناضل وليس للأسير فيها ذكر ولا حكم وإذا أخذ الكافر خرج عن درجات هذه الآية وانتقل إلى حكم الآية الأخرى وتلك الآية لا مدخل فيها لغير الأسير فقول ابن زيد هو الصواب وقوله ^ خذوهم ^ معناه الأسر وقوله ^ كل مرصد ^ معناه في مواضع الغرة حيث يرصدون وقال النابغة # (أعادل إن الجهل من لذة الفتى % وإن المنايا للنفوس برصد) + الطويل + # ونصب ^ كل ^ على الظرف وهو اختيار الزجاج أو بإسقاط الخافض التقدير في كل مرصد أو على كل مرصد وحكى سيبويه ضرب الظهر والبطن وقوله تعالى ^ فإن تابوا ^ يريد من الكفر فهي متضمنة الإيمان ثم قرن بها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على مكان الصلاة والزكاة من الشرع وقوله ^ فخلوا سبيلهم ^ تأمين وقال أنس بن مالك هذا هو دين الله الذي جاءت به الرسل وهو من آخر ما نزل قبل اختلاف الأهواء وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا مخلصاً لله تعالى مطيعاً له لقي الله وهو عنه راض ثم وعد بالمغفرة في صيغة الخبر عن أوصافه تعالى # قوله عز وجل \$ التوبة 6 - 7 \$ # أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بعد الأمر بقتال المشركين بأن يكون متى طلب

@ 9 @ مشرك عهداً يأمن به يسمع القرآن ويرى حال الإسلام أن يعطيه ذلك وهي الإجارة وهو من الجوار ثم أمر بتبليغه المأمن إذا لم يرض الإسلام ولم يهد إليه قال الحسن هي محكمة سنة إلى يوم القيامة وقال مجاهد وقال الضحاك والسدي هذا منسوخ بقوله ^ فاقتلوا المشركين ^ وقال غيرهما هذه الآية إنما كان حكمها مدة الأشهر التي ضربت لهم أجلاً وقوله سبحانه ^ حتى يسمع كلام الله ^ يعني القرآن وهي إضافة صفة إلى موصوف لا إضافة خلق إلى خالق والمعنى ويفهم أحكامه وأوامره ونواهيته فذكر السماع بالأذان إذ هو الطريق إلى الفهم وقد يجيء السماع في كلام العرب مستعملاً بمعنى الفهم كما تقول لمن خاطبته فلم يقبل منك أنت لم تسمع قولي تريد لم تفهمه وذلك في كتاب الله تعالى في عدة مواضع و ^ أحد ^ في هذه الآية مرتفع بفعل يفسره قوله ^ استجارك ^ ويضعف فيه الإبتداء لولاية الفعل لأن قوله تعالى ^ ذلك ^ إشارة إلى هذا اللطف في الإجارة والإسماع وتبليغ المأمن ولا يعلمون نفي علمهم بمرشدتهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ^ كيف يكون للمشركين عهد عند الله ^ # الآية لفظ استفهام وهو على جهة التعجب والاستبعاد أي على أي وجه يكون للمشركين عهد وهم قد نقضوا وجاهروا بالتعدي ثم استثنى من عموم المشركين القوم الذين عاهدوا عند المسجد الحرام أي في ناحيته وجهته وقال ابن عباس فيما روي عنه المعنى بهذا قريش وقال السدي المعنى بنو خزيمة بن الدبل وقال ابن إسحاق هي قبائل بني بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقض إلا قريش وبنو الدبل من بني بكر فأمر المسلمون بإتمام العهد لمن

لم يكن نقض وقال قوم المعني خزاعة قاله مجاهد وهو مردود بإسلام خزاعة عام الفتح وقال بعض من قال إنهم قريش إن هذه الآية نزلت فلم يستقيموا بل نقضوا فنزل تأجيلهم أربعة أشهر بعد ذلك وحكى الطبري هذا القول عن ابن زيد وهو ضعيف متناقض لأن قريشا وقت الأذان بالأربعة الأشهر لم يكن منهم إلا مسلم وذلك بعد فتح مكة بسنة وكذلك خزاعة قاله الطبري وغيره وقوله ^ إن الله يحب المتقين ^ يريد به الموفين بالعهد من المؤمنين فلذلك جاء بلفظ مغترق الوفاء بالعهد متضمن الإيمان # قوله عز وجل \$ التوبة 8 - 10 # بعد ^ كيف ^ في هذه الآية فعل مقدر ولا بد يدل عليه ما تقدم فيحسن أن يقدر كيف يكون لهم عهد ونحوه قول الشاعر # (وخيرتماني إنما الموت في القرى % فكيف وهاتا هضبة وكثيب) + الطويل + # وفي ^ كيف ^ هنا تأكيد للإستبعاد الذي في الأولى و ^ لا يرقبوا ^ معناه لا يراعوا ولا يحافظوا وأصل

@ 10 @ الارتقاب بالبصر ومنه الرقيب في الميسر وغيره ثم قيل لكل من حافظ على شيء وراعاه راقبه وارتقبه وقرأ جمهور الناس إلا وقرأ عكرمة مولى ابن عباس بياء بعد الهمزة خفيفة اللام إيلا وقرأت فرقة الألف فتح الهمزة فاما من قرأ إلا فيجوز أن يراد به الله عز وجل قاله مجاهد وأبو مجلز وهو اسمه بالسريانية ومن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع كلام مسيلمة فقال هذا كلام لم يخرج من إل ويجوز أن يراد به العهد والعرب تقول للعهد والخلق والجوار ونحو هذه المعاني إلا ومنه قول أبي جهل # (لإل علينا واجب لا نضيعه % متين فواه غير منتكث الحبل) + الطويل + # ويجوز أن يراد به القرابة فإن القرابة في لغة العرب يقال له إل ومنه قول ابن مقبل الرمل # (أفسد الناس خلوف خلفوا % قطعوا الإل وأعراق الرحم) أنشده أبو عبيدة على القرابة وظاهره أنه في اليهود ومنه قول حسان # (لعمرك أن إلك في قريش % كال السقب من رال النعام) + الوافر + # وأما من قرأ الألف فتح الهمزة فهو مصدر من فعل للإل الذي هو العهد ومن قرأ إيلا فيجوز أن يراد به الله عز وجل فإنه يقال آل وأيل وفي البخاري قال جبر ومبك وسراف عبد بالسريانية وأيل الله عز وجل ويجوز أن يريد ^ إلا ^ المتقدم فأبدل من أحد المثليين ياء كما فعلوا ذلك في قولهم عمر وأبنا ومنه قول سعد بن قرط يهجو أمه # (يا ليت أمنا شالت نعامتها % أيما إلى جنة أيما إلى نار) + البسيط + # ومنه قول عمر بن أبي ربيعة # (رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت % فيضحى وأما بالعشي فيخصر) + الطويل + # وقال آخر # (لا تفسدوا آبا لكم % أيما لنا أيما لكم) + الرجز + # قال أبو الفتح ويجوز أن يكون مأخوذاً من آل يؤول إذا ساس # قال القاضي أبو محمد كما قال عمر بن الخطاب قد أننا وأيل علينا فكان المعنى على هذا لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة ولا ذمة وقلبت الواو ياء لسكونها والكسرة قبلها والذمة أيضا بمعنى المتات والحلف والجوار ونحوه قول الأصمعي الذمة كل ما يجب أن يحفظ ويحمى ومن رأى الإل أنه العهد جعلها لفظتين مختلفتين لمعني واحد أو متقارب ومن رأى الإل لغير ذلك فهما لفظان لمعنيين ^ وتابى قلوبهم ^ معناه تابى أن تزعم لما يقولونه بالألسنة وأبى يابى شاذ لا يحفظ فعل يفعل بفتح العين في الماضي والمستقبل وقد حكى ركن يركن وقوله ^ وأكثرهم ^ يريد به الكل أو يريد استثناء من قضى له بالإيمان كل ذلك محتمل وقوله تعالى ^ اشتروا بآيات الله ^ الآية اللازم من ألفاظ هذه الآية أن هذه

@ 11 @ الطائفة الكافرة الموصوفة بما تقدم لما تركت آيات الله ودينه وآثرت الكفر وحالها في بلادها كل ذلك كالشراء والبيع لما كان ترك قد مكثوا منه وأخذ لما يمكن نبذه وهذه نزعة مالك رحمه الله في منع اختيار المشتري فيما تختلف أحاد جنسه ولا يجوز التفاضل فيه وقد تقدم ذكر ذلك في سورة البقرة وقوله ^ فصدوا عن سبيله ^ يريد صدوا أنفسهم وغيرهم ثم حكم عليهم بأن عملهم سيء و ^ ساء ^ في هذه الآية إذ لم يذكر مفعولها يحتمل أن تكون مضمنة كبئس فاما إذا قلت ساءني فعل زيد فليس تضمنين بوجه وإن قدرت في هذه الآية مفعولا زال التضمن وروي أن أبا سفيان بن حرب جمع بعض العرب على طعام وندبهم إلى وجه من وجوه النقض فأجابوا إلى ذلك فنزلت الآية وقال بعض الناس هذه في اليهود # قال القاضي أبو محمد وهذا القول وإن كانت ألفاظ هذه الآية تقتضيه فما قبلها وما بعدها يرده ويبتأ منه ويختل أسلوب القول وقوله تعالى ^ لا يرقبون ^ الآية وصف لهذه الطائفة المشتريه يضعف ما ذهب إليه من قال إن قوله ^ اشتروا بآيات الله ^ هو في اليهود وقوله تعالى ^ في مؤمن ^ إعلام بأن عداوتهم إنما هي بحسب الإيمان فقط وقوله أولاً ^ فيكم ^ كان يحتمل أن يظن ظان أن ذلك للإلح التي وقعت فزال هذا الإحتمال بقوله ^ في مؤمن ^ ثم وصفهم بالإعتداء والبداة بالنقض لليهود والتعمق في الباطل # قول عز وجل \$ التوبة 11 - 12 # ^ تابوا ^ رجعوا عن حالهم والتوبة منهم تتضمن الإيمان ثم قرن تعالى بإيمانهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن زيد قرن الله الصلاة بالزكاة ولم يرض بإحداهما دون الأخرى # قال القاضي أبو محمد وعلى هذا مر أبو بكر رضي الله عنه وقت الردة والأخوة في الدين هي أخوة الإسلام وجمع الأخ منها إخوان وجمعه من النسب إخوة قاله بعض اللغويين وقد قيل إن الأخ من النسب يجمع على إخوان أيضا وذلك ظاهر من قوله تعالى ^ ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم ^ ويبين ذلك قوله تعالى في آخر الآية ^ أو صدقكم ^ وكذلك قوله في هذه السورة ^ قل إن كان أبؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم ^ فاما الأخ من النواد ففي كتاب الله ^ إنما المؤمنون إخوة ^ وقال أبو هريرة في البخاري كان إخواني من المهاجرين يشغلهم صفق بالأسواق فيصح من هذا كله أن الأخ يجمع إخوة وإخوانا سواء كان من نسب أو مودة وتفصيل الآية بيانها وإيضاحها وقوله تعالى ^ وإن نكثوا إيمانهم ^ الآية النكث النقص وأصله في كل ما قبل ثم حل فهي في الإيمان والعهود مستعارة وقوله

@ 12 @ # ^ وطعنوا في دينكم ^ أي بالاستنقاص والحرب وغير ذلك مما يفعله المشرك وهذه استعارة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم حين أمر أسامة إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل الحديث # قال القاضي أبو محمد ويليق هنا ذكر شيء من طعن الذمي في الدين فالمشهور من مذهب مالك رحمه الله أنه إذا فعل شيئا من ذلك مثل تكذيب الشريعة وسب النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قتل وقيل إذا كفر وأعلن بما هو معهود من معتقده وكفره أدب على الإعلان وترك وإذا كفر بما ليس من معهود كفره كالسب ونحوه قتل وقال أبو حنيفة في هذا إنه يستتاب واختلف إذا سب الذمي النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم تقية القتل فالمشهور من المذهب أن يترك وقد قال صلى الله عليه وسلم الإسلام يجب ما قبله وفي العتبية أنه يقتل ولا يكون أحسن حالا من المسلم وقوله تعالى ^ فقاتلوا أئمة الكفر ^ أي رؤوسهم وأعيانهم الذين يقودون الناس إليه وقال قتادة المراد بهذا أبو جهل بن هشام وعتبية بن ربيعة وغيرهما # قال القاضي أبو محمد وهذا إن لم يتأول أنه ذكرهم على جهة المثال ضعيف لأن الآية نزلت بعد بدر بكثير وروي عن حذيفة أنه قال لم يحن هؤلاء بعد # قال القاضي أبو محمد يريد أن ينقضوا فهم يحيون أبدا ويقتلون وأصوب ما في هذا أن يقال إنه لا يعني بها معين وإنما وقع الأمر بقتال أئمة الناكثين باليهود من الكفرة إلى يوم القيامة دون تعيين واقتضت حال كفار العرب ومحاربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون الإشارة إليهم أولا بقوله ^ أئمة الكفر ^ وهم حصلوا حينئذ تحت اللفظة إذ الذي يتولى قتال النبي والدفع في صدر شريعته هو إمام كل من يكفر بذلك الشرع إلى يوم القيامة ثم تأتي في كل جيل من الكفار أئمة خاصة بجيل وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو أئمة بهمزة واحدة وبعدها ياء مكسورة وقد روي عن نافع مد الهمزة وروي عنه ابن أبي أويس أئمة بهمزتين وأصلها أئمة وزنها أفعله جمع إمام كعماد وأعمدة نقلت حركة الميم إلى الهمزة التي هي فاء الفعل وأدغمت الميم الأخرى وقلبت الهمزة ياء لانكسارها ولا اجتماع همزتين من كلمة واحدة وقرأ عاصم وابن عامر وهمزة والكسائي أئمة والتعليل واحد إلا أنهم لم يقبلوا الهمزة ياء وقرأ المسيبي عن نافع أئمة بهمزة ممدودة وقرأ هشام عن أبي عامر بمددة بين الهمزتين وقرأ الناس الجم الغفير لا إيمان لهم على جمع يمين وليس المراد نفي الإيمان جملة وإنما المعنى لا إيمان لهم يوفى بها ويبر وهذا المعنى يشبه الآية وقرأ الحسن وعطاء وابن عامر وحده من السبعة لا إيمان لهم وهذا يحتمل وجهين أحدهما لا تصديق قال أبو علي وهذا غير قوي لأنه تكبير وذلك أنه وصف أئمة الكفر بأنهم لا إيمان لهم فالوجه في كسر الألف أنه مصدر من أئمة إيمانا ومنه قوله تعالى ^ أمنهم من خوف ^ فالمعنى أنهم لا يؤمنون كما يؤمن أهل الذمة الكتابيون إذ المشركون لم يكن لهم إلا الإسلام أو السيف قال أبو حاتم فسر الحسن قراءته لا إسلام لهم # قال القاضي أبو محمد والتكرير الذي فر أبو علي منه متجه لأنه بيان المهم الذي يوجب قتلهم لا إسلام لهم

@ 13 @ # قوله عز وجل \$ التوبة 13 - 15 \$ قوله ^ ألا تقاتلون ^ عرض وتحضيض وقوله ^ وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة ^ قال الحسن بن أبي الحسن المراد من المدينة وهذا مستقيم كغزوة أحد والأحزاب وغيرهما وقال السدي المراد من مكة فهذا على أن يكون المعنى هموا وفعلوا أو على أن يقال هموا بإخراجه بأيديهم فلم يصلوا إلى ذلك بل خرج بأمر الله عز وجل وهذا يجري مع إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على أبي سفيان بن الحارث قوله # (وردني إلي الله من % طردته كل مطرد) + الطويل + # ولا ينسب الإخراج إليهم إلا إذا كان الكلام في طريق تذييلهم كما قال تعالى ^ وإخراج أهله منه أكبر عند الله ^ وقوله ^ من قريتك التي أخرجتك ^ والأول هو على أن ما فعلوا به من أسباب الإخراج هو الإخراج وقوله ^ أول مرة ^ قيل يراد أفعالهم بمكة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وقال مجاهد يراد به ما بدأت به قريش من معونة بني بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان هذا بدء النقض وقال الطبري يعني فعلهم يوم بدر وقوله ^ أتخشونهم ^ استفهام على معنى التقرير والتوبيخ وقوله ^ فإله ^ مرتفع بالأبتداء و ^ أحق ^ خبره و ^ أن تخشوه ^ بدل من اسم الله بدل اشتغال أو في موضع نصب على إسقاط خافض تقديره بأن تخشوه ويجوز أن يكون ^ الله ^ ابتداء و ^ أحق ^ ابتداء ثان و (أن تخشوه) خبر الثاني والجملة خبر الأول وقوله ^ إن كنتم مؤمنين ^ كما تقول أفعل كذا إن كنت رجلاً أي رجلاً كاملاً فهذا معناه إن كنتم مؤمنين كاملي الإيمان لأن إيمانهم قد كان استقر وقوله ^ قاتلوهم يعذبهم الله ^ الآية قررت الآيات قبلها أفعال الكفرة ثم حص على القتال مقترناً بذنوبهم لتتبع الحمية مع ذلك ثم جزم الأمر بقتالهم في هذه الآية مقترناً بوعد وكيد يتضمن النصر عليهم والظفر بهم وقوله ^ يعذبهم ^ معناه بالقتل والأسر وذلك كله عذاب ^ ويخزهم ^ معناه يذلهم على ذنوبهم يقال خزي الرجل يخزي خزيًا إذا ذل من حيث وقع في عار وأخزاه غيره وخزي خزيًا إذا استحيا وأما قوله ^ ويشف صدور قوم مؤمنين ^ فإن الكلام يحتمل أن يريد جماعة المؤمنين لأن كل ما يهد من الكفر من شفاء من هم صدور المؤمنين ويحتمل أن يريد تخصيص قوم من المؤمنين وروي أنهم خزاعة قاله مجاهد والسدي ووجه تخصيصهم أنهم الذين نقض فيهم العهد ونالهم الحرب وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير ويقضي ذلك قول الخراعي عن المستنصر بالنبي صلى الله عليه وسلم # (ثمت أسلمنا فلم تنزع يدا %) + الرجز +

@ 14 @ # وفي آخر الرجز # (وقتلونا ركعا وسجدا %) # وقرأ جمهور الناس ويذهب غيظ قلوبهم على إسناد الفعل إلى الله عز وجل وقرأت فرقة ويذهب غيظ قلوبهم على إسناد الفعل إلى الغيظ وقرأ جمهور الناس يتوب بالرفع على القطع مما قبله والمعنى أن الآية استأنفت الخبر بأنه قد يتوب على بعض هؤلاء الكفرة الذين أمر بقتالهم قال أبو الفتح وهذا أمر موجود سواء قوتلوا أو لم يقاتلوا فلا وجه لإدخال التوبة في جواب الشرط الذي في ^ قاتلوهم ^ على قراءة النصب وإنما الوجه الرفع على الإستئناف والقطع وقرأ الأعرج وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وعمرو بن عبيد وأبو عمرو فيما روي عنه ويتوب بالنصب على تقدير وأن يتوب ويتوجه ذلك عندي إذا ذهبت إلى أن التوبة إنما يراد بها هنا أن قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكما لإيمانكم فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال و ^ عليم حكيم ^ صفتان نسبتها إلى الآية واضحة . # قوله عز وجل \$ التوبة 16 - 17 \$ أم ^ في هذه الآية ليست المعادلة وإنما هي المتوسطة في الكلام وهي عند سيبويه التي تتضمن إضرابا عن اللفظ لا عن معناه واستفهاما فهي تسد مسد بل وألف الاستفهام وهي التي في قولهم إنها لإبل أم شاء التقدير بل أي شاء وقوله ^ أن تتركوا ^ يسد عند سيبويه مسد مفعولي حسب وقال المبرد أن وما بعدها مفعول أول والثاني محذوف . # قال القاضي أبو محمد كان تقديره مهملين أو سدي ونحو ذلك وقوله (ولما) هي دخلت على لم وفيها مبالغة ومعنى الآية أظنتم أن تتركوا دون اختبار وامتحان ف ^ لما ^ في هذه الآية بمنزلة قول الشاعر الفرزدق # (بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم % ولم تكن القتل بها حين سلت) + الطويل + # قال القاضي أبو محمد والمراد بقوله ^ ولما يعلم ^ لما يعلم ذلك موجودا كما علمه أزل بشرط الوجود ولما يظهر فعلكم واكتسابكم الذي يقع عليه الثواب والعقاب ففي العبارة تجوز وإلا فحتم أنه قد علم الله في الأزل الذين وصفهم بهذه الصفة مشروطا وجودهم وليس يحدث له علم تبارك وتعالى عن ذلك و ^ وليجة ^ معناه بطانة ودخيلة وقال عبادة بن صفوان الغنوي # (ولانهم في كل مبدئ ومحضر % إلى كل من يرجى ومن يتخوف) + الطويل +

@ 15 @ # وهو مأخوذ من الولوج فالمعنى أمرا باطنا مما ينكره الحق وهذه الآية مخاطبة للمؤمنين معناها أنه لا بد من إختبارهم فهي كقوله ^ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ^ وكقوله ^ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ^ وفي هذه الآية طعن على المنافقين الذين اتخذوا الولايج لا سيما عندما فرض القتال وقرأ جمهور الناس والله خبير بما تعملون بالتاء على المخاطبة وقرأ الحسن ويعقوب في رواية رويس وسلام بالياء على الحكاية عن الغائب وقوله تعالى ^ ما كان للمشركين ^ الآية معناه ما كان للمشركين بحق الواجب أن يعمرؤا وهذا هو الذي نفى الله عز وجل وإلا فقد عمرؤا مساجده قديما وحديثا وتعلبا وظلما وقرأ حماد بن أبي سلمة عن ابن كثير والجحدري مسجد الله بالإفراد في الموضوعين وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي والأعرج وشيبة وأبو جعفر ومجاهد وقتادة وغيرهم مساجد بالجمع في الموضوعين وقرأ ابن كثير أيضا وأبو عمرو مسجد بالإفراد في هذا الموضوع الأول ومساجد بالجمع في الثاني كأنه ذكر أولا فيه النازلة ذلك الوقت ثم عمت المساجد ثانيا في الحكم الثابت ما بقيت الدنيا ولفظ الجمع يقتضي عموم المساجد كلها ويحتمل أن يراد به المسجد الحرام في الموضوعين وحده على أن يقدر كل موضع سجد فيه مسجدا ثم يجمع ولفظ الإفراد في الموضوعين يقتضي خصوص المسجد الحرام وحده ويحتمل أن يراد به الجنس فيعم المساجد كلها ولا يمنع من ذلك إضافته كما ذهب إليه من لا يصر له وقال أبو علي الثاني في هذه القراءة يراد به الأول وسائر المساجد كلها حكمها حكم المسجد الحرام وقوله ^ شاهدين على أنفسهم بالكفر ^ إشارة إلى حالهم إذ أقوالهم وأفعالهم تقتضي الإقرار بالكفر والتخلي به وقيل الإشارة إلى قولهم في التلبية إلا شريك هو لك ونحو ذلك وحكى الطبري عن السدي أنه قال الإشارة إلى أن النصراني كان يقول أنا نصراني واليهودي كذلك والوثني يقول أن مشرك # قال القاضي أبو محمد وهذا لم يحفظ ثم حكم الله تعالى عليهم بأن أعمالهم ^ حبطت ^ أي بطلت ولا أحفظها تستعمل إلا في السعي والعمل ويشبه أن يكون من الحبط وهو داء قاتل يأخذ السائمة إذا رعت ويلا وهو الذي في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم الحديث . # قوله عز وجل \$ التوبة 18 - 19 \$ # المعنى في هذه الآية ^ إنما يعمر مساجد الله ^ بالحق لهم والواجب ولفظ هذه الآية الخبر وفي ضمنها أمر المؤمنين بعمارة المساجد وقد قال بعض السلف إذا رأيت الرجل يعمر المسجد فحسنا به

@ 16 @ الظن وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيت الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا عليه بالإيمان وقد تقدم القول في قراءة مسجد وقوله ^ واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ^ يتضمن الإيمان بالرسول إذ لا يتلقى ذلك إلا منه وقوله ^ ولم يخش إلا الله ^ حذف الألف من يخشى للجزم وأقام الصلاة وأتى الزكاة إذا كان يسكن في الرفع حذف في الجزم لئلا يكون الجزم بمنزلة الرفع ويريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة وهذه المرتبة العدل بين الناس ولا محالة أن الإنسان يخشى غيره ويخشى المحاذير الدنيوية وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه وعسى من الله واجبة حيثما وقعت في القرآن ولم يرح الله بالاهتداء إلا من حصل في هذه المرتبة العظيمة من العدالة ففي هذا حص يبلغ على التقوى وقرأ الجمهور أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وقرأ ابن الزبير وأبو حمزة ومحمد بن علي وأبو جعفر القاري أجعلتم سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام وقرأها كذلك ابن جبير إلا أنه نصب المسجد على إرادة التنوين في عمرة وقرأ الضحاك وأبو حمزة وأبو جعفر القاري سقاية الحاج بضم السين وعمرة فاما من قرأ سقاية وعمارة ففي الكلام عنده محذوف إما في أوله وإما في آخره فإما أن يقدر أجعلتم أهل أوله كما قالوا عرف وعرف وظئر وظؤار وكان قياسه أن يقال سقاء وإن أنت كما أنت من الجموع حجارة وغيره # فكان القياس سقية من أول مرة على التأنيث قاله ابن جنبي و ^ سقاية الحاج ^ كانت في بني هاشم وكان العباس يتولاها قال الحسن ولما نزلت هذه الآية قال العباس ما أراني إلا أترك السقاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا عليها فإنها لكم خير ^ وعمارة المسجد ^

قبل هي حفظة من الظلم فيه ويقال هجرا وكان ذلك إلى العباس وقيل هي السدانة خدمة البيت خاصة وكانت في بني عبد الدار وكان يتولاها عثمان بن طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الدار وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة المذكور هذان هما اللذان دفع إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة في ثاني يوم الفتح بعد ان طلبه العباس وعلي رضي الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم لعثمان وشيبة يوم وفاء وبر خذوها خالدة تالدة لا ينزعكموها إلا ظالم # قال القاضي أبو محمد يعني السدانة واختلف الناس في سبب نزول هذه الآية فقيل إن كفار قريش قالوا لليهود إنا نسقي الحجاج ونعمر البيت أفنحنا أفضل أم محمد صلى الله عليه وسلم ودينه فقالت لهم أحبار اليهود بل أنتم فنزلت الآية في ذلك وقيل إن الكفار افتخروا بهذه الأشياء فنزلت الآية في ذلك وأسند الطبري إلى النعمان بن بشير أنه قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال أحدهم ما أتمنى بعد الإسلام إلا أن أكون ساقى الحاج وقال الآخر إلا أن أكون خادم البيت وعامره وقال الثالث إلا أن أكون مجاهدا في سبيل الله فسمعهم عمر بن الخطاب فقال اسكتوا حتى أدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فأستفتيه فدخل عليه فاستفتاه فنزلت الآية في ذلك وقال ابن عباس والضحاك إن المسلمين غيروا أسرى بدر بالكفر فقال العباس بل نحن سقاء الحاج وعمرة البيت فنزلت الآية في ذلك وقال مجاهد أمروا بالهجرة فقال العباس أنا أسقى الحاج وقال عثمان بن طلحة أنا حاجب للكعبة فلا نهاجر

@ 17 @ فنزلت ^ أجعلتم سقاية الحاج ^ إلى قوله ^ حتى يأتي الله بأمره ^ وقال مجاهد وهذا كله قبل فتح مكة وقال محمد بن كعب إن العباس وعلياً وعثمان بن طلحة تفاخروا فقال العباس أنا ساقى الحاج وقال عثمان أنا عامر البيت ولو شئت بت فيه وقال علي أنا صاحب جهاد الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم والذي أمنت وهاجرت قديما فنزلت الآية في ذلك # قوله عز وجل \$ التوبة 20 - 23 # لما حكم الله تعالى في الآية المتقدمة بأن الصنفين لا يستوون بين ذلك في هذه الآية الأخيرة وأوضحه فعدد الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفوس وحكم ان أهل هذه الخصال ^ أعظم درجة عند الله ^ من جميع الخلق ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه والفوز بلوغ البغية أما في نيل رغبته أو نجاة من مهلكة وينظر إلى معنى هذه الآية الحديث الذي جاء دعوا لي أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذها ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه # قال القاضي أبو محمد لأن أصحاب هذه الخصال على سيوفهم انبنى الإسلام وهم ردوا الناس إلى الشرع وقوله تعالى ^ يبشروهم بهم ^ الآية هذه آية وعد وقراءة الناس يبشروهم بضم الباء وكسر الشين المستندة وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرف وحמיד بن هلال يبشروهم بفتح الباء وسكون الباء وضم الشين خفيفة وأسند الطبري إلى جابر بن عبد الله أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل أعطيتكم أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا قال رضواني وفي البخاري في كتاب السنة منه فلا أسخط عليكم أبدا وقرأ الجمهور ورضوان بكسر الراء وقرأ عاصم وعمرو ورضوان بضم الراء وقرأ الأعمش بضم الراء والصاد جميعا قال أبو حاتم لا يجوز هذا وقوله تعالى ^ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم ^ الآية ظاهر هذا المخاطبة إنها لجميع المؤمنين كافة وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة وروت فرقة أن هذه الآية إنما نزلت في الحضر على الهجرة ورفض بلاد الكفر فالمخاطبة على هذا هي للمؤمنين الذين كانوا في مكة وغيرها من بلاد العرب خوطينا بأن لا يوالوا الآباء والإخوة فيكونون لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر ولم يذكر الآباء في هذه الآية إذ الأغلب من البشر أن الآباء هم التبع للآباء وإخوان في هذه الآية جمع أخ النسب وكذلك هو في قوله تعالى ^ أو بيوت إخوانكم ^ وقرأ عيسى بن عمر أن استحبوا بفتح الألف من أن وقرأ الجمهور إن بكسر الألف على الشرط و ^ استحبوا ^ متضمنة معنى فضلوا

@ 18 @ وآتروا ولذلك تعدت بعلى ثم حكم الله عز وجل بأن من والاهم واتبعهم في أغراضهم فإنه ظالم أي واضح للشيء غير موضعه وهذا ظلم المعصية لا ظلم الكفر . # قوله عز وجل \$ التوبة 24 \$ # هذه الآية تقوي مذهب من رأى أن هذه والتي قبلها إنما مقصودها الحضر على الهجرة وفي ضمن قوله ^ فتربصوا ^ وعيد بين وقوله ^ بأمره ^ قال الحسن الإشارة إلى عذاب أو عقوبة من الله وقال مجاهد الإشارة إلى فتح مكة والمعنى فإذا جاء الله بأمره فلم تسلبوا ما يكون لكم أجراً ومكانة في الإسلام # قال القاضي أبو محمد وذكر الآباء في الآية لما جلبت ذكرهم المحبة والآباء صدر في المحبة وليسوا كذلك في أن تتبع آراؤهم كما في الآية المتقدمة وقرأ جمهور الناس وعشيرتكم وقرأ عاصم وحده بخلاف عنه وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن وعصمة وعشيراتكم وحسن هذا الجمع إذ لكل أحد عشيرة تختص به ويحسن الأفراد أن أبا الحسن الأخفش قال إنما تجمع العرب عشائر ولا تكاد تقول عشيرات و ^ اقتترتموها ^ معناه اكتسبتموها وأصل الافتراق والمقارنة مقارنة الشيء ^ وتجارة تخشون كسادها ^ بين في أنواع المال وقال ابن المبارك الإشارة إلى البنات اللواتي لا يتزوجن لا يوجد لهن خايط ^ ومسكن ^ جمع مسكن بفتح الكاف مفعول من السكنى وما كان من هذا معتل الفاء وإنما يأتي على مفعول بكسر العين كموعد وموطن والمسكن القصور والدور و ^ أحب ^ خبر كان وكان الحجاج بن يوسف يقرؤها أحب بالرفع وله في ذلك خبر مع يحيى بن يعمر سألته الحجاج هل تسمعي الجن قال نعم في هذا الحرف وذكر له رفع أحب فنفاه # قال القاضي أبو محمد وذلك خارج في العربية على أن يضم في كان الأمر والنشان ولم يقرأ بذلك وقوله ^ والله لا يهدي القوم الفاسقين ^ عموم لفظ يراد به الخصوص فيمن يوافق على فسقه أو عموم مطلق على أنه لا هداية من حيث الفسق . # قوله عز وجل \$ التوبة 25 - 27 \$

@ 19 @ # هذه مخاطبة لجميع المؤمنين يعد الله نعمه عليهم و ^ مواطن ^ جمع موطن بكسر الطاء والموطن موضع الإقامة أو الحلول لأنه أول الإقامة والمواطن المشار إليها بدر والخندق والنضير وقريظة ولم يصرف ^ مواطن ^ لأنه جمع ونهاية جمع ^ ويوم ^ عطف على موضع قوله ^ في مواطن ^ أو على لفظة بتقدير وفي يوم فانحذف حرف الخفض و ^ حين ^ واد بين مكة والطائف قريب من ذي المجاز وصرف حين أريد به الموضع والمكان ولو أريد به البقعة لم يصرف كما قال الشاعر حسان رضي الله عنه # (نصرنا نبيهم وشدوا أزره % بتحسين يوم تواكل الأبطال) + الكامل # وقوله ^ إذ أعجبتكم كثر تكتم ^ روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى حملته اثني عشر ألفاً قال لن تغلب اليوم من قلة وروي أن رجلاً من أصحابه قالها فأراد الله إظهار العجز فظهر حين فر الناس ثم عطف القدر بنصره وقوله ^ وضائق عليكم الأرض بما رحبت ^ أي بقدر ما هي رحبة واسعة لشدة الحال وصعوبتها فما مصدرية وقوله ^ ثم وليتم مدبرين ^ يريد فرار الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم # قال القاضي أبو محمد واختصار هذه القصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وكان في عشرة آلاف من أصحابه وانضاف إليه ألفان من الطلقاء فصار في اثني عشر ألفاً سمع بذلك كفار العرب فشق عليهم فجمعت له هوازن وألفاها وعليهم مالك بن عوف النصري وثقيف وعليهم عبد ياليل بن عمرو وانضاف إليهم أخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين ألفاً فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجتمعوا بخين فلما تصاف الناس حمل المشركون من مجاني الوادي فانهزم المسلمون قال قتادة ويقال إن الطلقاء أهل مكة فروا وقصدوا إلقاء الهزيمة في المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء وقال أبو عبد الرحمن الفهري كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان على فرس قد اكتنفته العباس عمه وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وبين يديه أيمن بن أم أيمن وتم قتل رحمه الله فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة الحال نزل عن بغلته إلى الأرض قاله البراء بن عازب واستنصر الله عز وجل فأخذ قبضة من تراب وحصى فرمى بها وجوه الكفار وقالت شاهت الوجوه وقال عبد الرحمن تناول من فرسه فأخذ قبضة التراب ونزلت الملائكة لنصره ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا للأصبار وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن ينادي أين أصحاب الشجرة أين أصحاب سورة البقرة فرجع الناس عنقاً واحداً وانهزم المشركون قال يعلى بن عطاء فحدثني أبناؤهم عن آبائهم قالوا لم يبق منا أحد إلا دخل في عينيه من ذلك التراب واستيعاب هذه القصة في كتاب السير .

@ 20 @ # وظاهر كلام النحاس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في أربعة عشر ألفاً وهذا غلط و ^ مدبرين ^ نصب على

الحال المؤكدة كقوله ^ وهو الحق مصدقا ^ والمؤكدة هي التي يدل ما قبلها عليها كدلالة التولي على الإديار وقوله تعالى ^ ثم أنزل الله سكينته ^ الآية ^ ثم ^ ها هنا على بابها من الترتيب والسكينة النصر الذي سكنت إليه ومعها النفوس والحال والإشارة بالمؤمنين إلى الأنصار على ما روي وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى في ذلك اليوم يا معشر الأنصار فانصرفوا وهم ردوا الهزيمة والجنود الملائكة والرعب قال أبو حازم يزيد بن عامر كان في أجوافنا مثل ضربة الحجر في الطست من الرعب وعذاب الذين كفروا هو القتل الذي استحر فيهم والأسر الذي تمكن في ذرايعهم وكان مالك بن عوف النصرى قد أخرج الناس بالعيال والذراري ليقاتلوا عليها فخطأه في ذلك دريد بن الصمة وقال لمالك بن عوف راعي ضأن وهل يرد المنهزم شيء وفي ذلك اليوم قتل دريد بن الصمة القتلة المشهورة قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمى ويقال ابن الدغنة وقوله ^ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ^ إعلم بأن من أسلم وتاب من الكفار الذين نجوا ذلك اليوم فإنهم مقبولون مسلمون موعودون بالغفران والرحمة . # قوله عز وجل \$ التوبة 28 \$ # قال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما صفة المشرك بالنجس إنما كانت لأنه جنب إذ غسله من الجنابة ليس بغسل وقال ابن عباس وغيره بل معنى الشرك هو الذي كنجاسة الخمر قال الحسن البصري من صافح مشركا فليتوضأ # قال القاضي أبو محمد فمن قال بسبب الجنابة أوجب الغسل على من يسلم من المشركين ومن قال بالقول الآخر لم يوجب الغسل والمذهب كله على القول بإيجاب الغسل إلا ابن عبد الحكم فإنه قال ليس بواجب وقرأ أبو حيوه نجس بكسر النون وسكون الجيم ونص الله تعالى في هذه الآية على المشركين وعلى المسجد الحرام ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد وكذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد وقال مالك رحمه الله غيره جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين ونزع في كتابه بهذه الآية ويؤيد ذلك قوله تعالى ^ في بيوت أذن الله أن ترفع ^ وقال الشافعي هي عامة في الكفار خاصة في المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين في سائر المساجد ومن حفته حديث ربط ثمامة بن أثال وقال أبو حنيفة هي خاصة في عبدة الأوثان وفي المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى في المسجد الحرام وغيره ودخول عبدة الأوثان في سائر المساجد وقال عطاء وصف المسجد بالحرام ومنع القرب يقتضي منعهم من جميع الحرم

@ 21 @ # قال القاضي أبو محمد وقوة قوله ^ فلا يقربوا ^ يقتضي أمر المسلمين بمنعهم وقال جابر بن عبد الله وقتادة لا يقرب المسجد الحرام مشرك إلا أن يكون صاحب جزية أو عبداً لمسلم وعبدة الأوثان مشركون بإجماع واختلف في أهل الكتاب فمذهب عبد الله بن عمر وغيره أنهم مشركون وقال جمهور أهل العلم ليسوا بمشركين وفائدة هذا الخلاف تتبين في فقه مناكحهم وذبايحهم وغير ذلك وقوله ^ بعد عامهم هذا ^ يريد بعد عام تسع من الهجرة وهو عام حج أبو بكر بالناس وأذن علي بسورة براءة وأما قوله ^ وإن خفتم عيلة ^ قال عمرو بن فائد المعنى إذ خفتم # قال القاضي أبو محمد وهذه عجمة والمعنى بارع يأن وكان المسلمون لما منع المشركون من الموسم وهم كانوا يجلبون الأطعمة والتجارات قذف الشيطان في نفوسهم الخوف من الفقر وقالوا من أين نعيش فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله قال الضحاك ففتح عليهم باب أخذ الجزية من أهل الذمة بقوله ^ قاتلوا الذين لا يؤمنون ^ إلى قوله ^ وهم صاغرون ^ وقال عكرمة أغناهم بإدراك المطر عليهم # قال القاضي أبو محمد وأسلمت العرب فتمادى حجهم وتجرهم وأغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم والعيلة الفقير يقال عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر قال الشاعر # وما يدري الفقير متى غناه % وما يدري الغني متى يعيل +) أحية + # وقرأ علقمة وغيره من أصحاب ابن مسعود عايلة وهو مصدر كالفائلة من قال يقيل وكالعاقبة والعافية ويحتمل أن تكون نعتاً لمحدوف تقديره حالاً عائلة وحكى الطبري أنه يقال عال يعول إذا افتقر . # قوله عز وجل \$ التوبة 29 \$ # هذه الأشياء تضمنت قتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى يقتلوا أو يؤدوا الجزية قال مجاهد وعند نزول هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو الروم ومضى نحو تبوك ومن جعل أهل الكتاب مشركين فهذه الآية عنده ناسخة بما فيها من أخذ الجزية لقوله تعالى ^ فاقتلوا المشركين ^ ونفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر من حيث تركوا شرع الإسلام الذي يجب عليهم الدخول فيه فصار جميع ما لهم في البعث وفي الله عز وجل من تخيلات واعتقادات لا معنى لها إذ تلقوها من غير طريقها وأيضاً فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمة لأنهم تشعبوا وقالوا عزير ابن الله والله ثالث ثلاثة وغير ذلك ولهم أيضاً في البعث آراء كشراء منازل الجنة من الرهبان وقول اليهود في النار تكون فيها أياماً بعد ونحو ذلك وأما قوله ^ لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ^ فيبين ونص على مخالفتهم لمحمد

@ 22 @ صلى الله عليه وسلم وأما قوله ^ ولا يدبنون ^ فمعناه ولا يطيعون ويمثلون ومنه قول عائشة ما عقلت أبوي إلا وهما يدينان الدين والدين في اللغة لفظة مشتركة وهي ها هنا الشريعة وهي مثل قوله تعالى ^ إن الدين عند الله الإسلام ^ وأما قوله ^ من الذين أوتوا الكتاب ^ فنص في بني إسرائيل وفي الروم وأجمع الناس في ذلك وأما المجوس فقال ابن المنذر لا أعلم خلافاً في أن الجزية تؤخذ منهم # قال القاضي أبو محمد وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب فقال كثير من العلماء معنى ذلك في أخذ الجزية منهم وليسوا أهل الكتاب فعلى هذا لم يتعد التشبيه إلى ذبايحهم ومناكحهم وهذا هو الذي ذكره ابن حبيب في الواضحة وقال بعض العلماء معناه سنوا بهم سنة أهل الكتاب إذ هم أهل كتاب فعلى هذا يتجه التشبيه في ذبايحهم وغيرها والأول هو قول مالك وجمهور أصحابه وروي أنه قد كان بعث في المجوس نبي اسمه زرادشت وأما مجوس العرب فقال ابن وهب لا تقبل منهم جزية ولا بد من القتال أو الإسلام وقال سحنون وابن القاسم وأشهب تؤخذ الجزية من مجوس العرب والأمم كلها وأما عبدة الأوثان من العرب فلم يستثن الله فيهم جزية ولا بقي منهم على الأرض بشر قال ابن حبيب وإنما لهم القتال أو الإسلام وهو قول ابن حنيفة # قال القاضي أبو محمد ويوجد لابن القاسم أن الجزية تؤخذ منهم وذلك أيضاً في التفريع لابن الجلاب وهو احتمال لا نص وأما أهل الكتاب من العرب فذهب مالك رحمه الله إلى أن الجزية تؤخذ منهم وأشار إلى المنع من ذلك أبو حنيفة وأما السامرة والصابئون فالجمهور على أنهم من اليهود والنصارى تؤخذ منهم الجزية وتؤكل ذبايحهم وقالت فرقة لا تؤكل ذبايحهم وعلى هذا لا تؤخذ الجزية منهم ومنع بعضهم الذبيحة مع إباحة أخذ الجزية منهم وأما عبدة الأوثان والنييران وغير ذلك فجمهور العلماء على قبول الجزية منهم وهو قول مالك في المدونة وقال الشافعي وأبو ثور لا تؤخذ الجزية إلا من اليهود والنصارى والمجوس فقط ومذهب مالك رحمه الله أن الجزية لا تؤخذ إلا من الرجال البالغين الأحرار العقلاء وهو قول الشافعي وأبي حنيفة ولا تضرب على الصبيان والنساء والمجانين ولا تضرب على رهبان الديارات والصوامع المنقطعين قال مالك في الواضحة وأما إن كانت قد ضربت عليهم ثم انقطعوا بعد ذلك فلا تسقط عنهم وأما رهبان الكنائس فتضرب عليهم واختلف في الشيخ الفاني ومن راعى أن علتها الإذلال أمضاها في الجميع وقال النقاش العقوبات الشرعية تكون في الأموال والأبدان فالجزية من عقوبات الأموال وأما قدرها فذهب رحمه الله وكثير من أهل العلم على ما فرضه عمر رضي الله عنه وذلك أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهماً على أهل الفضة وفرض رضي الله عنه ضيافة وأرزاقاً وكسوة قال مالك في الواضحة ويحط ذلك عنهم اليوم لما عليهم من اللوازم فهذا أحد ما ذكر عن عمر وبه أخذ مالك قال سفيان الثوري رويت عن عمر ضرائب مختلفة # قال القاضي أبو محمد وأظن ذلك بحسب اجتهاده رضي الله عنه في يسرهم وعسرهم وقال

@ 23 @ الشافعي وغيره قدر الجزية ديناراً على الرأس ودليل ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً بذلك وأخذه جزية اليمن كذلك أو قيمته معافى وهي ثياب وقال كثير من أهل العلم ليس لذلك في الشرع حد محدود وإنما ذلك إلى اجتهاد الإمام في كل وقت وبحسب قوم قوم وهذا كله في العنوة وأما الصلح فهو ما صلحوا عليه من قليل أو كثير واختلف في المذهب في العبد الذي يعتقه الذمي أو المسلم هل يلزمه جزية أم لا وقال ابن القاسم لا ينقص أحد من أربعة دنانير كان فقيراً أو غنياً وقال أصعب يحط الفقير بقدر ما يرى من حاله وقال ابن الماجشون لا يؤخذ من الفقير شيء والجزية وزنها فعلة من جزى يجزي إذا كافي عن ما أسدي إليه فكانهم أعطوها جزاء ما منحوا من الأمن وهي كالفعدة والجلسة # ومن هذا المعنى وقول الشاعر # (يجزيك أو يشني عليك وإن من % أثنى عليك بما فعلت كمن جزى) + الكامل + # وقوله تعالى ^ عن يد ^ يحتمل تأويلات منها أن يريد سوق الذمي لها بيده لا مع رسول ليكون في ذلك إذلال له ومنها أن يريد عن نعمة منكم قبلهم في قبولها منهم وتمييزهم واليد في اللغة النعمة والصنع

الجميل ومنها أن يريد عن قوة منكم عليهم وقهر لا تبقى لهم معه راية ولا معقل واليد في كلام العرب القوة يقال فلان ذو يد ويقال ليس لي بكذا وكذا يد أي قوة ومنها أن يريد أن ينقدها ولا يؤخروا بها كما تقول بعته يدا بيد ومنها أن يريد عن استسلام منهم وانقياد على نحو قولهم ألقى فلان بيده إذا عجز واستسلم وقوله ^ وهم صاغرون ^ لفظ يعم وجوها لا تنحصر لكثرتها ذكر منها عن عكرمة أن يكون قابضها جالسا والدافع من أهل الذمة قائم وهذا ونحوه داع إلى صغارهم . # قوله عز وجل \$ التوبة 30 \$ الذي كثر في كتب أهل العلم أن فرقة من اليهود تقول هذه المقالة وروي أنه لم يقلها إلا فنحاص وقال ابن عباس قالها أربعة من أجيالهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف وقال النقيش لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا . # قال القاضي أبو محمد فإذا قالها واحد فيتوجه أن يلزم الجماعة شنعة المقالة لأجل نهاة الفائل فيهم وأقوال النبهاء أبدا مشهورة في الناس يحتج بها فمن هنا صح أن تقول الجماعة قول نبيها وقرأ عاصم والكسائي عزير ابن الله بنتون عزير والمعنى أن ابنا على هذا خبر ابتداء عن عزير وهذا هو أصح المذاهب لأن هذا هو المعنى المنعني عليهم و ^ عزير ^ ونحوه ينصرف عجميا كان أو عربيا وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر عزير ابن الله دون تنوين عزير فقال بعضهم ابن خبر عن عزير وإنما حذف التنوين من عزير لاجتماع الساكنين ونحوه قراءة من قرأ ^ أحد الله الصمد ^ قال أبو علي وهو كثير في الشعر وأشد الطبري في ذلك

@ 24 @ # (لتجدني بالأمرير برا % وبالقناة مدعسا مكررا) # (إذا عطيف السلمى برا %) + الرجز + # قال القاضي أبو محمد فالألف على هذه القراءة والتأويل ثابتة في ابن وقال بعضهم ابن صفة لعزير كما تقول زيد بن عمرو وجعلت الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد وحذف التنوين إذا جاء الساكنان كأنهما التقيا من كلمة واحدة والمعنى عزير ابن الله معبودنا وإلهنا أو المعنى معبودنا أو إلهنا عزير ابن الله # قال القاضي أبو محمد وقياس هذه القراءة والتأويل أن يحذف الألف من ابن لكنها ثبتت في خط المصحف فيترجح من هذا كله أن قراءة التنوين في عزير أقواها وحكى الطبري وغيره أن بني إسرائيل أصابتهم فتن وبلاء وقيل مرض وأذهب الله عنهم التوراة في ذلك ونسوها وكان علماءهم قد دفنوها أول ما أحسوا بذلك البلاء فلما طالت المدة فقدت التوراة جملة فحفظها الله عزيرا كرامة منه له فقال لبني إسرائيل إن الله قد حفظني التوراة فجعلوا يدرسونها من عنده ثم إن التوراة المدفونة وجدت فإذا هي مساوية لما كان عزير يدرس فضلوا عند ذلك وقالوا إن هذا لن ينهي عزير إلا وهو ابن الله وظاهر قول النصراني ^ المسيح ابن الله ^ أنها بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة وكذلك يقتضي قول الضحاك والطبري وغيرهما وهذا أشنع في الكفر قال أبو المعالي أطبقت النصراني على أن المسيح إله وأنه ابن الإله # قال القاضي أبو محمد ويقال إن بعضهم يعتقدونها بنوة حنو ورحمة وهذا المعنى أيضا لا يحل أن تطلق البنوة عليه وهو كفر لمكان الإشكال الذي يدخل من جهة التنازل وكذلك كفرت اليهود في قولهم ^ عزير ابن الله ^ وقولهم نحن أبناء الله وإنما توجد في كلام العرب استعارة البنوة عبارة عن نسب وملازمات تكون بين الأشياء إذا لم يشكل الأمر وكان أمر النسل لاستحالة من ذلك قول عبد الملك بن مروان وقد زينتنا الحرب وزيناها فنحن بنوها وهي أمنا يريد للملازمة ومن ذلك قول حريث بن مخفض # (بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم % وأباؤهم أبناء صدق فأنجبوا) + الطويل + # ومن ذلك ابن نعش وابن ماء وابن السبيل ونحو ذلك ومنه قول الشاعر # (والأرض تحملنا وكانت أمنا %) + الكامل + # ومنه أحد التأويلات في قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ابن زنى أي ملازمه والتأويل الآخر أن لا يدخلها مشكل الأمر والتأويلان في قول النصراني ^ المسيح ابن الله ^ كما تقدم من الصفة والخبر إلا أن شغب التنوين ارتفع ها هنا و ^ عزير ^ نبي من أنبياء بني إسرائيل وقوله (بأفواهم) يتضمن معنيين أحدهما إلزامهم المقالة والتأكيد في ذلك كما قال ^ يكتبون الكتاب بأيديهم ^ وكفوله ^ ولا طائر يطير بجناحيه ^ والمعنى الثاني في قوله ^ بأفواهم ^ أي هو ساذج لا حجة عليه ولا برهان غاية بيانه أن يقال بالأفواه قولا مجردا نفس دعوى و ^ يضاهاون ^ قراءة الجماعة ومعناه يحاكون

@ 25 @ وبارون وبمائلون وقرأ عاصم وحده من السبعة وطلحة بن مصرف يضاهاون بالهمز على أنه من ضاهأ وهي لغة ثقيف بمعنى ضاهى # قال القاضي أبو محمد ومن قال إن هذا ماخوذ من قولهم امرأة ضهياء وهي التي لا تحيض وقيل التي لا تدي لها سميت بذلك لشبهها بالرجال فقوله خطأ قاله أبو علي لأن الهمزة في ضاهأ أصلية وفي ضهياء زائدة كحمراء وإن كان الضمير في ^ يضاهاون ^ لليهود والنصارى جميعا فالإشارة بقوله ^ الذين كفروا من قبل ^ هي إما لمشركي العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله وهم أول كافر وهو قول الضحاك وإما لاسم سالفة قبلهما وإما للصدر الأول من كفر اليهود والنصارى ويكون ^ يضاهاون ^ لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان الضمير في ^ يضاهاون ^ للنصارى فقط كانت الإشارة ب ^ الذين كفروا من قبل ^ إلى اليهود وعلى هذا فسر الطبري وحكاه الزهراوي عن قتادة وقوله ^ قاتلهم الله ^ دعاء عليهم عام لأنواع البشر ومعلوم أن من قاتله الله فهو المغلوب المقتول وحكى الطبري عن ابن عباس أن المعنى لعنهم الله و ^ أنى يؤفكون ^ مقصده أنى توجهوا أو أنى ذهبوا وبدل مكان هذا الفعل المقصود فعل سوء يحق لهم وذلك فصيح في الكلام كما تقول لعن الله الكافر أنى هلك كانك تحتم عليه بهلاك وكأنه حتم عليهم في هذه الآية بأنهم يؤفكون ومعناه يحرمون ويصرفون عن الخير والأرض المأفوكة التي لم يصبها مطر قال أبو عبيدة ^ يؤفكون ^ معناه يحدون . # قال القاضي أبو محمد يريد من قولك رجل محدود أي محروم لا يصيب خيرا وكأنه من الإفك الذي هو الكذب فكان المأفوك هو الذي تكذبه أراجيه فلا يلقى خيرا # ويحتمل أن يكون قوله تعالى ^ أنى يؤفكون ^ ابتداء تقرير أي بأي سبب ومن أي جهة يصرفون عن الحق بعدما تبين لهم وقائل في هذه الآية بمعنى قتل وهي مفاعلة من واحد وهذا كله بين # قوله عز وجل \$ التوبة 31 - 33 \$ واحد الأخبار حبر بكسر الحاء ويقال حبر بفتح الحاء والأول أفصح ومنه مداد الحبر والحبر بالفتح العالم وقال يونس بن حبيب لم أسمع إلا بكسر الحاء وقال الفراء سمعت فتح الحاء وكسرها في العالم وقال ابن السكيت الحبر بالكسر المداد والحبر بالفتح العالم والرهبان جمع راهب وهو الخائف من الرهبة وسماهم ^ أربابا ^ وهم لا يعبدوهم لكن من حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم

@ 26 @ وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل ونحو هذا قال ابن عباس وحذيفة بن اليمان وأبو العالية وحكى الطبري أن عدي بن حاتم قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الصليب من عنقك فسمعته يقرأ ^ اتخذوا أجيالهم ورهبانهم أربابا من دون الله ^ فقلت يا رسول الله وكيف ولم نعبدكم فقال أليس تستحلون ما أحلوا وتحرمون ما حرموا قلت نعم # قال فذاك ^ والمسيح ^ عطف على الأخبار والرهبان و ^ سبحانه ^ نصب على المصدر والعامل فيه فعل من المعنى لأنه ليس من لفظ سبحان فعل والتقدير أنزهه تنزيها فمعنى ^ سبحانه ^ تنزيها له واحتج من يقول إن أهل الكتاب مشركون بقوله تعالى ^ عما يشركون ^ والغير يقول إن اتخاذ هؤلاء الأرباب ضرب ما من الإشراف وقد يقال في المرابي إنه أشرك وفي ذلك آثار وقوله تعالى ^ يريدون أن يطفئوا نور الله ^ الآية ^ نور الله ^ في هذه الآية هذاه الصادر عن القرآن والشرع المثبت في قلوب الناس فمن حيث سماه نورا سمي محاولة إفساده والصد في وجهه إطفاء وقالت فرقة النور القرآن . # قال القاضي أبو محمد ولا معنى لتخصيص شيء مما يدخل تحت المقصود بالنور وقوله ^ بأفواهم ^ عبارة عن قلة حيلتهم وضعفها أخبر عنهم أنهم يحاولون مقاومة أمر جسيم بسعي ضعيف فكان الإطفاء بنفخ الأفواه ويحتمل أن يراد بأقوال لا برهان عليها فهي لا تجاوز الأفواه إلى فهم سامع وقوله ^ وبأبى ^ إيجاب يقع بعده أحيانا إلا وذلك لوقوعه هو موقع الفعل المنفي لأن التقدير ولا يريد الله إلا أن يتم نوره وقال الفراء هو إيجاب فيه طرف من النفي ورد الزجاج على هذه العبارة وبيانه ما قلناه وقوله تعالى ^ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ^ الآية ^ رسوله ^ يراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ^ بالهدى ^ يعم القرآن وجميع الشرع وقوله ^ ودين الحق ^ إشارة إلى الإسلام والملة بجمعها وهي الحنيفية وقوله ^ ليظهره ^ قال أبو هريرة وأبو جعفر محمد بن علي وجابر بن عبد الله ما معناه إن الضمير عائذ على الدين وإظهاره عند نزول عيسى ابن مريم وكون الأديان كلها راجعة إلى دين الإسلام فذلك إظهاره . # قال القاضي أبو محمد فكان هذه الفرقة رأت الإظهار على أتم وجوهه أي حتى لا يبقى معه دين آخر وقالت فرقة ^ ليظهره على الدين ^ أي ليحمله أعلاها وأظهرها وإن كان معه غيره كان دونه . # قال القاضي أبو محمد فهذا لا يحتاج إلى نزول عيسى بل كان هذا في صدر الأمة وهو حتى الآن إن شاء الله وقالت فرقة الضمير عائذ على الرسول ومعنى ^ ليظهره ^ ليطلععه ويعلمه الشرائع كلها

والحلال والحرام . # قال القاضي أبو محمد وهذا التأويل وإن كان صحيحا جائزا فالآخر أبرع منه وأليق بنظام الآية وأحرى مع كراهية المشركين وخص ^ المشركون ^ هنا بالذكر لما كانت كراهية مختصة بظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم فذكره العظم والأول ممن كره ذلك وصد فيه وذكر الكافرون في الآية قبل لأنها كراهية إتمام نور الله في قديم الدهر وفي باقية فعم الكفر من لدن خلق الدنيا إلى انقراضها إذ قد وقعت الكراهية والإتمام مرارا كثيرة .

@ 27 @ # وقوله عز وجل \$ التوبة 34 - 35 # المراد بهذه الآية بيان نقائص المذكورين ونهي المؤمنين عن تلك النقائص مترتب ضمن ذلك واللام في ^ لياكلون ^ لام التأكيد وصورة هذا الأكل هي بأنهم يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضا باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم أي النفقة فيه من الشرع والتزلف إلى الله وهم خلال ذلك يحتجون تلك الأموال كالذي ذكره سلمان في كتاب السير عن الراهب الذي استخرج كنزه وقيل كانوا يأخذون منهم من غلاتهم وأموالهم ضرائب باسم حماية الدين والقيام بالشرع وقيل كانوا يرتشون في الأحكام ونحو ذلك . # قال القاضي أبو محمد وقوله تعالى ^ بالباطل ^ يعم هذا كله وقوله ^ يصدون ^ الأشبه هنا أن يكون معدى أي يصدون غيرهم وهذا الترجيح إنما هو لنهاية منازلهم في قومهم وصد يستعمل واقفا ومتجاوزا ومنه قول الشاعر عمرو بن كلثوم # (صدت الكاس عنا أم عمرو % وكان الكاس مجراها اليمين) + الوافر + # و ^ سبيل الله ^ الإسلام وشرعية محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يريد يصدون عن سبيل الله في أكلهم الأموال بالباطل والأول أرجح وقوله ^ والذين ^ ابتداء وخيره ^ فيشرهم ^ ويجوز أن يكون ^ والذين ^ معطوفا على الضمير في قوله ^ يأكلون ^ على نظر في ذلك لأن الضمير لم يؤكد وأسند أبو حاتم إلى علباء بن أحمد أنه قال لما أمر عثمان بكتب المصحف أراد أن ينقص الواو في قوله ^ والذين يكنزون ^ فأبى ذلك أبي بن كعب وقال لتلقنها أو لأضعن سيفي على عاتقي فألقها . # قال القاضي أبو محمد وعلى إرادة عثمان يجري قول معاوية إن الآية في أهل الكتاب وخالفه أبو ذر فقال بل هي فينا فشكاه إلى عثمان فاستدعاه من الشام ثم خرج إلى الريدة والذي يظهر من الألفاظ أنه لما ذكر نقص الأبحار والرهبان الأكلين المال بالباطل ذكر بعد ذلك بقول عامر نقص الكافرين المانعين حق المال وقرأ طلحة بن مصرف الذين يكنزون بغير واو و ^ يكنزون ^ معناه يجمعون ويحفظون في الأوعية ومنه قول المنخل الهذلي # (لا در دري إن أطعمت نازلهم % قرف الحني وعندي البر مكنوز) + البسيط + # أي محفوظ في أوعيته وليس من شروط الكنز الدفن لكن كثر في حفظه المال أن يدفونه حتى تورق

@ 28 @ في المدفون اسم الكنز ومن اللفظة قولهم رجل مكتنز الخلق أي مجتمع ومنه قول الرازي # (على شديد لحمه كئاز % بات ينزيني على أوفاز) + الرجز + # والتوعد في الكنز إنما وقع على منع الحقوق منه ولذلك قال كثير من العلماء الكنز هو المال الذي لا تؤدي زكاته وإن كان على وجه الأرض وأما المدفون إذا خرجت زكاته فليس بكنز كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما أدبت زكاته فليس بكنز وهذه الألفاظ مشهورة عن ابن عمر وروى هذا القول عن عكرمة والشعبي والسدي ومالك وجمهور أهل العلم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما زاد عليها فهو كنز وإن أدبت زكاته # وقال أبو ذر وجماعة معه ما فضل من مال الرجل عن حاجة نفسه فهو كنز وهذا القولان يقتضيان أن الذم في حبس المال لا في منع زكاته فقط ولكن قال عمر بن عبد العزيز هي منسوخة بقوله ^ خذ من أموالهم صدقة ^ فأتى فرض الزكاة على هذا كله . # قال القاضي أبو محمد كان مضمون الآية لا تجمعوا مالا فتعذبوا فنسخه التقرير الذي في قوله ^ خذ من أموالهم ^ . # والضمير في قوله ^ ينفقونها ^ يجوز أن يعود على الأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى ويجوز أن يعود على الذهب والفضة هما أنواع وقيل عاد على الفضة واكتفى بضمير الواحد عن ضمير الآخر إذا فهمه المعنى وهذا نحو قول الشاعر قيس بن الخطيم # (نحن بما عندنا وأنت بما عندك % راض والرأي مختلف) + المنسرح + # ونحن قول حسان # (إن شرخ الشباب والشعر الأسود % ما لم يعاص كان جنونا) + الخفيف + # وسببويه يكره هذا في الكلام وقد شبه كثير من المفسرين هذه الآية بقوله تعالى ^ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ^ الجمعة وروى أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قد ذم الله كسب الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير حتى نكسبه فقال عمر أنا أسأل لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسأله فقال لسان ذاك وقلب شاكر وزوجة تعين المؤمن على دينه . # وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت الآية تبا للذهب تبا للفضة فحينئذ أشفق أصحابه وقالوا ما تقدم والفاء في قوله ^ فيشرهم ^ جواب كما في قوله ^ والذين ^ من معنى الشرط وجاءت البشارة مع العذاب لما وقع التصريح بالعذاب وذلك أن البشارة تقيد بالخير والبشر وإذا أطلقت لم تحمل إلا على الخير فقط وقيل بل هي أبدا للخير فمتى قيدت بشر فإنما المعنى أقم لهم مقام البشارة عذابا أيما وهذا نحو قول الشاعر عمرو بن معد يكرب # (وخيل قد دلفت لها بخيل % تحية بينهم ضرب وجيع) + الوافر + # وقوله تعالى ^ يوم يحمى عليها ^ الآية ^ يوم ^ طرف والعامل فيه ^ اليم ^ وقرأ جمهور الناس

@ 29 @ يحمى بالياء بمعنى يحمى الوقود وقرأ الحسن بن أبي الحسن تحمى بالناء من فوق بمعنى تحمى النار والضمير في عليها عائد على الكنوز أو الأموال حسما تقدم وقرأ قوم جباهم بالإدغام وأشموها الضم حكاة أبو حاتم ووردت أحاديث كثيرة في معنى هذه الآية من الوعيد لكنها مفسرة في منع الزكاة فقط لا في كسب المال الحلال وحفظه ويؤيد ذلك حال أصحابه وأموالهم رضي الله عنهم فمن تلك الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم من ترك بعده كنزا لم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث . # وأسند الطبري قال كان نعل سيف أبي هريرة من فضة فنهاه أبو ذر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها وأنسب إلى أبي أمامة الباهلي قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في برده دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم مات آخر فوجد له ديناران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان . # قال القاضي أبو محمد وهذا إما لأههما كانا يعيشان من الصدقات وعندهما التبر وإما لأن هذا كان في صدر الإسلام ثم قرر الشرع ضبط المال وأداء حقه ولو كان ضبط المال ممنوعا لكان حقه أن يخرج كله لا زكاته فقط وليس في الأمة من يلزم هذا وقوله ^ هذا ما كنزتم ^ إشارة إلى المال الذي كوي به ويحتمل أن تكون إلى الفعل النازل بهم أي هذا جزء ما كنزتم وقال ابن مسعود والله لا يمسه دينار دينار بل يمد الجلد حتى يكوي بكل دينار وبكل درهم وقال الأحنف بن قيس دخلت مسجد المدينة وإذا رجل خشن الهيئة رثها يطوف في الحلق وهو يقول بشر أصحاب الكنوز بك في جباهم وجنوبهم وظهورهم ثم انطلق يتذمر وهو يقول وما عسى تصنع في قريش # قوله عز وجل \$ التوبة 36 # هذه الآية والتي بعدها تتضمن ما كانت العرب شرعته في جاهليتها من تحريم شهور الحل وتحليل شهور الحرم وإذا نص ما كانت العرب تفعله تبين معنى الآيات فالذي تظاهرت به الروايات وينفك عن مجموع ما ذكر الناس أن العرب كانت لا عيش لأكثرها إلا من الغارات وأعمال سلاحها فكانوا إذا توالفت عليهم حركة ذي القعدة وذو الحجة والمحرم صعب عليهم وأملقوا وكان بنو ققيم من كنانة أهل دين في العرب وتمسك بشرع إبراهيم عليه السلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة بن عبد ققيم فمناشوا الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم خلف ابنه قلع بن عباد ثم خلفه ابنه أمية بن قلع ثم خلفه ابنه عوف بن أمية ثم خلفه ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الإسلام وذكر الطبري وغيره أن الأمر كان في عدوان قلع بن مالك بن كنانة وكانت صورة فعلهم أن العرب كانت إذا فرغت من جهها جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا أنسننا شهرا أي أخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر فيحل لهم

@ 30 @ المحرم فيغيرون فيه ويعيشون ثم يلتزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة قال مجاهد ويسمون ذلك الصفر المحرم ثم يسمون ربيعا ربيعا الأول صفرا وربيعا الآخر ربيعا الأول وهكذا في سائر الشهور يستقبلون سنتهم من المحرم الموضوع لهم فيسقط على هذا حكم المحرم الذي حال لهم وتجيء السنة من ثلاثة عشر شهرا أولها المحرم المحلل ثم المحرم الذي هو في الحقيقة صفر ثم استقبال السنة كما ذكرنا ففي هذا قال الله عز وجل ^ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ^ أي ليست ثلاثة عشر شهرا قال الطبري حدثني ابن وكيع عن عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا

قال مجاهد ثم كانوا يحجون في كل شهر عامين ولاء وبعد ذلك يندلون فيحجون عامين ولاء ثم كذلك حتى كانت حجة أبي بكر في ذي القعدة حقيقة وهم يسمونه ذا الحجة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر في ذي الحجة حقيقة فذلك قوله إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وفي حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فساق الحديث فقال فيه أولهن رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . # قال القاضي أبو محمد ويحيى في أكثر الكتب أنهم كانوا يجعلون حرمة المحرم في صفر ويسكت عن تمام القصة والذي ذكرناه هو بيانها وأما كون المحرم أو السنة العربية وكان حقه إذ التاريخ من الهجرة أن يكون أول السنة في ربيع الأول فإن ذلك فيما يرون لأن عمر بن الخطاب دون ديوان المسلمين وجعل تاريخه المحرم إذ قبله انقضاء الموسم والحج فكان الحج خاتمة للسنة واعتد بعام الهجرة وإن كان قد نقص من أوله شيء وفلما كانت سنة العرب هلالية بدئ العام من أول شهر ولم يكن في الثاني عشر من ربيع الذي هو يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولا كان عند تمام الحج لأنه في كسر شهر وأما الأربعة الحرم فهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان قصد التفريق بينه وبين ما كانت تفعله قبائل ربيعة بأسرها فإنها كانت تجعل رجبها رمضان وتحرمه ابتداء منها وكانت قريش ومن تابعها في ذلك من قبائل مضر على الحق فقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ونسبه إلى مضر إذ كان حكمه وتحريمه إنما كان من قبل قريش وفي المفضليات لبعض شعراء الجاهلي عوف بن الأوص العامري # (وشهر بني أمية والهدايا %) + الوافر + # البيت قال الأصمعي يريد رجباً وقرأ أبو جعفر بن القعقاع اثنا عشر شهراً يسكون العين وذلك تخفيف لتوالي الحركات وكذلك قرأ أحد عشر وتسعة عشر وقوله ^ في كتاب الله ^ أي فيما كتبه وأثبتته في اللوح المحفوظ أو غيره فهي صفة فعل مثل خلقه ورزقه وليست بمعنى قضائه وتقديره لأن تلك هي قبل خلق السموات والأرض والكتاب الذي هو المصدر هو العامل في ^ يوم ^ وفي قوله ^ في كتاب الله ^ متعلقة بمستقرة أو ثابتة ونحوه ويقلق أن يكون الكتاب القرآن في هذا الموضوع وتأمل ولا يتعلق في بعده للتفرقة بين الصلة والموصول بخبر أن وقوله ^ منها أربعة حرم ^ نص على تفضيل هذه

@ 31 @ الأربعة وتشريفها قال قتادة اصطلى الله من الملائكة والبشر رسلاً ومن الشهور المحرم ورمضان ومن البقع المساجد ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ومن الكلام ذكره فينبغي أن يعظم ما عظم الله وقوله ^ ذلك الدين القيم ^ قال فرقة معناه الحساب المستقيم وقال ابن عباس فيما حكى المهدي معناه القضاء المستقيم # قال القاضي أبو محمد والأصوب عندي أن يكون الدين ها هنا على أشهر وجوهه أي ذلك الشرع والطاعة لله ^ القيم ^ أي القائم المستقيم وهو من قام يقوم بمنزلة سيد من ساد بسود أصله قيوم وقوله ^ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ^ الضمير عائد على ال ^ اثنا عشر شهراً ^ أي لا تظلموا أنفسكم بالمعاصي في الزمن كله وقال قتادة الضمير عائد على الأربعة الأشهر ونهي عن الظلم فيها تشريفاً لها بالتخصيص والذكر وإن كان منها عنه في كل الزمن وزعم النحاة أن العرب تكني عما دون العشرة من الشهور فيهن وعما فوق العشرة فيها وروي عن الكسائي أنه قال إني لأتعجب من فعل العرب هذا وكذلك يقولون فيما دون العشرة من الليالي خلون وفيما فوقها خلت وقال الحسن معنى فيهن أي بسببهن ومن جراهن في أن تحلوا حرامها وتبدلوه بما لا حرمة له وحكى المهدي أنه قيل لا تظلموا فيهن أنفسكم بالقتل # ثم نسخ بفرض القتال في كل زمن قال سعيد بن المسيب في كتاب الطبري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم القتال في الأشهر الحرم بما أنزل الله في ذلك حتى نزلت براءة # قال القاضي أبو محمد وقوله ^ وقتلوا المشركين ^ معناه فيهن فأجرى في غيرهن وقوله ^ كافة ^ معناه جميعاً وهو مصدر في موضع الحال قال الطبري كالعاقبة والعافية فهو على هذا كما تقول خاصة وعامة ويظهر أيضاً أنه من كف يكف أي جماعة تكف من عارضها وكذلك نقل الكافة أي تكف من خالفها فاللفظة على هذا اسم فاعل وقال بعض الناس معناه يكف بعضهم بعضاً عن التخلف وما قدمناه أعم وأحسن وقال بعض الناس كان الفرض بهذه الآية قد توجه على الأعيان ثم نسخ ذلك بعد وجعل فرض كفاية . # قال القاضي أبو محمد وهذا الذي قالوه لم يعلم قط من شرع النبي صلى الله عليه وسلم أنه ألزم الأمة جميعاً النفر وإنما معنى الآية الحزب عليهم وجمع الكلمة ثم قيدها بقوله ^ كما يقاثلونكم ^ فيحسب قتالهم واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم وأما الجهاد الذي ينتدب إليه فإنما هو فرض على الكفاية إذا قام به بعض الأمة سقط عن الغير وقوله ^ واعلموا أن الله مع المتقين ^ خبر في ضمنه أمر بالتقوى ووعد عليها بالنصر والتأييد . # قوله عز وجل \$ التوبة 37 \$ ^ النبي ^ على وزن فاعيل مصدر بمعنى التأخير تقول العرب أنسا الله في أجلك ونسا في أجلك

@ 32 @ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من سره النساء في الأجل والسعة في الرزق فليصل رحمه # وقرأ جمهور الناس والسبعة النسبي كما تقدم وقرأ ابن كثير فيما روي عنه وقوم معه في الشاذ النسبيء بنشد الباء وقرأ فيما روي عنه جعفر بن محمد والزهرى النسبيء وقرأ أيضاً فيما روي عنه النسبيء على وزن النسيء وقرأت فرقة النسبي # فأما النسبيء بالمد والهمز فقال أبو علي هو مصدر مثل النذير والتكبير وعذير الحي ولا يجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول لأنه يكون المعنى إنما المؤخر زيادة والمؤخر الشهر ولا يكون الشهر زيادة في الكفر . # قال القاضي أبو محمد وقال أبو حاتم هو فعيل بمعنى مفعول وينفصل عن إلزام أبي علي بأن يقدر مضاف كان المعنى إنما إنساء النسبيء وقال الطبري هو من معنى الزيادة أي زيادتهم في الأشهر وقال أبو وائل كان النسبيء رجلاً من بني كنانة . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وأما النسبي فهو الأول بعينه خففت الهمزة وقيل قلبت الهمزة ياء وأدغمت الباء في الباء وأما النسبيء هو مصدر من نسا إذا نسا وأما النسبي فقيل تخفيف همزة النسبيء وذلك على غير قياس وقال الطبري هو مصدر من نسي ينسى إذا ترك # قال القاضي أبو محمد والنسبيء هو فعل العرب في تأخيرهم الحرمة وقوله ^ زيادة في الكفر ^ أي جار في كفرهم بالله وخلاف منهم للحق فالكفر متكرر بهذا الفعل الذي هو باطل في نفسه . # قال القاضي أبو محمد ومما وجد في أشعارها من هذا المعنى قول بعضهم # (ومنا منسى الشهر القلمس %) + الوافر + # وقال الآخر # (نسوا الشهر بها وكانوا أهلها % من قبلكم والعز لم يتحول) + الكامل + # ومنه قول جذل الطعان # (وقد علمت معد أن قومي % كرام الناس أن لهم كراما) # (فأي الناس فاتونا بوتراً % وأي الناس لم تعلق لجاما) # (ألسنا الناسيين على معد % شهور الحل نجعلها حراما) + الوافر + # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر يضل بفتح الباء وكسر الصاد وقرأ ابن مسعود والحسن ومجاهد وقاتدة وعمرو بن ميمون يضل بضم الياء وكسر الصاد فإذا على معنى يضل الله وإما على معنى يضل به الذين كفروا أتباعهم ف ^ الذين ^ في التأويل الأول في موضع نصب وفي الثاني في موضع رفع وقرأ عاصم أيضاً وحمزة والكسائي وابن مسعود فيما روي عنه يضل بضم الياء وفتح الصاد على المفعول الذي لم يسم فاعله ويؤيد ذلك قوله تعالى ^ زين ^ للتناسب في اللفظ وقرأ أبو رجاء يضل من ضل يضل على وزن فعل بكسر العين يفعل بفتحها وهي لغتان يقال ضل يضل وضم يضل والوزن الذي ذكرناه يفرق بينهما وكذلك يروي قول النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضل الرجل إن

@ 33 @ يدر كم صلى بفتح الصاد وكسرها وقوله ^ يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ^ معناها عاماً من الأعوام وليس يريد أن تلك مداولة في الشهر بعينه عام حلال وعام حرام . # قال القاضي أبو محمد وقد تأول بعض الناس القصة أنهم كانوا إذا شق عليهم توالي الأشهر الحرم أحل لهم المحرم وحرم عليهم صفر بدلاً منه ثم منبتت الشهور مستقيمة على أسمائها المعهودة فإذا كان من قابل حرم المحرم على حقه وإحل صفر ومنبتت الشهور مستقيمة ورأت هذه الطائفة أن هذه كانت حالة القوم . # قال القاضي أبو محمد والذي قدمناه قبل أليق بالفاظ الآيات وقد بينه مجاهد وأبو مالك وهو مقتضى قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الزمان قد استدار مع أن هذا الأمر كله قد تقضى والله أعلم # أي ذلك كان وقوله ^ ليواطئوا ^ معناه ليوافقوا والمواطأة الموافقة تواطأ الرجلان على كذا إذا اتفقا عليه ومعنى ليواطئوا عدة ما حرم الله ليحفظوا في كل عام أربعة أشهر في العدد . # قال القاضي أبو محمد فأزالوا الفضيلة التي خص الله بها الأشهر الحرم وحدها بمثابة أن يفطر أحد رمضان ويصوم شهراً من السنة بغير مرض أو سفر وقوله ^ زين ^ يحتمل هذا التزيين أن يضاف إلى الله عز وجل والمراد به خلقه لكفرهم وإقرارهم عليه وتحيبهم لهم ويحتمل أن يضاف إلى

مغوبهم ومضلمهم من الإنس والجن ثم أخبر تعالي أنه لا يهديهم ولا يرشدهم وهو عموم معناه الخصوص في الموافين أو عموم مطلق لكن لا هدية من حيث هم كفار . # قال القاضي أبو محمد وذكر أبو علي البغدادي في أمر النسيء أنه كان إذا صدر الناس من منى قام رجل يقال له نعيم بن ثعلبة فيقول أنا الذي لا أعاب ولا يرد لي قضاء فيقولون أنستنا شهرا أي أخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر . # قال القاضي أبو محمد واسم نعيم لم يعرف في هذا وما أرى ذلك إلا كما حكى النقاش من بني فقيم كانوا يسمون القلامس واحدهم قلمس وكانوا يفتون العرب في الموسم يقوم كبيرهم في الحجر ويقوم آخر عند الباب ويقوم آخر عند الركن فيفتون . # قال القاضي أبو محمد فهم على هذا عدة منهم نعيم وصفوان ومنهم ذرية القلمس حذيفة وغيرهم . # قال القاضي أبو محمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا هامة ولا صفر فقال بعض الناس إنه يريد بقوله لا صفر هذا النسيء وقيل غير ذلك . # قوله عز وجل \$ التوبة 38 - 39 \$

@ 34 @ # هذه الآية هي بلا اختلاف نازلة عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين ألفا بين راكب وراجل وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقون فالعتاب في هذه الآية هو للقبائل وللمؤمنين الذين كانوا بالمدينة وخص الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية بذلك التذنيب الشديد بحسب مكانهم من الصحة إذ هم من أهل بدر ومنم يقتدى بهم وكان تخلفهم لغير علة حسب ما يأتي وقوله ^ ما لكم ^ استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ وقوله ^ قيل ^ يريد النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن صرفه الفعل لا يسمى فاعله يقتضي إغلاظا ومخاشنة ما والنفر هو التنقل بسرعة من مكان إلى مكان لأمر يحدث يقال في ابن آدم نفر إلى الأمر ينفر نفيرا ونفرا ويقال في الدابة نفرت تنفر بضم الفاء نفورا وقوله ^ اتاقلتم ^ أصله تاتقلتم أدغمت التاء في التاء فاحتجج إلى ألف الوصل كما قال ^ فادارتم ^ وكما تقول ازبن وكما قال الشاعر الكسائي # (تولي الصجيع إذا ما استافها خصرا % عذب المذاق إذا ما اتابع القيل) + البسيط + # وقرأ الأعمش فيما حكى المهدي وغير تاتقلتم على الأصل وذكرها أبو جاتم تاتقلتم بتاءين ثم تاء مثلثة وقال هي خطأ أو غلط وصوب تاتقلتم بتاء واحدة وتاء مثلثة أن لو قرئ بها وقوله ^ اتاقلتم إلى الأرض ^ عبارة عن تخلفهم ونكولهم وتركهم الغزو لسكنى ديارهم والتزام نخلهم وظلالهم وهو نحو من أخذ إلى الأرض وقوله ^ أرضيتم ^ تقرير يقول أرضيتم نزر الدنيا على خطير الآخرة وحظها الأسعد ثم أخبر فقال إن الدنيا بالإضافة إلى الآخرة قليل فتعطي قوة الكلام التعجب من ضلال من يرضى النزر بدل الكثير الباقي وقوله ^ إلا تنفروا ^ الآية ^ إلا تنفروا يعذبكم ^ شرط وجواب وقوله ^ يعذبكم ^ لفظ عام يدخل تحته أنواع عذاب الدنيا والآخرة والتهديد بعمومه أشد تخويفا وقالت فرقة يريد يعذبكم بإمسك المطر عنكم وروي عن ابن عباس أنه قال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة من القبائل فقعدت فأمسك الله عنها المطر وعذبها به و ^ أليم ^ بمعنى مؤلم بمنزلة قول عمرو بن معد يكرب # (أمن ربحانة الداعي السميع %) + الوافر + # وقوله ^ ويستبدل قوما غيركم ^ توعذ بان يبدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوما لا يقعدون عند استنفاره إياهم والضمير في قوله ^ ولا تضروه شيئا ^ عائد على الله عز وجل أي بلا ينقص ذلك من عزه وعز دينه ويحتمل أن يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو أليق ^ والله على كل شيء قدير ^ أي على كل شيء مقدور وتبديلهم منه ليس بمحال ممتنع .

@ 35 @ # قوله عز وجل \$ التوبة 40 \$ # هذا أيضا شرط وجواب والجواب في الفاء من قوله ^ فقد ^ وفيما بعدها قال النقاش هذه أول آية نزلت من سورة براءة ومعنى الآية أنكم إن تركتم نصره فالله منكفل به إذ فقد نصره في موضع القلة والإنفراد وكثرة العدو فنصره إياه اليوم أخرى منه حينئذ وقوله ^ إذ أخرجه الذين كفروا ^ يريد فعلوا من الأفعال ما أدى إلى خروجه وأسند الإخراج إليهم إذ المقصود تذبذبهم ولما كان مقصد أبي سفيان بن الحارث الفخر في قوله من طردت كل مطرد . # لم يقرره النبي صلى الله عليه وسلم والإشارة إلى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وفي صحبته أبو بكر واختصار القصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر أمر الله عز وجل في الهجرة من مكة وكان أبو بكر حين ترك ذمة ابن الدغنة قد أراد الخروج من مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبر فلعل الله أن يسهل في الصحة فلما أذن الله لرسوله في الخروج تجهز من دار أبي بكر وخرجا فبقيا في الغار الذي في جبل ثور في غربي مكة ثلاث ليال وخرج المشركون في أثرهم حتى انتهوا إلى الغار فطمس عليهم الأثر وقال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم لو نظر أحدهم لقدمه لرأنا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما . # وروى أن العنكبوت نسجت على باب الغار وروى أن الحمامة عششت عند باب الغار وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يجعل ثماما في باب الغار فتخيله المشركون نائبا وصر فهم الله عنه ووقع في الدلائل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه نبتت على باب الغار راءة أمرها الله بذلك في الحين قال الأصمعي جمعها راء وهي نبات من السهل . # وروي أن أبا بكر لما دخل الغار خرق رداءه فسد به كواء الغار لئلا يكون فيها حيوان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم # وروي أنه بقيت واحدة فسدها برجله فوقى الله تعالى وكان يروح عليهما بالليل عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وقوله ^ ثاني اثنين ^ معناه أحد اثنين وهذا كالثالث ثلاثة ورابع أربعة فإذا اختلف اللفظ فقلت رابع ثلاثة فالمعنى صير الثلاثة بنفسه أربعة وقرأ جمهور الناس ثاني اثنين ينصب الياء من ثاني . # قال أبو حاتم لا يعرف غير هذا وقرأت فرقة ثاني اثنين بسكون الياء من ثاني قال أبو الفتح حكاه أبو عمرو بن العلاء ووجهه أنه سكن الياء تشبيها لها بالألف .

@ 36 @ # قال القاضي أبو محمد فهذه كقراءة ما بقي من الربا وكقول جرير # (هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم % ماضي العزيمة ما في حكمه جنف) + البسيط + # وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وروي أن أبا بكر الصديق قال يوما وهو على المنبر أياكم يحفظ سورة التوبة فقال رجل أنا فقال اقرأ فلما انتهى إلى قوله ^ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ^ بكى وقال أنا والله صاحبه وقال الليث ما صحب الأنبياء مثل أبي بكر الصديق وقال سفيان بن عيينة خرج أبو بكر بهذه الآية من المعاتبه التي في قوله ^ إلا تنصروه ^ . # قال القاضي أبو محمد أقول بل خرج منها كل من شاهد غزوة تبوك ولم يتخلف وإنما المعاتبه لمن تخلف فقط أما إن هذه الآية منوّهة بأبي بكر حاكمه بقدومه وسابقته في الإسلام رضي الله عنه وقوله ^ إن الله معنا ^ يريد به النصر والإنجاء واللفظ وقوله تعالى ^ فأنزل الله سكينته عليه ^ الآية قال حبيب بن أبي ثابت الضمير في ^ عليه ^ عائد على أبي بكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل ساكن النفس ثقة بالله عز وجل . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول من لم ير السكينة إلا ساكن النفس والجأش وقال جمهور الناس الضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا أقوى والسكينة عندي إنما هي ما ينزله الله على أنبيائه من الحياطة لهم والخصائص التي لا تصلح إلا لهم كقوله تعالى ^ فيه سكينه من ربكم ^ ويحتمل أن يكون قوله ^ فأنزل الله سكينته ^ إلى آخر الآية يراد به ما صنعه الله لنبيه إلى وقت تبوك من الظهور والفتوح لا أن تكون هذه الآية تختص بقصة الغار والنجاة إلى المدينة فعلى هذا تكون الجنود الملائكة النازلين ببدر وحنين ومن رأى أن الآية مختصة بتلك القصة قال الجنود ملائكة بشره بالنجاة وبأن الكفار لا ينجح لهم سعي وفي مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما وأبيديهما وقرأ مجاهد وأبيده بألفين والجمهور وأبيده بشد الياء وقوله ^ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ^ يريد بإدحارها ودحضا وإدلالها ^ وكلمة الله هي العليا ^ قيل يريد لا إله إلا الله وقيل الشرع بأسره وقرأ جمهور الناس وكلمة بالرفع على الابتداء وقرأ الحسن بن أبي الحسن ويعقوب وكلمة بالنصب على تقدير وجعل كلمة قال الأعمش ورأيت في مصحف أنس بن مالك المنسوب إلى أبي بن كعب وجعل كلمته هي العليا # قوله عز وجل \$ التوبة 41 - 42 \$ # هذا أمر من الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالنفر إلى الغزو فقال بعض الناس هذا أمر

@ 37 @ عام لجميع المؤمنين تعين به الفرض على الأعيان في تلك المدة ثم نسخه الله عز وجل بقوله ^ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ^ روي ذلك عن الحسن وعكرمة وقال جل الناس بل هذا حض والأمر في نفسه موقوف على فرض الكفاية ولم يقصد بالآية فرضه على الأعيان وأما قوله ^ خفافا وثقالا ^ فنصب على الحال من الضمير في قوله ^ انفروا ^ ومعنى الخفة والثقل هنا مستعار

لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة وأما من لا يمكنه كالعمي ونحوهم فخارج عن هذا . # وروي أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعلي أن أنفر فقال له نعم حتى نزلت ^ ليس على الأعمى حرج ^ وذكر الناس من معاني الخفة والثقل أشياء لا وجه لتخصيص بعضها دون بعض بل هي وجوه متفقة فقيل الخفيف الغني والثقل الفقير قاله مجاهد وقيل الخفيف الشاب والثقل الشيخ قاله الحسن وجماعة وقيل الخفيف النشيط والثقل الكاسل قاله ابن عباس وقتادة وقيل المشغول ومن لا شغل له قاله الحكم بن عيينة وزيد بن علي وقيل الذي له ضيعة هو الثقيل ومن لا ضيعة له هو الخفيف قاله ابن زيد وقيل الشجاع هو الخفيف والجبان هو الثقيل حكاه النقاش وقيل الرجل هو الثقيل والفارس هو الخفيف قاله الأوزاعي . # قال القاضي أبو محمد وهذان الوجهان الآخران يتعكسان وقد قيل ذلك ولكنه بحسب وطائهم على العدو فالشجاع هو الثقيل وكذلك الفارس والجبان هو الخفيف وكذلك الرجل وكذلك انعكاس الفقير والغني في الثقل والخفة وقال أبو طلحة ما أسمع الله عذرا أحدا وخرج إلى الشام فجاهد حتى # وهذه الأقوال إنما هي على معنى المثال في الثقل والخفة وقال أبو طلحة ما أسمع الله عذرا أحدا وخرج إلى الشام فجاهد حتى مات # وقال أبو أيوب ما أجدني أبدا إلا ثقيلًا أو خفيفًا وروي أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلا سقط حاجباه على عينيته من الكبر فقال له يا عم إن الله قد عذرك فقال يا ابن أخي إنا قد أمرنا بالنفر خفافا وثقالا وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود بحمص وهو على تابوت صراف وقد فضل على التابوت من سمته وهو يتجهز للغزو فقال له لقد عذرك الله فقال أنت علينا سورة البعوث ^ انفروا خفافا وثقالا ^ وروي سورة البعوث وقوله تعالى ^ بأموالكم وأنفسكم ^ وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفسه عند الله تعالى فحضر على كمال الأوصاف وقدمت الأموال في الذكر إذ هي أول مصرف وقت التجهيز فرتب الأمر كما هو في نفسه ثم أخبر أن ذلك لهم خير للفوز برضى الله وغلبة العدو ووراثته الأرض وفي قوله ^ إن كنتم تعلمون ^ تنبيه وهز للنفوس وقوله ^ لو كان عرضا قريبا ^ الآية ظاهر هذه الآية وما يحفظ من قصة تبوك أن الله لما أمر رسوله بغزو الروم نذب الناس وكان ذلك في شدة من الحر وطيب من الثمار والظلال فنفر المؤمنون واعتذر منهم لا محالة فريق لا سيما من القبائل المجاورة للمدينة وبدل على ذلك قوله في أول هذه الآية ^ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض ^ لأن هذا الخطاب ليس للمنافقين خاصة بل هو عام واعتذر المنافقون بأعدار كاذبة وكانوا بسبيل كسل مفرط وقصد للتخلف وكانت أعدار المؤمنين خفيفة ولكنهم

@ 38 @ تركوا الأولى من التحامل فنزل ما سلف من الآيات في عتاب المؤمنين ثم ابتدأ من هذه الآية ذكر المنافقين وكشف ضمائرهم فيقول لو كان هذا الغزو لعرض أي لمال وغنيمة تنال قريبا بسفر قاصد يسير لبادروا إليه لا لوجه الله ولا لظهور كلمته ولكن بعدت عليهم الشقة في غزو الروم أي المسافة الطويلة وذكر أبو عبيدة أن أعرابيا قدم البصرة وكان قد حمل حمالة فعجز عنها وكان معه ابن له يسمى الأحوص فبادر الأحوص أباه بالقول فقال إنا من تعلمون وأبنا سبيل وجئنا من شقة ونطلب في حق وتنطونا وبجزبكم الله فتهيا أبوه ليخاطب فقال له يا إياك إني قد كفيتك . # قال القاضي أبو محمد يا تنبيه وإياك نهى وقرأ عيسى ابن عمر الشقة بكسر الشين وقرأ الأعرج بعدت بكسر العين وحكى أبو حاتم أنها لغة بني تميم في اللفظتين وقوله ^ سيحلفون بالله ^ يريد المنافقين وهذا إخبار بغيب وقوله ^ يهلكون أنفسهم ^ يريد عند تخلفهم مجاهرة وكفرهم فكأنهم يوجبون على أنفسهم الحتم بعذاب الله # ثم أخبر أن الله الذي هو أعدل الشاهدين يعلم كذبهم وأنهم كانوا يستطيعون الخروج ولكنهم تركوه كفرا ونفاقا وهذا كله في الجملة لا بتعيين شخص ولو عين لقتل بالشرع وقرأ الأعمش على جهة التشبيه بواو ضمير الجماعة لو استطعنا بضم الواو ذكره ابن جني ومثله بقوله تعالى ^ لقد ابتغوا الفتنة ^ فتمنوا الموت ^ و ^ اشتروا الصلاة ^ . # قوله عز وجل \$ التوبة 43 - 44 \$ # هذه الآية في صنف مبالغ في النفاق واستأذنوا دون اعتذار منهم عبد الله بن ابي والجد بن قيس ورفاعة بن التابوت ومن اتبعهم فقال بعضهم إيذن لي ولا تفتني وقال بعضهم إيذن لنا في الإقامة فإذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم استيفاء منه صلى الله عليه وسلم وأخذ بالأسهل من الأمور وتوكلا على الله وقال مجاهد إن بعضهم قال نستأذنه فإن أذن في القعود قعدنا وإلا قعدنا فنزلت الآية في ذلك . # وقال فرقة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لهم دون أن يؤمر بذلك فعفي عنه ما يلحق من هذا وقدم له ذكر العفو قبل العتاب إكراما له صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن ميمون الأودي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع برأيه في قصتين دون أن يؤمر فيهما بشيء . # هذه وأمر أسارى بدر فعاتبه الله فيهما وقالت فرقة بل قوله في هذه الآية ^ عفا الله عنك ^ استفتاح كلام كما تقول أصلحك الله وأعزك الله ولم يكن منه صلى الله عليه وسلم ذنب يعفى عنه لأن صورة الاستنفارة قبول الإعدار مصروفة إلى اجتهاده وأما قوله ^ لم أذنت ^ فهي على معنى التقرير وقوله ^ الذين ^

@ 39 @ # (صدقوا) يريد استئذانك وأنت لو لم تأذن لهم خرجوا معك وقوله ^ وتعلم الكاذبين ^ يريد في أنهم استأذنوك يظهرون لك أنهم يقفون عند حدك وهم كذبة قد عزموا على العصيان أذنت لهم أو لم تأذن وقال الطبري معناه حتى تعلم الصادقين في أن لهم عذرا والكاذبين في أن لا عذر لهم . # قال القاضي أبو محمد وعلى هذا التأويل يختلط المتعذرون وقد قدمنا أن فيهم مؤمنين كالمستأذنين وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والأول أصوب والله أعلم . # وأدخل الطبري أيضا في تفسير هذه الآية عن قتادة أن هذه الآية نزلت بعدها الآية الأخرى في سورة النور ^ فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ^ . # قال القاضي أبو محمد وهذا غلط لأن آية النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الأوقات فأباح الله له أن يأذن فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى وقوله ^ لا يستأذنك ^ الآية نفي عن المؤمنين أن يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف دون عذر كما فعل الصنف المذكور من المنافقين وقوله ^ أن يجاهدوا ^ يحتمل أن تكون ^ أن ^ في موضع نصب على معنى لا يستأذنون في التخلف كراهية أن يجاهدوا قال سيبويه ويحتمل أن تكون في موضع خفض . # قال القاضي أبو محمد على معنى لا يحتاجون إلا أن يستأذنوا في أن يجاهدوا بل يمضون قدما أي فهم أخرى لا يستأذنون في التخلف ثم أخبر بعلمه تعالى ^ بالمتقين ^ وفي ذلك تغيير للمنافقين وطعن عليهم بين . # قوله عز وجل \$ التوبة 45 - 47 \$ # هذه الآية تنص على أن المستأذنين إنما هم مخلصون للنفاق ^ وارتابت قلوبهم ^ معناه شكك والريب نحو الشك و ^ يترددون ^ أي يتحيرون لا يتجه لهم هدى ومن هذه الآية نزع أهل الكلام في حد الشك أنه تردد بين أمرين والصواب في حده أنه توقف بين أمرين والتردد في الآية إنما هو في ريب هؤلاء المنافقين إذ كانوا يتضح لهم لو طلبوه بل كانوا مذبحيين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كالشاة الحائرة بين الغنمين وأيضا فبين الشك والريب فرق ما وحقيقة الريب إنما هو الأمر يستريب به

@ 40 @ الناظر فيخلط عليه عقيدته فربما أدى إلى شك وحيرة وربما أدى إلى علم ما في النازلة التي هو فيها ألا ترى أن قول الهذلي # (كاني أريته بريب %) لا يتجه أن يفسر بشك قال الطبري وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرنا في سورة النور وأسند عن الحسن وعكرمة أنهما قالا في قول ^ لا يستأذنك الذين يؤمنون ^ إلى قوله ^ فهم في ريبهم يترددون ^ نسختها الآية التي في النور ^ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ^ إلى ^ إن الله عفو رحيم ^ . # قال القاضي أبو محمد وهذا غلط وقد تقدم ذكره وقوله تعالى ^ ولو أرادوا الخروج ^ الآية حجة على المنافقين أي ولو أرادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك واستعدوا له قبل كونه والعدة ما يعد للأمر ويروى له من الأشياء وقرأ جمهور الناس عدة بضم العين وءاء تأنيث وقرأ محمد بن عبد الملك بن مروان وابنه معاوية بن محمد عدة بضم العين وهاء إضمار يريد عدته فحذفت تاء التأنيث لما أضاف كما قال وأقام الصلاة يريد وإقامة الصلاة هذا قول الفراء وضعفه أبو الفتح وقال إنما حذف تاء التأنيث وجعل هاء الضمير عوضا منها وقال أبو حاتم هو جمع عدة على عد كبيرة وكبير ودره والوجه فيه عدد ولكن لا يوافق خط المصحف وقرأ عاصم فيما روى عنه أبان وزر بن حبيش عدة بكسر العين وهاء إضمار وهو عندي اسم لما يعد كالريح والقتل لأن العدو سمي قتلا إذ حقه أن يقتل هذا في معتقد العرب حين سمته و ^ انبعاثهم ^ نفوذهم لهذه الغزوة والتشيط التكسيل وكسر العزم وقوله ^ وقيل ^ يحتمل أن يكون حكاية عن الله تعالى أي قال الله في سابق قضائه ^ اقعدوا مع القاعدين ^ ويحتمل أن يكون حكاية عنهم أي كانت هذه مقالة بعضهم لبعض أما

لفظاً وإما معنى فحكى في هذه الألفاظ التي تقتضي لهم مذمة إذ القاعدون النساء والأطفال ويحتمل أن يكون عبارة عن إذن محمد صلى الله عليه وسلم لهم في القعود أي لما كره الله خروجهم يسر أن قلت لهم ^ اقعدا مع القاعدين ^ والقعود هنا عبارة عن التخلف والتراخي كما هو في قول الشاعر # (واقعدو فإنك أنت الطاعم الكاسي %) # وليس للهيئة في هذا كله مدخل وكراهية الله انبعاثهم رفق بالمؤمنين وقوله تعالى ^ لو خرجوا فيكم ^ الآية خير بأنهم لو خرجوا لكان خروجهم مضرة وقوله ^ إلا خيالاً استثناء من غير الأول وهذا قول من قدر أنه لم يكن في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خيال فيزيد المنافقون فيه فكأن المعنى ما زادوكم قوة ولا شدة لكن خيالاً ويحتمل أن يكون الاستثناء غير منقطع وذلك أن عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك كان فيه منافقون كثير ولهم لا مجاله خيال فلو خرج هؤلاء للاتمام مع الخارجين فزاد الخيال والخيال الفساد في الأشياء المؤلفة الملتحمة كالمودات وبعض الأجرام ومنه قول الشاعر # (يا بني ليبنى لستما بيد % إلا يدا مخبولة العصد) + الكامل +

@ 41 @ # وقرأ ابن أبي عيلة ما زادكم بغير واو وقرأ جمهور الناس ^ لأوضعوا ^ ومعناه لأسرعوا السير و ^ خلالكم ^ معناه فيما بينكم من هنا إلى هنا يسد الموضوع الخلّة بين الرجلين والإبضاع سرعة السير وقال الزجاج ^ خلالكم ^ معناه فيما يخل بكم # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وماذا يقول في قوله ^ فجاسوا خلال الديار ^ وقرأ مجاهد فيما حكى النقاش عنه ولأوفضوا وهو أيضاً بمعنى الإسراع ومنه قوله تعالى ^ إلى نصب يوفضون ^ وحكى عن الزبير أنه قرأ ولأرفضوا قال أبو الفتح هذه من رفض البعير إذا أسرع في مشيه رقصاً ورقصاناً ومنه قول حسان بن ثابت # (رقص القلوص براكب مستعجل %) + الكامل + # ووقعت ولا أوضعوا بألف بعد لا في المصحف وكذلك وقعت في قوله ^ أو لأذبحنه ^ قيل وذلك لخشونة هجاء الأولين قال الزجاج وإنما وقعوا في ذلك لأن الفتحة في العبرانية وكثير من الألسنة تكتب ألفاً # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن تمطل حركة اللام فيحدث بين اللام والهجرة التي من أوضع وقوله ^ يعونكم الفتنة ^ أي يطلبون لكم الفتنة وقوله ^ وفيكم سماعون ^ قال سفيان بن عيينة والحسن ومجاهد وابن زيد معناه جواسيس يستمعون الأخبار وينقلونها إليهم ورجحه الطبري قال النقاش بناء المبالغة يضعف هذا القول وقال جمهور المفسرين معناه وفيكم مطيعون سامعون لهم وقوله ^ والله عليهم بالظالمين ^ توعد لهم ولمن كان من المؤمنين على هذا الصفة # قوله عز وجل \$ التوبة 48 - 51 \$ في هذه الآية تحقير شأنهم وذلك أنه أصبر أنهم قد لما سعوا على الإسلام فأبطل الله سعيهم ومعنى قوله ^ من قبل ^ ما كان من حالهم من وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوعهم عنه في أحد وغيرها ومعنى ^ وقلبوا لك الأمور ^ دبروها ظهراً لبطن ونظروا في نواحيها وأقسامها وسعوا بكل حيلة وقرأ مسلمة بن محارب وقلبوا لك بالتخفيف في اللام و ^ أمر الله ^ الإسلام ودعوته وقوله تعالى ^ ومنهم من يقول ائذن لي ^ نزلت في الجد بن قيس وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر

@ 42 @ بالغزو إلى بلاد الروم حرض الناس فقال للجد بن قيس هل لك العام في جلد بني الأصفر وقال له وللناس اغزوا تغنموا بنات الأصفر فقال له الجد بن قيس ائذن لي في التخلف ولا تفتني بذكر بنات الأصفر فقد علم قومي أنني لا أتمالك عن النساء إذا رأيتهن ذكر ابن إسحاق ونحو هذا من القول الذي فيه فتور كثير وتخلف في الاعتذار وأسند الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا بنات الأصفر فقال الجد ائذن ولا تفتنا بالنساء وهذا منزع الأول إذا نظر وهو أشبه بالنفاق والمحادة وقال ابن عباس إن الجد قال ولكني أعينك بمالي وتأول بعض الناس قوله ^ ولا تفتني ^ أي لا تصعب علي حتى أحتاج إلى مواجعة معصيتك ومخالفتك فسهل أنت علي ودعني غير مجلج وهذا تأويل حسن واقف مع اللفظ لكن تظاهر ما روي من ذكر بنات الأصفر وذلك معترض في هذا التأويل وقرأ عيسى بن عمر ولا تفتني بضم التاء الأولى قال أبو حاتم هي لغة بني تميم والأصفر هو الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان أصفر اللون فيقال للروم بنو الأصفر ومن ذلك قول أبي سفيان أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر ومنه قول الشاعر عدي بن زيد العبادي # (وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم % لم يبق منهم مذكور) + الخفيف + # وذكر النقاش والمهدوي أن الأصفر رجل من الحبشة وقع ببلاد الروم فترج وأنسل بنات لهن جمال وهذا ضعيف وقول ^ ألا في الفتنة سقطوا ^ أي في الذي أظهروا الفرار منه بما تبين لك وللمؤمنين من نفاقهم وصح عندكم من كفرهم وفسد مما بينكم وبينهم و ^ سقطوا ^ عبارة منبئة عن تمكن وقوعهم ومنه على الخير سقطت ثم قال ^ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ^ وهذا توعد شديد لهم أي هي مآلهم ومصيرهم كيف ما تقلبوا في الدنيا فإليها يرجعون فهي محيطة بهذا الوجه وقوله تعالى ^ إن تصبك حسنة ^ الآية أخبر تعالى عن معتقدتهم وما هم عليه والحسنة هنا بحسب الغزوة هي الغنيمة والظفر والمصيبة الهزم والخيبة واللفظ عام بعد ذلك في كل محبوب ومكروه ومعنى قوله ^ قد أخذنا أمرنا من قبل ^ أي حزمنا نحن في تخلفنا ونظرنا لأنفسنا وقوله تعالى ^ قل لن يصيبنا ^ الآية أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يرد على المنافقين ويفسد عليهم فرحهم بأن يعلمهم أن الشيء الذي يعتقدونه مصيبة ليس كما اعتقدوه بل الجميع مما قد كتبه الله عز وجل للمؤمنين فإما أن يكون ظفراً وسروراً في الدنيا وإما أن يكون ذخراً للأخرة وقرأ طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا ذكره أبو حاتم وعند ابن جني وقرأ طلحة بن مصرف وأعين قاضي الري قل لن يصيبنا بشد الباء التي بعد الصاد وكسرهما كذا ذكر أبو الفتح وشرح ذلك وهو وهم والله أعلم . # قال أبو حاتم قال عمرو بن شفيق سمعت أعين قاضي الري يقرأ قل لن يصيبنا النون مشددة قال أبو حاتم ولا يجوز ذلك لأن النون لا تدخل مع لن ولو كانت لطلحة بن مصرف لجازت لأنها مع هل قال الله عز وجل ^ هل يذهبن كيده ما يغيظ ^ وقوله ^ كتب الله ^ يحتمل أن يريد ما قضى وقدر

@ 43 @ # ويحتمل أن يريد ما كتب الله لنا في قرآنا علينا من أنا إما أن نظفر بعدونا وإما أن نستشهد فندخل الجنة . # قال القاضي أبو محمد وهذا الإحتمال يرجع إلى الأول وقد ذكرهما الزجاج وقوله ^ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ^ معناه مع سعيهم وجاهد إذ لا حول ولا قوة إلا بالله وهذا قول أكثر العلماء وهو الصحيح والذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة عمره ومنه مظاهرته بين درعين وتخبط الناس في معنى التوكل في الرزق فالأشهر والأصح أن الرجل الذي يمكنه التحرف الحلال المحض الذي لا تدخله كراهية ينبغي له أن يمثل منه ما يصونه ويحملة كالإحتطاب ونحوه وقد قرن الله تعالى الرزق بالتسبب ومنه ^ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ^ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الطير تغدو خماساً الحديث . # ومنه قوله قيدها وتوكل وذهب بعض الناس إلى أن الرجل القوي الجلد إذا بلغ من التوكل إلى أن يدخل غاراً أو بيتاً يجهل أمره فيه ويبقى في ذكر الله متوكلاً يقول إن كان بقي لي رزق فسيأتي الله به وإن كان رزقي قد تم مت إذ ذلك حسن بالغ عند قوم وحدثنى أبي رضي الله عنه أنه كان في الحرم رجل ملازم يخرج من جيبه المرة بعد المرة بطاقة ينظر فيها ثم يصرفها ويبقى على حاله حتى مات في ذلك الموضوع فقرأت البطاقة فإذا فيها مكتوب ^ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا . # قال القاضي أبو محمد وهذه الطريقة لا يراها أهل العلم بل ينبغي أن يسعى الرجل لقدر القوت سعياً جميلاً لا يواقع فيه شبهة فإن تعذر عليه جميع ذلك وخرج إلى حد الإضطراب فحينئذ أن تسامح في السؤال وأكل الميتة وما أمكنه من ذلك فهو له مباح وإن صبر وتحسب نفسه كان في أعلى رتبة عند قوم ومن الناس من يرى أن فرصاً عليه إبقاء رفقاً وأما من يختار الألفاء باليد والسعي ممكن كما كان هذا قط من خلق الرسول ولا الصحابة ولا العلماء والله سبحانه الموفق للصواب ومن حجج من يقول بالتوكل حديث النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يدخل الجنة سبعون ألفاً من أمتي بلا حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتكفون ولا يتطيبون وعلى ربهم يتوكلون وفي هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لعكاشة بن محصن أن يكون منهم فقيل ذلك لأنه عرف منه أنه معد لذلك وقال للآخر سبقك بها عكاشة وردت الدعوة فقيل ذلك لأنه كان منافقاً وقيل بل عرف منه أنه لا يصح لهذه الدرجة من التوكل . # قوله عز وجل \$ التوبة 52 - 53 \$ # فالمعنى في هذه الآية الرد على المنافقين في معتقدتهم في المؤمنين وإزالة ظنهم أن المؤمنين تنزل

@ 44 @ بهم مصائب والإعلام بأنها حسنى كيف تصرفت و ^ تربصون ^ معناه تنتظرون والحسنيان الشهادة والظفر وقرأ ابن محيصن إلا احدى الحسينيين بوصل ألف إحدى # قال القاضي أبو محمد وهذه لغة ليست بالقياس وهذا مثل قول الشاعر # (يا أبا

المغيرة رب أمر معضل % + الكامل + # وقول الآخر # (إن لم أقاتل فالبيسيبي برقا %) + الكامل + # وقوله ^ بعذاب من عنده ^ يريد الموت بأخذات الأسف ويحتمل أن يكون توعدا بعذاب الآخرة وقوله ^ أو بأيدينا ^ يريد القتل وقيل ^ بعذاب من عنده ^ يريد أنواع المصائب والقوارع وقوله ^ فتربصوا إنا معكم متربصون ^ وعيد وتهديد وقوله ^ قل أنفقوا طوعا أو كرها ^ سببها أن الجد بن قيس حين قال ^ أئذن لي ولا تفتني ^ قال إني أعينك بمال فنزلت هذه الآية فيه وهي عامة بعده والطوع والكره يعمان كل إنفاق وقرأ ابن وثاب والأعمش وكرها بضم الكاف . # قال القاضي أبو محمد ويتصل ها هنا ذكر أفعال الكافر إذا كانت برا كصلة القرابة وجبر الكسبر وإغاثة المظلوم هل ينتفع بها أم لا فاختصار القول في ذلك أن في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن ثواب الكافر على أفعاله البرة هو في الطعمة يطعمها ونحو ذلك فهذا مقنع لا يحتاج معه إلى نظر وأما ما ينتفع بها في الآخرة فلا دليل ذلك أن عائشة أم المؤمنين قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أرأيت عبد الله بن جدعان أينفعه ما كان يطعم ويصنع من خير فقال لا إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ودليل آخر في قول عمر رضي الله عنه لابنه ذاك العاصي بن وائل لا جزاه الله خيرا وكان هذا القول بعد موت العاصي الحديث بطوله ودليل ثالث في حديث حكيم بن حزام على أحد التأويلين أعني في قول النبي صلى الله عليه وسلم أسلمت على ما سلف لك من خير ولا حجة في أمر أبي طالب كونه في ضحاح من نار لأن ذلك إنما هو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وبأنه وجدته في غمرة من النار فأخرجه ولو فرضنا أن ذلك بأعماله لم ينتج إلى شفاعته وأما أفعال الكافر القبيحة فإنها تزيد في عذابه وبذلك هو تفاضلهم في عذاب جهنم وقوله ^ أنفقوا ^ أمر في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل أمر معه جواب بالتقدير إن تنفقوا لم يتقبل منكم وأما إذا عري الأمر من جواب فليس يصحبه تضمن الشرط . # قوله عز وجل \$ التوبة 54 - 56 \$

@ 45 @ # يحتمل أن يكون معنى الآية وما منعهم الله من أن تقبل إلا لأجل أنهم كفروا بالله ف ^ أن ^ الأولى على هذا في موضع خفض نصبها الفعل حين زال الخافض وأن الثانية في موضع نصب مفعول من أجله ويحتمل أن يكون التقدير وما منعهم الله قبول نفقاتهم إلا لأجل كفرهم فالأولى على هذا في موضع نصب ويحتمل أن يكون المعنى وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم فالثانية في موضع رفع فاعلة وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم أن تقبل منهم نفقاتهم وقرأ حمزة والكسائي ونافع فيما روي عنه أن يقبل منهم نفقاتهم بالياء وقرأ الأعرج بخلاف عنه أن تقبل منهم نفقتهم بالناء من فوق وإفراد النفقة وقرأ الأعمش أن يقبل منهم صدقاتهم وقرأت فرقة أن تقبل منهم نفقتهم بالنون ونصب النفقة و ^ كسالى ^ جمع كسلان وكسلان إذا كانت مؤنثه كسلى لا ينصرف بوجه وإن كانت مؤنثه كسلانة فهو ينصرف في النكرة ثم أخرج عنهم تعالى أنهم لا ينفقون دومة إلا على كراهية إذ لا يقصدون بها وجه الله ولا محبة المؤمنين فلم يبق إلا فقد المال وهو من مكارههم لا محالة وقوله تعالى ^ فلا تعجبك أموالهم ^ الآية حقر هذا اللفظ شأن المنافقين وعلل إعطاء الله لهم الأموال والأولاد بإرادته تعذيبهم بها واختلف في وجه التعذيب فقال قتادة في الكلام تقديم وتأخير فالمعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقال الحسن الوجه في التعذيب أنه بما ألزمهم فيها من أداء الزكاة والنفقة في سبيل الله . # قال القاضي أبو محمد فالضمير في قوله ^ بها ^ عائد في هذا القول على الأموال فقط وقال ابن زيد وغيره التعذيب هو بمصائب الدنيا ورزاياها هي لهم عذاب إذ لا يؤجرون عليها وهذا القول وإن كان يستغرق قول الحسن فإن قول الحسن يتقوى تخصيصه بأن تعذيبهم بالزمام الشريعة أعظم من تعذيبهم بسائر الرزايا وذلك لاقتران الذلة والغلبة بأوامر الشريعة لهم قوله ^ وتزهق أنفسهم ^ يحتمل أن يريد ويموتون على الكفر ويحتمل أن يريد وتزهق أنفسهم من شدة التعذيب الذي ينالهم وقوله ^ وهم كافرون ^ جملة في موضع الحال على التأويل الأول وليس يلزم ذلك على التأويل الثاني وقوله ^ ويحلفون ^ الآية أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يحلفون أنهم من المؤمنين في الدين والشريعة ثم أخبر تعالى عنهم على الجملة لا على التعيين أنهم ليسوا من المؤمنين وإنما هم يفترون منهم فيظنون الإيمان وهم يبطنون النفاق والفرق الخوف والفروقة الجبان وفي المثل وفرق خير من حبين # قوله عز وجل \$ التوبة 57 - 59 \$

@ 46 @ # الملجأ من لجا يلجأ إذا أوي واعتصم وقرأ جمهور الناس أو مغرات بفتح الميم وقرأ سعيد بن عبد الرحمن بن عوف أو مغارات بضم الميم وهي الغيران في أعراض الجبال بفتح الميم من غار الشيء إذا دخل كما تقول غارت العين إذا دخلت في الحجاج وضم الميم من أغار الشيء غيره إذا أدخله فهذا وجه من اشتقاق اللفظة وقيل إن العرب تقول غار الرجل وأغار بمعنى واحد أي دخل قال الزجاج إذا دخل الغور فيحتمل أن تكون اللفظة أيضا من هذا . # قال القاضي أبو محمد ويصح في قراءة ضم الميم أن تكون من قولهم حبل مغار أي مفتول ثم يستعار ذلك في الأمر المحكم المبروم فيجاء التأويل على هذا لو يجدون عصرة أو أمورا مرتبطة مشددة تعصمهم منكم أو مدخلا لولوا إليه وقرأ جمهور الناس أو مدخلا أصله مفتعل وهو بناء تأكيد ومبالغة ومعناه السرب والنفق في الأرض وبما ذكرناه في الملجأ والمغارات والمدخل فسر ابن عباس رضي الله عنه وقال الزجاج المدخل معناه قوما يدخلونهم في جملتهم وقرأ مسلمة بن محارب والحسن وابن أبي إسحاق وابن محيصن وابن كثير بخلاف عنه أو مدخلا فهذا من دخل وقرأ قتادة وعيسى بن عمر والأعمش أو مدخلا بتشديدهما وقرأ أبي بن كعب مندخلا قال أبو الفتح هذا كقول الشاعر الكميث # (ولا يدي في حميت السمن تتدخل %) + البسيط + # قال القاضي أبو محمد وقال أبو حاتم قراءة أبي بن كعب متدخلا بناء مفتوحة وروي عن الأعمش وعيسى مدخلا بضم الميم فهو من ادخل وقرأ الناس ^ لولوا ^ وقرأ جد أبي عبيدة بن قمرل لولوا من الموالاة وأنكرها سعيد بن مسلم وقال أظن لولوا بمعنى للجؤوا وقرأ جمهور الناس بجموح معناه يسرعون مصممين غير متشئين ومنه قوله مهلهل # (لقد جمحت جماحا في دمائهم % حتى رأيت ذوي أحسابهم خمدوا) + البسيط + # وقرأ أنس بن مالك يجمزون ومعناه يهربون ومنه قولهم في حديث الرجم فلما إذ لفته الحجارة جمزة وقوله تعالى ^ ومنهم من يلمزك ^ الآية الضمير في قوله ^ ومنهم ^ عائد على المنافقين وأسند الطبري إلى أبي سعيد الخدري أنه قال جاء ابن ذي الخويصرة التميمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما فقال عدل يا محمد الحديث المشهور بطوله وفيه قال أبو سعيد فنزلت في ذلك ^ ومنهم من يلمزك في الصدقات ^ وروي داود بن أبي عاصم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصدقة فقسمها ووراه رجل من الأنصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت الآية . # قال القاضي أبو محمد وهذه نزعة منافق وكذلك روي من غير ما طريق أن الآية نزلت بسبب كلام

@ 47 @ @ المنافقين إذ لم يعطوا بحسب شطط أموالهم ^ و يلمزك ^ معناه يعيبك وبأخذ منك في الغيبة ومنه قول الشاعر # (إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة % وأن أعيب فأنت الهامز للزمة) + البسيط + # ومنه قول رؤبة # (في ظل عصري باطلي ولمزي %) + الرجز + # والهمز أيضا في نحو ذلك ومنه قوله تعالى ^ ويل لكل همزة لمزة ^ وقيل لبعض العرب أتهمز الفارة فقال إنها تهمزها الهرة قال أبو علي فجعل الأكل همزا وهذه استعارة كما استعار حسان بن ثابت الغرث في قوله # (وتصبح غرثي من لحوم الغوافل %) + الطويل + # تركيا على استعارة الأكل في الغيبة # قال القاضي أبو محمد ولم يجعل الأعرابي الهمز الأكل وإنما أراد ضربها إياها بالياب والظفر وقرأ جمهور الناس يلمزك بكسر الميم وقرأ ابن كثير فيما روى عنه حماد بن سلمة يلمزك بضم الميم وهي قراءة أهل مكة وقراءة الحسن وأبي رجا وغيرهم وقرأ الأعمش يلمزك وروي أيضا حماد بن سلمة عن ابن كثير يلامزك وهي مفاعلة من واحد لأنه فعل لم يقع من النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ^ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ^ الآية وصف للحال التي ينبغي أن يكون عليها المستقيمون بقول تعالى ولو أن هؤلاء المنافقين رضوا قسمة الله الرزق لهم وما أعطاهم على يدي رسوله ورجوا أنفسهم فضل الله ورسوله وأقروا بالرغبة إلى الله لكننا خيرا لهم وأفضل مما هم فيه وحذف الجواب من الآية دلالة ظاهر الكلام عليه وذلك من فصيح الكلام وإيجازه # قوله عز وجل \$ التوبة 60 \$ # إنما ^ في هذه الآية حاصرة تقتضي وقوف ^ الصدقات ^ على الثمانية الأصناف وإنما اختلف في صورة القسمة فقال مالك وغيره ذلك على قدر اجتهاد الإمام وبحسب أهل الحاجة وقال الشافعي هي ثمانية أقسام على ثمانية أصناف لا يخل بواحد منها إلا أن ^ المؤلف ^ انقطعوا # قال القاضي أبو محمد ويقول صاحب هذا القول إنه لا يجزئ المتصدق والقاسم من كل صنف أقل من ثلاثة وأما الفقير والمسكين فقال الأصمعي وغيره الفقير أبلغ فاقة وقال غيرهم المسكين أبلغ فاقة

@ 48 @ قال القاضي أبو محمد ولا طريق إلى هذا الاختلاف ولا إلى الترجيح إلا النظر في شواهد القرآن والنظر في كلام العرب وأشعارها فمن حجة الأولين قول الله عز وجل ^ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ^ واعترض هذا الشاهد بوجوه منها أن يكون سماهم مساكين بالإضافة إلى الغاصب وإن كانوا أغنياء على جهة الشفقة كما تقول في جماعة تطلم مساكين لا حيلة لهم وربما كانوا مياسير ومنها أنه قرئ لمساكين بشد السين بمعنى دباغين يعملون المسوك قاله النقاش وغيره ومنها أن تكون إضافتها إليهم ليست بإضافة ملك بل كانوا عاملين بها فهي كما تقول سرح الفرس ومن حجة الآخرين قول الراعي # (أما الفقير الذي كانت حلوبته % وفق العيال فلم يترك له سيد) + البسيط + # وقد اعترض هذا الشاهد بأنه إنما سماه فقيرا بعد أن صار لا حلوبة له وإنما ذكر الحلوبة بأنها كانت وهذا اعتراض يردده معنى القصيدة ومقصد الشاعر بأنه إنما يصف سعياً أنت على مال الحي بأجمعه فقال أما الفقير فاستؤصل ماله فكيف بالغني مع هذه الحال وذهب من يقول إن المسكين أبلغ فاقه إلى أنه مشتق من السكون وأن الفقير مشتق من فقار الظهر كأنه أصيب فقارة فيه لا محالة حركة وذهب من يقول إن الفقير أبلغ فاقه إلى أنه مشتق من فقرت البئر إذا نرعت جميع ما فيها وأن المسكين من السكن # قال القاضي أبو محمد ومع هذا الاختلاف فإنهما صنفان يعهما الإقلال والفاقة فينبغي أن يبحث على الوجه الذي من أجله جعلهما الله اثنين والمعنى فيهما واحد وقد اضطرب الناس في هذا فقال الضحاک بن مزاحم ^ الفقراء ^ هم من المهاجرين ^ والمساكين ^ من لم يهاجر وقال النخعي نحوه قال سفيان يعني لا يعطي فقراء الأعراب منها شيئاً # قال القاضي أبو محمد والمسكين السائل يعطي في المدينة وغيرها وهذا القول هو حكاية الحال وقت نزول الآية وأما منذ زالت الهجرة فاستوى الناس وتعطى الزكاة لكل متصف بفقير وقال عكرمة ^ الفقراء ^ من المسلمين ^ والمساكين ^ من أهل الذمة ولا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين وقال الشافعي في كتاب ابن المنذر الفقير من لا مال له ولا حرفة سائلاً كان أو متعافاً والمسكين الذي له حرفة أو مال ولكن لا يغبه ذلك سائلاً كان أو غير سائل وقال قتادة بن دعامة الفقير الزمن المحتاج والمسكين الصحيح المحتاج وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهرى وابن زيد وجابر بن زيد ومحمد بن مسلمة المساكين الذين يسعون ويسألون والفقراء هم الذين يتصاونون وهذا القول الأخير إذا لخص وحرر أحسن ما يقال في هذا وتحريره أن الفقير هو الذي لا مال له إلا أنه لم يذل ولا بذل وجهه وذلك إما لتعفف مفرط وإما لبلغة تكون له كالحلوبة وما أشبهها والمسكين هو الذي يقترب بفقره تذلل وخضوع وسؤال فهذه هي المسكنة فعلى هذا كل مسكين فقير وليس كل فقير مسكيناً ويقوي هذا أن الله تعالى قد وصف بني إسرائيل بالمسكنة وقرنها بالذلة مع غناهم وإذا تأملت ما قلناه بأن أنهما صنفان موجودان في المسلمين ويقوي هذا قوله تعالى ^ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ^ وقيل لأعرابي أفقر أنت فقال إني والله مسكين

@ 49 @ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ولكن المسكين هو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه أقرأوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافاً ^ فدل هذا الحديث على أن المسكين في اللغة هو الطواف وجرى تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على المتصاون مجرى تقديم ^ الفقراء ^ في الآية لمعنى الاهتمام إذ هم بحيث إن لم يتهم بهم هلوكوا والمسكين يلح ويذكر بنفسه وأما العامل فهو الرجل الذي يستنبيه الإمام في السعي على الناس وجمع صدقاتهم وكل من يصرف من عون لا يستغني عنه فهو من ^ العاملين ^ لأنه يحشر الناس على السعي وقال الضحاک للعاملين ثمن ما عملوا على قسمة القرآن وقال الجمهور لهم قدر تعبهم ومؤنتهم قاله مالك والشافعي في كتاب ابن المنذر فإن تجاوز ذلك ثمن الصدقة فاختلف فقيل يتم لهم ذلك من سائر الأنصاء وقيل بل يتم لهم ذلك من خمس الغنيمة واختلف إذا عمل في الصدقات هاشمي فقيل يعطى منها عمالته وقيل بل يعطاها الخمس ولا يجوز للعامل قبول الهدية والمصانعة ممن يسعى عليه وذلك إن فعله رد في بيت المال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بآب التنية حين استعمله على الصدقة فقال هذا لكم وهذا أهدي لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا فعدت في بيت أبيك وأملك حتى تعلم ما يهدي لك وأخذ الجميع منه . # وقال القاضي أبو محمد وتأمل عمالة الساعي هل يأخذها قبل العمل أو بعده وهل هي إجازة أو هي جعل وهل العمل معلوم أو هو يتتبع وإنما يعرف قدره بعد الفراغ وأما ^ المؤلفه قلوبهم ^ فكانوا صنفين مسلمين وكفارين مساترين قال يحيى بن أبي كثير كان منهم أبو سفيان بن حرب بن أمية والحارث بن هشام وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعيينة والأقرع ومالك بن عوف والعباس بن مرداس والعلاء بن جارية الثقفي . # قال القاضي أبو محمد وأكثر هؤلاء من الطلقاء الذين ظاهر أمرهم يوم الفتح الكفر ثم بقوا مظهرين الإسلام حتى وثقه الاستتلاف في أكثرهم واستتلافهم إنما كان لتجلبب إلى الإسلام منفعة أو تدفع عنه مضرة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه والحسن الشعبي وجماعة من أهل العلم إنقطع هذا الصنف بعزة الإسلام وظهوره وهذا مشهور مذهب مالك رحمه الله قال عبد الوهاب إن احتج إليهم في بعض الأوقات أعطوا من الصدقة . # قال القاضي أبو محمد وقول عمر عندي إنما هو لمعنيين فإنه قال لأبي سفيان حين أراد أخذ عطائه القديم إنما تأخذ كرجل من المسلمين فإن الله قد أغنى عنك وعن ضربائك يريد في الاستتلاف وأما أن ينكر عمر الاستتلاف جملة وفي تغور الإسلام فبعيد وقال كثير من أهل العلم ^ المؤلفه قلوبهم ^ موجودون إلى يوم القيامة . # قال القاضي أبو محمد وإذا تأملت التغور وجد فيها الحاجة إلى الاستتلاف وقال الزهري ^ المؤلفه ^ من أسلم من يهودي أو نصراني وإن كان غنياً # قال القاضي أبو محمد يريد لتبسط نفسه وبحبب دين الإسلام إليه وأما ^ الرقاب ^ فقال ابن عباس

@ 50 @ والحسن ومالك وغيره هو ابتداء العتق وعون المكاتب بما يأتي على حريته واختلف هل يعان بها المكاتب في أثناء نجومه بالمنع والإباحة واختلف على القول بإباحة ذلك إن عجز فقيل يرد ذلك من عند السيد وقيل يمضى لأنه كان يوم دفعه بوجه مترتب وقال الشافعي معنى ^ وفي الرقاب ^ في المكاتبين ولا يبتدأ منها عتق عبد وقاله الليث وإبراهيم النخعي وابن جبير وذلك أن هذه الأصناف إنما تعطى لمنفعة المسلمين أو لحاجة في أنفسها والعبد ليس له واحدة من هاتين العلتين والمكاتب قد صار من ذوي الحاجة وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف منه رقاب مسلمون ممن صلى قال ابن حبيب ويفدى منه أسارى المسلمين ومنع ذلك غيره وأما الغارم فهو الرجل يركبه دين في غير معصية ولا سفه قال العلماء فهذا يؤدي عنه وإن كانت له عروض تقيم رmqه وتكفي عياله وكذلك الرجل يتحمل بحمالة في إيارات أو إصلاح بين القبائل ونحو هذا وهو أحد الخمسة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لعامل عليها أو غاز في سبيل الله أو رجل تحمل بحمالة أو من أهديت له أو من اشتراها بماله . # قال القاضي أبو محمد وقد سقط ^ المؤلفه ^ من هذا الحديث ولا يؤدي من الصدقة دين ميت ولا يعطى منها من عليه كفارة ونحو ذلك من حقوق الله وإنما الغارم من عليه دين يسجن فيه وقد قيل في مذهبا وغيره يؤدي دين الميت من الصدقات قاله أبو ثور وأما ^ في سبيل الله ^ فهو المجاهد يجوز أن يأخذ من الصدقة لينفقها في غزوه وإن كان غنياً قال ابن حبيب ولا يعطى منها الحاج إلا أن يكون فقيراً فيعطى لفقره وقال ابن عباس وابن عمر وأحمد وإسحاق يعطى منها الحاج وإن كان غنياً والحج سبيل الله ولا يعطى منها في بناء مسجد ولا قنطرة ولا شراء مصحف ونحو هذا وأما ^ ابن السبيل ^ فهو الرجل في السفر والغربة يعدم فإنه يعطى من الزكاة وإن كان غنياً في بلده وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته السبيل كما يقال للطائر ابن ماء لملازمته له ومنه عندي قولهم ابن جلا وقد قيل فيه غير هذا ومنه قولهم بنو الحرب وبنو المجد ولا يعطى بنو هاشم من الصدقة المفروضة قال ابن ماجشون ومطرف وأصغ وابن حبيب ولا من التطوع ولا يعطى مواليتهم لأن مولى القوم منهم وقال ابن القاسم يعطى بنو هاشم من صدقة التطوع ويعطى مواليتهم من الصدقتين ومن سأل من الصدقة وقال إنه فقير فقالت فرقة يعطى دون أن يكلف بيته على فقره بخلاف حقوق الأدميين يدعى معها الفقير فإنه يكلف البيته لأنها حقوق الناس يؤخذ لها بالأحوط وأيضاً فالناس إذا تعلق بهم حقوق آدمي محمولون على الغني حتى يثبت العدم ويظهر ذلك من قوله تعالى ^ وإن كان ذو عسرة ^ أي إن وقع فيعطى هذا أن الأصل الغنى فإن وقع ذو عسرة فنظرة وقالت فرقة الرجل الصحيح الذي لا يعلم فقره لا يعطى إلا أن يعلم فقره وأما إن ادعى أنه غارم أو مكاتب أو ابن سبيل أو في سبيل الله أو نحو ذلك مما لم يعلم منه فلا يعطى إلا بيته قولاً واحداً وقد

قبل في الغارم تباع عروضه وجميع ما يملك ثم يعطى بالفقر ويعطى الرجل قرابته الفقراء وهم أحق من غيرهم فإن كان قريبه غائبا في موضع تقصر إليه الصلاة فجاره الفقير أولى وإن كان في غيبة لا تقصر إليه الصلاة فليل هو أولى من الجار الفقير وقيل الجار أولى ويعطى الرجل قرابته الذين لا تلمزهم نفقتهم وتعطى المرأة زوجها وقال بعض الناس ما لم ينفق ذلك عليها ويعطى الرجل زوجته إذا كانت من الغارمين واختلف

@ 51 @ في ولاء الذي يعتق من الصدقة فقال مالك ولاؤه لجماعة المسلمين وقال أبو عبيد ولاؤه للمعتق وقال عبيد الله بن الحسن يجعل ماله في بيت الصدقات وقال الحسن وأحمد وإسحاق ويعتق من ماله رقاب وإذا كان لرجل على معسر دين فقيل يتركه له ويقطع ذلك من صدقته وقيل لا يجوز ذلك جملة وقيل إن كان ممن لو رفعه للحاكم أمكن أن يؤديه جاز ذلك وإلا لم يجز لأنه قد توي وأما السبيل فهو الذي قدمنا ذكره يعطى الرجل الغازي وإن كان غنيا وقال أصحاب الرأي لا يعطى الغازي في سبيل الله إلا أن يكون منقطعاً به قال ابن المنذر وهذا خلاف ظاهر القرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم # أما القرآن فقولهُ ^ وفي سبيل الله ^ وأما الحديث فقولهُ إلا لخمسة لعامل عليها أو غاز في سبيل الله وأما صورة التفريق فقال مالك وغيره على قدر الحاجة ونظر الإمام يضعها في أي صنف رأى وكذلك المتصدق وقاله حذيفة بن اليمان وسعيد بن جبير وإبراهيم وأبو العالية قال الطبري وقال بعض المتأخرين إذا قسم المتصدق قسم في ستة أصناف لأنه ليس ثم عامل ولأن المؤلف قد انقطعوا فإن قسم الإمام ففي سبعة أصناف وقال الشافعي وعكرمة والزهرري هي ثمانية أقسام لثمانية أصناف لا يخل بواحد منها واحتج الشافعي بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانية أصناف فإن كنت واحداً منها أعطيتك . # قال القاضي أبو محمد والحديث في مصنف أبي داود وقال أبو ثور إذا قسمها الإمام لم يخل بصنف منها وإن أعطى الرجل صدقته صنفاً دون صنف أجزاء ذلك وقال النخعي إذا كان المال كثيراً قسم على الأصناف كلها وإذا كان قليلاً أعطاه صنفاً واحداً # وقالت فرقة من العلماء من له خمسون درهماً فلا يعطى من الزكاة وقال الحسن وأبو عبيد لا يعطى من له أوقية وهي أربعون درهماً قال الحسن وهي غني وقال الشافعي قد يكون الرجل الذي لا قدر له غنياً بالدرهم مع سعيه وتحيله وقد يكون الرجل له القدر والعيال ضعيف النفس والحيلة فلا تغنيه آلاف وقال أبو حنيفة لا يأخذ الصدقة من له مائتا درهم ومن كان له أقل فلا بأس أن يأخذ قال سفيان الثوري لا يدفع إلى أحد من الزكاة أكثر من خمسين درهماً إلا أن يكون غارماً وقال أصحاب الرأي إن أعطى ألفاً وهو محتاج أجزاء ذلك وقال أبو ثور يعطى من الصدقة حتى يغني وبزول عنه اسم المسكنة ولا بأس أن يعطى الفقير الألف وأكثر من ذلك وقال ابن المنذر أجمع أكثر من يحفظ عنه من أهل العلم أن من له دار وخدام لا يستغني عنهما أن يأخذ من الزكاة وللمعتبي أن يعطيه وقال مالك إن لم يكن في ثمن الدار والخدام فضلة على ما يحتاج إليه منهما جاز له الأخذ وإلا لم يجزه وأما الرجل يعطى الآخر وهو بطنه فقيراً فإذا هو غني فإنه إن كان بغير ذلك أخذها منه فإن فاتت نظر فإن كان الأخذ غنياً وأخذها مع علمه بأنها لا تحل له ضمنها على كل وجه وإن كان لم يغر بل اعتقد أنها تجوز له أو لم يتحقق مقصد المعتطي نظر فإن كان أكلها أو لبسها ضمنها وإن كانت تلفت لم يضمن واختلف في أجزاءها عن المتصدق فقال الحسن وأبو عبيدة تجزيه وقال الثوري وغيره لا تجزيه وأهل بلد الصدقة أحق بها إلا أن تفضل فضلة فتنتقل إلى غيرها بحسب نظر الإمام قال ابن حبيب في الواضحة أما المؤلف ^ فانقطع سهمهم وأما سبيل الله فلا بأس أن يعطى الإمام الغزاة إذا قل الفيء في بيت المال

@ 52 @ # قال القاضي أبو محمد وهذا الشرط فيه نظر قال ابن حبيب وينبغي للإمام أن يأمر السعاة بتفريقها بالمواضع التي جبت فيها ولا يحمل منه شيء إلى الإمام إلا أن يرى ذلك لحاجة أو فاقة نزلت بقوم قال مالك ومن له مزرعة أو شيء في ثمنه إذا باعه ما يغنيه لم يجز له أخذ الصدقة وهذه جملة من فقه الآية كافية على شرطنا في الإيجاز والله الموفق برحمته وقوله تعالى ^ فريضة من الله ^ آية موجبة محدودة وهو مأخوذ من الفرض في الشيء بمعنى الحز والقطع ثبوت ذلك ودوامه شبه ما يفرض من الأحكام ونصب ^ فريضة ^ على المصدر ثم وصف نفسه تعالى بصفتين مناسبتين لحكم هذه الآية لأنه صدر عن علم منه بخلقه وحكمة منه في القسمة بينهم # قوله عز وجل \$ التوبة 61 - 63 \$ الضمير في قوله ^ ومنهم ^ عائد على المنافقين و ^ يؤذون ^ لفظ يعم جميع ما كانوا يفعلونه ويقولونه في جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى وخص بعد ذلك من قولهم ^ هو أذن ^ وروي أن قائل هذه اللفظة نبتل بن الحارث وكان من مردة المنافقين وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث وكان نائر الرأس منتفش الشعرة أحمر العينين أسفع الخدين مشوهاً وروي عن الحسن البصري ومجاهد أنهما تأولا أنهم أرادوا بقولهم ^ هو أذن ^ أي يسمع منا معاذيرنا وتنصلنا ويقبله أي فنحن لا نبالي عن أذاه ولا الوقوع فيه إذ هو سماع لكل ما يقال من اعتذار ونحوه فهذا تنقص بقلة الحزامة والانخداع وروي عن ابن عباس وجماعة معه أنهم أرادوا بقولهم ^ هو أذن ^ أي يسمع كل ما ينقل إليه عنا ويصغي إليه ويقبله فهذا تشكك منه ووصف بأنه يسوغ عنده الأباطيل والنمائم ومعنى ^ أذن ^ سماع ويسمى الرجل السماع لكل قول أذنا إذا كثر منه استعمال الأذن فهذه تسمية الشيء بالشيء إذا كان منه بسبب كما يقال للريئة عين وكما يقال للمسننة من الإبل التي قد بزل نابها ناب ويقبل معنى الكلام ذو أذن أي ذو سماع وقيل إن قوله ^ أذن ^ مشتق من قولهم أذن للشيء إذا استمع كما قال الشاعر وهو علي بن زيد # (أيها القلب تغلب بدين % إن همي في سماع وأذن) + الرمل + # وفي التنزيل ^ وأذنت لربها وحقت ^ ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كآذنه لئني يتغنى بالقرآن ومن هذا قول الشاعر عدي بن زيد

@ 53 @ # (في سماع بأذن الشيخ له % وحديث مثل ماذي مشار) + الرمل + # ومنه قول الآخر قعنب بن أم صاحب # (صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به % وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا) + البسيط + # وقرأ نافع أذن بسكون الذال فيهما وقرأ الياقون أذن بضم الذال فيهما وكلمهم قرأ بالإضافة إلى ^ خير ^ إلا ما روي عن عاصم وقرأ الحسن بن أبي الحسن ومجاهد وعيسى بخلاف قل أذن خير برفع خير وتنوين أذن وهذا يجري مع تأويل الحسن الذي ذكرناه أي من يقبل معاذيركم خير لكم ورويت هذه القراءة عن عاصم ومعنى أذن خير على الإضافة أي سماع خير وحق ^ ويؤمن بالله ^ ومعناه يصدق بالله ^ ويؤمن للمؤمنين ^ قيل معناه ويصدق المؤمنين واللام زائدة كما هي في قوله ^ ردف لكم ^ وقال المبرد هي متعلقة بمصدر مقدر من الفعل كأنه قال وإيمانه للمؤمنين أي تصديقه ويقال أمنت لك بمعنى صدقتك ومنه قوله تعالى ^ وما أنت بمؤمن لنا ^ # قال القاضي أبو محمد وعندني أن هذه التي معها اللام في ضمنها باء فالمعنى ويصدق للمؤمنين بما يخبرونه وكذلك ^ وما أنت بمؤمن لنا ^ بما نقوله لك والله المستعان وقرأ جميع السبعة إلا حمزة ورحمة بالرفع عطفاً على ^ أذن ^ وقرأ حمزة وحده ورحمة بالخفض عطفاً على ^ خير ^ وهي قراءة أبي بن كعب وعبد الله والأعمش وخصص الرحمة ^ للذين آمنوا ^ إذ هم الذين نجوا بالرسول وفازوا به ثم أوجب تعالى للذين يؤذون رسول الله العذاب الأليم وحتم عليهم به وقوله تعالى ^ يحلفون بالله لكم ^ الآية ظاهر هذه الآية أن المراد بها جميع المنافقين الذين يحلفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بأنهم منهم في الدين وأنهم معهم في كل أمر وكل حزب وهم في ذلك يبطنون النفاق ويتربصون الدوائر وهذا قول جماعة من أهل التأويل وقد روت فرقة أنها نزلت بسبب رجل من المنافقين قال إن كان ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم حقاً فانا شر من الخمر فيلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه ووقف على قوله ووبخه وحلف مجتهداً أنه ما فعل فنزلت الآية في ذلك وقوله ^ والله ^ مذهب سيبويه أنهما جملتان جذفت الأولى دلالة الثانية عليها والتقدير عنده والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه وهذا كقول الشاعر # (نحن بما عندنا وأنت بما عندك % راض والرأي مختلف) + المنسرح + # ومذهب المبرد أن في الكلام تقدماً وتأخيراً وتقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله قال وكانوا يكرهون أن يجمع الرسول مع الله في ضمير حكاة النقاش عنه وليس هذا بشيء وفي مصنف أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فجمع في ضمير وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر بنس الخطيب أنت إنما ذلك وقف في يعصهما فأدخل العاصي في الرشد وقيل الضمير في ^ يرضوه ^ عائد على المذكور كما قال رؤبة # (فيها خطوط من سواد وبلق % كأنه في الجلد توليع البهق) + الرجز +

@ 54 # وقوله ^ إن كانوا مؤمنين ^ أي على قولهم ودعواهم وقوله ^ ألم يعلموا ^ الآية قوله ^ ألم ^ تقرير ووعيد وفي مصحف أبي بن كعب ألم تعلم علي خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو وعيد لهم وقرأ الأعرج والحسن ألم تعلموا بالتاء ^ يحادد ^ معناه يخالف ويشاق وهو أن يعطي هذا حده وهذا حده لهذا وقال الزجاج هو أن يكون هذا في حد وهذا في حد وقوله ^ فإن ^ مذهب سيبويه أنها بدل من الأولى وهذا معترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى والأولى في هذا الموضوع لم يأت خبرها بعد إذ لم يتم جواب الشرط وتلك الجملة هي الخبر وأيضا فإن الفاء تمنع البديل وأيضا فهي في معنى آخر غير الأول فيقلق البديل وإذا تلتفت للبديل فهو بدل الاشتمال وقال غير سيبويه هي مجردة لتأكيد الأولى وقالت فرقة من النحاة هي في موضع خبر ابتداء تقديره فواجب أن له وقيل المعنى فله أن له وقالت فرقة هي ابتداء والخبر مضمرة تقديره فإن له نار جهنم واجب وهذا مردود لأن الابتداء بأن لا يجوز مع إضمار الخبر قاله المبرد وحكي عن أبي علي الفارسي قول يقرب معناه من معنى القول الثالث من هذه التي ذكرنا لا أقف الآن على لفظه وجميع القراء على فتح أن الثانية وحكى الطبري عن بعض نحويي البصرة أنه اختار في قراءتها كسر الألف وذكر أبو عمرو الداني أنها قراءة ابن أبي عيلة ووجهه في العربية قوي لأن الفاء تقتضي القطع والاستئناف ولأنه يصلح في موضعها الاسم ويصلح الفعل وإذا كانت كذلك وجب كسرها # قوله عز وجل \$ سورة التوبة 64 - 66 # قوله ^ يحذر ^ خبر عن حال قلوبهم وحذرهم إنما هو أن تتلى سورة ومعتقدهم هل تنزل أم لا ليس بنص في الآية لكنه ظاهر فإن حمل على مقتضى نفاقهم واعتقادهم أن ذلك ليس من عند الله فوجه بين وإن قيل إنهم يعتقدون نزول ذلك من عند الله وهم ينافقون مع ذلك فهذا كفر عناد وقال الزجاج وبعض من ذهب إلى التحرز من هذا الاحتمال معنى يحذر الأمر وإن كان لفظه لفظ الخير كأنه يقول ليحذر وقرأ أبو عمرو وجماعة معه أن تنزل ساكنة النون خفيفة الزاي وقرأ بفتح النون مشددة الزاي الحسن والأعرج وعاصم والأعمش ^ أن ^ من قوله ^ أن تنزل ^ مذهب سيبويه أن ^ يحذر ^ عامل فهي مفعولة وقال غيره حذر إنما هي من هيئات النفس التي لا تتعدى مثل فرع وإنما التقدير يحذر المنافقون من أن تنزل عليهم سورة وقوله ^ قل استهزئوا ^ لفظه الأمر ومعناه التهديد ثم ابتداء الإخبار عن أنه يخرج لهم إلى حيز الوجود ما يحذرونه وفعل ذلك تبارك وتعالى في سورة براءة فهي تسمى الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وقال الطبري كان المنافقون إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا شيئا من أمره قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فنزلت الآية في ذلك

@ 55 # قال القاضي أبو محمد وهذا يقتضي كفر العناد الذي قلناه وقوله ^ ولئن سألتهم ^ الآية نزلت على ما ذكر جماعة من المفسرين في ودبعة بن ثابت وذلك أنه مع قوم من المنافقين كانوا يسبرون في غزوة تبوك فقال بعضهم لبعض هذا يريد أن يفتح قصور الشام ويأخذ حصون بني الأصفر هيئات فوقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا ^ إنما كنا نخوض ونلعب ^ يريدون كنا غير مجدين وذكر ابن إسحاق أن قوما منهم تقدموا النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كأنكم والله غدا في الحبال أسرى لبني الأصفر إلى نحو هذا من القول فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر أدرك القوم فقد احترقوا وأخبرهم بما قالوا ونزلت الآية وروي أن ودبعة بن ثابت المذكور قال في جماعة من المنافقين ما رأيت كقرائنا هؤلاء لا أرغب بطوننا ولا أكثر كذبا ولا أجن عند اللقاء فعنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه المقالة فقالوا ^ إنما كنا نخوض ونلعب ^ ثم أمره بتقريرهم ^ أبالله وأياته ورسوله كنتم تستهزئون ^ وفي ضمن هذا التقرير وعيد وذكر الطبري عن عبد الله بن عمر أنه قال رأيت قائل هذه المقالة ودبعة متعلقا بحق ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيا والحجارة تنكبه وهو يقول ^ إنما كنا نخوض ونلعب ^ والنبي يقول (^ أبالله وأياته ورسوله كنتم تستهزئون ^ وذكر النقاش أن هذا المتعلق كان عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك خطأ لأنه لم يشهد تبوك وقوله تعالى لا تعتذروا ^ الآية المعنى قل لهم يا محمد لا تعتذروا على جهة التوبيخ كأنه قال لا تغفلوا ما لا ينفع # ثم حكم عليهم بالكفر فقال لهم ^ قد كفرتم بعد إيمانكم ^ الذي زعمتموه ونطقتم به وقوله ^ عن طائفة منكم ^ يريد فيما ذكر المفسرون رجلا واحدا قيل اسمه مخش بن حفيظ قاله ابن إسحاق وقال ابن هشام ويقال فيه مخشي وقال خليفة بن خياط في تاريخه مخاشن بن حمير وذكر ابن عبد البر مخاشن الحميري وذكر جميعهم أنه استشهد باليمامة وكان قد تاب وتسمى عبد الرحمن فدعا الله أن يستشهد ويجهل أمره فكان ذلك باليمامة ولم يوجد جسده وذكر أيضا ابن عبد البر محشي بن حمير بضم الحاء وفتح الميم وسكون الياء ولم يتقن القصة وكان محشي مع المنافقين الذين قالوا ^ إنما كنا كنا نخوض ونلعب ^ فقيل كان منافقا ثم تاب توبة صحيحة وقيل كان مسلما مخلصا إلا أنه سمع كلام المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم فعفا الله عنه في كلا الوجهين ثم أوجب العذاب لباقى المنافقين الذين قالوا ما تقدم وقرأ جميع السبعة سوى عاصم أن يعف عن طائفة بالياء تعذب بالتاء وقرأ الجحدري إن يعف بالياء على تقدير يعذب الله طائفة بالنصب وقرأ عاصم وزيد بن ثابت وأبو عبد الرحمن أن تعف بالنون تعذب بنون الجميع أيضا وقرأ مجاهد إن تعف بالتاء المضمومة على تقدير إن تعف هذه الذنوب تعذب بالتاء أيضا # قوله عز وجل \$ سورة التوبة 67 - 69

@ 56 # هذا ابتداء إخبار عنهم وحكم من الله تعالى عليهم بما تضمنته الآية فقوله ^ بعضهم من بعض ^ يريد في الحكم والمنزلة من الكفر وهذا نحو قولهم الأذنان من الرأس يريدون في حكم المسح وإلا فمعلوم أنهما من الرأس ولما تقدم قبل وما هم منكم حسن هذا الإخبار وقوله ^ يأمرن بالمنكر ^ يريد بالكفر وعبادة غير الله وسائر ذلك من الآية لأن المنافقين الذين نزلت هذه الآيات فيهم لم يكونوا أهل قدرة ولا أفعال ظاهرة وذلك بسبب ظهور الإسلام وكلمة الله عز وجل والقبض هو عن الصدقة وفعل الخير وقوله تعالى ^ نسوا الله فنسيهم ^ أي تركوه حين تركوا نبيه وشرعته فتركهم حين لم يهدهم ولا كفاهم عذاب النار وإنما يعبر بالنسيان عن الترك مبالغة إذا بلغ وجوه الترك الوجه الذي يقتدر به نسيان وعلى هذا يجيء ^ ولا تنسوا الفضل بينكم ^ ولا تنس نصيبك من الدنيا ^ ثم حكم عليهم عز وجل بالفسق وهو فسوق الكفر المقتضي للخلود في النار # وكان قتادة يقول ^ فنسيهم ^ أي من الخير ولم ينسهم من الشر وقوله ^ وعد الله المنافقين ^ الآية لما قيد الوعد بالتصريح بالشر صك ذلك وحسن وإن كانت آية وعيد محض و ^ الكفار ^ في هذه الآية المعلنون وقوله ^ أي حسبيهم ^ أي كافيهم وكافية جرمهم وكفرهم نكالا وجزاء فلو تمنى أحد لهم عذابا لكان ذلك عنده حسبا لهم ^ ولعنهم الله معناه أبعدهم عن رحمته و ^ عذاب مقيم ^ معناه مؤبد لا نقلة له وقوله تعالى ^ كالذين من قبلكم ^ الآية أمر الله نبيه أن يخاطب بها المنافقين فيقول لهم ^ كالذين من قبلكم ^ والمعنى أنتم كالذين أو مثلكم مثل الذين من قبلكم وقال الزجاج المعنى وعدا كما وعد الذين من قبلكم فهو متعلق بوعد # قال القاضي أبو محمد وهذا قلق ثم قال ^ كانوا أشد منكم ^ وأعظم فعصوا فاهلكوا فاتم أحرى بالإهلاك لمعصيتكم وضعفكم والخلاق الحظ من القدر والدين وجميع حال المرء وخلق المرء الشيء الذي هو به خليق والمعنى عجلوا حظهم في دنياهم وتركوا باب الآخرة فاتبعتموهم أنتم # قال القاضي أبو محمد وأورد الطبري في تفسير هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم لتبتعن سنن من قبلكم شبرا بشرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وما شاكل هذا الحديث مما يقتضي اتباع محمد صلى الله عليه وسلم لسائر الأمم وهو معنى لا يليق بالآية جدا إذ هي مخاطبة لمنافقين كفار أعمالهم حابطة والحديث مخاطبة لموحدين يتبعون سنن من مضى في أفعال دينوية لا تخرج عن

@ 57 @ الدين وقوله ^ خصتم كالذي خاضوا ^ أي خلطتم كالذي خلطوا وهو مستعار من الخوض في المائعات ولا يستعمل إلا في الباطل لأن التصرف في الحقائق إنما هو على ترتيب ونظام وأمور الباطل إنما هي خوض ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم رب متخوض في مال الله له النار يوم القيامة ثم قال تعالى ^ أولئك حبطن أعمالهم في الدنيا والآخرة ^ فيحتمل أن يراد ب ^ أولئك ^ القوم الذين وصفهم بالشدة وكثرة الأموال والاستمتاع بالخلاق والمعنى وأنتم أيضا كذلك يعتربكهم بإعراضكم عن الحق ويحتمل أن يريد ب ^ أولئك ^ المنافقين المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم ويكون الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك خروج من خطاب إلى خطاب غير الأول وحيط العمل وما جرى مجراه يحيط حيطا إذا بطل بعد التعب فيه وحيط البطن حيطا بفتح الباء وهو داء في البطن ومنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم إن مما بنيت الربيع ما يقتل حيطا أو يلم وقوله ^ في الدنيا ^ معناه إذا كان في المنافقين ما يصيبهم في الدنيا من المقت من المؤمنين وفساد أعمالهم عليهم وفي الآخرة بان لا تنفع ولا يقع عليها جزاء ويقوي أن الإشارة ب ^ أولئك ^ إلى المنافقين قوله في الآية المستقبلة ^ ألم يأتهم ^ فتأمل # قوله عز وجل \$ التوبة 70 - 72 # يقول عز

وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ألم بأث هؤلاء المنافقين خبر الأمم السالفة التي عصت الله بتكذيب رسله فأهلكها[^] وعاد وثمود[^] قبيلتان[^] وقوم إبراهيم[^] نمرود وأصحابه وتباع دولته[^] وأصحاب مدين[^] قوم شعيب[^] والمؤتفكات[^] أهل القرى الأربعة وقيل السبعة الذين بعث إليهم لوط صلى الله عليه وسلم ومعنى[^] المؤتفكات[^] المنصرفات والمنقلبات أفكت فانتفكت لأنها جعل أعاليها أسفلها وقد جاءت في القرآن مفردة تدل على الجمع ومن هذه اللفظة قول عمران بن حطان # (ابن منطلق مستبين غير ملتبس % به اللسان وإني غير مؤتفك) + البسيط + # أي غير منقلب منصرف مضطرب ومنه يقال للريح مؤتفكة لتصرفها ومنه[^] أتى يؤفكون[^] والإفك[^] صرف القول من

@ 58 @ الحق إلى الكذب والضمير في قوله[^] أتتهم رسلهم[^] عائد على هذه الأمم المذكورة وقيل على[^] المؤتفكات[^] خاصة وجعل لهم رسلا وإنما كان نبيهم واحدا لأنه كان يرسل إلى كل قرية رسولا داعيا فهم رسل رسول الله ذكره الطبري والتأويل الأول في عود الضمير على جميع الأمم أمين وقوله[^] بالبينات[^] يريد بالمعجزات وهي بيينة في أنفسها بالإضافة إلى الحق لا بالإضافة إلى المكذبين بها ولما فرغ من ذكر المنافقين بالأنبياء التي ينبغي أن تصرف عن النفاق وتنتهي عنه عقب ذلك بذكر المؤمنين بالأنبياء التي ترغب في الإيمان وتنشط إليه تطلقا منه تعالى بعباده لا رب غيره وذكرت هنا الولاية إذ لا ولاية بين المنافقين لا شفاعة لهم ولا يدعوا بعضهم لبعض وكان المراد هنا الولاية في الله خاصة وقوله[^] بالمعروف[^] يريد بعبادة الله وتوحيده وكل ما أتبع ذلك وقوله[^] عن المنكر[^] يريد عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك وذكر الطبري عن أبي العالية أنه قال كل ما ذكر الله في القرآن من الأمر بالمعروف فهو دعاء من الشرك إلى الإسلام وكل ما ذكر من النهي عن المنكر فهو النهي عن عبادة الأوثان والشياطين وقال ابن عباس في قوله[^] ويقومون الصلاة[^] هي الصلوات الخمس # قال القاضي أبو محمد وبحسب هذا تكون[^] الزكاة[^] المفروضة والمدح عندي بالنوافل أبلغ إذ من يقيم النوافل أخرى بإقامة الفرض وقوله[^] ويطيعون الله ورسوله[^] جامع للمندوبات والسين في قوله[^] سيرحهم[^] مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تنعم برجائه وفضله تعالى زعيم بالإيجاز وقوله تعالى[^] وعد الله المؤمنين[^] الآية وعد في هذه الآية صريحة في الخيرة وقوله[^] إنا من تحت أشجارها وإما من تحت علياتها وإما من تحتها بالإضافة إلى مبدأ كما تقول في دارين متجاورتين متساويتين المكان هذه تحت هذه وذكر الطبري في قوله[^] ومساکن طيبة[^] عن الحسن أنه قال سألت عنهما عمران بن الحصين وأبا هريرة فقالا على الخير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون دارا من باقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا ونحو هذا مما يشبه هذه الألفاظ أو يقرب منها فاختصرتها طلب الإيجاز وأما قوله[^] في جنات عدن[^] فمعناه في جنات إقامة وثبوت يقال عدن الشيء في المكان إذا أقام به وثبت ومنه المعدن أي موضع ثبوت الشيء ومنه قول الأعشى # (وإن يستضيفوا إلى حلمه % يضافوا إلى راجح قد عدن) # هذا الكلام اللغوي وقال كعب الأحبار[^] جنات عدن[^] هي بالفارسية جنات الكروم والأعشاب # قال القاضي أبو محمد وأظن هذا وهما اختلط بالفردوس وقال الضحاك[^] جنات عدن[^] هي مدينة الجنة وعظمها فيها الأنبياء والعلماء والشهداء وأئمة العدل والناس حولهم بعد والجنات حولها وقال ابن مسعود عدن هي بطنان الجنة وسرتها وقال عطاء عدن نهر في الجنة جناته على حافته وقال الحسن عدن قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ومد بها صوته # قال القاضي أبو محمد والآية تأتي هذا التخصيص إذ قد وعد الله بها جمع المؤمنين وأما قوله[^] ورضوان من الله أكبر[^] فروي فيه أن الله عز وجل يقول لعباده إذا استقروا في الجنة هل رضيتم فيقولون

@ 59 @ وكيف لا نرضى يا ربنا فيقول إنني سأعطيكم أفضل من هذا كله رضواني أرضى عليكم فلا أسخط عليكم أبدا الحديث وقوله[^] أكبر[^] يريد أكبر من جميع ما تقدم ومعنى الآية والحديث متفق وقال الحسن بن أبي الحسن وصل إلى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو أذ عندهم وأقر لأعينهم من كل شيء أصابوه من لذة الجنة . # قال القاضي أبو محمد وبظهور أن يكون قوله تعالى[^] ورضوان من الله أكبر[^] إشارة إلى منازل المقربين الشاربيين من تسنيم والذين يرون كما يرى النجم الفائر في الأفق وجميع من في الجنة راض والمنازل مختلفة وفضل الله تعالى متسع و[^] الفوز[^] النجاة والخلص ومن[^] أدخل الجنة فقد فاز[^] والمقربون هم في الفوز العظيم والعبارة عندي عن حالهم بسرور وكمال أجود من العبارة عنها بلذة واللذة أيضا مستعملة في هذا . # قوله عز وجل \$ التوبة 73 - 74 \$ # قوله[^] جاهد[^] مأخوذ من بلوغ الجهد وهي مقصود بها المكافحة والمخالفة وتنوع بحسب المجاهد فجاهد الكافر المعلن بالسيف وجاهد المنافق المتمسك باللسان والتعنيف والاكفهار في وجهه ونحو ذلك ألا ترى أن من ألفاظ الشرع قوله صلى الله عليه وسلم والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله فجاهد النفس إنما هو مصابرتها بتباعد الحق وترك الشهوات فهذا الذي يليق بمعنى هذه الآية لكننا نجلب قول المفسرين نضا لتكون معرضة للنظر قال الزجاج وهو متعلق في ذلك بألفاظ ابن مسعود أمر في هذه الآية بجهاد الكفار والمنافقين بالسيف وأبج له فيها قتل المنافقين قال ابن مسعود إن قدر وإلا فياللسان وإلا فيالقلب والاكفهار في الوجه # قال القاضي أبو محمد والقتل لا يكون إلا مع التجليح ومن جلع خرج عن رتبة النفاق وقال ابن عباس المعنى جاهد المنافقين باللسان وقال الحسن بن أبي الحسن المعنى جاهد المنافقين بإقامة الحدود عليهم قال وأكثر ما كانت الحدود يومئذ تصيب المنافقين . # قال القاضي أبو محمد ووجه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم المنافقين بالمدينة أنهم لم يكونوا محلحين بل كان كل مغموص عليه إذا وقف ادعى الإسلام فكان في تركهم إبقاء وحيطة للإسلام ومخافة أن تنفر العرب إذا سمعت أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل من يظهر الإسلام وقد أوجبت هذا المعنى في صدر سورة البقرة ومذهب الطبري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم ويستترهم وأما قوله

@ 60 @ تعالى[^] واغلظ عليهم[^] لفظة عامة تتصرف في الأفعال والأقوال واللحظات ومنه قوله تعالى[^] ولو كنت فظا غليظ القلب[^] ومنه قول النسوة لعمر بن الخطاب أنت أظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الغلظ خشن الجانب فهي ضد قوله تعالى[^] واخفص جناحك لمن أتبعك من المؤمنين[^] ثم جرت الآية المؤمنين عليهم في عقب الأمر بإخباره أنهم في جهنم والمعنى هم أهل لجميع ما أمرت أن تفعل بهم والماوى حيث يأوي الإنسان ويستقر وقوله[^] يحلفون بالله ما قالوا[^] الآية هذه الآية نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت وذلك لأنه كان يأتي من قباء ومعه ابن امرأته عمير بن سعد فيما قال ابن إسحاق وقال عروة اسمه مصعب وقال غيره وهما على حمارين # وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمى قوما ممن اتهمهم بالنفاق وقال إنهم رجس فقال الجلاس للذي كان يسير معه والله ما هؤلاء الذين سمى محمد إلا كبراؤنا وسادتنا ولئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من حمرا هذا فقال له ربيبه أو الرجل الآخر والله إنه لحق وإنك لشرك ثم خشى الرجل من أن يلحقه في دينه درك فخرج وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصة فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في الجلاس فقرره فحلف بالله ما قال فنزلت هذه الآية والإشارة ب[^] كلمة الكفر[^] إلى قوله إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمر إن التكذيب في قوة هذا الكلام قال مجاهد وكان الجلاس لما قال له صاحبه إنني سأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولك هم بقلته ثم لم يفعل عجزا عن ذلك فألى هذا هي الإشارة بقوله[^] وهما بما لم ينالوا[^] وقال قتادة بن دعامة نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك أن سنان بن وبرة الأنصاري والجهجاه الغفاري كسع أحدهما رجل الآخر في غزوة المريسيع فثاروا فصاح جهجاه بالأنصار وصاح سنان بالمهاجرين فثار الناس فهذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي ابن سلول ما أرى هؤلاء إلا قد تداعوا علينا ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال الأول سمن كليلك يأكلك ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف أنه لم يقل ذلك فنزلت الآية مكذبة له والإشارة ب[^] كلمة الكفر[^] إلى تمثيله سمن كليلك يأكلك قال قتادة والإشارة ب[^] هموا[^] إلى قوله لئن رجعنا إلى المدينة وقال الحسن هم المنافقون من إظهار الشرك ومكابرة النبي صلى الله عليه وسلم بما لم ينالوا وقال تعالى[^] بعد إسلامهم[^] ولم يقل بعد إيمانهم لأن ذلك لم يتجاوز سنتهم وقوله تعالى[^] وما نعموا إلا أن أغناهم الله ورسوله[^] معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفذ لعبد الله بن أبي ابن سلول دية كانت قد تعطلت له ذكر عكرمة أنها كانت اثني عشر ألفا وقيل بل كانت للجلاس # قال القاضي أبو محمد وهذا بحسب الخلاف المتقدم فيمن نزلت

الآية من أولها وتقدم اختلاف القراء في ^ نقموا ^ في سورة الأعراف وقرأها أبو حيوة وابن أبي عبله بكسر القاف وهي لغة وقوله ^ إلا أن أغناهم الله ^ استثناء من غير الأول كما قال النابغة # (ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم % بهن فلول من قراع الكتاب) # فكان الكلام وما نقموا إلا ما حقه أن يشكر وقال مجاهد في قوله ^ وهما بما لم ينالوا ^ إنها نزلت

@ 61 @ في قوم من قريش أرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم # قال القاضي أبو محمد وهذا لا يناسب الآية وقالت فرقة إن الجلاس هو الذي هم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يشبه الآية إلا أنه غير قوي السند وحكى الزجاج أن اثني عشر من المنافقين هموا بذلك فأطلع الله عليهم وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في إغنائهم من حيث كثرت أموالهم من الغنائم فرسول الله صلى الله عليه وسلم سبب في ذلك وعلى هذا الحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار كنتم عالة فأغناكم الله بي ثم فتح عز وجل لهم باب التوبة رفقا بهم ولطفا في قوله ^ فإن يتوبوا يك خيرا لهم ^ # وروي أن الجلاس تاب من النفاق فقال إن الله قد ترك لي باب التوبة فاعترف وأخلص وحسنت توبته والعذاب الأليم اللاحق بهم في الدنيا هو المقمت والخوف والهجنة عند المؤمنين # قوله عز وجل \$ التوبة 75 - 78 \$ هذه الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري وقال الحسن وفي معتب بن قشير معه واختصار ما ذكره الطبري وغيره من أمره أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعل لي مالا فإني لو كنت ذا مال لقصيت حقوقه وفعلت فيه الخير فراده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فعاود فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ألا تريد أن تكون مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو دعوت الله أن يسير الجبال معي ذهابا لسارت فأعاد عليه حتى دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة ففتحها عنها وكثرت غنمه فكان لا يصلي إلا الجمعة ثم كثرت حتى تنحى بعيدا ونجم نفاقه ونزل خلال ذلك فرض الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث مصدقين بكتابه في أخذ زكاة الغنم فلما بلغوا ثعلبة وقرأ الكتاب قال هذه أخت الجزية ثم قال لهم دعوني حتى أرى رأيي فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه قال ويح ثعلبة ثلاثا ونزلت الآية فيه فحضر القصة قريب لثعلبة فخرج إليه فقال أدرك أمرك فقد نزل كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغب أن يؤدي زكاته فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الله أمرني أن لا أخذ زكاتك فبقي كذلك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ورد ثعلبة على أبي بكر ثم على عمر ثم على عثمان يرغب إلى كل واحد منهم أن يأخذ منه الزكاة فكلهم رد ذلك وأباه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي .

@ 62 @ ثعلبة كذلك حتى هلك في مدة عثمان . # وفي قوله تعالى ^ فأعقبهم ^ نص المعاوية على الذنب بما هو أشد منه وقوله ^ إلى يوم يلقونه ^ يقتضي موافقتهم على النفاق ولذلك لم يقبل الخلفاء رضي الله عنهم رجوع ثعلبة لشهادة القرآن عليه بالموافاة ولولا الاحتمال في أنه نفاق معصية لوجب قتله وقرأ الأعمش لنصدقن بالنون الثقيلة مثل الجماعة ولنكون خفيفة النون والضمير الذي في قوله ^ فأعقبهم ^ يعود على الله عز وجل # ويحتمل أن يعود على البخل المضمن في الآية ويضعف ذلك الضمير في ^ يلقونه ^ وقوله ^ نفاقا في قلوبهم ^ يحتمل أن يكون نفاق كفر ويكون تقرير ثعلبة بعد هذا النص والإبقاء عليه لمكان إظهاره الإسلام وتعلقه بما فيه احتمال # ويحتمل أن يكون قوله ^ نفاقا ^ يريد به نفاق معصية وقله استقامة فيكون تقريره صحيحا ويكون ترك في أول الزكاة عقابا له ونكالا # وهذا نحو ما روي أن عاملا كتب إلى عمر بن عبد العزيز أن فلانا يمنع الزكاة فكتب إليه أن دعه واجعل عقوبته أن لا يؤدي الزكاة مع المسلمين يريد لما يلحقه من المقمت في ذلك وقرأ الحسن والأعرج وأبو عمرو وعاصم ونافع وسائرهم ^ يكذبون ^ قرأ أبو رجاء يكذبون وذكر الطبري في هذه الآية ما يناسبها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان وفي حديث آخر وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر ونحو هذا من الأحاديث ويظهر من مذهب البخاري وغيره من أهل العلم أن هذه الذميمة منافق من اتصف بها إلى يوم القيامة # وروي أن عمرو بن العاص لما احتضر قال زوجوا فلانا فإني قد وعدته لا ألقى الله بثلاث النفاق وهذا ظاهر كلام الحسن بن أبي الحسن وقال عطاء بن أبي رباح قد فعل هذه الخلال إخوة يوسف ولم يكونوا منافقين بل كانوا أنبياء وهذه الأحاديث إنما هي في المنافقين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذين شهد الله عليهم وهذه هي الخصال في سائر الأمة معاص لا نفاق # قال القاضي أبو محمد ولا محالة أنها كانت مع التوحيد والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم معاص لكنها من قبيل النفاق اللغوي وذكر الطبري عن فرقة أنها قالت كان العهد الذي عاهد الله عليه هؤلاء المنافقون شيئا نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به . # قال القاضي أبو محمد وهذا فيه نظر وقوله ^ ألم يعلموا ^ الآية لفظ به تعلق من قال في الآية المتقدمة إن العهد كان من المنافقين بالنية لا بالقول وقرأ الجمهور يعلموا بالياء من تحت وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن ألم تعلموا بالتاء من فوق وهذه الآية تناسب حالهم وذلك أنها تضمنت إحاطة علم الله بهم وحصره لهم وفيها توبيخهم على ما كانوا عليه من التحدث في نفوسهم من الاجتماع على تلب الإسلام وراحة بعضهم مع بعض في جهة النبي صلى الله عليه وسلم وشرعه فهي نعم المنافقين أجمع وقائل المقالة المذكورة ذهب إلى أنها تختص بالفرقة التي عاهدت .

@ 63 @ # قوله عز وجل \$ التوبة 79 - 80 \$ قوله ^ الذين يلمزون ^ رد على الضمائر في قول ^ يكذبون ^ و ^ ألم يعلموا ^ و ^ سرهم ونجواهم ^ و ^ يلمزون ^ معناه ينالون بألسنتهم وقرأ السبعة يلمزون بكسر الميم وقرأ الحسن وأبو رجاء ويعقوب وابن كثير فيما روي عنه يلمزون بضم الميم و ^ المطوعين ^ لفظة عموم في كل متصدق والمراد به الخصوص فيمن تصدق بكثير دل على ذلك قوله عطف على ^ المطوعين ^ والذين لا يجدون ^ ولو كان ^ الذين لا يجدون ^ قد دخلوا في ^ المطوعين ^ لما ساع عطف الشيء على نفسه وهذا قول أبي علي الفارسي في قوله عز وجل ^ من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل ^ فإنه قال المراد بالملائكة من عدا هذين . # وكذلك قال في قوله ^ فيهما فاكهة ونخل ورمان ^ وفي هذا كله نظر لأن التكرار لقصد التشريف يسوغ هذا مع تجوز العرب في كلامها وأصل ^ المطوعين ^ المتطوعين فأبدل التاء طاء وأدغم وأما المتصدق بكثير الذي كان سببا للآية فأكثر الروايات أنه عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف وأمسك مثلها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت # وقيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصدق بنصف ماله وقيل عاصم بن عدي تصدق بمائة وسق وأما المتصدق بقليل فهو أبو عقيل حجاب الأراشي تصدق بصاع من تمر وقال يا رسول الله جررت البارحة بالجرير وأخذت صاعين تركت أحدهما لعيالي وأتيت بالآخر صدقة فقال المنافقون الله غني عن صدقة هذا وقال بعضهم إن الله غني عن صاع أبي عقيل وقيل إن الذي لمز في القليل أبو خيثمة قاله كعب بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وتصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف وقيل بأربعمائة أوقية من فضة وقيل أقل من هذا . # فقال المنافقون ما هذا إلا رياء فنزلت الآية في هذا كله وقوله ^ فيسخرن ^ معناه يستهزئون ويستخفون وهو معطوف على ^ يلمزون ^ واعتراض ذلك بأن المعطوف على الصلة فهو من الصلة وقد دخل بين هذا المعطوف والمعطوف عليه قوله ^ والذين لا يجدون ^ وهذا لا يلزم لأن قوله ^ والذين ^ معمول للذي عمل في ^ المطوعين ^ فهو بمنزلة قوله جاءني الذي ضرب زيدا وعمرا فقتلتهما وقوله ^ سخر الله منهم ^ تسمية العقوبة باسم الذنب وهي عبارة عما حل بهم من المقمت والذل في نفوسهم وقوله ^ ولهم عذاب أليم ^ معناه مؤلم وهي آية وعيد محض وقرأ جمهور جهدهم بضم الجيم وقرأ

@ 64 @ الأعرج وجماعة معه جهدهم بالفتح وقيل هما بمعنى واحد وقاله أبو عبيدة وقيل هما لمعينين الضم في المال والفتح في تعب الجسم ونحوه عن الشعبي وقوله ^ الذين يلمزون ^ يصح أن يكون خبر ابتداء تقديره هم الذين ويصح أن يكون ابتداء وخبره ^ سخر ^ وفي ^ سخر ^ معنى الدعاء عليهم . # ويحتمل أن يكون خبرا مجردا عن الدعاء ويحتمل أن يكون ^ الذين ^ صفة جارية على ما قبل كما ذكرت أول الترجمة وقوله تعالى ^ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ^ يحتمل معنيين أحدهما أن يكون لفظ أمر ومعناه الشرط بمعنى إن استغفرت أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فيكون مثل قوله تعالى ^ قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم ^

وبمنزلة قول الشاعر + كثير + # (أسئتي لنا أو أحسنى لا ملومة % لدينا ولا مقلية إن تقلت) # وإلى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره في معنى الآية والمعنى الثاني الذي يحتمله اللفظ أن يكون تخييرا كأنه قال له إن شئت فاستغفر وإن شئت لا تستغفر ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم وإن استغفر سبعين مرة ^ وهذا هو الصحيح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبينه ذلك # وذلك أن عمر بن الخطاب سمعه بعد نزول هذه الآية يستغفر لهم فقال يا رسول الله أنتستغفر للمنافقين وقد أعلمك الله أنه لا يغفر لهم فقال له يا عمر إن الله قد خيرني فاخترت ولو علمت أنني إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزددت ونحو هذا من مقابلة عمر في وقت إرادة النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة على عبد الله بن أبي سلول وظاهر صلاته عليه أن كفره لم يكن يقينا عنده ومحال أن يصلي على كافر ولكنه راعى ظواهره من الإقرار ووكل سيربرته إلى الله عز وجل وعلى هذا كان ستر المنافقين من أجل عدم التعيين بالكفر . # وفي هذه الألفاظ التي لرسول الله صلى الله عليه وسلم رفض إلزام دليل الخطاب وذلك أن دليل الخطاب يقتضي أن الزيادة على السبعين يغفر معها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو علمت ففعلت ذلك مما لا يعلمه ومما ينبغي أن يتعلم ويطلب علمه من الله عز وجل ففي هذا حجة عظيمة للقول برفض دليل الخطاب وإذا ترتب كما قلنا التخيير في هذه الآية وضح أن ذلك التخيير هو الذي نسخ بقوله تعالى في سورة المنافقون ^ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ^ ولمالك رحمه الله مسائل تقتضي القول بدليل الخطاب منها قوله إن المدرك للتشهد وحده لا تلزمه أحكام الإمام لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة فاقترض دليل الخطاب أن من لم يدرك ركعة فليس بمدرك وله مسائل تقتضي رفض دليل الخطاب منها قول النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائمة الغنم الزكاة فدليل الخطاب أن لا زكاة في غير السائمة ومالك يرى الزكاة في غير السائمة ومنها أن الله عز وجل يقول في الصيد ^ من قتله منكم متعمدا ^ فقال مالك حكم المخطئ والمعتمد سواء ودليل الخطاب يقتضي غير هذا وأما تمثيله السبعين دون غيرها من الأعداد فلأنه عدد كثيرا ما يجيء غاية وتحقيقا في الكثرة ألا ترى إلى القوم الذين اختارهم موسى وإلى أصحاب العقبة وقد قال بعض اللغويين إن التصريف الذي يكون من

@ 65 @ السنين والباء والعين فهو شديد الأمر من ذلك السبعة فإنها عدد مقنع هي في السماوات وفي الأرض وفي خلق الإنسان وفي رزقه وفي أعضائه التي بها يطيع الله وبها يعصيه وبها ترتب أبواب جهنم فيما ذكر بعض الناس وهي عيناه وأذناه ولسانه ووطنه وفرجه وبيده ورجلاه وفي سهام الميسر وفي الأقاليم وغير ذلك # ومن ذلك السبع والعبوس والعنيس ونحو هذا من القول وقوله ^ ذلك ^ إشارة إلى امتناع الغفران وقوله ^ والله لا يهدي القوم الفاسقين ^ إما من حيث هم فاسقون وإما أنه لفظ عموم يراد به الخصوص فيمن يوافي على كفره # قوله عز وجل \$ التوبة 81 - 83 \$ هذه آية تتضمن وصف حالهم على جهة التوبيخ لهم وفي ضمنها وعيد وقوله ^ المخلفون ^ لفظ يقتضي تحقيرهم وأنهم الذين أبعدهم الله من رضاه وهذا أمكن في هذا من أن يقال المتخلفون ولم يفرح إلا منافق فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر ومقعد مصدر بمعنى القعود ومثله # (من كان مسرورا بمقتل مالك %) # وقوله ^ خلاف معناه بعد وأشد أبو عبيدة في ذلك # (عقب الربيع خلافهم فكأنما % بسط الشواطئ بينهن حصير ^ + الكامل + # يريد بعدهم ومنه قول الشاعر #) فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى % تاهب لأخرى مثلها فكان قد + الطويل + # وقال الطبري هو مصدر خالف يخالف # قال القاضي أبو محمد فعلى هذا هو مفعول له والمعنى ^ فرح المخلفون بمقعدهم ^ لخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مصدر ونصبه في القول الأول كأنه على الطرف وكراهيتهم لما ذكره في شح إذ لا يؤمنون بالثواب في سبيل الله فهم يظنون بالدنيا وقوله ^ لا تنفروا في الحر ^ كان لأن غزوة تبوك كانت في وقت شدة الحر وطيب الثمار والظلال قاله ابن عباس وكعب بن مالك والناس فأقيمت عليهم الحدة بأن قبل لهم فإذا كنتم تجزعون من حر القيظ فنار جهنم التي هي أشد أحرى أن تجزعوا منها

@ 66 @ لو فهمتم وقرا ابن عباس وأبو حيوه خلف وذكرها يعقوب ولم ينسبها وقرئ خلف بضم الخاء ويقوي قول الطبري أن لفظة الخلاف هي مصدر من خالف ما تظاهرت به الروايات من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر فعصوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين # وقال محمد بن كعب قال ^ لا تنفروا في الحر ^ رجل من بني سلمة # وقال ابن عباس قال رجل يا رسول الله الحر شديد فلا تنفر في الحر قال النقاش وفي قراءة عبد الله يعلمون بدل ^ يفقهون ^ وقال ابن عباس وأبو رزين والربيع بن خثيم وقتادة وابن زيد قوله ^ فليضحكوا قليلا ^ إشارة إلى مدة العمر في الدنيا وقوله ^ وليبكوا كثيرا ^ إشارة إلى تأييد الخلود في النار فجاء بلفظ الأمر ومعناه الخبر عن حالهم ويحتمل أن يكون صفة حالهم أي هم لما هم عليه من الخطر مع الله وسوء الحال بحيث ينبغي أن يكون ضحكهم قليلا وبكأؤهم من أجل ذلك كثيرا وهذا يقتضي أن يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا على نحو قوله صلى الله عليه وسلم لأمته لو تعلمون ما أعلم لبكىتم كثيرا ولضحكنم قليلا . # وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال هذا الكلام أوحى الله إليه يا محمد لا تقنط عبادي و ^ جزء ^ متعلق بالمعنى الذي تقديره ^ وليبكوا كثيرا ^ إذ هم معذبون ^ جزء ^ وقوله ^ يكسبون ^ نص في أن التكسب هو الذي يتعلق به العقاب والثواب وقوله ^ فإن رجعت الله إلى طائفة منهم ^ الآية ^ رجع ^ يستوي مجاوزه وغير مجاوزه وقوله تعالى إن ^ مبينة أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم بمستقبلات أمره من أجل وسواه وأيضا فيحتمل أن يموتوا هم قبل رجوعه وأمر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ^ لن تخرجوا معي ^ هو عقوبة لهم وإظهار لنداءة منزلتهم وسوء حالهم وهذا هو المقصود في قصة ثعلبة بن حاطب التي تقدمت في الامتناع من اخذ صدقته ولا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشرع ورده كالجمل الأجرى وقوله ^ إلى طائفة ^ يقتضي عندي أن المراد رؤوسهم والمتبوعون وعليها وقع التشديد بانها لا تخرج ولا تقايل عدوا وكرر معنى قتال العدو لأنه عظم الجهاد وموضع بارقة السيوف التي تحتها الجنة ولولا تخصيص الطائفة كان الكلام فإن رجعت الله إليهم وبشبه أن تكون هذه الطائفة قد ختم عليها بالموافاة على النفاق وعينوا للنبي صلى الله عليه وسلم وإلا فكيف يترتب ألا يصلي على موتاهم إن لم يعينهم الله وقوله ^ وماتوا وهم فاسقون ^ ونص في موافاتهم ومما يؤيد هذا ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم عينهم لحذيفة بن اليمان وكانت الصحابة إذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة رجل تأخروا هم عنها # وروي عن حذيفة أنه قال يوما بقي من المنافقين كذا وكذا فقال له عمر بن الخطاب رضي الله أنشدك الله أنا منهم فقال لا والله لا آمنه منها أحدا بعدك وقرأ جمهور الناس معي بسكون الباء في الموضوعين وقرأ عاصم فيما قال المفضل معي بحركة الباء في الموضوعين وقوله ^ أول ^ هو الإضافة إلى وقت الاستئذان . # والخالفون جميع من تخلف من نساء وصبيان وأهل عذر غلب المذكر فجمع بالياء والنون وإن كان

@ 67 @ ثم نساء وهو جمع خالف وقال قتادة الخالفون النساء وهذا مردود وقال ابن عباس هم الرجال وقال الطبري يحتمل قوله ^ مع الخالفين ^ أن يريد مع الفاسدين فيكون ذلك مأخوذا من خلف الشيء إذا فسد ومنه خلوف فم الصائم # قال القاضي أبو محمد وهذا تأويل مقحم والأول أفصح وأجرى على اللفظة وقرأ مالك بن دينار وعكرمة مع الخلفين وهو مقصور من الخالفين كما قال عردا ويردا يريد عاردا وباردا وكما قال الآخر # (مثل النفا ليد برد الطلال %) + الرجز + # يريد الطلال . # قوله عز وجل \$ التوبة 84 - 87 \$ هذه الآية نزلت في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل عليه السلام فحذبه بثوبه وتلا عليه ^ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ^ الآية فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصل عليه وتظاهرت الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الآية نزلت بعد ذلك وفي كتاب الجنائز من البخاري من حديث جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعد ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج ووضع على ركبته ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه وروي في ذلك أن عبد الله بن أبي بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ورغب إليه أن يستغفر له وأن يصلي عليه # وروي أن ابنه عبد الله بن عبد الله جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه فرغب في ذلك وفي أن يكسوه قميصه الذي يلي بدنه ففعل فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه قام إليه عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله أنصلي عليه وقد نهاك الله عن الاستغفار لهم . # وجعل يعدد

أفعال عبد الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عني يا عمر فإني خيرت ولو أعلم أنني إن زدت على السبعين غفر له لزدت وفي حديث آخر إن قميصي لا يغني عنه من الله

@ 68 @ شيثا وإنني لأرجو أن يسلم بفعلني هذا ألف رجل من قومي كذا في بعض الروايات يريد من منافقي العرب والصحيح أنه قال رجال من قومه فسكت عمر وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله ثم نزلت هذه الآية بعد ذلك وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لموضع إظهاره الإيمان ومحال أن يصلي عليه وهو يتحقق كفره وبعد هذا والله أعلم عين له من لا يصلي عليه . # ووقع في معاني أبي إسحاق وفي بعض كتب التفسير فأسلم وتاب بهذه الفعلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة من عبد الله ألف رجل من الخزرج # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف قاله من لم يعرف عدة الأنصار وقوله تعالى ^ ولا تعجبك أموالهم ^ الآية تقدم تفسير مثل هذه الآية والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته إذ هو بإجماع ممن لا تفتنه زخارف الدنيا . # ويحتمل أن يكون معنى الآية ولا تعجبك أيها الإنسان والمراد الجنس ووجه تكريرها تأكيد هذا المعنى وإيضاحه لأن الناس كانوا يفتنون بصلاح حال المنافقين في دنياهم وقوله ^ وإذا أنزلت سورة والمراد العامل في ^ إذا ^ استأنذك ^ والسورة المنشارة إليها هي براءة فيما قال بعضهم ويحتمل أن يكون إلى كل سورة فيها الأمر بالإيمان والجهاد مع الرسول وسورة القرآن أجمع على ترك همزها في الاستعمال واختلف هل أصلها الهمز أم لا فقبل أصلها الهمز فهي من أسارى إذا بقيت له قطعة من الشيء فالسورة قطعة من القرآن وقيل أصلها أن لا تهمز فهي كسورة البناء وهي ما بيني منه شيئا بعد شيء فهي الرتبة بعد الرتبة ومن هذا قول النابغة # (ألم تر أن الله أعطاك سورة % ترى كل ملك دونها يتذبذب) + الطويل + # وقد مضى هذا كله مستوعبا في صدر هذا الكتاب و ^ أن في قوله ^ أن أمونا ^ يحتمل أن تكون مفسرة بمعنى أي فهي على هذا لا موضع لها ويحتمل أن يكون التقدير بأن فهي في موضع نصب و ^ الطول ^ في هذه الآية المال قاله ابن عباس وابن إسحاق وغيرهما والإشارة بهذه الآية إلى الجد بن قيس وعبد الله بن أبي ومعتب بن قشير ونظرائهم والقاعدون الزمنى وأهل العذر في الجملة ومن ترك لصبط المدينة لأن ذلك عذر . # وقوله ^ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ^ الآية تفريع وإظهار شناعة كما يقال على وجه التغيير رضيت يا فلان و ^ الخوالف ^ النساء جمع خالفة هذا قول جمهور المفسرين وقال أبو جعفر النحاس يقال للرجل الذي لا خير فيه خالفة فهذا جمعه بحسب اللفظ والمراد أخسة الناس وأخالفهم وقال النضر بن شميل في كتاب النقاش ^ الخوالف ^ من لا خير فيه وقالت فرقة ^ الخوالف ^ جمع خالف فهو جار مجرى فوارس ونواكس وهوالك ^ وطيع ^ في هذه الآية مستعار ولما كان الطبع على الصوان والكتاب مانعا منه وحفاظا عليه شبه القلب الذي قد غشبه الكفر والضلال حتى منع الإيمان والهدى منه بالصوان المطبوع عليه ومن هذا استعارة القفل والكتان للقلب و ^ لا يفقهون ^ معناه لا يفهمون

@ 69 @ # قوله عز وجل \$ التوبة 88 - 90 \$ الأكثر في ^ لكن ^ أن تجئ بعد نفي وهو هنا في المعنى وذلك أن الآية السالفة معناها أن المنافقين لم يجاهدوا فحسن بعدها لكن الرسول والمؤمنون جاهدوا و ^ الخيرات ^ جمع خيرة وهو المستحسن من كل شيء وكثر استعماله في النساء فمن ذلك قوله عز وجل ^ فيهن خيرات حسان ^ ومن ذلك قول الشاعر أنشده الطبري # (ربلا ت هند خيرة الملكات %) + الكامل + # و ^ المفلحون ^ الذين أدركوا بعينهم من الجنة والفلاح يأتي بمعنى إدراك البغية من ذلك قول لبيد # (أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف % وقد يخذع الأريب) + الرجز + # وأتني بمعنى البقاء ومن ذلك قول الشاعر # (لكل هم من الهموم سعه % والمسئى والصبح لا فلاح معه) + المنسرح + # أي لا بقاء # قال القاضي أبو محمد وبلوغ البغية يعم لفظة الفلاح حيث وقعت فتأمله و ^ أعد ^ معناه يسر وهيا وقوله ^ من تحتها ^ يريد من تحت مبانئها وأغاليها و ^ الفوز ^ حصول الإنسان على أماله وظفره ببغيته ومن ذلك فوز سهام الأيسار # وقوله تعالى ^ وجاء المعذرون من الأعراب ^ الآية اختلف المتأولون في هؤلاء الذي جاءوا هل كانوا مؤمنين أو كافرين فقال ابن عباس وقوم معه منهم مجاهد كانوا مؤمنين وكانت أعدارهم صادقة وقرأ وجاء المعذرون بسكون العين وهي قراءة الضحاك وحמיד الأعرج وأبي صالح وعيسى بن هلال # وقرأ بعض قائلني هذه المقالة المعذرون بشد الذال قالوا وأصله المتعذرون فقلبت التاء ذالا وأدغمت . # ويحتمل المعذرون في هذا القول معنيين أحدهما المتعذرون بأعدار حق والآخر أن يكون الذين قد بلغوا عذرهم من الاجتهاد في طلب الغزو معك فلم يقدرُوا فيكون مثل قول لبيد # (ومن بيك حولا كاملا فقد اعتذر %)

@ 70 @ # وقال قتادة وفرقة معه بل الذين جاءوا بكفرة وقولهم وعذرهم كذب وكل هذه الفرقة قرأ المعذرون بشد الذال فمنهم من قال أصله المتعذرون نقلت حركة التاء إلى العين وأدغمت التاء في الذال والمعنى معذرون بكذب ومنهم من قال هو من التعذير أي الذين يعذرون الغزو ويدفعون في وجه الشرع فالآية إلى آخرها في هذا القول إنما وصفت صنفا واحدا في الكفر ينقسم إلى أعرابي وحضري وعلى القول الأول وصفت صنفين مؤمنا وكافرا قال أبو حاتم وقال بعضهم سألت مسلمة فقال المعذرون بشد العين والذال قال أبو حاتم أراد المعتذرين والتاء لا تدغم في العين لبعدها المخارج وهي غلط عنه أو عليه قال أبو عمرو وقرأ سعيد بن جبير المعتذرون بزيادة تاء وقرأ الحسن بخلاف عنه وأبو عمرو ونافع والناس والناس كذبوا بتخفيف الذال وقرأ الحسن وهو المشهور عنه وأبي بن كعب ونوح وإسماعيل كذبوا بتشديد الذال والمعنى لم يصدقوه تعالي ولا رسوله وردوا عليه أمره ثم توعد في آخر الآية الكافرين ب ^ عذاب أليم ^ فيحتمل أن يريد في الدنيا بالقتل والأسر . # ويحتمل أن يريد في الآخرة بالنار وقوله ^ منهم ^ يريد أن المعتذرين كانوا مؤمنين ويرجعه بعض الترجيح فتأمله وضعف الطبري قول من قال إن المعتذرين من التعذير وأتني عليه والقول منصوص ووجهه بين والله المعين وقال ابن إسحاق المعذرون نفر من بني غفار منهم خفاف بن إيماء بن رخصة # قال القاضي أبو محمد وهذا يقتضي أنهم مؤمنين # قوله عز وجل \$ التوبة 91 - 92 \$ يقول تعالى ليس على أهل الأعدار الصحيحة من ضعف أبدان أو مرض أو زمانة أو عدم نفقة إثم والحرج الإثم وقوله ^ إذا نصحو ^ يريد بنياتهم وأقوالهم سرا وجهرا وقرأ حيوه نصحو الله ورسوله بغير لام وينصب الهاء المكتوبة وقوله تعالى ^ ما على المحسنين من سبيل ^ الآية في لائمة تناط بهم أو تذيب أو عقوبة ثم أكد الرجاء بقوله ^ والله غفور رحيم ^ وقرأ ابن عباس والله لأهل الإساءة غفور رحيم # قال القاضي أبو محمد وهذا على جهة التفسير أشبه منه على جهة التلاوة لخلافة المصحف واختلف فيمن المراد بقوله ^ الذين لا يجدون ما ينفقون ^ فقالت فرقة نزلت في بني مقرن # قال القاضي أبو محمد وبنو مقرن ستة إخوة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وليس في الصحابة ستة إخوة غيرهم وقيل كانوا سبعة وقيل نزلت في عبد الله بن مغفل المزني قاله ابن عباس وقوله

@ 71 @ تعالى ^ ولا على الذين إذا ما أتوك ^ الآية اختلف فيمن نزلت هذه الآية فقبل نزلت في عرابض بن سارية وقيل نزلت في عبد الله بن مغفل وقيل في عائذ بن عمرو وقيل في أبي موسى الأشعري ورهطه وقيل في بني مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين وقيل نزلت في سبعة نفر من بطون شتى فهم البكاؤون وهم سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف وحرمي بن عمرو من بني واقف وأبو ليلى عبد الرحمن من بني مازن بن النجار وسليمان بن صخر من بني المعلى وأبو رعيانة عبد الرحمن بن زيد من بني حارثة وهو الذي تصدق بعرضه فقيل الله منه وعمرو بن غنمة من بني سلمة وعائذ بن عمرو المزني وقيل عبد الله بن عمرو المزني قال هذا كله محمد بن كعب القرظي وقال مجاهد البكاؤون هم بنو مكدر من مزينة # ومعنى قوله ^ لتحملهم ^ أي على ظهر يركب ويحمل عليه الأثاث وقال بعض الناس إنما استحملوه النعال ذكره النقاش عن الحسن بن صالح وهذا بعيد شاذ والعامل في ^ إذا ^ يحتمل أن يكون ^ قلت ^ ويكون قوله ^ تولوا ^ مقطوعا # ويحتمل أن يكون العامل ^ تولوا ^ ويكون تقدير الكلام فقلت أو يكون قوله ^ قلت لا أجد ما أحملكم عليه ^ بمنزلة وجدوك في هذه الحال . # وفي الكلام اختصار وإيجاز ولا بد يدل ظاهر الكلام على ما اختصر منه وقال الجرجاني في النظم له إن قوله ^ قلت ^ في حكم المعطوف تقديره وقلت و ^ حزننا ^ نصب على المصدر وقرأ معقل بن هارون لتحملهم بنون الجماعة . # قوله عز وجل \$ التوبة 93 - 94 \$ قوله في هذه الآية ^ إنما ^ ليس بحصر وإنما هي للمبالغة فيما يريد تقريره على نحو ذلك إنما الشجاع عنترة ويقضي بذلك أنا نجد السبيل في الشرع على غير هذه الفرقة موجودا و

السبيل ^ قد توصل ب ^ على ^ و ^ إلى ^ فتقول لا سبيل إلى فلان ولا سبيل إلى فلان غير أن وصولها ب ^ على ^ يقتضي أحيانا ضعف المتوصل إليه وقلة معنته فلذلك حسنت في هذه الآية وليس ذلك في إلى ألا ترى أنك تقول فلان لا سبيل إلى الأمر ولا إلى طاعة الله ولا يحسن في شبه هذا على ^ والسبيل ^ في هذه الآية سبيل المعاقبة وهذه الآية نزلت في المنافقين المتقدم ذكرهم عبد الله بن أبي الجدي بن قيس ومعتب وغيرهم وقد تقدم نظير تفسير الآية قوله ^ يعتذرون إليكم ^ الآية هذه المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم

@ 72 @ وشرك معه المسلمون في بعض لأن المنافقين كانوا يعتذرون أيضا إلى المؤمنين ولأن أبناء الله أيضا تحصل للمؤمنين وقوله ^ رجعتم ^ يريد من غزوة تبوك وقوله ^ لن يؤمن لكم ^ معناه لن نصدقكم ولكن لفظة ^ يؤمن ^ تتصل بلام أحيانا كما تقدم في قوله ^ يؤمن للمؤمنين ^ ونبا في هذه الآية قيل هي بمعنى عرف لا تحتاج إلى أكثر من مفعولين فالضمير مفعول أول وقوله ^ من أخباركم ^ مفعول ثان على مذهب أبي الحسن في زيادة ^ من ^ في الواجب بالتقدير قد نبأنا الله أخباركم وهو على مذهب سيبويه نعت لمحذوف هو المفعول الثاني تقديره قد نبأنا الله جلية من أخباركم وقيل نبا بمعنى أعلم يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل فالضمير واحد و ^ من أخباركم ^ ثان حسب ما تقدم من القولين والثالث محذوف بدل الكلام عليه تقديره قد نبأنا الله من أخباركم كذبا أو نحوه # وحذف هذا المفعول مع الدلالة عليه جائز بخلاف الاقتصار وذلك أن الاقتصار إنما يجوز إما على المفعول الأول ويسقط الإثنان إذ هما الإبتداء والخبر وإما على الإثنيين الأخيرين ويسقط الأول وإما أن يقتصر على المفعولين الأولين ويسقط الثالث دون دلالة عليه فلذلك لا يجوز ويجوز حذفه مع الدلالة عليه والإشارة بقوله ^ قد نبأنا الله ^ إلى قوله ^ ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم بيغونكم الفتنة ^ ونحو هذا وقوله ^ وسيرى الله ^ توعد معناه وسيراه في حال وجوده ويقع الجزاء منه عليه إن خيرا خيرا وإن شرا فشر وقوله ^ ثم تردون إلى عالم الغيب ^ يريد البعث من القبور و ^ الغيب ^ والشهادة يعمان جميع الأشياء وقوله ^ فينبئكم ^ معناه التخويف ممن لا تخفى عليه خافية . # قوله عز وجل \$ التوبة 95 - 97 \$ # قيل إن هذه الآية من أول ما نزل في شأن المنافقين في غزوة تبوك وذلك أن بعض المنافقين اعتذروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم واستأذنه في القعود قبل مسيره فأذن لهم فخرجوا من عنده وقال أحدهم والله ما هو إلا شحمة لأول أكل فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فيهم القرآن فانصرف رجل من القوم فقال للمنافقين في مجلس منهم والله لقد نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فيكم قرآن فقالوا له وما ذلك فقال لا أحفظ إلا أني سمعت وصفكم فيه بالرجس فقال لهم مخشي والله لوددت أن أجلد مائة جلدة ولا أكون معكم فخرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما جاء بك فقال وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفحه الريح وأنا في الكن فروي أنه ممن تاب وقوله ^ فأعرضوا عنهم ^ أمرنا بانتهازهم وعقوبتهم بالإعراض والوصم بالنفاق .

@ 73 @ # وهذا مع إجمال لا مع تعيين مصرح من الله ولا من رسوله بل كان لكل واحد منهم ميدان المغالطة مبسوطة وقوله ^ رجس ^ أي تنت ونهيك بهذا الوصف محطة دنياوية ثم عطف بمحطة الآخرة فقال ^ وماوهم جهنم ^ أي مسكنهم ثم جعل ذلك جزاء بتكسبهم المعاصي والكفر مع أن ذلك مما قدره الله وقضاء لارب غير ولا معبود سواه وأسند الطبري عن كعب بن مالك أنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك جلس للناس فجاءه المخلفون يعتذرون إليه ويحلفون وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي قبلها مخاطبة للمؤمنين مع الرسول والمعنى يحلفون لكم مبطلين ومقصدهم أن ترضوا أنهم يفعلون ذلك لوجه الله ولا للبر وقوله ^ فإن ترضوا ^ إلى آخر الآية شرط يتضمن النهي عن الرضى عنهم وحكم هذه الآية يستمر في كل مغموص عليه ببدعة ونحوها فإن المؤمن ينبغي أن يبغضه ولا يرضى عنه لسبب من أسباب الدنيا وقوله ^ الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله ^ الآية ^ الأعراب ^ لفظة عامة ومعناها الخصوص فيمن استثناه الله عز وجل وهذا معلوم بالوجود وكيف كان الأمر وإنما انطلق عليهم هذا الوصف بحسب بعدهم عن الحواضر ومواضع العلم والأحكام والشرع وهذه الآية إنما نزلت في منافقين كانوا في البوادي ولا محالة أن خوفهم هناك أقل من خوف منافقي المدينة فآلستهم لذلك مطلقة ونفاقهم أنجم وأسند الطبري أن زيد بن صوحان كان يحدث أصحابه بالعلم وعنده أعرابي وكان زيد قد أصيبت يده اليسرى يوم نهاوند فقال الأعرابي والله إن حديثك ليعجبني وإن يدك لترينني وقال زيد وما يربيك من يدي وهي الشمال فقال الأعرابي والله ما أدري اليمين تقطعون أم الشمال فقال زيد صدق الله ^ الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ^ وأجدر ^ معناه أخرى وأقمن والحدود هنا السنن والأحكام ومعالم الشريعة . # قوله عز وجل \$ التوبة 98 - 99 \$ # هذا نص من المنافقين منهم ومعنى ^ يتخذ ^ في هذه الآيات أي يجعل مقصده ولا ينوي فيه غير ذلك وأصل المغرم الدين ومنه تعود رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم والمائم ولكن كثر استعمال المغرم فيما يؤذيه الإنسان مما لا يلزمه بحق وفي اللفظ معنى اللزوم ومنه قوله تعالى ^ إن عذابها كان غراما ^ أي مكروها لازما و ^ الدوائر ^ المصائب التي لا مخلص للإنسان منها فهي تحيط به كما تحيط الدائرة وقد يحتمل أن تشتق من دور الزمان والمعنى ينتظر بكم ما تاتي به الأيام وتدور به ثم قال على جهة الدعاء ^ عليهم دائرة السوء ^ وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل وإنما

@ 74 @ هو بمعنى إيجاب الشيء لأن الله لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا ^ ويل لك همزة لمزة ^ وللمطفيين . # فهي كلها أحكام تامة تضمنها خبره تعالى وقرأ الجمهور من السبعة وغيرهم دائرة السوء بفتح السين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن واختلف عنه عاصم والأعمش بخلاف عنهما دائرة السوء بضم السين واختلف عن ابن كثير وقيل الفتح المصدر والضم الاسم واختلف الناس فيهما وهو اختلاف يقرب بعضه من بعض والفتح في السين يقتضي وصف الدائرة بأنها سيئة وقال أبو علي معنى الدائرة يقتضي معنى السوء وإنما هي إضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه . # قال القاضي أبو محمد ولا يقال رجل سوء بفتح السين هذا قول أكثرهم وقد حكى رجل سوء بضم السين وقد قال الشاعر الفرزدق # (وكنت كذئب السوء لما رأى دما % بصاحبه يوما أحال على الدم) + الطويل + # ولم يختلف القراء في فتح السين من قوله ^ ما كان أبوك أمرا سوء ^ وقوله تعالى ^ ومن الأعراب من يؤمن بالله ^ الآية قال قتادة هذه ثنية الله تعالى من الأعراب و ^ يتخذ ^ في هذه الآية أيضا هي بمعنى يجعله مقصدا والمعنى ينوي بنفخته في سبيل الله القرية عند الله عز وجل واستغنام دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ففي دعائه لهم خير الآخرة في النجاة من النار وخير الدنيا في أرزاقهم ومنح الله لهم ف ^ صلوات ^ على هذا عطف على ^ قربات ^ ويحتمل أن يكون عطف على ما ينفق أي ويتخذ بالأعمال الصالحة صلوات الرسول قرية والأولى آيين و ^ قربات ^ جمع قرية أو قرية بسكون الراء وضمتها وهما لغتان والصلاة في هذه الآية الدعاء إجماعا # وقال بعض العلماء الصلاة من الله رحمة ومن النبي والملائكة دعاء ومن الناس عبادة والضمير في قوله ^ إنها ^ يحتمل أن يعود على النفقة وهذا في انعطاف ^ الصلوات ^ على ^ القربات ^ ويحتمل أن يعود على ^ الصلوات ^ وهذا في انعطافه على ما ينفق وقرأ نافع قرية بضم الراء واختلف عنه وعن عاصم والأعمش وقرأ الباقر قرية بسكون الراء ولم يختلف في ^ قربات ^ ثم وعد تعالى بقوله ^ سيدخلهم الله في رحمته ^ الآية وروي أن هذه الآية نزلت في بني مقرن من مزينة وقاله مجاهد وأسند الطبري إلى عبد الرحمن بن مغفل بن مقرن أنه قال كنا عشرة ولد مقرن فنزلت فينا ^ ومن الأعراب من يؤمن بالله ^ إلى آخر الآية . # قال القاضي أبو محمد وقوله عشرة ولد مقرن يريد الستة أولاد مقرن نزلت فينا أو السبعة على ما في الاستيعاب من قول سويد بن مقرن وبينهم لأن هذا هو الذي في مشهور دواوين أهل العلم . # قوله عز وجل \$ التوبة 100 - 101 \$

@ 75 @ # قال أبو موسى الأشعري وابن المسيب وابن سيرين وقتادة ^ السابقون الأولون ^ من صلى القبليتين وقال عطاء ^ السابقون الأولون ^ من شهد بدرا # قال القاضي أبو محمد وحولت القبلة قبل بدر بشهرين وقال عامر بن شراحيل الشعبي ^ السابقون الأولون ^ من أدرك بيعة الرضوان ^ والذين اتبعوهم بإحسان ^ يريد سائر الصحابة ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسائر

الأمة لكن بشريطة الإحسان وقد لزم هذا الاسم الطيبة التي رأت من رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولو قال قائل إن السابقين الأولين هم جميع من هاجر إلى أن انقطعت الهجرة لكان قولاً يقتضيه اللفظ وتكون من ليان الجنس والذين في هذه الآية عطف على قوله والسابقون وقرأ عمر بن الخطاب والحسن بن أبي الحسن وقادة وسعيد ويعقوب بن طلحة وعيسى الكوفي والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار برفع الراء عطفاً على والسابقون وكذلك ينعطف على كلتا القراءتين قوله تعالى والذين اتبعوهم بإحسان وجعل الاتباع عدلاً للأنصار وأسند الطبري أن زيد بن ثابت سمعه فرده فبعث عمر في أبي بن كعب فسأله فقال أبي بن كعب والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فقال عمر ما كنا نرى إلا أنا قد رفعا رفعة لا ينالها معنا أحد فقال أبي إن مصداق هذا في كتاب الله في أول سورة الجمعة وأخرين منهم لما يلحقوا بهم وفي سورة الحشر والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقوا بالإيمان وفي سورة الأنفال في قوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم فرجع عمر إلى قول أبي ونهت هذه الآية من التابعين وهم الذين أدركوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نبه من ذكرهم قوله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار فتأمله وقرأ ابن كثير من تحتها الأهار وقرأ الباقر تحتها بإسقاط من ومعنى هذه الآية الحكم بالرضى عنهم بإدخالهم الجنة وغفر ذنوبهم والحكم برضاهم عنه في شكرهم وحمدهم على نعمه وإيمانهم به وطاعتهم له جعلنا الله من الفائزين برحمته ومن حولكم من الأعراب الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم شرك في بعضها أمته والإشارة بقوله ومن حولكم من الأعراب هي إلى جهينة ومزينة وأسلم وغفار وعصية ولحيان وغيرهم من القبائل المجاورة للمدينة فأخبر الله عن مناقبيهم وتقدير الآية ومن أهل المدينة قوم أو مناقفون هذا أحسن ما حمل اللفظ و مردوا قال أبو عبيدة معناه مروا عليه ولجوا فيه وقيل غير هذا مما هو قريب منه وقال ابن زيد أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون . # والظاهر من معنى اللفظ أن التمرد في الشيء أو المرود عليه إنما هو اللجاج والاستهتار به والعتو على الزاجر وركوب الرأس في ذلك وهو مستعمل في الشر لا في الخير ومن ذلك قولهم شيطان مارد ومرید

@ 76 @ ومن هذا سميت مراد لأنها تمردت وقال بعض الناس يقال تمرد الرجل في أمر كذا إذا تجرد له وهو من قولهم شجرة مرداء إذا لم يكن عليها ورق ومنه صرح ممرد ومنه قولهم تمرد مارد وعز الأبلق ومنه الأمر الذي لا لحيه له فمعنى مردوا في هذه الآية لجوا فيه واستهتروا به وعتوا على زاجرهم ثم نفى عز وجل علم نبيه بهم على التعيين وأسند الطبري عن قتادة في قوله لا تعلمهم نحن نعلمهم قال فما بال أقوام يتكلمون علم الناس فلان في الجنة فلان في النار فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري أنت لعمرى بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ولقد تكلفت شيئاً ما تكلفه الرسل قال نبي الله نوح صلى الله عليه وسلم وما علمي بما كانوا يعلمون وقال نبي الله شعيب صلى الله عليه وسلم بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تعلمهم نحن نعلمهم # قال القاضي أبو محمد وقوله تعالى سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم في مصحف أنس بن مالك سيعذبهم بالياء والكلام على القراءتين وعيد واللفظ يقتضي ثلاثة مواطن من العذاب ولا خلاف بين المتأولين أن العذاب العظيم الذي يردون إليه هو عذاب الآخرة وأكثر الناس أن العذاب المتوسط هو عذاب القبر واختلف في عذاب المرة الأولى فقال مجاهد وغيره هو عذابهم بالقتل والجوع وهذا بعيد لأن منهم من لم يصبه هذا وقال ابن عباس أيضاً عذابهم هو بإقامة حدود الشرع عليهم مع كراهيتهم فيه وقال ابن إسحاق عذابهم هو همهم بظهور الإسلام وعلو كلمته وقال ابن عباس وهو الأشهر عنه عذابهم هو فضيحتهم ووصمهم بالنفاق وروي في هذا التأويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم الجمعة فندد بالمنافقين وصرح وقال اخرج يا فلان من المسجد فإنك منافق واخرج أنت يا فلان حتى اخرج جماعة منهم فراهم عمر يخرجون من المسجد وهو مقبل إلى الجمعة فطن أن الناس انتشروا وأن الجمعة فاتته فاختبأ منهم حياءً ثم وصل إلى المسجد فرأى أن الصلاة لم تقض وفهم الأمر . # قال القاضي أبو محمد وفعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا بهم هو على جهة التأديب اجتهاداً منه فيهم ولم يسلبهم ذلك من الإسلام وإنما هو كما يخرج العصاة والمتهمون ولا عذاب أعظم من هذا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يتكلم فيهم على الإجمال دون تعيين فهذا أيضاً من العذاب وقال قتادة وغيره العذاب الأول هي علل وأدواء أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يصيبهم بها وأسند الطبري في ذلك عن قتادة أنه قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أسر إلى حذيفة باثني عشر رجلاً من المنافقين وقال ستة منهم تكفيكم الديلة سراج من نار جهنم تأخذ في كتف أحدهم حتى تقضي إلى صدره وستة يموتون موتاً ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات رجل ممن يطن أنه منهم نظر إلى حذيفة فإن صلى صلى عمر عليه وإلا ترك . # وذكر لنا أن عمر رضي الله عنه قال لحذيفة أشدك بالله أمنهم أنا قال لا والله ولا أو من منها أحداً بعدك وقال ابن زيد في قوله تعالى سنعذبهم مرتين أما عذاب الدنيا فالأموال والأولاد لكل صنف

@ 77 @ عذاب فهو مرتان وقرأ قول الله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وقال ابن زيد أيضاً المرتان هي في الدنيا الأولى القتل والجوع والمصائب والثانية الموت إذ هو للكفار عذاب وقال الحسن الأولى هي أخذ الزكاة من أموالهم والعذاب العظيم هو جميع ما بعد الموت وأظن الزجاج أشار إليه # قوله عز وجل \$ التوبة 102 - 103 \$ # المعنى ومن هذه الطوائف آخرون اعترفوا بذنوبهم واختلف في تأويل هذه الآية فقال ابن عباس فيما روي عنه وأبو عثمان هي في الأعراب وهي عامة في الأمة إلى يوم القيامة فيمن له أعمال صالحة وسيئة فهي آية ترج علي هذا وأسند الطبري هذا عن حجاج بن أبي زينب قال سمعت أبا عثمان يقول ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم وقال قتادة بل نزلت هذه الآية في أبي لبابة الأنصاري خاصة في شأنه مع بني قريظة وذلك أنه كلمهم في النزول على حكم الله ورسوله فأشار هو لهم إلى حلقه يريد أن النبي صلى الله عليه وسلم يذبحهم إن نزلوا فلما اقتضت تاب وندم وربط نفسه في سارية من سوارى المسجد وأقسم أن لا يطعم ولا يبشر حتى يعفو الله عنه أو يموت فمكث كذلك حتى عفا الله عنه ونزلت هذه الآية وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحله وذكر هذا الطبري عن مجاهد وذكره ابن إسحاق في كتاب السير أوعب وأتقن وقالت فرقة عظيمة بل نزلت هذه الآية في شأن المتخلفين عن غزوة تبوك فكان عملهم السيئ التخلف بإجماع من أهل هذه المقالة واختلفوا في الصالح فقال الطبري وغيره الاعتراف والتوبة والندم وقالت فرقة بل الصالح غزوهم فيما سلف من غزو النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلف أهل هذه المقالة في عدد القوم الذين عنوا بهذه الآية فقال ابن عباس كانوا عشرة رهط ربط منهم أنفسهم سبعة وبقي الثلاثة الذين خلفوا دون ربط المذكورين بعد هذا وقال زيد بن أسلم كانوا ثمانية منهم كردم ومرداس وأبو قيس وأبو لبابة وقال قتادة كانوا سبعة وقال ابن عباس أيضاً وفرقة كانوا خمسة وكلهم قال كان فيهم أبو لبابة وذكر قتادة فيهم الجد بن قيس وهو فيما أعلم وهم لأن الجد لم يكن نزوله توبة وأما قوله وآخر فهو بمعنى باخر وهما متقاربان وعسى من الله واجبة . # وروي في خبر الذين ربطوا أنفسهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد فرأهم قال ما بال هؤلاء فقيل له إنهم تابوا وأقسموا أن لا ينحلوا حتى يجلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعذرهم # فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا والله لا أحلم ولا أعذرهم إلا أن يأمرني الله بذلك فإنهم تخلفوا عني وتركوا جهاد الكفار مع المؤمنين وقوله خذ من أموالهم صدقة الآية روي أن أبا

@ 78 @ لبابة والجماعة الثابتة التي ربطت أنفسها وهي المقصودة بقوله خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تيب عليها فقالت يا رسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا زيادة في توبتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لا أعرض لأموالكم إلا بأمر من الله فتركهم حتى نزلت هذه الآية فهم المراد بها فروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ ثلث أموالهم مراعاة لقوله تعالى من أموالهم فهذا هو الذي تظاهرت به أقوال المتأولين ابن عباس رضي الله عنه وغيره وقالت جماعة من الفقهاء المراد بهذه الزكاة المفروضة فقوله على هذا خذ من أموالهم ضميره لجميع الناس وهو عموم يراد به الخصوص إذ يخرج من الأموال الأنواع التي لا زكاة فيها كالثياب والرباع ونحوه والضمير الذي في أموالهم أيضاً كذلك عموم يراد

به خصوص إذ يخرج منه العبيد وسواهم وقوله ^ صدقة ^ مجمل يحتاج إلى تفسير وهذا يقتضي أن الإمام يتولى أخذ الصدقات وينظر فيها و ^ من ^ في هذه الآية للتعبير هذا أقوى وجوهاً وقوله ^ تطهرهم وتزكيتهم بها ^ أحسن ما يحتمل أن تكون هذه الأفعال مسندة إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن تكون في موضع الحال من الضمير في ^ خذ ^ ويحتمل أن تكون من صفة الصدقة وهذا مترجح بحسب رفع الفعل ويكون قوله ^ بها ^ أي بنفسها أي يقع تطهيرهم من ذنوبهم بها ويحتمل أن يكون ^ تطهرهم ^ صفة للصدقة ^ وتزكيتهم ^ مسندا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون حالا من الصدقة وذلك ضعيف لأنها حال من نكرة وحكى مكى أن يكون ^ تطهرهم ^ من صفة الصدقة وقوله ^ وتزكيتهم بها ^ حالا من الضمير في ^ خذ ^ . # قال القاضي أبو محمد وهذا مردود لمكان واو العطف لأن ذلك يتقدر خذ من أموالهم صدقة مطهرة ومزكيا بها وهذا فاسد المعنى ولو لم يكن في الكلام واو العطف جاز وقرأ الحسن بن أبي الحسن تطهرهم بسكون الطاء وقوله ^ وصل عليهم ^ معناه ادع لهم فإن في دعائك لهم سكونا لأنفسهم وطمانينة ووقارا فهذه عبارة عن صلاح المعتقد وحكى مكى والنحاس وغيرهما أنه قيل إن هذه الآية منسوخة بقوله ^ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ^ # قال القاضي أبو محمد وهذا وحكى مكى والنحاس وغيرهما أنه قيل إن تلك في المنافقين الذين لهم حكم الكافرين وهذه في التائبين من التخلف الذين لهم حكم المؤمنين فلا تناسخ بين الآيتين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ونافع وابن عامر إن صلواتك بالجمع وكذلك في هود وفي المؤمنين وقرأ حفص عن عاصم وحزمة والكسائي إن صلواتك بالإفراد وكذلك قرأ حمزة والكسائي في هود وفي المؤمنين وقرأ عاصم في المؤمنين وحدها جمعا ولم يختلفوا في سورة الأنعام وسأل سائل وهو مصدر إفرته فرقة وجمعه فرقة وقوله ^ سميع ^ لدعائك ^ عليهم ^ أي بمن يهدي ويتوب عليه وغير ذلك مما تقتضيه هاتان الصفتان وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية فعل ما أمر به من الدعاء والاستغفار لهم قال ابن عباس ^ سكن لهم ^ رحمه لهم وقال قتادة ^ سكن لهم ^ أي وقال لهم . # قال القاضي أبو محمد وإنما معناه أن من يدعوا له النبي صلى الله عليه وسلم فإنه تطيب نفسه ويقوى رجاؤه وبروى أنه قد صحت وسيلته إلى الله تعالى وهذا بين .

@ 79 @ \$ التوبة 104 - 105 \$ # قرأ جمهور الناس ألم يعلموا على ذكر الغائب وقرأ الحسن بن أبي الحسن بخلاف عنه ألم تعلموا على معنى قل لهم يا محمد ألم تعلموا وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب بالناء من فوق والضمير في ^ يعلموا ^ قال ابن زيد يراد به الذين لم يتوبوا من المتخلفين وذلك أنهم لما تيب على بعضهم قال الغير ما هذه الخاصة التي خص بها هؤلاء فنزلت هذه الآية ويحتمل أن يكون الضمير في ^ يعلموا ^ يراد به الذين تابوا وربطوا أنفسهم وقوله هو تأكيد لانفراد الله بهذه الأمور وتحقيق ذلك لأنه لو قال إن الله يقبل التوبة لاحتل ذلك أن يكون قبول رسوله قبولا منه فينبت الآية أن ذلك مما لا يصل إليه نبي ولا ملك وقوله ^ ويأخذ الصدقات ^ معناه يأمر بها ويشرعها كما تقول أخذ السلطان من الناس كذا إذا حملهم على أدائه # وقال الزجاج معناه ويقبل الصدقات وقد وردت أحاديث في أخذ الله صدقة عبيده ومنها قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبد الله بن أبي قتادة المحاربي عن ابن مسعود عنه إن العبد إذا تصدق بصدقة وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ومنها قوله الذي رواه أبو هريرة إن الصدقة تكون قدر اللقمة بأخذها الله بيمينه فيريها لأحدم كما يربي أحدم فلو أو فصيلة حتى تكون مثل الجبل ونحو هذا من الأحاديث التي هي عبارة عن القبول والتحفي بصدقة العبد فقد يحتمل أن تخرج لفظة ^ وبأخذ ^ على هذا ويتعلق بهذه الآية القول في قبول التوبة وتلخيص ذلك أن قبول التوبة من الكفر يقطع به عن الله عز وجل إجماعا وهذه نازلة هذه الآية وهذه الفرقة الناتبة من النفاق ثابتة من كفر وأما قبول التوبة من المعاصي فيقطع بان الله تعالى يقبل من طائفة من الأمة توبتهم واختلف هل تقبل توبة الجميع وأما إذا عين إنسان تائب فيرجى قبول توبته ولا يقطع بها على الله وأما إذا فرضنا تائبا غير معين صحيح التوبة فهل يقطع على الله بقبول توبته أم لا فاختلف فقالت فرقة فيها الفقهاء والمحدثون وهو كان مذهب أبي رضي الله عنه يقطع على الله بقبول توبته لأنه تعالى أخبر بذلك عن نفسه وعلى هذا يلزم أن تقبل توبة جميع التائبين وذهب أبو المعالي وغيره من الأئمة إلى أن ذلك لا يقطع به على الله تعالى بل يقوى فيه الرجاء ومن حجتهم أن الإنسان إذا قال في الجملة إني لا أعفر لمن ظلمني ثم جاء من قد سبه وأذاه فله تعقب حقه والغفران لقوم يصدق وعده ولا يلزمه الغفران لكل ظالم . # قال القاضي أبو محمد ونحو هذا من القول والقول الأول أرجح والله الموفق للصواب وقوله تعالى ^ عن عباده ^ هي بمعنى من وكثيرا ما يتوصل في موضع واحد بهذه وهذه تقول لا صدقة إلا عن غنى ومن غنى وفعل فلان ذلك من أشره وبطره وعن أشره وبطره وقوله تعالى ^ ألم يعلموا ^ تقرير

@ 80 @ والمعنى حق لهم أن يعلموا وقوله ^ وقل اعلموا ^ الآية صيغة أمر مضمنا الوعيد وقال الطبري المراد بها الذين اعتذروا من المتخلفين وتابوا . # قال القاضي أبو محمد والظاهر أن المراد بها الذين اعتذروا ولم يتوبوا وهم المتنوعون وهم الذين في ضمير قوله ^ ألم يعلموا ^ إلا على الاحتمال الثاني من أن الآيات كلها في ^ الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ^ ومعنى ^ فسيري الله ^ أي موجودا معوضا للجزاء عليه بخير أو شر وأما الرسول والمؤمنون فرويتهم رؤية حقيقة لا تجوز وقال ابن المبارك رؤية المؤمنين هي شهادتهم على المرء بعد موته وهي تناؤهم عند الجنائز وقال الحسن ما معناه إنهم حذروا من فراسة المؤمن التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وقوله تعالى ^ وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ^ يريد البعث من القبور و ^ الغيب والشهادة ^ معناه ما غاب وما شوهد وهي حالتان تعم كل شيء وقوله ^ فينبئكم ^ عبارة عن حضور الأعمال وإظهارها للجزاء عليها وهذا وعيد . # قوله عز وجل \$ التوبة 106 - 107 \$ # قوله ^ وآخرون عطف على قوله أولا وآخرون ^ وقرأ نافع والأعرج وابن نصاح وأبو جعفر وطلحة والحسن وأهل الحجاز مرجون من أرجى دون همز وقرأ أبو عمرو وعاصم وأهل البصرة مرجؤون من أرجأ يرجئ بالهمز واختلف عن عاصم وهما لغتان ومعناهما التأخير ومنه المرجئة لأنهم آخروا الأعمال أي آخروا حكمها ومرتبها وأنكر المبرد ترك الهمز في معنى التأخير وليس كما قال والمراد بهذه الآية فيما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وفتادة وابن إسحاق الثلاثة الذين خلفوا وهم هلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع العامري وكعب بن مالك نزلت هذه الآية قبل التوبة عليهم وقيل إنها نزلت في غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبة مع بناءهم مسجد الضرار وعلى هذا يكون الذين اتخذوا بإسقاط واو العطف بدلا من ^ آخرون ^ أو خير ابتداء تقديره هم الذين فالآية على هذا فيها ترج لهم واستدعاء إلى الإيمان والتوبة ^ عليهم ^ معناه بمن يهدي إلى الرشاد و ^ حكيم ^ فيما ينفذه من تنعيم من شاء وتعذيب من شاء لارب غيره ولا معبود سواه وقرأ عاصم وعوام والقراء والناس في كل قطر إلا بالمدينة والذين اتخذوا وقرأ أهل المدينة نافع وأبو جعفر وشيبة وغيرهم الذين اتخذوا بإسقاط الواو وكذلك في مصحفهم قاله أبو حاتم وقال الزهراوي وهي قراءة ابن عامر وهي في مصاحف أهل الشام بغير واو فأما من قرأ بالواو فذلك عطف على قوله ^ وآخرون ^ أي ومنهم الذين اتخذوا وأما من قرأ بإسقاطها فرفع ^ الذين ^ بالابتداء # واختلف في الخبر فقيل الخبر لا تقم فيه أبدا ^ قاله الكسائي ويتجه بإضمار إما في أول الآية

@ 81 @ وإما في آخرها بتقدير لا تقم في مسجدهم وقيل الخبر لا يزال بنيانهم قاله النحاس وهذا أفصح وقد ذكرت كون ^ الذين ^ بدلا من ^ آخرون ^ أنفا وقال المهدي الخبر محذوف تقديره معذبون أو نحوه وأما الجماعة المرادة ب ^ الذين اتخذوا ^ فهم منافقو بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف والطبري عن ابن إسحاق عن الزهري وغيره أنه قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليله المطيرة وإنا نحب أن تأتينا فتصلينا لنا فيه فقال إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه فلما أقبل ونزل بذي أوان نزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فانطلقا مسرعين ففعلا وحرقاه بنار في سعف وذكر النقاش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث لهدمه وتحريقه عمار بن ياسر ووحشيا مولى المطعم بن عدي وكان بانوه اثني عشر رجلا خدام بن خالد ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثلثية بن حاطب ومتعب بن قشير وأبو حبيبة بن الأزعر وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وجارية بن عمرو وابناه مجمع بن جارية وهو كان إمامهم وحلف لعمر بن الخطاب في خلافته أنه لم يشعر بأمرهم وزيد بن جارية ونبيل بن الحارث ويخرج

وهو من بني ضبيعة وبيد بن عثمان ووديع بن ثابت ويخرج منهم هو الذي حلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت إلا الحسنى والتوسعة علينا وعلى من عجز أو ضعف عن المسير إلى مسجد قباء وقرأ ابن أبي عبيدة ما أردنا إلا الحسنى والآية تقتضي شرح شيء من أمر هذه المساجد فروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وقت الهجرة بني مسجدا في بني عمرو بن عوف وهو مسجد قباء وقيل وجده مبنيا قبل وروده وقيل وجده موضع صلاة فبناه وتشرف القوم بذلك فحسداهم من حينئذ رجال من بني عمهم من بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف فكان فيهم نفاق وكان موضع مسجد قباء مربطاً لحمار امرأة من الأنصار اسمها لية فكان المنافقون يقولون والله لا نصبر على الصلاة في مربط حمار لية ونحو هذا من الأقوال وكان أبو عامر عبد عمرو المعروف بالراهب منهم وكان أمه من الروم فكان يتعبد في الجاهلية فسمي الراهب وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيداً نظيراً وقريباً من عبد الله بن أبي ابن سلول فلما جاء الله بالإسلام نافق ولم يزل مجاهراً بذلك فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ثم خرج في جماعة من المنافقين فحزب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحزاب فلما ردهم الله بغيظهم أقام أبو عامر بمكة مظهراً لعداوته فلما فتح الله مكة هرب إلى الطائف . # فلما أسلم أهل الطائف خرج هاربا إلى الشام يريد قيصر مستنجراً به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب إلى قومه المنافقين منهم أن ابنا مسجدا مقاومة لمسجد قباء وتحقيرا له فإني سأتى بجيش من الروم أخرج به محمدا وأصحابه من المدينة فبنوه وقالوا سيأتي أبو عامر ويصلي فيه ويتخذة متعبدا ويسر به ثم إن أبا عامر هلك عند قيصر ونزل القرآن في أمر مسجد الضرار فذلك قوله ^ وإرضاذا لمن حارب الله ورسوله ^ يعني أبا عامر وقولهم سيأتي أبو عامر وقرأ الأعمش للذين حاربوا الله وقوله

@ 82 @ # ضاررا ^ أي داعية للتضار من جماعتين فلذلك قال ^ ضاررا ^ وهو في الأكثر مصدر ما يكون من اثنين وإن كان المصدر الملازم لذلك مفاعلة كما قال سيبويه ونصب ضرار وما بعده على المصدر في موضع الحال ويجوز أن يكون على المفعول من أجله وقوله ^ بين المؤمنين ^ يريد بين الجماعة التي كانت تصلي في مسجد قباء فإن من جاوز مسجدهم كانوا يصرفونه إليه وذلك داعية إلى صرفه عن الإيمان وقيل أراد بقوله ^ بين المؤمنين ^ جماعة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا بحسب الخلاف في المسجد المؤسس على التقوى وسيأتي ذلك قال النقاش يلزم من هذا أن لا يصلي في كنيسة ونحوها لأنها بنيت على شر من هذا كله وقد قيل في هذا لا تقم فيه أبدا . # قال القاضي أبو محمد وهذا تفقه غير قوي والإرصاد الإعداد والتهيئة والذي حارب الله ورسوله هو أبو عامر الفاسق وقوله ^ من قبل ^ يريد في غزوة الأحزاب وغيرها والحالف المراد في قوله ^ ليحلفن ^ هو يخرج ومن حلف من أصحابه وكسرت الألف من قوله ^ إنهم لكاذبون ^ لأن الشهادة في معنى القول وأسند الطبري عن شقيق أنه جاء ليصلي في مسجد بني غاضرة فوجد الصلاة قد فاتته فقتل له إن مسجد بني فلان لم يصل فيه بعد فقال لا أحب أن أصلي فيه فإنه بني على ضرار وكل مسجد بني ضرار ورياء وسمعة فهو في حكم مسجد الضرار وروي أن مسجد الضرار لما هدم وأحرق اتخذ مزبلة ترمي فيه الأقدار والقمامات . # قوله عز وجل \$ التوبة 108 - 109 \$ # روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت لا تقم فيه أبدا ^ كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد وهذا النهي إنما هو لأن البائنين لمسجد الضرار قد كانوا خادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نبينا مسجدا للضرورات والسبل الحائل بيننا وبين قومنا فنريد أن تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشي معهم إلى ذلك واستدعى قميصه لينهض فنزلت الآية لا تقم فيه أبدا ^ وقوله ^ لمسجد ^ قيل إن اللام لام قسم وقيل هي لام الابتداء كما تقول لزيد أحسن الناس فعلا وهي مقتضية تأكيداً وقال ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء . # وروي عن عمر وأبي سعيد وزيد بن ثابت أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ويليق القول الأول بالقصة إلا أن القول الثاني روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نظر مع الحديث .

@ 83 @ وأسند الطبري في ذلك عن أبي سعيد الخدري أنه قال اختلف رجل من بني خدرة ورجل من بني عمرو بن عوف فقال الخدري هو مسجد الرسول وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هو مسجدي هذا وفي الآخر خير كثير إلى كثير من الآثار في هذا عن أبي بن كعب وسهل بن سعد . # قال القاضي أبو محمد ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بقرته نخل وقبور مشركين ومريد لبيمين كانا في حجر أسعد بن زرارة وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات الأولى بالسميط وهي لبنة أمام لبنة والثانية بالصعيدة وهي لبنة ونصف في عرض الحائط والثالثة بالأشئ والذكر وهي لبنتان تعرض عليهما لبنتان وكان في طوله سبعون ذراعاً وكان عمدته النخل وكان عريشا يكف في المطر وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيانه ورفع فقال لا بل يكون عريشا كعريش أخي موسى كان إذا قام ضرب رأسه في سقفه . # وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل فيه اللبن على صدره ويقال إن أول من وضع في أساسه حجرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضع أبو بكر حجرا ثم وضع عمر حجرا ثم وضع عثمان حجرا ثم رمى الناس بالحجارة فتفاءل بذلك بعض الصحابة في أنها الخلافة فصدق فاه قوله ^ من أول يوم ^ قيل معناه أول يوم وقيل معناه من تأسيس أول يوم وإنما دعا إلى هذا الاختلاف أن من أصول النحويين أن من لا تجر بها الأزمان وإنما تجر الأزمان بمنذ تقول ما رأيت منذ يومين أو سنة أو يوم ولا تقول من شهر ولا من سنة ولا من يوم فإذا وقعت من في الكلام وهي تلي زما فيقدر مضمر يليق أن تجره من كقول الشاعر زهير بن أبي سلمى . # (لمن الديار كفتة الحجر % أقوين من حجج ومن دهر) . # ومن شهر رواية قدره من مر حجج ومن مر دهر ولما كان أول يوم يوما وهو اسم زمان اجتاجوا فيه إلى تقدير من تأسيس وبحسن عندي أن يستغنى في هذه الآية عن تقدير وأن تكون من تجر لفظة أول لأنها بمعنى البداية كأنه قال من مبتدأ الأيام وهي هاهنا تقوم مقام المر في البيت المتقدم وهي كما تقول جئت من قبلك ومن بعدك وأنت لا تدل بهاتين اللفظتين إلا على الزمن وقد حكى لي هذا الذي اخترته عن بعض أئمة النحو ومعنى ^ أن تقوم فيه ^ أي بصلاتك وعبادتك وقرأ جمهور الناس أن تقوم فيه فيه رجال بكسر الهاء وقرأ عبد الله بن زيد أن تقوم فيه فيه بضم الهاء الثانية على الأصل وبحسنه تجنب تكرار لفظ واحد وقال قتادة وغيره الضمير عائد على مسجد الرسول والرجال جماعة الأنصار . # وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم يا معشر الأنصار إني رأيت أئني عليكم بالظهور فمأذا تفعلون فقالوا يا رسول الله إنا رأينا جيراننا من اليهود يتظهرون بالماء . # قال القاضي أبو محمد يريد الإستنجاء بالماء ففعلنا نحن ذلك فلما جاء الإسلام لم ندعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تدعوه أبدا وقال عبد الله بن سلام وغيره ما معناه إن الضمير عائد على مسجد قباء والمراد بنو عمرو بن عوف .

@ 84 @ # وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال المقالة المتقدمة لبني عمرو بن عوف والأول أكثر واختلف أهل العلم في الأفضل بين الإستنجاء بالماء أو بالحجارة فقيل هذا وقيل هذا ورأت فرقة من أهل العلم الجمع بينهما فينقي بالحجارة ثم يتبع بالماء وحدثنى أبي رضي الله عنه أنه بلغه أن بعض علماء القبروان كانوا يتخذون في متوضياتهم أحجارا في تراب ينقون بها ثم يستنجون بالماء أخذا بهذا القول # قال القاضي أبو محمد وإنما يتصور الخلاف في البلاد التي يمكن فيها أن تنقى الحجارة وابن حبيب لا يجيز الإستنجاء بالحجارة حيث يوجد الماء وهو قول شذ فيه وقرأ جمهور الناس يتطهروا وقرأ طلحة بن مصرف والأعمش يتطهروا بالإدغام وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه المتطهرين بالثناء وأسند الطبري عن عطاء أنه قال أحدث قوم من أهل قباء الإستنجاء بالماء فنزلت الآية فيهم . # وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منهم عويم بن ساعدة ولم يسم أحد منهم غير عويم وقوله ^ أفمن أسس بنيانه ^ الآية استفهام بمعنى تقرير وقرأ نافع وابن عامر وجماعة أسس بنيانه على بناء أسس للمفعول ورفع بنيان فيهما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي وجماعة أسس بنيانه على بناء الفعل للفعل ونصب بنيان فيهما وقرأ عمار بن ضار رواه يعقوب الأول على بناء الفعل للمفعول والثاني على بنائه للفعل والآية تتضمن معادلة بين شيئين فإما بين البناءين وإما بين البنائين فالمعادلة الأولى هي بتقدير أبناء من أسس وقرأ نصر بن علي ورويت عن نصر بن عاصم أفمن أسس بنيانه على إضافة أس إلى بنيان وقرأ نصر بن عاصم وأبو حيوه أيضا أساس بنيانه وقرأ نصر بن عاصم أيضا أسس بنيانه على وزن فعل بضم الفاء والعين وهو جمع أساس كقذال وقذل حكى ذلك أبو الفتح وذكر أبو حاتم أن هذه القراءة لنصر إنما هي أسس بهمزة مفتوحة وسين مفتوحة وسين مضمومة وعلى الحكايتين بالإضافة إلى البنائين وقرأ نصر بن علي أيضا أساس على جمع أس والبنائين

يقال بنى يبني بناء وبنينا كالغفران والطلغيان فسمي به المبنى مثل الخلق إذا أردت به المخلوق وقيل هو جمع واحده بنيانة وأنشد في ذلك أبو علي # (كنيانة القاري موضع رجلها % وأثار نسعيها من الدق ألق) + الطويل # وقرأ الجمهور ^ على تقوى ^ وقرأ عيسى بن عمر على تقوى بنتوين الواو حكى هذه القراءة سيوبه وردها الناس قال أبو الفتح قياسها أن تكون الألف للإحاق كارتلى ونحوه وأما المراد بالبنيان الذي أسس على التقوى والرضوان فهو في ظاهر اللفظ وقول الجمهور المسجد المذكور قبل ويطرد فيه الخلاف المتقدم وروي عن عبد الله بن عمر أنه قال المراد بالمسجد المؤسس على التقوى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بأنه أسس على تقوى من الله ^ ورضوان خير ^ هو مسجد قباء وأما البيان الذي أسس ^ على شفا جرف هار ^ فهو مسجد الضرار بإجماع . # والشفا الحاشية والشفير . # والجرف حول البئر ونحوه مما جرفته السيول والندوة والبلى . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو

@ 85 @ والكسائي وجماعة جرف بضم الراء وقرأ ابن عامر وعاصم وجماعة جرف بسكون الراء واختلف عن عاصم . # وهما لغتان وقيل الأصل ضم الراء وتخفيفها بعد ذلك مستعمل و ^ هار ^ معناه متهدم منهال وهو من هار يهور ويقال هار يهبر ويهبر وأصله هابر أو هاور فقبلت راءه قبل حرف العلة فجاء هارو أو هاري فصنع به ما صنع بقاض وغاز وعلى هذا يقال في حال النصب هارياً ومثله في يوم راح أصله رايح ومثله شاكي السلاح أصله شايك ومثله قول العجاج # (لاث به الأشاء والعيري %) + الوافر + # أصله لايث . # ومثله قول الشاعر الأجدع الهمداني # (خفضوا أستهم فكل ناع %) + الكامل + # على أحد الوجهين . # فإنه يحتمل أنه من نعي يعني والمراد أنهم يقولون يا ثارات فلان ويحتمل أن يريد فكلهم نايح أي عاطش كما قال عامر بن شبيب والأسل النباعا وقيل في ^ هار ^ إن حرف علة حذف حذفاً فعلى هذا يجري بوجه الإعراب فتقول جرف هار ورأيت جرفاً هاراً ومررت بحرف هار . # واختلف القراءة في إمالة ^ هار ^ و ^ انهار ^ وتأسيس البناء على تقوى إنما هو بحسن النية فيه وقصد وجه الله تعالى وإظهار شرعه كما صنع بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسجد قباء . # والتأسيس ^ على شفا جرف هار ^ إنما هو بفساد النية وقصد الرياء والتفريق بين المؤمنين فهذه تشبيهات صحيحة بارعة و ^ خير ^ في هذه الآية تفضيل ولا شركة بين الأمرين في خير إلا على معتقد يأتي مسجد الضرار فيحسب ذلك المعتقد صح التفضيل وقوله ^ فانهار به في نار جهنم ^ الظاهر منه وما صح من خبرهم وهدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدهم أنه خارج مخرج المثل أي مثل هؤلاء المضارين من المنافقين في قصدهم معصية الله وحصولهم من ذلك على سخطه كمن بنهار بنيانه في نار جهنم ثم اقتصب الكلام اقتصاها يدل عليه ظاهره وقيل بل ذلك حقيقة وإن ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنم قاله قتادة وابن جريج . # وروي عن جابر بن عبد الله وغيره أنه قال رأيت الدخان يخرج منه علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . # وروي في بعض الكتب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى حين انهار حتى بلغ الأرض السابعة ففرغ لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . # وروي أنهم لم يصلوا فيه أكثر من ثلاثة أيام أكملوه يوم الجمعة وصلوا فيه يوم الجمعة وليلة السبت وانهار يوم الاثنين . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله بإسناد لين وما قدمناه أصوب وأصح وكذلك بقي أمره والصلاة فيه من قبل سفر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك إلى أن يقبل صلى الله عليه وسلم

@ 86 @ # وقوله ^ والله لا يهدي القوم الظالمين ^ طعن على هؤلاء المنافقين وإشارة إليهم والمعنى لا يهديهم من حيث هم الظالمون أو يكون المراد الخصوص فيمن يوافي على ظلمه وأسند الطبري عن خلف بن ياسين أنه قال رأيت مسجد المنافقين الذين ذكر الله في القرآن فرأيت فيه مكاناً يخرج منه الدخان وذلك في زمن أبي جعفر المنصور . # وروي شبيهة بهذا أو نحوه عن ابن جريج أسنده الطبري . # وقوله عز وجل \$ التوبة 110 - 111 \$ الضمير في ^ بنيانهم ^ عائد على المنافقين البائين للمسجد ومن شاركهم في غرضهم وقوله ^ الذي بنوا ^ تأكيد وتصريح بأمر المسجد ورفع للإشكال والريبة الشك وقد يسمى ريبة فساد المعتقد واضطرابه والاعتراض في الشيء والتحفظ فيه والحزارة من أجله وإن لم يكن شكاً فقد يرتاب من لا يشك ولكنها في معتاد اللغة تجري مع الشك ومعنى الريبة في هذه الآية أمر يعم الغيظ والحنق ويعم اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يؤدي كله إلى الريبة في الإسلام فمقصد الكلام لا يزال هذا البيان الذي هدم لهم يبقى في قلوبهم حزازة وأثر سوء والشك فسر ابن عباس الريبة هنا وفسرها السدي بالكفر وقيل له أفكفر مجمع بن جارية قال لا ولكنها حزازة . # قال القاضي أبو محمد ومجمع رحمه الله قد أقسم لعمر أنه ما علم باطن القوم ولا قصد سوء والآية إنما عنت من أبطن سوءاً فليس مجمع منهم ويحتمل أن يكون المعنى لا يزالون مريبين بسبب بنائهم الذي انضح فيه نفاقهم وجملة هذا أن الريبة في الآية تعني معاني كثيرة يأخذ كل منافق منها بحسب قدره من النفاق وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي إلا أن تقطع قلوبهم بضم التاء وبناء الفعل للمفعول وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم بخلاف عنه إلا أن تقطع بفتح التاء على أنها فاعلة وقرأ الحسن بن أبي الحسن ومجاهد وقاتدة ويعقوب إلى أن تقطع على معنى إلى أن يموتوا وقرأ بعضهم إلى أن تقطع وقرأ أبو حنيفة إلا أن يقطع بالياء مضمومة وكسر الطاء ونصب القلوب أي بالقتل وأما على القراءة الأولى فقيل بالموت قاله ابن عباس وقاتدة وابن زيد وغيرهم وقيل بالتوبة وليس هذا بالظاهر إلا أن يتأول أو يتوبوا توبة نصوحاً يكون معها من الندم والحسرة على الذنب ما يقطع القلوب هما وفكرة وفي مصحف ابن مسعود ولو قطعت قلوبهم وكذلك قرأها أصحابه وحكاها أبو عمرو وأن قطعت بتخفيف الطاء وفي مصحف أبي حتى الممات وفيه حتى تقطع وقوله ^ إن الله اشترى من المؤمنين

@ 87 @ أنفسهم) الآية هذه الآية نزلت في البيعة الثالثة وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين وكان أصغرهم سنا عقبة بن عمرو وذلك أنهم اجتمعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا اشترط لك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم حمايته مما يحمون منه أنفسهم واشترط لربه التزام الشريعة وقتال الأحمر والأسود في الدفع عن الحوزة فقالوا ما لنا على ذلك قال الجنة فقالوا نعم ربح البيع لا نقيل ولا نقال وفي بعض الروايات ولا نستقبل فنزلت الآية في ذلك . # ثم الآية بعد ذلك عامة في كل من جاهد في سبيل الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة وقال بعض العلماء ما من مسلم إلا ولله في عنقه هذه البيعة وفي بها أو لم يف وفي الحديث أن فوق كل بربراً حتى يبذل العبد دمه فإذا فعل ذلك فلا بر فوق ذلك وهذا تمثيل من الله عز وجل جميل صنعه بالمبايعة وذلك أن حقيقة المبايعة أن تقع بين نفسين بقصد منهما وتملك صحيح وهذه القصة وهب الله عيادته أنفسهم وأموالهم ثم أمرهم ببذلها في ذاته ووعدهم على ذلك ما هو خير منها فهذا غاية التفضل ثم شبه القصة بالمبايعة وأسند الطبري عن كثير من أهل العلم أنهم قالوا ثامن الله تعالى في هذه الآية عيادته فاعلى لهم وقاله ابن عباس والحسن بن أبي الحسن وقال ابن عيينة معنى الآية اشترى منهم أنفسهم ألا يعملوها إلا في طاعة الله وأموالهم أن لا ينفقوها إلا في سبيل الله . # قال القاضي أبو محمد فالآية على هذا أعم من القتل في سبيل الله ومبايعة الخلفاء هي منتزعة من هذه الآية . # كان الناس يعطون الخلفاء طاعتهم ونصائحهم وخدمهم ويعطيهم الخلفاء عدلهم ونظيرهم والقيام بأموالهم وحدثني أبي رضي الله عنه أنه سمع الواعظ أبا الفضل بن الجوهري يقول على المنبر بمصر ناهيك من صفقة البائع فيها رب العلى والتمن جنة الماوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقوله ^ يقاتلون في سبيل الله ^ مقطوع ومستأنف وذلك على تأويل سفيان بن عيينة وأما على تأويل الجمهور من أن الشراء والبيع إنما هو مع المجاهدين فهو في موضع الحال وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو والحسن وقاتدة وأبو رجاء وغيرهم فيقتلون على البناء للفاعل ويقتلون على البناء للمفعول وقرأ حمزة والكسائي والنخعي وابن وثاب وطلحة والأعمش بعكس ذلك والمعنى واحد إذ الغرض أن المؤمنين يقاتلون فيوجد فيهم من يقتل وفيهم من يقتل وفيهم من يجتمعان له وفيهم من لا تقع له واحدة منهما وليس الغرض أن يجتمع ولا بد لكل واحد واحد وإذا اعتبر هذا بأن وقوله سبحانه ^ وعدا عليه حقا ^ مصدر مؤكد لأن ما تقدم من الآية هو في معنى الوعد فجاء هو مؤكداً لما تقدم من قوله ^ بأن لهم الجنة ^ وقال المفسرون يظهر من قوله ^ في التوراة والإنجيل والقرآن ^ أن كل أمة أمرت بالجهاد ووعدت عليه . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن ميعاد أمة محمد صلى الله عليه وسلم تقدم ذكره في هذه

الكتب وقوله ^ ومن أوفى بعهد من الله ^ استفهام على جهة التقرير أي لا أحد أوفى بعهد من الله وقوله ^ فاستبشروا ^ فعل جاء فيه استفعل بمعنى أفعل وليس هذا من معنى طلب الشيء كما تقول استوقد ناراً

@ 88 @ واستهدى مالا واستدعى نصرا بل هو كعجب واستعجب ثم وصف تعالى ذلك البيع بأنه ^ الفوز العظيم ^ أي أنه الحصول على الحظ الأعظم من حط الذنوب ودخول الجنة بلا حساب . # قوله عز وجل \$ التوبة 112 - 113 # هذه الأوصاف هي من صفات المؤمنين الذين ذكر الله أنه اشترى منهم أنفسهم وارتفعت هذه الصفات لما جاءت مقطوعة في ابتداء آية على معنى هم التائبون ومعنى الآية على ما تقتضيه أقوال العلماء والشرع أنها أوصاف الكاملة من المؤمنين ذكرها الله تعالى ليستيق إليها أهل التوحيد حتى يكونوا في أعلى رتبة والآية الأولى مستقلة بنفسها يقع تحت تلك المبايعات كل موحد قائل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وإن لم يتصف بهذه الصفات التي هي في هذه الآية الثانية أو بآكثرها وقالت فرقة بل هذه الأوصاف جاءت على جهة الشرط والآيات مرتبطتان فلا يدخل في المبايعات إلا المؤمنون الذين هم على هذه الأوصاف ويبدلون أنفسهم في سبيل الله واسند الطبري في ذلك عن الضحاك بن مزاحم أن رجلاً سأله عن قول الله عز وجل ^ إن الله اشترى ^ وقال الرجل ألا أحمل عليّ المشركين فأقاتل حتى أقتل فقال الضحاك وبك أبن الشرط ^ التائبون العابدون ^ الآية وهذا القول تحريج وتصديق والله أعلم والأول أصوب والشهادة ماحية لكل ذنب إلا لمظالم العباد وقد روي أن الله تعالى يحمل عن الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنه ختم الله لنا بالحسنى وقالت فرقة إن رفع التائبين إنما هو على الابتداء وما بعده صفة إلا قوله ^ الأمرون ^ فإنه خبر الإبتداء كأنه قال هم الأمرون وهذا حسن إلا أن معنى الآية ينفصل من معنى التي قبلها وذلك قلق فتأمل وفي مصحف عبد الله بن مسعود التائبين العابدون إلى آخرها ولذلك وجهان أحدهما الصفة للمؤمنين على اتباع اللفظ والآخر النصب على المدح و ^ التائبون ^ لفظ يعم الرجوع من الشر إلى الخير كان ذلك من كفر أو معصية والرجوع من حالة إلى ما هي أحسن منها وإن لم تكن الأولى شرًا بل خيراً وهكذا توبة النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره سبعين مرة في اليوم والتائب هو المقلع عن الذنب العازم على التماسي على الإقلاع النادم على ما سلف والتائب عن ذنب يسمى تائباً وإن قام على غيره إلا أن يكون من نوعه فليس بتائب والتوبة ونقضها دائماً خير من الإصرار ومن تاب ثم نقض ووافق على النقص فإن ذنوبه الأولى تبقى عليه لأن توبته منها علم الله أنها منقوضة ويحتمل الأمر غير ذلك والله أعلم . # وقال الحسن في تفسير الآية ^ التائبون ^ معناه من الشرك و ^ العابدون ^ لفظ يعم عبادته الله والتزام شريعته وملازمة ذلك والمثابرة عليه والدوام والعباد هو المحسن الذي فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم

@ 89 @ في قوله أن تعبد الله كأنك تراه الحديث وبأدنى عبادة يؤديها المرء المسلم يقع عليه اسم عابد ويحصل في أدنى رتبته وعلى قدر زيادته في العبادة يحصل الوصف و ^ الحامدون ^ معناه الذاكرون لله بأوصافه الحسنى في كل حال وعلى السراء والضراء وحمده لأنه أهل لذلك وهو أعم من الشكر إذ الشكر إنما هو على النعم الخاصة بالشاكر و ^ السائحون ^ معناه الصائمون وروي عن عائشة أنها قالت سبحة هذه الأمة الصيام وأسنده الطبري وروي أنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث إن لله ملائكة سياحين يبلغوني في الآفاق يبلغوني صلاة أمتي علي وعلى يبروي الحديث صياحين بالصاد من الصياح والسياحة في الأرض مأخوذ من السيح وهو الماء الجاري على الأرض إلى غير غاية وقال بعض الناس وهو في كتاب النقاش ^ السائحون ^ هم الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته وهذا قول حسن وهي من أفضل العبادات ومن ذلك قول معاذ بن جبل أقعد بنا نؤمن ساعة وبيروى أن بعض العباد أخذ القدح ليتوضأ لصلاة الليل فأدخل أصبعه في أذن القدح وجعل يفكر حتى طلع الفجر فقبل له في ذلك فقال أدخلت أصبعي في أذن القدح فتذكرت قول الله تعالى ^ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل ^ وفكرت كيف أتلقى الغل وبقيت في ذلك ليلي أجمع و ^ الراكعون الساجدون ^ هم المصلون الصلوات الخمس كذا قال أهل العلم ولكن لا يختلف في أن من يكثر النوافل هو أدخل في الاسم وأغرق في الانصاف وقوله ^ الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ^ هو أمر فرض عليّ أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالجملته ثم يفترق الناس فيه مع التعيين فأما ولاة الأمر والرؤساء فهو فرض عليهم في كل حال وأما سائر الناس فهو فرض عليهم بشروط منها أن لا تلحقه مضرة وأن يعلم أن قوله بسمع ويعمل به ونحو هذا ثم من تحمل بعد في ذات الله مشقة فهو اعظم أجراً وأسند الطبري عن بعض العلماء أنه قال حيثما ذكر الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو الأمر بالإسلام والنهي عن الكفر . # قال القاضي أبو محمد ولا شك أنه يتناول هذا وهو أحرى إذ يتناول ما دونه فتعميم اللفظ أولى وأما هذه الواو التي في قوله ^ والناهون ^ ولم يتقدم في واحدة من الصفات قبل فقيل معناها الربط بين هاتين الصفتين وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ هما من غير قبيل الصفات الأولى . # قال القاضي أبو محمد لأن الأول فيما يخص المرء وهاتان بينه وبين غيره ووجب الربط بينهما لتلازمهما وتناسبهما وقيل هي زائدة وهذا قول ضعيف لا معنى له وقيل هي واو الثمانية لأن هذه الصفة جاءت ثامنة في الرتبة ومن هذا قوله في أبواب الجنة ^ وفتحت أبوابها ^ وقوله ^ وثامنهم كلبهم ^ ومن هذا قوله ^ نبيات وأبكارا ^ # قال القاضي أبو محمد على أن هذه تعترض حتى لا يلزم أن يكون واو ثمانية لأنها فرقت بين فصلين يعمان بمجموعهما جميع النساء ولا يصح أن يكون ^ نبيات أبكارا ^ فهي فاصلة ضرورة وواو الثمانية قد ذكرها ابن خالويه في مناظرته لأبي علي الفارسي في معنى قوله ^ وفتحت أبوابها ^ وأنكرها أبو علي وحدثني أبي رضي الله عنه عن الأستاذ أبي عبد الله الكفيع المالقي وكان ممن استوطن غرناطة وقرأ فيها في مدة ابن حبوس أنه قال هي لغة فصيحة لبعض العرب من

@ 90 @ شأنهم أن يقولوا إذا عدوا وحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة فهكذا هي لغتهم ومتى جاء في كلامهم أمر ثمانية أدخلوا الواو وقوله ^ والحافظون لحدود الله ^ لفظ عام تحته إلزام الشريعة والانتهاة عما نهى الله في كل شيء وفي كل فن وقوله ^ وبشر المؤمنين ^ قيل هو لفظ عام أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يبشر أمته جميعاً بالخير من الله وقيل بل هذه الألفاظ خاصة لمن لم يغز أي لما تقدم في الآية وعد المجاهدين وفضلهم أمر أن يبشر سائر الناس ممن لم يغز بان الإيمان مخلص من النار والحمد لله رب العالمين وقوله تعالى ^ ما كان للنبي ^ الآية يقتضي التائب ومنع الاستغفار للمشركين مع اليأس عن إيمانهم إما بموافاتهم على الكفر وموتهم ومنه قول عمر بن الخطاب في العاصي بن وائل لا جزاء الله خيراً وإما بنص من الله تعالى على أحد كابي لهب وغيره فيمنع الاستغفار له وهو حي واختلف المفسرون في سبب هذه الآية فقال الجمهور ومداره على ابن المسيب وعمرو بن دينار نزلت في شأن أبي طالب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه حين احتضر ووعظه وقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله تعالى وكان بالحضرة أبو جهل وعبد الله بن أمية فقالا له يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أبو طالب يا محمد والله لولا أني أخاف أن يعير بها ولدي من بعدي لأقربت بها عينك ثم قال أنا على ملة عبد المطلب ومات على ذلك إذ لم يسمع منه النبي صلى الله عليه وسلم ما قال للعباس فنزلت ^ إنك لا تهدي من أحببت ^ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لأبي طالب وروي أن المؤمنين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لأبي طالب جعلوا يستغفرون لموتاهم فلذلك دخلوا في التائب والنهي . # والآية على هذا ناسخة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم إذ أفعاله في حكم الشرع المستقر وقال فضيل بن عطية وغيره إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة أتى قبر أمه فوقف عليه حتى سحنت عليه الشمس وجعل يرغب في أن يؤذن له في الاستغفار لها فلم يؤذن له فأخبر أصحابه أنه أذن له في زيارة قبرها ومنع أن يستغفر لها فما رئي باكياً أكثر من يومئذ ونزلت الآية في ذلك وقالت فرقة إنما نزلت بسبب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناققين والله لأزيدن على السبعين وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما إنما نزلت الآية بسبب جماعة من المؤمنين قالوا نستغفر لموتانا كما استغفر إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأبيه فنزلت الآية في ذلك وعلى كل حال ففي ورود النهي عن الاستغفار للمشركين موضع اعتراض بقصة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه فنزل رفع ذلك الإعتراض في الآية التي بعدها وقوله ^ من بعد ما تبين ^ يريد من بعد الموت على الكفر فحينئذ تبين أنهم أصحاب الجحيم أي سكانها وعمرتها والاستغفار للمشارك الحي جائز إذ يرجى إسلامه ومن هذا قول أبي هريرة رضي الله عنه رحم الله رجلاً استغفر لأبي هريرة ولأمه قيل له ولأبيه قال لا إن أبي

مات كافرا وقال عطاء بن أبي رباح الآية في النهي عن الصلاة على المشركين والإستغفار ها هنا يراد به الصلاة .

@ 91 @ # قوله عز وجل \$ التوبة 114 - 116 \$ # المعنى لا حجة أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم الخليل لأبيه فإن ذلك لم يكن إلا عن موعدة واختلف في ذلك فقيل عن موعدة من إبراهيم في أن يستغفر لأبيه وذلك قوله ^ سأستغفر لك ربي إنه كان بي حنيا ^ وقيل عن موعدة من أبيه له في أنه سيؤمن فكان إبراهيم قد قوي طمعه في إيمانه فحمله على الإستغفار له حتى نهى عنه وقرأ طلحة وما يستغفر إبراهيم وروي عنه وما استغفر إبراهيم و ^ موعدة ^ مفعلة من الوعد وأما تبينه أنه عدو لله قيل ذلك بموت أزر على الكفر وقيل ذلك بأنه نهى عنه وهو حي . # وقال سعيد بن جبير ذلك كله يوم القيامة وذلك أن في الحديث أن إبراهيم يلقاه فيعرفه ويتذكر قوله # وله ^ سأستغفر لك ربي ^ فيقول له الزم حقوي فلن ادعك اليوم لشيء فيلزمه حتى يأتي الصراط فيلتفت إليه فإذا هو قد مسح صبعانا أمذر فيتبرأ منه حينئذ . # قال القاضي أبو محمد وربط أمر الإستغفار بالآخرة ضعيف وقوله ^ إن إبراهيم لأواه حليم ^ ثناء من الله تعالى على إبراهيم والأواه قال ابن مسعود هو الدعاء وقيل هو الداعي بتضرع وقيل هو الموقن قاله ابن عباس وقيل هو الرحيم قاله ابن مسعود أيضا وقيل هو المؤمن التواب وقيل هو المسيح وقيل هو الكثير الذكر لله عز وجل وقيل هو التلاء للقرآن وقيل هو الذي يقول من خوفه لله عز وجل أبدا أوه ويكثر ذلك . # وروي أن أبا ذر سمع رجلا يكثر ذلك في طوافه فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعه فإنه أواه . # والتأوه التفعج الذي يكثر حتى ينطق الإنسان معه ب أوه ويقال أوه فمن الأول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال في بيع أو شراء أنكروه عليه أوه ذلك الربا بعينه ومن الثاني قول الشاعر . # (فأوه لذكراها إذا ما ذكرتها % ومن بعد أرض بيننا وسما) + الطويل + # ومن هذا المعنى قول المنقب العبدي . # (إذا ما قمت أرحلها بليل % تأوه أهة الرجل الحزين) + الوافر +

@ 92 @ # ويروي آهة ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أوه لأفراخ محمد و ^ حليم ^ معناه صابر محتمل عظيم العقل والحلم العقل وقوله تعالى ^ وما كان الله ليضل قوما ^ الآية معناه التأييس للمؤمنين وقيل إن بعضهم خاف على نفسه من الاستغفار للمشركين دون أمر من الله تعالى فنزلت الآية مؤنسة أي ما كان الله بعد أن هدى إلى الإسلام وأنقذ من النار ليحيط ذلك ويضل أهله لمواقعتهم ذنبا لم يتقدم منه نهى عنه فاما إذا بين لهم ما يتقون من الأمور ويتجنبون من الأشياء فحينئذ من واقع بعد النهي استوجب العقوبة وقيل إن هذه الآية إنما نزلت بسبب قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا غيبا فحولت القبلة فصلوا قبل أن يصلهم ذلك إلى بيت المقدس وآخرين شربوا الخمر بعد تحريمها قبل أن يصل إليهم فخافوا على أنفسهم وتكلموا في ذلك فنزلت الآية والقول الأول أصوب وأليق بالآية وذهب الطبري إلى أن قوله ^ يحيى ويميت ^ إشارة إلى أنها يجب أيها المؤمنون ألا تجزعوا من عدو وإن كثر ولا تهابوا أحدا فإن الموت المخوف والحياة المحبوبة إنما هما بيد الله تعالى . # قال القاضي أبو محمد والمعنى الذي قال صحيح في نفسه ولكن قوله إن القصد بالآية إنما هو لهذا قول يبعد والظاهر في الآية إنما هو لما نص في الآية المتقدمة أمرت بفضله على عبده في أنه متى من عليهم بهداية فضله أسبغ من أن يصرفهم ويضلهم قبل أن تقع منهم معصية ومخالفة أمر أتبع ذلك بأوصاف فيها تمجيد الله عز وجل وتعظيمه وبعث النفوس على إيمان شكره والإقرار بعبوديته . # قوله عز وجل \$ التوبة 117 - 119 \$ التوبة من الله رجوعه بعده من حالة إلى أرفع منها فقد تكون في الأكثر رجوعا من حالة طاعة إلى أكمل منها وهذه توبته في هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه رجع به من حاله قبل تحصيل الغزوة وأجرها وتحمل مشقاتها إلى حاله بعد ذلك كله وأما توبته على المهاجرين والأنصار فحالتها معرضة لأن تكون من تقصير إلى طاعة وجد في الغزو ونصرة الدين وأما توبته على الفريق الذي كاد أن يزيغ فرجوع من حالة محطوطة إلى حال غفران ورضا و ^ اتبعوه ^ معناه دخلوا في أمره وانبعائه ولم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه وقوله ^ في ساعة العسرة ^ يريد في وقت العسرة فأنزل الساعة منزلة المدة والوقت والزمن وإن كان عرف الساعة في اللغة أنه لما قل من الزمن كالقطعة من النهار . # ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم في رواج يوم الجمعة في الساعة الأولى وفي الثانية الحديث

@ 93 @ فهي هنا بتجوز ويمكن أن يريد بقوله ^ في ساعة العسرة ^ الساعة التي وقع فيها عزمهم وانقيادهم لتحمل المشقة إذ السفارة كلها تبع لتلك الساعة وبها وفيها يقع الأجر على الله وترتبط النية فمن اعترم على الغزو وهو معسر فقد اتبع في ساعة العسرة ولو اتفق أن يطراً لهم غنى في سائر سفرتهم لما اختل كونهم متبعين في ساعة عسرة و ^ العسرة ^ الشدة وضيق الحال والعدم ومنه قوله تعالى ^ وإن كان ذو عسرة ^ وهذا هو جيش العسرة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان بن عفان رضي الله عنه بألف جمل وألف دينار . # وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب الدنانير بيده وقال وما على عثمان ما عمل بعد هذا وجاء أيضا رجل من الأنصار بسبعمائة وسق من تمر وقال مجاهد وقتادة إن العسرة بلغت بهم في تلك الغزوة وهي غزوة تبوك إلى أن قسموا التمرة بين رجلين ثم كان النفر يأخذون التمرة والواحدة فيمضغها أحدهم ويشرب عليها الماء ثم يفعل كلهم بها ذلك # وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصابهم في بعضها عطش شديد حتى جعلوا ينحرون الإبل ويشربون ما في كروشها من الماء ويعصرون الفرث حتى استسقى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع يديه يدعو فما رجعهما حتى انسكبت سحابة فشربوا وادخروا ثم ارتحلوا فإذا السحابة لم تخرج عن العسكر وحينئذ قال رجل من المنافقين وهل هذه إلا سحابة مرت وكانت الغزوة في شدة الحر وكان الناس كثيرا فقل الظهر فجاءتهم العسرة من جهات ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أوائل بلد العدو فصالحه أهل أذرج وأبلة وغيرها على الجزية ونحوها وانصرف وأما الزبيغ الذي كادت قلوب فريق منهم أن تواقع ففيل همت فرقة بالإصراف لما لقوا من المشقة والعسرة قاله الحسن وقيل زيغها إنما كان بطنون لها ساءت في معنى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الغزوة لما رأته من شدة العسرة وقلة الوافر وبعد المشقة وقوة العدو المقصود وقرأ جمهور الناس وأبو بكر عن عاصم تزبيغ بالتاء من فوق على لفظ القلوب . # وروي عن أبي عمرو أنه كان يدغم الدال في التاء وقرأ حمزة وحفص عن عاصم والأعمش والجحدري يزيغ بالياء على معنى جمع القلوب وقرأ ابن مسعود من بعد ما راغت قلوب فريق وقرأ أبي بن كعب من بعد ما كادت تزبيغ وأما كان فيحتمل أن يرتفع بها ثلاثة أشياء أولها وأقواها القصة والشأن هذا مذهب سيبويه وترتفع القلوب على هذا ب تزبيغ والثاني أن يرتفع بها ما يقتضيه ذكر المهاجرين والأنصار أولا ويقدر ذلك القوم فكأنه قال من بعد ما كاد القوم تزبيغ قلوب فريق منهم والثالث أن يرتفع بها القلوب ويكون في قوله تزبيغ ضمير القلوب وجاز ذلك تشبيها بكان في قوله ^ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ^ وأيضا فلأن هذا التقديم للخبر يراد به التأخير وشبهت ^ كاد ^ بكان للزوم الخبر لها قال أبو علي ولا يجوز ذلك في عسى . # ثم أخبر عز وجل أنه تاب أيضا على هذا الفريق وراجع به وأنس بإعلامه للامة بأنه ^ رؤوف رحيم ^ والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع العامري ويقال ابن ربيعة ويقال

@ 94 @ ابن ربيعي وقد خرج حديثهم بكمال البخاري ومسلم وهو في السير فلذلك اخترنا سوقة وهم الذين تقدم فيهم ^ وآخرون مرجون ^ ومعنى ^ خلفوا ^ أخروا وترك أمرهم ولم تقبل منهم معذرة ولا ردت عليهم فكأنهم خلفوا عن المعتذرين وقيل معنى ^ خلفوا ^ أي عن غزوة تبوك قاله قتادة وهذا ضعيف وقد رده كعب بن مالك بنفسه وقال معنى ^ خلفوا ^ تركوا عن قبول العذر وليس يتخلفنا عن الغزو ويقوي ذلك من اللفظة جعله إذا ضاقت غاية للتخلف ولم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر وقرأ الجمهور خلفوا بضم الخاء وبشد اللام المكسورة وقرأ عكرمة بن هارون المخزومي وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد وأبو عمرو أيضا خلفوا بفتح الخاء واللام غير مشددة وقرأ أبو مالك خلفوا بضم الخاء وتخفيف اللام المكسورة وقرأ أبو جعفر محمد بن علي وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد وأبو عبد الرحمن خلفوا والمعنى قريب من التي قبلها وقال أبو جعفر ولو خلفوا لم يكن لهم ذنب وقرأ الأعمش وعلي بن الحسين وقوله ^ بما رحبت ^ معناه برحبها كأنه قال على ما هي في نفسها رحبة فما مصدرية ^ وضاقت عليهم أنفسهم ^ استعارة لأن الغم والهلم ملأها ^ ووطنوا ^ في هذه الآية بمعنى أيقنوا وحصل علم لهم وقوله ^ ثم تاب عليهم ليتوبوا ^ لما كان هذا القول في تعديده نعمه بدا في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله عز وجل ليكون ذلك

منبها على تلقي النعمة من عنده لا رب غيره ولو كان القول في تعديده ذنب لكان الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب كما قال الله تعالى ^٨ فلما زأغوا أزاع الله قلوبهم ^٩ ليكون هذا أشد تقريراً للذنب عليهم وهذا من فصاحة القرآن وبيد نظمه ومعجز اتساقه وبيان هذه الآية ومواقع ألفاظها إنما يكمل مع مطالعة حديث الثلاثة الذين خلفوا في الكتب التي ذكرنا وإنما عظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك لأن الشرع يطلبهم من الجد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه إذ هم أسوة وحجة للمنافقين والطاعينين إذ كان كعب من أهل العقبة وصاحبه من أهل بدر . # وفي هذا يقتضي أن الرجل العالم والمقتدى به أقل عذراً في السقوط من سواه وكتب الأوزاعي رحمه الله إلى المنصور أبي جعفر في آخر رسالة وأعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله عليك إلا عظمًا ولا طاعته إلا وجوبًا ولا الناس فيما خالف ذلك منك إلا إنكارًا والسلام ولقد أحسن القاضي التنوخي في قوله # (والعيب يعلق بالكبير كبير %) + الكامل + # وفي بعض طرق حديث الثلاثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة نزول توبتهم في بيت أم سلمة وكانت لهم صالحة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك وصاحبه فقالت يا رسول الله ألا بعث إليهم فقال إذا يحطمكم الناس سائر الليلة فيمنعوكم النوم وقوله تعالى ^٨ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ^٩ هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين فجاء هذا الأمر اعتراضاً في أثناء

@ 95 @ الكلام إذ عن في القصة ما يجب التنبيه علي أمثاله وقال ابن جريج وغيره الصدق في هذه الآية هو صدق الحديث وقال نافع والضحاك ما معناه إن اللفظ أعم من صدق الحديث وهو بمعنى الصحة في الدين والتمكن في الخير كما تقول العرب عود صدق ورجل صدق وقالت هذه الفرقة كونوا مع محمد وأبي بكر وعمر وأخبار المهاجرين الذين صدقوا الله في الإسلام ومع في هذه الآية تقتضي الصحة في الحال والمشاركة في الوصف المقتضي للمدح وقرأ ابن مسعود وابن عباس وكونوا من الصادقين ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن مسعود رضي الله عنه يتأوله في صدق الحديث . # وروي عنه أنه قال الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل أقرأوا إن شئتم ^٨ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ^٩ . # قوله عز وجل \$ التوبة 120 - 121 \$ # هذه معانبة للمؤمنين من أهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة وقوة الكلام تعطي الأمر بصحته إلى توجهه غازياً وبذل النفوس دونه واختلاف المتأولون فقال قتادة كان هذا الإلزام خاصاً مع النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب النفر إلى الغزو إذا خرج هو بنفسه ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء وقال زيد بن أسلم كان هذا الأمر والإلزام في قلة الإسلام والإحتياج إلى اتصال الأيدي ثم نسخ عند قوة الإسلام بقوله ^٨ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ^٩ # قال القاضي أبو محمد وهذا كله في الإبتعات إلى غزو العدو على الدخول في الإسلام وأما إذا ألم العدو بجهة فمتعين على كل أحد القيام بذمه ومكافحته وأما قوله تعالى ^٨ ولا يرغبوا بأنفسهم ^٩ فمعناه أن لا يحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الله مشقة ويجوز بنفسه في سبيل الله فيقع منهم شح على أنفسهم وبكعون عما دخل هو فيه ثم ذكر تعالى لم يكن لهم التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بقوله ^٨ ذلك بأنهم ^٩ الآية والنصب التعب . # ومنه قول النابغة # (كليني لهم يا أميمة ناصب %) + الطويل + # أي ذي نصب . # ومنه قوله تعالى ^٨ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ^٩ والمخمصة

@ 96 @ مفعلة من خموص البطن وهي ضموره واستعير ذلك لحالة الجوع إذ الخموص ملازم له ومن ذلك قول الأعشى # (تبيتون في المشتى ملاء بطونكم % وجاراتكم عثرى بيتن خمائصاً) + الطويل + # ومنه أخصم القدم والخمصانة من النساء وقوله تعالى ^٨ ولا يطؤون موطئاً ^٩ أي ولا يبتهون من الأرض منتهى مؤذياً للكفار وذلك هو الغائط ومنه في المدونة كنا لا نتوضأ من موطئ من قول ابن مسعود وقوله تعالى (ولا ينالون من عدو نبالاً) لفظ عام لقليل ما يصنعه المؤمنون بالكفرة من أخذ مال أو إيراد هوان وكثيره والنبل مصدر نال ينال وليس من قولهم نلت أنوله نولا ونوالاً وقيل هو منه وبدلت الواو ياء لختها هنا وهذا ضعيف والطبري قد ذكر نحوه وضعفه وقال ليس ذلك المعروف من كلام العرب وقوله ^٨ ولا ينفقون ^٩ الآية قدم الصغيرة للاهتمام أي إذا كتبت الصغيرة فالكبيرة أخرى والوادي ما بين جبلين كان فيه ماء أو لم يكن وجمعه أودية وليس في كلام العرب فاعل وأفعلة إلا في هذا الحرف وحده وفي الحديث وما ازداد قوم من أهلهم في سبيل الله بعداً إلا ازدادوا من الله قرباً . # قوله عز وجل \$ التوبة 122 - 123 \$ # قال فرقة سبب هذه الآية أن المؤمنين الذين كانوا بالبادية سكاناً ومبعوثين لتعليم الشرع لما سمعوا قول الله عز وجل ^٨ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ^٩ أهمهم ذلك فنفروا إلى المدينة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يكونوا مذنبين في التخلف عن الغزو فنزلت هذه الآية في نفرهم ذلك وقالت فرقة سبب هذه الآية أن المنافقين لما نزلت الآيات في المتخلفين قالوا هلك أهل البوادي فنزلت هذه الآية مقيمة لعذر أهل البوادي . # قال القاضي أبو محمد فيجاء قوله تعالى ^٨ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم ^٩ عموم في اللفظ والمراد به في المعنى الجمهور والأكثر وتجيء هذه الآية مبينة لذلك مطردة الألفاظ متصلة المعنى من قوله تعالى ^٨ ما كان لأهل المدينة ^٩ إلى قوله ^٨ يحذرون ^٩ بين في آخر الآية العموم الذي في أولها إذ هو معرض أن يتأول فيه ألا يتخلف بشر والتفقه هو من الناظرين والإنذار هو منهم والضمير في ^٨ رجعوا ^٩ لهم أيضاً وقالت فرقة هذه الآية ليست في معنى الغزو وإنما سببها أن قبائل من العرب لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مضر بالسنين أصابتهم مجاعة وشدة فنفروا إلى المدينة لمعنى المعاش فكادوا أن يفسدوها وكان أكثرهم غير صحيح الإيمان وإنما أضرعه الجوع فنزلت الآية في ذلك فقال وما كان من صفته الإيمان لينفر مثل هذا نفر أي ليس هؤلاء المؤمنين وقال ابن عباس ما معناه إن

@ 97 @ هذه الآية مختصة بالبعوث والسرايا والآية المتقدمة ثابتة الحكم مع خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو وهذه ثابتة الحكم مع تخلفه أي يجب إذا تخلف ألا ينفر الناس كافة فيبقى هو منفرداً وإنما ينبغي أن تنفر طائفة وتبقى طائفة لتتفقه هذه الباقية في الدين وينذروا الناظرين إذا رجع الناظرين إليهم وقالت فرقة هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من إلزام الكافة النفر والقتال والضمير في قوله (ليتفقهوا) عائد أيضاً على هذا التأويل على الطائفة المتخلفة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو القول الأول في ترتيبنا هذا عائد على الطائفة النافرة وكذلك يترتب عوده مع بعض الأقوال على هذه ومع بعضها على هذه والجمهور على أن التفقه إنما هو بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه وقالت فرقة يشبه أن يكون التفقه في الغزو في السرايا لما يرون من نصرة الله لدينه وإظهاره العدد القليل من المؤمنين على الكثير من الكافرين وعلمهم بذلك صحة دين الإسلام ومكانته من الله تعالى ورجحه الطبري وقواه والآخر أيضاً قوي والضمير في قوله ^٨ لينذروا ^٩ عائد على المتفقهين بحسب الخلاف والإنذار عام للكفر والمعاصي والحذر منها أيضاً كذلك وقوله تعالى ^٨ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ^٩ الآية قيل هذه الآية نزلت قبل الأمر بقتال الكفار كافة فهي من التدرج الذي كان في أول الإسلام . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول يضعفه هذه الآية من آخر ما نزل وقالت فرقة إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما تجاوز قوماً من الكفار غازياً لقوم آخرين أبعد منهم فأمر الله تعالى بغزو الأدنى فالأدنى إلى المدينة وقالت فرقة الآية مبينة صورة القتال كافة وهي مرتبة مع الأمر بقتال الكفار كافة ومعناها أن الله تبارك وتعالى أمر فيها المؤمنين أن يقاتل كل فريق منهم الجنس الذي يصاقبه من الكفرة وهذا هو القتال لكلمة الله ورد الناس إلى الإسلام وأما إذا مال العدو إلى صفق من أصقاع المسلمين ففرض على من اتصل به من المسلمين كفاية عدو ذلك الصفق وإن بعدت الدار ونات البلاد وقال قائلو هذه المقالة نزلت الآية مشيرة إلى قتال الروم بالشام لأنهم كانوا يومئذ العدو الذي يلي ويقرب إذ كانت العرب قد عمها الإسلام وكانت العراق بعيدة ثم لما اتسع نطاق الإسلام توجه الفرض في قتال الفرس والديلم وغيرهما من الأمم وسأل ابن عمر رجل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم وقال الحسن هم الروم والديلم . # قال القاضي أبو محمد يعني في زمنه ذلك وقاله علي بن الحسين قال ابن زيد المراد بهذه الآية وقت نزولها العرب فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم ^٨ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ^٩ إلى قوله ^٨ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ^٩ وقرأ جمهور الناس غلظة بكسر الغين وقرأ المفضل عن عاصم والأعمش غلظة بفتحها وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبان بن ثعلبة وابن أبي عبله غلظة بضمها وهي قراءة أبي حيوة ورواها المفضل عن عاصم أيضاً قال أبو حاتم رويت الوجوه الثلاثة عن أبي عمرو وفي هاتين القراءتين شذوذ وهي لغات

ومعنى الكلام وليجدوا فيكم خشونة وأسا وذلك مقصود به القتال ومنه ^ عذاب غليظ ^ و ^ غليظ القلب ^ و ^ غلاظ شداد ^ في صفة الزبانية وغلظت علينا كبده في حفر الخندق إلى غير ذلك ثم وعد تعالى في

@ 98 @ آخر الآية وحض على التقوى التي هي ملاك الدين والدنيا وبها يلقي العدو وقد قال بعض الصحابة إنما تقاتلون الناس بأعمالكم وأهلها هم المجدون في طرق الحق فوعد تعالى أنه مع أهل التقوى ومن كان الله معه فلن يغلب . # قوله عز وجل \$ التوبة 124 - 126 \$ # هذه الآية نزلت في شأن المنافقين والضمير في قوله ^ فمنهم ^ عائد على المنافقين وقوله تعالى ^ أيكم زادته هذه إيمانا ^ يحتمل أن يكون لمنافقين مثلهم ويحتمل أن يكون لقوم من قراياتهم من المؤمنين يستنيمون إليهم وينقون بسترهم عليهم ويطلعون في ردهم إلى النفاق ومعنى ^ أيكم زادته هذه إيمانا ^ الاستخفاف والتحقيق لشأن السورة كما تقول أي غريب في هذا أو أي دليل ثم ابتدا عز وجل الرد عليهم والحكم بما يهدم لبسهم فأخبر أن المؤمنين الموقنين قد زادتهم إيمانا وأنهم ^ يستبشرون ^ من ألفاظها ومعانيها برحمة الله ورضوانه والزيادة في الإيمان موضع تحبط للناس وتطويل وتلخيص القول فيه ان الإيمان الذي هو نفس التصديق ليس مما يقبل الزيادة والنقص في نفسه وإنما تقع الزيادة في المصدق به فإذا نزلت سورة من الله تعالى حدث للمؤمنين بها تصديق خاص لم يكن قبل فتصديقهم ما تضمنته السورة من إخبار وأمر ونهي أمر زائد على الذين كان عندهم قبل فهذا وجه من زيادة الإيمان ووجه آخر أن السورة ربما تضمنت دليلا أو تنبيها عليه فيكون المؤمن قد عرف الله بعدة أدلة فإذا نزلت السورة زادت في أدلته وهذه أيضا جهة أخرى من الزيادة وكلها خارجة عن نفس التصديق إذا حصل تاما فإنه ليس يبقى فيه موضع زيادة ووجه آخر من وجوه الزيادة أن الرجل ربما عارضه شك يسير أو لاحت له شبهة مشعبة فإذا نزلت السورة ارتفعت تلك الشبهة واستراح منها فهذا أيضا زيادة في الإيمان إذ يرتقي اعتقاده عن مرتبة معارضة تلك الشبهة إلى الخلوص منها وأما على قول من يسمي الطاعات إيمانا وذلك مجاز عند أهل السنة فتترتب الزيادة بالسورة إذ تتضمن أوامر ونواهي وأحكاما وهذا حكم من يتعلم العلم في معنى زيادة الإيمان ونقصانه إلى يوم القيامة فإن تعلم الإنسان العلم بمنزلة نزول سورة القرآن و ^ الذين في قلوبهم مرض ^ هم المنافقون وهذا تشبيه وذلك أن السالم المعتقد المنشرح الصدر بالإيمان يشبهه الصحيح والفاقد المعتقد يشبهه المريض ففي العبارة مجاز فصيح لأن المرض والصحة إنما هي خاصة في الأعضاء فهي في المعتقدات مجاز والرجس في هذه الآية عبارة عن حالهم التي جمعت معنى الرجس في اللغة وذلك أن الرجس في اللغة يجيء بمعنى القدر ويجيء بمعنى العذاب وحال هؤلاء المنافقين هي قدر وهي عذاب عاجل كفيف باجل وزيادة الرجس إلى الكفر هي عمهم في الكفر

@ 99 @ وخبطهم في الضلال يعاقبهم الله على الكفر والإعراض بالختم على قلوبهم وإختم بالنار عليهم وإذ كفروا بسورة فقد زاد كفرهم فذلك زيادة رجس إلى رجسهم وقوله ^ أولا يرون أنهم يفتنون ^ الآية قرأ الجمهور أو لا يرون بالبلاء على معنى أو لا يرى المنافقون وقرأ حمزة أو لا ترون بالتاء على معنى أو لا ترون أيها المؤمنون فهذا تنبيه للمؤمنين وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب والأعمش أو لا ترى أي أنت يا محمد . # وروي عن الأعمش أيضا أنه قرأ أو لم تروا . # وذكر عنه أبو حاتم أو لم ترو وقال مجاهد يفتنون ^ معناه يختبرون بالسنة والجموع وحكى عنه النقاش أنه قال مرضة أو مرضتين وقال الحسن بن أبي الحسن وقتادة معناه يختبرون بالأمر بالجهاد والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أن الفتنة والاختبار إنما هي بكشف الله تعالى أسرارهم وإفشائه عقائدهم فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته وترك التوبة وأما الجهاد أو الجوع فلا يتقرب منهما ما ذكرناه معنى الآية على هذا فلا يزدجر هؤلاء الذين تفضح سرايرهم كل سنة مرة أو مرتين بحسب واحد ويعلمون أن ذلك من عند الله فيفتوبون ويتذكرون وعد الله ووعيده وأما الاختبار بالمرض فهو في المؤمنين وقد كان الحسن ينشد . # (أفي كل عام مرضة ثم نقهة % فحتى متى حتى متى وإلى متى) # وقالت فرقة معنى ^ يفتنون ^ بما يشيعه المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأكاذيب فكان الذي في قلوبهم مرض يفتنون في ذلك وحكى الطبري هذا القول عن حذيفة وهو غريب من المعنى . # قوله عز وجل \$ التوبة 127 - 129 \$ # الضمير في قوله ^ بعضهم ^ عائد على المنافقين والمعنى وإذا ما أنزلت سورة فيها فضيحة أسرارهم ^ نظر بعضهم إلى بعض ^ على جهة التقريب يفهم من تلك النظرة التقرير هل معكم من ينقل عنكم هل يراكم من أحد حين تدبرون أموركم وقوله تعالى ^ ثم انصرفوا ^ معناه عن طريق الاهتداء . # وذلك أنهم حين ما يبين لهم كشف أسرارهم والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر فلو اهتموا لكان ذلك الوقت مظنة ذلك فهم إذ يصممون على الكفر ويرتكون فيه كأنهم انصرفوا عن تلك الحال التي كانت مظنة النظر الصحيح والاهتداء وابتدئ بالفعل المسند إليهم إذ هو تعدد ذنب على ما

@ 100 @ قد بيناه وقوله ^ صرف الله قلوبهم ^ يحتمل أن يكون دعاء عليهم ويحتمل أن يكون خيرا أي استوجبوا ذلك ^ بأنهم قوم لا يفقهون ^ أي لا يفهمون عن الله ولا عن رسوله وأسند الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن عباس أنه قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فإن قومنا انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قضينا الصلاة . # قال القاضي أبو محمد فهذا النظر الذي في هذه الآية هو إيماء وحكى الطبري عن بعضهم أنه قال نظر في هذه الآية في موضع قال وقوله تعالى ^ لقد جاءكم ^ مخاطبة للعرب في قول الجمهور وهذا على جهة تعدد النعمة عليهم في ذلك إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه من الأغراض والفضاحة وشرفوا به غابر الأيام وقال الزجاج هي مخاطبة لجميع العالم والمعنى لقد جاءكم رسول من البشر والأول أصوب وقوله ^ من أنفسكم ^ يقتضي مدحا لنسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه من صميم العرب وشرفها وينظر إلى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إنني من نكاح وولست من سفاح معناه أن نسبه صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام لم يكن النسل فيه إلا من نكاح ولم يكن فيه زنى وقرأ عبد الله بن قسيط المكي من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله عنها ذكر أبو عمرو أن ابن عباس رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ^ ما عنتم ^ معناه عنتمكم ف ^ ما ^ مصدرية وهي ابتداء و ^ عزيز ^ خير مقدم ويجوز أن يكون ^ ما عنتم ^ فاعلا ب ^ عزيز ^ و ^ عزيز ^ صفة للرسول وهذا أصوب من الأول والعنت المشقة وهي هنا لفظة عامة أي ما شق عليكم من كفر وضلال بحسب الحق ومن قتل أو أسار وامتحان بسبب الحق واعتقادكم أيضا معه وقال قتادة المعنى عنتم مؤمنكم . # قال القاضي أبو محمد وتعميم عنتم الجميع أوجه وقوله ^ حريص عليكم ^ يريد على إيمانكم وهداكم وقوله ^ رؤوف ^ معناه مبالغ في الشفقة قتال أبو عبيدة الرافة أرق الرحمة وقرأ رؤف دون مد الأعمش وأهل الكوفة وأبو عمرو ثم خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بعد تقريره عليهم هذه النعمة فقال ^ فإن تولوا ^ يا محمد أي أعرضوا بعد هذه الحال المتقررة التي من الله عليهم بها ^ فقل حسبي الله ^ معناه وأعمالك بحسب قوله من التفويض إلى الله والتوكل عليه والجد في قتالهم وليست بآية موادة لأنها من آخر ما نزل وخصص ^ العرش ^ بالذكر إذ هو أعظم مخلوقات وقرأ ابن محيصن العظيم برفع الميم صفة للرب ورويت عن ابن كثير وهاتان الآيتان لم توجدا حين جمع المصحف إلا في حفظ خزيمه بن ثابت ووقع في البخاري أو أبي خزيمه فلما جاء بهما تذكرهما كثير من الصحابة وقد كان زيد يعرفهما ولذلك قال فقدت آيتين من آخر سورة التوبة ولو لم يعرفهما لم يدر هل فقد شيئا أم لا وإنما ثبتت الآية بالإجماع لا بخزيمة وحده وأسند الطبري في كتابه قال كان عمر لا يثبت آية في المصحف إلا أن يشهد عليها رجلان فلما جاء خزيمه بهاتين الآيتين قال والله لا أسألك عليهما بينة أبدا فإنه هكذا كان صلى الله عليه وسلم .

@ 101 @ # قال القاضي أبو محمد يعني صفة النبي صلى الله عليه وسلم التي تضمنتها الآية وهذا والله أعلم قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مدة أبي بكر حين الجمع الأول وحينئذ فقدت الآيتان ولم يجمع من القرآن شيء في خلافة عمر وخزيمة بن ثابت هو المعروف بذي الشهادتين وعرف بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمضى شهادته وحده في اتباع فرس وحكم بها لنفسه صلى الله عليه وسلم وهذا خصوص لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر النقاش عن أبي بن كعب أنه قال أقرب القرآن عهدا بالله تعالى هاتان الآيتان ^ لقد جاءكم رسول ^ إلى آخر الآية .

@ 102 @ \$ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً \$ سورة يونس \$ # هذه السورة هي مكية قال مقاتل إلا آيتين وهي قوله تعالى ^ فإن كنت في شك ^ نزلت بالمدينة وقال الكلبي هي مكية إلا قوله ^ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ^ نزلت في اليهود بالمدينة . # وقالت فرقة نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة وباقيها بالمدينة . # قوله عز وجل \$ يونس 1 - 2 # تقدم في أول سورة البقرة ذكر الاختلاف في فواتح السور . # وتلك الأقوال كلها ترتب هنا وفي هذا الموضوع قول يختص به قال ابن عباس وسالم بن عبد الله وابن جبير والشعبي ^ الر ^ وجم ^ و ^ أن هو الرحمن قطع اللفظ في أوائل هذه السورة واختلف عن نافع في إمالة الراء والقياس أن لا يمال وكذلك اختلف القراء وعله من أمال الراء أن يدل بذلك على أنها اسم للحرف وليست بحرف في نفسها وإنما الحرف ر وقوله تعالى ^ تلك ^ قيل هو بمعنى هذه وقد يشبه أن يتصل المعنى ب ^ تلك ^ دون أن نقدرها بدل غيرها والنظر في هذه اللفظة إنما يتركب على الخلاف في فواتح السور فتدبره . # و ^ الكتاب ^ قال مجاهد وفتادة المراد به التوراة والإنجيل وقال مجاهد أيضاً وغيره المراد به القرآن وهو الأظهر و ^ الحكيم ^ فعيل بمعنى محكم كما قال تعالى ^ هذا ما لدي عتيد ^ أي معتد معد ويمكن أن يكون حكيم بمعنودو حكمة فهو على النسب وقال الطبري فهو مثل أليم بمعنى مؤلم ثم قال هو الذي أحكمه وبينه . # قال القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية رضي الله عنه فساق قولين على أنهما واحد وقوله ^ أكان للناس عجا ^ الآية قال ابن عباس وابن جريج وغيرهما نسبت هذه الآية أن قريشاً استبعدوا أن يبعث الله رسولا من البشر وقال الزجاج إنما عجبوا من إخباره أنهم يبعثون من القبور إذ النذارة والبشارة تتضمنان ذلك وكثر كلامهم في ذلك حتى قال بعضهم أما وجد الله من يبعث إلا يتيم أبي طالب ونحو هذا من الأقاويل التي اختصرتها لشهرتها فنزلت الآية وقوله ^ أكان ^ تقرير والمراد بالناس قائلو هذه المقالة و ^ عجا ^ خبر كان واسمها ^ أن أوحينا ^ وفي مصحف ابن مسعود أكان للناس عجب وجعل

@ 103 @ الخبر في قوله ^ أن أوحينا ^ والأول أصوب لأن الاسم معرفة والخبر نكرة وهذا القلب لا يصح ولا يجيء إلا شاذاً ومنه قول حسان # (يكون مزاجها غسل وماء %) + الوافر + # ولفظة العجب هنا ليست بمعنى التعجب فقط بل معناه أوصل إنكارهم وتعجبهم إلى التكذيب وقراءت فرقة إلى رجل يسكون الجيم ثم فسر الوحي وقسمه على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين والقدم هنا ما قدم واختلف في المراد بها ها هنا فقال ابن عباس ومجاهد والصالح والربيع بن أنس وابن زيد هي الأعمال الصالحة من العبادات وقال الحسن بن أبي الحسن وفتادة هي شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وقال زيد بن أسلم وغيره هي المصيبة بمحمد صلى الله عليه وسلم في موته وقال ابن عباس أيضاً وغيره هي السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ وهذا أليق الأقوال بالآية ومن هذه اللفظة قول حسان . # (لنا القدم العليا إليك وخلفنا % لأولنا في طاعة الله تابع) + الطويل + # وقول ذي الرمة # (لكم قدم لا ينكر الناس أنها % مع الحساب العادي طمت على البحر) + الطويل + # ومن هذه اللفظة قول النبي صلى الله عليه وسلم في صفة جهنم حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي ما قدم لها من خلقه هذا على أن الجبار اسم الله تعالى ومن جعله اسم جنس كأنه أراد الجبارين من بني آدم فالقدم على هذا التأويل الجارحة والصدق في هذه الآية بمعنى الصلاح كما تقول رجل صدق ورجل سوء وقوله ^ قال الكافرون ^ يحتمل أن يكون تفسير لقوه أكان وحيناً إلى بشر عجا قال الكافرون عنه كذا وكذا وذهب الطبري إلى إن في الكلام حذفاً يدل الظاهر عليه تقديره فلما أنذر وبشر قال الكافرون كذا وكذا وقرأ جمهور الناس وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر إن هذا لسحر مبين وقرأ مسروق بن الأجدع وابن جبير والباقون من السبعة وابن مسعود وأبو رزين ومجاهد وابن وثاب وطلحة والأعمش وعيسى بن عمر بخلاف وابن محيصن وابن كثير بخلاف عنه إن هذا لساحر والمعنى متقارب وفي مصحف أبي قال الكافرون ما هذا إلا سحر مبين وقولهم في الإنذار والبشارة سحر إنما هو بسبب أنه فرق بذلك كلمتهم وحال بين القريب وقريبه فأشبه ذلك ما يفعله الساحر فظنوه من ذلك الباب . # قوله عز وجل \$ يونس 3 - 4 \$

@ 104 @ # هذا ابتداء دعاء إلى عبادة الله عز وجل وإعلام بصفاته والخطاب بها لجميع الناس و ^ خلق السماوات والأرض ^ هو على ما تقرر أن الله عز وجل خلق الأرض ^ ثم استوى ^ إلى السماء وهي دخان فخلقها ثم دحا الأرض بعد ذلك وقوله ^ في ستة أيام ^ قيل هي من أيام الآخرة وقال الجمهور وهو الصواب بل من أيام الدنيا . # قال القاضي أبو محمد وذلك في التقدير لأن الشمس وجريها لم يتقدم حينئذ وقول النبي صلى الله عليه وسلم في خلق الله المخلوقات إن الله ابتدأ يوم الأحد كذا ويوم كذا إنما هو على أن نقدر ذلك الزمان ونعكس إليه التجربة من حين ابتدأ ترتيب اليوم والليلة والمشهور أن الله ابتدأ بالخلق يوم الأحد ووقع في بعض الأحاديث في كتاب مسلم وفي الدلائل أن البداية وقعت يوم السبت وذكر بعض الناس أن الحكمة في خلق الله تعالى هذه الأشياء في مدة محدودة ممتدة وفي القدرة أن يقول كن فيكون إنما هو ليعلم عباده التؤدة والتماهل في الأمور . # قال القاضي أبو محمد وهذا مما لا يوصل تعليقه وعلى هذا هي الأجنة في البطون وخلق الثمار وغير ذلك والله عز وجل قد جعل لكل شيء قدراً وهو أعلم بوجه الحكمة في ذلك وقوله ^ ثم استوى على العرش ^ قد تقدم القول فيه في ^ المص ^ وقوله ^ يدبر الأمر ^ يصح أن يريد ب ^ الأمر ^ اسم الجنس من الأمور ويحتمل أن يريد ^ الأمر ^ الذي هو مصدر أمر يأمر وتديبره لا إله إلا هو إنما هو الإنفاذ لأنه قد أحاط بكل شيء علماً . # وقال مجاهد ^ يدبر الأمر ^ معناه يقضيه وجده وقوله ^ ما من شفيع إلا من بعد إذن ^ رد على العرب في اعتقادها أن الأصنام تشفع لها وقوله ^ ذلكم ^ إشارة إلى الله تعالى أي هذا الذي هذه صفاته فاعبده ثم قررهم على هذه الآيات والعبر فقال ^ أفلا تذكرون ^ أي فيكون التذكار سبباً للاهتمام واختصار القول في قوله ^ ثم استوى على العرش ^ إما أن يكون ^ استوى ^ بقره وغلبيته وإما أن يكون ^ استوى ^ بمعنى استولى إن صحت اللفظة في اللسان فقد قيل في قول الشاعر # (قد استوى بشر على العراق % من غير سيف ودم مهباق) # # إنه بيت مصنوع . # وأما أن يكون فعل فعلاً في العرش سماه ^ استوى ^ واستيعاب القول قد تقدم وقوله ^ إليه مرجعكم جميعاً ^ الآية آية إنباء بالبعث من القبور وهي من الأمور التي جوزها العقل وأثبت وقوعها الشرع وقوله ^ جميعاً ^ حال من الضمير في ^ مرجعكم ^ وعد الله ^ نصب على المصدر وكذلك قوله ^ حقاً ^ وقال أبو الفتح ^ حقاً ^ نعت وقرأ الجمهور إنه بكسر الألف على القطع والإستئناف وقرأ أبو جعفر بن القعقاع والأعمش وسهل بن شعيب وعبد الله أنه بفتح الألف وموضعها النصب على تقدير أحق أنه وقال الفراء موضعها رفع على تقدير يحق أنه . # قال القاضي أبو محمد يجوز عندي أن يكون ^ أنه ^ بدلا من قوله ^ وعد الله ^ قال أبو الفتح إن شئت قدرت لأنه يبدأ الخلق أي فمن في قدرته هذا فهو غني عن إخلاف الوعد . # وإن شئت قدرت أنه وعد الله حقاً أنه ولا يعمل فيه المصدر الذي هو ^ وعد الله ^ لأنه قد وصف بإذن

@ 105 @ ذلك بتمامه وقطع عمله وقرأ ابن أبي عبله حق بالرفع فهو ابتداء وخبره أنه وقوله ^ يبدأ الخلق ^ يريد النشأة الأولى والإعادة هي البعث من القبور وقرأ طلحة بيدئ الخلق بضم الياء وكسر الدال وقوله ^ ليجزى ^ هي لام كي والمعنى أن الإعادة إنما هي ليقع الجزاء على الأعمال وقوله ^ بالقيسط ^ أي بالعدل في رحمتهم وحسن جزائهم وقوله ^ والذين كفروا ^ ابتداء والحميم الحار المسخن وهو فعيل بمعنى مفعول ومنه الحمام والحمة ومنه قول المرقش # (في كل يوم لها مقطرة % وكباء معدة وحميم) # وحميم النار فيما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أذناه الكافر من فيه تساقطت فروة رأسه وهو كما وصفه تعالى ^ ينثوي الوجوه ^ . # قوله عز وجل \$ يونس 5 - 6 # هذا استمرار على وصف آيات الله والتنبيه على صنعته الدالة على الصانع وهذه الآية تقتضي أن الضياء أعظم من النور وأبهى بحسب ^ الشمس ^ والقمر ^ ويلحقها هنا اعتراض وهو أنا وجدنا الله تعالى شبه هداه ولطفه بخلقه بالنور فقال ^ الله نور السماوات والأرض ^ وهذا يقتضي أن النور أعظم هذه الأشياء وأبلغها في الشروق وإلا فلم ترك التشبيه إلا على الذي هو الضياء وعدل إلى الأقل الذي هو النور فالجواب عن هذا والانفصال أن تقول إن لفظة النور أحكم وأبلغ في قوله ^ الله نور السماوات والأرض ^ وذلك أنه تعالى شبه هداه ولطفه الذي نصبه لقوم يهتدون وآخرين يضلون معه بالنور الذي هو أبداً موجود في الليل وأثناء الظلام ولو شبهه بالضياء لوجب أن لا يضل أحد إذ كان الهدى يكون مثل الشمس التي لا تقي معها ظلمة فمعنى الآية أن الله تعالى قد جعل هداه في الكفر كالنور في الظلام فيهتدي قوم ويضل آخرون ولو جعله كالضياء لوجب أن لا يضل أحد وبقي الضياء على هذا الانفصال أبلغ في الشروق كما اقتضت آيتنا هذه والله عز وجل هو ضياء السماوات والأرض ونورها وقيومها ويحتمل أن يعترض هذا الانفصال والله المستعان وقوله ^ وقدره منازل ^ يريد البروج المذكورة في غير هذه الآية وأما

الضمير الذي رده على القمر ^ وقد تقدم ذكر الشمس ^ معه فيحتمل أن يريد بالضمير القمر وحده لأنه هو المراعى في معرفة عدد السنين والحساب ^ عند العرب ويحتمل أن يريد هما معا بحسب أنهما يتصرفان في معرفة عدد السنين والحساب عند العرب . # لكنه اجتزأ بذكر الواحد كما قال ^ والله ورسوله أحق أن يرضوه ^ وكما قال الشاعر أبو حيان # (رمانى بذنب كنت منه ووادي % برياً ومن أجل الطوي رمانى) + الطويل +

@ 106 @ # قال الزجاج وكما قال الآخر # (نحن بما عندنا وأنت بما عندك % راض والرأي مختلف) + المنسرح + # وقوله ^ لتعلموا ^ المعنى قدر هذين النيرين ^ منازل ^ لكي ^ تعلموا ^ بها ^ عدد السنين والحساب ^ رفقا بكم ورفعا للاتباس في معاشكم وتجركم وإجاراتكم وغير ذلك مما يضطر فيه إلى معرفة التواريخ وقوله ^ ما خلق الله ذلك إلا بالحق ^ أي للفائدة لا للعب والإهمال فهي إذا يحق أن تكون كما هي وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص يفصل الآيات وقرأ ابن كثير أيضاً وعاصم والباقون والأعرج وأبو جعفر وشيبه وأهل مكة والحسن والأعمش تفصل بنون العظمة وقوله ^ لقوم يعلمون ^ إنما خصهم لأن نفع التفصيل فيهم طهر وعليهم أضاء وإن كان التفصيل إنما وقع مجملاً للكل معداً ليحصله الجميع وقرأ جمهور السبعة وقد رويت عن ابن كثير ضياء وقرأ ابن كثير وحده فيما روي أيضاً عنه ضياء بهمزتين وأصله ضياء فقلت فجاءت ضئاناً فقلت الياء همزة لوقوعها بين ألفين قال أبو علي وهي غلط وقوله تعالى ^ إن في اختلاف الليل والنهار ^ الآية آية اعتبار وتنبية ولفظه الاختلاف تعم تعاقب الليل والنهار وكونهما خلفه وما يتعاورانه من الزيادة والنقص وغير ذلك من لواحق سير الشمس وبحسب أقطار الأرض قوله ^ وما خلق الله في السماوات والأرض ^ لفظ عام لجميع المخلوقات والآيات والعلامات والدلائل وخصص القوم المتقين تشريفاً لهم إذ الاعتبار فيهم يقع ونسبتهم إلى هذه الأشياء المنظور فيها أفضل من نسبة من لم يهتد ولا اتقى . # قوله عز وجل \$ بونس 7 - 10 \$ # قال أبو عبيدة وتابعه القتيبي وغيره ^ يرجون ^ في هذه الآية بمعنى يخافون واحتجوا ببيت أبي ذؤيب # (إذ لسعته النحل لم يرح لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل) + الطويل + # وحكى المهدي عن بعض أهل اللغة وقال ابن سيده والفراء إن لفظة الرجاء إذا جاءت منفية فإنها تكون بمعنى الخوف وحكى عن بعضهم أنها تكون بمعناها في كل موضع تدل عليه قرائن ما قبله وما بعده فعلى هذا التأويل معنى الآية إن الذين لا يخافون لقاءاً وقال ابن زيد هذه الآية في الكفار وقال بعض أهل العلم الرجاء في هذه الآية على بابه وذلك أن الكافر المكذب بالبعث ليس يرجو رحمة في الآخرة ولا يحسن ظناً بأنه يلقى الله ولا له في الآخرة أمل فإنه لو كان له فيها أمل لقارنه لا محالة

@ 107 @ خوف وهذه الحال من الخوف المقارن هي القائدة إلى النجاة والذي أقول إن الرجاء في كل موضع على بابه وإن بيت الهذلي معناه لم يرح فقد لسعها فهو يئس عليه ويصبر إذ يعلم أنه لا بد منه وقوله ^ ورضوا بالحياة الدنيا ^ يريد كانت آخر همهم ومنتهى غرضهم وأسند الطبري عن قتادة أنه قال في تفسير هذه الآية إذا شئت رأيت هذا الموصوف صاحب دنيا لها يغضب ولها يرضى لوها يفرح ولها يهتم ويحزن فكان فتادة صورها في العصاة ولا يترتب ذلك إلا مع تأول الرجاء على بابه إذ قد يكون العاصي المجلج مستوحشاً من أمره فأما على التأويل الأول فمن لا يخاف لقاء الله فهو كافر وقوله ^ واطمأنوا بها ^ تكميل في معنى القناعة بها والرفض لغيرها لأن الطمانينة بالشئ هي زوال التحرك إلى غيره وقوله ^ والذين هم عن آياتنا غافلون ^ يحتمل أن يكون ابتداء إشارة إلى فرقة أخرى من الكفار وهؤلاء على هذا التأويل أصل صفة لأنهم ليسوا أهل دنيا بل غفلة فقط ثم حتم عليهم بالنار وجعلها ^ ماواهم ^ وهو حيث يأوي الإنسان ويستقر ثم جعل ذلك بسبب كسبهم واجترأهم وفي هذه اللفظة رد على الجبرية ونص على تعلق العقاب بالتكسب الذي للإنسان وقوله تعالى ^ إن الذين آمنوا ^ . # الآية لما قرر تبارك وتعالى حالة الفرقة الهالكة عقب ذلك بذكر حالة الفرقة الناجية ليتضح الطريقتان ويرى الناظر فرق ما بين الهدى والضلال وهذا كله لطف منه بعباده وقوله ^ يهديهم ^ لا يترتب أن يكون معناه يرشدهم إلى الإيمان لأنه قد قرره مؤمنين فإنما الهدى في هذه الآية على أحد وجهين إما أنه يريد أن يديهم ويثبتهم كما قال ^ يا أيها الذين آمنوا آمنوا ^ فإنما معناه اثبتوا وإما أن يريد يرشدهم إلى طرق الجنان في الآخرة وقوله ^ بإيمانهم ^ يحتمل أن يريد بسبب إيمانهم ويكون مقابلاً لقوله قيل ^ ماواهم النار بما كانوا يكسبون ^ ويحتمل أن يكون الإيمان هو نفس الهدى أي يهديهم إلى طرق الجنة بنور إيمانهم قال مجاهد يكون لهم إيمانهم نورا يمشون به ويتركب هذا التأويل على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم إن العبد المؤمن إذا قام من قبره للحشر تمثل له رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول من أنت فيقول أنا عمك الصالح فيقول إلى الجنة وبعكس هذا في الكافر ونحو هذا مما أسنده الطبري وغيره وقوله ^ تجري من تحتهم الأنهار ^ يريد من تحت علياتهم وعرفهم وليس تحت الذي هو بالمراساة بل يكون إلى ناحية من الإنسان كما قال تعالى ^ جعل ربك تحتك سرياً ^ وكما قال حكاية عن فرعون ^ وهذه الأنهار تجري من تحتي ^ وقوله ^ دعواهم ^ الآية الدعوى بمعنى الدعاء يقال دعا الرجل وادعى بمعنى واحد قال سيبويه ^ وسبحانك اللهم ^ تقديس وتسييح وتنزيه لجلاله عن كل ما لا يليق به وقال علي بن أبي طالب في ذلك هي كلمات رضيها الله تعالى لنفسه وقال طلحة بن عبيد الله قلت يا رسول الله ما معنى سبحان الله فقال معناه تنزيه الله من السوء وقد تقدم ذكر خلاف النجاة في ^ اللهم ^ وحكى عن بعض المفسرين أنهم رأوا أن هذه الكلمة إنما يقولها المؤمن في الجنة عندما يشتهي الطعام فإنه إذا رأى طائراً أو غير ذلك قال ^ سبحانك اللهم ^ فنزلت تلك الإرادة بين يديه فوق ما انتهى رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة وقوله ^ وتحتهم فيها سلام ^ يريد تسليم بعضهم على بعض والتحية مأخوذة من تمنى الحياة للإنسان والدعاء بها يقال حياة يحييه ومنه قول زهير بن جناب

@ 108 @ # (من كل ما نال الفتى % قد نلتها إلا التحية) + مجزوء الكامل + # يريد دعاء الناس للملوك بالحياة وقد سمي الملك تحية بهذا التدرج ومنه قول عمرو بن معد يكرب . # (أزور أبا قابوس حتى % أتيخ على تحيته بجندي) # أراد علي مملكته وقال بعض العلماء ^ وتحتهم ^ يريد تسليم الله عز وجل عليهم والسلام مأخوذ من السلامة وقوله ^ وآخر دعواهم ^ يريد وخاتمة دعواهم في كل موطن وكلامهم شكر الله تعالى وحمده على ما صنع لهم وكانت بدأتهم بالتعظيم والتعظيم وقرأ جمهور الناس أن الحمد لله وهي عند سيبويه أن المخففة من الثقيلة وقرأ ابن محيصن وبلال بن أبي بردة ويعقوب وأبو حيوة أن الحمد لله وهي على الوجهين رفع على خبر الإبتداء قال أبو الفتح هذه القراءة تدل على أن قراءة الجماعة هي أن المخففة من الثقيلة بمنزلة الأعمشى . # (في فتية كسيوف الهند قد علموا % أن هالك كل من يحفى وينتعل) + البسيط + # قوله عز وجل \$ بونس 11 - 12 \$ # هذه الآية قال مجاهد نزلت في دعاء الرجل على نفسه أو ماله أو ولده ونحو هذا فأخبر الله تعالى أنه لو فعل مع الناس في إجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم ثم حذف بعد ذلك من القول جملة يتضمنها الظاهر تقديرها ولا يفعل ذلك ولكن يذر الذين لا يرجون فاقتضب القول وتوصل إلى هذا المعنى بقوله ^ فنذر الذين لا يرجون لقاءاً ^ فتأمل هذا التقدير تجده صحيحاً و ^ استعجالهم ^ نصب على المصدر والتقدير مثل استعجالهم وقيل التقدير تعجلاً مثل استعجالهم وهذا قريب من الأول وقيل إن هذه الآية نزلت في قوله ^ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ^ وقيل نزلت في قوله ^ أتنا بما تعدنا ^ وما جرى مجراه وقرأ جمهور القراء لقضي على بناء الفعل للمفعول ورفع الأجل وقرأ ابن عامر وحده وعوف وعيسى بن عمر ويعقوب لقضي على بناء الفعل للفاعل ونصب الأجل وقرأ الأعمش للقضي للأجل في هذا الموضوع أجل الومت ومعنى قضى في هذه الآية أكمل وفرغ ومنه قول أبي ذؤيب # (وعليهما مسرودتان قضاهما % داود أو صنع السوايح تبع) + الكامل +

@ 109 @ # وأشد أبو علي في هذا المعنى # (قضيت أمورا ثم غادرت بعدها % فوائج في أكمامها لم تفتق) + الطويل + # وتعدى قضى في هذه الآية بإلى لما كان بمعنى فرغ وفرغ يتعدى بإلى ويتعدى باللام فمن ذلك قول جرير # (إلان فقد فرغت إلى نمير % فصرت على جماعتها عذاباً) # ومن الآخر قوله عز وجل ^ سنفرغ لكم أيها الثقلان ^ وقرأ الأعمش فنذر الذين لا يرجون لقاءاً و ^ يرجون ^ في هذا الموضوع على بابها والمراد الذين لا يؤمنون بالبعث فهم لا يرجون لقاء الله والرجاء مقتدرن أبداً بخوف والطغيان الغلو في الأمر وتجاوز الحد والعمة الخط في ضلال فهذه الآية نزلت ذامة لخلق ذميم هو في الناس يدعون في الخير فيريدون

تعجيل الإجابة فيحملهم أحيانا سوء الخلق على الدعاء في الشر فلو عجل لهم لهلكوا وقوله تعالى ^ وإذا مس الإنسان الضر ^ الآية هذه الآية أيضا عتاب على سوء الخلق من بعض الناس ومضمونه النهي عن مثل هذا والأمر بالتسليم إلى الله تعالى والصراحة إليه في كل حال والعلم بأن الخير والبشر منه لا رب غيره وقوله ^ لجنبه ^ في موضع حال كأنه قال مضطجعا ويجوز أن يكون حالا من الإنسان والعامل فيه ^ مس ^ ويجوز أن يكون حالا من ضمير الفاعل في ^ دعانا ^ والعامل فيه دعا وهما معنيان متباينان و ^ الضر ^ لفظ لجميع الأمراض والرزايا في النفس والمال والأحبة هذا قول اللغويين وقيل هو مختص برزايا البدن الهزال والمرض وقوله ^ مر ^ يقتضي أن نزولها في الكفار ثم هي بعد تناول كل من دخل تحت معناها من كافر أو عاص فمعنى الآية ^ مر ^ في إشراكه بالله وقلة توكله عليه وقوله ^ زين ^ إن قدرناه من الله تعالى فهو خلقه الكفر لهم واختراعه في نفوسهم صحة أعمالهم الفاسدة ومثابرتهم عليها وإن قدرنا ذلك من الشيطان فهو بمعنى الوسوسة والمخادعة ولقطة التزيين قد جاءت في القرآن يهذين المعنيين من فعل الله تعالى ومرة من فعل الشياطين . # قوله عز وجل \$ يونس 13 - 15 # هذه الآية وعيد للكفار وضرب أمثال لهم أي كما فعل هؤلاء فعلمكم فكذلك يفعل بكم ما فعل بهم

@ 110 @ وقوله ^ وما كانوا ليؤمنوا ^ إخبار عن قسوة قلوبهم وشدة كفرهم وقرأ جمهور السبعة وغيرهم نجزي بنون الجماعة وفرقة يجزي بالياء على معنى يجزي الله و ^ خلائف ^ جمع خليفة وقوله ^ لنتظر ^ معناه لنتبين في الوجود ما علمناه أولا لكن جرى القول على طريق الإيجاز والفصاحة والمجاز وقرأ يحيى بن الحارث وقال رأيتها في الإمام مصحف عثمان لنظر بإدغام النون في الظاء وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الله تعالى إنما جعلنا خلفاء لينظر كيف عملنا فأروا الله حسن أعمالكم في السر والعلانية وكان أيضا يقول قد استخلفت يا ابن الخطاب فانظر كيف تعمل وأحيانا كان يقول قد استخلفت يا ابن أم عمر قوله تعالى ^ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ^ الآية هذه الآية نزلت في قريش لأن بعض كفارهم قال هذه المقالة على معنى ساهلنا يا محمد واجعل هذا الكلام الذي هو من قبلك على اختيارنا وأحل ما حرمته وحرم ما حللته ليكون أمرنا حينئذ واحدا وكلمتنا متصلة فذم الله هذه الصنعة وذكرهم بأنهم يقولون هذا للآيات والبيانات ويستسلم ويتبع حكم الله تعالى ويعلم بخوفه ربه واليوم العظيم يوم القيامة . # قوله عز وجل \$ يونس 16 - 18 \$ بالحق الواضح وأن يستسلم ويتبع حكم الله تعالى ويعلم بخوفه ربه واليوم العظيم يوم القيامة . # قوله عز وجل \$ يونس 16 - 18 \$ هذه من كمال الحجة أي هذا الكلام ليس من قبلي ولا من عندي وإنما هو من عند الله ولو شاء ما بعثني به ولا تلوته عليكم ولا أعلمتكم به و ^ أدراكم ^ بمعنى أعلمتكم يقال دريت بالأمر وأدريت غيري وهذه قراءة الجمهور وقرأ ابن كثير في بعض ما روي عنه ولا دراكم به وهي لام تأكيد دخلت على أدري والمعنى على هذا ولا علمكم به من غير طريقي وقرأ ابن عباس وابن سيرين وأبو رجاء والحسن ولا أدراكم به وقرأ ابن عباس أيضا وشهر بن حوشب ولا أنذرتكم به وخرج الفراء قراءة ابن عباس والحسن على لغة لبعض العرب منها قولهم لبات بمعنى لبيت ومنها قول امرأة منهم رثات زوجي بأبيات أي رثيت . # وقال أبو الفتح إنما هي أدريتمك فليت الباء ألفا لانفتاح ما قبلها وروينا عن قطرب أن لغة عقيل في أعطيتك قال أبو حاتم فليت الباء ألفا كما في لغة بني الحارث بن كعب السلام علاك ثم قال ^ فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ^ أي الأربعين سنة قبل بعثته عليه السلام ويريد لم تجربوني في كذب ولا تكلمت في شيء من هذا ^ أفلا تعقلون ^ أن من كان على هذه الصفة لا يصح منه كذب بعد أن كلا عمره وتقاصر أمله واشتدت حنكته وخوفه لربه وقرأ الجمهور بالبيان في لبثت وقرأ أبو عمرو

@ 111 @ لبت بإدغام التاء في التاء وقوله ^ فمن أظلم ^ الآية جاء في هذه الآية التوقيف على عظم جرم المفترى على الله بعد تقدم التنصل من ذلك قبل فانسق القول واطردت فصاحته وقوله ^ فمن أظلم ^ استفهام وتقرير أي لا أحد أظلم ^ ممن افترى علناله كذبا ^ أو ممن ^ كذب بآياته ^ بعد بيانها وذلك أعظم جرم على الله وأكثر استشراف إلى عذابه ثم قرر ^ إنه لا يفلح ^ أهل الجرم و ^ يفلح ^ معناه يظفر ببيغته وقوله ^ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ^ هي الأصنام وقولهم ^ هؤلاء شفعاؤنا ^ هو مذهب النبلاء منهم فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقررهم ويوبخهم أهم يعلمون الله بأنباء من السماوات والأرض لا يعلمها هو وذكر ^ السماوات ^ لأن من العرب من يعبد الملائكة والشعري وبحسب هذا حسن أن يقول ^ هؤلاء ^ وقيل ذلك على تجوز في الأصنام التي لا تعقل وفي التوقيف على هذا أعظم غلبة لهم ولا يمكنهم ألا أن يقولوا لا نفع ولا تقدر وذلك لهم لازم من قولهم ^ هؤلاء شفعاؤنا ^ و ^ سبحانه ^ استئناف تنزيه لله عز وجل وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر هنا عما يشركون بالياء على الغيبة وفي حرفين في النحل وحرف في الروم وحرف في النمل وذكر أبو حاتم أنه قرأها كذلك نافع والحسن والأعرج وابن القعقاع وشيبة وحמיד وطلحة والأعمش وقرأ ابن كثير ونافع وفي النمل فقط تشركون بالتاء على مخاطبة الحاضر وقرأ حمزة والكسائي الخمسة الأحرف بالتاء وهي قراءة أبي عبد الرحمن . # قوله عز وجل \$ يونس 19 - 21 \$ قالت فرقة المراد آدم كان أمة واحدة ثم اختلف الناس بعد في أمر ابنه وقالت فرقة المراد نسم بنيه إذ استخرجهم الله من ظهره وأشهدهم على أنفسهم وقالت فرقة المراد آدم وبنوه من لدن نزوله إلى قتل أحد ابنه الآخر وقالت فرقة المراد ^ وما كان الناس إلا أمة واحدة ^ في الضلالة والجهل بالله فاختلوا فرقا في ذلك بحسب الجهالة ويحتمل أن يكون المعنى كان الناس صنفا واحدا معدا للاهتداء واستيفاء القول في هذا متقدم في سورة البقرة في قوله ^ كان الناس أمة واحدة ^ وقرأ الحسن بن أبي الحسن وأبو جعفر ونافع وشيبة وأبو عمرو لقضي بينهم بضم القاف وكسر إضاد وقرأ عيسى بن عمر لقضي بفتحهما على الفعل الماضي وقوله ^ ولولا كلمة سبقت من ربك ^ يريد قضاءه وتقديره لبي آدم بالأجل الموقته ويحتمل أن يريد الكلمة في أمر القيامة وأن العقاب والثواب إنما كان حينئذ وقوله تعالى ^ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ^ الآية يريدون بقولهم ^ آية من ربه ^ آية تضطر الناس

@ 112 @ إلى الإيمان وهذا النوع من الآيات لم يأت بها نبي قط ولا هي المعجزات اضطرارية وإنما هي معرضة للنظر ليهتدي قوم ويصل آخرون وقوله ^ فانتظروا ^ وعيد قد صدقه الله تعالى بنصرته محمد صلى الله عليه وسلم قال الطبري في بدر وغيره وقوله ^ فقل إنما الغيب لله ^ إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على غيبه أحد وقوله ^ وإذا أدقنا الناس ^ الآية المراد ب ^ الناس ^ في هذه الآية الكفار وهي بعد تناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله تعالى عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك في الناس كثير والرحمة هنا بعد الضراء كالمطر بعد القحط والأمن بعد الخوف والصحة بعد المرض ونحو هذا مما لا ينحصر والمكر الإستهزاء والظعن عليها من الكفار واطراح الشكر والخوف من العصاة ووصف مكر الله بالسرعة وإن كان الاستدراج بهم لهم لأنه متقين به واقع لا محالة وكل أت قريب قال أبو حاتم قرأ الناس أن رسلنا بضم السين وخفف السين الحسن وابن أبي إسحاق وأبو عمرو وقال أبو علي ^ أسرع ^ من سرع ولا يكون من أسرع يسرع قال ولو كان من أسرع اكان شادا . # قال القاضي أبو محمد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نار جهنم لهي أسود من القار وما حفظ للنبي صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ . # وقرأ الحسن والأعرج ونافع وقاتدة ومجاهد تمكرون بتاء على المخاطبة وهي قراءة أهل مكة وشبل وأبي عمرو وعيسى وطلحة وعاصم والأعمش والجعدري وأيوب بن رسله لديكم ما تمكرون . # الأفزع عز وجل \$ يونس 22 \$ هذه الآية تتضمن تعديد النعمة فيما هي الحال بسبيله من ركوب البحر وركوبه وقت حسن الظن به للجهد والعجز منق على جوارزه وكذلك ضرورة المعاش بالصيد فيه أو لتصرف التجار وأما ركوبه لطلب الغنى والإستكثار فمكروه عند الأكثر وغاية مبيحة أن يقول وتركه أحسن وأما ركوبه في ارتجائه فمكروه ممنوع وفي الحديث من ركب البحر في ارتجائه فقد برئت منه الذمة . # وقال النبي صلى الله عليه وسلم البحر لا أركبه أبدا . # وقرأ جمهور القراء من السبعة وغيرهم يسيركم قال أبو علي وهو تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية لأن العرب تقول سرت الرجل وسيرته ومنه قول الهذلي (فلا تجزعن من سنة أنت سرتها % وأول راض سنة من يسيرها) + الطويل + # قال القاضي أبو محمد وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهدا في هذا . # وهو أن يجعل الضمير كالظرف كما تقول سرت الطريق وهذه قراءة الجمهور من سير وكذلك هي في مصحف ابن مسعود وفي مصحف أبي شيخ وقال عوف بن أبي جميلة قد كان يقرأ ينشركم فغيرها

الحجاج بن

@ 113 @ يوسف يسيركم قال سفيان بن أبي الزعل كانوا يقرأون ينشركم فنظروا في مصحف ابن عفان فوجدوا يسيركم فأول من كتبها كذلك الحجاج وقرأ ابن كثير في بعض طرقه يسيركم من أسار وقرأ ابن عامر وحده من السبعة ينشركم بفتح الياء وضم الشين من النشر واليث وهي قراءة زيد بن ثابت والحسن وأبي العالية وأبي جعفر وعبد الله بن جبير بن الفصيح وأبي عبد الرحمن وشيبة وروي عن الحسن أنه قرأ ينشركم بضم الياء وكسر الشين وقال هي قراءة عبد الله قال أبو حاتم أظنه غلط و الفلك جمع فلك وليس باسم واحد للجميع والفرد ولكنه فعل جمع على فعل ومما يدل على ذلك قولهم فلكان في التثنية وقراءة أبي الدرداء وأم الدرداء في الفلكي على وزن فعلي بياء نسب وذلك كقولهم أشقري وكدواري في دور الدهر وكقول الصلتان أنا الصلتاني وقوله جرين علامة قليل العدد وقوله بهم خروج من الحضور إلى الغيبة وحسن ذلك لأن قولهم كنتم في الفلك هو بالمعنى المعقول حتى إذا حصل بعضهم في السفن والرياح إذا أفردت فعرها أن تستعمل في العذاب والمكروه لكنها لا يحسن في البحر أن تكون إلا واحدة متصلة لا نشرا فقيدت المفردة بالطيب فخرجت عن ذلك العرف وبرع المعنى وقرأ ابن أبي عبله جاءتهم ريح عاصف والعاصف الشديدة من الريح يقال عصفت الريح وقوله وطنوا على يابه في الطن لكنه ظن غالب مفرغ بحسب أنه في محذور وقوله دعوا الله أي نسوا الأصنام والشركاء وجرودوا الدعاء لله وذكر الطبري في ذلك عن بعض العلماء حكاية قول العجم هيا شراها ومعناه يا حي يا قيوم قال الطبري جواب قوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين جاءتها ريح عاصف وجواب قوله وظنوا أنهم أحبط بهم دعوا الله مخلصين قوله عز وجل يونس 23 # بيغون أي يفسدون ويكفرون والبيغي التعدي والأعمال الفاسدة ووكد ذلك بقوله بغير الحق ثم ابتداء بالرجز ودم البيغي في أوجز لفظ وقوله متاع الحياة رفع وهذه قراءة الجمهور وذلك على خبر الإبتداء والمبتدأ بغيركم ويصح أن يرتفع متاع على خبر ابتداء مضمرة تقديره ذلك متاع أو هو متاع وخبر البيغي قوله على أنفسكم وقرأ حفص عن عاصم وهارون عن ابن كثير وابن أبي إسحاق متاع بالنصب وهو مصدر في موضع الحال من البيغي وخبر البيغي على هذا محذوف تقديره مضموم أو مكروه ونحو هذا ولا يجوز أن يكون الخبر قوله على أنفسكم لأنه كان يحول بين المصدر وما عمل فيه بأجنبي ويصح أن ينتصب متاع بفعل مضمرة تقديره تمتعون متاع الحياة الدنيا وقرأ ابن أبي إسحاق متاعا الحياة الدنيا بالنصب فيهما ومعنى الآية إنما بغيركم وإفسادكم مضر لكم وهو في حالة الدنيا ثم تلقون عقابه في الآخرة قال سفيان بن عيينة إنما بغيركم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أي تعجل لكم عقوبته في الحياة الدنيا وعلى هذا قالوا البيغي يصرع أهله .

@ 114 @ قال القاضي أبو محمد وقالوا الباغي مصروع قال الله تعالى ثم بغى عليه لينصرنه الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أسرع عقوبة من بغى . # وقرأت فرقة فنبئكم على ضمير المعظم المتكلم وقرأت فرقة فنبئكم على ضمير الغائب والمراد الله عز وجل . # قوله عز وجل يونس 24 # المعنى إنما مثل تفاخر الحياة الدنيا وزينتها بالمال والبنين إذ يصير ذلك إلى الفناء كمطر نزل من السماء فاختلط ووقف هنا بعض القراء على معنى فاختلط الماء بالأرض ثم استأنف به نبات الأرض على الابتداء والخبر المقدم ويحتمل على هذا أن يعود الضمير في به على الماء أو على الاختلاط الذي يتضمنه القول . # ووصلت فرقة فرغع النبات على ذلك بقوله اختلط أي اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء وقوله مما يأكل الناس يريد الزروع والأشجار ونحو ذلك وقوله والأنعام يريد سائر العشب المرعي و أخذت الأرض لفظة كثرت في مثل هذا كقوله خذوا زينتكم والزخرف التزين بالألوان وقد يحيى الزخرف بمعنى الذهب إذ الذهب منه وقرأ مروان بن الحكم وأبو جعفر والسبعة وشيبة ومجاهد والجمهور وأزينت أصله تزينت سكنت التاء لتدغم فاحتيج إلى ألف الوصل وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبي بن كعب وتزينت وهذه أصل قراءة الجمهور . # وقرأ الحسن وأبو العالية والشعبي وقتادة ونصر بن عاصم وعيسى وأزينت على معنى حضرت زينتها كما تقول احصد الزرع وأزينت على مثال أفعلت وقال عوف بن أبي جميلة كان أشياخنا يقرؤونها وأزينت النون شديدة والألف ساكنة قبلها وهي قراءة أبي عثمان النهدي وقرأت فرقة وأزيان وهي لغة منها قول الشاعر ابن كثير # (إذا ما الهواذي بالغيبط احمأرت %) + الطويل + # وقرأت فرقة وأزيان والمعنى في هذا كله ظهرت زينتها وقوله وطن أهلها على بابها . # والضمير في عليها عائد على الأرض والمراد ما فيها من نعمة ونبات وهذا الكلام فيه تشبيه جملة أمر الحياة الدنيا بهذه الجملة الموصوفة أحوالها وحتى غاية وهي حرف ابتداء لدخولها على إذا ومعناها متصل إلى قوله قادرون عليها ومن بعد ذلك بدأ الجواب والأمر الآتي واحد الأمور كالريح والصر والسموم ونحو ذلك وتقسيمه ليلا أو نهارا تنبيه على الخوف وارتفاع الأمن في كل وقت و حصيدا فعيل بمعنى مفعول وعبر بحصيد عن التالف الهالك من النبات وإن لم يهلك بحصاد إذ الحكم فيهما واحد وكان الآفة حصده قبل أوانه وقوله كان لم تغن أي كان لم تنعم ولم تنضر ولم تغر

@ 115 @ بغضارتها وقرأ قتادة بغن بالياء من تحت يعني الحصيد وقرأ مروان كأن لم تتغن بتأين مثل تتفعل والمغاني المنازل المعمورة ومنه قول الشاعر # (وقد غنى بها ونرى عصورا % بها يقتدنا الخرد الخدالا) + الوافر + # وفي مصحف أبي بن كعب كأن لم تغن بالأمس وما كنا لنهلكها إلا بذنوب أهلها كذلك نفس الآيات رواها عنه ابن عباس وقيل إن فيه وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها وقرأ أبو الدرداء لقوم يتذكرون ومعنى الآية التحذير من الاعتزاز بالدنيا إذ هي معرضة للتلف وأن يصيبها ما أصاب هذه الأرض المذكورة بموت أو غيره من رزايا الدنيا وخص المتفكرين بالذكر تشريفا للمنزلة وليقع التسابق إلى هذه الرتبة . # قوله عز وجل يونس 25 - 27 # نصت هذه الآية أن الدعاء إلى الشرع عام في كل بشر والهداية التي هي الإرشاد مختصة بمن قدر إيمانه و السلام قيل هو اسم الله عز وجل فالمعنى يدعو إلى داره التي هي الجنة وإضافتها إليه إضافة ملك إلى مالك وقيل السلام بمعنى السلامة أي من دخلها ظفر بالسلامة وأمن الفناء والآفات وهذه الآية رادة على المعتزلة وقد وردت في دعوة الله تعالى عبادة أحاديث منها رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم إذ رأى في نومه جبريل وميكائيل ومثلا دعوة الله ومحمدا الداعي والملة المدعو إليها والجنة التي هي ثمرة الغفران بالمادية يدعو إليها ملك إلى منزله . # وقال قتادة في كلامه على هذه الآية ذكر لنا أن في التوراة مكتوبا يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر انت . # وقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الآية قالت فرقة وهي الجمهور الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل وروي في نحو ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه صهيب وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وحذيفة وأبي موسى الأشعري وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن أبي ليلى وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وقالت فرقة الحسنى هي الحسنة والزيادة هي تضعيف الحسنة إلى سبعمائة فدونها حسبا روي في نص الحديث وتفسير قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء وهذا قول بعضه النظر ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول وطريق ترجيحه أن الآية تتضمن اقترانا بين ذكر عمال الحسنة وعمال السيئات فوصف المحسنين بأن لهم حسنى وزيادة من جنسها ووصف المسيئين بأن لهم بالسيئة مثلها فتعادل الكلامان وعبر عن الحسنة

@ 116 @ ب الحسنى مبالغة إذ هي عشرة وقال الطبري الحسنى عام في كل حسنى فهي نعم جميع ما قيل ووعد الله تعالى على جميعها بالزيادة ويؤيد ذلك أيضا قوله أولئك أصحاب الجنة ولو كان معنى الحسنى الجنة لكان في القول تكرير بالمعنى على أن هذا ينفصل عنه بأنه وصف المحسنين بأن لهم الجنة وأنهم لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ثم قال أولئك أصحاب الجنة على جهة المدح لهم أي أولئك مستحقوها وأصحابها حقا وباستيجاب و يرهق معناه يغشى مع ذلة وتضييق القتر الغبار المسود ومنه قول الشاعر الفرزدق # (متوج برداء الملك يتبعه % موج ترى وسطه الرايات والقترا) + البسيط + # وقرأ الحسن وعيسى بن عمر والأعمش وأبو رجاء قتر بسكون التاء وقوله والذين كسبوا السيئات الآية اختلف النحويون في رفع الجزاء بم هو فقالت فرقة التقدير لهم جزاء سيئة بمثلها وقالت فرقة التقدير جزاء سيئة مثلها والباء زائدة . # قال القاضي أبو محمد ويتوجه أن يكون رفع الجزاء على المبتدأ وخبره في الذين لأن الذين معطوف على قوله للذين أحسنوا فكأنه قال والذين كسبوا

السيئات جزاء سيئة بمثلها وعلى الوجه الآخر فقله ^ والذين كسبوا السيئات ^ رفع بالابتداء وتعم ^ السيئات ^ ها هنا الكفر والمعاصي فمثل سيئة الكفر التخليد في النار ومثل سيئة المعاصي مصروف إلى مشيئة الله تعالى . # و ^ العاصم ^ المنجي ومنه قوله تعالى ^ إلى جبل يعصمني من الماء ^ . وهو # و ^ أغشيت ^ كسيت ومنه الغشاوة والقطع جمع قطعة وقرأ ابن كثير والكسائي قطعاً من الليل بسكون الطاء وقرأ الباقر بفتح الطاء والقطع الجزء من الليل ومنه قوله تعالى ^ فاسر بأهلك بقطع من الليل ^ وهذا يراد به الجزء من زمان الليل وفي هذه الآية الجزء من سواده و ^ مظلماً ^ نعت لقطع ويجوز أن يكون حالا من الذكر الذي في قوله ^ من الليل ^ فإذا كان نعنا فكان حقه أن يكون قبل الجملة ولكن قد يجيء بعدها وتقدير الجملة قطعاً استقر من الليل مظلماً على نحو قوله تعالى ^ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ^ ومن قرأ قطعاً على جمع قطعة فنصب مظلماً على الحال ^ من الليل ^ والعامل في الحال ^ من ^ إذ هي العامل في ذي الحال وقرأ أبي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل وظلم وقرأ ابن أبي عبله قطع من الليل مظلم بتحريك الطاء في قطع . # قوله عز وجل \$ يونس 28 - 30 \$ # قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والحسن وشيبة وغيرهم نحشروهم بالنون وقرأت فرقة

@ 117 @ يحشروهم بالياء والضمير في يحشروهم عائد على جميع الناس محسنين ومسيئين و ^ مكانكم ^ نصب على تقدير لازمو مكانكم وذلك مقترن بحال شدة وخزي و ^ مكانكم ^ في هذا الموضع من أسماء الأفعال إذ معناه قفوا واسكنوا وهذا خبر من الله تعالى عن حالة تكون لعبيدة الأوثان يوم القيامة يؤمرون بالإقامة في موقف الخزي مع أصنامهم ثم ينطق الله الأصنام بالتبري منهم . # وقوله ^ وشركاؤكم ^ أي الذين تزعمون أنهم شركاء لله فأضافهم إليهم لأن كونهم شركاء إنما هو بزعم هؤلاء وقوله ^ فزينا بينهم ^ معناه فرقنا في الحجة والمذهب وهو من زلت الشيء عن الشيء أزله وهو تضعيف مبالغة لا تعدية وكون مصدر زيل تزيلا يدل على أن زيل إنما هو فعل لا فيعمل لأن مصدره كان يجيء على فيعلة وقرأت فزينا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الكفار إذا رأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب قيل لهم اتبعوا ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد هؤلاء فتقول الأصنام والله ما كنا نسبح ولا نعقل و ^ ما كنتم آياتا تعبدون ^ فيقولون والله لإياكم كنا نعبد فتقول الآلهة ^ كفى بالله شهيدا ^ الآية . # قال القاضي أبو محمد وظاهر هذه الآية أن محاورتهم إنما هي مع الأصنام دون الملائكة وعيسى بن مريم بدليل القول لهم ^ مكانكم أنتم وشركاؤكم ^ ودون فرعون ومن عبد من الجن بدليل قولهم ^ إن كنا عن عبادتكم لغافلين ^ وهؤلاء لم يغفلوا قط عن عبادة من عبدهم و ^ أنتم ^ رفع بالابتداء والخبر موبخون أو مهانون ويجوز أن يكون ^ أنتم ^ تأكيداً للضمير الذي في الفعل المقدر الذي هو قفوا أو نحوه . # و ^ شهيدا ^ نصب على التمييز وقيل على الحال وإن هذه عند سبويه هي مخففة موجبة حرف ابتداء ولزمتها اللام فرقا بينها وبين إن النافية وقال الفراء إن بمعنى ما واللام بمعنى إلا و ^ هنالك ^ نصب على الظرف وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر تبلوا بالياء بواحدة بمعنى اختبر وقرأ حمزة والكسائي تتلوا بالتاء بنقطتين من فوق بمعنى تتبع أي تطلب وتتبع ما أسلفت من أعمالها ويصح أن يكون بمعنى تقرأ كتبها التي ترفع إليها وقرأ يحيى بن وثاب وردوا بكسر الراء والجمهور وردوا إلى الله أي ردوا إلى عقاب مالكمم وشديد بأسه فهو مولاكم في الملك والإحاطة لا في الرحمة والنصر ونحوه . # قوله عز وجل \$ يونس 31 - 33 \$ # هذا توقيف وتوبيخ واحتجاج لا محيد عن التزامه و ^ من السماء ^ يربد بالمطهر ومن ^ الأرض ^ يربد بالإنبات ونحو ذلك و ^ يملك السمع والأبصار ^ لفظ يعم جملة الإنسان ومعظمه حتى أن ما عداهما من الحواس تبع ^ ويخرج الحي من الميت ^ الجنين من النطفة والطائر من البيضة والنبات من

@ 118 @ الأرض إذ له نمو شبيه بالحياة ^ ويخرج الميت من الحي ^ مثل البيضة من الطائر ونحو ذلك وقد تقدم فيما سلف إيعاب القول في هذه المعاني وتدبير الأمر عام لهذا وغيره من جميع الأشياء وذلك استقامة الأمور كلها عن إرادته عز وجل وليس تدبيره بفكر ولا روية وتغيرات تعالى عن ذلك بل علمه محيط كامل دائم ^ فسيقولون الله ^ لا مندوحة لهم عن ذلك ولا تمكنهم المباهنة بسواه فإذا أقروا بذلك ^ فقل أفلا تتقون ^ . # في افتراءكم وجعلكم الأصنام آلهة وقوله تعالى ^ فذلكم الله ربكم ^ الآية يقول فهذا الذي هذه صفاته ^ ربكم الحق ^ أي المستوجب للعبادة والألوهية وإذا كان ذلك فتشريك غيره ضلال وغير حق وعبارة القرآن في سوق هذه المعاني تفوت كل تفسير براعة وإيجازاً وإيضاحاً وحكمت هذه الآية بأنه ليس بين الحق والضلال منزلة ثالثة في هذه المسألة التي هي توحيد الله وكذلك هو الأمر في نظائرها وهي مسائل الأصول التي الحق فيها في طرف واحد لأن الكلام فيها إنما هو في تقرير وجود ذات كيف وهي وذلك بخلاف مسائل الفروع التي قال الله تعالى فيها ^ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ^ وقال النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات و ^ الحق ^ في هذه الطرفين لأن المتعبدين إنما طلبوا بالإجتهد لا بعين في كل نازلة وبدلك على أن الحق في الطرفين اختلاف الشرائع بتحليل وتحريم في شيء واحد والكلام في مسائل الفروع إنما هو في أحكام طارئة على وجود ذات متفرقة لا يختلف فيها وإنما يختلف في الأحكام المتعلقة بالمشترع وقوله ^ فأني تصرفون ^ تقرير كما قال ^ فأين تذهبون ^ ثم قال ^ كذلك حقت ^ أي كما كانت صفات الله كما وصف وعبادته واجبة كما تقرر وانصراف هؤلاء كما قدر عليهم وتكسبوا ^ كذلك حقت ^ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي هنا وفي آخر السورة كلمة على الأفراد الذي يراد به الجمع كما يقال للقصيد كلمة فعبر عن وعيد الله تعالى بكلمته وقرأ نافع وابن عامر في الموضوعين المذكورين كلمات وهي قراءة أبي جعفر وشيبة بن نصح وهذه الآية إخبار أن في الكفار من حتم بكفره وقضى بتخليده وقرأ ابن أبي عبله إنهم بكسر الألف . # قوله عز وجل \$ يونس 34 - 36 \$ # هذا توقيف أيضاً على قصور الأصنام وعجزها وتنبه على قدرة الله عز وجل وبدء الخلق يريد به إنشاء الإنسان في أول أمره وإعادته هي البعث من القبور و ^ تؤفكون ^ معناه تصرفون وتحرمون تقول العرب أرض مأفوكه إذا لم يصبها مطر فهي بمعنى الخيبة والقلب كما قال ^ والمؤتفة أهوى ^ وقوله تعالى ^ قل هل من شركائكم من يهدي ^ الآية ^ يهدي إلى الحق ^ يريد به يبين

@ 119 @ الطرق والصواب ويدعوا إلى العدل ويفصح بالآيات ونحو هذا ووصف الأصنام بأنها لا تهدي إلا أن تهدي ونحن نجدها لا تهدي وإن هديت فوجه ذلك أنه عامل في العبارة عنها معاملتهم في وصفها بأوصاف من يغفل وذلك مجاز وموجود في كثير من القرآن وذكر ذلك أبو علي الفارسي والذي أقول إن قراءة حمزة والكسائي تحتل أن يكون المعنى أمن لا يهدي أحداً إلا أن يهدي ذلك الأحد بهدية من عند الله وأما على غيرها من القراءات التي مقتضاها أمن لا يهدي إلا أن يهدي فيتجه المعنى على ما تقدم لأبي علي الفارسي وفيه تجوز كثير وقال بعضهم هي عبارة عن أنها لا تنتقل إلا أن تنقل ويحتمل أن يكون ما ذكر الله من تسبيح الجمادات هو اهتداؤها ويحتمل أن يكون الاستثناء في اهتدائها إلى منكرة الكفار يوم القيامة جسماً مضى في هذه السورة وقراءة حمزة والكسائي هي يهدي بفتح الباء وسكون الهاء وقرأ نافع وأبو عمرو وشيبة والأعرج وأبو جعفر يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال وقرأ ابن كثير وابن عامر يهدي بفتح الباء والهاء وهذه أفصح القراءات نقلت حركة تاء يهدي إلى الهاء وأدغمت التاء في الدال وهذه رواية ورش عن نافع وقرأ عاصم في رواية حفص يهدي بفتح الياء وكسر الهاء وشد الدال أتبع الكسرة الكسرة وقرأ عاصم في رواية أبي بكر يهدي بكسر الياء والهاء وشد الدال وهذا أيضاً إتياع وقال مجاهد الله يهدي من الأوثان وغيرها ما شاء . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وقرأ يحيى بن الحارث الزماري . # إلا أن يهدي بفتح الهاء وشد الدال ووقف الفراء ^ فما لكم ^ ثم يبدأ ^ كيف تحكمون ^ وقوله ^ وما يتبع أكثرهم ^ إخبار عن فساد طرائقهم وضعف نظرهم وأنه ظن ثم بين منزلة الظن من المعارف وبعده من الحق و ^ الظن في هذه الآية على بابه في أنه معتقد أحد جائزين لكن ثم ميل إلى أحدهما دون جهة تبطل الآخر وجواز ما اعتقده هؤلاء إنما هو بزعمهم لا في نفسه . # بل ظنهم محال في ذاته . # و ^ الحق ^ أيضاً على بابه في أنه معرفة المعلوم على ما هو به . # وبهذه الشروط لا يغني الظن من الحق شيئاً . # وأما في طريق الأحكام التي تعبد الناس بطواهرها فيغني الظن في تلك الحقائق ويصرف من طريق إلى طريق . # والشهادة إنما هي مظنونة . # وكذلك التهم في الشهادات وغيرها تغني . # وليس المراد في هذه الآية هذا النمط . # وقرأ جمهور الناس . # يفعلون . # وقرأ عبد الله بن مسعود تفعلون بالتاء على مخاطبة الحاضر . # قوله عز وجل \$ يونس 37 - 38 \$ # هذا نفي قول من قال من قريش إن محمداً يفترى القرآن وينسبه إلى الله تعالى وعبر عن ذلك بهذه الألفاظ التي

تتضمن تشييع قولهم وإعظام الأمر كما قال تعالى ^ وما كان لبني أن يغل ^ وكما قال حكاية عن عيسى عليه السلام ^ ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ^

@ 120 @ ونحو هذا مما يعطي المعنى والقرائن والبراهين استحالتة و ^ يفترى ^ معناه يختلق وينشأ وكأن المرء يفريه من حديثه أي يقطع ويسمه سمة فهو مشتق من فريت إذا قطعت لإصلاح و ^ تصديق ^ نصب على المصدر والهامل فيه فعل مضمر وقال الزجاج هو خبر كان مضمره والتقدير ولكن كان تصديق الذي بين يديه وقوله ^ الذي بين يديه ^ يريد التوراة والإنجيل والذي بين اليد هو المتقدم للشيء وقالت فرقة في هذه الآية إن الذي بين يديه هي أشراط الساعة وما يأتي من الأمور . # قال القاضي أبو محمد وهذا خطأ والأمر بالعكس كتاب الله تعالى بين يدي تلك أما أن الزجاج تحفظ فقال الضمير يعود على الأشراف والتقدير ولكن تصديق الذي بين يديه القرآن . # قال القاضي أبو محمد وهذا أيضا قلق وقيام البرهان على قريش حينئذ إنما كان في أن يصدق القرآن ما في التوراة والإنجيل مع أن الآتي بالقرآن ممن يقطعون أنه لم يطالع تلك الكتب ولا هي في بلده ولا في قومه و ^ تفصيل الكتاب ^ هو تبيينه و ^ الأرب فيه ^ يريد هو في نفسه على هذه الحالة وإن ارتاب مبطل فذلك لا يلتفت إليه وقوله ^ أم يقولون افتراه ^ الآية ^ أم ^ هذه ليست بالمعادلة لألف الاستفهام التي في قولك أريد قام أم عمرو وإنما هي التي تتوسط الكلام ومذهب سيبويه أنها بمنزلة الألف ويل لأنها تتضمن استفهاما وإضرابا عما تقدم وهي كقولهم إنها لا بل أم شاء وقالت فرقة في ^ أم ^ هذه هي بمنزلة ألف الاستفهام ثم عجزهم في قوله ^ قل فاتوا بسورة مثله ^ والسورة مأخوذة من سورة البناء وهي من القرآن هذه القطعة التي لها مبدأ وختم والتحدي في هذه الآية وقع بجهتي الإعجاز اللتين في القرآن أحدهما النظم والرصف والإيجاز والجزالة كل ذلك في التعريف بالحقائق والأخرى المعاني من الغيب لما مضى ولما يستقبل وحين تحادهم بعشر مقتربات إنما تحادهم بالنظم وحده . # قال القاضي أبو محمد هكذا قول جماعة من المتكلمين وفيه عندي نظر وكيف يجيء التحدي بمماثلة في الغيوب ردا على قولهم ^ افتراه ^ وما وقع التحدي في الآيتين هذه وآية العشر السور إلا بالنظم والرصف والإيجاز في التعريف بالحقائق وما ألزموا قط إتيانا بغيب لأن التحدي بالإعلام بالغيوب كقوله ^ وهم من بعد عليهم سيغلبون ^ وكقوله ^ لتدخلن المسجد الحرام ^ ونحو ذلك من غيوب القرآن فيبين أن البشر مقصر عن ذلك وأما التحدي بالنظم فبين أيضا أن البشر مقصر عن نظم القرآن إذ الله عز وجل قد أحاط بكل شيء علما فإذا قدر الله اللفظة في القرآن علم بالإحاطة اللفظة التي هي أليق بها في جميع كلام العرب في المعنى المقصود حتى كمل القرآن على هذا النظام الأول فالأول والبشر مع أن يفرض أفصح العالم محقوق ببيان وجهه بالألفاظ والحق ويغلط وأفات بشرية فمحال أن يمشي في اختياره على الأول فالأول ونحن نجد العربي ينقح قصيدته وهي الحوليات يبدل فيها ويقدم ويؤخر ثم يدفع تلك القصيدة إلى أفصح منه فيزيد في التنقيح ومذهب أهل الصرفة مكسور بهذا الدليل فما كان قط في العالم إلا من فيه تقصير سوى من يوحى إليه الله تعالى ويميزه من غيره كفعل الفرزدق في أبيات جرير والجارية في شعر الأعشى وقول الأعرابي عرفجكم فقطع ونحو ذلك مما إذا تتبع بان . # والقدر المعجز من القرآن ما جمع الجهتين اطراد النظم والسرد

@ 121 @ وتحصيل المعاني وتركيب الكثير منها في اللفظ القليل فأما مثل قوله تعالى ^ مدهامتان ^ وقوله ^ ثم نظر ^ فلا يصح التحدي بالإتيان بمثله لكن بانتظامه واتصاله يقع العجز عنه وقوله ^ مثله ^ صفة للسورة والضمير عائد على القرآن المتقدم الذكر كأنه قال فاتوا بسورة مثل القرآن أي في معانيه وألفاظه وخلصت فرقة في قوله ^ مثله ^ من جهة اللسان كقول الطبري ذلك على المعنى ولو كان على اللفظ لقال مثلها وهذا وهم بين لا يحتاج إليه وقرأ عمرو بن فائد بسورة مثله على الإضافة قال أبو الفتح التقدير بسورة كلام مثله قال أبو حاتم أمر عبد الله الأسود أن يسأل عمر عن إضافة سورة أو تنوينها فقال له عمر كيف شئت وقوله ^ وادعوا من استطعتم ^ إحالة على شركائهم وجنهم وغير ذلك وهو كقوله في الآية الأخرى ^ لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ^ أي معينا وهذا أشد إقامة لنفوسهم وأوضح تعجيزا لهم . # قال عز وجل \$ بونس 39 - 43 \$ # المعنى ليس الأمر كما قالوا في أنه مقترى ^ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ^ وهذا اللفظ يحتمل معنيين أحدهما أن يريد بها الوعيد الذي توعدهم الله عز وجل على الكفر وتأويله على هذا يراد به ما يؤول إليه أمره كما هو في قوله ^ هل ينظرون إلا تأويله ^ والآية بجملتها على هذا التأويل تتضمن وعيدا والمعنى الثاني أنه أراد بل كذبوا بهذا القرآن العظيم المنبئ بالغيوب الذي لم تتقدم لهم به معرفة ولا أحاطوا بعلم غيوبه وحسن نظمه ولا جاءهم تفسير ذلك وبيانه و ^ الذين من قبلهم ^ يريد من سلف من أمم الأنبياء قال الزجاج ^ كيف ^ في موضع نصب على خبر ^ كان ^ ولا يجوز أن يعمل فيها انظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه # قال القاضي أبو محمد هذا قانون النحويين أنهم عاملوا كيف في كل مكان معاملة الاستفهام المحض في قولك كيف زيد وكيف تصرفات غير هذا محل المصدر الذي هو كيفية وتخلع معنى الاستفهام ويحتمل هذا أن يكون منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت وانظر قول البخاري كيف كان بدء الوحي فإنه لم يستفهم وذكر الفعل المسند إلى العاقبة لما كانت بمعنى المال ونحوه وليس تأنيثها بحقيقي وقوله تعالى ^ ومنهم من يؤمن به ^ الآية الضمير في ^ منهم ^ عائد على قريش ولهذا الكلام معنيان قالت فرقة معناه من هؤلاء القوم من سيؤمن في المستقبل ومنهم من حتم الله أنه لا يؤمن به

@ 122 @ أبدا وقالت فرقة معناه من هؤلاء القوم من هو مؤمن بهذا الرسول إلا أنه يكتم إيمانه وعلمه بان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإعجاز القرآن حق حقا لرياسته أو خوفا من قومه كالفيتية الذين خرجوا إلى بدر مع الكفار فقتلوا فنزل فيهم ^ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ^ وكالعباس ونحو هذا ومنهم من ليس بمؤمن . # قال القاضي أبو محمد وفائدة الآية على هذا التأويل التفرق لكلمة الكفار وإضعاف نفوسهم وأن يكون بعضهم على وجل من بعض وفي قوله ^ وربك أعلم بالمفسدين ^ تهديد ووعيد وقوله ^ وإن كذبوك ^ آية مناجزة لهم ومشاركة وفي ضمنها وعيد وتهديد وهذه الآية نحو قوله ^ قل يا أيها الكافرون ^ إلى آخر السورة وقال كثير من المفسرين منهم ابن زيد هذه الآية منسوخة بالقتال لأن هذه مكية وهذا صحيح وقوله تعالى ^ ومنهم من يستمعون إليك ^ جمع ^ يستمعون ^ على معني ^ من ^ لا على لفظها ومعنى الآية ومن هؤلاء الكفار من يستمع إلي ما يأتي به من القرآن بإذنه ولكنه حين لا يؤمن ولا يحصل فكأنه لا يسمع ثم قال على وجه التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أفأنت يا محمد تريد أن تسمع الصم . # أي لا تكثر بذلك وقوله ^ ولو كانوا لا يعقلون ^ معناه ولو كانوا من أشد حالات الأصم لأن الأصم الذي لا يسمع شيئا بحال فذلك لا يكون في الأغلب إلا مع فساد العقل والدماغ فلا سبيل أن يعقل حجة ولا دليلا أبدا ^ ولو ^ هذه بمعنى إن وهذا توقيف للنبي صلى الله عليه وسلم أي ألزم نفسك هذا وقوله ^ ومنهم من ينظر إليك ^ الآية هي نحو الأولى في المعنى وجاء ^ ينظر ^ على لفظ ^ من ^ وإذا جاء الفعل على لفظها فجاز أن يعطف عليه آخر على المعنى وإذا جاء أولا على معناها فلا يجوز أن يعطف آخر على اللفظ لأن الكلام يلبس حينئذ وهذه الآية نحو الأولى في المعنى كأنه قال ومنهم من ينظر إليك ببصره لكنه لا يعتبر ولا ينظر بصرته فهو لذلك كالأعمى فهون ذلك عليك أفتريد أن تهدي العمي والهداية أجمع إنما هي بيد الله عز وجل . # قوله عز وجل \$ بونس 44 - 46 \$ # قرأت فرقة ولكن الناس يتخففون لكن ورفع الناس وقرأت فرقة ولكن بتشديد لكن ونصب الناس وظلم الناس لأنفسهم إنما هو بالتكسب منهم الذي يقارن اختراع الله تعالى لأفعالهم وعرف لكن إذا كان قبلها واو أن تثقل وإذا عريت من الواو أن تخفف وقد ينخرم هذا وقال الكوفيون قد يدخل اللام في خبر لكن المشددة على حد دخولها في أن ومنع ذلك البصريون وقوله تعالى ^ ويوم نحشروهم ^ الآية وعيد بالحشر وخزبهم فيه وتعاونهم في التلاوم بعضهم لبعض و ^ يوم ^ ظرف ونصبه يصح بفعل مضمر تقديره واذكر يوم ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه قوله ^ كأن لم يلبثوا إلا

@ 123 @ ساعة من النهار) ويصح نصبه ب ^ يتعارفون ^ والكاف من قوله ^ كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ^ يصح أن تكون في معنى الصفة لليوم ويصح أن تكون في موضع نصب للمصدر كأنه قال ويوم نحشروهم حشرا كأن لم يلبثوا ويصح أن يكون قوله ^ كأن لم يلبثوا ^ في موضع الحال من الضمير في ^ نحشروهم ^ وخصص ^ النهار ^ بالذكر لأن ساعاته وقسمه معروفة بينة للجميع فكأن

هؤلاء يتحققون قلة ما لبثوا إذ كل أمد طويل إذا انقضى فهو والبسبر سواء وأما قوله ^ يتعارفون ^ فيحتمل أن يكون معادلة لقوله ^ ويوم نحشرهم ^ كأنه أخبر أنهم يوم الحشر ^ يتعارفون ^ وهذا التعارف على جهة التلاوم والخزي من بعضهم لبعض . # ويحتمل أن يكون في موضع الحال من الضمير في ^ نحشرهم ^ ويكون معنى التعارف كالذي قبله ويحتمل أن يكون حالا من الضمير في ^ يلبثوا ^ ويكون التعارف في الدنيا ويجيء معنى الآية ويوم نحشرهم للقيامه فتقطع المعرفة بينهم والأسباب ويصير تعارفهم في الدنيا كساعة من النهار لا قدر لها وينحو هذا المعنى فسر الطبري وقرأ السبعة وجمهور الناس نحشرهم بالنون وقرأ الأعمش فيما روي عنه يحشرهم بالياء وقوله ^ قد خسر الذين ^ إلى آخرها حكم على المكذبين بالخسار وفي اللفظ إغلاظ على المحشورين من إظهار لما هم عليه من الغرر مع الله تعالى وهذا على أن الكلام إخبار من الله تعالى وقيل إنه من كلام المحشورين على جهة التوبيخ لأنفسهم وقوله تعالى ^ إما نرينك ^ الآية ^ إما ^ شرط وجوابه ^ فالينا ^ والرؤية في قوله ^ نرينك ^ رؤية بصر وقد عدي الفعل بالهزمة فلذلك تعدى إلى مفعولين أحدهما الكاف والآخر ^ بعض ^ والإشارة بقوله ^ بعض الذي ^ إلى عقوبة الله لهم نحو بدر وغيرها ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع إلى الله تعالى أي إن أريناك عقوبتهم أو لم نركها فهم على كل حال راجعون إلينا إلى الحساب والعذاب ثم مع ذلك فالله شهيد من أول تكليفهم على جميع أعمالهم ف ^ ثم ^ ها هنا لترتيب الإخبار لا لترتيب القصص في أنفسها وإما هي إن زيدت عليها ما ولأجلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت إن وجدها لم يجز . # قوله عز وجل \$ يونس 47 - 49 \$ قوله تعالى ^ ولكل أمة رسول ^ إخبار مثل قوله تعالى ^ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى ^ وقال مجاهد وغيره المعنى فإذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم صير قوم للجنة وقوم للنار فذلك القضاء بينهم بالقسط وقيل المعنى فإذا جاء رسولهم في الدنيا وبعث صاروا من حتم الله بالعذاب لقوم والمغفرة لآخرين لغاياتهم فذلك قضاء بينهم بالقسط وقرن بعض المتأولين هذه الآية بقوله ^ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ^ وذلك يتفق إما بأن نجعل ^ معذبين ^ في الآخرة وإما بأن نجعل القضاء بينهم في الدنيا بحيث يصح اشتباه

@ 124 @ الآيتين وقوله ^ ويقولون متى هذا الوعد ^ إلى ^ يستقدمون ^ الضمير في ^ يقولون ^ يراد به الكفار وسؤالهم عن الوعد تحرير بزعمهم في الحجة أي هذا العذاب الذي توعدنا حدد لنا فيه وقته لنعلم الصدق في ذلك من الكذب وقال بعض المفسرين قولهم هذا على جهة الاستخفاف . # قال القاضي أبو محمد وهذا لا يظهر من اللفظة ثم أمره تعالى أن يقول لهم ^ لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعاً إلا ما شاء الله ^ المعنى قل لهم يا محمد رداً للحجة إنني ^ لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ^ من دون الله ولا أنا إلا في قبضة سلطانه وبضمن الحاجة إلى لطفه فإذا كنت هكذا فأحري أن لا أعرف غيبه ولا أتعاصى شيئاً من أمره ولكن ^ لكل أمة أجل ^ انفرد الله تعالى يعلم حده ووقته فإذا جاء ذلك الأجل في موت أو هلاك أمة لم يتأخروا ساعة ولا أمكنهم التقدم عن حد الله عز وجل وقرأ ابن سيرين أجلهم بالجمع . # قوله عز وجل \$ يونس 50 - 53 \$ المعنى قال يا أيها الكفرة المستعجلون عذاب الله عز وجل ^ أرايتم إن أتاكم عذابه ^ ليلاً وقت المبيت يقال بيت القوم القوم إذا طرقتهم ليلاً بحرب أو نحوها ^ أو نهاراً ^ لكم منه منعة أو به طاقة فماذا تستعجلون منه وأنتم لا قبل لكم به وما ابتداء وذا خبره ويصح أن تكون ^ ماذا ^ بمنزلة اسم واحد في موضع رفع بالابتداء وخبره الجملة التي بعده وضعف هذا أبو علي وقال إنما يجوز ذلك على تقدير إضمار في ^ يستعجل ^ وحذفه كما قال أبو النجم # (كله لم أصنع %) + الرجز + # وزيدت ضربت قال ويصح أن تكون ^ ماذا ^ في حال نصب ل ^ يستعجل ^ والضمير في ^ منه ^ يحتمل أن يعود على الله عز وجل ويحتمل أن يعود على العذاب وقوله ^ أثم إذا ما وقع ^ الآية عطف بقوله ^ ثم ^ جملة القول على ما تقدم ثم أدخل على الجميع ألف التقرير ومعنى الآية إذا وقع العذاب وعايينتموه أمتتم به حينئذ وذلك غير نافعكم بل جوابكم الآن وقد كنتم تستعجلونه مكذبين به وقرأ طلحة بن مصرف أثم بفتح التاء وقال الطبري في قوله ثم بضم التاء معناه هنالك وقال ليست ثم هذه التي تأتي بمعنى العطف . # قال القاضي أبو محمد والمعنى صحيح على أنها ثم المعروفة ولكن إطباقه على لفظ التنزيل هو كما قلنا وما ادعاه الطبري غير معروف و ^ الآن ^ أصله عند بعض النحاة أن فعل ماض دخلت عليه الألف واللام على حدها في قوله الحمار اليجدع ولم يتعرف بذلك كل التعريف ولكنها لفظة مضمنة معنى

@ 125 @ حرف التعريف ولذلك بنيت على الفتح لتضمنها معنى الحرف ولوقوعها موقع المبهم لأن معناها هذا الوقت وقرأ الأعمش وأبو عمرو وعاصم والجمهور ^ الآن ^ بالمد والإستفهام على حد التوبيخ وكذلك ^ الآن ^ وقد عصيت ^ وقرأها باستفهام بغير مد طلحة والأعرج . # وقوله تعالى ^ ثم قيل للذين ظلموا ^ الآية هو الوعيد الأعظم بالخلود لأهل الظلم الأخص الذي هو ظلم الكفر لا ظلم المعصية وقوله ^ هل تجزون ^ توفيق وتوبيخ ونصت هذه الآية على أن الجزاء في الآخرة هو على تكسب العبد وقوله ^ وبسألونك ^ معناه يستخبرونك وهي على هذا تعدى إلى مفعولين أحدهما الكاف والآخر في الابتداء والخبر وقيل هي بمعنى يستعلمونك فهي على هذا تحتاج إلى مفعولين ثلاثة أحدها الكاف والابتداء والخبر يسد مسد المفعولين و ^ أحق هو ^ قيل الإشارة إلى الشرع والقرآن وقيل إلى الوعيد وهو الأظهر وقرأ الأعمش الحق هو بمدة وبلاد التعريف وقوله ^ أي ^ هي لفظة تتقدم القسم وهي بمعنى نعم ويجيء بعدها حرف القسم وقد لا يجيء تقول ^ أي وربِّي ^ وإي ربِّي ^ معجزين ^ معناه مفلتين وهذا الفعل أصله تعدي عجز لكن كثر فيه حذف المفعول حتى قالت العرب أعجز فلان إذا ذهب في الأرض فلم يقدر عليه . # قوله عز وجل \$ يونس 54 - 56 \$ هذا إخبار للكفار في سياق إخبارهم بأن ذلك الوعد حق ^ وأسروا ^ لفظة تجيء بمعنى أخفوا وهي حينئذ من السر وتجيء بمعنى أظهروا وهي حينئذ من أسرار الوجه قال الطبري المعنى وأخفى رؤساء هؤلاء الكفار الندامة عن سفلتهم ووضعائهم . # قال القاضي أبو محمد بل هو عام في جميعهم و ^ ألا ^ استفتاح وتنبه ثم أوجب أن جميع ^ ما في السماوات والأرض ^ ملك لله تعالى قال الطبري يقول فليس لهذا الكافر يومئذ شيء يقتدي به . # قال القاضي أبو محمد وربط الآيتين هكذا يتجه على بعد وليس هذا من فصيح المقاصد وقوله ^ ولكن أكثرهم لا يعلمون ^ قيد بالأكثر لأن بعض الناس يؤمن فهم يعلمون حقيقة وعد الله تعالى وأكثرهم لا يعلمون فهم لأجل ذلك يكذبون وقوله ^ وهو يحيي ^ يريد يحيي من النطفة ^ ويميت ^ بالأجل ثم يجعل المرجع إليه بالحشر يوم القيامة وفي قوة هذه الآيات ما يستدعي الإيمان وإجابة دعوة الله وقرأ ترجعون بالتاء من فوق الأعرج وأبو عمرو وعاصم ونافع والناس وقرأ عيسى بن عمر يرجعون بالياء من تحت واختلف عن الحسن . # قوله عز وجل \$ يونس 57 - 58 \$

@ 126 @ # هذه آية خوطب بها جميع العالم والموعظة القرآن لأن الوعد إنما هو بقول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعد وهذه صفة الكتاب العزيز وقوله ^ من ربكم ^ يريد لم يخلقها محمد صلى الله عليه وسلم بل هي من عند الله و ^ ما في الصدور ^ يريد به الجهل والعتو عن النظر في آيات الله ونحو هذا مما يدفع الإيمان وجعله موعظة بحسب الناس أجمع وجعله ^ هدى ورحمة ^ بحسب المؤمنين فقط وهذا تفسير صحيح المعنى إذا تؤمل بأن وجهه وقوله سبحانه ^ قل بفضل الله وبرحمته ^ الباء متعلقة بمحذوف استغني عن ذكره يدل عليه قوله ^ وهدى ورحمة ^ قال بعض المتأولين وهو هلال بن إساف وفتادة والحسن وابن عباس الفضل الإسلام والرحمة القرآن وقال أبو سعيد الخدري الفضل القرآن والرحمة أن جعلهم من أهله وقال زيد بن أسلم والضاحك الفضل القرآن والرحمة الإسلام وقالت فرقة الفضل محمد صلى الله عليه وسلم والرحمة القرآن . # قال القاضي أبو محمد ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند منه شيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه أن الفضل هو هداية الله تعالى إلى دينه والتوفيق إلى اتباع الشرع والرحمة هي عفوهِ وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشريع بالإسلام والإيمان به ومعنى الآية قل يا محمد لجميع الناس ^ بفضل الله وبرحمته ^ فليقع الفرح منكم لا بأمور الدنيا وما جمع من حطامها فالمؤمنون يقال لهم فلتفرحوا وهم متلبسون بعله الفرح وسببه ومحصلون لفضل الله منتظرون الرحمة والكافرون يقال لهم ^ بفضل الله وبرحمته ^ فلتفرحوا على معنى أن لو اتفق لكم أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك وقرأ أبي بن كعب وابن القعقاع وابن عامر والحسن على ما زعم هارون ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما على المخاطبة وهي قراءة جماعة من السلف كبيرة وعن أكثرهم خلاف وقرأ السبعة سوى ابن عامر وأهل المدينة والأعرج ومجاهد وابن أبي إسحاق وفتادة وطلحة والأعمش بالياء فيهما على ذكر الغائب ورويت عن الحسن بالتاء من فوق فيهما وقرأ أبو التياح وأبو جعفر

وقتادة بخلاف عنهم وابن عامر بالياء في الأولى وبالتالي في الآخرة وقرأ الحسن بن أبي الحسن وجماعة من السلف ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم بالياء في الأولى وفي الآخرة ورويت عن أبي التياح وإذا تأملت وجوه ذلك بانت على مهبع الفصح من كلام العرب ولذلك كثر الخلاف من كل قارئ وفي مصحف أبي بن كعب في ذلك فافرحوا وأما من قرأ فلتفرحوا فأدخل اللام في أمر المخاطب فذلك على لغة قليلة حكى ذلك أبو علي في الحجة وقال أبو حاتم وغيره الأصل في كل أمر إدخال اللام إذا كان النهي بحرف فكذلك الأمر وإذا كان أمراً لغائب بلام قال أبو الفتح إلا أن العرب رفضت إدخال اللام في أمر المخاطب لكثرة ترداده وقرأ أبو الفتوح والحسن بكسر اللام من فلتفرحوا فإن قيل كيف أمر الله بالفرح في هذه الآية وقد ورد ذمه في قوله [^] لفرح فخور [^] وفي قوله [^] لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين [^] قيل إن الفرح إذا ورد مقيداً في خير فليس بدموم وكذلك هو في هذه الآية وإذا ورد مقيداً

@ 127 @ في شر أو مطلقاً لحقه ذم إذ ليس من أفعال الآخرة بل ينبغي أن يغلب على الإنسان حزنه على ذنبه وخوفه لربه وقوله [^] مما يجمعون [^] يريد من مال الدنيا وحطامها الفاني المؤذي في الآخرة . # قوله عز وجل \$ يونس 59 - 60 # هذه المخاطبة لكفار العرب الذين جعلوا البحائر والسواحب والنصيب من الحرث والأنعام وغير ذلك مما لم يأذن الله به وإنما اختلقوه بأمرهم وقوله تعالى [^] أنزل [^] لفظه فيها تجوز وإنزال الرزق إما أن يكون في ضمن إنزال المطر بالمال أو نزول الأمر به الذي هو ظهور الأثر في المخلوق منه المخترع ثم أمر الله نبيه بتوقيفهم على أحد القسمين وهم لا يمكنهم ادعاء إذن الله تعالى في ذلك فلم يبق إلا أنهم افتروه وهذه الآية نحو قوله تعالى [^] قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده [^] ذكر ذلك الطبري عن ابن عباس وقوله [^] وما ظن الذين يفترون على الله [^] الآية وعيد لما تحقق عليهم بتقسيم الآية التي قبلها أنهم مفترون على الله عظم في هذه الآية جرم الإفتراء أي ظنهم في غاية الرداءة بحسب سوء أفعالهم ثم ثنى بإيجاب الفضل على الناس في الإمهال لهم مع الإفتراء والعصيان والإمهال داعية إلى التوبة والإنابة ثم استدرج ذكر من لا يرى حق الإمهال ولا يشكره ولا يبارك به فيه على جهة الذم لهم والآية بعد هذا تعم جميع فضل الله وجميع تقصير الخلق في شكره لا رب غيره . # قوله عز وجل \$ يونس 61 - 63 # قصد الآية وصف إحاطة الله تعالى بكل شيء ومعنى اللفظ [^] وما تكون [^] يا محمد والمراد هو وغيره [^] في شأن [^] من جميع الشؤون [^] وما تتلو منه [^] الضمير عائد على [^] شأن [^] أي فيه وبسببه من قرآن ويحتمل أن يعود الضمير على جميع القرآن ثم عم بقوله [^] ولا تعملون من عمل [^] وفي قوله [^] إلا كنا عليكم شهوداً [^] تحذير وتنبيه و [^] تفيضون [^] تنهضون بجد يقال أفاض الرجل في سيره وفي حديثه ومنه الإفاضة في الحج ومفيض القدماء ويحتمل أن فاض عدي بالهمزة و [^] يعزب [^] معناه يعيب حتى

@ 128 @ يخفى حتى قالوا للبعيد عازب ومنه قول الشاعر ابن مقبل # (عواذب لم تسمع نبوح مقامه % ولم تر ناراً تم حول محرم) + الطويل + # وقيل للغائب عن أهله عازب حتى قالوه لمن لا زوجة له وفي السير أن بيت سعد بن خيثمة كان يقال بيت العزاب وقرأ جمهور السبعة والناس يعزب بضم الزاي وقرأ الكسائي وحده منهم يعزب بكسرها وهي قراءة ابن وثاب والأعمش وطلحة بن مصرف قال أبو حاتم القراءة بالضم والكسر لغة والمثقال الوزن وهو اسم لا صفة كمعطار ومضراب والذر صغار النمل جعلها الله مثلاً إذ لا يعرف في الحيوان المتغذي المتناسل المشهور النوع والموضع أصغر منه وقرأ جمهور الناس وأكثر السبعة ولا أصغر ولا أكبر بفتح الراء عطفاً على [^] ذرة [^] في موضع خفض لكن منع من ظهور امتناع الصرف وقرأ حمزة ولا أصغر ولا أكبر عطفاً على موضع قوله [^] مثقال [^] لأن التقدير وما يعزب عن ريك مثقال ذرة والكتاب الميسر اللوح المحفوظ كذا قال بعض المفسرين ويحتمل أن يريد تحصيل الكتبة ويكون القصد ذكر الأعمال المذكورة قبل وتقديم الأصغر في الترتيب جرى على قولهم القمرين والعمرين ومنه قوله تعالى [^] لا يغادر صغيرة ولا كبيرة [^] والقصد بذلك تنبيه الأقل وأن الحكم المقصود إذا وقع على الأقل فأجرى أن يقع على الأعظم و [^] ألا [^] استفتاح وتنبيه و [^] أولياء الله [^] هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي وإنما نبهنا هذا التنبيه حذراً من بعض الوصفية وبعض الملحدين في الولي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذ سئل عن أولياء الله فقال الذين إذا رأيتهم ذكرت الله . # قال القاضي أبو محمد وهذا وصف لازم للمتقين لأنهم يخشعون ويخشعون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال أولياء الله قوم تحابوا في الله واجتمعوا في ذاته لم تجمعهم قرابة ولا مال يتعاطونه وقوله [^] لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [^] يحتمل أن يكون في الآخرة أي لا يهتمون بهمها ولا يخافون عذاباً ولا عقاباً ولا يحزنون لذلك ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا أي لا يخافون أحداً من أهل الدنيا ولا من أعراضها ولا يحزنون على ما فاتهم منها والأول أظهر والعموم في ذلك صحيح لا يخافون في الآخرة جملة ولا في الدنيا الخوف الدنيوي الذي هو في فوت آمالها وزوال منازلها وكذلك في الحزن وذكر الطبري عن جماعة من العلماء مثل ما في الحديث من الأولياء الذين إذا رآهم أحد ذكر الله وروي فيهم حديث إن أولياء الله هم قوم يتحابون في الله وتجعل لهم يوم القيامة منابر من نور وتبهر وجوههم فهم في عرصة القيامة لا يخافون ولا يحزنون وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يعطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله قالوا ومن هم يا رسول الله قال قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا أموال الحديث ثم قرأ [^] ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [^] وقوله [^] الذين آمنوا [^] يصح أن يكون في موضع نصب على البديل من الأولياء ويصح أن يكون في موضع رفع على الابتداء على تقديرهم الذين وكثيراً ما يفعل ذلك بنعت ما عملت فيه أن إذا جاء بعد خبرها ويصح أن يكون [^] الذين [^] ابتداء وخبره في قوله [^] لهم البشرى [^]

@ 129 @ وقوله [^] وكانوا يتقون [^] لفظ عام في تقوى الشرك والمعاصي . # قوله عز وجل \$ يونس 64 - 66 # أما بشرى الآخرة فهي بالجنة قولاً واحداً وتلك هي الفضل الكبير الذي في قوله [^] وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً [^] وأما بشرى الدنيا فتظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وروي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الدرداء وعمران بن حصين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وغيرهم على أنه سئل عن ذلك ففسره بالرؤيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم أنه قال لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة وروت عنه أم كرز الكعبية أنه قال ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال قتادة والضحاك البشري في الدنيا هي ما يبشر به المؤمن عند موته وهو حي عند المعابة . # قال القاضي أبو محمد ويصح أن تكون بشرى الدنيا في القرآن من الآيات المبشرات ويقوي ذلك بقوله في هذه الآية [^] لا تبدل لكلمات الله [^] وإن كان ذلك كله يعارضه قول النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا إلا إن قلنا إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى مثلاً من البشري وهي تعم جميع الناس وقوله [^] لا تبدل لكلمات الله [^] يريد لا خلف لمواعيده ولا رد في أمره . # قال القاضي أبو محمد وقد أخذ ذلك عبد الله بن عمر على نحو غير هذا وجعل التبديل المنفي في الألفاظ وذلك أنه روي أن الحجاج بن يوسف خطب فأطال خطبته حتى قال إن عبد الله بن الزبير قد بدل كتاب الله فقال له عبد الله بن عمر إنك لا تطبق ذلك أنت ولا ابن الزبير [^] لا تبدل لكلمات الله [^] فقال له الحجاج لقد أعطيت علماً فلما انصرف إليه في خاصته سكت عنه وقد روي هذا النظر عن ابن عباس في غير مقابلة الحجاج ذكره البخاري وقوله [^] ذلك هو الفوز العظيم [^] إشارة إلى النعيم الذي به وقعت البشرية . # وقوله [^] ولا يحزنك [^] الآية . # هذه آية تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا يحزنك يا محمد ويهملك قولهم أي قول كفار قريش ولفظة القول تعم وجودهم واستهزاءهم وخذاعهم وغير ذلك ثم ابتداء بوجوب [^] إن العزة لله جميعاً [^] أي فهم لا يقدر على شيء ولا يؤذونه إلا بما شاء الله وهو القادر على عقابهم لا يعازه شيء ففي الآية وعيد لهم وكسر [^] إن [^] في الابتداء ولا ارتباط لها بالقول المتقدم لها وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح إن في هذا الموضع وهو كسر . # قال القاضي أبو محمد وقوله هو كسر غلو وكان ذلك يخرج على تقدير لأجل أن العزة لله وقوله

@ 130 @ # هو السميع [^] أي لجميع ما يقولونه [^] العليم [^] بما في نفوسهم من ذلك وفي ضمن هذه الصفات تهديد ثم استفتح بقوله [^] إلا إن لله من في السماوات ومن في الأرض [^] أي بالملك والإحاطة وغلب من يعقل في قوله [^] من [^] إذ له ملك الجميع ما فيها ومن فيها وإذا جاءت العبارة بما فذلك تغليب للكثرة إذ الأكثر عدداً من المخلوقات لا يعقل ف [^] من [^] تقع للصفين بمجموعهما

وما كذلك ولا تقع لما يعقل إذا تجرد من الصفات والأحوال ألا ترى لو ذكرت لك قوله في مسألة فأردت أن تسأل عن قائلها أيجوز في كلام العرب أن تقول ما قائل هذا القول هذا ما يتقلده من يفهم كلام العرب وقوله ^ وما يتبع ^ يصح أن تكون ^ ما ^ استفهاما بمعنى التقرير وتوقيف نظر المخاطب ويعمل ^ يدعون ^ في قوله ^ شركاء ^ ويصح أن تكون نافية ويعمل ^ يتبع ^ في ^ شركاء ^ على معنى أنهم لا يتبعون شركاء حقا ويكون مفعول ^ يدعون ^ محذوفاً وفي هذا الوجه عندي تكلف وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي تدعون بالتاء وهي قراءة غير متجهة وقوله ^ إن ^ نافية و ^ يخرصون ^ معناه يحدسون ويخمنون لا يقولون بقياس ولا نظر وقرأت فرقة ولا يحزنك من أحزن وقرأت فرقة ولا يحزنك من حزن . # قوله عز وجل \$ بونس 67 - 70 \$ لما نص عظمة الله تعالى في الآية المتقدمة عقب ذلك في هذه بالتنبيه على أفعاله لتبين العظمة المحكوم بها قبل وقوله ^ لتسكنوا ^ دال على أن النهار للحركة والتصرف وكذلك هو في الوجود وذلك أن حركة الليل متعذرة بفقد الضوء وقوله ^ والنهار مبصراً ^ مجاز لأن النهار لا يبصر ولكنه ظرف للإبصار وهذا موجود في كلام العرب إذ المقصود من ذلك مفهوم فمن ذلك قول ذي الرمة . # (لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى % ونمت وما ليل المطي بنائم) + الطويل + # وليس هذا من باب النسب كعيشة راضية ونحوها . # وإنما ذلك مثل قول الشاعر # (أما النهار ففي قيد وسلسلة % والليل في بيت منحوت من الساج) + الكامل + # فجعل الليل والنهار بهاتين الحاليتين وليس يريد إلا أنه هو فيهما كذلك وهذا البيت لمسجون كان يبيت في خشبة السجن وعلى أن هذا البيت قد ينشد أما النهار بالنصب وفي هذه الألفاظ إيجاز وإحالة على ذهن السامع لأن العبرة هي في أن الليل مظلم يسكن فيه والنهار مبصر يتصرف فيه فذكر طرف من

@ 131 @ هذا والطرف الآخر من الجهة الثانية ودل المذكوران على المتروكين وهذا كما في قوله تعالى ^ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع ^ وقوله ^ يسمعون ^ يريد ويعون والضمير في ^ قالوا ^ للكفار العرب وذلك قول طائفة منهم الملائكة بنات الله والآية بعد تعم كل من قال نحو هذا القول كالنصارى ومن يمكن أن يعتقد ذلك من الكفرة و ^ سبحانه ^ مصدر معناه تنزيها له وبراءة من ذلك فسره بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ^ هو الغني ^ صفة على الإطلاق أي لا يفقر إلى شيء من الجهات والولد جزء مما هو غني عنه والحق هو قول الله تعالى ^ أتمم الفقراء إلى الله ^ وقوله ^ وما في السماوات ^ أي بالملك والإحاطة والخلق و ^ إن ^ نافية والسلطان الحجة وكذلك معناه حيث تكرر من القرآن ثم وقفهم موبخاً بقوله ^ أتقولون على الله ما لا تعلمون ^ وقوله ^ قل إن الذين يفترون على الله ^ الآية هذا توعد لهم بأنهم لا يطفرون ببغية ولا يبقون في نعمة إذ هذه حال من يصير إلى العذاب وإن نعم في دنياه يسيراً وقوله ^ متاع ^ مرفوع على خبر ابتداء أي ذلك متاع أو هو متاع أو على الإبتداء بتقدير لهم متاع وقوله ^ ثم إنا مرجعهم ^ إلى آخر الآية توعد بحق . # قوله عز وجل \$ بونس 71 \$ # تقدم في الأعراف الكلام على لفظة ^ نوح ^ والمقام وقوف الرجل لكلام أو خطبة أو نحوه والمقام بضم الميم إقامته ساكناً في موضع أو بلد ولم يقرأ هنا بضم الميم وتذكيره وعظه وزجره والمعنى يا قوم إن كنتم تستضعفون حالي ودعائي لكم إلى الله فإني لا أبالي عنكم لتوكلي على الله تعالى فافعلوا ما قدرتم عليه وقرأ السبعة وجمهور الناس وابن أبي إسحاق وعيسى فأجمعوا من أجمع الرجل على الشيء إذا عزم عليه ومنه قول الشاعر # (هل أغدو يوماً وأمر مجمع %) + الكامل + # ومنه قول الآخر # (أجمعوا أمرهم لبيل فلما % أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء) + الخفيف + # ومنه الحديث ما لم يجمع مكثاً ومنه قول أبي ذؤيب # (ذكر الورود بها فأجمع أمره % شوقاً وأقبل حينه يتتبع) + الكامل + # وقرأ نافع فيما روى عنه الأصمعي وهي قراءة الأعرج وأبي رجاء وعاصم الجحدري والزهري والأعمش فأجمعوا بفتح الميم من جمع إذا ضم شيئاً إلى شيء و ^ أمركم ^ يريد به قدرتكم وحياتكم ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى ^ فتولى فرعون فجمع كيداً ^ وكل هؤلاء نصب الشركاء ونصب قوله ^ شركاءكم ^ يحتمل أن يعطف على قوله ^ أمركم ^ وهذا على قراءة فأجمعوا بالوصل

@ 132 @ وأما من قرأ فأجمعوا بقطع الألف فنصب الشركاء بفعل مضمير كأنه قال وادعوا شركاءكم فهو من باب قول الشاعر # (شراب اللبان وتمر وأقط %) + المتقارب + # ومن قول الآخر # (ورأيت زوجك في الوعى % متقلداً سيفاً ورمحاً) + مجزوء الكامل مرفل + # ومن قول الآخر # (علفتها تبنا وماء بارداً % حتى شات همالة عينها) + الرجز + # وفي مصحف أبي بن كعب فأجمعوا وادعوا شركاءكم قال أبو علي وقد ينتصب الشركاء بواو مع كما قالوا جاء البريد والطيلالسة وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن وابن أبي إسحاق وعيسى وسلام ويعقوب وأبو عمرو فيما روي عنه وشركاؤكم بالرفع عطفاً على الضمير في ^ أجمعوا ^ وعطف على الضمير قبل تأكيده لأن الكاف والميم في ^ أمركم ^ ناب مناب أنتم المؤكد للضمير ولطول الكلام أيضاً وهذه العبارة أحسن من أن يطول الكلام بغير ضمير ويصح أن يرتفع بالإبتداء والخبر مقدر تقديره وشركاؤهم فليجمعوا وقرأت فرقة وشركائكم بالخفض على العطف على الضمير في قوله ^ أمركم ^ التقدير وأمر شركائكم فهو كقول الشاعر العجاج # (أكل امرئ تحسبين امراً % ونار توقد بالليل ناراً) # أي وكل نار والمراد بالشركاء في هذه الآية الأنداد من دون الله فأصافهم إليهم إذ يجعلونهم شركاء بزعمهم وقوله ^ ثم لا يكن أمركم عليكم غممة ^ أي ملتبساً مشكلاً ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الهلال فإن غم عليكم ومنه قول الرازي # (ولو شهدت الناس إذا تكلموا % بغمة لو لم تفرح غموا) # وقوله ^ ثم اقضوا إلي ^ ومعناه أنفذوا قضاءكم نحوي وقرأ السدي بن ينعم ثم أفصوا بالفاء وقطع الألف ومعناه أسرعوا وهو مأخوذ من الأرض الفصاء أي اسلكوا إلي بكيدكم وأخرجوا معي وبني إلى سعة وجلية وقوله ^ ولا تنتظرون ^ أي لا تؤخرون والنظرة التأخير . # قول عز وجل \$ بونس 72 - 73 \$ # المعنى فإن لم تقبلوا على دعوتي وكفرتم بها وتوليتم عنها والتولي أصله في البدن ويستعمل في

@ 133 @ الإعراض عن المعاني يقول فإنا لم أسألكم أجراً على ذلك ولا مالا فيقع منكم قطع بي وتقصير بإرادتي وإنما أجري على الذي بعثني وقرأ نافع وأبو عمرو بخلاف عنه أجري بسكون الياء وقرأ أجري بفتح الياء الأعرج وطلحة بن مصرف وعيسى وأبو عمرو وقال أبو حاتم هما لغتان والقراءة بالإسكان في كل القرآن ثم أخبرهم بأن الله أمره بالإسلام والدين الحنيفي الذي هو توحيد الله والعمل بطاعته والإعداد للقائه وقوله ^ فكذبوه ^ الآية إخبار من الله عز وجل عن حال قوم نوح المكذبين له وفي ضمن ذلك الإخبار توعد للكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وضرب المثال لهم أي أنتم بحال هؤلاء من التكذيب فسيكونون بحالهم من النعمة والتعذيب و ^ الفلك ^ السفينة والمفسرون وأهل الآثار مجمعون على أن سفينة نوح كانت واحدة و ^ الفلك ^ لفظ الواحد منه ولفظ الجمع مستو وليس به وقد مضى شرح هذا في الأعراف و ^ خلائف ^ جمع خليفة وقوله ^ فانظر ^ مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم يشاركه في معناها جميع الخلق وفي هذه الآية أنه أغرق جميع من كذب بآيات الله التي جاء بها نوح وهي مقتضية أيضاً أنه أنذرهم فكانوا منذرين فلو كانوا جميع أهل الأرض كما قال بعض الناس لاستوى نوح ومحمد صلى الله عليه وسلم في البعث إلى أهل الأرض ويرد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي الحديث . # ويترجع بهذا النظر أن بعثة نوح والغرق إنما كان في أهل صقع لا في أهل جميع الأرض . # قوله عز وجل \$ بونس 74 - 75 \$ # الضمير في قوله ^ من بعده ^ عائد على نوح عليه السلام والضمير في ^ قومهم ^ عائد على الرسل ومعنى هذه الآيات كلها ضرب المثل لحازري محمد صلى الله عليه وسلم أي كما حل بهؤلاء يحل بكم و ^ العبيات ^ المعجزات والبراهين الواضحة والضمير في قوله ^ كانوا ^ وفي ^ ليؤمنوا ^ عائد على قوم الرسل والضمير في ^ كانوا ^ عائد على قوم نوح وهذا قول بعض المتأولين وقال بعضهم بل تعود الثلاثة على قوم الرسل على معنى أنهم بادروا رسلهم بالتكذيب كلما جاء رسول ثم لجوا في الكفر وتمادوا فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم وقال يحيى بن سلام ^ من قبل ^ معناه من قبل العذاب . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا القول بعد ويحتمل اللفظ عندي معنى آخر وهو أن تكون ما مصدرية والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل أي من سببه ومن جراه ويؤيد هذا التأويل قوله ^ كذلك نطيع ^ وقال بعض العلماء عقوبة التكذيب الطبع على القلوب وقرأ جمهور الناس بطبع بالنون وقرأ العباس بن الفضل بطبع بالياء وقوله ^ كذلك ^ أي هذا فعلنا بهؤلاء ثم ابتداء ^ كذلك نطيع ^ أي كفعلنا هذا و ^ المعتدين ^ هم الذين تجاوزوا طورهم

@ 134 @ واجتروا ما لا يجوز لهم وهي ها هنا في الكفر والضمير في ^ بعدهم ^ عائد على الرسل والضمير في ^ ملته ^ عائد على فرعون ^ والملا الجماعة من قبيلة وأهل مدينة ثم يقال للأشراف والأعيان من القبيلة أو البلد ملا أي هم يقومون مقام الملائم وعلى هذا الحد هي في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريش بدر أولئك الملا وكذلك هي في قوله تعالى ^ إن الملا يأترون بك ^ وأما في هذه الآية فهي عامة لأن بعثة موسى وهارون كانت إلى فرعون وجميع قومه من شريف ومشرف وقد مضى في ^ المص ^ ذكر ما بعث إليهم فيه والآيات البراهين والمعجزات وما في معناها وقوله ^ فاستكبروا ^ أي تعظموا وكفروا بها و ^ مجرمين ^ معناه يرتكبون ما لم يبح الله ويجسرون من ذلك على الخطر الصعب . # قوله عز وجل \$ 76 - 78 \$ # يريد ب ^ الحق ^ آيتي العصا واليد ويدل على ذلك قولهم عندهما هذا سحر ولم يقولوا ذلك إلا عندهما ولا تعاطوا إلا مقاومة العصا فهي معجزة موسى عليه السلام التي وقع فيها عجز المعارض وقرأ جمهور الناس لسحر ميين وقرأ سعيد بن جبير والأعمش لساحر ميين ثم حكى عن موسى أنه وقفهم وبخهم بقوله ^ أتقولون للحق لما جاءكم ^ ثم اختلف المتأولون في قوله ^ أسحر هذا ^ فقالت فرقة هو حكاية من موسى عنهم على معنى أن قولهم كان ^ أسحر هذا ^ ثم اختلف في معنى قول قوم فرعون ^ أسحر هذا ^ فقال بعضهم قالها منهم كل مستفهم جاهل بالأمر فهو يسأل عنه . # قال القاضي أبو محمد وهذا التأويل يضعفه ما ذكره الله قبل عنهم من أنهم صمموا على أنه سحر بقولهم ^ إن هذا لسحر ميين ^ وقال بعضهم بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذي رآه بزعمهم كما تقول لفرس تراه يجيد الجري أفرس هذا على معنى التعجب منه والإستغراب وأنت قد علمت أنه فرس وقالت فرقة غير هاتين ليس ذلك حكاية من موسى عنهم بل القول الذي حكاها عنهم مقدر تقديره أتقولون للحق لما جاءكم سحر . # قال القاضي أبو محمد أو نحو هذا من التقدير ثم ابتدا يوقفهم بقوله ^ أسحر هذا ^ على جهة التوبيخ ثم أخبرهم عن الله تعالى أن الساحرين لا يفلجون ولا يظفرون ببغية ومثل هذا التقدير المحذوف على هذا التأويل موجود في كلام العرب ومنه قول ذي الرمة # (فلما لبس الليل أو حين نصبت % له من خذا أذناها وهو جانح) # يريد أو حين قارب ذلك ومنه قول الله تعالى ^ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ^

@ 135 @ المعنى بعثناهم ليسوءوا ومثل هذا كثير شائع وقوله تعالى ^ قالوا أجتنا ^ الآية المعنى قال قوم فرعون لموسى أجتنا لتصرفنا وتلوينا وتردنا عن دين آباءنا يقال لفت الرجل عن الآخر إذا لواه ومنه قولهم التفت فإنه افتعل من لفت عنقه ومنه قول رؤبة # (لفتنا وتهزيعا سواء اللفت %) + الرجز + # وقرأ السبعة سوى أبي عمرو فإنه اختلف عنه وتكون بالتاء من فوق وهي قراءة جمهور الناس وقرأ الحسن بن أبي الحسن فيما زعم خارجة وإسماعيل ويكون بالياء من تحت ورويت عن أبي عمرو وعن عاصم وهي قراءة ابن مسعود و ^ الكبرياء ^ مصدر مبالغ من الكبر والمراد به في هذا الموضع الملك وكذلك قال فيه مجاهد والضحاك وأكثر المتأولين لأنه أعظم تكبر الدنيا ومنه قول الشاعر ابن الرقاع # (مؤددا غير فاحش لا تدانيه % تجارة ولا كبرياء) + الخفيف + # وقوله ^ بمؤمنين ^ بمصدقين . # قوله عز وجل \$ 79 - 82 \$ يخبر أن فرعون قال لخدمته ومتصرفيه ^ أنتوني بكل ساحر ^ هذه قراءة جمهور الناس وقرأ طلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب وعيسى بكل ساحر على المبالغة قال أبو حاتم لسنا نقرأ سحر إلا في سورة الشعراء فروي أنهم أتوه بسحرة الفرما وغيرها من بلاد مصر حسبا قد ذكر قبل في غير هذه الآية فلما ورد السحرة باستعدادهم للمعارضة خيروا موسى كما ذكر في غير هذه الآية فقال لهم عن أمر الله ^ ألقوا ما أنتم ملقون ^ وقوله تعالى ^ فلما ألقوا ^ الآية المعنى فلما ألقوا حبالهم وعصيهم وخيلوا بها وظنوا أنهم قد ظهروا قال لهم موسى هذه المقالة وقرأ السبعة سوى أبي عمرو ^ السحر ^ وهي قراءة جمهور الناس وقرأ أبو عمرو ومجاهد وأصحابه وابن الفقعان ^ به السحر ^ بالف الاستفهام ممدودة قبل ^ السحر ^ . # فأما من قرأ ^ السحر ^ بغير ألف استفهام قبله ف ^ ما ^ في موضع رفع على الإبتداء وهي بمعنى الذي وصلتها قوله ^ جئتم به ^ والعائد الضمير في ^ به ^ وخبرها ^ السحر ^ ويؤيد هذه القراءة والتأويل أن في مصحف ابن مسعود ما جئتم به سحر وكذلك قرأها الأعمش وهي قراءة أبي بن كعب ما أتيتم به سحر والتعريف هنا في السحر أرتب لأنه قد تقدم منكرا في قولهم ^ إن هذا لسحر ^ فجاء هنا بلام العهد كما يقال في أول الرسالة سلام عليكم وفي آخرها والسلام عليكم ويجوز أن تكون ^ ما ^

@ 136 @ استفهاما في موضع رفع بالإبتداء و ^ جئتم به ^ الخبر و ^ السحر ^ خبر ابتداء مضمرة تقديره هو السحر إن الله سيبطله ووجه استفهامه هذا هو التقرير والتوبيخ ويجوز أن تكون ^ ما ^ في موضع نصب على معنى أي شيء جئتم و ^ السحر ^ مرفوع على خبر الإبتداء تقدير الكلام أي شيء جئتم به هو السحر ^ إن الله سيبطله ^ وأما من قرأ الإستفهام والمد قبل ^ السحر ^ ف ^ ما ^ استفهام رفع بالإبتداء و ^ جئتم به ^ الخبر وهذا على جهة التقرير وقوله ^ السحر ^ استفهام أيضا كذلك وهو بدل من الإستفهام الأول ويجوز أن تكون ^ ما ^ في موضع نصب بمضمرة تفسيره ^ جئتم به ^ تقديره أي شيء جئتم به السحر وقوله ^ إن الله سيبطله ^ إيجاب عن عدة من الله تعالى وقوله ^ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ^ يصح أن يكون من كلام موسى عليه السلام ويصح أن يكون ابتداء خبر من الله تعالى وقوله ^ ويحق الله الحق ^ الآية يحتمل أن يكون من كلام موسى عليه السلام ويحتمل أن يكون من إخبار الله عز وجل وكون ذلك كله من كلام موسى أقرب وهو الذي ذكر الطبري وأما قوله ^ بكلماته ^ فمعناه بكلماته السابقة الأزلية في الوعد بذلك قال ابن سلام ^ بكلماته ^ بقوله لا تخف ومعنى ^ ولو كره المجرمون ^ وإن كره المجرمون والمجرم المحترم الراكب للخطر . # قوله عز وجل \$ 83 - 86 \$ # المعنى فما صدق موسى لطفة ^ آمن ^ تتعدى بالياء وتتعدى باللام وفي ضمن المعنى الباء واختلف المتأولون في عود الضمير الذي في ^ قومه ^ فقالت فرقة هو عائد على موسى وقالت فرقة هو عائد على فرعون ^ فمن قال إن العود على موسى قال معنى الآية وصف حال موسى في أول بيعته أنه لم يؤمن به إلا فتيان وشباب أكثرهم أولو آباء كانوا تحت خوف من فرعون وملا بني إسرائيل فالضمير في الملا عائد على الذرية وتكون الفاء على هذا التأويل عاطفة جملة على جملة لا مرتبة وقال بعض القائلين يعود الضمير على موسى إن معنى الآية أن قوما أدركهم موسى ولم يؤمنوا به وإنما آمن الذرية وأيضا فما روي من أخبار بني إسرائيل لا يعطي هذا وهيئة قوله ^ فما آمن ^ يعطي تقليل المؤمنين به لأنه نفى الإيمان ثم أوجب البعض ولو كان الأكثر مؤمنا لأوجب الإيمان أولا ثم نفاه عن الأقل وعلى هذا الوجه يترجح قول ابن عباس في الذرية إنه القليل لا أنه أراد أن لطفة الذرية هي بمعنى القليل كما ظن مكي وغيره وقالت فرقة إنما سماهم ذرية لأن أمهاتهم كانت من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط فكان يقال لهم الذرية كما قيل لفرس اليمن الأبناء وهم الفرس المنتقلون مع وهرز

@ 137 @ بسعاية سيف بن ذي يزن والأمر بكما له في السير وقال السدي كانوا سبعين أهل بيت من قوم فرعون . # قال القاضي أبو محمد ومما يضعف عود الضمير على موسى أن المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوما قد تقدمت فيهم النبوات وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذل مفرط وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبيا فلما جاءهم موسى عليه السلام أصفقوا عليه وأتبعوه ولم يحفظ قاط ان طائفة من بني إسرائيل كفرت به فكيف تعطي هذه الآية ان الأقل منهم كان الذي آمن فالذي يترجح بحسب هذا أن الضمير عائد على فرعون ويؤيد ذلك أيضا ما تقدم من محاوراة موسى وردة عليهم وتوبيخهم على قولهم هذا سحر فذكر الله ذلك عنهم ثم قال ^ فما آمن لموسى إلا ذرية ^ من قوم فرعون الذين هذه أقوالهم وروي في ذلك أنه أمنت زوجة فرعون وجزانته وامرأة خازنه وشباب من قومه قاله ابن عباس والسحرة أيضا فإنهم معدودون في قوم فرعون وتكون القصة على هذا التأويل بعد ظهور الآية والتعجيز بالعصا وتكون الفاء مرتبة للمعاني التي عطفت ويعود الضمير في ^ ملئهم ^ على الذرية ولاعتقاد الفراء وغيره عود الضمير على موسى تخبطوا في عود الضمير في ^ ملئهم ^ فقال بعضهم ذكر فرعون وهو الملك يتضمن الجماعة والجنود كما تقول جاء الخليفة وسافر الملك وأنت تريد جيوشه معه وقال الفراء المعنى على خوف من آل فرعون وملئهم وهو من باب ^ واسأل القرية ^ . # قال القاضي أبو محمد وهذا التنظير غير جيد لأن إسقاط المضاف في قوله ^ واسأل القرية ^ هو سائغ بسبب ما يعقل من أن أسأل القرية لا تسأل ففي الظاهر دليل على ما أضمر وأما ها هنا فالخوف من فرعون متمكن لا يحتاج معه إلى إضمار إما أنه ربما احتج أن الضمير المجموع في ^ ملئهم ^ يقتضي ذلك والخوف إنما يكون من الأفعال والأحداث التي للجنة ولكن لكثرة استعماله ولقصد الإيجاز أضيف إلى الأشخاص وقوله ^ أن يقتنهم ^ بدل من فرعون ^ وهو بدل الاشتمال ف ^ أن ^ في

موضع خفض ويصح أن تكون في موضع نصب على المفعول من أجله وقرأ الحسن والجراح ونيح أن يفتنهم بضم الباء ثم أخبر عن فرعون بالعلو في الأرض والإسراف في الأفعال والقتل والدعاوى ليتبين عذر الخائفين وقوله تعالى ^ وقال موسى إلى الكافرين ^ ابتداء حكاية قول موسى لجماعة بني إسرائيل المؤمنين منهم مؤنسا لهم وناديا إلى التوكل على الله الذي بيده النصر ومسألة التوكل متشعبة للناس فيها خوصات والذي أقول إن التوكل الذي أمرنا له هو مقترن بتسبب جميل على مقتضى الشرع وهو الذي في قوله صلى الله عليه وسلم قيدها وتوكل فقد جعله متوكلا مع التقيد والنيب صلى الله عليه وسلم رأس المتوكلين وقد تسبب عمره كله وكذلك السلف كله فإن شذ متوكل فترك التسبب جملة فهي رتبة رفيعة ما لم يسرف بها إلى حد قتل نفسه وإهلاكها كمن يدخل غارا خفيا يتوكل فيه فهذا ونحوه مكروه عند جماعة من العلماء وما روي من إقدام عامر بن قيس على الأسد ونحو ذلك كله ضعيف وللصحيح منه قرائن تسهله وللمسلمين أجمعين قال الله تعالى ^ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ^ ولهم قال ^ وعلى ربهم يتوكلون ^ ليس فيه أنهم يتركون التسبب جملة واحدة ولا حفظ عن عكاشة أنه ترك التسبب بل كان يغزو ويأخذ سهمه وأعني بذلك ترك التسبب في الغذاء وأما ترك التسبب في الطب فسهل وكثير من الناس جبل عليه دون نية وحسبة فكيف

@ 138 @ بمن يحتسب وقال لهم ^ إن كنتم آمنتم ^ مع علمه بإيمانهم على جهة إقامة الحجة وتنبية الأئمة وإثارة الأئمة كما تقول إن كنت رجلا فقاتل تخاطب بذلك رجلا تريد إقامة نفسه وقوله ^ إن كنتم مسلمين ^ يريد أهل طاعة منضافة إلى الإيمان المشروط فذكر الإسلام فيه زيادة معنى ثم ذكر أنه أجاب بنو إسرائيل بنية التوكل على الله والنطق بذلك ثم دعوا في أن لا يجعلهم فتنة للظلمة والمعنى لا تنزل بنا بلاء بأيديهم أو بغير ذلك مدة مجاورتنا لهم فيفتنون ويعتقدون أن إهلاكنا إنما هو بقصد منك لسوء ديننا وصلاح دينهم وأنهم أهل الحق قاله مجاهد وغيره . # قال القاضي أبو محمد فهذا الدعاء على هذا التأويل يتضمن دفع فصلين أحدهما القتل والبلاء الذي توقعه المؤمنون والآخر ظهور الشرك باعتقاد أهله أنهم أهل الحق وفي ذلك فساد الأرض ونحوها المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس الميت أبو أمة اليهود والمشركين يقولون لو كان نبيا لم يمتهن صاحبه ويحتمل اللفظ من التأويل وقد قالت فرقة إن المعنى لا تفتنهم وبتلهم بقتلنا فتعذبهم على ذلك في الآخرة وفي هذا التأويل فلق وياقي الآية بين . # قول عز وجل \$ يونس 87 - 89 \$ روي أن فرعون اخاف بني إسرائيل وهم لهم مواضع كانوا اتخذوها للصلاة ونحوها فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتخذا وتخيرا لبني إسرائيل بيوتا بمصر قال مجاهد ^ مصر ^ في هذه الآية الإسكندرية ومصر ما بين البحر إلى أسوان والإسكندرية من أرض مصر و ^ نبوا ^ معناها كما قلنا تخيرا واتخذا وهي لفظة مستعملة في الأماكن وما يشبه بها ومن ذلك قول الشاعر # (لها أمرها حتى إذا ما بتوات % لأنحاما مرعى تبوا مضجعا) + الطويل + # وهذا البيت للراعي وبه سمى المراعي ومنه قول امرئ القيس # (يتبأون مقاعدا لقتالكم % كليوث غاب ليلهن زئير) + الكامل + # وقرأ الناس تبوعا بهمزة على تقدير تبوا وقرأ حفص في رواية هبيرة تبويا وهذا تسهيل ليس بقياسي ولو جرى على القياس لكان بين الهمزة والألف قوله ^ قبله ^ ومعناه مساجد قاله ابن عباس والربيع والضحاك والنخعي وغيرهم قالوا خافوا فأمروا بالصلاة في بيوتهم وقيل يقابل بعضها بعضا قاله سعيد بن جبير والأول أصوب وقيل معناه متوجهة إلى القبلة قاله ابن عباس ومن هذا حديث عن النبي

@ 139 @ صلى الله عليه وسلم أنه قال خير بيوتكم ما استقبل به القبلة وقوله ^ وأقيموا الصلاة ^ خطاب لبني إسرائيل هذا قبل نزول التوراة لأنها لم تنزل إلا بعد إجازة البحر وقوله ^ وبشر المؤمنين ^ أمر لموسى عليه السلام وقال مكي والطبري هو أمر لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير متمكن وقوله تعالى ^ وقال موسى ^ الآية غضب من موسى على القبط ودعاء عليهم فقدم للدعاء تقرير نعم الله عليهم وكفرهم بها و ^ أنبت ^ معناها أعطيت وملكت وتكرر قوله ^ ربنا ^ استغاثه كما يقول الداعي بالله وقوله ^ ليضلوا ^ يحتمل أن يكون لام كي على بابها على معنى آتيتهم الأموال إملاء لهم واستدراجا فكان الإيتاء كي يضلوا ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كما قال ^ فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ^ والمعنى آتيتهم ذلك فصار أمرهم إلى كذا وروي عن الحسن أنه قال هو دعاء ويحتمل أن يكون المعنى على جهة الاستفهام أي ربنا ليضلوا فعلت ذلك وفي هذا تقرير الشئعة عليهم . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والحسن والأعرج وشيبة وأبو جعفر ومجاهد وأبو رجاء وأهل مكة ليضلوا بفتح الباء على معنى ليضلوا في أنفسهم وقرأ عاصم وحزمة والكسائي والأعمش وقتادة وعيسى والحسن والأعرج بخلاف عنه ليضلا بضم الباء على معنى ليضلوا غيرهم وقرأ الشعبي ليضلوا بكسر الباء وقرأ الشعبي أيضا وغيره اطمس بضم الميم وقرأت فرقة اطمس بكسر الميم وهما لغتان وطمس يطمس ويطمس قال أبو حاتم وقرأه الناس بكسر الميم والضم لغة مشهورة معناها عف وغيره وهو من طموس الأثر والعين وطمس الوجوه ومنه قول كعب بن زهير # (من كل نضاعة الذفرى إذا عرفت % عرضتها طامس الأعلام مجهول) + البسيط + # وروي أنهم حين دعا موسى بهذه الدعوة رجع سكرهم حجارة وزادهم ودنايهم وجوبهم من الأطمسة رجعت حجارة قاله محمد بن كعب القرظي وقتادة وابن زيد وقال مجاهد وغيره معناها أهلكها ودمرها وروي أن الطمسة من آيات موسى التسع وقوله ^ أشدد على قلوبهم ^ بمعنى اطبع واختم عليهم بالكفر قاله مجاهد والضحاك ولما أشار عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أسرى بدر شبهه بموسى في دعائه على قومه الذين بعث إليهم في هذه الآية وبنوح في قوله ^ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ^ وقوله ^ فلا يؤمنوا ^ مذهب الأخفش وغيره أن الفعل منصوب عطفا على قوله ^ ليضلوا ^ وقيل هو منصوب في جواب الأمر وقال الفراء والكسائي هو مجزوم على الدعاء ومنه قول الشاعر الأعشى # (فلا ينسبط من بين عينيك ما انزوى % ولا تلقني إلا وأنفك راغم) + الطويل + # وجعل رؤية العذاب نهاية وغاية وذلك لعلمه من قبل الله أن المؤمن عند رؤية العذاب لا ينفعه إيمانه في ذلك الوقت ولا يخرج من كفره ثم أجاب الله هذه الدعوة في فرعون نفسه قال ابن عباس ^ العذاب ^ هنا الغرق وقرأ الناس ^ دعوتكما ^ وقرأ السدي والضحاك دعوتكما وروي عن ابن جريج ومحمد بن علي والضحاك أن الدعوة لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنة وحينئذ كان الغرق . # قال القاضي أبو محمد وأعلما أن دعاءهما صادق مقدورا وهذا معنى إجابة الدعاء وقيل لهما

@ 140 @ # لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ^ أي في أن تستعجلا قضائي فإن وعدي لا خلف له وقوله ^ دعوتكما ^ ولم يتقدم الدعاء إلا لموسى وروي أن هارون كان يؤمن على دعاء موسى قاله محمد بن كعب القرظي نسب الدعوة إليهما وقيل كنى عن الواحد بلفظ التثنية كما قال قفا نبكي ونحو هذا . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف لأن الآية تتضمن بعد مخاطبتهم من غير شيء قال علي بن سليمان قول موسى ^ ربنا ^ دال على أنهما دعوا معا وقوله ^ فاستقيما ^ أي على ما أمرتما به من الدعاء إلى الله وأمرنا بالإستقامة وهما عليها للإدامة والتمادي وقرأ نافع والناس تتبعان بشد التاء والنون على النهي وقرأ ابن عامر وابن ذكوان تتبعان بتخفيف التاء وشد النون وقرأ ابن ذكوان أيضا تتبعان بشد التاء وتخفيف النون وكسرهما وقرأت فرقة تتبعان بتخفيفها وسكون النون رواه الأخفش الدمشقي عن أصحابه عن ابن عامر فأما شد النون فهي النون الثقيلة حذف معها نون التثنية للجزم كما تحذف معها الضمة في لتفعلن بعد ألف التثنية وأما تخفيفها فيصح أن تكون الثقيلة خففت أو تكون نون التثنية ويكون الكلام خيرا معناه الأمر أي لا ينبغي أن تتبعا قال أبو علي إن شئت جعلته حالا من استقيما كأنه قال غير متبعين . # قال القاضي أبو محمد والعطف يمانع في هذا فتأمل . # قوله عز وجل \$ يونس 90 - 92 \$ # قرأ الحسن بن أبي الحسن وجوزنا بشد الواو وطرح الألف ويشبه عندي أن يكون جاوزنا كتب في بعض المصاحف بغير ألف وتقدم القول في صورة جوازهم في البقرة والأعراف وقرأ جمهور الناس فاتبعهم لأنه يقال تبع وأتبع بمعنى واحد وقرأ قتادة والحسن فاتبعهم بشد التاء قال أبو حاتم القرعة أتبع بقطع الألف لأنها تتضمن الإدراك وأتبع بشد التاء هي طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك وروي أن بني إسرائيل الذين جاوزوا البحر كانوا ستمائة ألف وكان يعقوب قد استقر أولا بمصر في نيف على السبعين ألفا من ذريته فتناسلوا حتى بلغوا وقت موسى العدد المذكور وروي أن فرعون كان في ثمانمائة ألف أدهم حاشى ما يناسبها من ألوان الخيل وروي أقل من هذه الأعداد . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله ضعيف والذي تقتضيه ألفاظ القرآن أن بني إسرائيل كان لهم جمع كثير في نفسه قليل بالإضافة إلى قوم فرعون المتبعين وقرأ نافع

وابن كثير وأبو عمرو والكوفيون وجماعة ^ عدوا ^ على مثال غزا وقرأ الحسن وقيادة غزوا على مثال علا علوا وقوله ^ أدركه

@ 141 @ العرق أي في البحر وروي في ذلك ان فرعون لما انتهى إلى البحر فوجده قد انفرق ومشى فيه بنو إسرائيل قال لقومه إنما انفلق بأمرى وكان على فرس ذكر فبعث الله جبريل على فرس أتى وديق فدخل بها البحر ولج فرس فرعون ورآه وحث الجيوش خلفه فلما رأى الانفراق يثب له استمر وبعث الله ميكائيل يسوق الناس حتى حصل جميعهم في البحر فانطبق عليهم حينئذ فلما عاين فرعون قال ما حكى عنه في هذه الآية وقرأ جمهور الناس أنه بفتح الألف ويحتمل أن تكون في موضع نصب ويحتمل أن تكون في موضع خفض على إسقاط الباء وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو إنه بكسر الألف إما على إضمار الفعل أي أمنت فقلت إنه وإما على أن يتم الكلام في قوله ^ أمنت ^ ثم يتدأ بإيجاب إنه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام قال ما أبغضت أحدا قط بغضي لفرعون ولقد سمعته يقول ^ أمنت الآية ^ فأخذت من حال البحر فملأت فمه مخافة أن تلحقه رحمة الله وفي بعض الطرق مخافة أن يقول لا إله إلا الله فتحلقه الرحمة . # قال القاضي أبو محمد فانظر إلى كلام فرعون فيه مجهلة وتلعثم ولا عذر لأحد في جهل هذا وإنما العذر فيما لا سبيل إلي علمه كقول علي رضي الله عنه أهلتك بإهلال كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم والحال الطين كذا في الغريب المصنف وغيره والأثر بهذا كثير مختلف اللفظ والمعنى واحد وفعل جبريل عليه السلام هذا يشبه أن يكون لأنه اعتقد تجويز المغفرة للتائب وإن عاين ولم يكن عنده قبل إعلام من الله تعالى أن التوبة بعد المعايبة غير نافعة وقوله تعالى ^ الآن وقد عصيت ^ الآية قال أبو علي اعلم أن لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أولها الهمزة فخفضت الهمزة فإن في تخفيفها وجهين أحدهما أن تحذف وتلقى حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيه فيقال الحمر وقد حكى ذلك سيويه وحكى أبو عثمان عن أبي الحسن أن ناسا يقولون لحمر فيحذفون الهمزة التي للوصل فمن ذلك قول الشاعر # (وقد كنت تخفي حب سمراء حقية % فيج لان منها بالذي أنت بائج) + الطويل + # قرأ نافع في رواية ورش لم يختلف عنه الآن بمد الهمزة وفتح اللام وقرأ الباقون بمد الهمزة وسكون اللام وهمز الثانية وقرأت فرقة الآن بقصر الهمزة وفتح اللام وتخفيف الثانية وقرأ جمهور الناس الآن بقصر الأولى وسكون اللام وهمز الثانية . # قال القاضي أبو محمد وقرأت التخفيف في الهمزة تترتب على ما قال أبو علي فتامله فإن الأولى على لغة من يقول الحمر وهذا على جهة التويخ له والإعلان بالنقمة منه وهذا اللفظ يحتمل أن يكون مسموعا لفرعون من قول ملك موصل عن الله وكيف شاء الله ويحتمل أن يكون معنى هذا الكلام معنى حاله وصورة خزيه وهذه الآية نص في رد توبة المعايين وقوله تعالى ^ فالיום ننحيك ^ الآية يقوي ما ذكرناه من أنها صورة الحال لأن هذه الألفاظ إنما يظهر أنها قيلت بعد فرقة وسبب هذه المقالة على ما روي أن بني إسرائيل بعد عندهم غرق فرعون وهلاكه لعظمه عندهم وكذب بعضهم أن يكون فرعون يموت فنحي على نجوة من الأرض حتى رآه جميعهم ميتا كأنه ثور أحمر وتحققوا غرقه وقرأت فرقة فالיום

@ 142 @ ننحيك وقالت فرقة معناه من النجاة أي من غمرات البحر والماء وقال جماعة معناه نلقيك على نجوة من الأرض وهي ما ارتفع منها ومنه قول أوس بن حجر # (فمن بعقوته كمن بنجوته % والمستكن كمن يمشي بقرواح) + البسيط + # وقرأ يعقوب ننحيك بسكون النون وتخفيف الجيم وقرأ أبي بن كعب ننحيك بالحاء المشددة من التنحية وهي قراءة محمد بن السميع اليماني ويزيد البريدي وقالت فرقة معنى ^ بيدك ^ بدرك وقالت فرقة معناه بشخصك وقرأت فرقة بندائك أي بقولك ^ أمنت ^ الخ الآية ويشبه أن يكتب بندائك بغير ألف في بعض المصاحف ومعنى الآية أنا نجعلك آية مع ندائك الذي لا ينفق وقرأت فرقة هي الجمهور خلفك أي من من أتى بعدك وقرأت فرقة خلقك المعنى يجعلك الله آية له في عبادته ثم بين عز وجل العظة لعباده بقوله ^ وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لعافلون ^ وهذا خبر في ضمنه توعده . # قوله عز وجل \$ يونس 93 - 95 \$ المعنى لقد اخترنا لبني إسرائيل أحسن اختيار وخلصناهم من الأماكن أحسن محل و ^ مياؤ صدق ^ أي يصدق فيه ظن قاصده وساكنه وأهله ويعني بهذه الآية إحلالهم بلاد الشام وبيت المقدس قاله قتادة وابن زيد وقيل بلاد مصر والشام قاله الضحاك والأول أصح بحسب ما حفظ من أنهم لن يعودوا إلى مصر على ان القرآن كذلك ^ وأورثناها بني إسرائيل ^ يعني ما ترك القبط من جنات وعيون وغير ذلك وقد يحتمل أن يكون ^ أورثناها ^ معناه الحالة من النعمة وإن لم يكن في قطر واحد وقوله ^ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ^ يحتمل معنيين أحدهما فما اختلفوا في نبوة محمد وانتظاره حتى جاءهم وبان علمه وأمره اختلفوا حينئذ . # قال القاضي أبو محمد وهذا التخصيص هو الذي وقع في كتب المتأولين وهذا التأويل يحتاج إلى سند والتأويل الآخر الذي يحتمله اللفظ أن بني إسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى في أول حاله فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فرعون اختلفوا . # قال القاضي أبو محمد فمعنى الآية مذمة ذلك الصدر من بني إسرائيل ثم أوجب الله بعد ذلك أنه ^ يقضي بينهم ^ ويفصل بعقاب من يعاقب ورحمة من يرحم وقوله تعالى ^ فإن كنت في شك ^ الآية قال بعض المتأولين وروي ذلك عن الحسن أن ^ إن ^ نافية بمعنى ما والجمهور على أن ^ إن ^ شرطية والصواب في معنى الآية أنها مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها سواء من كل من يمكن أن يشك

@ 143 @ أو يعارض وقال قوم الكلام بمنزلة قولك إن كنت إبنى فبرني . # قال القاضي أبو محمد وليس هذا المثال بجيد وإنما مثال هذه قوله تعالى لعيسى أنت قلت للناس اتخذوني . # وروي أن رجلا سأل ابن عباس عما يحيك في الصدر من الشك فقال ما نجا من ذلك أحد ولا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنزل عليه ^ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ^ . # قال القاضي أبو محمد وذكر الزهراوي ان هذه المقالة أنكرت أن يقولها ابن عباس وبذلك أقول لأن الخواطر لا ينجو منها أحد وهي خلاف الشك الذي يحال فيه عليه الاستشفاء بالسؤال و ^ الذين يقرأون الكتب من قبلك ^ هم من أسلم من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية أنا لا أشك ولا أسأل . # وقرأ فسل دون همز الحسن وأبو جعفر وأهل المدينة وأبو عمرو وعيسى وعاصم وقرأ جمهور عظيم بالهمز ثم جزم الله الخبر بقوله ^ لقد جاءك الحق من ربك ^ واللام في ^ لقد ^ لام قسم و ^ الممترين ^ معناه الشاكين الذين يحتاجون في اعتقادهم إلى الممارسة فيها وقوله ^ مما أنزلنا إليك ^ يريد به من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في أمره إلا من بعد مجيئه وهذا قول أهل التأويل قاطبة . # قال القاضي أبو محمد وهذا هو الذي يشبه أن ترتجى إزالة الشك فيه من قبل أهل الكتاب ويحتمل اللفظ أن يريد بما أنزلنا جميع الشرع ولكنه بعيد بالمعنى لأن ذلك لا يعرف ويزول الشك فيه إلا بأدلة العقل لا بالسمع من مؤمني بني إسرائيل وقوله ^ ولا تكونن من الذين كذبوا ^ الآية مما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد # قال القاضي أبو محمد ولهذا فائد ليس في مخاطبة الناس به وذلك شدة التخوف لأنه إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من مثل هذا فغيره من الناس أولى أن يحذر ويتقي على نفسه . # قوله عز وجل \$ يونس 96 - 98 \$ # جاء في هذا تحذير مردود وإعلام بسوء حال هؤلاء المحتوم عليهم والمعنى أن الله أوجب لهم سخطه في الأزل وخلقهم لعذابه فلا يؤمنون ولو جاءهم كل بيان وكل وضوح إلا في الوقت الذي لا ينفعهم فيه إيمان كما صنع فرعون وأشباهه من الحق وذلك وقت المعايبة وفي ضمن الألفاظ التحذير من هذه الحال وبعث الكل على المبادرة إلى الإيمان والفرار من سخط الله وقرأ أبو عمرو وعاصم والحسن وأبو رجاء كلمة بالإفراد وقرأ نافع وأهل المدينة كلمات بالجمع وقد تقدم ذكر هذه الترجمة وقوله ^ فلولا كانت قرية أمنت ^ الآية في مصحف أبي وابن مسعود فهلا والمعنى فيهما واحد وأصل لولا

@ 144 @ في الكلام التخصيص أو الدلالة على منع أمر لوجود غيره فأما هذه فبعيدة عن هذه الآية لكنها من جملة التي هي للتخصيص بها أن يكون المحضض يريد من المخاطب فعل ذلك الشيء الذي يخصه عليه وقد تجيء لولا وليس من قصد المخاطب أن يحضض المخاطب على فعل ذلك الشيء فتكون حينئذ بمعنى تويخ كقول جرير # (لولا الكمي المقنعا %) + الطويل + # وذلك أنه لم يقصد حضضهم على عقر الكمي كقولك لرجل قد وقع في أمر صعب لولا تحزرت وهذه الآية من هذا القبيل . # قال القاضي أبو محمد ومفهوم من معنى الآية نفي إيمان أهل القرى ومعنى الآية فهلا آمن من أهل قرية وهم على مهل لم يلتبس العذاب بهم فيكون الإيمان نافعا في هذه الحالة ثم استثنى قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع وكذلك رسمه النحويون أجمع وهو بحسب المعنى متصل لأن تقديره ما آمن من أهل قرية إلا قوم يونس والنصب في قوله ^ إلا قوم ^ هو الوجه ولذلك أدخله سيويه في باب

ما لا يكون فيه إلا النصب وكذلك مع انقطاع الاستثناء ويشبه الآية قول النابغة # (إلا الأوراري %) # وذلك هو حكم لفظ الآية وقالت فرقة يجوز فيه الرفع وهذا اتصال الاستثناء وقال المهدوي والرفع على البديل من قرية ^ وروي في قصة قوم يونس أن القوم لما كفروا أوحى الله إليهم أن أندبرهم بالعذاب لثلاثة ففعل فقالوا هو رجل لا يكذب فارقبوه فإن قام بين أظهركم فلا عليكم وإن ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لا شك فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم فأصبحوا فلم يجدوه فتأبوا ودعوا الله وأمنوا ولبسوا المسوح وفرقوا بين الأمهات والأولاد من الناس والبهائم والعذاب منهم فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل وروي عن علي ميل وقال ابن جبير غشيهم العذاب كما يغشي الثوب القبر فرجع الله عنهم العذاب فلما مضت الثلاثة وعلم يونس أن العذاب لم ينزل قال كيف أنصرف وقد وجدوني في كذب فذهب مغاضبا كما ذكر الله في هذه الآية . # قال القاضي أبو محمد وذهب الطبري إلى أن قوم يونس خصوصا من بين الأمم بأن تيب عليهم من بعد معاناة العذاب ذكر ذلك عن جماعة من المفسرين وليس كذلك والمعاناة التي لا تنفع التوبة معها هي تلبس العذب أو الموت بشخص الإنسان كقصة فرعون وأما قوم يونس فلم يصلوا هذا الحد وقرأ الحسن وطلحة بن مصرف وعيسى بن عمر وابن وثاب والأعمش يونس بكسر النون وفيه للعرب ثلاث لغات ضم النون وفتحها وكسرها وكذلك في يوسف وقوله ^ إلى حين ^ يريد إلى آجالهم المفروضة في الأزل وروي أن قوم يونس كانوا بنيوي من أرض الموصل ويقتضي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم حين قال له إنه من أهل نينوى من قرية الرجل الصالح يونس بن متى الحديث الذي في السيرة لابن إسحاق . # قوله عز وجل \$ يونس 99 - 101 \$

@ 145 # المعنى أن هذا الذي تقدم إنما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيئته فيهم ولو شاء الله لكان الجميع مؤمنا فلا تأسف أنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك وادع ولا عليك فالأمر محتوم أفتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتضطربهم إلى ذلك والله عز وجل قد شاء غيره . # قال القاضي أبو محمد فهذا التأويل الآية عليه محكمة أي ادع وقائل من خالفك وإيمان من أم مصروف إلى المشيئة وقالت فرقة المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الإيمان وزعمت أن هذه الآية في صدر الإسلام وأنها منسوخة بآية السيف والآية على كلا التأويلين رادة على المعتزلة وقوله تعالى ^ كلهم جميعا ^ تأكيد وهو من فصيح الكلام و ^ جميعا ^ حال مؤكدة ونحوه قوله ^ لا تتخذوا إلهين اثنين ^ وقوله تعالى ^ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ^ الآية رد إلى الله تعالى وإلى أن الحول والقوة لله في إيمان من يؤمن ويكون الرجس على الكفار وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ونجعل الرجس بنون العظمة وقرأ الباقون وحفص عن عاصم ويجعل بالياء وقرأ الأعمش ويجعل الله الرجس و ^ الرجس ^ يكون بمعنى العذاب كالرجز ويكون بمعنى القدر والنجاسة ذكره أبو علي هنا وغيره وهو في هذه الآية بمعنى العذاب و ^ لا يعقلون ^ يريد آيات الله وحجج الشرع . # ومعنى الإذن في هذه الآية الإرادة والتقدير لذلك فهو العلم والتمكين وقوله تعالى ^ قال انظروا في السماوات والأرض ^ هذه الآية أمر للكفار بالإعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع وغير ذلك من آيات السماوات وأفلاكها وكواكبها وسحابها ونحو ذلك والأرض ونباتها ومعادنها وغير ذلك المعنى انظروا في ذلك بالجواذب فهو ينهاكم إلى المعرفة بالله والإيمان يوحدانته وقرأ أبو عبد الرحمن والعامه بالبصرة قال انظروا بكسر اللام وقرأ نافع وأهل المدينة قل انظروا بضم اللام ثم أعلم في آخر الآية أن النظر في الآيات والسماع من النذر وهم الأنبياء لا يعني إلا بمشيئة الله وأن ذلك غير نافع لقوم قد قضى الله أنهم لا يؤمنون وهذا على أن تكون ^ ما ^ نافية ويجوز أن يعد استفهاما على جهة التقرير الذي في ضمنه نفي وقوع الغناء وفي الآية على هذا توبيخ لحاضري رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين وقوله ^ الآيات والنذر ^ حصر طريقي تعريف الله تعالى عباده ويحتمل أن تكون ^ ما ^ في قوله ^ وما تغني ^ مفعولة بقوله ^ انظروا ^ معطوفة على قوله ^ ماذا ^ أي تأملوا قد غناء الآيات والنذر عن الكفار إذا قبلوا ذلك كفعل قوم يونس فإنه يرفع بالعذاب في الدنيا والآخرة وينجي من الهلكات فالآية على هذا تحريض على الإيمان . # قال القاضي أبو محمد وتجاوز اللفظ على هذا التأويل إنما هو في قوله ^ لا يؤمنون ^ # قوله عز وجل \$ يونس 102 - 104 \$

@ 146 # هذا وعيد وحض على الإيمان أي إذا لجوا في الكفر حل بهم العذاب وإذا آمنوا نجوا هذه سنة الله في الأمم الخالية فهل عند هؤلاء غير ذلك . # وهو استفهام بمعنى التوقيف وفي قوله ^ قل فانتظروا ^ مهادنة ما وهي من جملة ما نسخه القتال وقوله ^ نجى رسلنا ^ الآية لما كان العذاب لم تحصر مدته وكان النبي والمؤمنون بين أظهر الكفرة وقع التصريح بأن عادة الله سلفت بإنجاء رسله ومتبعيه فالتخويف على هذا أشد وكلهم قرأ نجى مشددة الجيم إلا الكسائي وحفصا عن عاصم فإنهما قرأ نجى بسكون النون وتخفيف الجيم وقرأ عاصم في سورة الأنبياء في بعض ما روي عنه نجى بضم النون وحذف الثانية وشد الجيم كان النون أدغمت فيها وهي قراءة لا وجه لها ذكر ذلك الزجاج . # وحكى أبو حاتم نحوها عن الأعمش وخط المصحف في هذه اللفظة نبح بجيم مطلقة دون ياء وكذلك قرأ الكسائي في سورة مريم ^ ثم نجى الذين انقوا ^ بسكون النون وتخفيف الجيم والباقيون بفتح النون وشد الجيم والكاف في قوله ^ كذلك ^ يصح أن تكون في موضع رفع ويصح أن تكون في موضع نصب نعنا لمصدر محذوف وقوله تعالى ^ قل يا أيها الناس ^ الآية مخاطبة عامة للناس أجمعين إلى يوم القيامة يدخل تحتها كل من اتصف بالشك في دين الإسلام وهذه الآية يتسق معناها بمحذوفات يدل عليها هذا الظاهر الوجيز والمعنى إن كنتم في شك من ديني فأنتم لا تعبدون الله فاقترضت فصاحة الكلام وإيجازه اختصار هذا كله ثم صرح بمعبوده وخص من أوصافه ^ الذي يتوفاكم ^ لما فيها من التذكير للموت وقرع النفوس به والمصير إلى الله بعده والفقء للأصنام التي كانوا يعتقدونها ضارة وناقصة . # قوله عز وجل \$ يونس 105 - 107 \$ # المعنى قيل لي كن من المؤمنين وأقم وجهك للدين ثم جاءت العبارة بهذا الترتيب والوجه في هذه الآية بمعنى المنحى والمقصود أي يجعل طريقك واعتمادك للدين والشرع و ^ حنيفا ^ معناه مستقيما على قول من قال الحنف الإستقامة وجعل تسمة المعوج القدم أحنف على جهة التفاؤل . # ومن قال الحنف الميل جعل ^ حنيفا ^ ها هنا مثلا عن حال الكفرة وطريقهم و ^ حنيفا ^ نصب على الحال

@ 147 # وقوله ^ ولا تدع ^ معناه قيل لي ^ ولا تدع ^ فهو عطف على ^ أقم ^ وهذا الأمر والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم إذا كانت هكذا فأحرى أن يتحرز من ذلك غيره وما لا ينفع ولا يضر هو الأصنام والأوثان والظالم الذي يضع الشيء في غير موضعه وقوله ^ وإن يمسسك الله بصر ^ الآية مقصد هذه الآية أن الحول والقوة لله وبين ذلك للناس بما يحسنونه من أنفسهم والضر لفظ جامع لكل ما يكرهه الإنسان كان ذلك في ماله أو في بدنه وهذه الآية مظهرة فساد حال الأصنام لكن كل مميز أدنى ميز يعرف يقينا أنها لا تكشف ضرا ولا تجلب نفعا . # وقوله ^ وإن يردك بخير ^ لفظ تام العموم وخصص النبي صلى الله عليه وسلم الفقه بالذكر في قوله من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وهو على جهة التشريف للفقه وقوله تعالى ^ وهو الغفور الرحيم ^ ترجية وبسط ووعود ما . # قوله عز وجل \$ يونس 108 - 109 \$ # هذه مخاطبة لجميع الكفار مستمرة مدى الدهر و ^ الحق ^ هو القرآن والشرع الذي جاء به محمد ^ فمن اهتدى ^ أي اتبع الحق وتدين به فإنما يسعى لنفسه لأنه يوجب لها رحمة الله ويدفع عذابه ^ ومن ضل ^ أي حاد عن طريق الحق ولم ينظر بعين الحقيقة وكفر بالله عز وجل فيضل ذلك وقوله ^ وما أنا عليكم بوكيل ^ أي لست بأخذكم ولا بد بالإيمان وإنما أنا مبلغ وهذه الآية منسوخة بالقتال وقوله ^ واتبع ما يوحى إليك ^ الآية معناه اتبع ما رسمه لك شرعك وما أعلمك الله من نصرته لك ^ واصبر ^ على شقاء الرسالة وما ينالك في الله من الأذى وقوله ^ حتى يحكم الله ^ وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بان يغلبهم كما وقع تفتضيه قوة اللفظ وهذا الصبر منسوخ بالقتال وهذه السورة مكية وقد تقدم ذكر هذا في أولها .

@ 148 \$ بسم الله الرحمن الرحيم \$ سورة هود \$ هذه سورة مكية إلا قوله تعالى ^ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك ^ وقوله ^ أولئك يؤمنون به ^ ونزلت في ابن سلام وأصحابه وقوله ^ إن الحسنات يذهبن السيئات ^ نزلت في شأن الثمار وهذه الثلاثة مدنية قاله مقاتل على أن الأولى تشبه المكي . # وإذا أردت بهود اسم السورة لم ينصرف كما تفعل إذا سميت امرأة بعمره وزيد وإذا أردت سورة هود صرفت . # قوله عز وجل \$ هود 1 - 4 \$ # تقدم استيعاب القول في الحروف المقطعة في أوائل السور وتخص هذه بأن قيل إن الرحمن فرقت حروفه فيها وفي ^ حم ^ وفي ^ ن والقلم ^ . # و ^ كتاب ^ مرتفع على خبر الإبتداء

فمن قال الحروف إشارة إلى حروف المعجم كانت الحروف المبتدأ ومن تأول الحروف غير ذلك كان المبتدأ هذا كتاب والمراد بالكتاب القرآن . # و ^ أحكمت ^ معناه أتقنت وأجيدت شبه تحكم الأمور المتقنة الكاملة وبهذه الصفة كان القرآن في الأزل ثم فصل بتقطيعه وتنويع أحكامه وأوامره على محمد صلى الله عليه وسلم في أزمئة مختلفة ف ^ ثم ^ على بابها وهذه طريقة الأحكام والتفصيل إذ الأحكام صفة ذاتية والتفصيل إنما هو بحسب من يفصل له والكتاب بأجمعه محكم مفصل والإحكام الذي هو ضد النسخ والتفصيل الذي هو خلاف الإجمال إنما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك . # وحكى الطبري عن بعض المتأولين أحكمت بالأمر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وعن بعضهم أحكمت من الباطل وفصلت بالحلال والحرام ونحو هذا من التخصيص الذي

@ 149 @ هو صحيح المعنى ولكن لا يقتضيه اللفظ وقال قوم ^ فصلت ^ معناه فسرت وقرأ عكرمة والضحاك والجحدري وابن كثير فيما روي عنه ثم فصلت بفتح الفاء والصاد واللام ويحتمل ذلك معنيين أحدهما فصلت أي نزلت إلى الناس كما تقول فصل فلان لسفره ونحو هذا المعنى . # والثاني فصلت بين المحق والمبطل من الناس . # و ^ من لدن ^ معناها من حيث ابتدئت الغاية كذا قال سيبويه وفيها لغات يقال لدن ولدن بسكون الدال وقرئ بهما . # ^ من لدن ^ ويقال لد بفتح اللام وضم الدال دون نون ويقال لدا بدل منونة مقصورة . # ويقال لد بدل مكسورة منونة حكى ذلك أبو عبيدة . # و ^ حكيم ^ أي محكم و ^ خبير ^ أي ذو خبرة بالأمور أجمع ^ أن لا تعبدوا ^ ^ أن ^ في وضع نصب إما على إضمار فعل وإما على تقدير بأن وإسقاط الخافض وقيل على البديل من موضع الآيات وهذا معترض ضعيف لأنه موضع للآيات وإن نظر موضع الجملة فهو رفع ويحتمل أن تكون في موضع رفع على تقدير تفصيله ألا تعبدوا وقيل على البديل من لفظ الآيات . # وقوله تعالى ^ إنني لكم منه نذير وبشير ^ أي من عقابه وبشابه وإذا أطلقت هاتان اللفظتان فالنذارة في المكروه والبشارة في المحبوب وقدم النذير لأن التحذير من النار هو الأهم و ^ إن ^ معطوفة على التي قبلها . # ومعنى الآية استغفروا ربكم أي اطلبوا مغفرته لكم وذلك يطلب دخولكم في الإسلام ثم توبوا من الكفر أي انسلخوا منه واندموا على سالفه . # و (ثم) مرتبة لأن الكافر أول ما ينبئ فإنه في طلب مغفرة ربه فإذا تاب وتجرد من الكفر تم إيمانه . # وقرأ الجمهور بمتعكم بشد التأء وقرأ ابن محيصن بمتعكم بسكون الميم وتخفيف التأء وفي كتاب أبي حاتم إن هذه القراءات بالنون وفي هذا نظر . # و ^ متاعاً ^ مصدر جار على غير الفعل المتقدم مثل قوله ^ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ^ وقيل نصب بتعدي ^ بمتعكم ^ لأنك تقول متعت زيدا ثوبا . # ووصف المتاع بالحسن إنما هو لطيب عيش المؤمن برجائه في الله عز وجل وفي ثوابه وفرحه بالتقرب إليه بمفترضاته والسرور بمواعيده والكافر ليس في شيء من هذا وأما من قال بأن المتاع الحسن هو فوائد الدنيا وزينتها فيضعف بين الكفرة يتشاركون في ذلك أعظم مشاركة والأجل المسمى هو أجل الموت معناه ^ إلى أجل مسمى ^ لكل واحد منكم وهذا ظاهر الآية واليوم الكبير على هذا هو يوم القيامة . # وتحتمل الآية أن يكون التوعد بتعجيل العذاب إن كفروا والوعد بتمتعهم إن آمنوا فتشبه ما قاله نوح عليه السلام واليوم الكبير على هذا يوم بدر ونحوه والمجهلة في أي الأمرين يكون إنما هي بحسب البشر والأمر عند الله تعالى معلوم محصل والأجل واحد . # وقوله تعالى ^ وبؤت كل ذي فضل فضله ^ أي كل ذي إحسان بقوله أو بفعله أو قوته أو بماله أو غير ذلك مما يمكن أن يتقرب به و ^ فضله ^ يحتمل أن يعود الضمير فيه على الله عز وجل أي يؤتي

@ 150 @ الله فضله كل ذي فضل وعمل صالح من المؤمنين وهذا المعنى ما وعد به تعالى وتضعيف الحسنة بعشر أمثالها ومن التضعيف غير المحصور لمن شاء وهذا التأويل تأوله ابن مسعود وقال ويل لمن غلبت آخاه عشراته . # ويحتمل أن يكون قوله ابن مسعود موافقاً للمعنى الأول . # وقرأ جمهور وإن تولوا بفتح التاء واللام فيضعفهم قال الغيبة أي فقل لهم إني أخاف عليكم وقال بعضهم معناه فإن تولوا فحذفت التاء والآية كلها على مخاطبة الحاضر وقرأ اليماني وعيسى بن عمر وإن تولوا بضم التاء واللام وإسكان الواو . # وقوله تعالى ^ فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ^ توعد بيوم القيامة ويحتمل أن يريد به يوماً من الدنيا كيدر وغيره . # وقوله تعالى ^ إلى الله مرجعكم ^ توعد وهو يؤيد أن اليوم الكبير يوم القيامة لأنه توعد به ثم ذكر الطريق إليه من الرجوع إلى الله والمعنى إلى عقاب الله وجزائه لكم رجوعكم وهو القادر الذي لا يضره شيء ولا يجير عليه مجبر ولا تنفع من قضائه وأقبة . # وقوله ^ على كل شيء ^ عموم والشيء في اللغة الموجود وما يتحقق أنه يوجد كزلزلة الساعة وغيرها التي هي أشياء . # قوله عز وجل \$ هود 5 - 6 \$ # قيل إن هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمستتر وردوا إليه ظهورهم وغشوا وجوههم بشياهم تباعدوا منه وكراهة للاقائه وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه وعلى الله عز وجل فنزلت الآية في ذلك . # و ^ صدورهم ^ منصوبة على هذا ب ^ يثنون ^ . # وقيل هي استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطوون عليه كما تقول فلان يطوي كشحة على عداوته وبشي صدره عليها . # فمعنى الآية ألا إنهم يسرون العداوة ويتكتمون بها لتخفى في ظنهم عن الله وهو تعالى حين تغشيهم بشياهم وإبلاغهم في التستر يعلم ما يسرون . # وقرأ سعيد بن جبير يثنون بضم الياء والنون من أثنى وقرأ ابن عباس ليشنوه وقرأ ابن عباس أيضاً ومجاهد وابن يعمر وابن بزري ونصر بن عاصم والجحدري وابن إسحاق وابن رزين وعلي بن الحسين وأبو جعفر محمد بن علي وبزید بن علي وجعفر بن محمد وأبو الأسود والضحاك . # تثنوني صدورهم برفع الصدور وهي تحتمل المعنيين المتقدمين في ^ يثنون ^ وزنها تفوعل على بناء مبالغة لتكرار الأمر كما .

@ 151 @ تقول اعشوشبت الأرض واحلوت الدنيا ونحو ذلك . # وحكى الطبري عن ابن عباس على هذه القراءة أن هذه الآية نزلت في أن قوما كانوا لا يأتون النساء والحدث إلا ويتغشون ثيابهم كراهية أن يفصوا بفروجهم إلى السماء . # وقرأ ابن عباس فيما روى ابن عيينة تثنوا بتقديم التاء على النون وبغير نون بعد الواو وقال أبو حاتم هذه القراءة غلط لا تتجه وقرأ نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق يثنوي بتقديم النون على التاء وقرأ عروة وابن أبي أزيى والأعشى تثنون بئاء مثلهة بعدها نون مفتوحة بعدها واو مكسورة وقرأ أيضاً هما ومجاهد فيما روي عنه تثنان بهمزة بدل الواو وهاتان مشتقة من الثن وهي العشب المثني بسهولة فثنيه صدورهم به إذ هي مجيبة إلى هذا الإنطواء على المكر والخدع وأصل تثنون تثنون سكتت النون المكسورة ونقلت حركتها إلى الواو التي قبلها وأدغمت في النون التي بعدها وأما تثنان فأصلها تثنان مثل تحمار ثم قالوا اثنتان كما قالوا احمار واياض والضمير في ^ منه ^ عائد على الله تعالى هذا هو الأفصح الأجزل في المعنى وعلى بعض التأويلات يمكن أن يعود على محمد صلى الله عليه وسلم و ^ يستغشون ^ معناه يجعلونها أعشبية وأغطية ومنه قول الخنساء (أرعى النجوم وما كلفت رعيته % وتارة أتغشى فضل أطماري) + البسيط + # وقرأ ابن عباس على حين يستغشون ومن هذا الإستعمال قول النابغة (على حين عاتبت المشيب على الصبا % وقلت ألما أصح والشيب وازع) + الطويل + # و ^ ذات الصدور ^ ما فيها والذات تتصرف في الكلام على وجوه هذا أحدها كقول العرب الذيب مغبوط بذى بطنه أي بالذي فيه من النفخ وكقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه إنما هو ذو بطن بنت خارجة والذات التي هي حقيقة الشيء ونفسه قلقة في هذا الموضوع ويحتمل أن يفرق بين ذي بطنه وبين الذات وإنما يجمع بينهما المعنى . # وقوله تعالى ^ وما من دابة ^ الآية تمام في وصف الله تعالى بنحو قوله ^ يعلم ما يسرون وما يعلنون ^ . # والذابة ما دب من الحيوان والمراد جميع الحيوان الذي يحتاج إلى رزق ويدخل في ذلك الطائر والهوام وغير ذلك لكها دواب وقد قال الأعشى (نياق كغصن البان ترتج إن مشيت % ديب قفا البطحاء في كل منهل) + الطويل + # وقال علقمة بن عبيدة لطيرهن ديب وفي حديث أبي عبيدة فإذا دابة مثل الطرب يريد من حيوان البحر وتخصيصه بقول ^ في الأرض ^ إنما هو لأنه الأقرب لحسبهم والطائر والعائم إنما هو في الأرض وما مات من الحيوان قبل أن يتغذى فقد اعتدى في بطن أمه بوجه ما . # وهذه الآية تعطي أن الرزق كل ما صاح الانتفاع به خلافا للمعتزلة في قولهم إنه الحلال الممتلك . # وقوله تعالى ^ على الله ^ إيجاب لأنه تعالى لا يجب عليه شيء وعقلا . # والمستقر صلب الأب والمستودع بطن الأم وقيل المستقر المأوى والمستودع القبر وهما على هذا الطرفان وقيل المستقر ما حصل موجودا من الحيوان والمستودع ما يوجد بعد .

@ 152 @ قال القاضي أبو محمد والمستقر على هذا مصدر استقر وليس بمفعول كمستودع لأن استقر لا يتعدى . # وقوله ^ في كتاب ^ إشارة إلى اللوح المحفوظ . # وقال بعض الناس هذا مجاز وهي إشارة إلى علم الله . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف

وحمله على الظاهر أولى . # قوله عز وجل \$ 7 - 8 \$ # قال أكثر أهل التفسير الأيام هي من أيام الدنيا وقالت فرقة هي من أيام الآخرة يوم من ألف سنة . # قاله كعب الأحبار والأول أرجح . # وأجزاء ذكر السماوات عن كل ما فيها إذ كل ذلك خلق في الستة الأيام واختلفت الأحاديث في يوم بداية الخلق فروى أبو هريرة فيما أسند الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال خلق الله التربة يوم السبت والجال يوم الأحد والشجر يوم الإثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء وبت الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة ونحو هذا من أن البداية يوم السبت في كتاب مسلم وفي الدلائل لثابت وكان خلق آدم في يوم الجمعة لا يعتد به إذ هو بشر كسائر بنيه ولو اعتد به لكانت الأيام سبعة خلاف ما في كتاب الله وروي عن كعب الأحبار أنه قال بدأ الله خلق السماوات والأرض يوم الأحد وفرغ يوم الجمعة وخلق آدم في آخر ساعة منه . # ونحو هذا في جل الدواوين أن البداية يوم الأحد وقال قوم خلق الله تعالى هذه المخلوقات في ستة أيام مع قدرته على خلقها في لحظة . # نهجا إلى طريق التؤدة والمهلة في الأعمال ليحكم البشر أعمالهم وروي عن ابن عباس أنه قال كان العرش على الماء وكان الماء على الريح . # وقوله تعالى ^ ليلوكم ^ متعلق ^ خلق ^ والمعنى أن هذه المخلوقات لم تكن لسبب البشر . # وقرأ عيسى الثقفي ولئن قلت بضم التاء وقرأ الجمهور قلت بفتح التاء . # ومعنى الآية أن الله عز وجل هذه صفاته وهؤلاء بكفرهم في حيز إن قلت لهم إنهم مبعوثون كذبوا وقالوا هذا سحر . # أي فهذا تناقض منكم إذ كل مفطور يقر بأن الله خالق السماوات والأرض فهم من

@ 153 @ جملة المقربين بهذا ومع ذلك ينكرون ما هو أيسر منه بكثير وهو البعث من القبور إذ البداية أعسر من الإعادة وإذ خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس . # واللهم في ^ لنن ^ مؤذنة بأن اللام في ^ ليقولن ^ لام قسم لا جواب شرط . # وقرأ الأعرج والحسن وأبو جعفر وشيبة وفرقة من السبعة سحر وقرأت فرقة سحر وقد تقدم . # وقوله تعالى ^ ولئن أخرجنا عنهم العذاب الآية المعنى ولئن تأخر العذاب الذي توعدتم به عن الله قالوا ما هذا الجالس لهذا العذاب على جهة التكذيب . # والآمة في هذه الآية المدة كما قال ^ وادكر بعد آمة ^ قال الطبري سميت بذلك لأنها تمضي فيها آمة من الناس وتحدث فيها أخرى فهي على هذه المدة الطويلة . # ثم استفتح بالإخبار عن أن هذا العذاب يوم يأتي لا يرد شيء ولا يصرفه . # و ^ حاق ^ معناه حل وأحاط وهي مستعملة في المكروه و ^ يوم ^ منتصب بقوله ^ مصروفاً ^ . # قوله عز وجل \$ 9 - 11 \$ ^ أذقنا ^ ها هنا مستعارة لأن الرحمة ها هنا نعم جميع ما ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك . # و ^ الإنسان ^ ها هنا اسم الجنس والمعنى أن هذا الخلق في سجية الناس ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والإيمان وإلى الصبر والعمل الصالح . # و ^ يؤوس ^ و ^ كفور ^ بناءان للمبالغة و ^ كفور ^ ها هنا من كفر النعمة والمعنى أنه يبأس ويحرج ويتسخط ولو نظر إلى نعمة الله الباقية عليه في عقله وحواسه وغير ذلك ولم يكفرها لم يكن ذلك فإن اتفق هذا أن يكون في كافر أيضا بالشرع صح ذلك ولكن ليس من لفظ الآية . # وقال بعض الناس في هذه الآية ^ الإنسان ^ إنما يراد به الكافر وحمله على ذلك لفظة ^ كفور ^ وهذا عندي مردود لأن صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة الإنسان . # والنعماء تشمل الصحة والمال ونحو ذلك والضراء من الضر وهو أيضا شامل . # وقد يكثر استعمال الضراء فيما يخص البدن . # ولفظة ^ ذهب السيئات عني ^ تقتضي بطرا وجهلا أن ذلك بإنعام من الله واعتقاد أن ذلك اتفاق أو بسعد من الاعتقادات الفاسدة وإلا فلو قالها من يعتقد أن ذهابها بإنعام من الله وفضل لم يقع ذلك . # و ^ السيئات ^ ها هنا كل ما يسوء في الدنيا .

@ 154 @ # وقرأت فرقة لفرح بكسر الراء وقرأت فرقة لفرح بضمها وهذا الفرح مطلق ولذلك دم إذ الفرح انهمال النفس ولا يأتي الفرح في القرآن ممدوحا إلا إذا قيد بأنه في خير . # وقوله تعالى ^ إلا الذين صبروا ^ الآية هذا الاستثناء متصل على ما قدمناه من أن الإنسان عام يراد به الجنس ومن قال إنه مخصوص بالكافر قال ها هنا إن الاستثناء منقطع وهو قول ضعيف من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فجدد وكذلك قاله من النحاة قوم . # واستثنى الله تعالى من الماشين على سجية الإنسان هؤلاء الذين حملتهم الأديان على الصبر على المكاره ومثابرة عبادة الله وليس شيء من ذلك في سجية البشر وإنما حمل على ذلك حب الله وخوف الدار الآخرة . # والصبر والعمل الصالح لا ينفع إلا مع هداية وإيمان ثم وعد تعالى أهل هذه الصفة تحريضا عليها وحضا بالمغفرة للذنوب والتفضل بالأجر والنعيم . # قوله عز وجل \$ 12 - 13 \$ # سبب هذه الآيات أن كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آياتنا لجالسناك واتبعناك . # وقالوا أنت بقرآن غير هذا أو بدله ونحو هذا من الأقوال . # فخطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة من المخاطبة ووقفه بها توقيفا رادا على أقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى أنه صلى الله عليه وسلم هم بشيء من ذلك فزجر عنه فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحى إليه ولا ضاق صدره وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان . # و ^ لعلك ^ ها هنا بمعنى التوقيف والتقرير و ^ ما يوحى إليك ^ هو القرآن والشريعة والدعاء إلى الله تعالى كان في ذلك سبب ألتهتم وتسفيه آياتهم أو غيره ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد عظم عليه ما يلقي من الشدة فمال إلى أن يكون من الله تعالى إذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة ونحو هذا من الاعتقادات التي تليق به صلى الله عليه وسلم كما جاءت آيات المواعدة وعبر ب (ضائق) دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع ^ تارك ^ وإن كان ضيق أكثر استعمالا لأنه وصف لازم و ^ ضائق ^ وصف عارض فهو الذي يصلح هنا والضمير في ^ به ^ عائذ على البعض ويحتمل أن يعود على ها و ^ أن ^ في موضع نصب على تقدير كراهة أن والكنزها هنا المال وهذا طلبهم آية تضطر إلى الإيمان والله تعالى لم يبعث الأنبياء بآيات اضطرار وإنما بعثهم بآيات النظر والاستدلال ولم يجعل آية الاضطرار إلا للآمم التي قدر تعذيبها لكفرها بعد آية الاضطرار كالناقة لثمود .

@ 155 @ # ثم أنسه تعالى بقوله ^ إنما أنت نذير ^ أي هذا القدر هو الذي فوض إليك والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل الممضي لإيمان من شاء وكفر من شاء . # وقوله تعالى ^ أم يقولون ^ الآية هذه ^ أم ^ التي هي عند سببويه بمعنى بل وألف الإستفهام كأنه أضرب عن الكلام الأول واستفهم في الثاني على معنى التقرير كقولهم إنها لإيل أم شاء والإفتراء أخص من الكذب ولا يستعمل إلا فيما بهت به المرء وكابر وجاء بأمر عظيم منكر ووقع التحدي في هذه الآية ^ بعشر ^ لأنه قيدها بالإفتراء فوسع عليهم في القدر لتقوم الحجة غاية القيام إذ قد عجزهم في غير هذه الآية ^ بسورة من مثله ^ دون تقييد فهذه مماثلة تامة في غيوب القرآن ومعانيه الحجة ونظمه ووعده ووعيدته وعجزوا في هذه الآية بل قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر أمثاله في التقدير والغرض واحد واجعلوه مفترى لا يبقى لكم إلا نظمه فهذه غاية التوسعة وليس المعنى عارضوا عشر سور بعشر لأن هذه إنما كانت تحيء معارضة سورة بسورة مفتراة ولا يتالي عن تقديم نزول هذه على هذه ويؤيد هذا النظر أن التكليف في آية البقرة إنما هو بسبب الريب ولا يزال الريب إلا العلم بأنهم لا يقدر على المماثلة التامة وفي هذه الآية إنما التكليف بسبب قولهم ^ افتراه ^ فكلفوا نحوه ما قالوا ولا يطرد هذا في آية يونس . # وقال بعض الناس هذه مقدمة في النزول على تلك ولا يصح أن يعجزوا في واحدة فيكلفوا عشرًا والتكليفان سواء ولا يصح أن تكون السورة الواحدة إلا مفتراة وآية سورة يونس في تكليف سورة متكررة على قولهم ^ افتراه ^ وكذلك آية البقرة وإنما ريبهم بأن القرآن مفترى . # قال القاضي أبو محمد وقائل هذا القول لم يلحظ الفرق بين التكليفين في كمال المماثلة مرة ووقوفها على النظم مرة . # و ^ من ^ في قوله ^ من استطعتم ^ يراد بها الألهة والأصنام والشياطين وكل ما كانوا يعظمونه وقوله ^ إن كنتم صادقين ^ يريد في أن القرآن مفترى . # قوله عز وجل \$ 14 - 16 \$ # لهذه الآية تأويلان . # أحدهما أن تكون المخاطبة من النبي صلى الله عليه وسلم للكفار أي فإن لم يستجب من تدعون إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليها فأذعنوا حينئذ واعلموا أنه من عند الله ويأتي قوله ^ فهل أنتم مسلمون ^ متمكنا .

@ 156 @ # والثاني أن تكون مخاطبة من الله تعالى للمؤمنين أي فإن لم يستجب الكفار إلى ما دعوا إليه من المعارضة فاعلموا أن ذلك من عند الله وهذا على معنى دوموا على علمكم لأنهم كانوا عالمين بذلك . # قال مجاهد قوله تعالى ^ فهل أنتم مسلمون ^ هو لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . # وقوله تعالى ^ يعلم الله ^ يحتمل معنيين . # أحدهما بإذنه وعلى علم منه . # والثاني أنه

أنزل بما علمه الله تعالى من الغيوب فكأنه أراد المعلومات له وقول ^ فهل أنتم مسلمون ^ تقرير . # وقوله تعالى ^ من كان يريد الحياة الدنيا ^ الآية قالت فرقة طاهرها العموم ومعناها الخصوص في الكفرة هذا قول قتادة والضحاك وقال مجاهد هي في الكفرة وفي أهل الرياء من المؤمنين وإلى هذا ذهب معاوية حين حدثه سيفه شفي بن مانع الأصبحي عن أبي هريرة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل المتصدق والمجاهد المقتول والقائم بالقرآن ليله ونهاره وكل ذلك رياء إنهم أول من تسعر به النار يوم القيامة فلما حدثه شفي بهذا الحديث بكى معاوية وقال صدق الله ورسوله وتلا ^ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ^ الآية إلى قوله ^ وباطل ما كانوا يعملون ^ . # فأما من ذهب إلى أنها في الكفرة فمعنى قوله ^ يريد ^ يقصد ويعتمد أي هي وجهه ومقصده لا مقصد له غيرها . # فالمعنى من كان يريد بأعماله الدنيا فقط إذ لا يعتقد آخرة فإن الله يجازيه على حسن أعماله في الدنيا بالنعم والحواس وغير ذلك فمنهم مضيق عليه ومنهم موسع له ثم حكم عليهم بأنهم لا يحصل لهم يوم القيامة إلا بالنار ولا تكون لهم حال سواها . # قال القاضي أبو محمد فاستقام هذا المعنى على لفظ الآية . # وهو عندي أرجح التأويلات بحسب تقدم ذكر الكفار المناقضين في القرآن فإنما قصد بهذه الآية ^ أولئك ^ . # وأما من ذهب إلى أنها في العصاة من المؤمنين فمعنى ^ يريد ^ عنده يحب ويؤثر ويفضل ويقصد وإن كان له مقصداً آخر بإيمانه فإن الله يجازيه على تلك الأعمال الحسان التي لم يعملها لله بالنعم في الدنيا ثم يأتي قوله ^ ليس لهم ^ بمعنى ليس يجب لهم أو يحق لهم إلا النار وجائز أن يتعمدهم الله برحمته وهذا هو ظاهر ألفاظ ابن عباس وسعيد بن جبير . # وقال أنس بن مالك هي في أهل الكتاب . # قال القاضي أبو محمد ومعنى هذا أن أهل الكتاب الكفرة يدخلون في هذه الآية لأنها ليست في غيرهم . # وقرأ جمهور الناس نون العظمة وقرأ طلحة وميمون بن مهران يوف بياء الغائب . # و ^ يخسون ^ معناه يعطون أقل من ثوابهم و ^ حبط ^ معناه يبطل وسقط ومنه قول النبي يقتل حبطاً أو يلم وهي مستعملة في فساد الأعمال والضمير في قوله ^ فيها ^ عائذ

@ 157 @ على الدنيا في الأولين وفي الثالثة عائذ على الآخرة ويحتمل أن يعود في الثلاثة على الدنيا ويحتمل أن تعود الثانية على الأعمال . # وقرأ جمهور الناس وباطل بالرفع على الإبتداء والخبر وقرأ أبي وابن مسعود وباطلا بالنصب قال أبو حاتم ثبتت في أربعة مصحف والعمل فيه ^ يعملون ^ و ^ ما ^ زائدة التقدير وباطلا كانوا يعلمون . # والباطل كل ما تقتضي ذاته أن لا تنال به غاية في ثواب ونحوه وباللغة التوفيق . # قوله عز وجل \$ هود 17 \$ # اختلف المتأولون في المراد بقوله ^ أقمن ^ فقالت فرقة المراد بذلك المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم . # وقالت فرقة المراد محمد صلى الله عليه وسلم خاصة . # وقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وابن عباس المراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون جميعاً . # وكذلك اختلف في المراد بالبينه فقالت فرقة المراد بذلك القرآن أي على جلية بسبب القرآن وقالت فرقة المراد محمد صلى الله عليه وسلم والهاء في البينة للمبالغة كهاء علامة ونسابة . # وكذلك اختلف في المراد بالشاهد فقال ابن عباس وإبراهيم النخعي ومجاهد والضحاك وأبو صالح وعكرمة هو جبريل . # وقل الحسين بن علي هو محمد صلى الله عليه وسلم . # وقال مجاهد أيضاً هو ملك وكله الله بحفظ القرآن . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يريد بهذه الألفاظ جبريل . # وقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم . # وقال فرقة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى ذلك عنه وقالت فرقة هو الإنجيل وقالت فرقة هو القرآن وقالت فرقة هو إعجاز القرآن . # قال القاضي أبو محمد ويتصرف قوله ^ يتلوه ^ على معنيين بمعنى يقرأ وبمعنى يتبعه وتصرفه بسبب الخلاف المذكور في الشاهد ولترتب الآن اطراد كل قول وما يحتمل . # فإذا قلنا إن قوله (أقمن) يراد به المؤمنون فإن جعلت بعد ذلك البينة محمد صلى الله عليه وسلم صح أن يترتب الشاهد الإنجيل ويكون ^ يتلوه ^ بمعنى يقرأ لأن الإنجيل يقرأ شأن محمد صلى الله عليه وسلم وأن يترتب جبريل عليه السلام ويكون ^ يتلوه ^ بمعنى يتبعه أي في تبليغ الشرع والمعونة

@ 158 @ فيه وأن يترتب الملك ويكون الضمير في ^ منه ^ عائداً على البينة التي قدرناها محمد صلى الله عليه وسلم وأن يترتب القرآن ويكون ^ يتلوه ^ بمعنى يتبعه ويعود الضمير في ^ منه ^ على الرب . # وإن جعلنا البينة القرآن على أن ^ أقمن ^ هم المؤمنون صح أن يترتب الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم وصح أن يترتب الإنجيل وصح أن يترتب جبريل والملك . # ويكون ^ يتلوه ^ بمعنى يقرأه وصح أن يترتب الشاهد الإعجاز ويكون ^ يتلوه ^ بمعنى يتبعه ويعود الضمير في ^ منه ^ على القرآن . # وإذا جعلنا ^ أقمن ^ للنبي صلى الله عليه وسلم كانت البينة القرآن وترتب الشاهد لسان محمد صلى الله عليه وسلم وترتب الإنجيل وترتب جبريل والملك وترتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وترتب الإعجاز . # ويتأول ^ يتلوه ^ بحسب الشاهد كما قلنا ولكن هذا القول يضعفه قوله ^ أولئك ^ فإننا إذا جعلنا قوله ^ أقمن ^ للنبي صلى الله عليه وسلم وحده لم نجد في الآية مذكورين يشار إليهم بذلك ونحتاج في الآية إلى تجوز وتشبيه بقوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ^ وهو شبه ليس بالقوي . # والأصح في الآية أن يكون قوله ^ أقمن ^ للمؤمنين أو للمؤمنين والنبي معهم بأن لا يترتب الشاهد بعد ذلك يراد به النبي إذا قدرناه داخلاً في قوله ^ أقمن ^ . # وما تركناه من بسط هذا الترتيب يخرج التدرج بسيرة فتأمل . # وقرأ جمهور الناس كتاب بالرفع وقرأ الكلبي وغيره كتاباً بالنصب فمن رفع قدر الشاهد الإنجيل معناه يقرأ القرآن أو محمد صلى الله عليه وسلم بحسب الخلاف والإنجيل ومن قبل كتاب موسى إذ في الكتابين ذكر القرآن وذكر محمد صلى الله عليه وسلم . # ويصح أن يقدر الراجع الشاهد القرآن وتطرد الألفاظ بعد ذلك ومن نصب كتاباً قدر الشاهد جبريل عليه السلام أي يتلو القرآن جبريل ومن قبل القرآن كتاب موسى . # قال القاضي أبو محمد وهنا اعتراض يقال إذ قال ^ من قبله كتاب موسى ^ أو كتاب بالنصب على القراءتين والضمير في ^ قبله ^ عائذ على القرآن فلم يذكر الإنجيل وهو قبله بينه وبين كتاب موسى فالإنفصال أنه خص التوراة بالذكر لأن الملتين مجتمعتان أنهما من عند الله والإنجيل ليس كذلك فكان الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الطائفتين أولى وهذا يجري مع قول الجن ^ إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ^ ومع قول النجاشي إن هذا والذي جاء به موسى لخرج من مشكاة واحدة فإنما اختصر الإنجيل من جهة أن مذهبهم فيه مخالف لحال القرآن والتوراة ونصب ^ إماماً ^ على الحال من ^ كتاب موسى ^ و ^ الأحزاب ^ ها هنا يراد به جميع الأمم وروى سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا من اليهود والنصارى ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار فقلت أي مصداق هذا من كتاب الله حتى وجدته في هذه الآية وكنت إذا سمعت حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم طلبت مصداقه في كتاب الله .

@ 159 @ قال القاضي أبو محمد والراجح عندي من الأقوال في هذه الآية أن يكون ^ أقمن ^ للمؤمنين أو لهم وللنبي معهم إذ قد تقدم ذكر ^ الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ^ فعقب ذكرهم بذكر غيرهم والبينة القرآن وما تضمن . # والشاهد محمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل إذا دخل النبي في قوله ^ أقمن ^ أو الإنجيل والضمير في ^ يتلوه ^ للبينة وفي ^ منه ^ للرب تعالى والضمير في ^ قبله ^ للبينة وغير هذا مما ذكرته أنفاً محتمل . # وقرأ الجمهور في مربة بكسر الميم وقرأ السلمي وأبو رجاء وأبو الخطاب السدوسي في مربة بضم الميم وهما لغتان في الشك والضمير في ^ منه ^ عائذ على كون الكفرة موعدهم النار وسائر الآية بين . # وفي هذه الآية معادلة محذوفة يقتضيها ظاهر اللفظ تقديره أقمن كان على بينة من ربه كمن كفر بالله وكذب أنبياءه ونحو هذا في معنى الحذف قوله عز وجل ^ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ^ لكان هذا القرآن ومن ذلك قول الشاعر # (فأقسم لو شيء أتانا رسوله % سواك ولكن لم نجد لك مدفعا) + الطويل # التقدير لرددناه ولم نصغ إليه . # قوله عز وجل \$ هود 18 - 20 \$ # قوله ^ ومن ^ استفهام بمعنى التقرير وكأنه قال لا أحد أظلم ممن افترى كذباً والمراد ب ^ من ^ الكفرة الذين يدعون مع الله إليها آخر ويفترون في غير ما شيء وقوله ^ أولئك يعرضون على ربهم ^ عبارة عن الإشادة بهم والتشهير لخزيهم وإلا فكل بشر معروض على الله يوم القيامة . # وقوله ^ يقول الأشهاد ^ قالت فرقة يريد الشهداء من الأنبياء والملائكة فيجيء قوله ^ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ^ إخباراً عنهم وشهادة عليهم وقالت فرقة ^ الأشهاد ^ بمعنى الشاهدين ويريد جميع الخلائق وفي ذلك إشادة بهم وروى في نحو هذا حديث إنه لا يخزي أحد يوم القيامة إلا ويعلم ذلك جميع من شهد المحشر فيجيء قوله ^ هؤلاء ^ على هذا التأويل استفهاماً عنهم وثبتاً فيهم كما تقول إذا رأيت مجرماً قد عوقب هذا هو الذي فعل كذا وإن كنت قد

علمت ذلك ويحتمل الإخبار عنهم .

@ 160 @ # وقوله ^ ألاً ^ استفتاح كلام واللغة الإبعاد ^ الذين ^ نعت ل ^ الظالمين ^ ويحتمل الرفع على تقدير هم الذين ^ يصدون ^ يحتمل أن يقدر متعبداً على معنى يصدون الناس ويمنعونهم من سبيل الله ويحتمل أن يقدر غير متعد على معنى يصدون هم أن يعرضون . # و ^ سبيل الله ^ شريعته و ^ يبعونها ^ معناه يطلبون لها كما تقول بغيتك خيراً أو شراً أي طلبت لك و ^ عوجاً ^ على هذا مفعول ويحتمل أن يكون المعنى ويبغون السبيل على عوج أي فهم لا يهتدون أبداً ف ^ عوجاً ^ على هذا مصدر في موضع الحال والعوج الانحراف والميل المؤدي إلى الفساد وكرر قوله ^ هم ^ على جهة التأكيد وهي جملة في موضع خبر الابتداء الأول وليس هذا موضع الفصل لأن الفصل إنما يكون بين معرفتين أو معرفة وفكرة تقارب المعرفة لأنها تفصل ما بين أن يكون ما بعدها صفة أو خبراً وتلخصه للخبر . # و (معجزين) معناه مفلتين لا يقدر عليهم . # وخص ذكر ^ الأرض ^ لأن تصرف ابن آدم وتمتعه إنما هو فيها وهي قصاره لا يستطيع النفوذ منها وقوله ^ وما كان لهم من دون الله من أولياء ^ يحتمل معنيين . # أحدهما أن نفي أن يكون لهم ولي أو ناصر كائناً من كان . # والثاني أن يقصد وصف الأصنام والآلهة بأنهم لم يكونوا أولياء حقيقة وإن كانوا هم يعتقدون أنهم أولياء . # ثم أخبر أنهم يضاعف لهم العذاب يوم القيامة أي يشدد حتى يكون ضعفي ما كان . # و ^ يضاعف ^ فعل مستأنف وليس بصفة # وقوله ^ وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ^ يحتمل خمسة أوجه # أحدها أن يصف هؤلاء الكفار بهذه الصفة على معنى أن الله ختم عليهم بذلك فهم لا يسمعون سماعاً ينتفعون به ولا يبصرون كذلك . # والثاني أن يكون وصفهم بذلك من أجل بغضتهم في النبي صلى الله عليه وسلم فهملا يستطيعون أن يحملوا أنفسهم على السمع منه والنظر إليه وينظر إلى هذا حشد الطفيل بن عمرو أدنيه بالكرفس وإبابة قريش وقت الحديبية أن يسمعوا ما نقل إليهم من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ردهم عن ذلك مشيختهم . # والثالث أن يكون وصف بذلك الأصنام والآلهة التي نفي عنها على التأويل المقدم أن تكون أولياء . # و ^ ما ^ في هذه الواجهة نافية . # والرابع أن يكون التقدير يضاعف لهم العذاب بما كانوا يحذف الجار وتكون ^ ما ^ مصدرية وهذا قول فيه تحامل فالله الفراء وقرن ه بقوله أجازيك ما صنعت بي . # والخامس أن تكون ^ ما ^ ظرفية يضاعف لهم مدة استطاعتهم السمع والبصر وقد أعلمت

@ 161 @ الشريعة أنهم لا يموتون فيها أبداً فالعذاب إذن متماد أبداً . # وقدم ^ السمع ^ في هذه الآية على البصر لأن حاسته أشرف من حاسة البصر إذ عليه تبنى في الأطفال معرفة دلالات الأسماء وإذ هو كاف في أكثر المعقولات دون البصر إلى غير ذلك . # قوله عز وجل \$ 21 - 24 \$ خسروا أنفسهم ^ بوجوب العذاب عليهم ولا خسران أعظم من خسران النفس و ^ ضل ^ معناه تلف ولم يجدوه حيث أملوه . # و ^ لا جرم ^ لفظة مركبة من ^ لا ^ ومن ^ جرم ^ بنيتا . # ومعنى ^ لا جرم ^ حق هذا مذهب سيويه والخليل . # وقال بعض النحويين معناها لا بد ولا شك ولا محالة وقد روي هذا عن الخليل . # وقال الزجاج ^ لا ^ رد عليهم ولما تقدم من كل ما قبلها و ^ جرم ^ معناه كسب أي كسب فعلهم ^ أنهم في الآخرة هم الأخسرون ^ . # فموضع أن على مذهب سيويه رفع وموضعها على مذهب الزجاج نصب . # وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع . # قال القاضي أبو محمد فكان ^ جرم ^ على هذا من معنى القطع تقول جرمت أي قطعت وهي على منزع الزجاج من الكسب ومنه قول الشاعر # (جريمتنا هض في رأس نيق % ترى لعظام ما جمعت صليبا) + الطويل + # جريمة القوم كاسبهم . # وأما قول الشاعر جرير # (ولقد طعنت أبا أميمة طعنة % جرمت فزاره بعدها أن يعضوا) # فيحتمل الوجهين ويختلف معنى البيت . # وفي ^ لا جرم ^ لغات يقول بعض العرب لا ذا جرم وبعضهم لا أن ذا جرم وبعضهم لا عن ذا جرم وبعضهم لا جر حذفوا الميم لكثرة استعماله . # و (6أختوا) قيل معناه خشعوا قاله قتادة وقيل أنابوا قاله ابن عباس وقيل اطمأنوا قاله مجاهد وقيل خافوا قاله ابن عباس أيضاً وهذه لأقوال بعضها قريب من بعض وأصل اللفظ من الخيث وهو البراح القفر المستوي من الأرض فكان المخبت في القفر قد انكشف واستسلم وبقي ذا منعة فشبه المتذلل الخاشع بذلك وقيل إنما اشتق منه لاستوائه وطمأنينته .

@ 162 @ # وقوله ^ إلى ربهم ^ قيل هي بمعنى اللام أي أختبوا لربهم . # وقيل المعنى جعلوا قصدهم بإختبائهم إلى ربهم والفريقان الكافرون والمؤمنون شبه الكافر ب ^ الأعمى والأصم ^ وشبه المؤمن ب ^ البصير والسميع ^ فهو على هذا تمثيل بمثاليين . # وقال بعض المتأولين التقدير كالأعمى الأصم والبصير السميع ودخلت واو العطف كما تقول جاءني زيد العاقل والكريم وأنت تريده بعينه فهو على هذا تمثيل بمثال واحد . # و ^ مثلاً ^ نصب على التمييز . # ويجوز أن يكون حالا . # قوله عز وجل \$ 25 - 27 \$ هذه آية قصص فيه تمثيل لقريش وكفار العرب وإعلام محمد صلى الله عليه وسلم ببدع من الرسل . # وروي أن نوحاً عليه السلام أول رسول إلى الناس . # وروي أن إدريس نبي من بني آدم إلا أنه لم يرسل فرسالة نوح إنما كانت إلى قومه كسائر الأنبياء وأما الرسالة العامة فلم تكن إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم . # وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزمة إني بكسر الألف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي أني بفتح الألف . # فالكسر على إضمار القول والمعنى قال لهم ^ إني لكن نذير مبين ^ ثم يجيء قوله ^ أن لا تعبدوا ^ محمولاً ل ^ أرسلنا ^ أي أرسلنا نوحاً بأن لا تعبدوا إلا الله واعترض أثناء الكلام بقوله ^ إني لكم نذير مبين ^ وفتح الألف على إعمال ^ أرسلنا ^ في أن أي بأنني لكم نذير . # قال أبو علي وفي هذه القراءة خروج من الغيبة إلى المخاطبة . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا نظر وإنما هي حكاية مخاطبته لقوله وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة إلى مخاطبة ولو كان الكلام أن أنذرهم ونحوه لصح ذلك . # والنذير المحفوظ من المكاره بأن يعرفها وينبه عليها و ^ مبين ^ من أبان يبين . # وقوله ^ أن لا تعبدوا إلا الله ^ ظاهر في أنهم كانوا يعبدون الأوثان ونحوها وذلك بين في غير هذه الآية . # و ^ أليم ^ معناه مؤلم ووصف به اليوم وحقه أن يوصف به العذاب تجوزاً إذ العذاب في اليوم فهو كقولهم نهار صائم وليل قائم .

@ 163 @ # و ^ الملاً ^ الجمع والأكثر من القبيلة والمدينة ونحوه ويسمى الأشراف ملاً إذ هم عمدة الملاً والسادون مسده في الآراء والأمور وكل جماعة كبيرة ملاً . # ولما قال لهم نوح ^ إني لكم نذير ^ قالوا ^ ما نراك إلا بشراً مثلاً ^ أي والله لا يبعث رسولا من البشر فأحاولوا الجائز على الله تعالى . # والأراذل جمع أرذل وقيل جمع أرذل وأرذال جمع رذل وكان اللازم على هذا أن يقال أراذيل وإذا ثبتت الباء في جمع صيرف فأجرى ألا تزال في موضع استحقاقها . # وهم سفلة الناس ومن لا أخلاق له ولا يبالي ما يقول ولا ما يقال له . # وقرأ الجمهور بادي الرأي بياء دون همز من بدا يبدو ويحتمل أن يكون من بدأ مسهلاً وقرأ أبو عمرو وعيسى الثقفي بادي الرأي بالهمز من بدأ يبدأ . # قال القاضي أبو محمد وبين القراءتين اختلاف في المعنى يعطيه التدبر فتركت التطويل ببسطه والعرب تقول أما باديء بدء فإني أحمد الله وأما باديء بدي بغير همز فيهما وقال الراجز # (أضحي لخالني شهبى بادي بدي % وصار للفحل لساني وبدي) + الرجز + # وقال الآخر وقد علنتي ذرأة بادي بدي . # وقرأ الجمهور بهمز الرأي وقرأ أبو عمرو بترك همزه . # و ^ بادي ^ نصب على الظرف وضح أن يكون اسم الفاعل ظرفاً كما يضح في قريب ونحوه وفعل وفاعل متعاقبان أبداً على معنى واحد وفي المصدر كقولك جهد نفسي أحب كذا وكذا . # وتعلق قوله ^ بادي الرأي ^ يحتمل ستة أوجه . # أحدها أن يتعلق ب ^ نراك ^ بأول نظر وأقل فكرة وذلك هو ^ بادي الرأي ^ أي إلا ومتبعوك أرذلنا . # والثاني أن يتعلق بقوله ^ اتبعك ^ أي وما نراك اتبعك بادي الرأي إلا الأراذل ثم يحتمل على هذا قوله ^ بادي الرأي ^ معنيين . # أحدهما أن يريد اتبعك في ظاهر أمرهم وعسى أن بواطنهم ليست معك . # والثاني أن يريد اتبعوك بأول نظر وبالرأي البادي دون تعقب ولو تثبتك لم يتبعوك . # وفي هذا الوجه ذم الرأي الغير المروي . # والوجه الثالث من تعلق قوله ^ بادي الرأي ^ أن يتعلق بقوله ^ أرذلنا ^ أي الذين هم أرذلنا بأول نظر فيهم وببادي الرأي يعلم ذلك منهم ويحتمل أن يكون قولهم ^ بادي الرأي ^ وصفاً منهم لنوح أي تدعي عظيماً وأنت مكشوف الرأي لا حصافة لك ونصبه على الحال وعلى الصفة ويحتمل أن يكون

@ 164 @ اعتراضاً في الكلام مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم # ويجيء جميع هذا ستة معان ويجوز التعلق في هذا الوجه ب ^ قال ^ . # ومعنى ^ وما نرى لكم علينا من فضل ^ أي ما ثم شيء تستحقون به الاتباع والطاعة . # ثم قال ^ بل نظنكم كاذبين ^

فيحتمل أنهم خاطبوا نوحاً ومن آمن معه من قومه أي أنتم كاذبون في تصديقكم هذا الكاذب وقولكم إنه نبي مرسل . # قوله عز وجل \$ 28 - 30 # هذه الآية كأنه قال أرايتم إن هداني الله وأصلكم أجبركم على الهدى وأنتم كارهون له معرضون عنه واستفهامه في هذه الآية أولاً وثانياً على جهة التقرير . # وعبارة نوح عليه السلام كانت بلغته دالة على المعنى القائم بنفسه وهذا هو المفهوم من هذه العبارة العربية فهذا استقام أن يقال كذا وكذا إذ القول ما أفاد المعنى القائم بنفسه . # وقوله ^ على بينة ^ أي على أمر بين جلي وإلهاء في ^ بينة ^ للمبالغة كعلامة ونسابة وإيتاؤه الرحمة هو هدايته للينة والمشار إليه بهذا كله النبوة والشرع وقوله ^ من عنده ^ تأكيد كما قال ^ يطير بجناحيه ^ وفائدته رفع الإشتراك ولو بالإستعارة . # وقرأ جمهور الناس فعميت ولذلك وجهان من المعنى . # أحدهما خفيت ولذلك يقال للصحابة العماء لأنه يخفي ما فيه كما يقال له الغمام لأنه يغمه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كان الله قبل أن يخلق الأشياء في عماء . # والمعنى الثاني أن تكون الإرادة فعميتم أنتم عنها لكنه قلب كما تقول العرب أدخلت القلنسوة في رأسي ومنه قول الشاعر # (ترى النور فيها مدخل الظل رأسه % وسائرته باد إلى الشمس أجمع) + الطويل + # قال أبو علي وهذا مما يقلب إذ ليس فيه إشكال وفي القرآن ^ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ^ . # وقرأ حفص وحمره والكسائي فعميت بضم العين وشد الميم على بناء الفعل للمفعول وهذا إنما يكون من الإخفاء ويحتمل القلب المذكور .

@ 165 # وقرأ الأعمش وغيره فعمها عليهم . # قال أبو حاتم روى الأعمش عن ابن وثاب وعميت بالواو خفيفة . ق # وقوله ^ أنزلكموها ^ يريد إلزام جبر كالقتال ونحوه وأما إلزام الإيجاب فهو حاصل وقال النحاس معناه أن وجهها عليكم وقوله في ذلك خطأ . # وفي قراءة أبي بن كعب أنزلكموها من شطر أنفسنا ومعناه من تلقاء أنفسنا . # وروي عن ابن عباس أنه قرأ ذلك من شطر قلوبنا . # وقوله ^ يا قوم لا أسألكم عليه مالا ^ الآية الضمير في ^ عليه ^ عائد على التبليغ . # وقوله ^ وما أنا بطارد الذين آمنوا ^ يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء الذين بادروا إلى الإيمان به نظير ما اقترحت قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرد تباعه بمكة الذين لم يكونوا من قريش . # وقوله ^ إنهم ملاقو ربهم ^ تنبيه على العودة إلى الله ولقاء جزائه المعنى فيوصلهم إلى حقهم عندي إن ظلمتهم بالطرد . # ثم وصفهم بالجهل أي مثل هذا الإقتراح ونحوه . # وقوله ^ يا قوم من ينصرنى من الله ^ الآية هو استفهام بمعنى تقرير وتوقيف أي لا ناصر يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد عن الخير الذي قبلوه ثم وقفهم بقوله ^ أفلا تذكرون ^ وعرض عليهم النظر المؤدى إلى صحة هذا الاحتجاج . # قوله عز وجل \$ 31 - 32 # قوله ^ ولا أقول (عطف على قوله ^ لا أسألكم عليه مالا ^ ومعنى هذه الآية أني لا أموه عليكم ولا أعطي غير ما أهلني الله له فلست أقول ^ عندي خزائن الله يريد القدرة التي يوجد بها الشيء بعد حال عدمه وقد يمكن أن يكون من الموجودات كالرياح والماء ونحوه ما هو كثير بإبداع الله تعالى له فإن سمي ذلك على جهة التجوز مختزناً فيشبهه . # ألا ترى ما روي في أحمر ريح عاد أنه فتح عليهم من الريح قدر حلقة الخاتم ولو كان على قدر منخر الثور لأهلك الأرض . # وروي أن الريح عنت على الملائكة الموكلين بتقديرها فلذلك وصفها الله تعالى بالعتو وقال ابن عباس وغيره عنت على الخزان . # فهذا ونحوه يقتضي أن ثم خزائن . # ثم قال ^ ولا أعلم الغيب ^ ثم انحط على هاتين فقال ^ ولا أقول إني ملك ^ ظاهر هذه الآية فضل الملك على البشر وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي مسألة اختلاف . # وظواهر القرآن على ما قلناه . # قال القاضي أبو محمد وإن أخذنا قوله ^ ولا أقول إني ملك ^ على حد أن لو قال ولا أقول إني

@ 166 @ كوكب أو نحوه زالت طريقة التفضيل ولكن الطاهر هو ما ذكرنا . # و ^ تزدري ^ أصله تترتي فتفعل من زرى يزري ومعنى ^ تزدري ^ تحتقر . # والخبر هنا يظهر فيه أنه خير الآخرة اللهم إلا أن يكون ازدراؤهم من جهة الفقر فيكون الخير المال وقد قال بعض المفسرين حيثما ذكر الله الخير في القرآن فهو المال . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا الكلام تحامل والذي يشبهه أن يقال إنه حيثما ذكر الخير فإن المال يدخل فيه . # وقوله ^ الله أعلم بما في أنفسهم ^ تسليم لله تعالى أي لست أحكم عليهم بشيء من هذا وإنما يحكم عليهم بذلك ويخرج حكمه إلى حيز الوجود الله تعالى الذي يعلم ما في نفوسهم ويجازيهم بذلك وقال بعض المتأولين هي رد على قولهم أتبعك أراذلنا على ما يظهر منهم . # قال القاضي أبو محمد حسبما تقدم في بعض تأويلات تلك الآية أنفا فالمعنى لست أنا أحكم عليهم بأن لا يكون لهم خير بظنكم بهم أن بواطنهم ليست كظواهرهم الله عز وجل أعلم بما في نفوسهم ثم قال ^ إني إذا ^ لو فعلت ذلك ^ لمن الظالمين ^ الذين يعضون الشيء في غير موضعه . # وقوله ^ يا نوح ^ الآية معناه قد طال منك هذا الجدال وهو المراجعة في الحجّة والمخاصمة والمقابلة بالأقوال حتى تقع الغلبة وهو مأخوذ من الجدال وهو شدة القتال ومنه حبل مجدول أي ممر ومنه قيل للصقر أجدل لشدة بنيته وقتل أعضائه والجدال فعال مصدر فاعل هو يقع من اثنين ومصدر فاعل يجيء على فعال وفعال ومفاعلة فتركت الإياء من فيعال ورفضت . # ومن الجدال ما هو محمود وذلك إذا كان مع كافر حربي في منغته ويطمع في الجدال أن يهتدي ومن ذلك هذه الآية ومنه قوله تعالى ^ وجادلهم بالتي هي أحسن ^ إلى غير ذلك من الأمثلة . # ومن الجدال ما هو مكروه وهو ما يقع بين المسلمين بعضهم في بعض في طلب علل الشرائع وتصور ما يخبر الشرع به من قدرة الله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وكرهه العلماء والله المستعان . # وقرأ ابن عباس قد جادلنا فأكثررت جدلنا بغير ألف وفتح الجيم ذكره أبو حاتم . # والمراد بقولهم ^ ما تعدنا ^ العذاب والهلاك والمفعول الثاني ل ^ تعدنا ^ مضمير تقديره بما تعدناه . # ولما كان الكلام يقتضي العذاب جاز أن يستعمل فيه الوعد . # قوله عز وجل \$ 33 - 35 # المعنى ليس ذلك بيدي ولا إلي توفيته وإنما ذلك بيد الله وهو الآتي به إن شاء وإذا شاء ولستم من

@ 167 @ المنعة بحال من يفلت أو يعتصم بمنج وإنما في قبضة القدرة وتحت ذلة الممتلك وليس نصحي بنافع ولا إرادتي الخير لكم مغنية إذا كان الله تعالى قد أراد بكم الإغواء والإضلال والإهلاك . # والشرك الثاني اعتراض بين الكلام وفيه بلاغة في إقتران الإرادتين . # وإن إرادة البشر غير مغنية وتعلق هذا الشرط هو ب ^ نصحي ^ وتعلق الآخر هو بلا ينفع . # والنصح هو سد ثلم الرأي للمنصوح وترقيعه وهو مأخوذ من نصح الثوب إذا خاطه والمنصح الإبرة والمخييط يقال له منصح ونصاح وقالت فرقة معنى قوله ^ يغويكم ^ يضلكم من قولهم غوى الرجل يغوي ومنه قول الشاعر المرقش # (فمن يلقي خيرا يحمد الناس أمره % ومن يغو لا يعدم على الغي لائما) + الطويل + # وإذا كان هذا معنى اللفظة ففي الآية حجة على المعتزلة القائلين إن الضلال إنما هو من العبد . # وقالت فرقة معنى قوله ^ يغويكم ^ يهلككم والغوى المرض والهلاك وفي لغة طيبيء أصبح فلان غاوباً أي مريضاً والغوى بشم الفصيل قال يعقوب في الإصلاخ . # وقيل فقد اللين حتى يموت جوعاً قاله الفراء وحكاه الطبري . # يقال غوى يغوى وحكى الزهراوي أنه الذي قطع عنه اللين حتى كاد يهلك ولما يهلك بعد فإذا كان هذا معنى اللفظة زال موضع النظر بين أهل السنة والمعتزلة وبقي الاحتجاج عليهم بما هو آيين من هذه الآية كقوله تعالى ^ فمن برد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ^ ونحوها . # قال القاضي أبو محمد ولكنني أعتقد أن للمعتزلة تعلقاً وحجة بالغة بهذا التأويل فرد عليه وأفرط حتى أنكروا أن يكون الغوى بمعنى الهلاك موجوداً في لسان العرب . # وقوله ^ هوربكم ^ تنبيه على المعرفة بالخلق . # وقوله ^ وإليه ترجعون ^ إخبار في ضمنه وعيد وتخويف وقوله تعالى ^ أم يقولون افتراه ^ الآية قال الطبري وغيره من المتأولين والمؤلفين في التفسير إن هذه الآية اعترضت في قصة نوح وهي شأن محمد صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش وذلك أنهم قالوا افتري القرآن وافتري هذه الفصحة على نوح فنزلت الآية في ذلك . # قال القاضي أبو محمد وهذا لو صح بسند وجب الوقوف عنده وإلا فهو يحتمل أن يكون في شأن نوح عليه السلام ويبقى اتساق الآية مطرداً ويكون الضمير في قوله ^ افتراه ^ عائداً إلى العذاب الذي توعدهم به أو على جميع أخباره وأوقع الافتراء على العذاب من حيث يقع على الإخبار به . # والمعنى أم يقول هؤلاء الفكرة افتري نوح هذا التوعد بالعذاب وأراد الإرباب علينا بذلك ثم يطرد باقي الآية على هذا . # و ^ أم ^ هي التي بمعنى بل يقولون والإجرام مصدر أجرم يجرم إذا جنى يقال جرم وأجرم بمعنى ومن ذلك قول الشاعر # (طريد عشيرة ووهين ذنب % بما جرمت يدي وجنى لساني) # قوله عز وجل \$ 36 - 37 \$

@ 168 @ # قرأ أبو البرهسم وأوحى بفتح الهمزة على إسناد الفعل إلى الله عز وجل إنه بكسر الهمزة وقيل لنوح هذا بعد أن طال عليه كفر القرن بعد القرن به وكان يأتيه الرجل بابنه فيقول يا بني لا تصدق هذا الشيخ فهكذا عهدته أبي وجدي كذا ما مجنوناً رواه عبيد

بن عمير وغيره وهذه الآية هي التي آياست نوحا عليه السلام من قومه فوري أنه لما أوحى إليه ذلك دعا فقال [^] رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا [^] # [^] تبتئس [^] من البؤس فتفتعل ومعناه لا تحزن نفسك ومنه قول الشاعر وهو لبيد بن ربيعة # (في ماتم كنعاج حارة % تبتئس بما لقينا) + مجزوء الكامل + # حارة موضع . # قال القاضي أبو محمد وفي أمر نوح عليه السلام تدافع في ظاهر الآيات والأحاديث ينبغي أن نخلص القول فيه وذلك أن ظاهر أمره أنه عليه السلام دعا على الكافرين عامة من جميع الأمم ولم يخص قومه دون غيرهم وتظاهرت الروايات وكتب التفاسير بأن الغرق نال جميع أهل الأرض وعم الماء جميعها قاله ابن عباس وغيره ويوجب ذلك أمر نوح بحمل الأزواج من الحيوان ولولا خوف إفناء أجناسها من جميع الأرض ما كان ذلك فلا يتفق لنا أن نقول إنه لم يكن في الأرض غير قوم نوح في ذلك الوقت لأنه يجب أن يكون نوح بعث إلى جميع الناس وقد صح أن هذه الفضيلة خاصة لمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله أوتيت خمسا لم يؤتهن أحد قبلي . # فلا بد أن نقرر كثيرا من الأمم كان في ذلك الوقت وإذا كان ذلك فكيف استحقوا العقوبة في جمعهم ونوح لم يبعث إلى كلهم وكنا نقدر هنا أن الله تعالى بعث إليهم رسلا قبل نوح فكفروا بهم واستمر كفرهم لولا أنا نجد الحديث ينطق بأن نوحا هو أول الرسل إلى أهل الأرض ولا يمكن أيضا أن نقول عذبوا دون رسالة ونحن نجد القرآن [^] وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا [^] . # والتأويل المخلص من هذا كله هو أن نوحا عليه السلام أول رسول بعث إلى كفار من أهل الأرض ليصح الخلق ويبلغ في التبليغ ويحتمل المشقة من الناس بحسب ما ثبت في الحديث ثم نقول إنه بعث إلى قومه خاصة بالتبليغ والدعاء والتنبيه وبقي أمم في الأرض لم يكلف القول لهم فتصح الخاصة لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم نقول إن الأمم التي لم يبعث ليخاطبها إذا كانت بحال كفر وعبادة أوثان وكانت الأدلة على الله تعالى منصوبة 0 معرصة للنظر وكانوا متمكين من النظر من جهة إدراكهم وكان الشرع يبعث نوح موجودا مستقرا . # فقد وجب عليهم النظر وصاروا بتركه بحال من يجب تعذيبه فإن هذا رسول مبعوث وإن كان لم يبعث إليهم معينين ألا ترى أن لفظ الآية إنما هو [^] وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا [^] أي

@ 169 @ حتى نوجده لأن بعثة الأنبياء إلى قوم مخصوصين إنما هو في معنى القتال والشدة وأما من جهة بذل النصيحة وقبول من آمن فالتناس أجمع في ذلك سواء ونوح قد لبث ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو إلى الله فغير ممكن أن لم تبلغ نبوءته للقريب والبعيد ويجيء تعذيب الكل بالغرق بعد بعثة رسول وهو نوح صلى الله عليه وسلم . # ولا يعارضنا مع هذه التأويلات شيء من الحديث ولا الآيات والله الموفق للصواب . # وقوله تعالى [^] واصنع الفلك [^] عطف على قوله [^] فلا تبتئس [^] و [^] الفلك [^] السفينة وجمعها أيضا فلك وليس هو لفظا للواحد والجمع وإنما هو فعل وجمع على فعل ومن حيث جاز أن يجمع فعل على فعل كأسد وأسد جاز أن يجمع فعل على فعل فظاهر لفظ الجمع فيها كظاهر لفظ واحد وليس به تدل على ذلك درجة التشبيه التي بينهما لأنك تقول فلك وفلكان وفلك فالحركة في الجمع نظير ضمة الصاد إذا ناديت يا منصو تريد يا منصور فرخمت على لغة من يقول يا حار بالضم فإن ضمة الصاد هي في اللفظ كضمة الأصل وليست بها في الحكم . # وقوله [^] بأعيننا [^] يمكن فيما يتأول أن يريد به بمرأى منا وتحت إدراك فتكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير كما قال تعالى [^] فنعم القادرون [^] فرجع معنى الأعين في هذه وفي غيرها إلى معنى عين في قوله [^] لتصنع على عيني [^] وذلك كله عبارة عن الإدراك وإحاطته بالمدركات وهو تعالى منزه عن الحواس والتشبيه والتكليف لا رب غيره . # ويحتمل قوله [^] بأعيننا [^] أي بملائكتنا الذين جعلناهم عيوننا على مواضع حفظك ومعونتك فيكون الجمع على هذا للتكثير . # وقرأ طلحة بن مصرف بأعيننا مدغما . # وقوله [^] ووحينا [^] معناه وتعليمنا لك صورة العمل بالوحي وروي في ذلك أن نوحا عليه السلام لما جهل كيفية صنع السفينة أوحى الله إليه أن اصنعها على مثال جَوْجُو الطير إلى غير ذلك مما عمله نوح من عملها فقد روى أيضا أنها كانت مربعة الشكل طويلة في السماء ضيقة الأعلى وأن الغرض منها إنما كان الحفظ لا سرعة الجري والحديث الذي تضمن أنها كجَوْجُو الطائر أصح ومعناه أظهر لأنها لو كانت مربعة لم تكن فلكا بل كانت وعاء فقط وقد وصفها الله تعالى بالجري في البحر وفي الحديث كان راز سفينة نوح عليه السلام جبريل عليه السلام والراز القيم يعمل السفن . # ومن فسر قوله [^] ووحينا [^] أي بامرنا لك فذلك ضعيف لأن قوله [^] واصنع الفلك [^] معن عن ذلك . # [^] الذين ظلموا [^] هم قومه الذين أعرضوا عن الهداية حتى عمتهم النعمة قال ابن جريج وهذه الآية تقدم الله فيها إلى نوح أن لا يشفع فيهم . # قوله عز وجل

@ 170 @ # التقدير فشرع يصنع فحكيت حال الإستقبال إذ في خلالها وقع مرورهم قال ابن عباس صنع نوح الفلك ببقاع دمشق وأخذ عودها من لبنان وعودها من التيمشثار وهو البقص . # وروي أن عودها من الساج وأن نوحا عليه السلام اغترسه حتى كبر في أربعين سنة وروي أن طول السفينة ألف ذراع ومائتان وعرضها ستمائة ذراع ذكره الحسن بن أبي الحسن وقيل طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا ذكره قتادة وروي غير هذا مما لم يثبت فاختصرت ذكره وذكر الطبري حديث إحياء عيسى ابن مريم لسام بن نوح وسؤاله إياه عن أمر السفينة فذكر أنها ثلاث طبقات للناس وطبقة للنهائم وطبقة للطير إلى غير ذلك في حديث طويل . # والملا هنا الجماعة و [^] سخروا [^] معناه استجلبوه وهذا الإستجهاال إن كان الأمر كما ذكر أنهم لم يكونوا قبل رأوا سفينة ولا كانت فوجه الإستجهاال واضح . # وبذلك تظاهرت التفاسير وإن كانت السفائن حينئذ معروفة فاستجلبوه في أن صنعها في موضع لا قرب لها من البحر وروي أنهم كانوا يقولون له صرت نجارا بعد النبوة . # وقوله [^] فإننا نسخر منكم [^] قال الطبري يريد في الآخرة . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل الكلام بل هو الأرجح أن يريد إنا نسخر منكم الآن أي نستجلبكم لعلمنا بما أنتم عليه من الغرر مع الله تعالى والكون بمدرج عذابه ثم جاء قوله [^] فسوف تعلمون [^] تهديدا والسخر الإستجهاال مع استهزاء ومصدره سخرى بضم السين والمصدر من السخرة والسخرى سخرى بكسرها . # والعذاب المخزي هو الغرق والمقيم هو عذاب الآخرة وحكى الزهراوي أنه يقرأ ويحل بضم الحاء ويقرأ ويحل بكسرها بمعنى ويجب . # [^] من [^] في موضع نصب ب (تعلمون) . # وجاز أن يكون [^] تعلمون [^] بمثابة تعرفون في التعدي إلى مفعول واحد وجزاء أن تكون التعدية إلى مفعولين واقتصر على الواحد . # وقوله تعالى [^] حتى إذا جاء أمرنا [^] الآية الأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور ويحتمل أن يكون مصدر أمر فمعناه أمرنا للماء بالفوران أو للسحاب بالإرسال أو للملائكة بالتصرف في ذلك ونحو هذا مما يقدر في النازلة و [^] فار [^] معناه انبعث بقوة واختلف الناس في [^] التنور [^] فقالت فرقة وهي الأكثر منهم ابن عباس ومجاهد وغيرهما هو تنور الخبز الذي يوقد فيه وقالت فرقة كانت هذه أمانة جعلها الله لنوح أي إذا فار التنور فأركب في السفينة ويشبه أن يكون وجه الأمانة أن مستوقد النار إذا فار بالماء فغيره أشد فورانا وأحرى بذلك . # وروي أنه كان تنور آدم عليه السلام خلص إلى نوح فكان يوقد

@ 171 @ فيه وقال النقاش اسم المستوقد التنور بكل لغة وذكر نحو ذلك ابن قتيبة في الأدب عن ابن عباس . # قال القاضي أبو محمد وهذا بعيد وقيل إن موضع تنور نوح عليه السلام كان بالهند وقيل كان في موضع مسجد الكوفة وقيل كان في ناحية الكوفة قاله الشعبي ومجاهد وقيل كان في الجهة الغربية من قبلة المسجد بالكوفة وقال ابن عباس وعكرمة التنور وجه الأرض ويقال له تنور الأرض وقال قتادة [^] التنور [^] أعالي الأرض وقالت فرقة [^] التنور [^] عين بناحية الجزيرة وقال الحسن بن أبي الحسن [^] التنور [^] مجتمع ماء السفينة فار منه الماء وهي بعد في اليبس وقالت فرقة [^] التنور [^] هو الفجر المعنى إذا طلع الفجر فأركب في السفينة وهذا قول روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أن التصريف يضعفه وكان يلزم أن يكون التنور وقالت فرقة الكلام مجاز وإنما أراد غلبة الماء وظهور العذاب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لشدة الحرب حمى الوطيس والوطيس أيضا مستوقد النار فلا فرق بين حمى و [^] فار [^] إذ يستعملان في النار قال الله تعالى [^] سمعوا لها شهيقا وهي تفور [^] فلا فرق بين الوطيس والتنور . # وقرأ حفص عن عاصم من كل زوجين اثنين يتنوبن [^] كل [^] وقرأ الباقر من كل زوجين بإضافة [^] كل [^] إلى [^] زوجين [^] . # فمن قرأ بالتنوين حذف المضاف إليه التقدير من كل حيوان أو نحوه وأعمل الحمل في [^] زوجين [^] وجاء قوله [^] اثنين [^] تأكيد كما قال [^] إلهين اثنين [^] ومن قرأ بالإضافة فأعمل الحمل في قوله [^] اثنين [^] وجاء قوله [^] زوجين [^] بمعنى العموم أي من كل ما له ازدواج هذا معنى قوله [^] من كل زوجين [^] قاله أبو علي وغيره ولو قدرنا المعنى أحمل من كل زوجين حاصلين اثنين لوجب أن يحمل من كل نوع أربعة

والزوج يقال في مشهور كلام العرب للواحد مما له ازدواج فيقال هذا زوج هذا وهما زوجان وهذا هو المهبع في القرآن في قوله تعالى ^ ثمانية أزواج ^ ثم فسرها وكذلك هو في قوله تعالى ^ وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى ^ قال أبو الحسن الأفش في كتاب الحجة وقد يقال في كلام العرب للإثنين زوج ومن ذلك قول لبيد # (من كل محفوف يطل عصبه % زوج عليه كلة وقرامها) + الكامل + # وهكذا يأخذ العدديون الزوج أيضا في كلام العرب النوع كقوله ^ وأبنتنا فيها من كل زوج بهيج ^ وقوله ^ سبحان الذي خلق الأزواج كلها ^ إلى غير ذلك . # وروي في قصص هذه الآية أن نوحا عليه السلام كان يأتيه الحيوان فيضع يمينه على الذكر ويساره على الأنثى . # وروي أن أول ما أدخل في السفينة الذر وآخر ما أدخل الحمار فتمسك الشيطان بذنبه فزجره نوح عليه السلام فلم ينبعث فقال له ادخل ولو كان معك الشيطان قال ابن عباس زلت هذه الكلمة من لسانه فدخل الشيطان حينئذ وكان في كوثل السفينة أي عند مؤخرها وقيل كان على ظهرها . # وروي أن نوحا عليه السلام أذاه تنن الزبل والعدرة فأوحى الله إليه أن امسح على ذنب الفيل ففعل فخرج من الفيل وقيل من أنفه خنزير وخنزيرة فكفيا نوحا وأهله ذلك الأذى وهذا يحيى منه أن نوع

@ 172 @ الخنازير لم يكن قبل ذلك . # وروي أن الفأر أذى الناس في السفينة بقرض جبالها وغير ذلك فأمر الله نوحا أن يمسح على جبهة الأسد ففعل فخرج منه هر وهرة فكفياهم الفأر وروي أيضا أن الفأر خرج من أنف الخنزير . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله قصص لا يصح إلا لو استند والله أعلم كيف كان . # وقوله ^ وأهلك ^ عطف على ما عمل فيه ^ حمل ^ والأهل هنا القرابة وبشرط من آمن منهم خصصوا تشريفا ثم ذكر ^ من آمن ^ وليس من الأهل واختلف في الذي ^ سبق عليه القول ^ فقيل هو ابنه يام وقال النقاش اسمه كنعان وقيل هي امرأته والعة هكذا اسمها بالعين غير منقوطة وقيل هو عموم في من لم يؤمن من أهل نوح وعشيرته . # ^ والقول ^ ها هنا معناه القول بأنه يعذب وقوله ^ ومن آمن ^ عطف على قوله ^ وأهلك ^ ثم قال إخبارا عن حالهم ^ وما آمن معه إلا قليل ^ واختلف في ذلك ^ القليل ^ فقيل كانوا ثمانين رجلا وثمانين امرأة وقيل كان جميعهم ثلاثة وثمانين وقيل كانوا ثمانين في الكل قاله السدي وقيل عشرة وقيل ثمانية قاله قتادة وقيل سبعة والله أعلم وقيل كان في السفينة جرهم وقيل لم ينح من الغرق أحد إلا عوج إلا عوج بن أعنق وكان في السفينة مع نوح عليه السلام ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث وغرق يام . # وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سام أبو العرب والروم وحام أبو الحبش . # قوله عز وجل \$ سورة هود 41 - 42 \$ المعنى ^ وقال ^ نوح حين أمر بالحمل في السفينة لمن آمن معه ^ أركبوا فيها ^ فأنت الضمير إذ هي سفينة لأن الفلك المذكور مذكر . # وفي مصحف أبي على اسم الله . # وقوله ^ بسم الله ^ يصح أن يكون في موضع الحال من الضمير الذي في قوله ^ أركبوا ^ كما تقول خرج زيد بتيابه وبسلاحه أي أركبوا متبركين بالله تعالى ويكون قوله ^ مجراها ومرساها ^ طرفين أي وقت إجرائها وإرسائها . # كما تقول العرب الحمد لله سرارك وإهلالك وخفوق النجم ومقدم الحاج فهذه ظرفية زمان والعامل في هذا الطرف ما في ^ بسم الله ^ من معنى الفعل ويصح أن يكون قوله ^ بسم الله ^ في موضع خبر و ^ مجراها ومرساها ^ ابتداء مصدران كأنه قال أركبوا فيها فإن ببركة الله إجراءها وإرساءها وتكون هذه الجملة على هذا في موضع حال من الضمير في قوله ^ فيها ^ ولا يصح أن يكون حالا من الضمير في قوله ^ أركبوا ^ لأنه لا عائد في الجملة يعود عليه وعلى هذا التأويل قال الضحاك إن نوحا كان إذا أراد جري السفينة قال (بسم الله) فتجري وإذا أراد ووقوفها قال ^ بسم الله ^ فتقف .

@ 173 @ وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر مجراها ومرساها بضم الميمين على معنى إجرائها وإرسائها وهي قراءة مجاهد وأبي رجا والحسن والأعرج وشيبة وجمهور الناس ومن ذلك قول لبيد . # (وعمرت حرسا قبل مجرا داحس % لو كان للنفس اللجوج خلود) + الكامل + # وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم مجراها بفتح الميم وكسر الراء وكلهم ضم الميم من مرساها وقرأ الأعمش وابن مسعود مجراها ومرساها بفتح الميمين وذلك من الجري والرسو وهذه ظرفية مكان ومن ذلك قول عنترة # (فصبرت نفسا عند ذلك حرة % ترسو إذا نفس الجبان تطلع) + الكامل + # واختار الطبري قراءة مجراها بفتح الميم الأولى وضم الثانية ورجحها بقوله تعالى ^ وهي تجري ^ ولم يقرأ أحد تجري وهي قراءة ابن مسعود أيضا رواها عنه أبو وائل ومسروق) . # وقرأ ابن وثاب وأبو رجا العطارى والنخعي والجحدري والكلبي والضحاك بن مزاحم ومسلم بن جندب وأهل الشام مجريها ومرسيها وهما على هذه القراءة صفتان لله تعالى عائدتان على ذكره في قوله ^ بسم الله ^ وقوله ^ إن ربي لغفور رحيم ^ تنبيه لهم على قدر نعم الله عليهم ورحمته لهم وستره عليهم وغفرانه ذنوبهم بتوبتهم وإنابتهم . # وقوله تعالى ^ وهي تجري بهم ^ الآية روي أن السماء أمطرت بأجمعها حتى لم يكن في الهواء جانب لا مطر فيه وتفجرت الأرض كلها بالنبع فهكذا كان النقاء الماء وروي أن الماء علا على الجبال وأعلى الأرض أربعين ذراعا وقيل خمسة عشرة ذراعا وأشار الزجاج وغيره إلى أن الماء انطبق ماء الأرض وماء السماء فصار الكل كالبحر . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وأين كان الموج كالجبال على هذا وكيف استقامت حياة من في السفينة على هذا . # وقرأت فرقة ابنه على إضافة الابن إلى نوح وهذا قول من يقول هو ابنه لصلبه وقد قال قوم إنه ابن قريب له ودعاه بالنبوة حنانا منه وتلطفا وقرأ ابن عباس ابنه بسكون الهاء وهذا لغة لأزد السراة ومنه قول الشاعر # (ومطوأي مشتاقان له أرقان %) + الطويل + # وقرأ السدي ابنه قال أبو الفتح ذلك على النداء وذهبت فرقة إلى أن ذلك على جهة الندبة محكية وقرأ عروة بن الزبير أيضا وأبو جعفر وجعفر بن محمد ابنه على تقدير ابنها فحذف الألف تخفيفا وهي لغة ومنا قول الشاعر # (أما تقود شاة فتأكلها % أو أن تبيعه في نقض الأراكيب) + البسيط +

@ 174 @ # وأنشد ابن الأعرابي على هذا . # (فليست بمدرك ما فات مني % بلهف ولا بليت ولا لو أني) # يريد بلهفا . # قال القاضي أبو محمد وخطأ النحاس أبا حاتم في حذف هذه الألف وليس كما قال . # وقرأ وكيع بن الجراح ونادى نوح ابنه بضم التنوين قال أبو حاتم وهي لغة سوء لا تعرف . # وقوله ^ في معزل ^ أي في ناحية فيمكن أن يريد في معزل في الدين ويمكن أن يريد في معزل في بعده عن السفينة واللفظ يعمهما وقال مكى في المشكل ومن قال معزل بكسر الزاي أراد الموضوع ومن قال معزل بفتحها أراد المصدر فلم يصرح بأنها قراءة ولكن يقتضي ذلك لفظه . # وقرأ السبعة يا بني بكسر الياء المشددة وهي ثلاث ياءات أولاها ياء التصغير وحقها السكون والثانية لام الفعل وحقها أن تكسر بحسب ياء الإضافة إذ ما قبل ياء الإضافة مكسور والثالثة ياء الإضافة فحذفت ياء الإضافة إما لسكونها وسكون الراء وإما إذ هي بمثابة التنوين في الإعلام وهو يحذف في النداء فكذلك ياء الإضافة والحذف فيها كثير في كلام العرب تقول يا غلام يا عبيد وتبقى الكسرة دالة ثم أدغمت الياء الساكنة في الياء المكسورة وقد روي أبو بكر وحفص عن عاصم أيضا يا بني بفتح الياء المشددة وذكر أبو حاتم أن المفضل رواها عن عاصم ولذلك وجهان أحدهما أن يبدل من ياء الإضافة ألفا وهي لغة مشهورة تقول يا غلاما يا عبينا فانفتحت الياء قبل الألف ثم حذفت الألف استخفاا ولسكونها وسكون الراء من قوله ^ أركب ^ . # والوجه الثاني أن الياءات لما اجتمعت استثقل اجتماع المماثلة فخفف ذلك الإستثقال بالفتح إذ هو أخف الحركات هذا مذهب سيبويه وعلى هذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم وجواري الزبير . # وروي عن ابن كثير أنه قرأ في سورة لقمان ^ يا بني لا تشرك بالله ^ بحذف ياء الإضافة ويسكن الياء خفيفة وقرأ الثانية ^ يا بني إنها ^ كقراءة الجماعة وقرأ الثالثة ^ يا بني أقم ^ ساكنة كالأولى . # وقوله ^ ولا تكن مع الكافرين ^ يحتمل أن يكون نهي محضا مع علمه أنه كافر ويحتمل أن يكون خفي عليه كفره فناداه ألا يبقى وهو مؤمن مع الكفرة فيهلك بهلاكهم والأول آيين . # قوله عز وجل \$ سورة هود 43 - 44 \$ ظن ابن نوح أن ذلك المطر والماء على العادة وقوله ^ لا عاصم ^ قيل فيه إنه على لفظة فاعل

@ 175 @ وقوله ^ إلا من رحم ^ يريد إلا الله الراحم ف ^ من ^ كناية عن اسم الله تعالى المعنى لا عاصم اليوم إلا الذي رحما ف ^ من ^ في موضع رفع وقيل قوله ^ إلا من رحم ^ استثناء منقطع كأنه قال لا عاصم اليوم موجود لكن من رحم الله موجود وحسن هذا من جهة المعنى أن نفي العاصم يقتضي نفي المعصوم . # فهو حاصل بالمعنى . # وأما من جهة اللفظ ف ^ من ^ في موضع نصب على حد قول النابغة إلا الأواري . # ولا يجوز أن تكون في موضع رفع على حد قول الشاعر # (وبلدة ليس بها أنيس % إلا اليعاقير وإلا العيس) + الرجز + # إذ هذان أنيس ذلك الموضوع القفر والمعصوم هنا ليس بعاصم بوجه وقيل ^ عاصم ^ معناه ذو اعتصام ف ^

عاصم ^ على هذا في معنى معصوم وبجيء الاستثناء مستقيماً و ^ من ^ في موضع رفع و ^ اليوم ^ طرف وهو متعلق بقوله ^ من أمر الله ^ أو بالخبر الذي تقديره كائن اليوم ولا يصح تعلقه ب ^ عاصم ^ لأنه كان يجيء منونا لا عاصماً اليوم يرجع إلى أصل النصب لئلا يرجع ثلاثة أشياء واحدا وإنما القانون أن يكون الشيطان واحدا ^ لا ^ وما عملت فيه ومثال النوحيين في هذه المسألة لا أمراً يوم الجمعة لك فإن أعلمت في يوم لك قلت لا أمر . # و ^ بينهما ^ يريد بين نوح وابنه فكان الابن ممن غرق وقوله تعالى ^ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ^ الآية بناء الفعل للمفعول أبلغ في التعظيم والجبروت وكذلك بناء الأفعال بعد ذلك في سائر الآية وروي أن أعراباً سمع هذه الآية فقال هذا كلام القادرين والبلع هو تجرع الشيء وازدراجه فشبه قبض الأرض للماء وتسربه فيها بذلك وأمرت بالتشبيه وأضاف الماء إليها إذ هو عليها وحاصل فيها والسما في هذه الآية إما السماء المظلة وإما السحب والإقلاع عن الشيء تركه والمعنى ألقني عن الإمطار و ^ غيض ^ معناه نقص وأكثر ما يجيء فيما هو بمعنى جفوف كقوله ^ وغيض الماء ^ وكقوله ^ وما تغيض الأرحام وما تزداد ^ وأكثر المفسرين على أن ذلك في الحيض وكذلك قول الأسود بن يعفر . # (ما غيض من بصري ومن أجلاذي %) وذلك أن الإنسان الهرم إنما تنقصه بجفوف وقصافة وقوله ^ وقصني الأمر ^ إشارة إلى جميع القصة بعث الماء وإهلاك الأمم وإنجاء أهل السفينة . # وروي أن نوحاً عليه السلام ركب في السفينة من عين وردة بالشام أول يوم من رجب وقيل في العاشر منه وقيل في الخامس عشر وقيل في السابع عشر واستوتت السفينة في ذي الحجة وأقامت على ^ الجودي ^ شهراً وقيل له اهبط في يوم عاشوراء فصامه وصامه من معه من ناس ووحوش وذكر الطبري عن ابن إسحاق ما يقتضي أنه أقام على الماء نحو السنة وذكر أيضاً حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نوحاً ركب في السفينة أول يوم من رجب وصام الشهر أجمع وجرت بهم السفينة إلى يوم عاشوراء ففيه أرسى على الجودي فصامه نوح ومن معه . # وروي أن نوحاً لما طال مقامه على الماء بعث الغراب ليأتيه بخير كمال الغرق فوجد جيفة طافية فبقي عليها فلم يرجع بخير فدعا عليه نوح فسود لونه وخوف من الناس فهو لذلك مستوحش ثم بعث نوح الحمام فجاءته بورق زيتونة في فمها ول تجد تراباً تضع رجليها عليه فبقي أربعين يوماً ثم بعثها فوجدت الماء قد

@ 176 @ انحسر عن موضع الكعبة وهي أول بقعة انحسر الماء عنها فمست الطين برجليها وجاءته فعلم أن الماء قد أخذ في النضوب ودعا لها فطوقت وأنست . # فهي لذلك تألف الناس ثم أوحى الله إلى الجبال أن السفينة ترسي على واحد منها فطاولت كلها وبقي الجودي وهو جبل بالموصل في ناحية الجزيرة لم يتناول تواضعا لله فاستوتت السفينة بأمر الله عليه وبقيت عليه أعوادها وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد بقي منها شيء أدركه أوائل هذه الأمة . # وقال الزجاج ^ الجودي ^ هو بناحية أمد . # وقال قوم هو عند باقردي . # وروي أن السفينة لما استقلت من عين وردة جرت حتى جاءت الكعبة فوجدتها قد نشرت من الأرض فلم ينلها غرق فطافت بها أسبوعاً ثم مضت إلى اليمن ورجعت إلى الجودي . # قال القاضي أبو محمد والقاسم في هذه المعاني كثير صعب أن يستوفى فأشرت منه إلى نبد ويدخله الاختلاف كما ترى في أمر الكعبة والله أعلم كيف كان . # و ^ استوتت ^ معناه تمكنت واستقرت . # وقرأ جمهور الناس على الجودي بكسر الياء وشدها وقرأ الأعمش وابن أبي عمير على الجودي بسكون الياء وهما لغتان . # وقوله ^ وقيل بعداً ^ يحتمل أن يكون من قول الله تعالى عطفاً على ^ وقيل ^ الأول ويحتمل أن يكون من قول نوح والمؤمنين والأول أظهر وأبلغ . # قوله عز وجل \$ سورة هود 45 - 46 \$ هذه جملة معطوفة على التي قبلها دون ترتيب وذلك أن هذه القصة كانت في أول ما ركب نوح في السفينة ويظهر من كلام الطبري أن ذلك كان بعد غرق الابن وهو محتمل والأول أليق . # وهذه الآية احتجاج من نوح عليه السلام وذلك أن الله أمره بحمل أهله وابنه من أهله فينبغي أن يحمل فأظهر الله له أن المراد من أمن من الأهل ثم حيس المخاطبة بقوله ^ وإن وعدك الحق ^ ويقولوه ^ وأنت أحكم الحاكمين ^ فإن هذه الأقوال معينة في حجة وهذه الآية تقتضي أن نوحاً عليه السلام ظن أن ابنه مؤمن وذلك أشد الإحتمالين . # وقوله تعالى ^ قال يا نوح ^ الآية المعنى قال الله تعالى يا نوح وقالت فرقة المراد أنه ليس بولد لك وزعمت أنه كان لغية وأن امرأته الكافرة خاتمه فيه هذا قول الحسن وابن سيرين وعبيد بن عمير وقال بزري إنما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش من أجل ابن نوح وحلف الحسن أنه ليس بابنه وحلف عكرمة والضحاك أنه ابنه . # قال القاضي أبو محمد عول الحسن على قوله تعالى ^ إنه ليس من أهلك ^ وعول الضحاك وعكرمة على قوله تعالى ^ ونادى نوح ابنه ^ .

@ 177 @ وقرأ الحسن ومن تأويل تأويله ^ إنه عمل غير صالح ^ على هذا المعنى وهي قراءة السبعة سوى الكسائي وقراءة جمهور الناس وقال من خالف الحسن بن أبي الحسن المعنى ليس من أهلك الذين عمهم الوعد لأنه ليس على دينك وإن كان ابنك بالولاء . # فمن قرأ من هذه الفرقة ^ إنه عمل غير صالح ^ جعله وصفاً له بالمصدر على جهة المبالغة فوصفه بذلك كما قالت الخنساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها (# ترتع ما غفلت حتى إذا أدكرت % فإنما هي إقبال وإدبار) + البسيط + # أي ذات إقبال وإدبار . # وقرأ بعض هذه الفرقة إنه عمل غير صالح وهي قراءة الكسائي وروت هذه القراءة أم سلمة وعائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره أبو حاتم وضعف الطبري هذه القراءة وطعن في الحديث بأنه من طريق شهر بن حوشب وهي قراءة علي وابن عباس وعائشة وأنس بن مالك ورجحها أبو حاتم وقرأ بعضها إنه عمل عملاً غير صالح . # وقالت فرقة الضمير في قوله إنه عمل غير صالح على قراءة جمهور السبعة على سؤال الذي يتضمنه الكلام وقد فسره آخر الآية وبقي هذا التأويل أن في مصحف ابن مسعود إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم . # وقالت فرقة الضمير عائذ على ركوب ولد نوح معهم الذي يتضمنه سؤال نوح المعنى أن ركوب الكافر مع المؤمنين عمل غير صالح وقال أبو علي ويحتمل أن يكون التقدير أن كونك مع الكافرين وتركك الركوب معنا عمل غير صالح . # قال القاضي أبو محمد وهذا تأويل لا يتجه من جهة المعنى وكل هذه الفرق قال إن القول بأن الوليد كان لغية وولد فراش خطأ محض وقالوا إنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما زنت امرأة نبي قط . # قال القاضي أبو محمد وهذا الحديث ليس بالمعروف وإنما هو من كلام ابن عباس رضي الله عنه ويعضده شرف النبوة . # وقالوا في قوله عز وجل ^ فخاتنهما ^ إن الواحدة كانت تقول للناس هو مجنون والأخرى كانت تنبئ على الأضياف وأما غير هذا فلا وهذه منازع ابن عباس وحججه وهو قوله وقول الجمهور من الناس . # وقرأ ابن أبي مليكة فلا تسألني بتخفيف النون وإثبات الياء وسكون اللام دون همز . # وقرأت فرقة بتخفيف النون وإسقاط الياء وبالهمز فلا تسألن وقرأ أبو جعفر وشيبة بكسر النون وشدها والهمز وإثبات الياء فلا تسألني وقرأ نافع ذلك دون ياء فلا تسألن وقرأ ابن كثير وابن عامر فلا تسألن بفتح النون المشددة وهي قراءة ابن عباس وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمره والكسائي فلا تسألن خفيفة النون ساكنة اللام وكان أبو عمرو يثبت الياء في الوصل وحذفها عاصم وحمره في الوصل والوقف . # ومعنى قوله ^ فلا تسألني ما ليس لك به علم ^ أي إذ وعدتك فاعلم بقينا أنه لا خلف في الوعد فإذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك أن تقف وتعلم أن ذلك هو بحق واجب واجب عند الله . # قال القاضي أبو محمد ولكن نوحاً عليه السلام حملته شفقة النبوة وسجية البشر على التعرض

@ 178 @ لنفحات الرحمة والتذكير وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بتلطف وترفع في قوله ^ إنني أعظك أن تكون من الجاهلين ^ وقد قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ^ فلا تكونن ^ وذلك هنا بحسب الأمر الذي عوتب فيه وعظمتفه فإنه لضيق صدره بتكاليف النبوة وإلا فمتقرر أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل البشر وأولاهم بلين المخاطبة ولكن هذا بحسب الأمرين لا بحسب النبيين . # وقال قوم إنما وفر نوح لسنة . # وقال قوم إنما حمل اللفظ على محمد صلى الله عليه وسلم كما يحمل الإنسان على المختص به الحبيب إليه . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله ضعيف ويحتمل قوله ^ فلا تسألني ما ليس لك به علم ^ أي لا تطلب مني أمراً لا تعلم المصلحة فيه علم يقين ونجا إلى هذا أبو علي الفارسي وقال إن ^ به ^ يجوز أن يتعلق بلفظة ^ علم ^ كما قال الشاعر (# كان جزائي بالعصا أن أجلا %) + الرجز + # ويجوز أن يكون ^ به ^ بمنزلة فيه فتعلق الباء بالمستقر . # قال القاضي أبو محمد واختلاف هذين الوجهين إنما هو لفظي والمعنى في الآية واحد وروي أن هذا الابن إنما كان ربيبه وهذا ضعيف وحكى الطبري عن ابن زيد أن معنى قوله ^ إنني أعظك أن تكون من الجاهلين ^ في أن تعتقد أنني لا أفي لك بوعد وعدتك به . # قال القاضي أبو محمد وهذا تأويل بشع وليس في الألفاظ ما يقتضي أن نوحاً اعتقد هذا وعباداً بالله وغاية ما وقع لنوح عليه السلام أن

رأى ترك ابنه معارضا للوعد فذكر به ودعا بحسب الشفقة ليكشف له الوجه الذي استوجب به ابنه الترك في الغرقى . # قوله عز وجل \$ 47 - 49 # هذه الآية فيها إنابة نوح وتسليمه لأمر الله تعالى واستغفاره بالسؤال الذي وقع النهي عليه والاستعادة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه حاجة وطلب ملح في حجب وجه الحكمة فيه وأما السؤال في الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا . # وظاهر قوله ^ فلا تسألن ما ليس لك به علم ^ يعم التحويين من السؤال فلذلك نهيت على أن المراد أحدهما دون الآخر والخاسرون هم المغبونون حظوظهم من الخير وقوله تعالى ^ قيل

@ 179 @ كان هذا عند نزوله من السفينة مع أصحابه للانتشار في الأرض والسلام عنا السلامة والأمن ونحوه والبركات والخير والنمو في كل الجهات وهذه العدة تعم جميع المؤمنين إلى يوم القيامة قال محمد بن كعب القرظي وقوله ^ ممن معك ^ أي من ذرية من معك ومن مسلهم ف ^ من ^ على هذا هي لابتداء الغاية أي من هؤلاء تكون هذه الأمم و ^ من ^ موصولة وصلتها ^ معك ^ وما بتقدير معها نحو قولك ممن استقر معك ونحوه ثم قطع قوله ^ وأمم ^ على وجه الابتداء إذ كان أمرهم مقطوعا من الأمر الأول وهؤلاء هم الكفار إلى يوم القيامة . # وقوله تعالى ^ تلك من أنباء الغيب ^ الآية إشارة إلى القصة أي هذه من الغيوب التي تقادم عهدا ولم يبق علمها إلا عند الله تعالى ولم يكن علمها أو علم أشباهه عندك ولا عند قومك ونحن نوحيا إليك لتكون لك هداية وأسوة فيما لقيه غيرك من الأنبياء وتكون لقومك مثالا وتحذيرا لئلا يصيبهم إذا كذبوك مثل ما أصاب هؤلاء وغيرهم من الأمور المعذبة . # قال القاضي أبو محمد وعلى هذا المعنى ظهرت فصاحة قوله ^ فاصبر إن العاقبة للمتقين ^ أي فاجتهد في التبليغ وجد في الرسالة واصبر على الشدائد واعلم أن العاقبة لك كما كانت لنوح في هذه القصة . # وفي مصحف ابن مسعود من قبل هذا القرآن . # قوله عز وجل \$ 50 - 52 # وإلى عاد ^ عطف على قوله ^ إلى قومه ^ في قصة نوح و ^ عاد ^ قبيلة وكانت عربا فيما ذكر وهود عليه السلام منهم وجعله ^ أخاهم ^ بحسب النسب والقرابة فإن فرضناه ليس منهم فالأخوة بحسب المنشأ واللسان والجيرة . # وأما قول من قال هي أخوة بحسب النسب الأدمي فضعيف . # وقرأ جمهور الناس يا قوم بكسر الميم وقرأ ابن محيصن يا قوم برفع الميم وهي لغة حكاها سيويه وقرأ جمهور الناس على الرفع على النعت أو البدل من موضع قوله ^ من إله ^ . # وقرأ الكسائي وحده بكسر الراء حملا على لفظ ^ إله ^ وذلك أيضا على النعت أو البدل ويجوز غيره نصبا على الإستثناء . # و ^ مفترون ^ معناه كاذبون أفتش كذب في جعلكم الألوهية لغير الله تعالى والضمير في قوله ^ عليه ^ عائد على الدعاء إلى الله تعالى والمعنى ما أجزى وجزائي إلا من عند الله ثم وصفه بقوله ^ الذي فطرني ^ فجعلها صفة رادة عليهم في عبادتهم الأصنام واعتقادهم أنها تفعل فجعل الوصف

@ 180 @ بذلك في درج كلامه منها على أفعال الله تعالى وأنه هو الذي يستحق العبادة وفطر معناه اخترع وأنشأ وقوله ^ أفلا تعقلون ^ توفيق على مجال القول بأن غير الفاطر إله ويحتمل أن يريد ^ أفلا تعقلون ^ إذ لم أطلب عرضا من أعراض الدنيا إني إنما أريد النفع لكم والدار الآخرة والأول أظهر والاستغفار طلب المغفرة وقد يكون ذلك باللسان وقد يكون بإنابة القلب وطلب الاسترشاد والحرص على وجود المحجة الواضحة وهذه أحوال يمكن أن تقع من الكفار فكانه قال لهم اطلبوا غفران الله بالإجابة وطلب الدليل في نبوتي ثم توبوا بالإيمان من كفركم فيجيء الترتيب على هذا مستقيما وإلا احتيج في ترتيب التوبة بعد الإستغفار إلى تحيل كثير فإما أن يكون ^ توبوا ^ أمرا بالدوام والإستغفار طلب المغفرة بالإيمان وإلى هذا ذهب الطبري وقال أبو المعالي في الإرشاد التوبة في اصطلاح المتكلمين هي الندم بعد أن قال إنها في اللغة الرجوع ثم ركب على هذا إن قال إن الكافر إذا آمن ليس إيمانه توبة وإنما توبته ندمه بعد . # قال القاضي أبو محمد والذي أقول إن التوبة عقد في ترك متوب منه يتقدمها علم بفساد المتوب منه وصلاح ما يرجع إليه ويقترن بها ندم على فارتطمت التوبة منه لا ينفك منه وهو من شروطها فأقول إن إيمان الكافر هو توبته من كفره لأنه هو نفس رجوعه وتاب في كلام العرب معناه رجع إلى الطاعة والمثل من الأمور وتصرف اللفظة في القرآن بإلى يقتضي أنها الرجوع لا الندم وإنما لا حق لازم للتوبة كما قلنا وحقيقة التوبة ترك مثل ما تيب منه عن عزيمة معتقدة على ما فسرناه والله المستعان . # و ^ مدارا ^ هو بناء تكثير وكان حقه أن تلحقه هاء ولكن حذفت على نية النسب وعلى أن ^ السماء ^ المطر نفسه وهو من دريدر ومفعال قد يكون من اسم الفاعل الذي هو من ثلاثي ومن اسم الفاعل الذي هو من رباعي وقول من قال إنه ألزم للرباعي غير لازم . # وبروى أن عادا كان الله تعالى قد حبس عنها المطر ثلاث سنين وكانوا أهل حرث وبساتين وثمار وكانت بلادهم شرق جزيرة العرب فلهدأ وعدهم بالمطر ومن ذلك فرحهم حين رأوا العارض وقولهم ^ هذا عارض ممطرنا ^ وحضهم على استئزال المطر بالإيمان والإنابة وتلك عادة الله في عباده ومنه قول نوح عليه السلام استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ومنه فعل عمر رضي الله حين جعل جميع قوله في الإستسقاء ودعائه استغفاراً فسقي فسئل عن ذلك فقال لقد استنزلت المطر بمجاديح السماء . # وقوله ^ ويزدكم قوة إلى قوتكم ^ ظاهره العموم في جميع ما يحسن الله تعالى فيه إلى العباد وقالت فرقة كان الله تعالى قد حبس نسلهم فمعنى قوله ^ ويزدكم قوة إلى قوتكم ^ أي الولد ويحتمل أن خص القوة بالذكر إذ كانوا أقوى العوالم فوعدوا بالزيادة فيما بهروا فيه ثم نهاهم عن التولي عن الحق والإعراض عن أمر الله . # و ^ مجرمين ^ حال من الضمير في ^ تتولوا ^ . # قوله عز وجل \$ 53 - 56 \$

@ 181 @ # المعنى ^ ما جئنا ^ بآية تضطرنا إلى الإيمان بك ونفوا أن تكون معجزاته آية بحسب ظنهم وعماهم عن الحق كما جعلت قريش القرآن سحرا وشعرا ونحو هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر الحديث وهذا يقضي بأن هودا وغيره من الرسل لهم معجزات وإن لم يعين لنا بعضها . # وقوله ^ عن قولك ^ أي لا يكون قولك سبب تركنا إذ هو مجرد عن آية وقولهم ^ إن نقول ^ الآية معناه ما نقول إلا أن بعض الآلهة لما سببتنا وضللت عبيدنا أصابك بجنون يقال عريعر واعتري يعتري إذ ألم بالشيء فحينئذ جاهرهم هود عليه السلام بالتيري من أوثانهم وحضهم على كيدهم وأصنامهم ويذكر أن هذه كانت له معجزة وذلك أنه حرض جماعتهم عليه مع انفرادهم وقوتهم وكفرهم فلم يقدرُوا على نيله بسوء . # و ^ تنظرون ^ معناه تؤخرون أي عاجلون بما قدرتم عليه وقوله تعالى ^ إني توكلت على الله ^ الآية المعنى أن توكلني على الله الذي هو ربي وربكم من ضعفي وانفرادي وقوتكم وكثرتكم يمنعي منكم ويحجز بيني وبينكم ثم وصف قدرة الله تعالى وعظم ملكه بقوله ^ ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها ^ وعبر عن ذلك بالناصية إذ هي في العرف حيث يقبض القادر المالك ممن يقدر عليه كما يقاد الأسير والفرس ونحوه حتى صار الأخذ بالناصية عرفا في القدرة على الحيوان وكانت العرب تجز ناصية الأسير الممنون عليه لتكون تلك علامة أنه قدر عليه وقبض على ناصيته . # والدابة جميع الحيوان وخص بالذكر إذ هو صنف المخاطبين والمتكلم . # وقوله ^ إن ربي على صراط مستقيم ^ يريد أن أفعال الله عز وجل هي في غاية الإحكام وقوله الصدق ووعدته الحق فجاءت الإستقامة في كل ما ينضاف إليه عز وجل . # فغير عن ذلك بقوله ^ إن ربي على صراط مستقيم ^ على تقدير مضاف . # قوله عز وجل \$ سورة هود \$ 57 - 60 \$

@ 182 @ قرأ الجمهور تولوا بفتح اللام والتاء على معنى تتولوا وقرأ عيسى الثقفي والأعرج تولوا بضم التاء واللام و ^ إن ^ شرط والجواب في الفاء وما بعدها من قوله ^ فقد أبلغتكم ^ والمعنى أنه ما علي كبير هم منكم إن توليتهم فقد برئت ساحتني بالتبليغ وأنتم أصحاب الذنب في الإعراض عن الإيمان . # ويحتمل أن يكون ^ تولوا ^ فعلا ماضيا ويجيء في الكلام رجوع من غيبة إلى خطاب أي فقل قد أبلغكم . # وقرأ جمهور ويستخلف بضم الفاء على معنى الخير بذلك وقرأ عاصم فيما روى هبيرة عن حفص عنه ويستخلف بالجزم عطفًا على موضع الفاء من قوله ^ فقد ^ . # وقوله ^ ولا تضرونه شيئا ^ يحتمل من المعنى وجهين # أحدهما ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيئا أي لا ينتقص ملكه ولا يختل أمره وعلى هذا المعنى قرأ عبد الله بن مسعود ولا تنقصونه شيئا . # والمعنى الآخر ^ ولا تضرونه ^ أي ولا تقدرُون إذا أهلككم على إضراره بشيء ولا على الإنتصار منه ولا تقابلون فعله بكم بشيء يضره . # ثم أخبرهم أن ربه ^ حفيظ ^ على كل شيء عالم به وفي ترديد هذه الصفات ونحوها تنبيه وتذكير والأمر واحد الأمور ويحتمل أن يكون مصدر أمر يأمر أي أمرنا للريح أو لخزنتها ونحو ذلك وقوله ^ برحمة ^ إما أن يكون إخبارا مجردا عن رحمة من الله لحقتهم وإما أن

يكون قصدا إلى الإعلام أن النجاة إنما كملت بمجرد رحمة الله لا بأعماله فتكون الآية على هذا في معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله . # قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمته . # وقوله ^ ونجيناهم من عذاب غليظ ^ يحتمل أن يريد عذاب الآخرة ويحتمل أن يريد وكانت النجاة المتقدمة من عذاب غليظ يريد الريح فيكون المقصود على هذا تعديل النعمة ومشهور عذابهم بالريح هو أنها كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفها وتحمل الطعينة كما هي ونحو هذا . # وحكى الزجاج أنها كانت تدخل في أبدانهم وتخرج من أبدانهم وتقطعهم عضوا عضوا . # وتعدي ^ جحدوا ^ بحرف جر لما نزل منزلة كفرها وانعكس ذلك في الآية بعد هذا وقوله ^ وعصوا رسله ^ شنة عليهم وذلك أن في تكذيب رسول واحد تكذيب سائر الرسل وعصيانهم إذ النبوات كلها مجمعة على الإيمان بالله والإقرار بربوبيته ويحتمل أن يراد هود . # وآدم ونوح والعنيد فعيل من عند إذا عتا . # ومنه قول الشاعر # (إني كبير لا أطيق العندا %) + الرجز + # أي الصعاب من الإبل وكان التجبر والعناد من خلق عاد لقوتهم وقوله ^ وأتبعوا في هذه الدنيا

@ 183 @ لعنة (الآية حكم عليهم بهذا الحكم لكفرهم وإصرارهم حتى حل العذاب بهم واللجنة الإبعاد والخزي وقد تيقن أن هؤلاء وافوا على الكفر فيعلن الكافر الموافي على كفره ولا يلعب معين حي لا من . # كافر ولا من فاسق ولا من بهيمة كل ذلك مكروه بالأحاديث . # و ^ يوم ^ ظرف معناه أن اللعنة عليهم في الدنيا وفي يوم القيامة . # ثم ذكرت العلة الموجبة لذلك وهي كفرهم بربهم وتعدي كفر بغير الحرف إذ هو بمعنى ^ جحدوا ^ كما تقول شكرت لك وشكرتك وكفر نعمته وكفر بنعمته و ^ بعدا ^ منصوب بفعل مقدر وهو مقام ذلك الفعل . # قوله عز وجل \$ هود 61 - 62 # التقدير وأرسلنا إلى ثمود وقد تقدم القول في مثل هذا وفي معنى الأخوة في قصة هود . # وقرأ الجمهور وإلى ثمود بغير صرف وقرأ ابن وثاب والأعمش وإلى ثمود بالصرف حيث وقع فالأولى على إرادة القبيلة والثانية على إرادة الحي وفي هذه الألفاظ الدالة على الجموع ما يكثر فيه إرادة الحي كقريش وثقيف وما لا يقال فيه بنو فلان وفيها ما يكثر فيه إرادة القبيلة كتميم وتغلب آل ترى أنهم يقولون تغلب ابنة وائل وقال الطرماح # (إذا نهلت منه تميم وعلت %) + الطويل + # وقال الآخر # (تميم ابن مر وأشياعها %) + المتقارب + # وفيها ما يكثر فيه الوجود كثمود وسبأ فالقراءتان هنا فصيحتان مستعملتان . # وقرأت فرقة غيره برفع الراء وقد تقدم أنفا . # و ^ أنشأكم من الأرض ^ أي اخترعكم وأوجدكم وذلك باختراع آدم عليه السلام فكان إنشاء آدم إنشاء لبيته . # واستعمركم ^ أي اتخذكم عمارة كما تقول استكنب واستعمل . # وذهب قوم إلى أنها من العمر أي عمركم وقد تقدم مثل قوله ^ فاستغفروه ثم توبوا إليه ^ . # إن ربي قريب مجيب ^ أي إجابته وغفرانه قريب ممن آمن وأتاب و ^ مجيب ^ معناه بشرط المشيئة والظاهر الذي حكاه جمهور المفسرين أن قوله ^ مرجوا ^ معناه مسودا نؤمل فيك أن تكون سيدا سادا مسد الأكارب ثم قرروه على جهة التوبيخ في زعمهم بقولهم ^ أنتهانا ^ وحكى النقاش عن بعضهم أنه قال معناه حقيرا .

@ 184 @ # قال القاضي أبو محمد فأما أن يكون لفظ ^ مرجوا ^ بمعنى حقير فليس ذلك في كلام العرب وإنما ينتج ذلك على جهة التفسير للمعنى وذلك أن القصد بقولهم ^ مرجوا ^ يكون لقد كنت فينا سهلا مرامك قريبا رد أمرك ممن لا يظن أن يستفحل من أمره مثل هذا فمعنى مرجوا أي مرجو أطراحه وغلبته ونحو هذا فيكون ذلك على جهة الاحتقار فلذلك فسر بحقير ويشبه هذا المعنى قول أبي سفيان بن حرب لقد أمر ابن أبي كيثنة الحديث ثم يحيى قولهم ^ أنتهانا ^ على جهة التوعده والإستشناع لهذه المقالة منه . # و ^ ما بعد أبواؤنا ^ يريدون به الأوثان والأصنام ثم أوجبوا أنهم في شك من أمره وأقوابله وإن ذلك الشك يرتابون به زائدا إلى مرتبته من الشك قال القاضي ولا فرق بين هذه الحال وبين حالة التصميم على الكفر و ^ مرب ^ معناه ملبس متهم ومنه قول الشاعر # (يا قوم ما بال أبي ذؤيب % كنت إذا أنتبه من غيب) # (يشم عطفي وبمس توبي % كأنني أربته برب) + الرجز + # قوله عز وجل \$ هود 63 - 65 # قوله ^ أرايتم ^ هو من رؤية القلب أي أتدبرتم والشرط الذي بعده وجوابه يسد مسد مفعولي ^ أرايتم ^ والبينة البرهان واليقين والهاء في بيته للمبالغة ويحتمل أن تكون هاء تأنيث والرحمة في هذه الآية النبوة ما انضاف إليها وفي الكلام محذوف تقديره أضرني شككم أو أيمكنني طاعتكم ونحو هذا مما يليق بمعنى الآية . # وقوله ^ فما تزيدوني غير تخسير ^ معناه فما تعطوني فيما أفتضيه منكم من الإيمان وأطيعكم به من الإنابة غير تخسير لأنفسكم وهو من الخسارة وليس التخسير في هذه الآية إلا لهم وفي حيزهم وأضاف الزيادة إليه من حيث هو مقتضى لأقوالهم موكل بإيمانهم كما تقول لمن توصيه أنا أريد بك خيرا وأنت تريد بي شرا . # فكان الوجه البين وأنت تزيد بشرا ولكن من حيث كنت تريد خير به ومقتضى ذلك حسن أن تضيف الزيادة إلى نفسك . # وقوله تعالى ^ ويا قوم هذه ناقة الله ^ الآية اقتضب في هذه الآية ذكر أول أمر الناقة وذلك أنه

@ 185 @ روي أن قومه طلبوا منه آية تضطرهم إلى الإيمان فأخرج الله جلت قدرته لهم الناقة من الجبل وروي أنهم اقترحوا تعيين خروج الناقة من تلك الصخرة فروي أن الجبل تمخض كالحامل وانصدع الحجر وخرجت منه ناقة بفصيلها وروي أنها خرجت عشراء ووضعت بعد خروجها فوقهم صالح وقال لهم ^ هذه ناقة الله لكم آية ^ ونصب ^ آية ^ على الحال . # وقرأت فرقة تأكل بالجزم على جواب الأمر وقرأت فرقة تأكل على طريق القطع والاستئناف أو على أنه الحال من الضمير في ^ ذروها ^ . # وقوله ^ ولا تمسوها بسوء ^ عام في العقر وغيره وقوله ^ فأخذكم عذاب قريب ^ هذا بوحى من الله إليه أن قومك إذا عقروا الناقة جاءهم عذاب قريب المدة من وقت المعصية وهي الأيام الثلاثة التي فهمها صالح عليه السلام من رغاء الفصيل على جبل القارة . # وأضاف العقر إلى جميعهم لأن العاقر كان منهم وكان عن رضى منهم وتمالؤ وعاقرها قدار وروي في خبر ذلك أن صالحا أوحى الله إليه أن قومك سيعقرون الناقة وينزل بهم العذاب عند ذلك فأخبرهم بذلك فقالوا عيادا بالله أن نفعل ذلك فقال إن لم تفعلوا أنتم لك أوشك أن يولد فيكم من يفعله وقال لهم صفة عاقرها أحمر أزرق أشقر فجعلوا الشرط مع القوابل وأمروهم بتفقد الأطفال فمن كان على هذه الصفة قتل وكان في المدينة شيخان شريفان عزيزان وكان لهذا ابن ولهذا بنت فتصاهرا فولد بين الزوجين قدار على الصفة المذكورة فهم الشرط بقتله فمنع منه جده حتى كبر فكان الذي عقرها بالسيف في عراقبيها وقيل بالسهم في ضرعها وهرب فصيلها عن ذلك فصعد على جبل يقال له القارة فرغا ثلاثا فقال صالح هذا ميعاد ثلاثة أيام للعذاب وأمرهم قبل رغاء الفصيل أن يطلبوه عسى أن يصلوا إليه فيندفع عنه العذاب به فراموا الصعود إليه في الجبل فارتفع الجبل في السماء حتى ما تناله الطير وحينئذ رغا الفصيل . # وقوله ^ في داركم ^ هي جمع دارة كما تقول ساحة وساح وسوح ومنه قول أمية بن أبي الصلت # (له داع بمكة مشمعل % وآخر عند دارته بنادي) + الوافر + # ويمكن أن يسمى جميع مسكن الحي دارا والثلاثة الأيام تعجيز قاس الناس عليه الأعدار إلى المحكوم عليه ونحوه . # قال القاضي أبو محمد وذلك عندي مفترق لها في المحكوم عليه والغارم في الشفعة ونحوه توسعة وهي هنا توقيف على الخزي والتعذيب وروي قتادة عن ابن عباس أنه قال لو صعدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل . # قوله عز وجل

@ 186 @ \$ هود 66 - 68 # الأمر جائز أن يراد به المصدر من أمر وجائز أن يراد به واحد الأمور . # وقوله ^ برحمة منا ^ يحتمل أن يقصد أن النتيجة إنما كانت بمجرد الرحمة ويحتمل أن يكون وصف حال فقط أخبر أنه رحمهم في حال النتيجة . # وقوله ^ منا ^ الظاهر أنه متعلق ب ^ رحمة ^ ويحتمل أن يتعلق بقوله ^ نجينا ^ . # وقرأت فرقة ومن خزي يومئذ بتنوين خزي وفتح الميم من ^ يومئذ ^ وذلك يجوز فيه أن تكون فتحة الميم إعرابا ويجوز أن يكون بني الطرف لما أضيف إلى غير متمكن فانت مخير في الوجهين . # والروايتان في قول الشاعر # (على حين عاتبت المشيب على الصبا % وقلت ألما أصح والشيب وازع) # وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ومن خزي يومئذ بإضافة خزي وكسر الميم من ^ يومئذ ^ وهذا توسع في إضافة المصدر إلى الطرف كما قال ^ مكر الليل والنهار ^ ونحو هذا وقياس هذه القراءة أن يقال سير عليه يومئذ برفع الميم وهذه قراءتهم في قوله تعالى ^ من عذاب يومئذ ^ و ^ من فزع يومئذ ^ وقرأ عاصم وحمزة كذلك إلا في قوله ^ من فزع يومئذ ^ فإنهما نونا العين وفتحا الميم واختلفت عن نافع في كسر الميم وفتحها وهو يضيف في الوجهين وقرأ الكسائي من خزي يومئذ بترك التنوين وفتح الميم من ^ يومئذ ^ وهذا جمع بين الإضافة

وبناء الطرف . # وقرأ ^ ومن فزع ^ كعاصم وحمزة وأما إذ فكان حقها إذا ساكنة إلا أنها من حقها أن تليها الجمل فلما حذف لها ها هنا الجملة عوضت بالتونين والإشارة بقوله ^ يومئذ ^ إلى يوم التعذيب وقوله تعالى ^ وأخذ الذين ظلموا الصيحة ^ الآية روي أن صالحا عليه السلام قال لهم حين رعا الفصيل ستصفر وجوهكم في اليوم الأول وتحمر في الثاني وتسود في الثالث وتسود في الثالث فلما كان كذلك تكفونوا في الأنطاع واستعدوا للهلاك وأخذتهم صيحة فيها من كل صوت مهول صدعت قلوبهم وأصابت كل من كان منهم في شرق الأرض وغربها إلا رجلا كان في الحرم فمنعه الحرم من ذلك ثم هلك بعد ذلك ففي مصنف أبي داود قيل يا رسول الله من ذلك الرجل قالوا أبو رغال . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا نظر وخلافه في السير . # وذكر الفعل المسند إلى الصيحة إذ هي بمعنى الصباح وتأييدها غير حقيقي . # وقيل جاز ذلك وهي مؤنثة لما فصل بين الفعل وبينها . # كما قالوا حضر القاضي اليوم امرأة والأول أصوب والصيحة إنما تجيء مستعملة في ذكر العذاب لأنها فعلة تدل على مرة واحدة شاذة والصباح يدل على مصدر متناول وشذ في كلامهم قولهم لقيته لقاة واحدة والقياس لقيه و ^ جاثمين ^ أي باركين قد صعق بهم وهو تشبيه بجثوم الطير وبذلك يشبه جثوم الأنافي

@ 187 @ وجثوم الرماد . # و ^ يغنوا ^ مضارع من غني في المكان إذا أقام فيه في خفض عيش وهي المغاني وقرأ حمزة وحده ألا أن ثمود وكذلك في الفرقان والعنكبوت والنجم وصرفها الكسائي كلها . # وقوله ^ ألا بعدا لثمود ^ واختلف عن عاصم فروى عنه حفص ترك الإجراء كحمزة وروى عنه أبو بكر إجراء الأربعة وتركه في قوله ^ ألا بعدا لثمود ^ وقرأ الباقون ألا إن ثمودا فصرفت ألا بعد لثمود غير مصروف والقراءتان فصيحتان وكذلك صرفوا في الفرقان والعنكبوت والنجم . # قوله عز وجل \$ سورة هود 69 - 71 \$ # الرسل الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل . # وقالت فرقة بدل إسرافيل عزرائيل ملك الموت وروي أن جبريل منهم كان مختصا بإهلاك قرية لوط وميكائيل مختصا بتبشير إبراهيم بإسحاق . # وإسرافيل مختصا بإنجاء لوط ومن معه . # قال القاضي أبو محمد وهذه الآية تقضي باشتراكهم في البشارة بإسحاق وقالت فرقة وهي الأكثر البشرية هي بإسحاق . # وقالت فرقة البشرية هي بإهلاك قوم لوط . # وقوله ^ سلاما ^ نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر من لفظه كأنه قال أسلم سلاما ويصح أن يكون ^ سلاما حكاية لمعنى ما قالوه لا لفظهم قاله مجاهد والسدي فذلك عمل فيه القول كما تقول الرجل قال لا إله إلا الله قلت حقا أو إخلاصا ولو حكيت لفظهم لم يصح أن تعمل فيه القول وقوله ^ قال سلام ^ حكاية للفظه و ^ سلام ^ مرتفع إما على الإبتداء والخبر محذوف تقديره عليكم وإما على خبر ابتداء محذوف تقديره أمري سلام وهذا كقوله ^ فصبر جميل ^ إما على تقدير فأمرني صبر جميل وإما على تقدير فصبر جميل أجمل . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم قالوا سلاما قال سلام وقرأ حمزة والكسائي قالوا سلاما قال سلم وكذلك اختلافهم في سورة الذاريات . # وذلك على وجهين يحتمل أن يريد به السلام بعينه كما قالوا حل وجلال وحرم وحرام ومن ذلك قول الشاعر # (مررنا فقلنا إيه سلم فسلمت % كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح ^ + الطويل + # اكتل اتخذ إكليلا أو نحو هذا قال الطبري وروي كما انكل ويحتمل أن يريد بالسلم ضد الحرب تقول نحن سلم لكم .

@ 188 @ # وكان سلام الملائكة دعاء مرجوا فلذلك نصب وحيي الخليل بأحسن مما حيي وهو الثابت المتقرر ولذلك جاء مرفوعا . # وقوله ^ فما لبث أن جاء ^ يصح أن تكون ^ ما ^ نافية وفي ^ لبث ^ ضمير إبراهيم وإن جاء في موضع نصب أي بأن جاء ويصح أن تكون ^ ما ^ نافية وإن جاء بتأويل المصدر في موضع رفع ب ^ لبث ^ أي ما لبث مجيئه وليس في ^ لبث ^ على هذا ضمير إبراهيم ويصح أن يكون ^ ما ^ بمعنى الذي وفي ^ لبث ^ ضمير إبراهيم وإن جاء خبر ^ ما ^ أي فلبث إبراهيم مجيئه بعجل حنيذ وفي أدب الضيف أن يجعل قرأه من هذه الآية . # والحنيذ بمعنى المحنوذ ومعناه بعجل مشوي نضج يقطر ماؤه وهذا القطر يفصل الحنيذ من جملة المشويات ولكن هيئة المحنوذ في اللغة الذي يغطي بحجارة أو رمل محمي أو حائل بينه وبين النار يغطي به والمعرض من الشواء الذي يصفى على الجمر والمهضب الشواء الذي بينه وبين النار حائل يكون الشواء عليه لا مدفونا له والتحنيز في تضمير الخيل هو أن يغطي الفرس بجل علي جل لينتصب عرقه . # وقوله تعالى ^ فلما رأى أيديهم ^ الآية روي أنهم كانوا ينكتون بقداح كانت في أيديهم في اللحم ولا تصل أيديهم إليه وفي هذه الآية من أدب الطعام أن لصاحب الضيف أن ينظر من ضيفه هل يأكل أم لا . # قال القاضي أبو محمد وذلك ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر فروي أن أعرابيا أكل مع سليمان بن عبد الملك فرأى سليمان في لقمه الأعرابي شعرة فقال له أزل الشعرة عن لقمتك فقال له أنتظر إلي نظر من يري الشعر في لقمتي والله لا أكلت معك . # و ^ نكرهم ^ على ما ذكر كثير من الناس معناه أنكرهم واستشهد لذلك بالبيت الذي نخله أبو عمرو بن العلاء الأعشى وهو # (وأنكرتني وما كان الذي نكرت % من الحوادث إلا الشيب والصلع) + البسيط + # وقال بعض الناس نكر هو مستعمل فيما يرى بالبصر فينكر وأنكر هي مستعملة فيما لا يقرر من المعاني فكان الأعشى قال وأنكرتني مودتي وأدمتي ونحوه ثم جاء بنكر في الشيب والصلع الذي هو مرني بالبصر ومن هذا قول أبي ذؤيب . # فنكرته فنفرن وامترست به % هوجاء هادية وهاد جرشع) + الكامل + # والذي خاف منه إبراهيم عليه السلام ما يدل عليه امتناعهم من الأكل فعرف من جاء بشر أن لا يأكل طعام المنزل به و ^ أوجس ^ معناه أحس في نفسه خيفة منهم والوجيس ما يعتري النفس عند الحذر وأوائل الفرع فأمنوه بقولهم لا تخف ^ وعلم أنهم الملائكة ثم خرجت الآية إلى ذكر المرأة وبشارتها فقالت فرقة معناه ^ قائمة ^ خلف ستر تسمع محاورة إبراهيم مع أضيافه وقالت فرقة معناه ^ قائمة ^ في صلاة وقال السد معناه ^ قائمة ^ تخدم القوم وفي قراءة ابن مسعود وهي قائمة وهو جالس . # وقوله

@ 189 @ # فضحكت ^ قال مجاهد معناه حاضت وأنشد على ذلك اللغويون # (وضحك الأرناب فوق الصفا % كمثل دم الجوق يوم اللقاء) # وهذا القول ضعيف قليل التمكن وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت وقرره بعضهم ويقال ضحك إذا امتلأ وقاض ورد الزجاج قول مجاهد وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلف مم ضحكت فقالت فرقة ضحكت من تأمينهم لإبراهيم بقولهم لا تخف . # وقال قتادة ضحكت هزوا من قوم لوط أن يكونوا على غفلة وقد نفذ من أمر الله تعالى فيهم ما نفذ . # وقال وهب بن منبه ضحكت من البشارة بإسحاق وقال هذا مقدم بمعنى التأخير وقال محمد بن قيس ضحكت لطنها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط قال القاضي وهذا قول خطأ لا ينبغي أن يلتفت إليه وقد حكاها الطبري وإنما ذكرته لمعنى التنبيه على فساده وقالت فرقة ضحكت من فزع إبراهيم من ثلاثة وهي تعهده يغلب الأربعين من الرجال وقيل المائة . # وقال السدي ضحكت من أن تكون هي تخدم وإبراهيم يحفد ويسعى والأضياف لا يأكلون . # وقيل ضحكت سرورا بصدق ظنها لأنها كانت تقول لإبراهيم إنه لا بد أن ينزل العذاب بقوم لوط وروي أن الملائكة مسحت العجل فقام حيا فضحكت لذلك . # وقرأ محمد بن زياد الأعرابي فضحكت بفتح الحاء . # وامرأة إبراهيم هذه هي سارة بنت هارون بن ناحور وهو إبراهيم بن أزر بن ناحور فهي ابنة عمه وقيل هي أخت لوط . # قال القاضي أبو محمد وما أظن ذلك إلا أخوة القرابة لأن إبراهيم هو عم لوط فيما روي وذكر الطبري أن إبراهيم لما قدم العجل قالوا له إنا نأكل طعاما إلا بثمن فقال لهم ثمنه أن تذكروا الله تعالى عليه في أول وتحمدوه في آخر فقال جبريل لأصحابه بحق اتخذ الله خيلا . # وقوله ^ فبشرناها ^ أضاف فعل الملائكة إلى ضمير اسم الله تعالى إذ كان بأمره ووجهه وبشر الملائكة سارة ^ بإسحاق ^ وبأن إسحاق سيولد يعقوب ويسمى ولد الولد الولد من الوراء وهو قريب من معنى وراء في الظروف إذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده ورأى ابن عباس رجلا معه شاب فقال له من هذا فقال له ولد ولدي فقال هو ولدك من الوراء فغضب الرجل فذكر له ابن عباس الآية . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي يعقوب بالرفع على الإبتداء والخبر المقدم وهو على هذا دخل في البشرية وقالت فرقة رفعه على القطع بمعنى ومن وراء إسحاق يحدث يعقوب وعلى هذا لا يدخل في البشارة وقرأ ابن عامر وحمزة يعقوب بالنصب واختلف عن عاصم فمنهم من جعله معطوفا على ^ إسحاق ^ إلا أنه لم ينصرف واستسهل هذا القائل أن فرق بين حرف العطف والمعطوف بالمجرور وسيبويه لا يجيز هذا إلا على إعادة حرف الجر وهو كما تقول مررت بزبد اليوم وأمس عمرو فالوجه

@ 190 @ عنده وأمس بعمره وإذا لم يعد فيه كبير قبيح والوجه في نصبه أن ينتصب بفعل مضمّر تدل عليه البشارة وتقديره ومن وراء إسحاق وهبنا يعقوب وهذا رجح أبو علي . # قال القاضي أبو محمد وروي أن سارة كانت في وقت هذه البشارة بنت تسع وتسعين سنة وإبراهيم ابن مائة سنة . # وهذه الآية تدل على أن الذبيح هو إسماعيل وأنه أسن من إسحاق وذلك أن سارة كانت في وقت إعدام الملك الجائر هاجر أم إسماعيل امرأة شابة جميلة حسيما في الحديث فاتخذها إبراهيم عليه السلام أم ولد فغارت بها سارة فخرج بها وبابنها إسماعيل من الشام على البراق وجاء من يومه مكة فتركهما حسيما في السير وانصرف إلى الشام من يومه ثم كانت البشارة بإسحاق وسارة عجوز متجالة وأما وجه دلالة الآية على أن إسحاق ليس بالذبيح فهو أن سارة وإبراهيم بشرا بإسحاق وأنه يولد له يعقوب ثم أمر بالذبح حين بلغ ابنه معه السعي فكيف يؤمر بذبح ولد قد بشر قبل أنه سيولد لابنه ذلك وأيضا فلم يقع قط في أثر أن إسحاق دخل الحجاز وإجماع أن أمر الذبح كان بمنى ويؤيد هذا الغرض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين يريد أباه عبد الله وأباه إسماعيل ويؤيده ما نزع به مالك رحمه الله من الاحتجاج برتبة سورة الصافات فإنه بعد كمال أمر الذبيح قال ^ وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ^ . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا كله موضع معارضة لفائل القول الآخر إن الذبيح هو إسحاق ولكن هذا الذي ذكرناه هو الأرجح والله أعلم . # قوله عز وجل \$ سورة هود 72 - 73 \$ # اختلف الناس في الألف التي في قوله ^ يا ويلتي ^ وأظهر ما فيها أنها بدل ياء الإضافة أصلها يا ويلتي كما تقول يا غلاما يا غوثا وقد تردف هذه الألف بهاء في الكلام ولم يقرأ بها وأمال هذه الألف عاصم والأعمش وأبو عمرو . # ومعنى ^ يا ويلتي ^ في هذا الموضع العبارة عما دهم النفس من العجب في ولادة عجوز وأصل هذا الدعاء بالويل ونحوه في التفجع لشدة أو مكروه بهم النفس ثم استعمل بعد في عجب يدهم النفس وقال قوم إنما قالت ^ يا ويلتي ^ لما مر بفكرها من ألم الولادة وشدها ثم رجعت بفكرها إلى التعجب ونطقت بقولها ^ ألد وأنا عجوز ^ الآية . # وقرأت فرقة ألد بتحقيق الهمزتين وقرأت فرقة بتحقيق الأولى وتحقيق الثانية وفي النطق بهذه

@ 191 @ عسر وقرأت فرقة بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية والتخفيف هنا مدحا وقرأت فرقة ٤ ألد بتحقيق الهمزتين ومدة بينهما . # والعجوز المسنة وقد حكى بعض الناس أن العرب تقول العجوزة والبعيل الزوج و ^ شيخا ^ نصب علي الحال وهي حال من مشار إليه لا يستغنى عنها لأنها مقصود الإخبار وهي لا تصح إلا إذا لم يقصد المتكلم التعريف بذى الحال مثل أن يكون المخاطب يعرفه وأما إذا قصد التعريف به لزم أن يكون التعريف في الخبر قبل الحال وتجيء الحال على بابها مستغنى عنها ومثال هذا قولك هذا زيد قائما إذا أردت التعريف بزید . # أو كان معروفا وأردت التعريف بقيامه وأما إن قصد المتكلم أن يزيدته إنما هي مادام قائما فالكلام لا يجوز . # وقرأ الأعمش هذا بعلي شيخ قال أبو حاتم وكذلك في مصحف ابن مسعود ورفع على وجوه منها أنه خبر بعد خبر كما تقول هذا حلو حامض ومنها أن يكون خبر ابتداء مضمّر تقديره هو شيخ وروي أن بعض الناس قرأه وهذا بعلي هذا شيخ وهذه القراءة شبيهة بهذا التأويل . # ومنها أنه بدل من ^ بعلي ^ ومنها أن يكون قولها ^ بعلي ^ بدلا من ^ هذا ^ أو عطف بيان عليه ويكون شيخ خبر ^ هذا ^ . # ويقال شيخ وشيخة وبعض العرب يقول في المذكر والمؤنث شيخ . # وروي أن سارة كانت وقت هذه المقالة من تسع وتسعين سنة وقيل من تسعين قاله ابن إسحاق وقيل من ثمانين وكذلك قيل في سن إبراهيم أنه كان مائة وعشرين سنة وقيل مائة سنة وغير ذلك مما يحتاج إلى سند . # والضمير في قوله ^ قالوا ^ للملائكة وقوله ^ من أمر الله ^ يحتمل أن يريد واحد الأمور أي من الولادة في هذه السن ويحتمل أن يريد مصدر أمر أي مما أمر الله في هذه النازلة . # وقوله ^ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ^ يحتمل اللفظ أن يكون دعاء وأن يكون إخبارا وكونه إخبارا أشرف لأن ذلك يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم وكونه دعاء إنما يقتضي أنه أمر يترجى ولم يتحصل بعد . # ونصب ^ أهل البيت ^ على الاختصاص هذا مذهب سيبويه ولذلك جعل هذا والنصب على المدح في باين . # كأنه ميز النصب على المدح بأن يكون المنتصب لفظا يتضمن بنفسه مدحا كما تقول هذا زيد عاقل قومه وجعل الإختصاص إذا لم تتضمن اللفظة ذلك كقوله إنا معاشر الأنبياء وإنا بني نهمشل . # قال القاضي أبو محمد ولا يكون الإختصاص إلا بمدح أو ذم لكن ليس في نفس اللفظة المنصوبة . # وهذه الآية تعطي أن زوجة الرجل من أهل بيته لأنها خوطبت بهذا فيقول القول في زوجات النبي عليه السلام بأنهن من أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس بخلاف ما تذهب إليه الشيعة وقد قاله أيضا بعض أهل العلم قالوا أهل بيته الذين حرّموا الصدقة والأول أقوى وهو ظاهر جلي من سورة

@ 192 @ الأحزاب لأنه ناداهن بقوله ^ يا نساء النبي ^ ثم بقوله ^ أهل البيت ^ . # قال القاضي أبو محمد ووقع في البخاري عن ابن عباس قال أهل بيته الذين حرّموا الصدقة بعده فأراد ابن عباس أهل بيت النسب الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم إن الصدقة لا تجل لأهل بيتي إنما هي أوساخ الناس . # و ^ البيت ^ في هذه الآية وفي سورة الأحزاب بيت السكنى ففي اللفظ اشتراك ينبغي أن يتحسس إليه . # ففاطمة رضي الله عنها من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم بالوجهين وعلي رضي الله عنه بالواحد وزوجاته بالآخر وأما الشيعة فيدفعون الزوجات بغضا في عائشة رضي الله عنها . # و ^ حميد ^ أي أفعاله تقتضي أن يحمد و ^ مجيد ^ أي متصف بأوصاف العلو ومجد الشيء إذا حسنت أوصافه . # قوله عز وجل \$ سورة هود 74 - 76 \$ # الروع ^ الفرع والخيفة التي تقدم ذكرها وكان ذهابه بإخبارهم إياه أنهم ملائكة . # و ^ البشرية ^ تحتمل أن يريد الولد ويحتمل أن يريد البشرية بأن المراد غيره والأول أبين . # وقوله ^ يجادلنا ^ فعل مستقيل جائز أن يسد مسد الماضي الذي يصلح لجواب ^ لما ^ لا سيما والإشكال مرتفع بمضي زمان الأمر ومعرفة السامعين بذلك ويحتمل أن يكون التقدير ظل أو أخذ ونحوه يجادلنا فحذف اختصارا لدلالة ظاهر الكلام عليه ويحتمل أن يكون قوله ^ يجادلنا حالا من ^ إبراهيم ^ أو من الضمير في قوله ^ جاءت ^ ويكون جواب ^ لما ^ في الآية الثانية قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا واختار هذا أبو علي والمجادلة المقابلة في القول والحجج وكأنها أعم من المخاصمة فقد يجادل من لا يخاصم كإبراهيم . # وفي هذه النازلة وصف إبراهيم بالحلم قيل إنه لم يغضب قط لنفسه إلا أن يغضب لله . # والحلم العقل إلا إذا انضاف إليه أناة واحتمال . # وال ^ أواه ^ معناه الخائف الذي يكثر التأوه من خوف الله تعالى ويروي أن إبراهيم عليه السلام كان يسمع وجيب قلبه من الخشية قيل كما تسمع أجنحة النور وللمفسرين في الأواه عبارات كلها ترجع إلى ما ذكرته وتلزمه . # وال ^ منيب ^ الرجاء إلى الله تعالى في كل أمره . # وصورة جدال إبراهيم عليه السلام كانت أن قال إبراهيم إن كان فيهم مائة مؤمن تعذبونهم قالوا لا . # قال أفتسعون قالوا لا . # قال أفتمانون فلم يزل كذلك حتى بلغ خمسة ووقف عند ذلك وقد عد في بيت لوط امرأته فوجدهم ستة بها فظمعت في نجاتهم ولم يشعر أنها من الكفرة وكان ذلك من إبراهيم حرصا على إيمان تلك الأمة ونجاتها وقد كثر اختلاف رواة المفسرين لهذه الأعداد في قول إبراهيم عليه السلام والمعنى كله نحو مما ذكرته وكذلك ذكروا أن قوم لوط كانوا أربعمائة ألف في خمس قرى .

@ 193 @ وقالت فرقة المراد ^ يجادلنا ^ في مؤمني قوم لوط وهذا ضعيف وأمره بالإعراض عن المجادلة يقتضي أنها إنما كانت في الكفرة حرصا عليهم والمعنى قلنا يا إبراهيم أعرض عن المجادلة في هؤلاء القوم والمراجعة فيهم فقد نفذ فيهم القضاء و ^ جاء أمر ربك ^ الأمر هنا واحد الأمور بقرينة وصفه بالمجيء فإن جعلناه مصدر أمر قدرنا حذف مضاف أي جاء مقتضى أمر ربك ونحوه هذا وقوله ^ أتيتهم عذاب ^ ابتداء وخبر جملة في موضع خبر إن وقيل ^ أتيتهم ^ خبر إن فهو اسم فاعل معتمد و ^ عذاب ^ فاعل ب (أتيتهم) . # وهذه الآية مقتضية أن الدعاء إنما هو أن يوفق الله الداعي أي طلب غير المقذور فأما الدعاء في طلب غير المقذور فغير مجد ولا نافع . # قوله عز وجل \$ سورة هود 77 - 80 \$ # الرسل هنا هم الملائكة الذين كانوا أضياف إبراهيم عليه السلام وذلك أنهم لما خرجوا إلى بلد لوط وبينه وبين قرية إبراهيم ثمانية أميال وصلوه فقبل وجدوا لوطا في حرث له وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم وهي أكبر حواضر قوم لوط فسألوها الدلالة على من يضيفهم ورأت هيتهم فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت إلى أبيها فأخبرته فخرج إليهم فقالوا له نريد أن تصيفنا الليلة فقال لهم أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا وما عملهم فقال أشهد بالله لهم شر قوم في الأرض وقد كان الله عز وجل قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما قال لوط هذه قال جبريل لأصحابه هذه واحدة وتردد القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات ثم دخل لوط بهم المدينة وحينئذ ^ سيء بهم ^ أي أصابه سوء و ^ سيء ^ فعل بني للمفعول و ^ الذرع ^ مصدر مأخوذ من الذراع ولما كان الذراع

موضع قوة الإنسان قيل في الأمر الذي لا طاقة له به ضاق بهذا الأمر ذراع فلان وذرع فلان أي حيلته بذراعه وتوسعوا في هذا حتى قلبوه فقالوا فلان رحب الذراع إذا وصفوه بانساع القدرة ومنه قول الشاعر # (يا سيد ما أنت من سيد % موطأ الأكناف رحب الذراع) . # وقوله ^ هذا يوم عصيب ^ أشار به إلى ما كان يتخوفه من تعدي قومه على أضيافه واحتياجه إلى المدافعة مع ضعفه عنها و ^ عصيب ^ بناء اسم فاعل معناه يعصب الناس بالشكر كما يعصب الخابط السلمة إذا أراد خبطها ونفض ورقها ومنه قول الحجاج في خطبته ولأعصنكم عصب السلمة فهو من

@ 194 @ العصابة ثم كثر وصفهم اليوم بعصيب ومنه قول الشاعر وهو عدي بن زيد # (وكنت لزاز خصمك لم أعرد % وقد سلوكوك في يوم عصيب) + الوافر + # ومنه قول الآخر # (فإنك إلا ترض بكر بن وائل % يكن لك يوم بالعراق عصيب) + الطويل + # ف (عصيب) بالجملة في موضع شديد وضعب الوطأة واشتقاقه كما ذكرنا . # وقوله تعالى ^ وجاءه قومه ^ الآية روي أن امرأة لوط الكافرة لما رأت الأضياف ورات جمالهم وهيتهم خرجت حتى أتت مجالس قومها فقالت لهم إن لوطاً أضاف الليلة فتيه ما ريء مثلهم جمالا وكذا وكذا فحينئذ جاءوا ^ يهرعون إليه ^ ومعناه يسرعون والأهراع هو أن يسرع أمر بالإنسان حتى يسير بين الخيب والخمر فهي مشية الأسير الذي يسرع به والطامع المبادر إلى أمر يخاف فوته ونحو هذا يقال هرع الرجل وأهرعه طمع أو عدو أو خوف ونحوه . # والقراءة المشهورة يهرعون بضم الباء أي يهرعون الطمع وقرأت فرقة يهرعون بفتح الباء من هرع ومن هذه اللفظة قول مهلهل # (فجاءوا يهرعون وهم أسارى % تقودهم على رعم الأنوف) + الوافر + # وقوله ^ ومن قبل كانوا يعملون السيئات ^ أي كانت عاداتهم إتيان الفاحشة في الرجال فجاءوا إلى الأضياف لذلك فقام إليهم لوط مدافعا وقال ^ هؤلاء بناتي ^ فقالت فرقة أشار إلى بنات نفسه وندبهم في هذه المقالة إلى النكاح وذلك على أن كانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة أو على أن في ضمن كلامه أن يؤمنوا . # وقالت فرقة إنما كان الكلام مدافعة لم يرد إمضاؤه روي هذا القول عن أبي عبيدة وهو ضعيف وهذا كما يقال لمن ينهى عن مال الغير الخنزير أحل لك من هذا وهذا التنطع ليس من كلام الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وقالت فرقة أشار بقوله ^ بناتي ^ إلى النساء جملة إذ نبي القوم أب لهم ويقوي هذا أن في قراءة ابن مسعود ^ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ^ وهو أب لهم وأشار أيضا لوط في هذا التأويل إلى النكاح . # وقرأت فرقة هي الجمهور هن أظهر برفع الرءاء على خير الإبتداء وقرأ الحسن وعيسى بن عمر ومحمد بن مروان وسعيد بن جبير أظهر بالنصب قال سيبويه هو لحن قال أبو عمرو بن العلاء احتبى فيه ابن مروان في لحنه ووجهه عند من قرأ به النصب على الحال بأن يكون ^ بناتي ^ ابتداء و ^ هن ^ خبره والجملة خبر ^ هؤلاء ^ . # قال القاضي أبو محمد وهو إعراب مروى عن المبرد وذكره أبو الفتح وهو خطأ في معنى الآية وإنما قوم اللفظ فقط والمعنى إنما هو في قوله ^ أظهر ^ وذلك قصد أن يخبر به فهي حال لا يستغنى عنها كما تقدم في قوله ^ وهذا بعلي شيئا ^ والوجه أن يقال ^ هؤلاء بناتي ^ ابتداء وخبر و ^ هن ^ فصل و ^ أظهر ^ حال وإن كان شرط الفصل أن يكون بين معرفتين ليفصل الكلام من النعت إلى

@ 195 @ الخبر فمن حيث كان الخبر هنا في ^ أظهر ^ ساغ القول بالفصل ولما لم يستغ ذلك أبو عمرو ولا سيبويه لحن ابن مروان وما كانا ليذهب عليهما ما ذكر أبو الفتح والضيف مصدر يوسف به الواحد والجماعة والمذكر والمؤنث ثم وبخهم بقوله ^ ليس منكم رجل رشيد ^ أي يزعمكم ويردكم . # وقوله تعالى ^ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ^ الآية روي أن قوم لوط كانوا قد خطبوا بنات لوط فردهم وكانت سنتهم أن من رد في خطبه امرأة لم تحل له أبدا فلذلك قالوا ^ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ^ . # قال القاضي أبو محمد وبعد أن تكون هذه المخاطبة فوجه الكلام إنما ليس لنا إلى بناتك تعلق ولا هم قصدنا ولا لنا عادة نطلبها في ذلك وقولهم ^ وإنك لتعلم ما نريد ^ إشارة إلى الأضياف فلما رأى استمرارهم في غيهم وغلبيتهم وضعفه عنهم قال على جهة التفعج والإستكانة ^ لو أن لي بكم قوة ^ و ^ أن ^ في موضع رفع بفعل مضمر تقديره لو اتفق أو وقع ونحو هذا وهذا مطرد في أن التابعة للو وجواب ^ لو ^ محذوف وحذف مثل هذا أبلغ لأنه يدع السامعين ينتهي إلى أبعد تخيلاته والمعنى لفعلت كذا وكذا . # وقرأ جمهور أو أوى بسكون الباء وقرأ شيبه وأبو جعفر أو أوى بالنصب التقدير أو أن أوى فتكون أن مع أوى بتأويل المصدر كما قالت ميسون بنت بحدل # (لبس عباءة وتقر عيني %) # ويكون ترتيب الكلام لو أن لي بكم قوة أو أوبا وأوى معناه لجأ وانضوي ومراد لوط عليه السلام بال ^ ركن ^ العشيرة والمنعة بالكثرة وبلغ به قبيح فعلهم إلى هذا مع علمه بما عند الله تعالى فيروى أن الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمات وقالوا إن ركنك لشديد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان بأوي ^ إلى ركن شديد ^ فالعجب منه لما استكان . # قال القاضي أبو محمد وهذا نقد لأن لفظ بهذه الألفاظ وإلا فحالة النبي صلى الله عليه وسلم وقت طرح سلا الجزور ومع أهل الطائف وفي غير ما موطن تقتضي مقالة لوط لكن محمدا صلى الله عليه وسلم لم ينطق بشيء من ذلك عزامة منه ونجدة وإنما خشى لوط أن يمهل الله أولئك العصابة حتى يعصوه في الأضياف كما أمهلهم فيما قبل ذلك من معاصيهم فتمنى ركننا من البشر يعالجهم به وهو يعلم أن الله تعالى من وراء عقابهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبعث الله تعالى بعد لوط نبيا إلا في ثروة من قومه أي في منعة وعزة . # قوله عز وجل \$ سورة هود \$ 81 # الضمير في ^ قالوا ^ ضمير الملائكة ويروى أن لوطا لما غلبوه وهموا بكسر الباب وهو يمسه قالت

@ 196 @ له الرسل تتج عن الباب فتتحى وانفتح الباب فضر بهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم وعموا وانصرفوا على عقابهم يقولون النجاء فعند لوط قوم سحرة وتوعدوا لوطا ففزع حينئذ من وعيدهم فحينئذ قالوا له ^ إنا رسل ربك ^ فأمن ذكر هذا النقاش وفي تفسير غيره ما يقتضي أن قولهم ^ إنا رسل ربك ^ كان قبل طمس العيون ثم أمره بالسرى وأعلموه أن العذاب نازل بالقوم فقال لهم لوط فعذبوهم الساعة قالوا له ^ عن موعدهم الصبح ^ أي بهذا أمر الله ثم أنسوه في قلبه بقولهم ^ ليس الصبح بقریب ^ . # وقرأ نافع وابن كثير فأسر من سرى إذا سار في أثناء الليل وقرأ الباقون فاسر إذا سار في أول الليل والقطع القطعة من الليل ويحتمل أن لوطا أسرى بأهله من أول الليل حتى جاوز البلد المقتلع ووقعت نجاته بسحر فتجتمع هذه الآية مع قوله ^ إلا آل لوط نجيباهم بسحر ^ وبيت النابغة جمع بين الفعلين في قوله # (أسرت عيه من الجوزاء سارية % تزجي الشمال عليه جامد البرد) + البسيط + # فذهب قوم إلى أن سرى وأسرى بمعنى واحد واحتجوا بهذا البيت . # قال القاضي أبو محمد وأقول إن البيت يحتمل المعنيين وذلك أظهر عندي لأنه قصد وصف هذه الديمة وأنها ابتدأت من أول الليل وقت طلوع الجوزاء في الشتاء . # وقرأ ابن كثير وأبو عمرو إلا امرأتك بالرفع على البدل من ^ أحد ^ وهذا هو الأوجه إذا استثنى من منفي كقولك ما جاءني أحد إلا زيد وهذا هو استثناء الملتفتين وقرأ الباقون إلا امرأتك بالنصب ورات ذلك فرقة من النحاة الوجه في الاستثناء من منفي إذ الكلام المنفي في هذا مستقل بنفسه كالموجب فإذا هو مثله في الاستقلال فحكمه كحكمه في نصب المستثنى وتأولت فرقة ممن قرأ إلا امرأتك بالنصب أن لاستثناء وقع من الأهل كأنه قال فاسر بأهلك إلا امرأتك . # وعلى هذا التأويل لا يكون إلا النصب وقال أبو عبيد القاسم بن سلام لو كان الكلام ولا يلفت بالرفع لصح الرفع في قوله إلا امرأتك ولكنه نهى فإذا استثنيت المرأة من ^ أحد ^ وجب أن تكون المرأة أيج لها الإلتفات فيفسد معنى الآية . # قال القاضي أبو محمد وهذا الاعتراض حسن يلزم الاستثناء من ^ أحد ^ رفعت التاء أو نصبت والانفصال عنه يترتب بكلام حكى عن المرد وهو أن النهي إنما قصد به لوط وحده والإلتفات منفي عنهم بالمعنى أي لا تدع أحدا منهم يلفت وهذا كما تقول لرجل لا يغم من هؤلاء أحد إلا زيد وأولئك لم يسمعونك فالمعنى لا تدع أحدا من هؤلاء يقوم والقيام بالمعنى منفي عن المشار إليهم . # قال القاضي أبو محمد وجملة هذا أن لفظ الآية هو لفظ قولنا لا يغم أحدا إلا زيد ونحن نحتاج أن يكون معناها معنى قولنا لا يغم أحد إلا زيد وذلك اللفظ لا يرجع إلى هذا المعنى إلا بتقدير ما حكيناه عن المبرد فتدبره . # وبظهر من مذهب أبي عبيد أن الإستثناء إنما هو من الأهل . # وفي مصحف ابن مسعود فاسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وسقط قوله ^ ولا يلفت

@ 197 @ منكم أحد) . # والظاهر في ^ يلفت ^ أنها من التفات البصر وقالت فرقة هي من لفت الشيء يلفته إذا ثناه ولواه

فمعناه ولا يتنبط . # وهذا شاذ مع صحته وفي كتاب الزهراوي أن المعنى ولا يلتفت أحد إلى ما خلف بل يخرج مسرعا مع لوط عليه السلام وروي أن امرأة لوط لما سمعت الهدية ردت بصرها وقالت واقوماه فاصابها حجر فقتلها . # وقرأت فرقة الصبح بضم الباء . # قوله عز وجل \$ سورة 82 - 83 \$ # روي أن جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء الدنيا صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم أرسلها معكوسة وأتبعهم الحجارة من السماء وروي أن جبريل عليه السلام أخذهم بخوافي جناحه وپروي أن مدينة منها نجيت كانت مختصة بلوط عليه السلام يقال لها زغر . # و أمرنا ^ في هذه الآية يحتمل أن يكون مصدرا من أمر ويكون في الكلام حذف مضاف تقديره مقتضى أمرنا ويحتمل أن يكون واحد الأمور والضمير في قوله ^ عاليها سافلها ^ للمدن واجري ^ أمطرنا ^ عليها كذلك والمراد على أهلها وروي أنها الحجارة استوفت منهم من كانوا خارج مدنهم حتى قتلهم أجمعين . # وروي أنه كان منهم في الحرم رجل فبقي حجره معلقا في الهواء حتى خرج من الحرم فقتله الحجر وأمطر أبدا إنما يستعمل في المكروه ومطر يستعمل في المحبوب هذا قول أبي عبيدة . # قال القاضي أبو محمد وليس كذلك وقوله تعالى ^ هذا عارض ممطرنا ^ يرد هذا القول لأنهم إنما ظنوه معتاد الرحمة وقوله ^ من سجيل ^ اختلف فيه فقال ابن زيد ^ سجيل ^ اسم السماء الدنيا . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف ويرده وصفه ب ^ منضود ^ . # وقالت فرقة هو مأخوذ من لفظ السجل أي هي من أمر كتب عليهم . # قال القاضي أبو محمد وهذا بعيد وقالت فرقة هو مأخوذ من السجل إذا أرسل الشيء كما يرسل السجل وكما تقول قالها مسجلة . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وقالت فرقة ^ من سجيل ^ معناه من جهنم لأنه يقال سجيل وسجين حفظ فيها بدل النون لاما كما قالوا أصيلا وأصيلان . # وقالت فرقة ^ سجيل ^ معناه شديد وأنشد الطبري في ذلك ابن مقبل # (ضربا توأصى به الأبطال سجيلا %)

@ 198 @ والبيت في قصيدة نونية سجينا وقالت فرقة ^ سجيل ^ لفظة أصلها غير عربية عربت أصلها سنج وكل . # وقيل غير هذا في أصل اللفظ . # ومعنى هذا اللفظ ماء وطين . # هذا قول ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة والسدي وغيرهم وذهبت هذه الفرقة إلى أن الحجارة التي رموا بها كانت كالأجر المطبوخ كانت من طين قد تجر نص عليه الحسن . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول يشبهه . # وهو الصواب الذي عليه الجمهور . # وقالت فرقة معنى ^ سجيل ^ حجر مخلوط بطين أي حجر وطين . # قال القاضي أبو محمد ويمكن أن يرد هذا إلى الذي قبله لأن الأجر وما جرى مجراه يمكن أن يقال فيه حجر وطين لأنه قد أخذ من كل واحد منهما بحظه . # هي طين من حيث هو أصلها . # وحجر من حيث صلبت . # و ^ منضود ^ معناه بعضه فوق بعض . # أي تتابع وهي صفة ل ^ سجيل ^ وقال الربيع بن أنس نضده إنه في السماء منضود معد بعضه فوق بعض . # و ^ مسومة ^ معناه معلمة بعلامة فقال عكرمة وقتادة إنه كان فيها بياض وحمرة ويحكى أنه كان في كل حجر اسم صاحبه وهذه اللفظة هي من سوم إذا علم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر سوموا فقد سومت الملائكة . # ويحتمل أن تكون ^ مسومة ^ ها هنا بمعنى مرسله وسومها من الهبوط . # وقوله ^ وما هي ^ إشارة إلى الحجارة . # و ^ الظالمين ^ قيل يعني قريشا . # وقيل يريد عموم كل من اتصف بالظلم وهذا هو الأصح لأنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون في أمتي خسف ومسح وقذف الحجارة) وقد ورد أيضا حديث إن هذه الأمة بمنجاة من ذلك . # وقيل يعني ب ^ هي ^ المدن ويكون المعنى الإعلام بأن هذه البلاد قريبة من مكة والأول أبين وروي أن هذه البلاد كانت بين المدينة والشام وحكى الطبري في تسمية هذه المدن صيغة وصعدة وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمى . # قوله عز وجل \$ سورة هود 84 - 86 \$ # التقدير ^ وإلى مدين أرسلنا ^ أخاهم شعيبا ^ واختلف في لفظة ^ مدين ^ فقيل هي بقعة فالتقدير على هذا وإلى أهل مدين كما قال ^ وأسأل القرية ^ وقيل كان هذا القطر في

@ 199 @ ناحية الشام وقيل ^ مدين ^ اسم رجل كانت القبيلة من ولده فسميت باسمه و ^ مدين ^ لا ينصرف في الوجهين حكى النقاش أن ^ مدين ^ هو ولد إبراهيم الخليل لصلبه . # قال القاضي أبو محمد وهذا بعيد وقد قيل إن ^ شعيبا ^ عربي فكيف يجتمع هذا وليس للعرب اتصال بإبراهيم إلا من جهة إسماعيل فقط ودعاء شعيب إلى عبادة الله يقتضي أنهم كانوا يعبدون الأوثان وذلك بين من قولهم فيما بعد وكفرهم هو الذي استوجبوا به العذاب لا معاصيهم فإن الله لم يعذب قط أمة إلا بالكفر فإن انضافت إلى ذلك معصية كانت تابعة وأعني بالعذاب عذاب الإستئصال العام وكانت معصية هذه الأمة الشنيعة أنهم كانوا تواطأوا أن يأخذوا ممن يرد عليهم من غيرهم واقيا ويعطوا ناقصا في وزنهم وكيهلم فنهائم شعيب بوحي الله تعالى عن ذلك ويظهر من كتاب الزجاج أنهم كانوا تراضوا بينهم بأن يخس بعضهم بعضا . # وقوله ^ بخير ^ قال ابن عباس معناه في رخص من الأسعار و ^ عذاب اليوم المحيط ^ هو حلول الغلاء المهلك . # وينظر هذا التأويل إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما نقص قوم المكيال والميزان إلا ارتفع عنهم الرزق وقيل لهم قوله ^ بخير ^ عام في جميع نعم الله تعالى و ^ عذاب اليوم ^ هو الهلاك الذي حل بهم في آخر وجميع ما قيل في لفظ خير منحصر فيما قلناه . # ووصف اليوم بالإحاطة وهي من صفة العذاب على جهة التجوز إذ كان العذاب في اليوم وقد يصح أن يوصف اليوم بالإحاطة على تقدير محيط شره . # ونحو هذا . # وكرر عليهم الوصية في الكيل والوزن تأكيدا وبيانا وعظة لأن ^ لا تنقصوا ^ هو ^ أوفوا ^ بعينه . # لكنهما متحيان إلى معنى واحد . # قال القاضي أبو محمد وحدثني أبي رضي الله عنه أنه سمع أبا الفضل بن الجوهري على المنبر بمصر يعظ الناس في الكيل والوزن فقال اعتبروا في أن الإنسان إذا رفع يده بالميزان فامتدت أصابعه الثلاث والتقى الإبهام والسبابة على ناصية الميزان جاء من شكل أصابعه صورة المكتوبة فكان الميزان يقول الله الله . # قال القاضي أبو محمد وهذا وعظ ملبح مذكر . # و ^ القسط ^ العدل ونحوه والبخس النقصان و ^ تعثوا ^ معناه تسعون في فساد وكرر ^ مفسدين ^ على جهة التأكيد يقال عثا تعثوا أو عثى يعثى وعث يعث وعاث يعث إذا أفسد ونحوه من المعنى والعتة الدودة اليت تفسد ثياب الصوف . # وقوله ^ بقيت الله ^ قال ابن عباس معناه الذي يبقى الله لكم من أموالكم بعد توفيتكم الكيل والوزن خير لكم مما تستكترون أنتم به على غير وجهه . # قال القاضي أبو محمد وهذا تفسير بليق بلفظ الآية وقال مجاهد معناه طاعة الله وقال ابن عباس أيضا معناه رزق الله وهذا كله لا يعطيه لفظ الآية وإنما المعنى عندي إبقاء الله عليكم إن أطعتم . # وقرأ إسماعيل بن جعفر عن أهل المدينة بتخفيف الياء وهي لغة .

@ 200 @ # وقوله ^ إن كنتم مؤمنين ^ شرط في أن تكون البقية خيرا لهم وأما مع الكفر فلا خير لهم في شيء من الأعمال وجواب هذا الشرط متقدم والحفيظ المراقب الذي يحفظ أحوال من يرقب والمعنى إنما أنا مبلغ والحفيظ المحاسب هو الذي يجازيكم بالأعمال . # قوله عز وجل \$ سورة هود 87 - 88 \$ # قرأ جمهور الناس أصولاتك بالجمع وقرأ ابن وثاب أصلاتك بالإفراد وكذلك قرأ في براءة ^ إن صلاتك ^ وفي المؤمنين ^ على صلاتهم ^ كل ذلك بالإفراد . # واختلف في معنى الصلاة هنا فقالت فرقة أرادوا الصلوات المعروفة وروي أن شعيبا عليه السلام كان أكثر الأنبياء صلاة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا إلا فرض عليه الصلاة والزكاة . # وقيل أرادوا قراءتك . # وقيل أرادوا أمساجدك وقيل أرادوا أدعواتك . # قال القاضي أبو محمد وأقرب هذه الأقوال الأول والرباع وجعلوا الأمر من فعل الصلوات على جهة التجوز وذلك أن كل من حصل في رتبة من خير أو شر ففي الأكثر تدعوه رتبته إلى التزيد من ذلك النوع فمعنى هذا ألما كنت مصليا تجاوزت إلى ذم شرعنا وحالنا فكان جاله من الصلاة جسرتة على ذلك فقيل أمرته كما قال تعالى ^ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ^ . # وقوله ^ أن تترك ما يعبد آباؤنا ^ نص في أنهم كانوا يعبدون غير الله تعالى وقرأ جمهور الناس نفعل ونشاء بنون الجماعة فيهما وقرأ الضحاك بن قيس نفعل ونشاء بناء المخاطبة فيهما ورويت عن أبي عبد الرحمن نفعل بالنون . # ما نشاء بالتاء ورويت عن ابن عباس . # فأما من قرأ بالنون فيهما ف ^ أن ^ الثانية عطف على ^ ما ^ الأولى على ^ أن ^ الأولى لأن المعنى يصير أصولاتك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء وهذا قلب ما قصدوه . # وأما من قرأ بالتاء فيهما فيصح عطف ^ أن ^ الثانية على ^ ما ^ الأولى قال بعض النحويين ويصح عطفها على ^ ما ^ ويتم المعنى في الوجهين . # قال القاضي أبو محمد ويجيء ^ تترك ^ في الأول بمعنى نرفض وفي الثاني بمعنى نقرر فيتعذر عندي هذا الوجه لما ذكرته مع تنوع الترك على الحكم اللفظي أو على حذف مضاف ألا ترى أن الترك في قراءة من قرأ بالنون في الفعلين إنما هو بمعنى الرفض غير متنوع وأما من قرأ بالنون في نفعل والتاء في نشاء ف ^ أن ^ معطوفة على الأولى ولا يجوز أن تنعطف على ^ ما ^ لأن المعنى أيضا

ينقلب فتدبره .

@ 201 @ # وظاهر فعلهم هذا الذي أشاروا إليه هو بخس الكيل والوزن الذي تقدم ذكره وروي أن الإشارة هي إلى فرضهم الدينار والدرهم وإجراء ذلك مع الصحيح على جهة التدليس قاله محمد بن كعب وغيره وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال قطع الدراهم والدنانير من الفساد في الأرض فتأول ذلك بهذا المعنى المتقدم وتؤول أيضا بمعنى أنه تبديل السكك التي يقصد بها أكل أموال الناس . # واختلف في قولهم ^ إنك لأنت الحليم الرشيد ^ فقيل إنما كانت ألفاظهم إنك لأنت الجاهل السفيه فكفى الله عن ذلك وقيل بل هذا لفظهم بعينه إلا أنهم قالوه على جهة الإستهزاء قاله ابن جريج وابن زيد وقيل المعنى إنك لأنت الحليم الرشيد عند نفسك . # وقيل بل قالوه على جهة الحقيقة وأنه اعتقادهم فيه فكأنهم فندوه أي أنه حليم رشيد فلا ينبغي لك أن تأمرنا بهذه الأوامر ويشبه هذا المعنى قول اليهود من بني قريظة حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا إخوة القردة يا محمد ما علمناك جهولا . # قال القاضي أبو محمد والشبه بين الأمرين إنما هو المناسبة بين كلام شعيب وتلفظه وبين ما ياد به محمد عليه السلام بني قريظة . # وقوله تعالى ^ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة ^ الآية هذه مراجعة لطيفة واستئصال حسن واستدعاء رقيق ونحوها عن محاوره شعيب عليه السلام قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك خطيب الأنبياء . # وجواب الشرط الذي في قوله ^ إن كنت على بينة من ربي ^ محذوف تقديره أضل كما ضللتكم وأترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه الحاجة و ^ بينة ^ يحتمل أن تكون بمعنى بيان أو بين ودخلت الهاء للمبالغة كعلامة ويحتمل أن تكون صفة لمحذوف فتكون الهاء هاء تأنيث . # وقوله ^ ورزقني منه رزقا حسنا ^ يريد خالصا من الفساد الذي أدخلتم أنت أموالكم . # ثم قال لهم ولست أريد أن أفعل الشيء الذي نهيتكم عنه من نقص الكيل والوزن فاستأثر بالمال لنفسي وما أريد إلا إصلاح الجمع و ^ أنيب ^ معناه أرجع وأتوب واستند . # قوله عز وجل \$ سورة هود 89 - 92 \$ # لا يجرمنكم ^ معناه لا يكسبنكم يقال جرمه كذا وكذا وأجرمه إذا أكسبه كما يقال كسب وأكسب بمعنى ومن ذلك قول الشاعر

@ 202 @ # (ولقد طعنت أبا عبيدة طعنة % جرمت فزاره بعدها أن بغضوا) # وقرأ الجمهور بجرمنكم بفتح الباء وقرأ الأعمش وابن وثاب بجرمنكم بضمها و ^ شقائي ^ معناه مشاقتي وعداوتي و ^ أن ^ مفعولة ب ^ بجرمنكم ^ . # وكانت قصة قوم لوط أقرب القصص عهدا بقصة قوم شعيب وقد يحتمل أن يريد وما منازل قوم لوط منكم بعيد فكأنه قال وما قوم لوط منكم بعيد بالمسافة ويتضمن هذا القول ضرب المثل لهم بقوم لوط . # وقرأ الجمهور مثل بالرفع على أنه فاعل ^ بصيكم ^ وقرأ مجاهد والجدري وابن أبي إسحاق مثل بالنصب وذلك على أحد وجهين إما أن يكون مثل فاعلا وفتحة اللام فتحة بناء لما أضيف لغير متمكن فإن مثل قد يجري مجرى الظروف في هذا الباب وإن لم يكن ظرفا محضا . # وما أن يقدر الفاعل محذوفا يقتضيه المعنى ويكون مثل منصوبا على النعت لمصدر محذوف تقديره إصابة مثل . # وقوله ^ واستغفروا ^ الآية تقدم القول في مثل هذا من ترتيب هذا الإستغفار قبل التوبة . # و ^ ودود ^ معناه أن أفعاله ولطفه بعباده لما كانت في غاية الإحسان إليهم كانت كفعل من يتودد ويود المصنوع له . # وقوله تعالى ^ قالوا يا شعيب ^ الآية ^ نفقه ^ معناه نفهم وهذا نحو قول قريش ^ قلوبنا في أكنة ^ ومعنى ما نفقه ما تقول أي ما نفقه صحت قولك وأما فقههم لفظه ومعناه فمتحصل وروي عن ابن جبير وشريك القاضي في قولهم ^ ضعيفا أنه كان نفقه ما ضرير البصر أعمى وحكى الزهراوي أن حمير تقول للأعمى ضعيف كما يقال له ضرير وقيل كان ناحل البدن زمنه . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله ضعيف ولا تقوم عليه حجة بعف بصره أو بدنه والظاهر من قولهم ^ ضعيفا ^ أنه ضعيف الانتصار والقدرة وأن رهطه الكفرة كانوا يراعون فيه . # والرهط جماعة الرجل ومنه الراهط لأن البريوع يعتصم به كما يفعل الرجل برهطه . # و ^ لرحمناك ^ قيل معناه بالحجارة وهو الظاهر وقاله ابن زيد وقيل معناه ^ لرحمناك ^ بالسب وبه فسر الطبري . # وهذا أيضا تستعمله العرب . # ومنه قوله تعالى ^ لأرحمناك وأهجرني مليا ^ وقولهم ^ بعزير ^ أي بذى منعة وعزة ومنزلة في نفوسنا . # وقوله تعالى ^ قال يا قوم أرهطي ^ الآية الظهري الشيء الذي يكون وراء الظهر وقد يكون الشيء وراء الظهر بوجهين في الكلام إما بأن يطرح كما تقول جعلت كلامي وراء ظهرك ودير أذنك ومنه قول الفرزدق # (تميم بن زيد لا تكون حاجتي % بظهر فلا يعي علي جوابها) # وإما بأن يسند إليه ويلجأ . # ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه وألجأت ظهري

@ 203 @ إليك فقال جمهور المتأولين في معنى هذه الآية انه واتخذتم الله ظهريا أي غير مراعى وراء الظهر على معنى الإطراح ورجحه الطبري . # قال القاضي أبو محمد وهو عندي على حذف مضاف ولا بد وقال بعضهم الضمير في قوله ^ واتخذتموه ^ عائد على أمير الله وشرعه إذ يتضمنه الكلام . # وقالت فرقة المعنى أترون رهطي أعز عليكم من الله وأنتم تتخذون الله سند ظهوركم وعماد أعمالكم . # قال القاضي أبو محمد فقول الجمهور على أن كان كفر قوم شعيب جدا بالله تعالى وجهلا به . # وهذا القول الثاني على أنهم كانوا يقررون بالخالق الرازق ويعتقدون الأصنام وسائط ووسائل ونحو هذا وهاتان الفرقتان موجودتان في الكفرة . # ومن اللفظة الاستظهار بالبينه وقد قال ابن زيد الظهري الفصل مثل الجمال يخرج معه بإبل طهارية يعدها إن احتاج إليها وإلا فهي فضلة # قال القاضي أبو محمد هذا كله مما يستند إليه . # وقوله ^ إن ربي بما تعملون محيط ^ خبر في ضمنه توعده . # ومعناه محيط علمه وقدرته . # قوله عز وجل \$ هود 93 - 95 \$ # على مكاتبتكم ^ معناه على حالاتكم وهذا كما تقول مكانة فلان في العلم فوق مكانة فلان يستعار من البقاع إلى المعاني . # وقرأ الحسن وأبو عبد الرحمن وعاصم مكاتبتكم بالجمع والجمهور على الأفراد . # وقوله ^ اعملوا ^ تهديد ووعيد وهو نحو قوله ^ اعملوا ما شئتم ^ وقوله ^ من يأتيه ^ يجوز أن تكون ^ من ^ مفعولة ب ^ تعلمون ^ والثانية عطف عليها قال الفراء ويجوز أن تكون استفهاما في موضع رفع بالابتداء . # قال القاضي أبو محمد الأول أحسن لأنها موصولة ولا توصل في الاستفهام ويقضي بصلتها أن المعطوفة عليها موصولة لا محالة والصحيح أن الوقف في قوله ^ إنني عامل ^ ثم ابتداء الكلام بالوعيد و ^ من ^ مفعولة ل ^ تعلمون ^ وهي موصولة .

@ 204 @ # وقوله ^ وأرتقبوا ^ كذلك تهديد أيضا . # وقوله تعالى ^ ولما جاء أمرنا ^ الآية الأمر ها هنا يصح أن يكون مصدر أمر ويصح أن يكون واحد الأمور . # وقوله ^ برحمة منا ^ إما أن يقصد الإخبار عن الرحمة التي لحقت شعيبا لنبوته وحسن عمله وعمل متبعيه وإما أن يقصد أن النتيجة لم تكن إلا بمجرد رحمة لا يعمل من أعمالهم وأما ^ الصيحة ^ فهي صيحة جبريل عليه السلام وروي أنه صاح بهم صيحة جثم لها كل واحد منهم في مكانه حيث سمعها ميتا قد تقطعت حجب قلبه والجثوم أصله في الطائر إذا ضرب بصدرة إلى الأرض ثم يستعمل في غيره إذا كان منه بشبهه . # وقوله تعالى ^ كان لم يغنوا فيها ^ الآية الضمير في قوله ^ فيها ^ عائد على الديار و ^ يغنوا ^ معناه يقيمون بنعمة وخفض عيش ومنه المغاني وهي المنازل المعمورة بالأهل وقوله ^ ألا ^ تنبيه للسامع وقوله ^ بعدا ^ مصدر دعا به وهذا كما تقول سقيا لك ورعيا لك وسحقا للكافر ونحو هذا وفارقت هذه قولهم سلام عليك لأن هذا كأنه إخبار عن شيء قد وجب وتحصل وتلك إنما هي دعاء مترجى ومعنى البعد في قراءة من قرأ بعدت بكسر العين الهلاك وهي قراءة الجمهور ومنه قول خرنق بنت هفان # (لا يبعدن قومي الذين هم % سم العداة وأفة الجزر) + الكامل + # ومنه قول مالك بن الرب # (يقولون لا تبعد وهم يدفنونني % وأين مكان البعد إلا مكانيا) + الطويل + # وأما من قرأ بعدت وهو السلمي وأبو حيوة فهو من البعد الذي ضده القرب ولا يدعى به إلا على مبعوض . # قوله عز وجل \$ هود 96 - 100 \$ # الآيات العلامات والسلطان البرهان والبيان في الحجة قيل هو مشتق من السليط الذي يستضاء به وقيل من أنه مسلط على كل مناب ومخاصم والملا الجمع من الرجال والمعنى أرسلنا إليهم ليؤمنوا بالله تعالى فصددهم فرعون فاتبعوا أمره ولم يؤمنوا وكفروا ثم أخبر تعالى عن أمر فرعون أنه ليس ^ برشيد ^ أي ليس بمصيب في مذهبه ولا مفارق للسفاهة .

@ 205 @ # وقوله ^ يقدم قومه يوم القيامة ^ الآية أخبر الله تعالى في هذه الآية عن فرعون أنه يأتي يوم القيامة مع قومه المعرفين معه وهو يقدمهم إلى النار وأوقع الفعل الماضي في ^ أوردتهم ^ موقع المستقبل لوضوح الأمر وارتفاع الإشكال عنه ووجه الفصاحة من العرب في أنها تضع أحيانا الماضي موضع المستقبل أن الماضي أدل على وقوع الفعل وحصوله والورود في هذه الآية

هو ورود الدخول وليس بورود الإشراف على الشيء والإشفاء كقوله تعالى ^ ولما ورد ماء مدين ^ وقال ابن عباس في القرآن أربعة أورد ^ وإن منكم إلا واردها ^ وقوله ^ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ^ وهذه في مريم وفي الأنبياء ^ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ^ قال وهي كلها ورد دخول ثم ينجي الله الذين اتقوا و ^ المورود ^ صفة لمكان الورد على أن التقدير ^ وبئس ^ مكان ^ الورد المورود ^ وقيل ^ المورود ^ ابتداء والخير مقدم والمعنى المورود بئس الورد . # وقوله ^ في هذه ^ يريد دار الدنيا واللجنة إعادهم بالعرق والإستئصال وقبح الذكر غير الدهر وقوله ^ ويوم القيامة ^ أي يلغون أيضا بدخولهم في جهنم قال مجاهد فلم لعنتان وذهب قوم إلى أن التقسيم هو أن لهم في الدنيا لعنة ويوم القيامة بئس ما يرفدون به فهي لعنة واحدة أولا وقبح إرفاد آخرها وقوله ^ بئس الرفد المرفود ^ أي بئس العطاء المعطى لهم و ^ الرفد ^ في كلام العرب العطية وسمي العذاب هنا إرفاد المعونة . # ومنه رفادة قريش معونتهم لفقراء الحج بالطعام الذي كانوا يطعمونه في الموسم . # وقوله ^ ذلك من أنباء الغيب ^ الآية ^ ذلك ^ إشارة إلى ما تقدم من ذكر العقوبات النازلة بالأمم المذكورة والأنباء الأخبار . # و ^ القرى ^ يحتمل أن يراد بها القرى التي ذكرت في الآيات المتقدمة خاصة ويحتمل أن يراد القرى عامة أي هذه الأنبياء المقصودة عليك هي عوائد المدن إذا كبرت فيدخل علي هذا التأويل فيها المدن المعاصرة ويحيى قوله ^ منها قائم وحصيد ^ منها عامر ودائر وهذا قول ابن عباس وعلى التأويل الأول في أنها تلك القرى المخصوصة يكون قوله ^ قائم وحصيد ^ بمعنى قائم الجدران ومنهدم لا أثر له وهذا قول قتادة وابن جريح والآية بجملتها متضمنة التخويف وضرب المثل للحاضرين من أهل مكة وغيرهم . # قوله عز وجل \$ سورة هود 101 - 105 \$

@ 206 @ # المعنى وما وضعنا عندهم من التعذيب ما لا يستحقونه لكنهم ظلّموا أنفسهم بوضعهم الكفر موضع الإيمان والعبادة في جنبه الأصنام فما نفعهم تلك الأصنام ولا دفعت عنهم حين جاء عذاب الله . # وال ^ تيبب ^ الخسران ومنه ^ تبت يدا أبي لهب ^ ومنه قول جرير # (عرابية من بقية قوم لوط % ألا تبا لما فعلوا تبا) + الوافر + # وصورة زيادة الأصنام التيبب إنما يتصور إما بأن تأهيلها والثقة بها والتعبد في عبادتها شغلت نفوسهم وصرفتها عن النظر في الشرع وعاقبتها فلحق عن ذلك عن خسران وإما بأن عذابهم على الكفر يزداد في عذاب على مجرد عبادة الأوثان . # وقوله ^ وكذلك ^ الإشارة إلى ما ذكر من الأحداث في الأمم وهذه آية وعيد تعم قرى المؤمنين فإن ^ ظالمة ^ أعم من كافرة وقد يمهّل الله تعالى بعض الكفرة وأما الظلمة في الغالب فمعاجلون أما أنه يملئ لبعضهم وفي الحديث من رواية أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ ^ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ^ الآية . # وقرأ أبو رجاء العطاردي وعاصم الجحدري ربك إذا أخذ القرى وهي قراءة متمكنة المعنى ولكن قراءة الجماعة تعطي بقاء الوعيد واستمراره في الزمان وهو الباب في وضع المستقبل موضع الماضي . # وقوله تعالى ^ إن في ذلك لآية ^ المعنى أن في هذه القرى وما حل بها لعبرة وعلامة اهتداء لمن خاف أمر الآخرة وتوقع أن يناله عذابها فنظر وتأمل فإن نظره يؤديه إلى الإيمان بالله تعالى ثم عظم الله أمر يوم القيامة بوصفه بما تلبس بأجنبي منه للسبب المتصل بينهما ويعود الضمير عليه و ^ الناس ^ على هذا مفعول لم يسم فاعله وبصح أن يكون ^ الناس ^ رفعا بالابتداء و ^ مجموع ^ خبر مقدم . # وهذه الآية خبر عن الحشر و ^ مشهود ^ عام على الإطلاق يشهده الأولون والآخرون من الإنس والملائكة والجن والحيوان في قول الجمهور وفيه أعني الحيوان الصامت اختلاف وقال ابن عباس الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة . # وقوله ^ وما نؤخره ^ الآية المعنى وما نؤخر يوم القيامة عجزا عن ذلك لكن القضاء السابق قد نفذ فيه بأجل محدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر . # وقرأ الجمهور نؤخره بالنون وقرأ الأعمش يؤخره بالياء وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة يوم يأتي بحذف الياء من ^ يأتي ^ في الوصل والوقف وقرأ ابن كثير بإثباتها في الوصل والوقف وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثباتها في الوصل وحذفها في الوقف ورويت أيضا كذلك عن ابن كثير والياء ثابتة في مصحف أبي بن كعب وسقطت في إمام عثمان وفي مصحف ابن مسعود يوم يأتون وقرأ بها

@ 207 @ الأعمش ووجه حذفها في الوقف التشبيه بالفواصل وإثباتها في الوجهين هو الأصل ووجه حذفها في الوصل التخفيف كما قالوا في لا أبال ولا أدر وأنشد الطبري # (كفاك كف ما تليق درهما % جودا وأخرى تعط بالسيف الدما) # وقوله ^ لا تكلم نفس ^ يصح أن تكون جملة في موضع الحال من الضمير الذي في ^ يأتي ^ وهو العائد على قوله ^ ذلك يوم ^ ولا يجوز أن يعود على قوله ^ يوم يأتي ^ لأن اليوم المضاف إلى الفعل لا يكون فاعل ذلك الفعل إذ المضاف متعريف بالمضاف إليه والفعل متعريف بفاعله وليس في نفسه شيئا مقصودا مستقلا دون الفاعل وقولهم سيد قومهم ومولى أخيه وواحد أمه مفارق لما لا يستقل فلذلك جازت الإضافة فيها ويكون قوله على هذا ^ يوم يأتي ^ في موضع الرفع بالابتداء وخبره ^ فمنهم شقي وسعيد ^ وفي الكلام على هذا عائد محذوف تقديره لا تكلم نفس فيه إلا ويصح أن يكون قوله ^ لا تكلم نفس ^ صفة لقوله ^ يوم يأتي ^ والخبر قوله ^ فمنهم ^ ويصح أن يكون قوله ^ لا تكلم نفس ^ خيرا عن قوله ^ يوم يأتي ^ # وقوله ^ ذلك يوم ^ يراد به اليوم الذي قبله ليلته وقوله ^ يوم يأتي ^ يراد به الحين والوقت لا النهار بعينه فهو كما قال عثمان إنني رأيت ألا أتزوج بومئذ هذا وكما قال الصديق رضي الله عنه فإن الأمانة اليوم في الناس قليل . # ومعنى قوله ^ لا تكلم نفس إلا بإذنه ^ وصف المهابة يوم القيامة وهول العقل وهول القيامة وما ورد في القرآن من ذكر كلام أهل الموقف في التلاوم والتساؤل والتجادل فيما أن يكون بإذن وإما أن تكون هذه هنا مختصة في تكلم شفاعة أو إقامة حجة وقوله ^ فمنهم ^ عائد على الجميع الذي تضمنه قوله ^ نفس ^ إذ هو اسم جنس يراد به الجمع . # قوله عز وجل \$ سورة هود 106 - 108 \$ # قوله ^ الذين شقوا ^ على بعض التأويلات في الاستثناء الذي في آخر الآية يراد به كل من يعذب من كافر وعاص وعلى بعضها كل من يخلد وذلك لا يكون إلا في الكفرة خاصة . # وال ^ زفير ^ صوت شديد خاص بالمحزون أو الوجد أو المعذب ونحوه وال ^ شهيق ^ كذلك . # كما يفعل الباكى الذي يصيح خلال بكائه وقال ابن عباس الزفير صوت حاد . # والشهيق صوت ثقيل وقال أبو العالية الزفير من الصدر والشهيق من الحلق وقيل بالعكس . # وقال قتادة الزفير أول صوت الحمار . # والشهيق آخره . # فصياح أهل النار كذلك . # وقيل الزفير مأخوذ من الزفر وهو الشدة

@ 208 @ والشهيق من قولهم جبل شاهق أي عال . # فهما على هذا المعنى واحد أو متقارب والظاهر ما قال أبو العالية فإن الزفرة هي التي يعظم معها الصدر والجوف والشهقة هي الوقعة الأخيرة من الصوت المنقطع معها النفس أحيانا فقد يشهق المحتضر وبشهو المغشي عليه . # وأما قوله ^ ما دامت السماوات والأرض ^ فقيل معناه إن الله تعالى يبذل السماوات والأرض يوم القيامة ويجعل الأرض مكانا لجهنم والسماوات مكانا للجنة ويتأيد ذلك فقرنت الآية خلود هؤلاء ببقاء هذه ويروى عن ابن عباس أنه قال إن الله خلق السماوات والأرض من نور العرش ثم يردهما إلى هنالك في الآخرة فلهما ثم بقاء دائم وقيل معنى قوله ^ ما دامت السماوات والأرض ^ العبارة عن التأييد بما تهده العرب وذلك أن من فصيح كلامها إذا أرادت أن تخبر عن تأييد شيء أن تقول لا أفعل كذا وكذا مدى الدهر وما ناح الحمام و ^ ما دامت السماوات والأرض ^ ونحو هذا مما يريدون به طولاً من غير نهاية فأفهمهم الله تعالى تخليد الكفرة بذلك وإن كان قد أخبر بزوال السماوات والأرض . # وأما قوله ^ إلا ما شاء ربك ^ فقيل فيه إن ذلك على طريق الإستثناء الذي ندب الشرع إلى استعماله في كل كلام فهو على نحو قوله ^ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين ^ استثناء في واجب وهذا الاستثناء في حكم الشرط كأنه قال إن شاء الله فليس يحتاج إلى أن يوصف بمتصل ولا بمنقطع ويؤيد هذا قوله ^ عطاء غير مجدود ^ وقيل هو استثناء من طول المدة وذلك على ما روي من أن جهنم تحرب ويعدم أهلها وتغلق أبوابها فهم على هذا يخلدون حتى يصير أمرهم إلى هذا . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول مختل والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره إنما هو الدرك الأعلى المختص بعصاة المؤمنين وهو الذي يسمى جهنم وسمي الكل به تجوزاً . # وقيل إنما استثنى ما يلفظ الله تعالى به للعصاة من المؤمنين في إخراجهم بعد مدة من النار فيجزي قوله ^ إلا ما شاء ربك ^ أي لقوم ما وهذا قول قتادة والضحاك وأبي سنان وغيرهم وعلى هذا فيكون قوله ^ فأما الذين شقوا ^ عاماً في الكفرة والعصاة كما قدمنا ويكون الإستثناء من ^ خالد بن ^ وقيل إلا ^ بمعنى الواو بمعنى الآية وما شاء الله زائداً على ذلك ونحو هذا قول الشاعر # (وكل أخ مفارقة أخوه % لعمر أهلك إلا

الفرقدان + الوافر + # قال القاضي أبو محمد وهذا البيت يصح الاستشهاد به على معتقدا في فناء الفرقدين وغيرهما من العالم وأما إن كان قائله من دهرية العرب فلا حجة فيه إذ يرى ذلك مؤيدا فأجرى إلا على بابها . # وقيل ^ إلا ^ في هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء منقطع كما تقول لي عندك ألفا درهم إلا الألف التي كنت أسلفتك بمعنى سوى تلك فكأنه قال ^ خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ^ سوى ما شاء الله زائدا على ذلك ويؤيد هذا التأويل قوله بعد ^ عطاء غير مجذوذ ^ وهذا قول الفراء فإنه يقدر الاستثناء المنقطع بسوى وسيبويه يقدره ولكن وقيل سوى ما أعده لهم من أنواع العذاب مما لا يعرف كالزمهرير ونحوه وقيل استثناء من مدة السماوات المدة التي فرطت لهم في الحياة الدنيا .

@ 209 @ وقيل في البرزخ بين الدنيا والآخرة وقيل في المسافات التي بينهم في دخول النار إذ دخولهم إنما هو زمرا بعد زمر وقيل الإستثناء من قوله ^ ففي النار ^ كأنه قال إلا ما شاء ربك من تأخير عن ذلك وهذا قول رواه أبو نصره عن جابر أو عن أبي سعيد الخدري . # ثم أخبر منبها على قدرة الله تعالى بقوله ^ إن ربك فعال لما يريد ^ . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر سعدوا بفتح السين وهو فعل لا يتعدى وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص سعدوا بضم السين وهي شاذة ولا حجة في قولهم مسعود لأنه مفعول من أسعد على حذف الزيادة كما يقال محبوب من أحب ومجنون من أجنه الله وقد قيل في مسعود إنما أصله الوصف للمكان يقال مكان مسعود فيه ثم نقل إلى التسمية به وذكر أن الفراء حكى أن هذيل تقول سعده الله بمعنى أسعده . # وبضم السين قرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف وابن وثاب والأعمش . # والأقوال المترتبة في استثناء التي قبل هذه ترتبها هنا إلا تأويل من قال هو استثناء المدة التي تخرب فيها جهنم فإنه لا يترتب مثله في هذه الآية وي زيد هنا قول أن يكون الإستثناء في المدة التي يقيمها العصاة في النار ولا يترتب أيضا تأويل من قال في تلك إن الإستثناء هو من قوله ^ في النار ^ . # وقوله (عطاء غير مجذوذ) نصب على المصدر والمجذوذ المقطوع . # والجذ القطع وكذلك الجد وكذلك الجر . # قوله عز وجل \$ سورة هود 109 - 111 \$ لفظ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى له ولأمته ولم يقع لأحد شك فيقع عنه نهى ولكن من فصاحة القول في بيان ضلالة الكفرة إخراجها في هذه العبارة أي حالهم أوضح من أن يمتري فيها وال ^ مرة ^ الشك و ^ هؤلاء ^ إشارة إلى كفار العرب عبدة الأصنام ثم قال ^ ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ^ المعنى أنهم مقلدون لا يبرهان عندهم ولا حجة وإنما عبادتهم تشبها منهم بآبائهم لا لا عن بصيرة وقوله ^ وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ^ وعيد ومعناه العقوبة التي تقتضيها أعمالهم وبظهور من قوله ^ غير منقوص ^ أن على الأولين كفلا من كفر الآخرين . # وقرأ الجمهور لموفوهم بفتح الواو وشد الفاء وقرأ ابن محيصن لموفوهم بسكون الواو وتخفيف الفاء .

@ 210 @ وقوله تعالى ^ ولقد آتينا موسى الكتاب ^ الآية تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر قصة موسى مثل له أي لا يعظم عليك أمر من كذالك فهذه هي سيرة الأمم فقد جاء موسى بكتاب فاختلف الناس عليه . # وقوله ^ ولولا كلمة سبقت من ربك ^ إلى آخر الآية يحتمل أن يريد به أمة موسى ويحتمل أن يريد به معاصري محمد صلى الله عليه وسلم وأن يعمهم اللفظ أحسن عندي ويؤكد ذلك قوله ^ وإن كلا ^ والكلمة ها هنا عبارة عن الحكم والقضاء والمعنى ^ لقضي بينهم ^ أي لفصل بين المؤمن والكافر بنعيم هذا وعذاب هذا ووصف الشك بالمريب تقوية للمعنى الشك . # وقرأ الكسائي وأبو عمرو وإن كلا لما بتشديد النون وتخفيف الميم من ^ لما ^ وقرأ ابن كثير ونافع وتخفيفهما وقرأ حمزة بتشديدهما وكذلك حفص عن عاصم وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بتخفيف إن وتشديد الميم من لما وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما بتشديد الميم وتثنيها . # وقرأ الحسن بخلاف وإن كل لما بتخفيف إن ورفع كل وشد لما وكذلك قرأ أبان بن تغلب إلا أنه خفف لما وفي مصحف أبي وابن مسعود وإن كل إلا ليوفينهم وهي قراءة الأعمش قال أبو حاتم الذي في مصحف أبي وإن من كل إلا ليوفينهم أعمالهم . # فأما الأول فإن فيها على بابها وكلا اسمها وعرفها أن تدخل على خبرها لام . # وفي الكلام قسم تدخل لاه أيضا على خبر إن فلما اجتمع لإمان فصل بينهما بما هذا قول أبي علي والخبر في قوله ^ ليوفينهم ^ وقال بعض النحاة يصح أن تكون ما خبر إن وهي لمن يعقل لأنه موضع جنس ووصف فهي بمنزلة من كانه قال وإن كلا لخلق ليوفينهم ورجح الطبري هذا واختاره إما انه يلزم القول أن تكون ما موصوفة إذ هي نكرة كما قالوا مررت بما معجب لك وينفصل بأن قوله ^ ليوفينهم ^ يقوم معناه مقام الصفة لأن المعنى وإن كلا لخلق موفى عمله وأما من خففها وهي القراءة الثانية في ترتيبنا فحكم إن وهي مخففة حكمها مثقلة وتلك لغة فصيحة حكى سيبويه أن الثقة أخبره أنه سمع بعض العرب يقول إن عمرا لمنطلق وهو نحو قول الشاعر (وجه مشرق النحر % كأنه ثدييه حقان) # رواه أبو زيد . # ويكون القول في فصل ما بين اللامين حسبا تقدم ويدخلها القول الآخر من أن تكون ما خبر إن وأما من شددتها أو خفف إن وشد الميم ففي قراءتهما إشكال وذلك أن بعض الناس قال إن لما بمعنى إلا كما تقول سألتك لما فعلت كذا وكذا بمعنى إلا فعلت قال أبو علي وهذا ضعيف لأن لما هذه لا تفارق القسم وقال بعض الناس المعنى لمن ما أبدلت النون ميمًا وأدغمت في التي بعدها فيبقى لمما فحذفت الأولى تخفيفا لاجتماع الأمثلة كما قرأ بعض القراء ^ والبغي يعظكم ^ به بحذف الياء مع الياء وكما قال الشاعر (وأشمت العداة بنا فأضحوا % لدى يتباشرون بما لقينا)

@ 211 @ # قال أبو علي وهذا ضعيف وقد اجتمع في هذه السورة ميمات أكثر من هذه في قوله ^ أمم ممن معك ^ ولم يدغم هناك فأجرى أن لا يدغم هنا . # قال القاضي أبو محمد وقال بعض الناس أصلها لمن ما فمن خبر إن وما زائدة وفي التأويل الذي قبله أصله لمن ما فما هي الخبر دخلت عليها من على حد دخولها في قول الشاعر . # (وإنا لمن ما نضرب الكبش ضربة % على رأسه تلقي اللسان من الفم) # وقالت فرقة لما أصلها لما منونة والمعنى وإن كلا عاما حصرا شديد فهو مصدر لم يلم كما قال ^ وتاكلون التراث أكلًا لما ^ أي شديدا قالت ولكنه ترك تنوينه وصرفه وبنى منه فعلى كما فعل في تترى فقري تترى . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا نظر حكى عن الكسائي أنه قال لا اعرف وجه التثنية في لما قال أبو علي وأما من قرأ لما بالتثنية وشد الميم فواضح الوجه كما بينا وأما قرأ من وإن كل لما فيه مخففة من الثقيلة وحققها في أكثر لسان العرب أن يرتفع ما بعدها ولما هنا بمعنى إلا كما قرأ جمهور القراء ^ إن كل نفس لما عليها حافظ ^ ومن قرأ إلا مصرحة فمعنى قراءته واضح وهذه الآية وعيد . # وقرأ الجمهور يعملون بياء على ذكر الغائب وقرأ الأعرج يعملون بئاء على مخاطبة الحاضر . # قوله عز وجل \$ سورة هود 112 - 115 \$ أمر النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة وهو عليها إنما هو أمر بالدوام والثبوت وهذا كما تأمر إنسان بالمشي والأكل ونحوه وهو ملتبس به . # والخطاب بهذه الآية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين تابوا من الكفر ولسائر أمته بالمعنى وروي أن بعض العلماء رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يا رسول الله بلغنا عنك أنك قلت شيبتي هود وأخواتها فما الذي شيبك من هود قال له قوله تعالى ^ فاستقم كما أمرت ^ . # قال القاضي أبو محمد والتأويل المشهور في قوله صلى الله عليه وسلم شيبتي هود وأخواتها أنها إشارة إلى ما فيها مما حل بالأمم السابقة فكان حذر على هذه الأمة مثل ذلك شبيهه صلى الله عليه وسلم . # وقوله ^ أمرت ^ مخاطبة تعظيم وقوله ^ ومن ^ معطوف على الضمير في قوله ^ فاستقم ^

@ 212 @ وحسن ذلك دون أن يؤكد لطول الكلام بقوله ^ كما أمرت ^ . # و ^ لا تطغوا ^ معناه ولا تتجاوزوا حدود الله تعالى والطغيان تجاوز الحد ومنه قوله ^ طغى الماء ^ وقوله في فرعون ^ إنه طغى ^ وقيل في هذه معناه ولا تطغينكم النعم وهذا كالأول . # وقرأ الجمهور يعملون بئاء وقرأ الحسن والأعمش يعملون بياء من تحت وقرأ الجمهور ولا تركنوا بفتح الكاف وقرأ طلحة بن مصرف وقتادة والأشهب العقيلي وأبو عمرو فيما روى عنه هارن بضمها وهو لغة يقال ركن بركن وركن بركن ومعناه السكون إلى الشيء والرضا به قال أبو العالية الركون الرضا . # قال ابن زيد الركون الإدمان . # قال القاضي أبو محمد فالركون يقع على قليل هذا المعنى وكثيره والنهي هنا يترتب من معنى الركون على الميل إليهم بالشرك معهم إلى أقل الرتب من ترك التغيير عليهم مع القدرة و ^ الذين ظلموا ^ هنا هم الكفار وهو النص للمتأولين ويدخل بالمعنى أهل المعاصي . # وقرأ الجمهور فتمسكهم وقرأ يحيى وابن وثاب وعلقمة والأعمش وابن مصرف وحمزة فيما روي عنه فتمسكهم بكسر التاء وهي لغة في كسر العلامات الثلاث دون الياء

التي للغائب وقد جاء في الباء بييجل ويبيى وعللت هذه بان الباء التي وليت الأولى ردتها إلى الكسر . # وقوله تعالى ^ أقم الصلاة ^ الآية لم يختلف أحد في أن ^ الصلاة ^ في هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة واختلف في ^ طرفي النهار ^ وزلف الليل فقيل الطرف الأول الصبح والثاني الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء قاله مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المغرب والعشاء هما زلفتا الليل وقيل الطرف الأول الصبح والثاني العصر قاله الحسن وقتادة والضحاك والزلف المغرب والعشاء وليست الظهر في هذه الآية على هذا القول بل هي في غيرها وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن عباس والحسن أيضا والزلف العشاء وليست في الآية الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء والصبح . # قال القاضي أبو محمد كأن هذا القائل راعى جهر القراءة والأول أحسن هذه الأقوال عندي ورجح الطبري أن الطرفين الصبح والمغرب وأنه الظاهر إلا أن عموم الصلوات الخمس بالآية أولى . # وقرأ الجمهور زلفا بفتح اللام وقرأ طلحة بن مصرف وابن محيصة وعيسى وابن إسحاق وأبو جعفر زلفا بضم اللام كأنه اسم مفرد . # وقرأ زلفا بسكون اللام مجاهد وقرأ أيضا زلفى على وزن فعلى وهي قراءة ابن محيصة . # والزلف الساعات القريب بعضها من بعض . # ومنه قول العجاج # (ناج طواه الأين مما وجفا % طلي الليالي زلفا فزلفا) # (سماوة الهلال حتى احقوقفا) + الرجز + # وقوله ^ إن الحسنات يذهبن السيئات ^ ذهب جمهور المتأولين من صحابة وتابعين إلى أن ^ الحسنات ^ يراد بها الصلوات الخمس وإلى هذه الآية ذهب عثمان رضي الله عنه عند وضوئه على

@ 213 @ المقاعد وهو تأويل مالك وقال مجاهد ^ الحسنات ^ قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله إنما هو على جهة المثال في الحسنات ومن أجل أن الصلوات الخمس هي أعظم الأعمال والذي يظهر أن لفظ الآية لفظ عام في الحسنات خاص في السيئات بقوله صلى الله عليه وسلم (ما اجتنبت الكبائر) . # وروي أن هذه الآية نزلت في رجل من الأنصار قيل هو أبو اليسر بن عمرو وقيل اسمه عباد خلا بامرأة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الجماع ثم جاء إلى عمر فشكا إليه فقال قد ستر الله عليك فاستر على نفسك فقلق الرجل فجاء أبا بكر فشكا إليه فقال له مثل مقالة عمر فقلق الرجل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص له ما أخبره وقال اقض ما شئت فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعليها زوجة غاز في سبيل الله قال نعم فوبخه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما أدري فنزلت هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه فقال معاذ بن جبل يا رسول الله خاصة قال بل للناس عامة . # وروي أن الآية كانت نزلت قبل ذلك واستعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الرجل وروي أن عمر قال ما حكى عن معاذ . # قال القاضي أبو محمد وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة إلى الجمعة والصلوات الخمس ورمضان إلى رمضان كفارة لما بيننا إن اجتنبت الكبائر . # فاختلف أهل السنة في تأويل هذا الشرط في قوله إن اجتنبت الكبائر فقال جمهورهم هو شرط في معنى الوعد كله أي إن اجتنبت الكبائر كانت العبادات المذكورة كفارة للذنوب فإن لم تجتنب لم تكفر العبادات شيئا من الصغائر . # وقالت فرقة معنى قوله إن اجتنبت أي هي التي لا تحطها العبادات وإنما شرط ذلك ليصح بشرطه عموم قوله ما بينهما وإن لم تحطها العبادات وحطت الصغائر . # قال القاضي أبو محمد وبهذا أقول وهو الذي يقتضيه حديث خروج الخطايا مع قطر الماء وغيره وذلك كله بشرط التوبة من تلك الصغائر وعدم الإصرار عليها وهذا نص الحذاق الأصوليين . # وعلى التأويل الأول تجيء هذه مخصوصة في مجتنب الكبائر فقط . # وقوله ذلك إشارة إلى الصلوات ووصفها ب ^ ذكرى ^ أي هي سبب ذكر وموضع ذكرى ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى الإخبار ب ^ إن الحسنات يذهبن السيئات ^ فتكون هذه الذكرى تحص على الحسنات ويحتمل أن تكون إشارة إلى جميع ما تقدم من الأوامر والنواهي في هذه السورة وهو تفسير الطبري . # ثم أمره تعالى بالصبر وجاءت هذه الآيات في نمط واحد أعلمه الله تعالى أنه يوفي جميع الخلائق أعمالهم المسيء والمحسن ثم أمره بالاستقامة والمؤمنين معه ثم أمره بإقامة الصلوات ووعد على ذلك ثم أمره بالصبر على التبليغ والمكاره في ذات الله تعالى ثم وعد بقوله ^ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ^ .

@ 214 @ # قوله عز وجل \$ سورة هود 116 - 117 # \$ لولا ^ هي التي للتحريض لكن يقترن بها هنا معنى التفجع والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتد وهذا نحو قوله ^ يا حسرة على العباد ^ و ^ القرون من قبلكم ^ هم قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكره والقرن من الناس المقترنون في زمان طويل أكثره فيما حد الناس مائة سنة وقيل ثمانون وقيل غير ذلك إلى ثلاثين سنة والأول أرجح لقول النبي صلى الله عليه وسلم أربابكم ليبتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد . # قال ابن عمر يريد أنها تخرم ذلك القرون و ^ بقية ^ هنا يراد بها النظر والعقل والحزم والثبوت في الدين وإنما قيل ^ بقية ^ لأن الشرائع والدول ونحوها قوتها في أولها ثم لا تزال تضعف فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الأول . # وقرأت فرقة بقية بتخفيف الباء وهو رد فعيلة إلى فعلة وقرأ أبو جعفر وشيبة بقية بضم الباء وسكون القاف على وزن فعلة . # و ^ الفساد في الأرض ^ هو الكفر وما اقترن به من المعاصي وهذه الآية فيها تنبيه لأمة محمد وحض على تغيير المنكر والنهي عن الفساد ثم استثنى الله تعالى القوم الذين نجاهم مع أنبيائهم وهم قليل بالإضافة إلى جماعاتهم . # و ^ قليلا ^ نصب على الاستثناء وهو منقطع عند سيبويه والكلام عنده موجب وغيره يراه منفيًا من حيث معناه أنه لم يكن فيهم أولو بقية . # وقرأ جمهور الناس وأتبع على بناء الفعل للفاعل وقرأ حفص بن محمد وأتبع على بنائه للمفعول ورويت عن أبي عمرو . # و ^ ما أنرفوا فيه ^ أي عاقبة ما نعموا به على بناء الفعل للمفعول والمترف والمنعم الذي شغلته ترفته عن الحق حتى هلك ومنه قول الشاعر # (تجبي رؤوس المترفين الصداد % إلى أمير المؤمنين الممتاد) # يريد المسؤول يقال ماله إذا سأل . # وقوله ^ بظلم ^ يحتمل أن يريد بظلم منه لهم تعالى عن ذلك قال الطبري ويحتمل أن يريد بشرك منهم وهم مصلحون في أعمالهم وسيرهم وعدل بعضهم في بعض أي أنهم لا بد من معصية تقترن بكفرهم .

@ 215 @ # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وإنما ذهب قائله إلى نحو ما قيل إن الله تعالى يمهل الدول على الكفر ولا يمهلها على الظلم والجور ولو عكس لكان ذلك متجها أي ما كان الله ليعذب أمة بظلمهم في معاصيهم وهم مصلحون في الإيمان والإحتمال الأول في ترتيبنا أصح إن شاء الله . # قوله عز وجل \$ سورة هود 118 - 119 # \$ المعنى لجعلهم أمة واحدة مؤمنة قاله قتادة حتى لا يقع منهم كفر ولا تنزل بهم مثله ولكنه عز وجل لم يشأ ذلك فهم لا يزالون مختلفين في الأديان والآراء والملل هذا تأويل الجمهور قال الحسن وعطاء ومجاهد وغيرهم المرجحون المستثنون هم المؤمنون ليس عندهم اختلاف . # وقالت فرقة لا يزالون مختلفين ^ في السعادة والشقاوة وهذا قريب المعنى من الأول إذ هي ثمرة الأديان والاختلاف فيها ويكون الاختلاف على هذا التأويل يدخل فيه المؤمنون إذ هم مخالفون للكفرة وقال الحسن أيضا لا يزالون مختلفين في الغنى والفقر . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول بعيد معناه من معنى الآية ثم استثنى الله تعالى من الضمير في ^ يزالون ^ من رحمته من الناس بأن هداه إلى الإيمان ووفقه له . # وقوله ^ ولذلك خلقهم ^ اختلف فيه المتأولون فقالت فرقة ولشهود اليوم المشهود المتقدم ذكره خلقهم وقالت فرقة ذلك إشارة إلى قوله قيل ^ فمنهم شقي وسعيد ^ أي لهذا خلقهم . # قال القاضي أبو محمد وهذا المعنى وإن صح فهذا العود المتباعد ليس بجيد وروي أشهب عن مالك أنه قال ذلك إشارة إلى أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير . # قال القاضي أبو محمد فجاءت الإشارة بذلك إلى الأمرين الإختلاف والرحمة وقد قاله ابن عباس واختاره الطبري وحيى عليه الضمير في ^ خلقهم ^ للصنفين وقال مجاهد وقتادة ذلك عائد على الرحمة التي تضمنها قوله ^ إلا من رحم ^ أي وللرحمة خلق المرجومين قال الحسن وذلك إشارة إلى الإختلاف الذي في قوله ^ ولا يزالون مختلفين ^ . # قال القاضي أبو محمد ويعترض هذا بأن يقال كيف خلقهم للإختلاف وهل معنى الإختلاف هو المقصود بخلقهم فالوجه في الانفصال أن نقول إن قاعدة الشرع أن الله عز وجل خلق خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة ثم يسر كلا لما خلق له وهذا نص في الحديث الصحيح وجعل بعد ذلك الإختلاف في

@ 216 @ الدين على الحق هو إمارة الشقاوة وبه علق العقاب فيصح أن يحمل قوله هنا وللإختلاف خلقهم أي لثمرة الإختلاف وما

يكون عنه من الشفاوة . # ويصح أن يجعل اللام في قوله ^ ولذلك ^ لام الصيرورة أي وخلقهم ليصير أمرهم إلى ذلك وإن لم يقصد بهم الاختلاف . # قال القاضي أبو محمد ومعنى قوله ^ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ^ أي لأمرهم بالعبادة وأوجبها عليهم فعبور عن ذلك بثمره الأمر ومقتضاه . # وقوله ^ وتمت كلمة ربك ^ أي نفذ قضاؤه وحق أمره واللام في ^ لأملاًن ^ لام قسم إذ الكلمة تتضمن القسم . # والجن جمع لا واحد له من لفظه وهو من أجن إذا ستر والهاء في ^ بالجنة ^ للمبالغة . # وإن كان الجن يقع على الواحد فالجنة جمعه . # قوله عز وجل \$ سورة هود 120 - 123 \$ قوله ^ وكلا ^ مفعول مقدم ب ^ نقص ^ وقيل هو منصوب على الحال وقيل على المصدر . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيفان و ^ ما ^ بدل من قوله ^ كلا ^ و ^ ثبت به فؤادك ^ أي نؤنسك فيما تلقاه ونجعل لك الأسوة في من تقدمك من الأنبياء وقوله ^ في هذه ^ قال الحسن هي إشارة إلى دار الدنيا وقال ابن عباس إلى السورة والآيات التي فيها ذكر قصص الأمم وهذا قول الجمهور . # قال القاضي أبو محمد ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها ب ^ الحق ^ والقرآن كله حق أن ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبية للناظر أي جاءك في هذه السورة الحق الذي أصاب الأمم الظالمة وهذا كما يقال عند الشدائد جاء الحق وإن كان الحق يأتي في غير شديدة وغير ما وجه ولا يستعمل في ذلك جاء الحق ثم وصف أيضاً أن ما تضمنته السورة هي ^ موعظة وذكرى للمؤمنين ^ فهذا يؤيد أن لفظة ^ الحق ^ إنما تختص بما تضمنت من وعيد للكفرة . # وقوله تعالى ^ وقل للذين لا يؤمنون ^ الآية هذه آية وعيد أي ^ اعملوا ^ على حالاتكم التي أنتم عليها من كفركم .

@ 217 @ # وقرأ الجمهور هنا ^ مكانتكم ^ واحدة دالة على جمع وألفاظ هذه الآية تصلح للمواعدة وتصلح أن تقال على جهة الوعيد المحض والحرب قائمة . # وقوله تعالى ^ ولله عيب السماوات والأرض ^ الآية هذه آية تعظم وانفراد بما لا حظ لمخلوق فيه وهو علم الغيب وتبين أن الخير والنشر وجليب الأشياء وحقيقتها مصروف إلى أحكام مالكة ثم أمر البشر بالعبادة والتوكل على الله تعالى وفيها زوال همه وصلاحه ووصوله إلى رضوان الله . # وقرأ السبعة غير نافع يرجع الأمر على بناء الفعل للفاعل وقرأ نافع وحفص عن عاصم يرجع الأمر على بناءه للمفعول ورواه ابن أبي الزناد عن أهل المدينة وقرأ تعملون بالياء من فوق نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وهي قراءة الأعرج والحسن وأبي جعفر وشيبة وعيسى بن عمرو وقتادة والجحدري واختلف عن الحسن وعيسى وقرأ الباقون يعملون بالياء على كناية الغائب .

@ 218 @ \$ بسم الله الرحمن الرحيم \$ سورة يوسف \$ # هذه السورة مكية ويروى أن اليهود سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت السورة بسبب ذلك ويروى أن اليهود أمروا كفار مكة أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يفعله به قومه السبب الذي أحل بني إسرائيل بمصر فنزلت السورة وقيل سبب نزولها تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يفعله به قومه بما فعل إخوة يوسف ويوسف وسورة يوسف لم يتكرر من معناها في القرآن شيء كما تكررت قصص الأنبياء ففيها حجة على من اعترض بأن الفصاحة تمكنت بترداد القول وفي تلك القصص حجة على من قال في هذه لو كررت لفترت فصاحتها . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 1 - 3 \$ # تقدم القول في فواتح السورة و ^ الكتاب ^ القرآن ووصفه ب ^ المبين ^ قيل من جهة أحكامه وحلاله وحرامه وقيل من جهة موعظة وهذه ونوره وقيل من جهة بيان اللسان العربي وجودته إذ فيه ستة أحرف لم تجتمع في لسان روي هذا القول عن معاذ بن جبل ويحتمل أن يكون مبيناً لنبوة محمد بإعجازه . # والصاب أنه مبين لجميع هذه الوجوه . # والضمير في قوله ^ أنزلناه ^ ل ^ الكتاب ^ والإنزال إما بمعنى الإنبات وإما أن تتصف به التلاوة والعبارة وقال الزجاج الضمير في ^ أنزلناه ^ يراد به خير يوسف . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وقوله ^ لعلمكم ^ يحتمل أن تتعلق ب ^ أنزلناه ^ أي أنزلناه لعلمكم ويحتمل أن تتعلق بقوله ^ عربياً ^ أي جعلناه ^ عربياً ^ إذ هو لسانكم . # و ^ قرأنا ^ حال و ^ عربياً ^ صفة له وقيل إن ^ قرأنا ^ بدل من الضمير وهذا فيه نظر وقيل ^ قرأنا ^ توطئة للحال و ^ عربياً ^ حال وهذا كما تقول مررت بزید رجلاً صالحاً وقوله ^ نحن نقص عليك ^ الآية روي ابن مسعود أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا لو قصصت

@ 219 @ علينا يا رسول الله فنزلت هذه الآية ثم ملوا ملة أخرى فقالوا لو حدثنا يا رسول الله فنزلت ^ الله نزل احسن الحديث كتاباً ^ . # و ^ القصص ^ الإخبار بما جرى من الأمور كان الأنبياء تتبع بالقول وتقتص بالأخبار كما يقتص الآخر وقوله ^ بما أوحينا إليك ^ أي بوحيها . # و ^ القرآن ^ نعت ل ^ هذا ^ ويجوز فيه البديل وعطف البيان فيه ضعيف . # و ^ إن ^ هي المخففة من الثقيلة واللام في خبرها لام التأكيد هذا مذهب البصريين ومذهب أهل الكوفة أن ^ إن ^ بمعنى ما واللام بمعنى إلا . # والضمير في ^ قبله ^ للقصص العام لام في جميع القرآن منه . # و ^ من الغافلين ^ أي عن معرفة هذا القصص . # ومن قال إن الضمير في ^ قبله ^ عائد على ^ القرآن ^ جعل ^ من الغافلين ^ في معنى قوله تعالى ^ ووجدك ضالاً فهدى ^ أي على طريق غير هذا الدين الذي بعثت به ولم يكن صلى الله عليه وسلم في ضلال الكفار ولا في غفلتهم لأنه لم يشرك قط وإنما كان مستهدياً ربه عز وجل موحداً والسائل عن الطريق المتخير يقع عليه في اللغة اسم ضال . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 4 \$ # العامل في ^ إذا ^ فعل مضمرة تقديره اذكر ^ إذ ^ ويصح أن يعمل فيه ^ نقص ^ كأن المعنى نقص عليك الحال ^ إذ ^ وحكى مكي أن العامل فيه ^ لمن الغافلين ^ وهذا ضعيف . # وقرأ طلحة بن مصرف يؤسف بالهمز وفتح السين وفيه ست لغات يوسف بضم الياء وسكون الواو ويفتح السين وبكسرهما وكذلك بالهمز . # وقرأ الجمهور يا أبت بكسر التاء حذف الياء من أبي وجعلت التاء بدلاً منها قاله سيبويه وقرأ ابن عامر وحده وأبو جعفر والأعرج يا أبت بفتحها وكان ابن كثير وابن عامر يقفان بالهاء فاما قراءة ابن عامر بفتح التاء فلها وجهان إما أن يكون يا أبتاً ثم حذف الألف تخفيفاً وبقيت الفتحة دالة على الألف وإما أن يكون جارياً مجرى قولهم يا طلحة أقبل رخصه ثم ردوا العلامة ولم يعتد بها بعد الترخيم وهذا كقولهم اجتمعت اليمامة ثم قالوا اجتمعت أهل اليمامة فردوا لفظة الأهل ولم يعتدوا بها وقرأ أبو جعفر والحسن وطلحة بن سليمان أحد عشر كوكبا بسكون العين لتوالي الحركات ويظهر أن الأسمين قد جعل واحداً . # وقيل إنه قد رأى كواكب حقيقة والشمس والقمر فتأولها يعقوب إخوته وأبويه وهذا قول الجمهور وقيل الإخوة والأب والخالة لأن أمه كانت ميتة وقيل إنما كان رأى إخوته وأبويه فعبير عنهم بالكواكب والشمس والقمر وهذا ضعيف ترجم به الطبري ثم ادخل عن قتادة والضحاك وغيرهما كلاماً محتملاً أن يكون كما ترجم وأن يكون مثل قول الناس وقال المفسرون ^ القمر ^ تأويله الأب و ^ الشمس ^ تأويلها الأم فانتزع بعض الناس من تقديمها وجوب بر الأم وزيادة على بر الأب وحكى الطبري عن

@ 220 @ جابر بن عبد الله أن يهودياً يسمى بستانة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني عن أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودي فقال هل أنت مؤمن إن أخبرتك بذلك قال نعم قال حريبان والطارق والذبال وذا الكنفان وقابس ووثاب وعمودان والفيلق والمصبح والضروح وذو الفرج والضياء والنور فقال اليهودي أي والله إنها لأسمائها . # وتكرر ^ رأيتهم ^ لطول الكلام وجرى ضمائر هذه الكواكب في هذه الآية مجرى ضمائر من يعقل إنما كان لما وصفت بأفعال هي خاصة بمن يعقل . # وروي أن رؤيا يوسف كانت ليلة القدر ليلة جمعة وأنها خرجت بعد أربعين سنة وقيل بعد ثمانين سنة . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 5 - 6 \$ # تقتضي هذه الآية أن يعقوب عليه السلام كان يحسن من بنيه حسد يوسف وبغضته فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوف أن يشعل بذلك غل صدورهم فيعملوا الحيلة على هلاكه ومن هنا ومن فعلهم بيوسف الذي يأتي ذكره يظهر أنهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت . # ووقع في كتاب الطبري لابن زيد أنهم كانوا أنبياء وهذا يرده القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنياوي وعن عقوب الآباء وتعريض مؤمن للهلاك والتوافر في قتله . # ثم علمه ^ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ^ أي هو يدخلهم في ذلك ويحضهم عليه . # وأمال الكسائي ^ رؤياك ^ والرؤيا حيث وقعت وروي عنه أنه لم يمل ^ رؤياك ^ في هذه السورة وأمال الرؤيا حيث وقعت وقرأ رويك بغير همز وهي لغة أهل الحجاز ولم يملها الباقون حيث وقعت . # والرؤيا مصدر كثر وقوعه على هذا المتخيل في النوم حتى جرى مجرى الأسماء كما فعلوا في الدر في قولهم لله درك فخرجا من حكم عمل المصادر وكسروها رؤى بمنزلة ظلم والمصادر في أكثر الأمر لا تكسر . # وقوله ^ وكذلك يجتبيك ^ الآية ف ^ يجتبيك ^ معناه يختارك ويصطفيك ومنه جيبت الماء في

الحوض ومنه جباية المال وقوله ^ ويعلمك من تأويل الأحاديث ^ قال مجاهد والسدي هي عبارة الرؤيا . # وقال الحسن هي عواقب الأمور . # وقيل هي عامة لذلك وغيره من المغيبات . # وقوله ^ ويتم نعمته ^

@ 221 @ يريد النبوة وما انضاف إليها من سائر النعم . # وقوله ^ آل يعقوب ^ يريد في هذا الموضع الأولاد والقرابة التي هي من نسله أي يجعل فيهم النبوة وبروي أن ذلك إنما علمه يعقوب من دعوة إسحاق له حين تشبه له بعيسو والقصة كاملة في كتاب النقاش لكني اختصرتها لأنه لم ينبل ألقاظها وما أظنه انتزعها إلا من كتب بني إسرائيل فإنها قصة مشهورة عندهم وباقي هذه الآية بين . # والنعمة على يوسف كانت تخلصه من السجن وعصمته والملك الذي نال وعلى ^ إبراهيم ^ هي اتخاذه خيلاً وعلى ^ إسحاق ^ فديته بالذبح العظيم مضافاً ذلك كله إلى النبوة و ^ عليم حكيم ^ مناسبتان لهذا الوعد . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 7 - 10 \$ # قرأ الجمهور آيات بالجمع وقرأ ابن كثير وحده آية بالإفراد وهي قراءة مجاهد وشيل وأهل مكة فالأولى على معنى أن كل حال من أحواله آية فجمعها . # والثانية على أنه بجملة آية وإن تفصل بالمعنى ووزن آية فعلة أو فعلة على الخلاف فيه وذكر الزجاج أن في غير مصحف عثمان عبرة للسائلين قال أبو حاتم هو في مصحف أبي بن كعب . # وقوله ^ للسائلين ^ يقتضي حضا ما على تعلم هذه الأنباء لأنه إنما المراد آية للناس فوصفهم بالسؤال إذ كل واحد ينبغي أن يسأل عن مثل هذه القصص إذ هي مقر العبر والإنعاط . # ويصح أيضاً أن يصف الناس بالسؤال من حيث كان سبب نزول السورة سؤال سائل كما روي . # وقولهم ^ وأخوه ^ يريدون به يامين وهو أصغر من يوسف ويقال له بنيامين وقيل كان شقيق يوسف وكانت أمهما ماتت وبدل على أنهما شقيقان تخصيص الأخوة لهما ب ^ أخوه ^ وهي دلالة غير قاطعة . # وكان حب يعقوب ليوسف عليه السلام ويامين لصغرهما وموت أمهما وهذا من حب الصغير هي فطرة البشر وقد قيل لابن الحسن أي بنيك أحب إليك قالت الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يفيق . # وقولهم ^ ونحن عصبة ^ أي نحن جماعة تضر وتنفع وتحمي وتخذل أي لنا كانت تنبغي المحبة والمراعاة . # والعصبة في اللغة الجماعة قيل من عشرة إلى خمسة عشر وقيل من عشرة إلى أربعين وقال الزجاج العشرة ونحوهم وفي الزهراوي الثلاثة نفر فإذا زادوا فهم رهط إلى التسعة فإذا زادوا فهم عصبة ولا يقال لأقل من عشرة عصبة . # وقولهم ^ لفي ضلال مبين ^ أي لفي اختلاف وخطأ في محبة يوسف وأخيه وهذا هو معنى الضلال وإنما يصغر قدره أو يعظم بحسب الشيء الذي فيه يقع الإلتلاف . # و ^ مبين ^ معناه يظهر للمتأمل .

@ 222 @ # وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة مبين اقتلوا بكسر التنوين في الوصل لالتقاء ساكن التنوين والقاف وقرأ نافع وابن كثير والكسائي مبين اقتلوا بكسر النون وضم التنوين إبتاعاً لضمه التاء ومراعاة لها . # وقوله ^ اقتلوا يوسف ^ الآية كانت هذه مقالة بعضهم . # أو اطرحوه ^ معناه أبعده ومنه قول عروة بن الورد . # (ومن بك مثلي ذا عيال ومقترا % يغرر وي طرح نفسه كل مطرح) # والنوى الطروح البعيدة و ^ أرضاً ^ مفعول ثان بإسقاط حرف الجر لأن طرح لا يتعدى إلى مفعولين إلا كذلك . # وقالت فرقة هو نصب على الظرف وذلك خطأ لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهما وهذه هنا ليست كذلك بل هي أرض مقيدة بأنها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك فزال بذلك إبهامها ومعلوم إن يوسف لم يخل من الكون في أرض فيين أنها أرض بعيدة غير التي هو فيها فربما من أبيه . # وقوله ^ يخل لكم وجه أبيكم ^ استعارة أي إذا فقد يوسف رجعت محبته إليكم ونحو هذا قول العربي حين أحبته أمه لما قتل إخوته وكانت قبل لا تحبه التكل أرامها أي عطفها عليه والضمير في ^ بعده ^ عائد على يوسف أو قتله أو طرحه و ^ صالحين ^ قال السدي ومقاتل بن سليمان إنهم أرادوا صلاح الحال عند أبيهم وهذا يشبه أن يكون قصدهم في تلك الحال ولم يكونوا حينئذ أنبياء وقال الجمهور ^ صالحين ^ معناه بالتوبة وهذا هو الأظهر من اللفظ وحالهم أيضاً تعطيه لأنهم مؤمنون بثواب على عظمة وعللوا أنفسهم بالتوبة والقائل منهم قيل هو روييل أسنهم قاله قتادة وابن إسحاق وقيل يهودا أحلمهم وقيل شمعون أشجعهم قاله مجاهد وهذا عطف منه على أخيه لا محالة لما أراد الله من إنفاذ قضائه . # والغيابة ما غاب عنك من الأماكن أو غيب عنك شيئاً آخر . # وقرأ الجمهور غيابة الجب وقرأ نافع وحده غيابات الجب وقرأ الأعرج غيابات الجب بشد الباء قال أبو الفتح هو اسم جاء على فعالة كان أبو علي يلحقه بما ذكر سيبويه من الفياذ ونحوه ووجدت أنا من ذلك التيار للموج والفجار للخرف . # قال القاضي أبو محمد وفي شبه غيابة بهذه الأمثلة نظر لأن غيابة جارية على فعل . # وقرأ الحسن في غيبة الجب على وزن فعلة وكذلك خطت في مصحف أبي بن كعب ومن هذه اللفظة قول الشاعر وهو المنخل # (فإن أنا يوما غيبتني غيابتني % فسيروا بسيري في العشييرة والأهل) # و ^ الجب ^ البئر التي لم تطو لأنها جبت من الأرض فقط . # وقرأ الجمهور بلتقطه بعض بالياء من تحت على لفظ بعض وقرأ الحسن البصري ومجاهد وقتادة وأبو رجاء تلتقطه بالتاء وهذا من حيث أضيف ^ البعض ^ إلى ^ السيارة ^ فاستفاد منها تأنيث العلاقة ومن هذا قول الشاعر

@ 223 @ # (أرى مر السنين أخذن مني % كما أخذ السرار من الهلال) + الوافر + # ومنه قول الآخر # (إذا مات منهم سيد قام سيد % فذلت له أهل القرى والكنائس) + الطويل + # وقول كعب # (ذلت لوقعتها جميع نزار %) + الكامل + # حين أراد بنزار القبيلة وأمثلة هذا كثير . # وروي أن جماعة من الأعراب التقطت يوسف عليه السلام و ^ السيارة ^ جمع سيار . # وهو بناء للمبالغة وقيل في هذا ^ الجب ^ أنه بئر بيت المقدس . # وقيل غيره وقيل لم يكن حيث طرحوه ماء ولكن أخرجه الله فيه حتى قصده الناس للإستقاء وقيل بل كان فيه ماء كثير يغرق يوسف فنشز حجر من أسفل الجب حتى ثبت عليه يوسف وروي أنهم رموه بحبل في الجب فتماسك بيديه حتى ربطوا يديه ونزعوا قميصه ورموه حينئذ وهموا برضخه بالحجارة فمنعهم أخوهم المشير بطرحه من ذلك . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 11 - 15 \$ # الآية الأولى تقتضي أن أباهم قد كان علم منهم إرادتهم الخبيثة في جهة يوسف . # وهذه أنهم علموا هم منه بعلمه ذلك . # وقرأ الزهري وأبو جعفر لا تأمناً بالإدغام دون إشمام . # ورواها الحلواني عن قالون وقرأ السبعة بالإشمام للضم وقرأ طلحة بن مصرف لا تأمناً وقرأ ابن وثاب والأعمش لا تيمنا بكسر تاء العلامة . # و ^ غدا ^ ظرف أصله غدو فلزم اليوم كله وبقي الغدو والغدوة اسمين لأول النهار وقال النضر ابن شميل ما بين الفجر إلى الإسفار يقال فيه غدوة . # وبكرة . # وقرأ أبو عمرو وأبو عامر نرتع ونلعب بالنون فيهما وإسكان العين والباء ونرتع على هذا من الرتوع وهي الإقامة في الخصب والمرعى في أكل وشرب ومنه قول الغضبان بن القبعثري القيد والترعة وقلة التعتعة . # ومنه قول الشاعر # (وبعد عطائك المائة الرتعا %) + الوافر +

@ 224 @ ولعبهم هذا دخل في اللعب المباح كاللعب بالخيل والرمي ونحوه فلا وصم عليهم في ذلك وليس باللعب الذي هو ضد الحق وقرين اللهو وقيل لأبي عمرو بن العلاء كيف يقولون نلعب وهم أنبياء قال لم يكونوا حينئذ أنبياء . # وقرأ ابن كثير نرتع ونلعب بالنون فيهما وبكسر العين وجزم الباء وقد روي عنه ويلعب بالياء وهي قراءة جعفر بن محمد . # ونرتع على هذا من رعاية الإبل وقال مجاهد هي من المراعاة أي يراعي بعضها بعضاً ويحرسه وقرأ عاصم وحمزة والكسائي يرتع ويلعب بإسناد ذلك كله إلى يوسف وقرأ نافع يرتع بالياء فيهما وكسر العين وجزم الباء فيرتع على هذا من رعي الإبل قال ابن زيد المعنى يتدرب في الرعي وحفظ المال ومن الإرتعاء قول الأعشى # (ترتعي السفح فالكتيب فذاقان % فروض القطا فذات الرئال) # قال أبو علي وقرأ ابن كثير نرتع بالنون ويلعب بالياء فنزعتها حسن لإسناد النظر في المال والرعاية إليهم واللعب إلى يوسف لصباه . # وقرأ العلاء بن سبيبة يرتع ويلعب برفع الباء على القطع . # وقرأ مجاهد وقتادة نرتع بضم النون وكسر التاء ونلعب بالنون والجزم . # وقرأ ابن كثير في بعض الروايات عنه نرتعي بإثبات الباء وهي ضعيفة لا تجوز إلا في الشعر كما قال الشاعر # (ألم يأتك والأنبياء تنمي % بما لاقت ليون بني زياد) + الوافر + # وقرأ أبو رجاء يرتع بضم الباء وجزم العين ويلعب بالياء والجزم . # وعللوا طلبه والخروج به بما يمكن أن يستهوي يوسف لصباه من الرتوع واللعب والنشاط . # وقوله تعالى ^ إنني ليحزنني ^ الآية . # قرأ عاصم وابن كثير والحسن والأعرج وعيسى وأبو عمرو وابن محيصن ليحزنني بفتح الباء وضم الزاي قال أبو حاتم وقرأ نافع بضم الباء وكسر الزاي والإدغام ورواية روش عن نافع بيان النونين مع ضم الباء وكسر الزاي في جميع القرآن وأن الأولى فاعلة والثانية مفعولة ب ^ أخاف ^ . # وقرأ الكسائي وحده

الذئب دون همز وقرأ الباقون بالهمز وهو الأصل ومنه جمعهم إياه على ذؤبان ومنه تذاعبت الريح والذئاب إذا أنت من ها هنا وها هنا .
وروى ورش عن نافع الذئب بغير همز وقال نصر سمعت أبا عمرو لا يهزم قال وأهل الحجاز يهزمون . # وإنما خاف يعقوب الذئب
دون سواه وخصه لأنه كان الحيوان العادي المنبت في القطر وروي أن يعقوب كان رأى في منامه ذئبا يشند على يوسف . # قال
القاضي أبو محمد وهذا عندي ضعيف لأن يعقوب لو رأى ذلك لكان وحيا فإما أن يخرج على وجهه وذلك لم يكن وإما أن يعرف
يعقوب بمعرفته لعبارة مثال هذا المرئي فكان يتشكاه بعينه اللهم إلا

@ 225 @ إن يكون قوله ^ أخاف أن يأكله الذئب ^ بمعنى أخاف أن يصيبه مثل ما رأيت من أمر الذئب وهذا بعيد وكذلك يقول الربيع
بن ضبع # (والذئب أخشاه %) + المنسرح + # إنما خصه لأنه كان حيوان قطره العادي ويحتمل أن يخصه يعقوب عليه السلام
لصغر يوسف أي أخاف عليه هذا الحقيق فما فوقه وكذلك خصه الربيع لحقارته وضعفه في الحيوان وباقي الآية بين . # وقوله تعالى
^ فلما ذهبوا به ^ الآية أسند الطبري إلى السدي قال ذهبوا بيوسف وبه عليهم كرامة فلما برزوا في البرية أظهروا له العداوة وجعل
أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحمة فاضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو
تعلم ما صنع بابتك بنو الإماء فقال لهم بهودا ألم تعطوني موثقا أن لا تقتلوه فانطلقوا به إلى الجب فجعلوا يدلونه فيتعلق بالشفير
فربطوا يديه ونزعوا قميصه . # قال يا إخواناه ردوا علي قميصي أتورى به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تؤنسك
فدلوه حتى إذا بلغ نصف الجب ألقوه إرادة أن يموت فكان في الجب ماء فسقط فيه ثم قام على صخرة يبكي فنادوه فظن أنهم
رحموه فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فمنعهم يهودا وكان يأتيه بالطعام . # وجواب ^ لما ^ محذوف تقديره ^ فلما ذهبوا به
واجتمعوا ^ أجمعوا هذا مذهب الخليل وسيبويه وهو نص لهما في قول امرئ القيس # (فلما أجزنا ساحية الحي وانتحي %) + الطويل
+ # ومثل هذا قول الله تعالى ^ فلما أسلما وتله للجبين ^ وقال بعض النحاة في مثل هذا إن الواو زائدة وقوله مردود لأنه ليس في
القرآن شيء زائد لغير معنى . # ^ اجمعوا ^ معناه عزموا واتفق رأيهم عليه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في المسافرين ما
لم يجمع مكنة على أن إجماع الواحد قد ينفرد بمعنى العزم والشروع ويتصور ذلك في إجماع إخوة يوسف وفي سائر الجماعات وقد
يجيء إجماع الجماعة فيما لا عزم فيه ولا شروع ولا يتصور ذلك في إجماع الواحد . # والصمير في ^ إليه ^ عائد إلى يوسف . # وقيل
على يعقوب والأول أصح وأكثر ويحتمل أن يكون الوحي حينئذ إلى يوسف برسول ويحتمل أن يكون بإلهام أو بنوم وكل ذلك قد قيل
وقال الحسن أعطاه الله النبوءة وهو في الجب . # قال القاضي أبو محمد وهذا بعيد . # وقرأ الجمهور لتبئتهم بالتاء وفي بعض
مصاحف البصرة بالياء وقرأ سلام بالنون وهذا كله في العلامة التي تلي اللام .

@ 226 @ # وقوله ^ وهم لا يشعرون ^ قال ابن جريج وقت التنبيه إنك يوسف . # وقال قتادة لا يشعرون بوحينا إليه . # قال القاضي
أبو محمد فيكون قوله ^ وهم لا يشعرون ^ علي التأويل الأول مما أوحى إليه وعلى القول الثاني خبر لمحمد صلى الله عليه وسلم . #
قوله عز وجل \$ سورة يوسف 16 - 18 \$ قرأت فرقة عشاء أي وقت العشاء وقرأ الحسن عشي على مثال دجى أي جمع عاش
قال أبو الفتح عشاء كماش ومشاة ولكن حذفته إلهاء تخفيفا كما حذفته من مألوفة وقال عدي # (أبلغ النعمان عني مألوكا %) أنه قد
طال حسبي وانتظاري # قال القاضي أبو محمد ومعنى ذلك أصابهم عشا من اليكأ أو شبه العشا إذ كذلك هي هيئة عين الباكى لأنه
يتعاشى ومثل شريح في امرأة بكت وهي مبطللة بكاء هؤلاء وقرأ الآية وروي أن يعقوب لما سمع بكاءهم قال ما بالكم أجرى في
الغنم شيء قالوا لا قال فأين يوسف قالوا ^ ذهينا نستيق ^ فبكى وصاح وقال أين قميصه وسيأتي قصص ذلك . # و ^ نستيق ^ معناه
على الأقدام أي تجري غلابة وقيل بالرمي أي تنتصل . # وهو نوع من المسابقة قال الزجاج . # وقولهم ^ وما أنت بمؤمن ^ أي
بمصدق ومعنى الكلام أي لو كنا موصوفين بالصدق وقيل المعنى ولو كنت تعتقد ذلك فينا في جميع أقوالنا قديما لما صدقتنا في هذه
النازلة خاصة لما لحقك فيها من الحزن ونالك من المشقة ولما تقدم من تهمتك لنا . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول ذكره الزجاج
وغيره ويحتمل أن يكون قولهم ^ ولو كنا صادقين ^ بمعنى وإن كنا صادقين وقاله المبرد كأنهم أخبروا عن أنفسهم أنهم صادقون في
هذه النازلة فهو تهادنهم في الكذب ويكون بمنزلة قوله ^ أو لو كنا كارهين ^ بمعنى أو إن كنا كارهين . # قال القاضي أبو محمد
وفي هذا المثال عندي نظر وتخطيط الرمانى في هذا الموضوع وقال أئزموا أباهم عنادا ونحو هذا مما لا يلزم لأنهم لم يقولوا وما أنت
بمصدق لنا ولو كنا صادقين في معتقدك بل قالوا وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين فيما نعتقد نحن وأما أنت فقد غلب عليك سوء
الظن بنا . # ولا

@ 227 @ ينكر أن يعتقد الأنبياء عليهم السلام صدق الكاذب وكذب الصادق ما لم يوح إليهم فإنما هو بشر كما قال صلى الله عليه وسلم
وسلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي فليعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه الحديث . #
فهذا يقتضي أنه جوز على نفسه أن يصدق الكاذب . # وكذلك قد صدق صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حين حلف على مقالة
زيد بن أرقم وكذب زيدا حتى نزل الوحي فظهر الحق فكلام أخوة يوسف إنما هو مغالطة ومحاجة لا إلزام عناد . # وقوله تعالى ^
وجاءوا على قميصه بدم كذب ^ الآية روي أنهم أخذوا سخله أو جدبا فذبحوه ولطخوا به قميص يوسف وقالوا ليعقوب هذا قميصه
فأخذه ولطخ به وجهه وبكى ثم تأمله فلم ير خرقا ولا أثر ناب . # فاستدل بذلك على كذبهم وقال لهم متى كان الذئب حليما يأكل
يوسف ولا يخرق قميصه قص هذا القصص ابن عباس وغيره وأجمعوا على أنه استدل على كذبهم لصحة القميص واستند الفقهاء إلى
هذا في أعمال الإمارات في مسائل كالتقسامة بها في قول مالك إلى غير ذلك . # قال الشافعي كان في القميص ثلاث آيات دلالة
على كذبهم وشهادته في قده ورد بصر يعقوب به . # وروي أنهم ذهبوا فأخذوا ذئبا فلطخوا فاه بالدم وساقوه وقالوا ليعقوب هذا أكل
يوسف فدعاه يعقوب فأفقى وتكلم بتكذيبهم . # ووصف الدم ب ^ كذب ^ إما على معنى بدم ذي كذب وإما أن يكون بمعنى مكذوب
عليه كما قد جاء المعقول بدل العقل في قول الشاعر # (حتى إذا لم يتركوا لعظامه % لحما ولا لفؤاده معقولا) + الكامل + #
فكذلك يجيء التكذيب مكان المكذوب . # قال القاضي أبو محمد هذا كلام الطبري ولا شاهد له فيه عندي لأن نفي المعقول يقتضي
نفي العقل ولا يحتاج إلى بدل وإنما الدم الكذب عندي وصف بالمصدر على جهة المبالغة . # وقرأ الحسن بدم كذب بدال غير معجمة
ومعناه الطري ونحوه وليست هذه القراءة قوية . # ثم قال لهم يعقوب لما بان كذبهم ^ بل سولت لكم أنفسكم أمرا ^ أي رضيت
وجعلت سولا ومرادا . # أمرا ^ أي صنعا قبيحا بيوسف . # وقوله ^ فصبر جميل ^ رفع إما على حذف الإبتداء وإما على حذف الخبر
إما على تقدير فشأنى صبر جميل وإما على تقدير فصبر جميل أمثل . # وذكر أن الأشهب وعيسى بن عمر قرأ بالنصب فصبرا جميلا
على إضمار فعل وكذلك هي في مصحف أبي ومصحف أنس بن مالك وهي قراءة ضعيفة عند سيبويه ولا يصلح النصب في مثل هذا
إلا مع الأمر ولذا يحسن النصب في قول الشاعر # (صبرا جميلا فكلانا مبتلى %) + الرجز + # وينشد أيضا بالرفع ويروى صبر جميل
على نداء الجمل المذكور في قوله

@ 228 @ # (شكى إلي جملي طول السرى % يا جملي ليس إلي المشتكى) # (صبر جميل فكلانا مبتلى %) + الرجز + # وإنما
تصح قراءة النصب على أن تقدر يعقوب عليه السلام رجع إلى مخاطبة نفسه أثناء مخاطبة نبيه . # وجميل الصبر ألا تقع شكوى إلى
بشر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بث لم يصبر صبرا جميلا . # وقوله ^ والله المستعان على ما تصفون ^ تسليم لأمر الله
تعالى وتوكل عليه والتقدير على احتمال ما تصفون . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 19 - 20 \$ قيل إن السيارة جاءت في اليوم
الثاني من طرحه في الجب ^ سيارة ^ جمع سيار كما قالوا بغال وبغالة وهذا بعكس تمر وتمر و ^ سيارة ^ بناء مبالغة للذين يرددون
السير في الطرق . # وروي أن هذه السيارة كانوا قوما من أهل مدين وقيل قوم أعراب . # والوارد هو الذي يأتي الماء ليسقي منه
لجماعة ويروي أن مدلي الدلو كان يسمى مالك بن دعر ويروي أن هذا الجب كان بالأردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ويقال
أدلى الدلو إذا ألقاه في البئر ليستقي الماء . # ودلاه يدلوه إذا استقاه من البئر . # وفي الكلام هنا حذف تقديره فتعلق يوسف بالحبل
فلما بصر به المدلي قال يا بشراي وروي أن يوسف كان يومئذ ابن سبع سنين ويرجع هذا لفظة ^ غلام ^ فإنه ما بين الحولين إلى

البلوغ فإن قيلت فيما فوق ذلك فعلى استصحاب حال وتجاوز وقيل كان ابن سبع عشرة سنة وهذا بعيد . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر يا بشرى يا إضافة البشرى إلى المتكلم ويفتح الباء على ندائها كأنه يقول احضري فهذا وقتك وهذا نحو قوله ^ يا حسرة على العباد ^ وروي ورش عن نافع يا بشرى بسكون الباء قال أبو علي وفيها جمع بين ساكنين على حد دابة وشابة ووجه ذلك أنه يجوز أن تختص بها الألف لزيادة المد الذي فيها على المد الذي في أختيها كما اختصت في القوافي بالتأسيس واختصت في تخفيف الهمزة نحو هبة وليس شيء من ذلك في الباء والواو . # وقرأ أبو الطفيل والجحدرى وابن أبي إسحاق والحسن يا بشرى تقلب الألف باء ثم تدغم في ياء الإضافة وهي لغة فاشية ومن ذلك قول أبي ذؤيب (سيقوا هوي وأعنفوا لهواهم % فخرموا ولكل جنب مصرع) + الكامل +

@ 229 @ # وأنشد أبو الفتح وغيره في ذلك # (يطوف بي كعب في معد % ويطعن بالصلمة في قفيا) # فإن لم تتأروا لي في معد % فما أورتما أبدا صديا) # وقرأ حمزة والكسائي يا بشرى ويميلان ولا يضيفان . # وقرأ عاصم كذلك إلا أنه يفتح الراء ولا يميل واختلف في تأويل هذه القراءة فقال السدي كان في أصحاب هذا الوارد رجل اسمه بشرى فناده وأعلمه بالسلام وقيل هو على نداء البشرى كما قدمنا والضمير في قوله ^ وأسروه ^ ظاهر الآيات أنه لوارد الماء قاله مجاهد وقال إنهم خشوا من تجار الرفقة إن قالوا وجدناه أن يشاركوهم في الغلام الموجود . # قال القاضي أبو محمد هذا إن كانوا فسقة أو يمنعوهم من تملكه إن كانوا خيارا فأسروا بينهم أن يقولوا أبضعه معنا بعض أهل المصر . # و ^ بضاعة ^ حال والبضاعة القطعة من المال يتجر فيها بغير نصيب من الربح مأخوذة من قولهم بضعت أي قطعت . # وقيل إنهم أسروا في أنفسهم يتخذونه بضاعة لأنفسهم أي متجرا ولم يخافوا من أهل الرفقة شيئا ثم يكون الضمير في قوله ^ وشروه ^ لهم أيضا أي باعوه بثمن قليل إذ لم يعرفوا حقه ولا قدره بل كانوا زاهدين فيه وروي على هذا أنهم باعوه من تاجر . # وقال مجاهد الضمير في ^ أسروه ^ لأصحاب الدلو وفي ^ شروه ^ لإخوة يوسف الأحد عشر وقال ابن عباس بل الضمير في ^ أسروه ^ و ^ شروه ^ لإخوة يوسف . # قال القاضي أبو محمد وذلك أنه روي أن إخوته لما رجعوا إلى أبيهم وأعلموه رجوع بعضهم إلى الحب ليتحققوا أمر يوسف ويقفوا على الحقيقة من فقده فلما علموا أن الوارد قد أخذه جاؤهم فقالوا هذا عبد أبنا ووهبته لنا ونحن نبيعه منكم فقارهم يوسف على هذه المقالة خوفا منهم ولينفذ الله أمره فحينئذ أسره إخوته إذ جحدوا إخوته فأسروها واتخذوه ^ بضاعة ^ أي متجرا لهم ومكسبا ^ وشروه ^ أيضا ^ بثمن بخس ^ أي باعوه . # وقوله ^ والله عليم بما يعملون ^ إن كانت الضمائر لإخوة يوسف ففي ذلك توعده وإن كانت الضمائر للواردين ففي ذلك تشبيهه على إرادة الله تعالى ليوسف وسوق الأقدار بناء حاله فهو حينئذ بمعنى قوله النبي صلى الله عليه وسلم يدير ابن آدم والقضاء يضحك . # وفي الآية أيضا تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم عما يجري عليه من جهة قريش أي العاقبة التي للمتقين هي المراعاة والمنتطرة . # و ^ شروه ^ هنا بمعنى باعوه وقد يقال شري بمعنى اشتري ومن الأول قول يزيد بن مفرغ الحميري (وشريت بردا ليتني % من بعد برد كنت هامه) + مجزوء الكامل +

@ 230 @ # برد اسم غلام له ندم على بيعه والضمير يحتمل الوجهين المتقدمين و ^ البخس ^ مصدر وصف به الثمن وهو بمعنى النقص وهذا أشهر معانيه فكأنه القليل الناقص وهو قول الشعبي وقال قتادة البخس هنا بمعنى الظلم ورجحه الزجاج من حيث الحر لا يحل بيعه وقال الضحاك وهو بمعنى الحرام وهذا أيضا بمعنى لا يحل بيعه . # وقوله ^ دراهم معدودة ^ عبارة عن قلة الثمن لأنها دراهم لم تبلغ أن توزن لقلتها وذلك أنهم كانوا لا يزنون ما دون الأوقية وهي أربعون درهما واختلف في مبلغ ثمن يوسف عليه السلام فقيل باعوه بعشرة دراهم وقال ابن مسعود بعشرين وقال مجاهد بائتين وعشرين أخذ منها إخوته دراهم وقال عكرمة بأربعين درهما دفعت ناقصة خفافا فهذا كان بخسها . # وقوله ^ وكانوا فيه من الزاهدين ^ وصف بترتب في وراة الماء أي كانوا لا يعرفون قدره فهم لذلك قليل اغتباطهم به لكنه أرتب في إخوة يوسف إذ حقيقة الزهد في الشيء إخراج حبه من القلب ورفضه من اليد وهذه كانت حال إخوة يوسف في يوسف وأما الوارد فتمسكهم به وتجرهم يمانع زهدهم إلا على تجوز . # وقوله ^ فيه ^ ليست بصلة ل ^ الزاهدين ^ قاله الزجاج وفيه نظر لأنه يقتضي وصفهم بالزهد على الإطلاق وليس قصد الآية هذا بل قصدنا الزهد الخاص في يوسف والظروف يجوز فيها من التقديم ما لا يجوز في سائر الصلوات وقد تقدم القول في عود ضمير الجماعة الذي في قوله ^ وشروه ^ # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 21 - 22 \$ # روي أن مبتاع يوسف وهو الوارد من إخوته أو التاجر من الوارد حسبما تقدم من الخلاف ورد به مصر البلد المعروف ولذلك لا ينصرف فعرضه في السوق وكان أجمل الناس فوقعت فيه مزايده حتى بلغ ثمنا عظيما فقيل وزنه من ذهب ومن فضة ومن حرير فاشتراه العزيز وكان حاجب الملك وخازنه واسم الملك الريان بن الوليد وقيل مصعب بن الريان وهو أحد الفراغة وقيل هو فرعون موسى عمر إلى زمانه . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وذلك أن ظهور يوسف عليه السلام لم يكن في مدة كافر يخدمه يوسف واسم العزيز المذكور قطفير قاله ابن عباس وقيل أطفير وقيل قنطور واسم

@ 231 @ امرأته راعيل قاله ابن إسحاق وقيل ربيعة وقيل زليخا وظاهر أمر العزيز أنه كان كافرا وبدل على ذلك كون الصنم في بيته حسبما نذكره في البرهان الذي رأى يوسف وقال مجاهد كان العزيز مسلما . # والمثوى مكان الإقامة والإكرام إنما هو لذي المثوى ففي الكلام استعارة وقوله ^ عسى أن ينفعنا ^ أي بأن يعيننا في أبواب ديانا وغير ذلك من وجوه النفع وقوله ^ أو نتخذة ولدا ^ أي نتبناه وكان فيما يقال لا ولد له . # ثم قال تعالى ^ وكذلك ^ أي كما وصفنا ^ مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه ^ فعلنا ذلك . # و ^ الأحاديث ^ الرؤيا في النوم قاله مجاهد وقيل أحاديث الأمم والأنبياء . # والضمير في ^ أمره ^ يحتمل أن يعود على يوسف قاله الطبري ويحتمل أن يعود على الله عز وجل قاله ابن جبير فيكون إخبارا منبها على قدرة الله عز وجل ليس في شأن يوسف خاصة بل عاما في كل أمر . # وكذلك الاحتمال في قول الشاعر (رأيت أبا بكر وربك غالب % على أمره يبغى الخلافة بالتمر) + الطويل + # وأكثر الناس الذين نفي عنهم العلم هم الكفرة وفيهم الذين زهدوا في يوسف وغيرهم ممن جهل أمره وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال أصح الناس فراسة ثلاثة العزيز حين قال لامراته ^ أكرمي مثواه ^ وابنة شعيب حين قالت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب . # قال القاضي أبو محمد وفراسة العزيز إنما كانت في نفس نجابة يوسف لا أنه تفرس الذي كان كما في المثالين الآخرين فإن ما تفرس خرج بعينه . # والأشد استكمال القوة وتناهي البأس أولهما البلوغ وقد عبر عنه مالك وربيعه ببنية الإنسان وهما أشدان وذكره منذر بن سعيد والثاني الذي يستعمله العرب وقيل هو من ثماني عشرة سنة إلى ستين سنة . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول ضعيف . # وقيل الأشد بلوغ الأربعين وقيل بل ستة وثلاثون وقيل ثلاثة وثلاثون . # قال القاضي أبو محمد وهذا هو أظهر الأقوال فيما نحسبه وهو الأسبوع الخامس وقيل عشرون سنة وهذا ضعيف . # وقال الطبري الأشد لا واحد له من لفظه وقال سيويه الأشد جمع شدة نحو نعمة وأنعم وقال الكسائي أشد جمع شد نحو قد وأقد وشد النهار معظمه وحيث تستكمل نهاريته . # وقوله ^ حكما ^ يحتمل أن يريد الحكمة والنبوءة وهذا على الأشد الأعلى ويحتمل الحكمة والعلم دون النبوءة وهذا أشبه إن كانت قصة المرادة بعد هذا . # و ^ حكما ^ يريد تأويل الأحاديث وغير ذلك . # ويحتمل أن يريد بقوله ^ حما ^ أي سلطانا في الدنيا وحكما بين الناس بالحق . # وتدخل النبوة وتأويل الأحاديث وغير ذلك في قوله ^ وعلمنا ^ .

@ 232 @ # وكذلك تجزي المحسنين ^ ألفاظ فيها وعد للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يهولنك فعل الكفرة بك وعوهم عليك فالله تعالى يصنع للمحسنين أجمل صنع . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 23 - 25 \$ # المرادة الملائكة في السوق إلى غرض وأكثر استعمال هذه اللفظة إنما هو في هذا المعنى الذي هو بين الرجال والنساء وبشبهه أن يكون من راد يرود إذا تقدم لاختبار الأرض والمراعي فكان المراد يختبر أبدا بأقواله وتلفظه حال المراد من الإجابة أو الإمتناع . # وفي مصحف وكذلك رويت عن الحسن . # و ^ التي هو في بيتها ^ هي زليخا امرأة العزيز . # وقوله ^ عن نفسه ^ كناية عن غرض الواقعة . # وقوله ^ وغلقت ^ تضعيف مبالغة لا تعديا وظاهر هذه النازلة أنها كانت قبل أن يبنيا صلى الله عليه وسلم . # وقرأ ابن كثير وأهل مكة هيت بفتح الهاء وسكون الباء

وضم التاء وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق وابن محيصن وأبو الأسود وعيسى بفتح الهاء وكسر التاء هيت وقرأ ابن مسعود والحسن والبصريون هيت بفتح الهاء والتاء وسكون الياء ورويت عن ابن عباس وقتادة وأبي عمرو قال أبو حاتم لا يعرف أهل البصرة غيرها وهم أقل الناس غلوا في القراءة قال الطبري وقد رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عامر هيت بكسر الهاء وسكون الياء وفتح التاء وهي قراءة الأعرج وشيبة وأبي جعفر وهذه الأربع بمعنى واحد واختلف باختلاف اللغات فيها ومعناه الدعاء أي تعال وأقبل على هذا الأمر قال الحسن معناها هلم ويحسن أن تتصل بها[^] لك[^] إذ حلت محل قولها إقبالا أو قريبا فجرت مجرى سقيا لك ورعيا لك ومن هذا قول الشاعر يخاطب علي بن أبي طالب # (أبلغ أمير المؤمنين % أبا العرق إذا أتينا) # (أن العرق وأهله % عنق إليك فهيت هيتا) + مجزوء الكامل + # ومن ذلك على اللغة الأخرى قول طرفه # (ليس قومي بالأبعدين إذا ما % قال داع من العشرة هيت) + الخفيف +

@ 233 @ # ومن ذلك أيضا قول الشاعر # (قد رايتني أن الكرى قد أسكتنا % ولو غدا يعني بنا لهيتا) + الرجز + # أسكت دخل في سكوت وهيت معناه قال هيت كما قالوا أف إذا قال أف ومنه سبح وكبر ودعدع إذ قال داع داع . # والتاء على هذه اللغات كلها مبنية فهي في حال الرفع كقيل وبعد وفي الكسر على الباب لالتقاء الساكنين وفي حال النصب ككيف ونحوها قال أبو عبيدة و هيت[^] لا تننى ولا تجمع تقول العرب[^] هيت لك[^] وهيت لكما وهيت لكم . # وقرأ هشام ابن عامر هئت بكسر الهاء والهمز ضم التاء وهي قراءة علي بن أبي طالب وأبي وائل وأبي رجاء ويحيى ورويت عن أبي عمرو وهذا يحتمل أن يكون من هاء الرجل يهيه إذا أحسن هيئته على مثال جاء يهيه ويحتمل أن يكون بمعنى تهيات كما يقال فئت وتهيات بمعنى واحد قال الله عز وجل[^] يتفيؤا ظلاله وقال[^] حتى تفيء إلى أمر الله . # وقرأ ابن أبي إسحاق أيضا هيت بتسهيل الهمزة من هذه القراءة المتقدمة . # وقرأ ابن عباس أيضا هيت لك . # وقرأ الحلواني عن هشام هئت بكسر الهاء والهمز وفتح التاء قال أبو علي ظاهر أن هذه القراءة وهم لأنه كان ينبغي أن تقول هئت لي وسياق الآيات يخالف هذا . # وحكى النحاس أنه يقرأ هيت بكسر الهاء وسكون الياء وكسر التاء . # و معاذ[^] نصب على المصدر ومعنى الكلام أعود بالله . # ثم قال[^] إنه ربي[^] فيحتمل أن يعود الضمير في[^] إنه[^] على الله عز وجل ويحتمل أن يريد العزيز سيده أي فلا يصلح لي أن أخونه وقد أكرم مثواي وأتمننى قال مجاهد والسدي[^] ربي[^] معناه سيدي وقاله ابن إسحاق . # قال القاضي أبو محمد وإذا حفظ الأدمي لإحسانه فهو عمل زاك وأحرى أن يحفظ ربه . # ويحتمل أن يكون الضمير للأمر والشأن ثم يتدئ[^] ربي أحسن مثواي . # والضمير في قوله[^] إنه لا يفيل[^] مراد به الأمر والشأن فقط وحكى بعض المفسرين أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما قال معاذ الله ثم دافع الأمر باحتجاج وملاينة امتحنه الله تعالى بالهم بما هم به ولو قال لا حول ولا قوة إلا بالله ودافع بعنف وتغيير لم يهيم بشيء من المكروه . # وقرأ الجحدري مثواي وقرأها كذلك أبو طفيل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن تبع هداي . # وقوله[^] ولقد همت به[^] الآية لا شك أن هم زليخا كان في أن يواقعها يوسف واختلف في هم يوسف عليه السلام فقال الطبري قالت فرقة كان مثل همها واختلفوا كيف يقع من مثل يوسف وهو نبي فقيل ذلك ليربه الله تعالى موقع العفو والكفاية وقيل الحكمة في ذلك أن يكون مثالا للمذنبين

@ 234 @ ليروا أن تويتهم ترجع بهم إلى عفو الله كما رجعت بمن هو خير منهم ولم يوبقه القرب من الذنب وهذا كله على أن هم يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقة إلى أن جلس بين رجلي زليخا وأخذ في حل ثيابه وتكنه ونحو هذا وهي قد استقلت له قاله ابن عباس وجماعة من السلف . # وقالت فرقة في همه إنما كان بخطر القلب التي لا يقدر البشر عن التحفظ منها ونزع عند ذلك ولم يتجاوزها فلا يبعد هذا على مثله عليه السلام وفي الحديث إن من هم بسينته ولم يعملها فله عشر حسنات وفي حديث آخر حسنة فقد يدخل يوسف في هذا الصنف . # وقالت فرقة كان هم يوسف بضرها ونحو ذلك . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف البتة والذي أقول في هذه الآية إن كون يوسف نبيا في وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية وإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون موافقته وإن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة وإن فرضناه نبيا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو الخاطر ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك لأن العصمة مع النبوة وما روي من أنه قيل له تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء فإنما معناه العدة بالنبوة فيما بعد والهم بالشيء مرتبتان فالواحدة الأولى تجوز عليه مع النبوة والثانية الكبرى لا تقع إلا من غير نبي لأن استصحاب خاطر المعصية والتلذذ به معصية تكتب وقول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تنطق به أو تعمل . # معناه من الخواطر وأما استصحاب الخاطر فمحال أن يكون مباحا فإن وقع فهو خطيئة من الخطايا لكنه ليس كمواقعة المعصية التي فيها الخاطر ومما يؤيد أن استصحاب الخاطر معصية قول النبي صلى الله عليه وسلم إنه كان حريصا على قتل صاحبه . # وقول الله تعالى[^] إن بعض الظن إثم[^] وهذا منتزع من غير موضع من الشرع والإجماع منعقد أن الهم بالمعصية واستصحاب التلذذ بها غير جائز ولا داخل في التجاوز . # واختلف في البرهان الذي رأى يوسف وقيل نودي . # واختلف فيما نودي به فقيل ناداه جبريل يا يوسف تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء وقيل نودي يا يوسف لا تواقع المعصية فتكون كالطائر الذي عصى فتساقط ريشه فبقي ملقى ناداه بذلك يعقوب وقيل غير هذا مما في معناه . # وقيل كان البرهان كتابا رآه مكتوبا فقيل في جدار المجلس الذي كان فيه وقيل بين عيني زليخا وقيل في كف من الأرض خرجت دون جسد واختلف في المكتوب فقيل قوله تعالى[^] أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت[^] وقيل قوله تعالى[^] ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا[^] وقيل غير هذا . # وقيل كان البرهان أن رأى يعقوب عليه السلام ممثلا معه في البيت عاضا على إبهامه وقيل على شفته . # وقيل بل انفرج السقف فرآه كذلك . # وقيل إن جبريل قال له لئن واقعت المعصية لأمحونك من ديوان النبوة وقيل إن جبريل ركضه فخرجت شهوته على أنامله . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وقيل بل كان البرهان فكرته في عذاب الله ووعيده على

@ 235 @ المعصية وقيل بل كان البرهان الذي اعطى به أن زليخا قالت له مكانك حتى أستمر هذا الصنم لصنم كان معها في البيت فإني أستحي منه أن يراني على هذه الحال وقامت إليه فسترته بثوب فانعط يوسف وقال من يسترني أنا من الله القائم على كل شيء وإذا كنت أنت تفعلين هذا لما لا يعقل فإن أولى أن استحيي من الله . # والبرهان في كلام العرب الشيء الذي يعطي القطع واليقين كان مما يعلم ضرورة أم بخبر قطعي أو بقياس نظري فهذه التي رويت فيما رآه يوسف براهين . # و[^] أن[^] في قوله[^] لولا أن رأى[^] في موضع رفع التقدير لولا رؤيته برهان ربه وهذه[^] لولا[^] التي يحذف معها الخبر تقديره لفاعل أو لارتكب المعصية . # وذهب قوم إلى أن الكلام تم في قوله[^] ولقد همت به[^] وأن جواب[^] لولا[^] في قوله[^] وهم بها[^] وأن المعنى لولا أن رأى البرهان لهم أي فلم يهيم عليه السلام وهذا قول برده لسان العرب وأقوال السلف . # قال الزجاج ولو كان الكلام ولهم بها لولا لكان بعيدا فكيف مع سقوط اللام . # والكاف من قوله[^] كذلك[^] متعلقة بمضمر تقديره جرت أفعالنا وأقدارنا[^] كذلك لنصرف[^] ويصح أن تكون الكاف في موضع رفع بتقدير عصمتنا له كذلك لنصرف . # وقرأ الجمهور لنصرف بالنون وقرأ الأعمش ليصرف بالياء على الحكاية عن الغائب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والحسن بن أبي الحسن وأبو رجاء المخلصين بكسر اللام في كل القرآن وذلك[^] مخلصا[^] في سورة مريم . # وقرأ نافع[^] مخلصا[^] كذلك بكسر اللام وقرأ سائر القرآن المخلصين بفتح اللام وقرأ حمزة والكسائي وجمهور من القراء المخلصين بفتح اللام ومخلصا كذلك في كل القرآن . # وقوله تعالى[^] واستبقا الباب[^] الآية[^] واستبقا[^] معناه سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب هي لترده إلى نفسها وهو ليهرب عنها فقبضت في أعلى قميصه من خلفه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخریق إلى أسفل القميص . # والقدر القطع وأكثر ما يستعمل فيما كان طولا والقط يستعمل فيما كان عرضا وكذلك هي اللفظة في قول النابغة . # (تقد السلوقي %) # فإن قوله توقد بالصفا يقتضي أن القطع بالطول . # و[^] ألفيا[^] وجدا والسيد الزوج قاله زيد بن ثابت ومجاهد . # فيروى أنهما وجدا والعزير ورجلا من قرابة زليخا عند الباب الذي استبقا إليه قاله السدي . # فلما رأت الفضيحة فزعت إلى مطالبه يوسف والبعي عليه فأرت العزيز أن يوسف أرادها وقالت[^] ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم[^] وتكلمت في الجزاء أي أن الذنب ثابت متقرر . # وهذه الآية تقتضي بعظم موقع السجن من النفوس لا

سيما بذوي الأقدار إذ قرن بأليم العذاب .

@ 236 @ # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 26 - 29 \$ # قال نوف الشامي كان يوسف عليه السلام لم يبين على كشف القصة فلما بغت به غضب فقال الحق فأخبره أنها هي راودته عن نفسه فروي أن الشاهد كان الرجل ابن عمها قال انظر إلى القميص فإن كان قد من دبر فكذبت أو من قبل فصدقت قاله السدي . # وقال ابن عباس كان رجلا من خاصة الملك قاله مجاهد وغيره . # وقيل إن الشاهد كان طفلا في المهدي فتكلم بهذا قاله أيضا ابن عباس وأبو هريرة وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك . # قال القاضي أبو محمد ومما يضعف هذا أن في صحيح البخاري ومسلم لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريح وابن السوداء الذي تمت له أن يكون كالفاجر الجبار فقال لم يتكلم وأسقط صاحب يوسف منها ومنها أن الصبي لو تكلم لكان الدليل نفس كلامه دون أن يحتاج إلى الاستدلال بالقميص . # وأسند الطبري إلى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم في المهدي أربعة فذكر الثلاثة وزاد صاحب يوسف وذكر الطبري عن ابن عباس أن ابن ماشطة فرعون تكلم في المهدي فهم على هذا خمسة وقال مجاهد أيضا الشاهد القميص . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف لأنه لا يوصف بأنه من الأهل . # وقرأ جمهور الناس من قبل ومن دبر يضم الباءين وبالتنوين وقرأ ابن يعمر والجارود بن أبي سبرة ونوح وابن أبي إسحاق من قبل ومن دبر بثلاث ضمات من غير تنوين قال أبو الفتح هما غايتان نبينا كقوله تعالى من قبل ومن بعد قال أبو حاتم وهذا رديء في العربية جدا وإنما يقع هذا البناء في الظروف وقرأ الحسن من قبل ومن دبر بإسكان الباءين والتنوين ورويت عن أبي عمرو وروي عن نوح القاري أنه أسكن الباءين وضم الأواخر ولم ينون ورواه عن ابن أبي إسحاق عن يحيى بن يعمر . # وسمى المتكلم بهذا الكلام شاهد من حيث دل على الشاهد ونفس الشاهد هو تخريق القميص . # وقرأت فرقة فلما رأى قميصه عط من دبر . # والضمير في رأى هو للعزير وهو الفائل إنه من كيدكن قاله الطبري وقيل بل الشاهد قال ذلك والضمير في إنه يريد مقالها المتقدم في الشكوى بيوسف .

@ 237 @ # ونزع بهذه الآية من يرى الحكم بالأمارة من العلماء فإنها معتمدتهم و يوسف في قوله يوسف أعرض عن هذا منادى قاله ابن عباس ناداه الشاهد وهو الرجل الذي كان مع العزير و أعرض عن هذا معناه عن الكلام به أي اكتمل ولا تتحدث به ثم رجع إليها فقال واستغفري لذنبك أي استغفري زوجك وسيدك وقال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لأن الخاطئين أعم وهو من خطئ يخطأ خطأ وخطأ ومنه قول الشاعر أوس بن غلفاء # (لعمرك إنما خطئي وصوبي % علي وإنما أتلفت مالي) + الوافر + # وينشد بيت أمية بن أبي الصلت # (عبادك يخطئون وأنت رب % بكفك المنيا والحتوم) + الوافر + # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 30 - 31 \$ # ذكر الفعل المسند إلى النسوة لتذكير اسم الجمع و نسوة جمع قلة لا واحد له من لفظه وجمع التذكير نساء و نسوة فعلة وهو أحد الأبنية الأربعة التي هي لأدنى العدد وقد نظمها القائل بيت شعر # (بأفعل وبأفعال وأفعلة % وفعله يعرف الأدنى من العدد) + البسيط + # وبروي أن هؤلاء النسوة كن أربعاً امرأة خبازة وامرأة ساقية وامرأة بوابة وامرأة سجانة . # والعزير الملك ومنه قول الشاعر # (درة غاص عليها تاجر % جلبت عند عزير يوم طل) + الرمل + # والفتى الغلام وعرفه في المملوك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي ولكنه قد يقال في غير المملوك ومنه إذ قال موسى لفتهاه وأصل الفتى في اللغة الشباب ولكن لما كان جل الخدمة شباباً استعير لهم اسم الفتى . # و شغفها معناه بلغ حتى صار من قلبها موضع الشغاف وهو على أكثر القول غلاف من أغشية القلب وقيل الشغاف سويداء القلب وقيل الشغاف داء يصل إلى القلب . # وقرأ أبو رجاء والأعرج وعلي بن أبي طالب والحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف وثابت وعوف ومجاهد وغيرهم قد شغفها بالعين غير منقوطة ولذلك وجهان .

@ 238 @ أحدهما أنه علا بها كل مرقبة من الحب وذهب بها كل مذهب فهو مأخوذ على هذا من شغف الجبال وهي رؤوسها وأعالها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم عنما يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن . # والوجه الآخر أن يكون الشغف لذة بحرقه يوجد من الجراحات والجرب ونحوها ومنه قول امرئ القيس # (أيقنتني وقد شغفت فؤادها % كما شغف المهنوءة الرجل الطالي) + الطويل + # والمشغوف في اللغة الذي أحرق الحب قلبه ومنه قول الأعشى # (تعصى الوشاة وكان الحب أونة % مما يزين للمشغوف ما صنع) # وروي عن ثابت البناني وأبي رجاء أنها قرأ قد شغفها بكسر العين غير منقوطة . # قال أبو حاتم المعروف فتح العين وهذا قد قرئ به . # وقرأ ابن محيصن قد شغفها أدغم الدال في الشين . # وروي أن مقالة هؤلاء النسوة إنما قصدن بها المكر بامرأة العزير ليغضبها حتى تعرض عليهن يوسف ليبين عذرها أو يحق لومها . # وقد قال ابن زيد الشغف في الحب والشغف في البغض وقال الشعبي الشغف والمشغوف بالعين منقوطة في الحب والشغف الجنون والمشغوف المجنون وهذان القولان ضعيفان . # وقوله تعالى فلما سمعت بمكرهن الآية إنما سمي قولهن مكرًا من حيث أظهرن إنكار منكر وقصدن إثارة غيظها عليهن وقيل مكرهن أنهن أفشين ذلك عنها وقد كانت أطلعتهن على ذلك واستكتمتهن آياه وهذا لا يكون مكرًا إلا بأن يظهرن لها خلاف ذلك ويقصدن بالإفشاء أذاها . # ومعنى أرسلت إليهن أي ليحضرن و أعتمدت معناه أعدت وبسرت و متكا ما يتكا عليه من فرش ووسائد وغير ذلك عن مجلس أعد لكرامة ومعلوم أن هذا النوع من الكرامات لا يخلو من الطعام والشراب فلذلك فسر مجاهد وعكرمة المتكا بالطعام قال ابن عباس متكا معناه مجلسًا ذكره الزهراوي وقال القتيبي يقال اتكنا عند فلان أي أكلنا . # وقوله وأتت كل واحدة منهن سكينًا يقتضي أنه كان في جملة الطعام ما يقطع بالسكاكين فليل كان لحمًا وكانوا لا ينتهسون اللحم وإنما كانوا يأكلونه حزا بالسكاكين وقيل كان أترجا وقيل كان زماورد وهو من نحو الأترج موجود في تلك البلاد وقيل هو مصنوع من سكر ولوز وأخلط . # وقرأ ابن عباس ومجاهد والجحدري وابن عمر وقتادة والضحاك والكلبي وأبان بن تغلب تكا بضم الميم وتنوين الكاف . # واختلف في معناه فليل هو الأترج وقيل هو اسم يعم ما يقطع بالسكاكين من الفواكه كالأترج والتفاح وغيره وأسند الطبري # (نشرب الإثم بالصواع جهارا % وترى المتك بيننا مستعارا)

@ 239 @ # وقرأ الجمهور متكاً بشد التاء المفتوحة والهمز والقصر وقرأ الزهري متكاً مشدد التاء من غير همز وهي قراءة أبي جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصح وقرأ الحسن متكاً بالمد على إشباع الحركة . # والسكين تذكر وتؤنث قاله الكسائي والفراء ولم يعرف الأصمعي إلا التذكير . # وقولها أخرج أمر ليوسف وأطاعها بحسب الملك وقال مكي والمهدوي قيل إن في الآية تقديمًا وتأخيرًا في القصص وذلك أن قصة النسوة كانت قبل فضيحتها في القميص للبيد وباشتهار الأمر للبيد انقطع ما بينها وبين يوسف . # قال القاضي أبو محمد وهذا محتمل إلا أنه لا يلزم من ألفاظ الآية بل يحتمل أن كانت قصة النساء بعد قصة القميص وذلك أن العزير كان قليل الغيرة بل قومه أجمعين ألا ترى أن الإنكار في وقت القميص إنما كان بأن قيل إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم وهذا يدل على قلة الغيرة ثم سكن الأمر بان قال يوسف أعرض عن هذا وأنت استغفري وهي لم تبق حينئذ إلا على إنكارها وإظهار الصحة فلذلك تغوف عنها بعد ذلك لأن دليل القميص لم يكن قاطعاً وإنما كان أمارة ما هذا إن لم يكن المتكلم طفلاً . # وقوله أكبرنه معناه أعظمته واستهولن جماله هذا قول الجمهور وقال عبد الصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده معناه حضن وأسند بعض الناس حجة لهذا التأويل # (يأتي النساء على أطهارهن ولا % يأتي النساء إذا أكبرن إكباراً) + البسيط + # قال القاضي أبو محمد وهذا قول ضعيف من معناه منكور والبيت مصنوع مختلف كذلك قال الطبري وغيره من المحققين وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله . # وقوله وقطعن أيديهن أي كثرن الحز فيها بالسكاكين وقال عكرمة الأيدي هنا الأكمام وقال مجاهد هي الجوارح وقطعها حتى ألقينها . # قال القاضي أبو محمد فظاهر هذه أنه بانث الأيدي وذلك ضعيف من معناه وذلك أن قطع العظم لا يكون إلا بشدة ومحال أن يسهوا أحد عنها والقطع على المفصل لا يتهيأ إلا بتلطف لا بد أن يقصد والذي يشبهه أنهم حملن على أيديهن الحمل الذي كن يحملنه قبل المتك فكان ذلك حزا وهذا قول الجماعة . # وضوعفت الطاء في قطعن أكثرتهن وكثرة الحز فرما كان مراراً . # وقرأ أبو عمرو وحده حاشى لله وقرأ أبي وابن مسعود حاشى الله وقرأ سائر السبعة حاش لله وفرقة حشى لله وهي

لغة وقرأ الحسن حاش لله بسكون الشين وهي ضعيفة وقرأ الحسن أيضا حاش الإلاه محذوفا من حاشى . # فأما حاش فهي حيث جرت حرف معناه الاستثناء كذا قال سيبويه وقد ينصب به تقول حاشى زيد وحاشى زيدا قال المبرد النصب أولى إذ قد صح أنها فعل بقولهم حاش لزيد والحرف لا يحذف منه .

@ 240 @ # قال القاضي أبو محمد يظهر من مجموع كلام سيبويه والمبرد أن الحرف يخفض به لا غير وأن الفعل هو الذي ينصب به فهذه اللفظة تستعمل فعلا وحرفا وهي في بعض المواضع فعل وزنه فاعل وذلك في قراءة من قرأ حاشى لله معناه مأخوذ من معنى الحرف وهو إزالة الشيء عن معنى مقرون به وهذا الفعل مأخوذ من الحشا أي هذا في حشى وهذا في حشى ومن ذلك قول الشاعر المعطل الهذلي # (يقول الذي يمسي إلى الحرز أهله % بأي الحشى صار الخليط المياين) # ومنه الحاشية كأنها مباينة لسائر ما هي له ومن المواضع التي حاشى فيه فعل هذه الآية يدل على ذلك دخولها على حرف الجر والحروف لا تدخل بعضها على بعض ويبدل على ذلك حذف الياء منها في قراءة الباقيين حاش على نحو حذفهم من لا أبال ولا أدر ولو تر ولا يجوز الحذف من الحروف إلا إذا كان فيها تضعيف مثل لعل فيحذف ويرجع عل ويعترض في هذا الشرط بمنذ وقد حذف دون تضعيف فتأمله . # قال القاضي أبو محمد ومن ذلك في حديث خالد يوم مؤتة فحاشى بالناس فمعنى حاشى لله أي حاش يوسف لطاعة الله أو لمكان من الله أو لترفع الله له أن يرمي بما رميته به أو يدعى إله مثله لأن تلك أفعال البشر وهو ليس منهم إنما هو ملك هكذا رتب أبو علي الفارسي معنى هذا الكلام على هاتين القراءتين اللتين في السبع وأما قراءة أبي بن كعب وابن مسعود فعلى أن حاشى حرف استثناء كما قال الشاعر ابن عطية # (حاشى أبي ثوبان إن به % ضنا عن الملحاة والشمتم) + الكامل + # وتسكين الشين في إحدى قراءتي الحسن ضعيف جمع بين ساكنين وقراءته الثانية محذوفة الألف من حاشى . # قال القاضي أبو محمد والتشبيه بالملك هو من قبيل التشبيه بالمستعظمتان وإن كانت لا ترى . # وقرأ أبو الجويرث الحنفي والحسن ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم بكسر اللام في ملك وعلى هذه القراءة فالكلام فصيح لما استعظمن حسن صورته قلن ما هذا إلا مما يصلح أن يكون عبد بشراء إن هذا مما يصلح أن يكون ملكا كريما . # ونصب البشير من قوله ^ ما هذا بشرا ^ هو على لغة الحجاز شبهت ^ ما ^ ليس وأما تميم فترفع ولم يقرأ به . # وروي أن يوسف عليه السلام أعطى ثلث الحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعطى نصف الحسن ففي بعض الأسانيد هو وأمه وفي بعضها هو وسارة جدة أبيه . # قال القاضي أبو محمد وهذا على جهة التمثيل أي لو كان الحسن مما يقسم لكان حسن يوسف يقع في نصفه فالقصد أن يقع في نفس السامع عظم حسنه على نحو التشبيه برؤوس الشياطين وأنياب الأغوال .

@ 241 @ # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 32 - 34 \$ # قال الطبري المعنى فهذا ^ الذي لمتنتي فيه ^ أي هذا الذي قطعن أيديكن بسببه هو الذي جعلتني ضالة في هواه والضمير عائذ علي يوسف في ^ فيه ^ ويجوز أن تكون الإشارة إلى حب يوسف والضمير عائذ على الحب فيكون ذلك إشارة إلى غائب على بابه . # ثم أقرت امرأة العزيز للنسوة بالمرأودة واستنامت إليهن في ذلك إذ قد علمت أنهن قد عذرنها و ^ استعصم ^ معناه طلب العصمة وتمسك بها وعصاني ثم جعلت تتوعده وهو يسمع بقولها ^ ولئن لم يفعل ^ إلى آخر الآية . # واللام في قوله ^ ليسجنن ^ لام القسم واللام الأولى هي المؤذنة بجمي القسم والنون هي الثقيلة والوقف عليها بشدها و ^ ليكونا ^ نونه هي النون الخفيفة والوقف عليه بالألف وهي مثل قوله ^ لنسفنعا ^ ومثلها قول الأعشى # (وصل على حين العشيات والضحي % ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا) + الطويل + # أراد فاعبدن # وقرأت فرقة وليكونن بالنون الشديدة . # ^ والصاغرين ^ الأذلاء الذين لحقهم الصغار . # وقوله تعالى ^ قال ربي السجن أحب إلي ^ روي أنه لما توعدته امرأة العزيز قال له النسوة أطع مولاتك وافعل ما أمرك به فلذلك قال ^ مما يدعونني إليه ^ قال نحوه الحسن ووزن يدعون في هذه الآية يفعلن بخلاف قولك الرجال يدعون . # وقرأ الجمهور السجن بكسر السين وهو الاسم وقرأ الزهري وابن هرمز ويعقوب وابن أبي إسحاق السجن يفتح السين وهي قراءة عثمان رضي الله عنه وطارق مولاة وهو المصدر وهو كقولك الجزع والجزع . # وقوله ^ وإلا تصرف ^ إلى آخر الآية استسلام لله تعالى ورغبة إليه وتوكل عليه المعنى وإن لم تنجني أنت هلكت هذا مقتضى قرينة كلامه وحاله والضمير في ^ إليه ^ عائذ على الفاحشة المعنية بما في قوله ^ مما ^ . # و ^ أصب ^ مأخوذة من الصبوة وهي أفعال الصبا ومن ذلك قول الشاعر أنشده الطبري

@ 242 @ # (إلى هند صبا قلبي % وهند مثلها يصبي) + الهزج + # ومن ذلك قول دريد بن الصمة # (صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه % فلما علاه قال للباطل ابعده) + الطويل + # و ^ الجاهلين ^ هم الذين لا يراعون حدود الله تعالى ونواهيته . # وقوله ^ فاستجاب له ربه ^ الآية قول يوسف عليه السلام ^ رب السجن ^ إلى قوله ^ من الجاهلين ^ كلام يتضمن التشكي إلى الله عز وجل من حاله معهن والدعاء إليه في كشف بلواه . # فلذلك قال بعد مقالة يوسف ^ فاستجاب له ربه ^ أي أجابه إلى إرادته وصرف عنه كيدهن في أن حال بينه وبين المعصية وقوله ^ السميع العليم ^ صفتان لاقتان بقوله ^ فاستجاب ^ . # قوله عز وجل \$ يوسف 35 - 36 \$ # لما أبى يوسف المعصية وبثست منه امرأة العزيز طالبته بأن قالت لزوجها إن هذا الغلام العبراني قد فضحتني في الناس وهو محبوسة . # فحينئذ بدا لهم سجنه . # قال ابن عباس فأمر به فحمل على حمار وضرب بالطبل ونودي عليه في أسواق مصر إن يوسف العبراني أراد سيده فهذا جزاؤه أن يسجن قال أبو صالح ما ذكر ابن عباس هذا الحديث إلا بكى . # و ^ بدا ^ معناه ظهر والفاعل ب ^ بدا ^ محذوف تقديره بدو أو رأي . # وجمع الضمير في ^ لهم ^ والساجن الملك وحده من حيث كان في الأمر تشاور . # و ^ يسجننه ^ جملة دخلت عليها لام القسم . # ولا يجوز أن يكون الفاعل ب ^ بدا ^ ل ^ يسجننه ^ لأن الفاعل لا يكون جملة بوجه هذا صريح مذهب سيبويه . # وقيل الفاعل ^ ليسجننه ^ وهو خطأ وإنما هو مفسر للفاعل . # و ^ الآيات ^ ذكر فيها أهل التفسير أنها قد القميص قاله مجاهد وغيره وخمش الوجه الذي كان مع قد القميص قاله عكرمة وحز النساء أيديهن قاله السدي . # قال القاضي أبو محمد ومقصد الكلام إنما هو أنهم رأوا سجنه بعد بدو الآيات المبرئة له من التهمة فهكذا يبين ظلمهم له وخمش الوجه وحز النساء أيديهن ليس فيهما تبرية ليوسف ولا تصور تبرية إلا في خبر القميص فإن كان المتكلم طفلا على ما روي فهي آية عظيمة وإن كان رجلا فهي آية فيها

@ 243 @ استدل ما والعادة أنه لا يعبر بآية إلا فيما ظهوره في غاية الوضوح وقد تقع ^ الآيات ^ أيضا على المبيئات كانت في أي حد اتفق من الوضوح . # ويحتمل أن يكون معنى قوله ^ من بعد ما رأوا الآيات ^ أي من بعد ما ظهر لهم من وجوه الأمر وقرائنه أن يوسف بريء فلم يرد تعيين آية بل قرائن جميع القصة . # والحين في كلام العرب وفي هذه الآية الوقت من الزمن غير محدود يقع للقليل والكثير وذلك بين موارده في القرآن وقال عكرمة الحين هنا يراد به سبعة أعوام وقيل بل يراد بذلك سنة . # قال القاضي أبو محمد وهذا بحسب ما كشف الغيب في سجن يوسف . # وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرأ عني حين بالعين وهي لغة هذيل فقال له من أقرأك قال ابن مسعود فكتب عمر إلى ابن مسعود إن الله أنزل القرآن عربيا بلغة قريش فيها أقرئ الناس ولا تقرئهم بلغة هذيل وروي عن ابن عباس أنه قال عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات ^ هم ^ فسجن وقال ^ اذكرني عند ربك ^ فأنساه الشيطان ذكر ربه ^ فطول سجنه وقال ^ إنكم لسارقون ^ فروجع ^ إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ^ وقوله تعالى ^ ودخل معه السجن ^ الآية المعنى فسجنوه فدخل معه السجن غلامان سجننا أيضا وهذه مع تحتمل أن تكون باقتران وقت الدخول وأن لا تكون بل دخلوا أقدانا وروي أنهما كانا للملك الأعظم الوليد بن الربان أحدهما خبازه والآخر ساقبه . # والفتى الشاب وقد تقع اللفظة على المملوك وعلى الخادم الحر ويحتمل أن يتصف هذان بجميع ذلك واللفظة من ذوات الباء وقولهم الفتوة شاد . # وروي أن الملك اتهمهما بأن الخابز منهما أراد سمه وواقفه على ذلك الساقبي فسجنهما قاله السدي فلما دخل يوسف السجن استمال الناس فيه بحسن حديثه وفضله وتبله وكان يسلي حزبنهم ويعود مريضهم ويسأل لفقيرهم ويندبهم إلى الخير فأحبه القيتان ولزمه

وأحب صاحب السجن والقيم عليه وقال له كن في أي البيوت شئت فقال له يوسف لا تحبني يرحمك الله فلفد أدخلت علي المحبة مضرت أحبتي عمتي فامتحنتم لمحبتي وأحبني أبي فامتحنتم لمحبته لي وأحبنتي امرأة العزيز فامتحنتم لمحبتي بما ترى وكان يوسف عليه السلام قد قال لأهل السجن إني أعبر الرؤيا وأجيد فروي عن ابن مسعود أن الفتيين استعملاهما تين المناميتين ليحجرا به وروي عم مجاهد أنهما رأيا ذلك حقيقة فأرادا سؤاله فقال أحدهما واسمه بنو فيما روي إني رأيت حيلة من كرم لها ثلاثة أغصان حسان فيها عنقايد عنب حسان فكنت أعصرها وأسقي الملك وقال الآخر واسمه مجلت كنت أرى أني أخرج من مطبخة الملك وعلى رأسي ثلاث سلال فيها خبز والطير تأكل من أعلاه . # وقوله ^ أعصر خمرا ^ قيل أنه سمي العنب خمرا بالمأل وقيل هي لغة أرد عمان يسمون العنب خمرا وقال الأصمعي حدثني المعتمر قال لقيت أعرابيا يحمل عنبا في وعاء فقلت ما تحمل قال خمرا أراد العنب .

@ 244 @ # وفي قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود إني أراني أعصر عنبا . # قال القاضي أبو محمد ويجوز أن يكون وصف الخمر بأنها معصورة إذ العصر لها ومن أجلها . # وقوله ^ خبزا ^ يروى أنه رأى ثريدا فوق رأسه وفي مصحف ابن مسعود فوق رأسي ثريدا تأكل الطير منه . # وقوله ^ إنا نراك من المحسنين ^ قال الجمهور يريدان في العلم وقال الصحاك وفتادة المعنى ^ من المحسنين ^ في جريه مع أهل السجن وإجماله معهم وقيل إنه أراد إخباره أنهما يريان له إحسانا عليهما ويذا إذا تاول لهما ما رأياه ونحا إليه ابن إسحاق . # قوله عز وجل \$ يوسف 37 - 38 # روي عن السدي وابن إسحاق أن يوسف عليه السلام لما علم شدة تعب منامه رأى الخبز وأنها تؤذن بقتله ذهب إلى غير ذلك من الحديث عسى ألا يطالباه بالتعبير فقال لهما معلما بعظيم علمه للتعبير إنه لا يجيئكما طعام في نومكما تريان أنكما رزقتما إلا أعلمتكما بتأويل ذلك الطعام أي بما يؤول إليه أمره في اليقظة قبل أن يظهر ذلك التأويل الذي أعلمكما به . # فروي أنهما قالا ومن أين لك ما تدعيه من العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما ^ ذلكما مما علمني ربي ^ ثم نهض ينحي لهما على الكفر ويحسن لهما الإيمان بالله فروي أنه قصد في ذلك وجهين أحدهما تنسيتهما أمر تعبهما سالا عنه إذ في ذلك النذارة بقتل أحدهما والآخر الطماعية في إيمانها . # ليأخذ المقتول بحظه من الإيمان وتسلم له آخرته . # وقال ابن جريج أراد يوسف عليه السلام ^ لا يأتيكما طعام ^ في اليقظة ^ ترزقانه إلا نباتكما ^ منه يعلم وما يؤول إليه أمركما ^ قبل أن يأتيكما ^ ذلك المال . # قال القاضي أبو محمد فعلى هذا إنما أعلمهم بأنه يعلم مغيبات لا تعلق لها برؤيا . # وقصد بذلك أحد الوجهين المتقدمين . # وهذا على ما روي من أنه نبئ في السجن فأخبره كإخبار عيسى عليه السلام وقال ابن جريج كانت عادة ذلك الملك إذا أراد قتل أحد ممن في سجنه بعث إليه طعاما يجعله علامة لقتله . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله لا يقتضيه اللفظ ولا ينهض به إسناد . # وقوله ^ تركت ^ مع أنه لم يتثبت بها جائز صحيح وذلك أنه أخبر عن تجنبه من أول بالترك

@ 245 @ وساق لفظه الترك استجلابا لهما عسي أن يتوكأ الترك الحقيقي الذي هو بعد أخذ في الشيء والقوم المتروكة ملتهم الملك وأتباعه . # وكرر قوله ^ هم ^ على جهة التأكيد وحسن ذلك للفاصلة التي بينهما . # وقوله ^ وأتبعته ^ الآية تباد من يوسف عليه السلام في دعائهما إلى الملة الحنيفية وزوال عن مواجهة مجلت لما تقتضيه رؤياه . # وقرأ آياتي الإسكان في الآيات الأشهب العقيلي وأبو عمرو وقرأ الجمهور آياتي بيا مفتوحة قال أبو حاتم هما حسنتان فافرا كيف شئت . # وأما طرح الهزمة فلا يجوز ولكن تخفيفها جيد فتصير بيا مكسورة بعد ياء ساكنة أو مفتوحة . # وقوله ^ ذلك ^ إشارة إلى ملتهم وشرعهم وكون ذلك فضلا عليهم بين إذ خصهم الله تعالى بذلك وجعلهم أنبياء . # وكونه فضلا على الناس هو إذ يدعون به إلى الدين ويساقون إلى النجاة من عذاب الله عز وجل . # وقوله ^ من شيء ^ هي ^ من ^ الزائدة المؤكدة التي تكون مع الجحد . # وقوله ^ لا يشكرون ^ يريد الشكر التام الذي فيه الإيمان . # قوله عز وجل \$ يوسف 39 - 42 # وصفه لهما ب ^ صاحبي السجن ^ هو إما على أن نسبهما بصحبتهما للسجن من حيث سكناه كما قال ^ أصحاب الجنة ^ و ^ أصحاب الجحيم ^ ونحو هذا وإما أن يريد صحبتهما له في السجن فأضافهما إلى السجن بذلك كأنه قال يا صاحبي في السجن وهذا كما قيل في الكفار إن الأصنام شركاؤهم وعرضه عليهما بطول أمر الأوثان بأن وصفها بالتفرق ووصف الله تعالى بالوحدة والقهر تلتطف حسن وأخذ بيسير الحجة قبل كثيرها الذي ربما نفرت منه طباع الجاهل وعاندته وهكذا الوجه في محاجة الجهلة أن يؤخذ بدرجة سيرة من الإحتجاج يقبلها فإذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها ثم كذلك أبدا حتى يصل إلى الحق وإن أخذ الجاهل بجميع المذهب الذي يساق إليه دفعة أباه للحين وعانده وقد ابتلى بأرباب متفرقين من يخدم أبناء الدنيا ويؤملهم .

@ 246 @ # وقوله ^ إلا أسماء ^ ذهب بعض المتكلمين إلى أنه أوقع في هذه الآية الأسماء على المسميات وعبر عنها بها إذ هي ذوات أسماء . # قال القاضي أبو محمد والإسم الذي هو ألف وسين وميم قد يجري في اللغة مجري النفس والذات والعين فإن حملت الآية على ذلك صح المعنى وليس الاسم على هذا بمنزلة التسمية التي هي رجل وحجر وإن أريد بهذه الأسماء التي في الآية أسماء الأصنام التي هي بمنزلة اللات والعزى ونحو ذلك من تسميتها آلهة فيحتمل أن يريد إلا ذوات أسماء وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ويحتمل وهو الراجح المختار إن شاء الله أن يريد ما تعبدون من دونه ألوهية ولا لكم تعلق بإله إلا بحسب أن سميتم أصنامكم آلهة فليست عبادتكم لإله إلا باسم فقط لا بالحقيقة وأما الحقيقة فهي وسائر الحجارة والخشب سواء وإنما تعلقت عبادتكم بحسب الاسم الذي وضعتم فذلك هو معبودكم إذا حصل أمركم فعبور عن هذا المعنى باللفظ المسرود في الآية ومن هذه الآية وهم من قال في قولنا رجل وحجر إن الإسم هو المسمى في كل حال وقد بانته هذه المسألة في صدر التعليق . # ومفعول سميتم الثاني محذوف تقديره آلهة هذا على أن ^ الأسماء ^ يراد بها ذوات الأصنام وأما على المعنى المختار من أن عبادتهم إنما هي لمعان تعطيتها الأسماء وليست موجودة في الأصنام فقوله ^ سميتموها ^ بمنزلة وضعتموها فالضمير للتسميات ووكد الضمير ليغطف عليه . # وال ^ سلطان ^ الحجة وقوله ^ إن الحكم إلا الله ^ أي ليس لأصنامكم التي سميتموها آلهة من الحكم والأقدار والأرزاق شيء أي فما بالها إذن ويحتمل أن يريد الرد على حكمهم في نصيبهم آلهة دون الله تعالى وليس لهم تعدي أمر الله في أن لا يعبد غيره و ^ القيم ^ معناه المستقيم . # و ^ أكثر الناس لا يعلمون ^ لجهالتهم وغلبة الكفر . # ثم نادي ^ يا صاحبي السجن ^ ثانية لتجتمع أنفسهما لسماح الجواب فروي أنه قال لنبو أما أنت فتعود إلي مرتبتك وسقاية ربك وقال لمجلى أما أنت فتصلب وذلك كله بعد ثلاث فروي أنهما قالا له ما رأينا شيئا وإنما تحالمتا لنجربك وروي أنه لم يقل ذلك إلا الذي حدثه بالصلب وقيل كانا رأيا ثم أنكرا . # وقرأ فرقة يسقى ربه من سقى وقرأت فرقة من أسقى وهما لمعنى واحد لغتان وقرأ عكرمة والجحدري فيسقى ربه خمرا بضم الباء وفتح القاف أي ما يرويه . # وأخبرهما يوسف عليه السلام عن غيب علمه من قبل الله تعالى إن الأمر قد قضى ووافق القدر . # وقوله ^ وقال للذي ظن أنه ناج ^ الآية . # الظن هنا بمعنى اليقين لأن ما تقدم من قوله ^ قضى الأمر ^ يلزم ذلك وهو يقين فيما لم يخرج بعد إلى الوجود وقال فتادة الظن هنا على بابه لأن عبارة الرؤيا ظن . # قال القاضي أبو محمد وقول يوسف عليه السلام ^ قضى الأمر ^ دال على وحى ولا يترتب قول

@ 247 @ فتادة إلا بان يكون معنى قوله ^ قضى الأمر ^ أي قضى كلامي وقلت ما عندي وتم والله أعلم بما يكون بعد . # وفي الآية تأويل آخر وهو أن يكون ^ ظن ^ مسندا إلى الذي قيل له إنه يسقى ربه خمرا لأنه دخلته أبهة السرور بما بشر به وصار في رتبة من يؤمل حين ظن وغلب على معتقده أنه ناج وذلك بخلاف ما نزل بالآخر المعرف بالصلب . # ومعنى الآية قال يوسف لساقى الملك حين علم أنه سيعود إلى حالته الأولى مع الملك ^ اذكرني ^ عند الملك فيحتمل أن يريد أن يذكره بعلمه ومكانته ويحتمل أن يذكره بمظلمته وما امتحن به بغير حق أو يذكره بهما . # والضمير في ^ أنساها ^ قيل هو عائذ على يوسف عليه السلام أي نسي في ذلك الوقت أن يشتكى إلى الله ووجه إلى الاعتصام بمخلوق فروي أن جبريل عليه السلام جاءه فعاتبه عن الله عز وجل في ذلك وطول سجنه عقوبة على ذلك وقيل أوحى إليه يا يوسف اتخذت من دوني وكبلا لأطيلن حبسك وقيل إن الضمير في ^ أنساها ^ عائذ على الساقى قاله ابن إسحاق أي نسي ذكر يوسف عند ربه فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده والرب على هذا التأويل الملك . # و ^ بضع

^ في كلام العرب اختلف فيه فالأكثر على أنه من الثلاثة إلى العشرة قاله ابن عباس وعلى هذا هو فقه مذهب مالك رحمه الله في الدعاوى والأيمان وقال أبو عبيدة البضع لا يبلغ العقد ولا نصف العقد وإنما هو من الواحد إلى الأربعة وقال الأخفش البضع من الواحد إلى العشرة وقال قتادة البضع من الثلاثة إلى التسعة ويقوي هذا ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق في قصة خطره مع قريش في غلبة الروم لفارس أما علمت أن البضع من الثلاث إلى التسع . # وقال مجاهد من الثلاثة إلى السبعة قال الفراء ولا يذكر البضع إلا مع العشرات لا يذكر مع مائة ولا مع ألف والذي روى في هذه الآية أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين ثم نزلت له قصة الفتيين وعوقب على قوله ^ اذكرني عند ربك ^ بالبقاء في السجن سبع سنين فكانت مدة سجنه اثنتي عشرة سنة وقيل عوقب ببقاء سنتين وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث ثم بكى الحسن وقال نحن إذا نزل بنا أمر فزعلنا إلى الناس . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 43 - 45 \$ المعنى ^ وقال الملك ^ الأعظم ^ إنني أرى ^ يريد في منامه وقد جاء ذلك مبينا في قوله تعالى

@ 248 @ # ^ إنني أرى في المنام أنني أذبحك ^ . # وحكى حال ماضية ف ^ أرى ^ وهو مستقبل من حيث يستقبل النظر في الرؤيا . # (سبع بقرات سمان) يروي أنه قال رأيتها خارجة من نهر وخرجت وراءها ^ سبع عجاف ^ فأرأيتها أكلت تلك السمان حتى حصلت في بطونها ورأى السنابل أيضا كما ذكر والعجاف التي بلغت غاية الهزال ومنه قول الشاعر # (ورجال مكة مستنون عجاف %) + الكامل + # ثم قال لجماعته وحاضريه ^ يا أيها الملائمة أفنوني ^ . # قرأت فرقة بتحقيق الهمزتين وقرأت فرقة بأن لفظت بألف أفنوني واوا . # وقوله ^ للرؤيا ^ دخلت اللام لمعنى التأكيد والربط وذلك أن المفعول إذا تقدم حسن في بعض الأفعال أن تدخل عليه لام وإذا تأخر لم يحتج الفعل إلى ذلك . # وعبارة الرؤيا مأخوذة من عبر النهر وهو تجاوزه من شط إلى شط فكان عبر الرؤيا ينتهي إلى آخر تأويلها . # وقوله ^ قالوا أضغاث أحلام ^ الآية الضغث في كلام العرب أقل من الحزمة وأكثر من القبضة من النبات والعشب ونحوه وربما كان ذلك من جنس واحد . # وربما كان ذلك قولاً للنبات فمن ذلك قوله تعالى ^ وخذ بيدك ضغثاً ^ وروي أنه أخذ عثقالاً من النخل وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل نحو هذا في حد أقامه على رجل زمن ومن ذلك قول ابن مقبل (خود كان فراشها وضعت به % أضغاث ريحان غداة شمال) + الكامل + # ومن الأخطاط قول العرب في أمثالها ضغث على إبالة فيشبه اختلاط الأحلام باختلاط الجملة من النبات والمعنى أن هذا الذي رأيت أيها الملك اختلاط من الأحلام بسبب النوم ولسنا من أهل العلم بذلك أي بما هو مختلط وردى فإنما نفوا عن أنفسهم عبر الأحلام لا عبر الرؤيا على الإطلاق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان . # وقال للذي كان يرى رأسه يقطع ثم يرده فيرجع إذا لعب الشيطان بأحدكم في النوم فلا يحدث بذلك . # قال القاضي أبو محمد فالأحلام وحدان النفس ملغاة والرؤيا هي التي تعبر ويلتمس علمها . # والباء في قولهم ^ بعالمين ^ للتأكيد وفي قولهم ^ بتأويل ^ للتعبية وهي متعلقة بقولهم ^ بعالمين ^ . # والأحلام ^ جمع حلم يقال حلم الرجل يفتح اللام يحلم إذا خيل إليه في منامه والأحلام مما أثبتته الشريعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله وهي المباشرة والحلم المحزن من الشيطان فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل على يساره ثلاث مرات وليقل أعوذ بالله من شر ما رأيت فإنها لا تضره . # وما كان عن حديث النفس في اليقظة فإنه لا يلتفت إليه . # ولما سمع الساقى الذي نجا هذه المقالة من الملك ومراجعة أصحابه تذكر يوسف وعلمه بتأويل الأحلام والرؤى فقال مقالته في هذه الآية .

@ 249 @ # و ^ اذكر ^ أصله ادنكر افتعل من الذكر قلبت التاء دالا وأدغم الأول في الثاني ثم بدلت دالا غير منقوطة لقوة الدال وجلدها وبعض العرب يقول اذكر وقرئ ^ فهل من مذكر ^ بالنقط و ^ من مذكر ^ على اللغتين وقرأ جمهور الناس بعد أمة وهي المدة من الدهر وقرأ ابن عباس وجماعة بعد أمة وهو النسيان وقرأ مجاهد وشبل بن عذرة بعد أمة بسكون الميم وهو مصدر من أمة إذا نسي وقرأ الأشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة والإمة النعمة والمعنى بعد نعمة أنعمها الله على يوسف في تقرب إطلاقه وعزته . # ويقولوه ^ اذكر ^ يقوي قول من يقول إن الضمير في ^ أنسانيه ^ عائد على الساقى والأمر محتمل . # وقرأ الجمهور أن أنبئكم وقرأ الحسن بن أبي الحسن أنا أنبئكم وكذلك في مصحف أبي بن كعب . # وقوله ^ فأرسلون ^ استئذان في المضي فقبل كان السجن في غير مدينة الملك قاله ابن عباس وقيل كان فيها . # قال القاضي أبو محمد ويرسم الناس اليوم سجن يوسف في موضع على النيل بينه وبين الفسطاط ثمانية أميال . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 46 - 49 \$ المعنى فجاء الرسول وهو الساقى إلى يوسف فقال له يا يوسف ^ أيها الصديق ^ وسماه صديقا من حيث كان جرب صدقه في غير شيء وهو بناء مبالغة من صدق وسمي أبو بكر صديقا من صدق غيره إذ مع كل تصديق صدق فالمصدق بالحقائق صادق أيضا وعلى هذا سمي المؤمنون صديقين في قوله تعالى ^ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون ^ . # ثم قال ^ أفنتا في سبع بقرات ^ أي فيمن رأى في المنام سبع بقرات وحكى النقاش حديثا روى فيه أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف في السجن وبشره بعطف الله تعالى عليه وأخرجه من السجن وأنه قد أحدث للملك منامة جعلها سببا لفرج يوسف . # وبروي أن الملك كان يرى ^ سبع بقرات سمان ^ يخرج من نهر وتخرج وراءها ^ سبع عجاف ^ فتأكل العجاف السمان فكان يعجب كيف

@ 250 @ غلبتها وكيف وسعت السمان في بطون العجاف وكان يرى ^ سبع سنبلات خضر ^ وقد التفت بها سبع يابسات حتى كانت تغطي خضرتها فعجب أيضا لذلك . # وقوله ^ لعلهم يعلمون ^ أي تأويل هذه الرؤيا فيزول هم الملك لذلك وهم الناس . # وقيل ^ لعلهم يعلمون ^ مكاتك من العلم وكنه فضلك فيكون ذلك سببا لتخلصك . # وقوله تعالى ^ قال تزرعون ^ الآية تضمن هذا الكلام من يوسف عليه السلام ثلاثة أنواع من القول # أحدها تعبير بالمعنى لا باللفظ . # والثاني عرض رأي وأمر به وهو قوله ^ فذروه في سنبله ^ . # والثالث الإعلام بالغيب في أمر العام الثامن قاله قتادة . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل هذا ألا يكون غيبا بل علم العبارة أعطى انقعا الجذب بعد سبع ومعلوم أنه لا يقطعه إلا خصب شاف كما أعطى أن النهر مثال للزمان . # إذ هو أشبه شيء به فجاءت البقرات مثلا للسنين . # و ^ دابا ^ معناه ملازمة لعادتكم في الزراعة ومنه قول امرئ القيس # كدأبك من أم الحويرث قبلها % البيت + الطويل + # وقرأ جمهور السبعة دابا بإسكان الهمزة وقرأ عاصم وحده دابا بفتح الهمزة وأبو عمرو بسهل الهمزة عند درج القراءة وهما مثل نهر ونهر والناصب لقوله ^ دابا ^ تزرعون ^ عند أبي العباس المبرد إذ في قوله ^ تزرعون ^ تدأبون وهي عنده مثل قولهم قعد القرفصاء واشتمل الصماء وسيبويه يرى نصب هذا كله بفعل مضمر من لفظ المصدر يدل عليه هذا الظاهر كأنه قال تزرعون تدأبون دابا # وقوله ^ فما حصدتم فذروه ^ هي إشارة برأي نبيل نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه إلا بحيلة إبقائها في السنبل فإن الحبة إذا بقيت في خباثها انحفظت والمعنى اتركوا الزرع في السنبل إلا ما لا غنى عنه للأكل فيجتمع الطعام هكذا ويترك ويؤكل الأقدم فالأقدم فإذا جاءت السنون الجدية تقوت الناس الأقدم فالأقدم من ذلك المدخر وادخروا أيضا الشيء الذي يصاب في أعوام الجذب على قلة وحملت الأعوام بعضها على بعض حتى يتخلص الناس وإلى هذه السنين أشار النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه على قريش اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف فابتدأ ذلك بهم ونزلت سنة حصد كل شيء حتى دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فارتفع ذلك عنهم ولم يتمد سبع سنين وروي أن يوسف عليه السلام لما خرج ووصف هذا الترتيب للملك وأعجبه أمره قال له الملك قد أسندت إليك تولي هذا الأمر في الأطمعة هذه السنين المقبلة فكان هذا أول ما ولي يوسف . # وأسند الأكل في قوله ^ يأكلن إلى السنين اتساعا من حيث يؤكل فيها كما قال تعالى ^ والنهار مبصرا ^ وكما قال نهارك بطال وليك قائم وهذا كثير في كلام

@ 251 @ العرب . # ويحتمل أن يسمى فعل الجذب وإيباس البلالات أكلا وفي الحديث فأصابتهم سنة حصت كل شيء وقال الأعرابي في السنة جمشت النجم والتحت اللحم وأجنت العظم . # و ^ تحصنون ^ معناه تحرزون وتخزون قاله ابن عباس وهو مأخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ ومنه تحصن النساء لأنه بمعنى التحرز . # وقوله ^ يغات ^ جائز أن يكون من الغيث وهو قول ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين أي يمطرون وجائز أن يكون من أغاثهم الله إذا فرج عنهم ومنه الغوث وهو الفرج . # وقرأ

نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم يعصرون بفتح الياء وكسر الصاد وقرأ حمزة والكسائي ذلك بالتاء على المخاطبة وقال جمهور المفسرين هي من عصر النباتات كالزيتون والعنب والقصب والسمسم والفجل وجميع ما يعصر ومصر بلد عصر لأشياء كثيرة وروي أنهم لم يعصروا شيئاً مدة الجذب والحلب منه لأنه عصر للضروع . # وقال أبو عبيدة وغيره ذلك مأخوذ من العصرة والعصر وهو الملجأ ومنه قول أبي زيد في عثمان رضي الله عنه # (صادياً يستغيث غير معاث % ولقد كان عصرة المنجود) + الخفيف + # ومنه قول عدي بن زيد # (لو غير الماء حلقي شرق % كنت كالغصان بالماء اعترضاري) + الرمل + # ومنه قول ابن مقبل # (وصاحبي وهو مستوهل زعل % يحول بين حمار الوحش والعصر) + البسيط + # ومنه قول لبيد # (فبات وأسرى القوم آخر ليلهم % وما كان وقافا بغير معصر) + الطويل + # أي بغير ملتجأ فالآية على معنى ينجون بالعصرة . # وقرأ الأعرج وعيسى وجعفر بن محمد يعصرون بضم الياء وفتح الصاد وهذا مأخوذ من العصرة أي يؤتون بعصرة ويحتمل أن يكون من عصرات السحاب ماءها عليهم قال ابن المستنير معناها يمتطرون وحكى النقاش أنه قرئ يعصرون وجعلها من عصر البلبل ونحوه . # ورد الطبري على من جعل اللفظة من العصرة رداً كثيراً بغير حجة . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 50 # في تضاعيف هذه الآية محذوفات يعطيها ظاهر الكلام ويدل عليها والمعنى هنا فرجع الرسول إلى

@ 252 @ الملاء والملك فقص عليهم مقالة يوسف فرأى الملك وحاضروه نبيل التعبير وحسن الرأي وتضمن الغيب في أمر العام الثامن مع ما وصفه به الرسول من الصدق في المنامة المتقدمة فعظم يوسف في نفس الملك ^ وقال اثنتوني به ^ فلما وصل الرسول في إخراجهم إليه وقال إن الملك قد أمر بأن تخرج قال له ^ أرجع إلى ربك ^ أي الملك وقل له ^ ما بال النسوة ^ ومقصود يوسف عليه السلام إنما كان وقل له يستقصي عن ذنبه وينظر في أمره هل سجنحت بحق أو بظلم . # فرسم قصته بطرف منها إذا وقع النظر عليه بان الأمر كله . # ونكب عن ذكر امرأة العزيز حسن عشرة ورعاية لدمام ملك العزيز له . # وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو جوبة النسوة بضم النون وقرأ الباقون النسوة بكسر النون . # وهما لغتان في تكسير نساء الذي هو اسم جمع لا واحد له من لفظه . # وقرأت فرقة اللاتي بالياء وقرأ فرقة اللاتي بالتاء وكلاهما جمع التني . # وكان هذا الفعل من يوسف عليه السلام آناً وصبراً وطلباً لبراءة الساحة وذلك أنه فيما روي خشى أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه صفحا فيراه الناس بتلك العين أبداً ويقولون هذا الذي راود امرأة مولاه فأراد يوسف عليه السلام أن يبين براءته ويتحقق منزلته من العفة والخير وحينئذ يخرج للأخطاء والمنزلة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يرحم الله أخي يوسف لقد كان صابراً حليماً ولو لبثت في السجن لبثت لأجبت الداعي ولم أتمس العذر حينئذ وروي نحو هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك في كتاب التفسير من صحيح البخاري وليس لابن القاسم في الديوان غيره . # وهنا اعتراض ينبغي أن ينفصل عنه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما ذكر هذا الكلام على جهة المدح ليوسف فما باله هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره فالوجه في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أخذ لنفسه وجهاً آخر من الرأي له جهة أيضاً من الجودة أي لو كنت أنا لبادرت بالخروج ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك وذلك أن هذه القصص والنوازل إنما هي معرضة ليقنتي الناس بها يوم القيامة فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل الناس على الأحزم من الأمور وذلك أن المتعمق في مثل هذه النازلة التارك فرصة الخروج من مثل ذلك السجن ربما تنتج له من ذلك البقاء في سجنه وانصرفت نفس مخرجه عنه وإن كان يوسف عليه السلام آمن من ذلك بعلمه من الله فغيره من الناس لا يأمن ذلك فالحالة التي ذهب النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه إليها حالة حزم ومدح وما فعله يوسف عليه السلام صبر عظيم وجلد . # وقوله ^ إن ربي بكيدهم عليم ^ يحتمل أن يريد بالرب الله عز وجل وفي الآية وعيد على هذا وتهديد ويحتمل أن يريد بالرب العزيز مولاه ففي ذلك استشهاد به وتقريع له . # والضمير في ^ كيدهم ^ ل ^ النسوة ^ المذكورات لا للجنس لأنها حالة توقيف على ذنب . # قوله عز وجل

@ 253 @ \$ سورة يوسف 51 # المعنى فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن وقال لهن ^ ما خطبكن ^ الآية أي أي شيء كانت فستكن فهو استدعاء منه أن يعلمه القصة فجواب النساء بجواب جيد تظهر منه براءة أنفسهن جملة وأعطين يوسف بعض براءة وذلك أن الملك لما قرر لهن أنهن راودنه قلن جواباً عن ذلك ^ حاش لله ^ وقد يحتمل على بعد أن يكون قولهن ^ حاش لله ^ في جهة يوسف عليه السلام وقولهن ^ ما علمنا عليه من سوء ^ ليس بإبراء تام وإنما كان الإبراء التام وصف القصة على وجهها حتى يتقرر الخطأ في إحدى الجهتين ولو قلن ما علمن عليه إلا خيراً لكان أدخل في التبرية . # وقد يوب البخاري على هذه الألفاظ على أنها تزكية وأدخل قول أسامة بن زيد في حديث الإفك أهلك ولا نعلم إلا خيراً . # قال القاضي أبو محمد وأما مالك رحمه الله فلا يقنع بهذا في تزكية الشاهد لأنه ليس بإثبات العدالة . # قال بعض المفسرين فلما سمعت زوجة العزيز مقالتهن وحديثهن عن الوقوع في الخزي حضرته نية وتحقيق فقالت ^ الآن حصص الحق ^ . # و ^ حصص ^ معناه تبين بعد خفائه كذا قال الخليل وغيره وقيل هو مأخوذ من الحصاة أي بانت حصاة من الباطل . # ثم أقرت على نفسها بالمرادة والتزمت الذنب وأبرأت يوسف البراءة التامة . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 52 - 53 # قالت جماعة من أهل التأويل هذه المقالة هي من يوسف عليه السلام وذلك ^ ليعلم ^ العزيز سيدي ^ أني لم أخنه ^ في أهله وهو غائب وليعلم أيضاً أن الله تعالى لا يهدي ^ كيد خائن ولا يرشد سعيه . # قال القاضي أبو محمد والهدى للكيد مستعار بمعنى لا يكلمه ولا يمضيه على طريق إصابة ورب كيد مهدي إذا كان من تقى في مصلحة . # واختلقت هذه الجماعة فقال ابن جريج هذه المقالة من يوسف هي متصلة بقوله للرسول ^ إن ربي بكيدهم عليم ^ وفي الكلام تقديم وتأخير بالإشارة بقوله ^ ذلك ^ على هذا التأويل هي إلى بقاءه في السجن والتماسه البراءة أي هذا ليعلم سيدي أني لم أخنه . # وقال بعضهم إنما قال يوسف هذه المقالة حين قالت امرأة العزيز كلامها إلى قولها ^ وإنه لمن الصادقين ^ فالإشارة على هذا إلى إقرارها وصنع الله تعالى فيه وهذا يضعف لأنه

@ 254 @ يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك وبعد هذا يقول الملك ^ اثنتوني به ^ وقالت فرقة من أهل التأويل هذه الآية من قول امرأة العزيز وكلامها متصل أي قولها هذا وإقرارها ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته بأن أكذب عليه أو أرميه بذنوب هو بريء منه والتقدير على هذا التأويل توبتي وإقرارها ليعلم أني لم أخنه وأن الله لا يهدي . # وعلى أن الكلام من يوسف يجيء التقدير وليعلم أن الله لا يهدي كيد الخائنين . # وقوله تعالى ^ وما أبرئ نفسي ^ الآية هذه أيضاً مختلف فيها هل هي من كلام يوسف أم من كلام المرأة حسب التي قبلها . # فمن قال من كلام يوسف روى في ذلك عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قال يوسف ^ إنني لم أخنه بالغيب ^ قال له جبريل ولا حين هممت وحللت سراويلك وقال نحوه ابن عباس وابن جبير وعكرمة والضحاك . # وروي أن المرأة قالت له ذلك قاله السدي وروي أن يوسف تذكر من تلقائه ما كان هم به فقال ^ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ^ قاله ابن عباس أيضاً . # ومن قال إن المرأة قالت ^ وما أبرئ نفسي ^ فوجه كلامها الاعتذار عن وقوعها فيما يقع فيه البشر من الشهوات لأنها قالت وما هذا ببدع ولا ذلك نكير على البشر فأبرئ أنا منه نفسي والنفوس أمارات بالسوء مائلة إليه . # و ^ أمارة ^ بناء مبالغة و ^ ما ^ في قوله ^ إلا ما رحم ^ مصدرية هذا قول الجمهور فيها وهو على هذا . # استثناء منقطع أي إلا رحمة ربي . # ويجوز أن تكون بمعنى من هذا على أن تكون النفس يراد بها النفوس إذ النفس تجري صفة لمن يعقل كالعين والسمع كذا قال أبو علي فتقدير الآية إلا النفوس التي يرحمها الله . # قال القاضي أبو محمد وإذن النفس اسم جنس فصح أن تقع ^ ما ^ مكان من إذ هي كذلك في صفات من يعقل وفي أجناسه وهو نص في كلام الميرد وهو عندي معنى كلام سيبويه وهو مذهب أبي علي ذكره في البغداديات . # ويجوز أن تكون ^ ما ^ ظرفية المعنى أن النفس لأمارة بالسوء إلا مدة رحمة الله العبد وذهابه عن اشتها المعاصي . # ثم ترجى في آخر الآية بقوله ^ إن ربي غفور رحيم ^ . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 54 - 57 \$

@ 255 @ المعنى أن الملك لما تبينت له براءة يوسف مما نسب إليه وتحقق في القصة أماتته وفهم أيضاً صبره وجلده عظمت منزلته عنده وتيقن حسن خلاله فقال ^ اثنتوني به أستخلصه لنفسي ^ . # قال القاضي أبو محمد وهذا الذي أم يوسف عليه السلام

بثبته في السجن أن يرتقي إلى أعلى المنازل فتأمل أن الملك قال أولا حين تحقق علمه ^٦ اثتوني به ^٧ فقط فلما فعل يوسف ما فعل فظهرت أماتته وصبره وعلو همته وجوده نظره قال ^٨ اثتوني به أستخلصه لنفسي ^٩ فلما جاءه وكلمة قال ^{١٠} إنك اليوم لدينا مكين أمين ^{١١} فدل ذلك على أنه أي من كلامه وحسن منطقته ما صدق به الخير أو أرى عليه إذ المرء مخبوء تحت لسانه ثم لما زاو الأعمال مشى القدمية حتى ولاه خطة العزيز . # و ^{١٢} أمين ^{١٣} من الأمانة وقالت فرقة هو بمعنى آمن . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف لأنه يخرج من نمط الكلام وينحط إكرام يوسف كثيرا ويروي أن الملك لما أدنى يوسف قال له إني أشركك في كل شيء إلا إني أحب أن لا تشركني في أهلي وأن لا يأكل معي عيدي فقال له يوسف أتأف أن أكل معك أنا أحق أن أف أن ابن إبراهيم الخليل وابن إسحاق الذبيح وابن يعقوب الصديق . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا الحديث بعد وضعه وقد قال ابن ميسرة إنما جرى هذا في أول أمره كان يأكل مع العزيز فلما جرت قصة المرأة قالت العزيز أتدع هذا يواكلك فقال له اذهب فكل مع العبيد فأف وقال ما تقدم . # أما أن الظاهر من قصته وقت محاوره الملك أنه كان على عبودية وإلا كان اللائق به أن ينتحي بنفسه عن عمل الكافر لأن القوم كانوا أهل أوثان ومحاوره يوسف لصاحبي السجن تقضي بذلك . # وسمى الله تعالى فرعون مصر ملكا إذ هي حكاية اسم مضى حكمه وتصرم زمنه ولو كان حيا لكان حكما له إذا قيل لكافر ملك أو أمير ولهذا كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل فقال عظيم الروم ولم يقل ملكا ولا أميرا لأن ذلك حكم والحق أن يسلم ويسلموا . # وأما كونه عظيمهم فتلك صفة لا تفارقه كيفما تقلب ولو كتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمير الروم لتمسك بتلك الحجة على نحو تمسك زياد في قوله شهد والله لي أبو الحسن . # وقوله تعالى ^{١٤} اجعلني على خزائن الأرض ^{١٥} الآية فهم يوسف عليه السلام من الملك أنه عزم على تصريفه والإستعانة بنظره في الملك فألقى يده في الفصل الذي تمكنه فيه المعدلة وبترتب له الإحسان إلى من يجب ووضع الحق على أهله وعند أهله .

@ 256 @ # قال بعض أهل التأويل في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فصل ما لا يعارض فيه فيصلح منه ما شاء وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهوته وفجوره فلا يجوز له ذلك . # قال القاضي أبو محمد وطلبه يوسف للعمل إنما هي حسبة منه عليه السلام لرغبته في أن يقع العدل ونحو هذا هو دخول أبي بكر الصديق في الخلافة مع نبيه المستشير من الأنصار عن أن يتأمر على اثنين الحديث يكمله فحائز للفاضل أن يعمل وأن يطلب العمل إذا رأى ألا عوض منه وجائز أيضا للمرء أن يثني على نفسه بالحق إذا جهل أمره . # و ^{١٦} خزائن ^{١٧} لفظ عام لجميع ما تختزنه المملكة من طعام ومال وغيره . # و ^{١٨} حفيظ عليم ^{١٩} صفتان تعم وجوه التثقيف والحبيطة لا خلل معهما عامل . # وقد خصص الناس بهاتين الصفتين أشياء مثل قولهم حفيظ بالحسب عليم بالألسن وقول بعضهم حفيظ لما استودعني عليم بسني الجوع وهذا كله تخصيص لا وجه له وإنما أراد باتصافه أن يعرف الملك بالوجه الذي به يستحق الكون على خزائن الأرض فاتصف بأنه يحفظ المجبي من كل جهة تحتاج إلى الحفظ . # ويعلم تناول أجمع . # وروي عن مالك ن أنس أنه قال مصر خزنة الأرض واحتج بهذه الآية . # وقوله ^{٢٠} خزائن الأرض ^{٢١} يريد أرض مصر إذ لم تكن مملكة فرعون إلا بها فقط ويؤكد أن تسمى خزنة الأرض نصبتها في بلاد الأرض وتوسطها فمنها ينقل الناس إلى أقطار الأرض وهي محل كل جالب . # وقوله تعالى ^{٢٢} وكذلك مكننا ليوسف ^{٢٣} الآية الإشارة بذلك إلى ما تقدم من جميل صنع الله به كهذه الأفعال المنصوصة درجناه في الترتيب ونقلناه فمكننا له في الأرض . # قال القاضي أبو محمد فروي أن العزيز مات في تلك الليالي وقال ابن إسحاق بل عزله الملك ثم مات أطفير فولاه الملك مكانه وزوجه زوجته فلما دخلت عليه عروسا قال لها أليس هذا خيرا مما كنت أردت فقالت له أيها الصديق كنت في غاية الجمال وكنت شابة عذراء وكان زوجي لا يطأ فغلبتني نفسي في حبك فدخل يوسف بها فوجدها بكرا وولدت له ولدين . # وروي أن الملك عزل العزيز وولاه موضعه ثم عظم ملك يوسف وتغلب على حال الملك أجمع قال مجاهد وأسلم الملك آخر أمره ودرس أمر العزيز وذهبت دنياه ومات وافتقرت زوجته وزمنت وشاخت فلما كان في بعض الأيام . # لقيت يوسف في طريق والجنود حوله ووراءه وعلى رأسه بنود عليها مكتوب ^{٢٤} هذه سبيلي أدعو إلي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ^{٢٥} فصاحت به وقالت سبحان من أعز العبيد بالطاعة وأذل الأرباب بالمعصية فعرّفها وقالت له تعطف علي وارزقني شيئا فدعاها وكلمها وأشفق لحالها ودعا الله تعالى فرد عليها جمالها وتزوجها . # قال القاضي أبو محمد وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته ويطول الكلام بسوقه . # وقرأ الجمهور حيث يشاء على الإخبار عن يوسف وقرأ ابن كثير وحده حيث نشاء بالنون على ضمير المتكلم . # أي حيث يشاء الله من تصرف يوسف على اختلاف تصرفه وحكى أبو حاتم هذه

@ 257 @ القراءة عن الحسن وشيبة ونافع وأبي جعفر بخلاف عن الثلاثة المدنيين وقال أبو علي إما أن يكون تقدير هذه القراءة حيث يشاء من المحاريب والمتعبدات وأحوال الطاعات فهي قرب يريدها الله ويشاؤها وإما أن يكون معناها حيث يشاء يوسف لكن أضاف الله عز وجل المثبته التي ليوسف إليه من حيث هو عبد من عبده وكانت مشيئته بقدره الله تعالى وقوته كما قال ^{٢٦} وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ^{٢٧} . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله من أبي علي نزعاً اعتزالية وتحفظ من أن أفعال العباد من فاعلين فتأمل . # واللام في قوله ^{٢٨} مكننا ليوسف ^{٢٩} يجوز أن تكون على حد التي في قوله ^{٣٠} ردف لكم ^{٣١} و ^{٣٢} للرؤيا تعبرون ^{٣٣} وقوله ^{٣٤} يتبؤا ^{٣٥} في موضع نصب على الحال و ^{٣٦} حيث يشاء ^{٣٧} نصب على الطرف أو على المفعول به كما قال الشماخ حيث تكوني النواجز . # وباقي الآية بين . # ولما تقدم في هذه الآية الإحسان من العبد والجري على طريق الحق لا يضيع عند الله ولا بد من حسن عاقبته في الدنيا عقب ذلك بأن حال الآخرة أحمد وأجري أن تجعل غرضاً ومقصداً وهذا هو الذي ينتزع من الآية بحسب المقيدين بالإيمان والتقوى من الناس وفيها مع ذلك إشارة إلى أن حاله من الآخرة خير من حاله العظيمة في الدنيا . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 58 - 60 # قال السدي وغيره سبب مجيئهم أن الجماعة التي أندر بها يوسف أصابت البلاد التي كان بها يعقوب وروي أنه كان في الغربيات من أرض فلسطين بغور الشام . # وقيل كان بالأولج من ناحية الشعب وكان صاحب بادية له إبل وشاء فأصابهم الجوع وكان أهل مصر قد استعدوا وادخروا من السنين الخصبية فكان الناس يمتارون من عند يوسف وهو في رتبة العزيز المتقدم وكان لا يعطى الوارد أكثر من حمل بعير يسوي بين الناس فلما ورد إخوته عرفهم يوسف ولم يعرفوه هم لبعده العهد وتغير سنه ولم يقع لهم بسبب ملكه ولسانه القبطي طن عليه وروي في بعض القصص أنه لما عرفهم أراد أن يخبروه بجميع أمرهم فباحثهم بأن قال لهم بترجمان أظنكم جواسيس فاحتاجوا حينئذ إلى التعريف بأنفسهم فقالوا نحن أبناء رجل صديق وكنا اثني عشر ذهب واحد منا في البرية وبقي أصغرنا عند أبينا وجئنا نحن للميرة وسقنا بعير الباقي منا وكانوا عشرة ولهم أحد عشرنا بعيرا فقال لهم يوسف ولم تخلف أخوكم قالوا لمحبة أبيتنا فيه قال فاتنوني بهذا الأخ حتى أعلم حقيقة قولكم وأرى لم أحبه

@ 258 @ أبوكم أكثر منكم إن كنتم صادقين وروي في القصص أنهم وردوا مصر واستأذنوا على العزيز وانتسبوا في الإستئذان فعرّفهم وأمر بإنزالهم وأدخلهم في ثاني يوم على هيئة عظيمة لملكه وأهبة شنيعة وروي أنه كان مثلثا أبدا سترنا لجماله وأنه كان يأخذ الصواع فينقره ويفهم من طينته صدق ما يحدث به أو كذبه فستلوا عن أخبارهم فكلما صدقوا قال لهم يوسف صدقتم فلما قالوا وكان لنا أي كله الذئب طن يوسف الصاع وقال كذبتم ثم تغير لهم وقال جواسيس وكلفهم سوق الأخ الباقي ليظهر صدقهم في ذلك في قصص طويل جاءت الإشارة إليه في القرآن وجزية . # والجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد والامتاع وكل ما يحمل وكذلك جهاز العروس وجهاز الميت . # وقول يوسف عليه السلام ^{٣٨} ألا ترون أنني أوفي الكيل ^{٣٩} الآية يرغبهم في أنفسهم أخرا ويؤنسهم ويستميلهم . # و ^{٤٠} المنزلين ^{٤١} يعني المضيفين في قطره ووقته والجهاز المشار إليه الطعام الذي كان حمله لهم ثم توعدهم إن لم يجيئوا بالأخ بأنه لا كيل لهم عنده في المستأنف وأمرهم ألا يقربوا له بلدا ولا طاعة و ^{٤٢} لا تقربون ^{٤٣} نهى لفظا ومعنى ويجوز أن يكون لفظه الخبر ومعناه النهي وتحذف إحدى النونين كما قرئ ^{٤٤} فيم تبشرون ^{٤٥} بكسر النون وهذا خبر لا غير . # وخلص النحاس في هذا الموضوع وقال مالك رحمه الله هذه الآية وما يليها تقتضي أن كيل الطعام على البائع وكذلك هي الرواية في التولية والشركة أنها بمنزلة البيع والرواية في القرص أن الكيل على المستقرض . # وروي أنه حبس منهم رهينة حتى يجيئوه بنيامين قاله السدي وروي أنه لم يحبس منهم أحدا . # وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان يوسف يلقي حصاة في

إناء فضة مخصوص بالذهب فيطن فيقول لهم إن هذا الإناء يخبرني ان لكم أبا شيخا . # قال القاضي أبو محمد كأنها حيلة وإيهام لهم وروي أن ذلك الإناء به كان يكيل الطعام إظهارا لعزته بحسب غلائه في تلك المدة وروي أن يوسف استوفى في تلك السنين أموال الناس ثم أملاكهم فمن هناك ليس لأحد في أرض مصر ومزارعها ملك . # وظاهر كل ما فعله يوسف معهم أنه يوحى وأمر وإلا فكان بر يعقوب يقتضي أن يبادر إليه ويستدعيه لكن الله تعالى أعلم بما يصنع ليكمل أجر يعقوب ومحنته وتفسير الرؤيا الأولى . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 61 - 63 \$ # تقدم معنى المراودة أي سنفائل أباه في أن يتركه يأتي معنا إليك ثم شدوا هذه المقالة بأن

@ 259 @ التزموها له في قولهم ^ وإنا لفاعلون ^ وأراد يوسف عليه السلام المبالغة في استمالتهم بان رد مال كل واحد منهم في رحله بين طعامه وأمر بذلك فتبانه . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر لفتيته وقرأ حمزة والكسائي لفتيانه واختلف عن عاصم ففتيان للكثرة على مراعاة المأمورين وفتية للقلة على مراعاة المتناولين وهم الخدمة ويكون هذا الوصف للحر والعبد . # وفي مصحف ابن مسعود وقال لفتيانه وهو يكايهم . # وقوله ^ لعلمهم يعرفونها ^ يريد لعلمهم يعرفون لها يدا أو تكرمة يرون حقها فيرغبون فينا فلعلمهم يرجعون حينئذ وأما ميز البضاعة فلا يقال فيه لعل وقيل قصد يوسف برد البضاعة أن يتخرجوا من أخذ الطعام بلا ثمن فيرجعوا لدفع الثمن وهذا ضعيف من وجوه وسرورهم بالبضاعة وقولهم ^ هذه بضاعتنا ردت إلينا ^ يكشف أن يوسف لم يقصد هذا وإنما قصد أن يستميلهم ويصلحهم فيرجعهم في نفسه كالذي كان وخص البضاعة بعينها دون أن يعطيهم غيرها من الأموال لأنها أوقع في نفوسهم إذ يعرفون حلها وماله هو إنما كان عندهم مالا مجهول الحال غايته أن يستجاز على نحو استجازتهم قبول الميرة ويظهر أن ما فعل يوسف من صلتهم وجبرهم في تلك الشدة كان واجبا عليه إذ هو ملك عدل وهم أهل إيمان ونبوة وقيل علم عدم البضاعة والدراهم عند أبيه فرد البضاعة إليهم لئلا يمنعهم من الإنصاف إليه وقيل جعلها توطئة لجعل السقاية في رحل أخيه بعد ذلك ليبين أنه لم يسرق لمن يتأمل القصة . # قال القاضي أبو محمد والظاهر من القصة أنه إنما أراد الإستتلاف وصلة الرحم . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر نكتل بالنون على مراعاة ^ منع منا ^ ويقويه ^ ونمير أهلنا ونزداد ^ وقرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء أي يكتل يامين كما أكتلنا نحن . # وأصل ^ نكتل ^ وزنه نفعل . # وقولهم ^ منع منا ^ ظاهره أنهم أشاروا إلى قوله ^ فلا كيل لكم عندي ^ فهو خوف في المستأنف وقيل أشاروا إلى بعير بنيامين الذي لم يمتز والأول أرجح . # ثم تضمنوا له حفظه وحيطته . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 64 - 65 \$ قوله ^ هل ^ توقيف وتقرير وتالم يعقوب عليه السلام من فرقة بنيامين ولم يصح بمنعهم من حملة لما رأى في ذلك من المصلحة لكنه أعلمهم بقلة طمانينته إليهم . # وأنه يخاف عليه من كيدهم ولكن

@ 260 @ ظاهر أمرهم أنهم كانوا نبئوا وانتقلت حالهم فلم يخف كمثل ما خاف على يوسف من قبل لكن أعلم بان في نفسه شيئا ثم استسلم لله تعالى بخلاف عبارته في قصة يوسف . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر خير حفظا وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم خير حافظا ونصب ذلك في القراءتين على التمييز . # وقال الزجاج يجوز أن ينصب حافظا على الحال وضعف ذلك أبو علي الفارسي لأنها حال لا بد للكلام والمعنى منها وذلك بخلاف شرط الحال وإنما المعنى أن حافظ الله خير حافظكم . # ومن قرأ حافظا فهو مع قولهم ^ وإنا له لحافظون ^ فاستسلم يعقوب عليه السلام لله وتوكل عليه . # قال أبو عمرو الداني قرأ ابن مسعود فإله خير حافظ وهو خير الحافظين . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا بعد . # وقوله ^ فتحوا متاعهم ^ سمي المشدود المربوط بحملته متاعا فلذلك حسن الفتح فيه قرأ جمهور الناس ردت بضم الراء على اللغة الفاشية عن العرب وتليها لغة من يشم وتليها لغة من يكسر . # وقرأ علقمة ويحيى بن وثاب ردت بكسر الراء على لغة من يكسر وهي في بني ضبة قال أبو الفتح وأما المعتل نحو قيل وبيع فالفاشي فيه الكسر ثم الإشمام ثم الضم فيقولون قول وبيع وأنشد ثعلب # (وقول لا أهل له ولا مال %) + الرجز + # قال الزجاج من قرأ ردت بكسر الراء جعلها منقولة من الدال كما فعل في قيل وبيع لتدل على أن أصل الدال الكسرة . # وقوله ^ ما نبغي ^ يحتمل أن تكون ^ ما ^ استفهاما قاله قتادة . # و ^ نبغي ^ من البغية أي ما نطلب بعد هذه التكرمة هذا مالنا رد إلينا مع ميرتنا . # قال الزجاج ويحتمل أن تكون ^ ما ^ نافية أي ما بقي لنا ما نطلب ويحتمل أيضا أن تكون نافية و ^ نبغي ^ من البغي أي ما تعدينا فكذبنا على هذا الملك ولا في وصف إجماله وإكرامه هذه البضاعة مردودة . # وقرأ أبو حيوه ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب وهي بمعنى ما تريد وما تطلب قال المهدوي وروتها عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأت فرقة ونمير بفتح النون من مارمير إذا جلب الخير ومن ذلك قول الشاعر # (بعثتك مائرا فمكنت حولا % متى يأتي غياثك من تغيث) + الوافر + # وقرأت عائشة رضي الله عنها ونمير بضم النون وهي من قراءة أبي عبد الرحمن السلمي وعلى هذا يقال مار وأمار بمعنى . # وقولهم ^ ونزداد كيل بعير ^ يريدون بعير أخيهم إذ كان يوسف إنما حمل لهم عشرة أبعرة ولم

@ 261 @ يحمل الحادي عشر لغيب صاحبه وقال مجاهد ^ كيل بعير ^ أراد كيل حمار . # قال وبعض العرب يقول للحمار بعير . # قال القاضي أبو محمد وهذا شاذ . # وقولهم ^ ذلك كيل يسير ^ تقرير بغير ألف أي أذلك كيل يسير في مثل هذا العام فيهمل أمره وقيل معناه ^ يسير ^ على يوسف أن يعطيه . # وقال الحسن البصري وقد كان يوسف وعدهم أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن وقال السدي معنى ^ ذلك كيل يسير ^ أي سريع لا نحيس فيه ولا نمطل . # قال القاضي أبو محمد فكانهم أنسوه على هذا بقرب الأوبة . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 66 - 67 \$ # أراد يعقوب عليه السلام أن يتوثق منهم . # والموثق مفعل من الوثاقة . # فلما عاهدوه أشهد الله بينه وبينهم بقوله ^ والله على ما نقول وكيل ^ والوكيل القيم الحافظ الضامن . # وقرأ ابن كثير توثوني بياء في الوصل والوقف وروي عن نافع أنه وصل بياء ووقف دونها . # والياقون تركوا الياء في الوجهين . # وقوله ^ لا تدخلوا من باب واحد ^ قيل خشني عليهم العين لكونهم أحد عشر لرجل واحد وكانوا أهل جمال وبسطة . # قال ابن عباس والضحاك وفتادة وغيره والعين حق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العين لتدخل القبر والجمل القدر وفي تعوذه صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة وكل عين لامة . # وقيل خشني أن يستراب بهم لقول يوسف قبل أنتم جواسيس وبضعف هذا ظهورهم قبل بمصر . # وقيل طمع بافتراقهم أن يستمعوا أو يتطلعوا خبر يوسف وهذا ضعيف برده ^ وما أعني عنكم من الله من شيء ^ فإن ذلك لا يتركب على هذا المقصد . # وقوله ^ إلا أن يحاط بكم ^ لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والقسر والمعنى تعميمك الغلبة من جميع الجهات حتى لا تكون لكم حيلة ولا وجه تخلص . # وقال مجاهد المعنى إلا أن تهلكوا جميع . # وقال قتادة إلا ألا تطبقوا ذلك . # قال القاضي أبو محمد وهذا برجه لفظ الآية . # وانظر أن يعقوب عليه السلام قد توثق في هذه القصة وأشهد الله تعالى ووصى بنبيه وأخبر بعد ذلك بتوكله فهذا توكل مع تسبب وهو توكل جميع المؤمنين إلا من شط في رفض السعي وقنع بماء وبقل البرية ونحوه فتلك غاية التوكل وعليها بعض الأنبياء

@ 262 @ عليهم السلام والشارعون منهم مثبتون سنن التسبب الجائز وما تجاوز ذلك من الإلقاء باليد مختلف في جوازه وقد فضله بعض المجيزين له ولا أقول بذلك وإياي الآية بين . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 68 - 69 \$ # روي أنه لما ودعوا أباهم قال لهم بلغوا ملك مصر سلامي وقولوا له إنا آتانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر صنيعك معنا . # وفي كتاب أبي منصور المهراني أنه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف فيكى . # وقوله ^ ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ^ بمثابة قولهم لم يكن في ذلك دفع قدر الله بل كان أربا ليعقوب قضاها . # وطيبا لنفسه تمسك به وأمر بحبسه . # فجواب ^ لما ^ في معنى قوله ^ ما كان يغني عنهم من الله من شيء ^ ^ وإلا حاجة ^ استثناء ليس من الأول . # وال ^ حاجة ^ هي أن يكون طيب النفس بدخولهم من أبواب متفرقة خوف العين . # قال مجاهد الحاجة خيفة العين وقاله ابن إسحاق وفي عبارتهما تجوز ونظير هذا الفعل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سد كوة في قبر بجر وقال إن هذا لا يغني شيئا ولكنه تطيب لنفس الحي . # قال القاضي أبو محمد وقوله عندي ^ ما كان يغني عنهم من الله من شيء ^ معناه ما رد عنهم قدرا لأنه لو قضى أن تصيبهم عين لأصابتهم مفترقين أو مجتمعين

وإنما طمع يعقوب أن تصادف وصيته قدر السلامة فوصى وقضى بذلك حاجته في نفسه في أن يتنعم برجائه أن تصادف القدر في سلامتهم . # ثم أتى الله عز وجل على يعقوب بأنه لئن ما علمه الله من هذا المعنى واندرج غير ذلك في العموم وقال إن أكثر الناس ليس كذلك وقيل معناه إنه لعامل بما علمناه قاله قتادة وقال سفيان من لا يعمل لا يكون عالماً . # قال القاضي أبو محمد وهذا لا يعطيه اللفظ أما أنه صحيح في نفسه يرجح المعنى ومات تقتضيه منزلة يعقوب عليه السلام . # قال أبو حاتم قرأ الأعمش لئو علم لما علمناه . # ويحتمل أن يكون جواباً لما في هذه الآية محدوفاً مقدراً ثم يخبر عن دخولهم أنه ما كان يغني الآية . # وقوله تعالى ولما دخلوا على يوسف الآية . # المعنى أنه لما دخل إخوة يوسف عليه ورأى أخاه شكر ذلك لهم على ما روي وضم إليه أخاه وأواه إلى نفسه ومن هذه الكلمة المأوى . # وكان بنيامين

@ 263 @ شقيق يوسف فأواه . # وصورة ذلك على ما روي عن ابن إسحاق وغيره أن يوسف عليه السلام أمر صاحب ضيافته أن ينزلهم رجلين رجلين فبقي بأمين وحده فقال يوسف أنا أنزل هذا مع نفسي ففعل وبات عنده وقال له إني أنا أخوك واختلف المتأولون في هذا اللفظ فقال ابن إسحاق وغيره . # أخبره بأنه أخوه حقيقة واستكنمه وقال له لا تبال بكل ما تراه من المكروه في تحلي في أخذك منهم . # وعلى هذا التأويل يحتمل أن يشير بقوله بما كانوا يعملون إلى ما عمله فتیان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك ويحتمل أن يشير إلى ما عمله الإخوة قديماً . # وقال وهب بن منبه إنما أخبره أنه أخوه في الود مقام أخيه الذهاب ولم يكشف إليه الأمر بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر إخوته . # وتبتس من البؤس أي لا تحزن ولا تهتم وهكذا عبر المفسرون . # قوله عز وجل سورة يوسف 70 - 75 \$ هذا من الكيد الذي يسره الله ليوسف عليه السلام وذلك أنه كان في دين يعقوب أن يستعيد السارق وكان في دين مصر أن يضرب ويضعف عليه الغرم فعلم يوسف أن إخوته لثقتهم ببراءة ساحتهم سيدعون في السرقة إلى حكمهم فتحيل لذلك واستسهل الأمر على ما فيه من رمي أبرياء بالسرقة وإدخالهم على يعقوب عليه السلام وعليهم لما علم في ذلك من الصلاح في الأجل ويوحى لا محالة وإرادة من الله محنتهم بذلك هذا تأويل قوم ويقويه . # قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف وقيل إنما أوحى إلى يوسف أن يجعل السقاية فقط ثم إن حافظها فقدفا فنأى على ما ظهر إليه ورجحه الطبري وتفتيش الأوعية يرد عليه # وقيل إنهم لما كانوا قد باعوا يوسف فاستجاز أن يقال لهم هذا وإنه عوبق على ذلك بان قالوا فقد سرق أخ له من قبل وقوله جعل أي بأمره خدمته وفتيانه . # وقرأ ابن مسعود وجعل بزيادة واو . # والسقاية الإناء الذي به يشرب الملك وبه كان يكيلا للطعام للناس هكذا نص جمهور المفسرين من عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن زيد # قال القاضي أبو محمد وفي كتب من حرر أمرها أنها شكل له رأسان ويصل بينهما مقبض تمسك الأيدي فيه فيكال الطعام بالرأس الواحد ويشرب بالرأس الثاني أو بهما . # فيشبهه أن تكون لشرب أضياف .

@ 264 @ الملك وفي أطعمته الجميلة التي يحتاج فيها إلى عظيم الأواني . # وقال سعيد بن جبير ال صواع مثل المكوك الفارسي وكان إناء يوسف الذي يشرب فيه وكان إلى الطول ما هو قال وحدثنى ابن عباس أنه كان للعباس مثله يشرب به في الجاهلية . # قال القاضي أبو محمد وقال ابن جبير أيضا الصواع المكوك الفارسي الذي تلتقي طرفاه كانت تشرب فيه الأعاجم . # وروي أنها كانت من فضة وهذا قول الجمهور وروي أنها كانت من ذهب قال الزجاج وقيل كان من مسك . # قال القاضي أبو محمد وقد روي هذا بفتح الميم وقيل كان يشبه الطاس وقيل من نحاس قاله ابن عباس أيضا ولعزة الطعام في تلك الأعوام قصر كيلها على ذلك الإناء . # وكان هذا الجعل بغير علم من بأمين قاله السدي وهو الظاهر . # فلما فصلت العير بأوفارها وخرجت من مصر فيما روي وقالت فرقة بل قبل الخروج من مصر أمر بهم فحبسوا . # و أذن مؤذن ومخاطبة العير تجوز والمراد أربابها وإنما المراد أيتها القافلة أو الرفقة وقال مجاهد كانت دوابهم حميرا ووصفهم بالسرقة من حيث سرق في الظاهر أحدهم وهذا كما تقول بنو فلان قتلوا فلانا وإنما قتله أحدهم . # فلما سمع إخوة يوسف هذه المقالة أقبلوا عليهم وساءهم أن يرموا بهذه المنقبة وقالوا ماذا تفقدون ليقع التفتيش فتظهر براءتهم ولم يلوذوا بالإنكار من أول بل سألوا إكمال الدعوى عسى أن يكون فيها ما تبطل به فلا يحتاج إلى خصام . # وقرأ أبو عبد الرحمن تفقدون بضم التاء وضعفها أبو حاتم . # قالوا نفقد صواع الملك وهو المكيال وهو السقاية رسمه أولا بإحدى جهتيه وأخرا بالثانية . # وقرأ جمهور الناس صواع بضم الصاد وبالف وهو صواع بضم الصاد وبالف وهو المكيال قاله أبو الفتح وغيره وتؤنث هذه الأسماء وتذكر . # وقال أبو عبيد يؤنث الصاع من حيث سمي سقاية ويذكر من حيث هو صاع . # وقرأ يحيى بن يعمر صوغ بالغين منقوطة وهذا على أنه الشيء المصوغ للملك على ما روي أنه كان من ذهب أو من فضة فهو مصدر سمي به ورويت هذه القراءة عن أبي رجاء . # قال أبو حاتم وقرأ سعيد بن جبير والحسن صواع بضم الصاد وألف وغين معجمة . # وقوله ولمن جاء به حمل بغير أي لمن دل على سارقه وفضحه وجبر الصواع وهذا جعل وقوله وأنا به زعيم حمالة وذلك أنه لما كان الطعام لا يوجد إلا عند الملك فهم من المؤذن أنه إنما جعل عن غيره فلخوفه ألا يوثق بهذه الجعالة إذ هي عن الغير تحمل هو بذلك . # قال مجاهد ال زعيم هو المؤذن الذي قال أيتها العير والزعيم الضامن في كلام العرب ويسمى الرئيس زعيما لأنه يتضمن حوائج الناس .

@ 265 @ وقوله قالوا تالله الآية روي أن إخوة يوسف كانوا ردوا البضاعة الموجودة في الرجال وتخرجوا من أخذ الطعام بلا ثمن فلذلك قالوا لقد علمتم أي لقد علمتم منا التحري وروي أنهم كانوا قد اشتهروا في مصر بصلاح وتعفف وكانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم لئلا تنال زرع الناس فلذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لفساد وما نحن أهل سرقة . # والتاء في تالله بدل من واو كما أبدلت في تراث وفي التورية وفي التخمة ولا تدخل التاء في القسم إلا في المكتوبة من بين أسماء الله تعالى لا في غير ذلك لا تقول تالرحمن ولا تالرحيم . # وقوله تعالى قالوا فما جزاؤه الآية قال فتیان يوسف فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين في قولكم وما كنا سارقين فقال إخوة يوسف جزاء السارق والحكم الذي تتضمنه هذه الألفاظ من وجد في حله فهو جزاؤه ف جزاؤه الأول مبتدأ ومن الجملة خبر قوله جزاؤه الأول والضمير في قالوا جزاؤه للسارق . # ويصح أن تكون من خيرا عائد على من ويكون قوله فهو جزاؤه زيادة بيان وتأکید . # وليس هذا الموضوع عندي من مواضع إبراز الضمير على ما ذهب إليه بعض المفسرين ويحتمل أن يكون التقدير جزاؤه استرقاق من وجد في رحله ثم يؤكد بقوله فهو جزاؤه وقولهم هذا قول من لم يسترب بنفسه لأنهم التزموا إرغام من وجد في رحله وهذا أكثر من موجب شرعهم إذ حق شرعهم أن لا يؤخذ إلا من صحت سرقته وأمر بنيامين في السقاية كان محتملا . # لكنهم التزموا أن من وجد في رحله فهو مأخوذ على أنه سارق . # وقولهم كذلك نجزي الظالمين أي هذه سنتنا وديننا في أهل السرقة أن يملك السارق كما تملك هو الشيء المسروق . # قال القاضي أبو محمد وحكي بعض الناس أن هذا الحكم كان في أول الإسلام ثم نسخ بالقطع وهذا ضعيف ما كان قط فيما علمت وحكى الزهراوي عن السدي أن حكمهم إنما كان أن يستخدم السارق على قدر سرقته وهذا يضعف رجوع الصواع فكان ينبغي ألا يؤخذ بنيامين إذا لم يبق فيما يخدم . # قوله عز وجل سور يوسف 76 \$ بدؤه أيضا من أوعيتهم تمكين للحيلة وإبعاد لظهور أنها حيلة . # وقرأ جمهور الناس وعاء بكسر الواو وقرأ الحسن وعاء بضمها وقرأ ابن جبير أعاء بهمزة بدل الواو وذلك شائع في الواو المكسورة وهو أكثر في المضمومة وقد جاء من المفتوحة أحدا في وحد . # وأضاف الله تعالى إلى ضميره لما أخرج القدر الذي أباح به ليوسف أخذ أخيه مخرج ما هو في اعتياد الناس كيد وقال السدي والضحاك كدنا معناه صنعنا .

@ 266 @ ودين الملك فسره ابن عباس بسلطانه وفسره قتادة بالقضاء والحكم . # قال القاضي أبو محمد وهذا متقارب والإستثناء في هذه الآية حكاية حال التقدير إلا أن شاء الله ما وقع من هذه الحيلة ويحتمل أن يقدر أنه تسنن لما قرر النفي . # وقرأ الجمهور نرفع على ضمير المعظم ونشاء كذلك وقرأ الحسن وعيسى ويعقوب بالياء أي الله تعالى وقرأ أبو عمرو ونافع وأهل المدينة درجات من بإضافة الدرجات إلى من وقرأ عاصم وابن محيصن درجات من بتنوين الدرجات وقرأ الجمهور وفوق كل ذي علم . #

وقرأ ابن مسعود وفوق كل ذي عالم والمعنى أن البشر في العلم درجات فكل عالم فلا بد من إعلم منه فيما من البشر وإما الله عز وجل . # وأما على قراءة ابن مسعود فقيل ^ ذي ^ زائدة وقيل عالم مصدر كالباطل . # وروي أن المفتش كان إذا فرغ من رحل رجل فلم يجد فيه شيئا استغفر الله عز وجل تائبا من فعله ذلك وظاهر كلام قتادة وغيره أن المستغفر كان يوسف لأنه كان يفتشهم يعلم أين الصواع حتى فرغ منهم وانتهى إلى رحل بنيامين فقال ما أظن هذا الفتى رضي بهذا ولا أخذ شيئا فقال له إخوته والله لا تبرح حتى تفتشه فهو أطيب لنفسك ونفوسنا ففتش فأخرج السقاية وهذا التفتيش من يوسف يقتضي أن المؤذن إنما سرقه برأيه وإنما يقال جميع ذلك كان بأمر الله تعالى ويقوي ذلك قوله ^ كذا ^ وكيف لا يكون برأي يوسف وهو مضطر في محاولته إلى أن يلزمهم حكم السرقة له أخذ أخيه . # والضمير في قوله ^ استخرجها ^ عائذ علي ^ السقاية ^ ويحتمل أن يعود على السرقة . # وروي أن إخوة يوسف لما رأوا ذلك قالوا يا بنيامين بن راحيل قبحك الله ولدت أمك أخوين لصين كيف سرفت هذه السقاية ورفع يديه إلى السماء وقال والله ما فعلت فقالوا له فمن وضعها في رحلك قال الذي وضع البضاعة في رحالكم . # وما ذكرناه من المعنى في قوله ^ وفوق كل ذي علم عليم ^ هو قول الحسن وقتادة وقد روي عن ابن عباس وروي أيضا عنه رضي الله عنه أنه حدث يوما بحديث عجيب فتعجب منه رجل ممن حضر وقال الحمد لله ^ وفوق كل ذي علم عليم ^ وقال ابن عباس بثس ما قلت إنما العليم لله وهو فوق كل ذي علم . # قال القاضي أبو محمد فيبين هذا وبين قول الحسن فرق . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 77 \$ الضمير في ^ قالوا ^ لإخوة يوسف والأخ الذي أشاروا إليه هو يوسف ونكروه تحقيرا للأمر إذ

@ 267 @ كان مما لا علم للحاضرين به ثم ألقوه بنيامين إذ كان شقيقه ويحتمل قولهم ^ إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ^ تأويلين . # أحدهما أنهم حققوا السرقة في جانب بنيامين ويوسف عليهما السلام بحسب ظاهر الحكم فكانهم قالوا إن كان قد سرق فغير بدع من ابني راحيل لأن أخاه يوسف كان قد سرق . # فهذا من الإخوة إنحاء على ابني راحيل يوسف وبنيامين . # والوجه الآخر الذي يحتمله لفظهم يتضمن أن السرقة في جانب يوسف وبنيامين مظنونة كأنهم قالوا إن كان هذا الذي رمي به بنيامين حقا في نفسه فالذي رمي به يوسف قبل حقا إذا وكان قصة يوسف والظن به قوي عندهم بما ظهر في جهة وبنيامين . # وقال بعض المفسرين التقدير فقد قيل عن يوسف إنه سرق ونحو هذا من الأقوال التي لا ينطبق معناها على لفظ الآية . # وهذه الأقوال منهم عليهم السلام إنما كانت بحسب الظاهر وموجب الحكم في النازلتين فلم يعفوا في غيبة ليوسف وإنما قصدوا الإخبار بأمر جرى ليزول بعض المعرفة عنهم ويختص بها هذان الشقيقان . # وأما ما روي في سرقة يوسف فتلاثة وجوه الجمهور منها على أن عمته كانت ربه فلما شب أراد يعقوب أخذه منها فولعت به وأشفتت من فراقه فأخذت منطقة إسحاق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت إنني قد فقدت المنطقة ويوسف قد خرج بها ففتشت فوجدت عنده فاستبرقته حسبا كان في شرعهم وبقي عندها حتى ماتت فصار عند أبيه . # قال ابن إدريس عن أبيه إنما أكل بنو يعقوب طعاما فأخذ يوسف عرقا فخباه فرموه لذلك بالسرقة وقال سعيد بن جبير وقتادة إنما أمرته أمه أن يسرق صنما لأبيها فسرقه وكسره وكان ذلك منها ومنه تغييرا للمنكر فرموه لذلك بالسرقة وفي كتاب الزجاج أنه كان صنم ذهب . # والضمير في قوله ^ فأسرهما ^ عائذ يراد به الحزة التي حدثت في نفس يعقوب من قولهم والكلام يتضمنها وهذا كما تضمن الكلام الضمير الذي في قول حاتم # (لعمر ك ما يغني الثراء عن الفتى % إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر) # وهذا كقوله تعالى ^ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ^ فهي مراد بها الحالة المتحصلة من هذه الأفعال . # وقال قوم أسر المجازاة وقال قوم أسر الحجة وما قدمناه أليق . # وقرأ ابن أبي عبله فأسره يوسف بضمير تذكير . # وقوله ^ أنتم شر مكانا ^ الآية الظاهر منه أنه قالها إفضاحا فكأنه أسر لهم كراهية مقاتلتهم ثم تجهمهم بقوله ^ أنتم شر مكانا ^ أي لسوء أفعالكم والله يعلم إن كان ما وصفتموه حقا وفي اللفظ إشارة إلى تكذيبهم ومما يقوي هذا عندي أنهم تركوا الشفاعة بأنفسهم وعدلوا إلى الشفاعة بالشيخ صلى

@ 268 @ الله عليه وسلم . # وقالت فرقة وهو ظاهر كلام ابن عباس لم يقل يوسف هذا الكلام إلا في نفسه وإنما هو تفسير للذي أسر في نفسه أي هذه المقالة هي التي أسر فكان المراد في نفسه أنتم . # وذكر الطبري هنا قصصا اختصاره أنه لما استخرجت السقاية من رحل بنيامين قال إخوته يا بني راحيل ألا يزال البلاء ينالنا من جهتم فقال بنيامين بل بنو راحيل ينالهم البلاء منكم ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم . # فقالوا لا تذكر الدراهم لئلا تؤخذ بها . # ثم دخلوا على يوسف فأخذ الصواع فنقره فطن فقال إنه يخبر أنكم ذهبتم بأخ لكم فبعتموه فسجد بنيامين وقال أيها العزيز سل صواعك هذا يخبرك بالحق . # قال القاضي أبو محمد ونحو هذا من القصص الذي أثرنا اختصاره . # وروي أن روبيل غضب ووقف شعره حتى خرج من ثيابه فأمر يوسف بنينا له فمسسه فسكن غضبه فقال روبيل لقد مسني أحد من ولد يعقوب ثم إنهم تشاوروا في محاربة يوسف وكانوا أهل قوة لا يدانون في ذلك فلما أحس يوسف بذلك قام إلى روبيل فلبسه وصرعه فرأوا من قوته ما استعظموه عند ذلك وقالوا ^ يا أيها العزيز ^ . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 78 - 80 \$ خاطبوه باسم ^ العزيز ^ إذ كان في تلك الخطة بعزل الأول أو موته على ما روي في ذلك وقولهم ^ فخذ أحدنا مكانه ^ يحتمل أن يكون مجازا وهم يعلمون أنه لا يصح أخذ حر ليسترق بدل من أحكمت السنة رقه وإنما هذا كما تقول لمن تكره فعله اقتلني ولا تفعل كذا وكذا وأنت لا تريد أن يقتلك ولكنك تبالغ في استنزاهه وعلى هذا يتجه قول يوسف ^ معاذ الله ^ لأنه تعود من غير جائز ويحتمل أن يكون قولهم ^ فخذ أحدنا مكانه ^ حقيقة وبعيد عليهم وهم أنبياء أن يريدوا استرقاق حر فلم يبق إلا أن يريدوا بذلك طريق الحماله أي خذ أحدنا حتى ينصرف إليك صاحبك ومقصدهم بذلك أن يصل بنيامين إلى أبيه ويعرف يعقوب جلية الأمر فممنع يوسف عليه السلام من ذلك إذ الحماله في الحدود ونحوها لمعنى إحضار المضمون فقط جائزة مع التراخي غير لازمة إذا أبي الطالب وأما الحماله في مثل ذلك على أن يلزم الحمل ما كان يلزم المضمون من عقوبة فلا يجوز ذلك إجماعا . # وفي الواضحة إن الحماله بالوجه فقط في جميع الحدود جائزة إلا في النفس .

@ 269 @ وقولهم ^ إننا نراك من المحسنين ^ يحتمل أن يريدوا وصفه بما رأوه من إحسانه في جميع أفعاله معهم ومع غيرهم ويحتمل أن يريدوا إننا نرى لك إحسانا علينا في هذه اليد إن أسديتها إلينا وهذا تأويل ابن إسحاق . # و ^ معاذ ^ نصب على المصدر ولا يجوز إظهار الفعل معه والظلم في قوله ^ الظالمون ^ على حقيقته إذ هو وضع الشيء في غير موضعه وذكر الطبري أنه روي أن يوسف أباسهم بلفظه هذا قال لهم إذا أتيتم أباكم فاقروا عليه السلام وقولوا له إن ملك مصر يدعو لك ألا تموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم أن في أرض مصر صديقين مثله . # وقوله ^ فلما استأيسوا منه ^ الآية يقال بثس واستأيس بمعنى واحد كما يقال سخر واستسخر ومنه قوله تعالى ^ يستسخرون ^ وكما يقال عجب واستعجب ومنه قول أوس بن حجر # (ومستعجب مما يرى من أناتنا % ولو زينت الحرب لم يترمرم) + الطويل + # ومنه نوك واستنوك وعلى هذا يجيء قول الشاعر في بعض التأويلات واستنوك وللشباب نوك . # وهذه قراءة الجمهور وقرأ ابن كثير استأيسوا ولا تأيسوا ولا يأس وحتى إذا استأيس الرسل أصله استأيسوا استفعلوا ومن أيس على قلب الفعل من بثس إلى أيس وليس هذا كجذب وجذب بل هذان أصلا والأول قلب دل على ذلك أن المصدر من بثس وأيس واحد وهو اليأس ولجذب وجذب مصدران . # وقوله ^ خلصوا نجيا ^ معناه انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضا والنجي لفظ يوصف به من له نجوى واحدا أو جماعة أو مؤثنا أو مذكرا فهو مثل عدو وجمعه أنجيه قال لبيد # (وشهدت أنجيه الأفاقه عاليا % كعبي وأرداف الملوك بشهود) # و ^ كبيرهم ^ قال مجاهد هو شمعون لأنه كان كبيرهم رأيا وتديبرا وعلما وإن كان روبيل أسنهم وقال قتادة هو روبيل لأنه أسنهم وهذا أظهر ورجحه الطبري . # وقال السدي معنى الآية وقال كبيرهم في العلم وذكرهم أخوهم الميثاق في قوله يعقوب ^ لتأنتني به إلا أن يحاط بكم ^ . # وقوله ^ ما فرطتم ^ يصح أن تكون ^ ما ^ صلة في الكلام لا موضع لها من الإعراب . # ويصح أن تكون في موضع رفع بالابتداء والخبر قوله ^ في يوسف ^ كذا قال أبو علي ولا يجوز أن يكون قوله ^ من قبل ^ متعلقا ب ^ فرطتم ^ . # قال القاضي أبو محمد وإنما تكون على هذا مصدرية التقدير من قبل تفرطكم في يوسف واقع أو مستقر وبهذا المقدر يتعلق قوله ^ من قبل ^ . # ويصح أن يكون في موضع نصب عطفا على أن التقدير وتعلموا تفرطكم وتعلموا الذي فرطتم فيصح على هذا الوجه أن يكون بمعنى الذي ويصح أن تكون مصدرية .

@ 270 @ # وقوله تعالى ^ فلن أبرح الأرض ^ أراد أرض القطر والموضع الذي ناله فيه المكروه المؤدي إلى سخط أبيه والمقصود بهذا اللفظ التحريج على نفسه والتزام التصديق كأنه سجن نفسه في ذلك القطر ليلبي عذرا . # وقوله ^ أو يحكم الله لي ^ لفظ عام بجميع ما يمكن أن يرد من القدر كالموت أو النصرة وبلوغ الأمل وغير ذلك وقال أبو صالح أو يحكم الله لي بالسيف . # ونصب ^ يحكم ^ بالعطف على ^ يأذن ^ ويجوز أن تكون ^ أو ^ في هذا الموضع بمعنى إلا أن كما تقول لألزمك أو تقضيني حقي فتنصب على هذا ^ يحكم ب ^ أو ^ . # وروي أنهم لما وصلوا إلى يعقوب بكى وقال يا بني ما تذهبون عني مرة إلا نقصتم ذهبتم فنقصتم يوسف ثم ذهبتم فنقصتم شمعون حيث ارتهن ثم ذهبتم فنقصتم بنيامين وروبييل . # وقوله عز وجل \$ يوسف 81 - 83 \$ الأمر بالرجوع قبل هو من قول كبيرهم وقيل بل هو من قول يوسف لهم والأول أظهر . # قرأ الجمهور سرق على تحقيق السرقة على بينامين بحسب ظاهر الأمر . # وقرأ ابن عباس وأبو رزين سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها وكان هذه القراءة فيها لهم تحر ولم يقطعوا عليه بسرقة وإنما أرادوا جعل سارقا بما ظهر من الحال ورويت هذه القراءة عن الكسائي وقرأ الضحاك إن ابنك سارق بالالف وتنوين الفاق ثم تحروا بعد على الفراءتين في قولهم ^ وما شهدنا إلا بما علمنا ^ أي وقولنا لك ^ إن ابنك سرق ^ إنما هي شهادة عندك بما علمناه من ظاهر ما جرى والعلم في الغيب إلى الله ليس في ذلك حفظنا هذا قول ابن إسحاق وقال ابن زيد قولهم ^ ما شهدنا إلا بما علمنا ^ أرادوا به وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسترق في شرعك إلا بما علمنا من ذلك ^ وما كنا للغيب حافظين ^ أن السرقة تخرج من رحل أحدا بل حسبنا أن ذلك لا يكون البتة فشهدنا عنده حين سألنا بعلمنا . # وقرأ الحسن وما شهدنا عليه إلا بما علمنا بزيادة عليه . # ويحتمل قوله ^ وما كنا للغيب حافظين ^ أي حين واثقناك إنما قصدنا ألا يقع منا نحن في جهته شيء يكرهه ولم نعلم الغيب في أنه سيأتي هو بما يوجب رقه . # وروي أن معنى قولهم ^ للغيب ^ أي الليل والغيب الليل بلغة حمير فكانهم قالوا وما شهدنا

@ 271 @ عندك إلا بما علمناه من ظاهر حاله وما كنا بالليل حافظين لما يقع من سرقة هو أو التديليس عليه . # ثم استشهدوا بأهل القرية التي كانوا فيها وهي مصر قاله ابن عباس وغيره وهذا مجاز والمراد أهلها وكذلك قوله ^ والغير ^ هذا قول الجمهور وهو الصحيح وحكى أبو المعالي في التلخيص عن بعض المتكلمين أنه قال هذا من الحذف وليس من المجاز قال وإنما المجاز لفظة لفظة تستعار لغير ما هي له . # قال القاضي أبو محمد وحذف المضاف هو عين المجاز وعظمه هذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر وليس كل حذف مجازا ورجح أبو المعالي في هذه الآية أنه مجاز وحكى أنه قول الجمهور أو نحو هذا . # وقالت فرقة بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة ومن حيث هو بني فلا يبعد أن تخبره بالحقيقة . # قال القاضي أبو محمد وهذا وإن جوز فبعيد والأول أقوى وهنا كلام مقدر يقتضيه الظاهر تقديره فلما قالوا هذه المقالة لأبيهم قال ^ بل سولت ^ وهذا على أن يتصل كلام كبيرهم إلى هنا ومن يرى أن كلام كبيرهم تم في قوله ^ إن ابنك سرق ^ فإنه يجعل الكلام هنالك تقديره فلما رجعوا قالوا ^ إن ابنك سرق ^ الآية . # والظاهر أن قوله ^ بل سولت لكم أنفسكم أمرا ^ . # إنما هو ظن سيء بهم كما كان في قصة يوسف قبل فاتفق أن صدق ظنه هناك ولم يتحقق هنا ^ سولت ^ معناه زينت وخيلت وجعلته سولا والسول ما يتمناه الإنسان ويحرص عليه . # وقوله ^ فصبر جميل ^ إما ابتداء وخبره أمثل أو أولى وحسن الإبتداء بالنكرة من حيث وصفت . # وأما خبر ابتداء تقديره فأمرني أو شأني أو صبري صبر جميل وهذا أليق بالنكرة أن تكون خيرا ومعنى وصفه بالجمال أنه ليس فيه شكوى إلى بشر ولا ضجر بقضاء الله تعالى . # ثم ترجى عليه السلام من الله أن يجبرهم عليه وهم يوسف وبنيامين وروبييل الذي لم يبرح الأرض ورجاؤه هذا من جهات # إحداهم الرؤيا التي رأى يوسف فكان يعقوب ينتظرها . # والثانية حسن ظنه بالله تعالى في كل حال . # والثالثة ما أخبروه به عن ملك مصر أنه يدعوه لرؤية ابنه فوقع له من هنا تحسس ورجاء . # والوصف بالعلم والإحكام لائق بما يرحوه من لقاء بنيه وفيها تسليم لحكمة الله تعالى في جميع ما جرى عليه . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 84 - 86 \$

@ 272 @ # المعنى أنه لما ساء ظنه بهم ولم يصدق قولهم بل استراب به ^ تولى عنهم ^ أي زال بوجهه عنهم وجعل يتفجع ويتأسف قال الحسن خصت هذه الأمة بالإسترجاع ألا ترى إلى قول يعقوب (يا أسفى) . # قال القاضي أبو محمد والمراد يا أسفى . # لكن هذه لغة من يرد باء الإضافة ألفا نحو يا غلاما ويا أبنا ونادى الأسف على معنى احضر فهذا من أوقاتك . # وقيل قوله ^ يا أسفى ^ على جهة الندبة وحذف الهاء التي هي في الندبة علامة المبالغة في الحزن تجلدا منه عليه السلام إذ كان قد ارتبط إلى الصبر الجميل وقيل قوله ^ يا أسفى ^ نداء فيه استغاثة . # قال القاضي أبو محمد ولا يبعد أن يجتمع الاسترجاع و ^ يا أسفى ^ لهذه الأمة وليعقوب عليه السلام . # ^ وابتضت عيناه ^ أي من ملازمة البكاء الذي هو ثمرة الحزن وروي أن يعقوب عليه السلام حزن حزن سبعين ثكلى وأعطى أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله قط رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم . # وقرأ ابن عباس ومجاهد من الحزن يفتح الحاء والزاي وقرأ قتادة بضمهما وقرأ الجمهور بضم الحاء وسكون الزاي . # وهو كظيم ^ بمعنى كاطم كما قال ^ والكاظمين الغيظ ^ ووصف يعقوب بذلك لأنه لم يشك إلى أحد وإنما كان يكمد في نفسه ويمسك همه في صدره وكان يكظمه أي يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والفجر . # وقال ناس ^ كظيم ^ بمعنى مكطوم . # قال القاضي أبو محمد وقد وصف الله تعالى يونس عليه السلام بمكطوم في قوله ^ إذ نادى وهو مكطوم ^ وهذا إنما يتجه على تقدير أنه مليء بحزنه فكانه كظم بثه في صدره وجري كظيم على باب كاطم أبين . # وفسر ناس الكظيم بالمكروب وبالمكمود وذلك كله متقارب وقال منذر بن سعيد الأسف إذا كان من جهة من هو أقل من الإنسان فهو غضب ومنه قول الله تعالى ^ فلما أسفونا انتقمنا منهم ^ ومنه قول الرجل الذي ذهب لخادمه الشاة من الغنم فأسفت فلطمتها وإذا كان من جهة لا يطيقها فهو حزن وهم . # قال القاضي أبو محمد وتحرير هذا المنزع أن الأسف يقال في الغضب ويقال في الحزن وكل واحد من هذين يحزر حاله التي يقال عليها وقوله تعالى ^ قالوا تالله تفتأ ^ الآية المعنى تالله لا تفتأ فتحذف لا في هذه الموضع من القسم لدلالة الكلام عليها فمن ذلك قول امرئ القيس # (فقلت يمين الله أبرح قاعدا % ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي) + الطويل + # ومنه قول الآخر # (تالله يبقى على الأيام ذو حيد % بمشمرخ به الظيان والآس)

@ 273 @ # أراد لا يبرح ولا يبقى وقال الزجاجي وقد تحذف أيضا ما في هذا الموضع . # قال القاضي أبو محمد وخطأ بعض النحويين ومن المواضع التي حذف فيها لا وبدل عليها الكلام قول الشاعر # (فلا وأبى دهما زالت عزيزة % على قومها ما قبل الزند قاذح) + الطويل + # وقوله ما قبل الزند قاذح يوجب أن المحذوف لا وليست ما وفتئ بمنزلة زال وبرح في المعنى والعمل تقول والله لا فتئت قاعدا كما تقول لا زلت ولا برحت ومنه قول أوس بن حجر # (فما فتئت حتى كان غبارها % سرادق يوم ذي رباح يرفع) + الطويل + # والحرص الذي قد نهكه الهرم أو الحب أو الحزن إلى حال فساد الأعضاء والبدن والحس وعلى هذا المعنى قراءة الجمهور حرصا بفتح الراء والحاء . # وقرأ الحسن بن أبي الحسن بضمهما وقرأت فرقة حرصا بضم الراء وسكون الراء . # وهذا كله المصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والجمع بلفظ واحد كعدل وعدو وقيل في قراءة الحسن أنه يراد فئات الأشنان أي بالياء منتعنا ويقال من هذا المعنى الذي هو شن الهرم رجل حارص ويشى هذا البناء ويجمع ويؤنث ويذكر ومن هذا المعنى قول الشاعر . # (إنى امرؤ ليج حب فأحرصني % حتى بليت وحتى شقني السقيم) + البسيط + # وقد سمع من العرب رجل محرض قال الشاعر وهو امرؤ القيس # (أرى المرء ذا الأذواد يصبح محرضا % كأحراض بكر في الديار مريض) + الطويل + # والحرص بالجملة الذي فسد ودنا موته قال مجاهد والحرص ما دون الموت قال قتادة الحرص البالي الهرم وقال نحوه الضحاك والحسن وقال ابن إسحاق ^ حرصا ^ معناه فاسد لا عقل له فكانهم قالوا على جهة التعنيف له أنت لا تزال تذكر يوسف إلى حال القرب من الهلاك أو إلى الهلاك . # فأجابهم يعقوب عليه السلام رادا عليهم أي أنني لست ممن يجزع ويصجر فيستحق التعنيف وإنما أشكوا إلى الله ولا تعنيف في ذلك . # والبث ما في صدر الإنسان مما هو معتزم أن يبثه وينشره وأكثر ما يستعمل البث في المكروه وقال أبو عبيدة وغيره البث أشد الحزن وقد يستعمل البث في المخفي على الجملة ومنه قول المرأة في حديث أم زرع ولا يولج الكف ليعلم البث ومنه قولهم أثك حديثي . # وقرأ عيسى وحزني بفتح الحاء والزاي . # وحكى الطبري بسند أن يعقوب دخل على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فقال له فرعون ما بلغ بك هذا يا إبراهيم فقالوا إنه يعقوب فقال ما بلغ بك هذا يا

يعقوب قال له طول الزمان وكثرة الأجزان فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي فقال يا رب خطيئة فاعفها لي وأسند الطبري إلى الحسن قال كان بين خروج يوسف عن يعقوب إلى دخول يعقوب على يوسف ثمانون

@ 274 @ سنة لم يفارق الحزن قلبه ولم يزل يبكي حتى كف بصره وما في الأرض يومئذ أكرم على الله من يعقوب . # وقوله ^ وأعلم من الله ما لا تعلمون ^ يحتمل أنه أشار إلى حسن ظنه بالله وجميل عادة الله عنده ويحتمل أنه أشار إلى الرؤيا المنتظرة أو إلى ما وقع في نفسه عن قول ملك مصر إني أدعوك له برؤية ابنه قبل الموت وهذا هو حسن الظن الذي قدمناه . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 87 - 88 \$ # المعنى ^ اذهبوا ^ إلى الأرض التي جنتم منها وتركتم أخويكم بنيامين وروبييل ^ فتحسسوا ^ أي استقصوا ونقروا والتحسس طلب الشيء بالحواس من البصر والسمع ويستعمل في الخير والنشر فمن استعماله في الخير هذه الآية وفي النشر نهي النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ولا تحسسوا . # وقوله ^ من يوسف ^ يتعلق بمحذوف يعمل فيه ^ تحسسوا ^ التقدير فتحسسوا نبأ أو حفيقة من أمر يوسف . # لكن يحذف ما يدل ظاهر القول عليه إيجازا . # وقرأت فرقة تأسوا وقرأت فرقة تأسوا على ما تقدم وقرأ الأعرج تنسوا بكسر التاء . # وخص يوسف وبنيامين بالذكر لأن روبييل إنما بقي مختارا . # وهذان قد منعنا الأوبة . # والروح الرحمة . # ثم جعل اليأس من رحمة الله وتفريجه من صفة الكافرين . # إذ فيه إما التكذيب بالربوبية وإما الجهل بصفات الله تعالى . # وقرأ الحسن وقيادة وعمر بن عبد العزيز من روح الله بضم الراء . # وكان معنى هذه القراءة لا تأسوا من حي معه روح الله الذي وهبه فإن من بقي روحه فيرجى ومن هذا قول الشاعر # (وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع %) + الطويل # + ومن هذا قول عبيد # (وكل ذي غيبة يؤوب % وغائب الموت لا يؤوب) # ويظهر من حديث الذي قال إذا مت فأحرقوني ثم استحقوني ثم أذروني في البحر والبر في يوم راح . # فلتن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من الناس إنه ينس من روح الله وليس الأمر كذلك لأن قول النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث فغفر الله له يقتضي أنه مات مؤمنا إذ لا يغفر

@ 275 @ الله لكافر فبقي أن يتأول الحديث إما على أن قدر بمعنى ضيق وناقش الحساب فذلك معنى بين وإما أن تكون من القدرة ويقع خطأ في أن ظن في أن الإجتماع بعد السحق والتذرية محال لا يوصف الله تعالى بالقدرة عليه فغلط في أن جعل الجائر محالا ولا يلزمه بهذا كفر . # قال النقاش وقرأ ابن مسعود من فضل وقرأ أبي بن كعب من رحمة الله . # وقوله تعالى ^ فلما دخلوا عليه ^ الآية في هذا الموضوع اختصار محذوفات يعطيها الظاهر وهي أنهم نفذوا من الشام إلى مصر ووصلوها والضمير في ^ عليه ^ عائد على يوسف و ^ الضر ^ أرادوا به المسغبة التي كانوا بسبيلها وأمر أخيه الذي أهم أباهم وعم جميعهم والبضاعة القطعة من المال يقصد بها شراء شيء ولزمها عرف الفقه فيما لا حظ لحاملها من الربح وال ^ مزجاة ^ معناها المدفوعة المتحيل لها ومنه إزجاء السحاب ومنه إزجاء الإبل كما قال الشاعر # (على زواحف تزجي مخها رير %) # وكما قال النابغة # (وهبت الريح من تلقاء ذي أزل % تزجي مع الليل من صرادها صرما) + البسيط # + وقال الأعرابي # (الواهب المائة الهجان وعبدها % عودا تزجي خلفها أطفالها) + الكامل # + وقال الآخر # (بحاجة غير مزجاة من الحاج %) # وقال جاتم ^ لبيك على ملحان صيف مدفع % وأرملة تزجي مع الليل أرملا ^ # فجملة هذا أن من يسوق شيئا ويتلطف في تسييره فقد أزهاه فإذا كانت الدراهم مدفوعة نازلة القدر تحتاج أن يعتذر معها ويشفع لها فهي مزجاة فليل كان ذلك لأنها كانت زيوفا قاله ابن عباس وقال الحسن كانت قليلة وقيل كانت ناقصة قاله ابن جبير وقيل كانت بضاعتهم عروضاً فلذلك قالوا هذا . # واختلف في تلك العروض ما كانت فقيل كانت السمن والصفوف قاله عبد الله بن الحارث وقال علي بن أبي طالب كانت قديد وحش ذكره النقاش وقال أبو صالح وزيد بن أسلم كانت الصنوبر والحببة الخضراء . # قال القاضي أبو محمد وهي الفستق . # وقيل كانت المقبل وقيل كانت القطن وقيل كانت الحبال والأعدال والأقتاب . # وحكى مكي أن مالكا رحمه الله قال المزجاة الجائزة . # قال القاضي أبو محمد ولا أعرف لهذا وجها والمعنى ياباه . # ويحتمل أن صحف على مالك وأن

@ 276 @ لفظه بالحاء غير منقوطة وبالراء . # واستند مالك رحمه الله في أن الكيل على البائع إلى هذه الآية وذلك ظاهر منها وليس بنص . # وقولهم ^ وتصدق علينا ^ معناه بما بين الدراهم الجياذ وهذه المزجاة قاله السدي وغيره . # وقيل كانت الصدقة غير محرمة على أولئك الأنبياء وإنما حرمت على محمد قاله سفيان بن عيينة . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف يرده حديث النبي صلى الله عليه وسلم في قوله نحن معاشر الأنبياء لا نحل لنا الصدقة . # وقالت فرقة كانت الصدقة عليهم محرمة ولكن قالوا هذا تجوزا واستعطافا منهم في المبايعة كما تقول لمن تساومه في سلعة هبني من ثمنها كذا وخذ كذا فلم تقصد أن يهبك وإنما حسنت له الإنفعال حتى يرجع معك إلى سومك وقال ابن جريح إنما خصوا بقولهم ^ وتصدق علينا ^ أمر أخيه بنيامين أي أوف لنا الكيل في المبايعة وتصدق علينا بصرف أخينا إلى أبيه . # وقولهم ^ إن الله يجزي المتصدقين ^ قال النقاش يقال هو من المعارض التي هي مندوحة عن الكذب وذلك أنهم كانوا يعتقدونه ملكا كافرا على غير دينهم ولو قالوا إن الله يجزيك بصدقك في الآخرة كذبوا فقالوا له لفظا يوهمه أنهم أرادوه وهم يصح لهم إخراجهم منه بالتأويل . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 89 - 92 \$ # روى أن يوسف عليه السلام لما قال إخوته ^ مسنا وأهلنا الضر ^ واستعطفوه رق ورحمهم قال ابن إسحاق ورفض دمه باكيا فشرع في كشف أمره إليهم فيروى أنه حسر فناعه وقال لهم ^ هل علمتم ^ الآية . # وقوله ^ فعلتم بيوسف وأخيه ^ يريد من التفريق بينهما في الصغر والتمرس بهما وإذاية بنيامين . # بعد مغيب يوسف . # فإنهم كانوا يذلون به ويشتمونه ولم يشر إلى قصة بنيامين الآخرة لأنهم لم يفعلوا هم فيها شيئا ونسبهم إما إلى جهل المعصية وإما إلى جهل الشباب وقلة الحنكة فلما خاطبهم هذه المخاطبة وبشبهه أن يكون قد اقترن بها من هيئته وبشره وتبسمه ما دلهم تنبهوا ووقع لهم من الظن القوي أنه يوسف فخاطبوه مستفهمين استفهام مقرر . # وقرأت فرقة أنك يوسف بتحقيق الهمزتين وقرأت فرقة بإدخال ألف بين همزتين وتحقيقهما أنك

@ 277 @ وقرأت فرقة بتسهيل الثانية إنك وقرأ ابن محيصن وقيادة وابن كثير إنك على الخبر وتأكيده وقرأ أبي بن كعب أنك أو أنت يوسف قال أبو الفتح ينبغي أن يكون هذا على حذف خبر إن كأنه قال أنتك لغير يوسف أو أنت يوسف وحكى أبو عمرو الداني أن في قراءة أبي بن كعب أو أنت يوسف وتأولت فرقة ممن قرأ أنك أنها استفهام بإسقاط حرف الإستفهام فأجابهم يوسف كاشفا أمره قال ^ أنا يوسف وهذا أخي ^ وقال مجاهد أراد ^ من يتق ^ في ترك المعصية ويصبر في السجن . # وقال إبراهيم النخعي المعنى ^ من يتق ^ الزنى ويصبر على العزوبة . # قال القاضي أبو محمد ومقصد اللفظ إنما هو العموم في العظائم وإنما قال هذان ما خصصا لأنها كانت من نوازلهم ولو فرضنا نزول غيرها به لاتفق وصبر . # وقرأ الجمهور من يتق ويصبر وقرأ ابن كثير وحده من يتقي ويصبر بإثبات الياء واختلف في وجه ذلك فقيل قدر الياء متحركة وجعل الجزم في حذف الحركة وهذا كما قال الشاعر # (ألم يأتيك والأنبياء تنمي % بما لاقت ليون بني زياد) + الوافر + # قال أبو علي وهذا مما لا نحمله عليه لأنه يجيء في الشعر لا في الكلام وقيل من بمعنى الذي ويتقي فعل مرفوع ويصبر عطف على المعنى لأن من وإن كانت بمعنى الذي ففيها معنى الشرط ونحوه قوله تعالى ^ فأصدق وأكن ^ وقيل أراد يصبر بالرفع لكنه سكن الراء تخفيفا كما قرأ أبو عمرو ^ ويأمركم ^ بإسكان الراء . # وقوله تعالى ^ قالوا تالله لقد أثنك الله علينا ^ الآية هذا منهم استنزال يوسف وإقرار بالذنب في ضمنه استغفار منه . # و ^ أثنك ^ لفظ يعم جميع التفصيل وأنواع العطايا والأصل فيها همزتان وخفت الثانية ولا يجوز تحقيقتها والمصدر إثنار و ^ خاطئين ^ من خطئ يخطأ وهو المتعمد للخطأ والمخطئ من أخطأ وهو الذي قصد الصواب فلم يوفق إليه ومن ذلك قول الشاعر وهو أمية بن الأسكر # (وإن مهاجرين تكتفاه % عداة إذ لقد خطئا وخابا) + الوافر + # وقوله ^ لا تثريب عليكم ^ عفو جميل وقال عكرمة أوحى الله إلى يوسف بعفوك على إخوتك رفعت لك ذكرك وفي الحديث أن أبا سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية لما وردا مهاجرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرض عنهما لقيح فعلمهما معه قبل فشق ذلك عليهما وأتيا أبا بكر فكلفاه الشفاعة فأبى وأتيا عمر فكذلك فذهب أبو سفيان بن الحارث إلى ابن عمه علي وذهب عبد الله إلى أخته أم سلمة فقال علي رضي الله عنه الرأي أن تلقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحفل فتصيحان به ^ تالله لقد أثنك الله علينا وإن كنا لخاطئين ^ فإنه لا يرضى أن يكون دون أحد من

الأنبيا فلا بد لذلك أن يقول لا تثريب عليكم ففعلا ذلك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم ^ الآية .

@ 278 @ # والتثريب اللوم والعقوبة وما جرى معها من سوء معتقد ونحوه وقد عبر بعض الناس عن التثريب بالتعير ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا زنت أمة أحكمم فيجلدها ولا يثرب أي لا يعبر أخرجه الشيخان في الحدود . # ووقف بعض القراءة ^ عليكم ^ وابتدأ ^ اليوم يغفر الله لكم ^ ووقف أكثرهم ^ اليوم ^ وابتدأ ^ يغفر الله لكم ^ على جهة الدعاء وهو تأويل ابن إسحاق والطبري وهو الصحيح و ^ اليوم ^ ظرف فعلى هذا فالعامل فيه ما يتعلق به ^ عليكم ^ تقديره لا تثريب ثابت أو مستقر عليكم اليوم . # وهذا الوقف أرجح في المعنى لأن الآخر فيه حكم على مغفرة الله اللهم إلا أن يكون ذلك بوحى . # قوله عز وجل سورة يوسف 93 - 95 # حكمه بعد الأمر إلقاء القميص على وجه أبيه بأن أباه يأتي بصيرا ويحول عماه دليل على أن هذا كله بوحى وإعلام من الله . # قال النقاش وروي أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله إياه حين خرج من النار وكان من ثياب الجنة . # وكان بعد إسحاق ثم ليعقوب ثم كان دفعه ليوسف فكان عنده في حفاظ من قصب . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله يحتاج إلى سند والظاهر أنه قميص يوسف الذي هو منه بمنزلة قميص كل أحد وهكذا تبين الغرابة في أن وجد ريحه من بعد ولو كان من قمص الجنة لما كان في ذلك غرابة ولوجده كل أحد . # وأما أهلهم فروي أنهم كانوا ثمانين نسمة وقيل ستة وسبعين نفسا بين رجال ونساء وفي هذا العدد دخلوا مصر ثم خرج منها أعقابهم مع موسى في ستمائة ألف . # وذكر الطبري عن السدي أنه لما كشف أمره لإخوته سألهم عن أبيهم ما حاله فقالوا ذهب بصره من البكاء . # فحينئذ قال لهم ^ اذهبوا بقميصي ^ الآية . # وقوله تعالى ^ ولما فصلت العير ^ الآية معناه فصلت العير من مصر متوجهة إلى موضع يعقوب حسما اختلف فيه فقيل كان على مقربة من بيت المقدس وقيل كان بالجزيرة والأول أصح لأن آثارهم وقبورهم حتى الآن هناك . # وروي أن يعقوب وجد ^ ربح يوسف ^ وبينه وبين القميص مسيرة ثمانية أيام قاله ابن عباس وقال هاجت ربح فحملت عرفه وروي أنه كان بينهما ثمانون فرسخا قاله الحسن وابن جريج قال وقد كان فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة .

@ 279 @ # قال القاضي أبو محمد وهذا قريب من الأول . # وروي أنه كان بينهما مسيرة ثلاثين يوما قاله الحسن بن أبي الحسن وروي عن أبي أيوب الهوزني أن الريح استأذنت في أن توصل عرف يوسف إلى يعقوب فأذن لها في ذلك . # وكانت مخاطبة يعقوب هذه لحاضريه فروي أنهم كانوا حفدته وقيل كانوا بعض بنيه وقيل كانوا قرابته . # و ^ تفندون ^ معناه تردون رأيي وتدفعون في صدري وهذا هو التفتيد في اللغة ومن ذلك قول الشاعر # (يا عادلي دعا لومي وتفندي % فليس ما فات من أمري بمرود) + البسيط + # ويقال أفند الدهر فلانا إذا أفسده . # قال ابن مقبل # (دع الدهر بفعل ما أراد فإنه % إذا كلف الإفناد بالناس أفندا) + الطويل + # ومما يعطى أن الفند الفساد في الجملة قول النابغة # (إلا سليمان إذ قال الإله له % قم في البرية فاحدها عن الفند) + البسيط + # وقال منذر بن سعيد يقال شيخ مفند أي قد فسد رأيه ولا يقال عجوز . # قال القاضي أبو محمد والتفتيد يقع إما لجهل المفند وإما لهوى عليه وإما لكذبه وإما لضعفه وعجزه لذهاب عقله وهرمه فلهاذا فسر الناس التفتيد في هذه الآية بهذه المعاني ومنه قوله عليه السلام أو هرا ما مفندا . # قال ابن عباس ومجاهد وقتادة معناه تسفهون وقال ابن عباس أيضا تجهلون وقال ابن جبير وعطاء معناه تكذبون وقال ابن إسحاق معناه تضعفون وقال ابن زيد ومجاهد معناه تقولون ذهب عقلك وقال الحسن معناه تهرمون . # والذي يشبه أن تفتيدهم ليعقوب إنما كان لأنهم كانوا يعتقدون أن هواه قد غلبه في جانب يوسف . # قال الطبري أصل التفتيد الإفساد . # وقولهم ^ لفي ضلالك ^ يريدون في انتكافك وتحريكك وليس هو بالضلال الذي هو في العرف ضد الرشاد لأن ذلك من الجفاء الذي لا يسوغ لهم مواجهته به وقد تناول بعض الناس على ذلك ولهذا قال قتادة رحمه الله قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبي الله عليه السلام وقال ابن عباس المعنى لفي خطئك . # قال القاضي أبو محمد وكان حزن يعقوب قد تجدد بقصة بنيامين فلذلك يقال له ذو الحزنين . # قوله عز وجل

@ 280 @ \$ سورة يوسف 96 - 99 # روي عن ابن عباس أن ^ البشير ^ كان يهودا لأنه كان جاء بقميص الدم . # قال القاضي أبو محمد حدثني أبي رضي الله عنه قال سمعت الواعظ أبا الفضل بن الجوهري على المنبر بمصر يقول إن يوسف عليه السلام لما قال ^ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجهه أبي ^ قال يهودا لإخوته قد علمتم أنني ذهبت إليه بقميص الترحه فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة فتركوه وذلك . # وقال هذا المعنى السدي . # و ^ ارتد ^ معناه رجع هو يقال ارتد الرجل وردّه غيره و ^ بصيرا ^ معناه مبصرا ثم وقفه على قوله ^ إني أعلم من الله ما لا تعلمون ^ وهذا والله أعلم هو انتظاره لتأويل الرؤيا ويحتمل أن يبشير إلى حسن ظنه بالله تعالى فقط . # وروي أنه قال للبشير على أي دين تركت يوسف قال على الإسلام قال الحمد لله الآن كملت النعمة . # وفي مصحف ابن مسعود فلما أن جاء البشير من بيد يدي العير وحكى الطبري عن بعض النحويين أنه قال ^ أن ^ في قوله ^ فلما أن جاء البشير ^ رائدة والعرب تزيدها أحيانا في الكلام بعد لما وبعد حتى فقط تقول لما جئت كان كذا ولما أن جئت وكذلك تقول ما قام زيد حتى قمت وحتى أن قمت . # وقوله ^ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ^ الآية روي أن يوسف عليه السلام لما غفر لإخوته وتحققوا أيضا أن يعقوب يغفر لهم قال بعضهم لبعض ما يغني عنا هذا إن لم يغفر الله لنا فطلبوا حينئذ من يعقوب أن يطلب لهم المغفرة من الله تعالى وإعترفوا بالخطأ فقال لهم يعقوب ^ سوف أستغفر ^ فقالت فرقة سوفهم إلى السحر وروي عن محارب بن دثار أنه قال كان عم لي يأتي المسجد فسمع إنسان يقول اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا سحر فأعفر لي فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسئل عبد الله بن مسعود عن ذلك فقال إن يعقوب عليه السلام أخبر بنيه إلى السحر ويقوي هذا التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة إذا كان الثلث الآخر إلى سماء الدنيا فيقول من يدعوني فاستجب له من يستغفرنني فأعفر له الحديث . # ويقويه قوله تعالى ^ والمستغفرين بالأسحار ^ وقالت فرقة إنما سوفهم يعقوب إلى قيام الليل وقالت فرقة منهم سعيد بن جبير سوفهم يعقوب إلى الليالي البيض فإن الدعاء فيهن يستجاب وقيل إنما أخرجهم إلى ليلة الجمعة وروي ابن عباس هذا التأويل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخرجهم يعقوب حتى تأتي له الجمعة .

@ 281 @ # ثم رجاهم يعقوب عليه السلام بقوله ^ إنه هو الغفور الرحيم ^ . # وقوله ^ فلما دخلوا ^ الآية ها هنا محذوفات يدل عليها الظاهر وهي فرجل يعقوب بأهله أجمعين وساروا حتى بلغوا يوسف فلما دخلوا عليه . # و ^ أوى ^ معناه ضم وأظهر الحماية بهما وفي الحديث أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله . # وقيل أراد بالأبوين أباه وأمه قاله ابن إسحاق والحسن وقال بعضهم أباه وجدته أم أمه حكاه الزهراوي وقيل أباه وخالته لأن أمه قد كانت ماتت . # وفي مصحف ابن مسعود أوى إليه أبويه وإخوته . # وقوله ^ ادخلوا مصر ^ معناه تمكنوا واسكنوا واستقروا لأنهم قد كانوا دخلوا عليه وقيل بل قال لهم ذلك في الطريق حين تلقاهم قاله السدي وهذا الإستثناء هو الذي ندب القرآن إليه أن يقوله الإنسان في جميع ما ينفذه بقوله في المستقبل وقال ابن جريج هذا مؤخر في اللفظ وهو متصل في المعنى بقوله ^ سوف أستغفر لكم ^ . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا التأويل ضعف . # و ^ العرش ^ سرير الملك وكل ما عرش فهو عرش وعرش وضع الوجه بالأرض وقيل بل دون ذلك كالركوع البالغ ونحوه مما كان سيرة تحياتهم للملوك في ذلك الزمان كالمعهود عندنا من وضع الوجه بالأرض وقيل بل فإنما كان تحية لا عبادة . # قال قتادة هذه كانت تحية الملوك عندهم . # وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة . # وقال الحسن الضمير في له ^ لله عز وجل . # قال القاضي أبو محمد ورد على هذا القول . # وحكى الطبري أن يعقوب لما بلغ مصر في جملته كلم يوسف فرعون في تلقيه فخرج إليه وخرج الملوك معه فلما دنا يوسف من يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهودا قال فنظر يعقوب إلى الخيل والناس فقال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا هو ابنك قال فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدأ بالسلام فمنعه يعقوب من ذلك وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل فقال السلام عليك يا مذهب الأحران . # قال القاضي أبو محمد ونحو هذا من القصص وفي هذا الوقت قال يوسف ليعقوب إن

فرعون قد أحسن إلينا فادخل عليه شاكرًا فدخل عليه فقال فرعون يا شيخ ما مصيرك إلى ما أرى قال تتابع البلاء علي . # قال فما زالت قدمه حتى نزل الوحي يا يعقوب أنتشكوني إلى من لا يضرك ولا ينفكك قال يا رب ذنب فاغفره . # وقال أبو عمرو الشيباني تقدم يوسف يعقوب في المشي في بعض تلك المواطن فهبط جبريل فقال له أتقدم أباك إن عقوبتك لذلك ألا يخرج من نسلك نبي .

@ 282 @ # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 100 \$ # المعنى قال يوسف ليعقوب هذا السجود الذي كان منكم هو ما آلت إليه رؤياي قديما في الأحد عشر كوكبا وفي الشمس والقمر . # وقوله ^ قد جعلها ربي حقا ^ ابتداء تعديد نعم الله تعالى عليه وقوله ^ قد أحسن بي ^ أي أوقع وناط إحسانه بي . # فهذا منحى في وصول الإحسان بالبلاء وقد يقال أحسن إلي وأحسن في ومنه قول عبد الله بن أبي ابن سلول يا محمد أحسن في موالي وهذه المناحي مختلفة المعنى وأليقها بيوسف قوله ^ بي ^ لأنه إحسان درج فيه دون أن يقصد هو الغاية التي صار إليها . # وذكر يوسف عليه السلام إخراج من السجن وترك إخراج من الجب لوجهين . # أحدهما أن في ذكر إخراج من الجب تحديد فعل إخوته وخزيمهم بذلك وتقليع نفوسهم وتحريك تلك الغوائل وتخبيث النفوس . # والوجه الآخر أنه خرج من الجب إلى الرق ومن السجن إلى الملك فالنعمة هنا أوضح . # وقوله ^ وجاء بكم من البدو ^ يعم جمع الشمل والتنقل من الشقاوة إلى النعمة بسكنى الحاضرة وكان منزل يعقوب عليه السلام بأطراف الشام في بادية فلسطين وكان رب إبل وغنم وبادية . # و ^ نزع ^ معناه فعل فعلا أفسد به ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يبشر أحدكم على أخيه بالسلاح لا ينزع الشيطان في يده . # وإنما ذكر يوسف هذا القدر من أمر إخوته ليبين حسن موقع النعم لأن النعمة إذا جاءت إثر شدة وبلاء فهي أحسن موقعا . # وقوله ^ لما يشاء ^ أي من الأمور أن يفعله واختلف الناس في كم كان بين رؤيا يوسف وبين ظهورها فقالت فرقة أربعون سنة هذا قول سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد وقال عبد الله بن شداد ذلك آخر ما تطمئن الرؤيا وقالت فرقة منهم الحسن وجسر بن فرقد وفضيل بن عياض ثمانون سنة . # وقال ابن إسحاق ثمانية عشر وقيل اثنان وعشرون قاله النقاش وقيل ثلاثون وقيل خمس وثلاثون قاله قتادة وقال السدي وابن جبير ستة وثلاثون سنة . # وقيل إن يوسف عليه السلام عمر مائة وعشرين سنة . # وقيل إن يعقوب بقي عند يوسف نيفا على عشرين سنة ثم توفي صلى الله عليه وسلم . # قال القاضي أبو محمد ولا وجه في ترك تعريف يوسف أباه بحاله منذ خرج من السجن إلى العز إلا

@ 283 @ الوحي من الله تعالى لما أراد أن يمتحن به يعقوب وبنيه وأراد من صورة جمعهم لا إله إلا هو وقال النقاش كان ذلك الوحي في الجب وهو قوله تعالى ^ وأوحينا إليه لتبينهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ^ وهذا محتمل . # ومما روي في أخبار يعقوب عليه السلام قال الحسن إنه لما ورده البشير لم يجد عنده شيئا يشبه به فقال له والله ما أصبت عندنا شيئا وما خبزنا منذ سبع ليال ولكن هون الله عليك سكرات الموت . # ومن أخباره أنه لما اشتد بلاؤه وقال يا رب أعميت بصري وغيبت عني يوسف أفما ترحمني فأوحى الله إليه سوف أرحمك وأرد عليك ولدك وبصرك وما عاقبتك بذلك إلا أنك طبخت في منزلك حملا فشمه جار لك ولم تساهمه بشيء فكان يعقوب بعد يدعو إلى عدائه وعشائه . # وحكى الطبري أنه لما اجتمع شمله كلفه بنوه أن يدعو الله لهم حتى يأتي الوحي بأن الله قد غفر لهم قال فكان يعقوب يصلي ويوسف وراءه وهم وراء يوسف ويدعو لهم فلبث كذلك عشرين سنة ثم جاءه الوحي إني قد غفرت لهم وأعطيتهم موثيق النبوة بعدك . # ومن أخباره أنه لما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف أن يدفنه بالشام فلما مات نفخ فيه المر وحمله إلى الشام ثم مات يوسف فدفن بمصر فلما خرج موسى بعد ذلك من أرض مصر احتمل عظام يوسف حتى دفنها بالشام مع أبياته . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 101 - 102 \$ # قرأ ابن مسعود آيتين وعلمتن بحذف الياء على التخفيف وقرأ ابن ذر رب آيتين بغير قد . # وذكر كثير من المفسرين أن يوسف عليه السلام لما عدد في هذه الآية نعم الله عنده تشوق إلى لقاء ربه ولقاء الجلة وصالحى سلفه وغيرهم من المؤمنين ورأى أن الدنيا كلها قليلة فتمنى الموت في قوله ^ توفي مسلما وألحقني بالصالحين ^ وقال ابن عباس لم يتمن الموت نبي غير يوسف وذكر المهدي تأويلا آخر وهو الأقوى عندي أن ليس في الآية تمنى موت وإنما عدد يوسف عليه السلام نعم الله عنده ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي عمره أي ^ توفي إذا حان أجلي على الإسلام واجعل لحاقي بالصالحين وإنما تمنى الموافاة على الإسلام لا الموت . # وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به . # الحديث بكماله . # وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض دعائه وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال اللهم قد رق عظمي وانتشرت وعيبت فتوفني غير مقصر ولا عاجز . # قال القاضي أبو محمد فيشبهه أن قول النبي صلى الله عليه وسلم لضر نزل به إنما يريد ضرر

@ 284 @ الدنيا كالفقر والمرض ونحو ذلك ويبقى تمنى الموت مخافة فساد الدين مباحا وبدلك على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يمر فيه الرجل بقر الرجل فيقول يا ليتني مكانه ليس به الدين لكن ما يرى من البلاء والفتن . # قال القاضي أبو محمد فقوله ليس به الدين يقتضي إباحة ذلك أن لو كان عن الدين وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حالة الناس كيف تكون . # وقوله ^ آتيتني من الملك ^ قيل ^ من ^ للتبويض وقيل لبيان الجنس وكذلك في قوله ^ من تأويل الأحاديث ^ والمراد بقوله ^ الأحاديث ^ الأحلام وقيل قصص الأنبياء والأمم . # وقوله ^ فاطر ^ منادى وقوله ^ أنت وليي ^ أي القائم بأمرى الكفيل بنصرتي ورحمتي . # وقوله تعالى ^ ذلك من أنباء الغيب ^ الآية ^ ذلك ^ إشارة إلى ما تقدم من قصة يوسف وهذه الآية تعريض لقريش وتنبية على آية صدق محمد وفي ضمن ذلك الطعن على مكذبيه . # والضمير في ^ لديهم ^ عائذ إلى إخوة يوسف وكذلك الضمائر إلى آخر الآية و ^ أجمعوا ^ معناه عزموا وحزموا و ^ الأمر ^ هنا هو إلقاء يوسف في الجب والمكر هو أن تدبر على الإنسان تدبيرا يضربه ويؤذبه والخديعة هي أن تفعل بإنسان وتقول له ما يوجب أن يفعل هو فعلا فيه عليه ضرر . # وحكى الطبري عن أبي عمران الجوني أنه قال والله ما قص الله بناهم ليعبرهم بذلك إنهم لأنبياء من أهل الجنة ولكن قص الله علينا بناهم لئلا يقنط عبده . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 103 - 108 \$ # هاتان الآيتان تدلان أن الآية التي قبلهما فيها تعريض لقريش ومعاصري محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال فأخيارك بالغيوب دليل قائم على نبوتك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وإن كنت أنت حريصا على إيمانهم أي يؤمن من شاء الله . # وقوله ^ ولو حرصت ^ اعتراض فصيح . # وقوله ^ وما تسألهم ^ الآية توبيخ للكفرة وإقامة الحجة عليهم أي ما أسفهم في أن تدعوهم إلى الله دون أن تبغي منهم أجرا فيقول قائل بسبب الأجر يدعوهم .

@ 285 @ # وقرأ مبشر بن عبيد وما نسألهم بالنون . # ثم ابتداء الله تعالى الإخبار عن كتابه العزيز أنه ذكر وموعظة لجميع العالم نفعنا الله به ووفر حظنا منه بعزته . # وقرأت الجماعة وكأين بهمز الألف وشد الياء قال سيبويه هي كاف التشبيه اتصلت باي ومعناها معنى كم في التكثير . # وقرأ ابن كثير وكأين بمد الألف وهمز الياء وهو من اسم الفاعل من كان فهو كائن ولكن معناه معنى كم أيضا . # وقد تقدم استيعاب القراءات في هذه الكلمة في قوله ^ وكأين من نبي قتل ^ . # وال ^ آية ^ هنا المخلوقات المنصوبة للاعتبار والحوادث الدالة على الله سبحانه في مصنوعاته ومعنى ^ يمرون عليها ^ الآية أي إذا جاء منها ما يحس أو يعلم في الجملة لم يتعظ الكافر به ولا تأمله ولا اعتبر به بحسب شهواته وعمه فهو لذلك كالمعرض ونحو هذا المعنى قول الشاعر # (تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا % وصدع قلبي أن يهب هبوبها) + الطويل + # وقرأ السدي والأرض بالنصب بإضمار فعل الوقف على هذا في ^ السماوات ^ وقرأ عكرمة وعمرو بن فائد والأرض بالرفع على الإبتداء والخبر قوله ^ يمرون ^ وعلى القراءة بخفض الأرض ف ^ يمرون ^ نعت الآية . # وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها . # وقوله ^ وما يؤمن أكثرهم ^ الآية قال ابن عباس هي في أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله ثم يشركون من حيث كفروا بنبيه أو من حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله . # وقال عكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد هي في كفار العرب وإيمانهم هو إقرارهم بالخالق والرازق والمميت فسماه إيمانا وإن أعقبه إشراكهم بالأوثان والأصنام فهذا الإيمان لغوي فقط من حيث هو تصديقها . # وقيل هذه الآية نزلت بسبب قول قريش في الطواف والتلبية ليبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك . # وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع أحدهم يقول ليبيك لا شريك لك يقول له قط قط أي قف هنا ولا تزد إلا شريك هو لك . # وال ^ غاشية ^ ما يغشى ويغطي ويغم وقرأ أبو حفص مبشر بن عبد الله

بأنهم الساعة بغتة بالياء و ^ بغتة ^ معناه فجأة وذلك أصعب وهذه الآية من قوله ^ وكأين ^ وإن كانت في الكفار بحكم ما قبلها فإن العصاة يأخذون من ألفاظها بحظ ويكون الإيمان حقيقة والشرك لغويا كالرياء فقد قال صلى الله عليه وسلم الرياء الشرك الأصغر . # وقوله تعالى ^ قل هذه سبيلي ^ الآية إشارة إلى دعوة الإسلام والشريعة بأسرها . # قال ابن زيد المعنى هذا أمرى وسنتي ومنهاجى . # وقرأ ابن مسعود قل هذا سبيلي والسبيل المسلك وتؤنث وتذكر وكذلك الطريق و ^ بصيرة ^ اسم لمعتقد الإنسان في الأمر من الحق واليقين والبصيرة أيضا في كلام العرب الطريقة في الدم وفي الحديث المشهور تنظر في النصل فلا ترى بصيرة وبها فسر بعض الناس قول الأشعر الجعفي

@ 286 @ # (راحوا بصائرهم على أكتافهم % وبصيرتي يدعو بها عند وأي) # يصف قوما باعوا دم وليهم فكان دمه حصلت منه طرائق على أكتافهم إذ هم موسومون عند الناس ببيع ذلك الدم . # قال القاضي أبو محمد ويجوز أن تكون البصيرة في بيت الأشعر على المعتقد الحق أي جعلوا اعتقادهم طلب النار وبصيرتهم في ذلك وراء ظهورهم كما تقول طرح فلان أمرى وراء ظهره . # وقوله ^ أنا ومن اتبعني ^ يحتمل أن يكون تأكيدا للضمير في ^ ادعوا ^ ويحتمل أن تكون الآية كلها أمانة بالمعروف داعية إلى الله الكفرة به والعصاة . # و ^ سبحان الله ^ تنزيه لله أي وقل سبحان الله وقل متبرئا من الشرك . # وروي أن هذه الآية ^ قل هذه سبيلي ^ إلى آخرها كانت مرقومة على آيات يوسف عليه السلام . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 109 - 110 \$ هذه الآية تتضمن الرد على مستغربي إرسال الرسل من البشر كالتائفة التي قالت أبعث الله بشرا رسولا وكالتائفة التي اقترحت ملكا وغيرهما . # وقرأ الجمهور يوحى إليهم بالياء وفتح الحاء وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر وقرأ في رواية حفص نوحى بالنون وكسر الحاء وهي قراءة أبي عبد الرحمن وطلحة . # و ^ القرى ^ والمدن وخصصها دون القوم المنتوين أهل العمود فإنهم في كل أمة أهل جفاء وجهالة مفرطة قال ابن زيد ^ أهل القرى ^ أعلم واحلم من أهل العمود . # قال القاضي أبو محمد فإنهم قليل نبلهم ولم ينشئ الله فيهم رسولا قط . # وقال الحسن لم يبعث الله رسولا قط من أهل البادية ولا من النساء ولا من الجن . # قال القاضي أبو محمد والتبدي مكرهه إلا في الفتن وحين يفر بالدين كقوله صلى الله عليه وسلم (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما) الحديث . # وفي ذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمة بن الأكوع وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تعرب في الإسلام وقال من بدا جفا . # وروي عنه معاذ بن جبل أنه قال الشيطان ذيب الإنسان كذيب الغنم يأخذ الشاة القاصية فياكم والشعاب وعليكم بالمساجد والجماعات والعامه . # قال القاضي أبو محمد ويعترض هذا يبدو يعقوب وينفصل عن ذلك بوجهين

@ 287 @ أحدهما أن ذلك البدو لم يكن في أهل عمود بل هو يتقر في منازل وربوع . # والثاني أنه إنما جعله بدوا بالإضافة إلى مصر كما هي بنات الحواضر بدو بالإضافة إلى الحواضر . # ثم أحالهم على الاعتبار في الأمم السالفة في أقطار الأرض التي كذبت رسلها فحاق بها عذاب الله ثم حض على الآخرة والإستعداد لها والإتقاء من الموبقات فيها ثم وقفهم موبخا بقوله ^ أفلا تعقلون ^ . # وقوله ^ ولدار الآخرة ^ زيادة في وصف إنعامه على المؤمن أي عذب الكفار ونجى المؤمنين ودار الآخرة أحسن لهم . # وأما إضافة الدار إلى ^ الآخرة ^ فقال الفراء هي إضافة الشيء إلى نفسه كما قال الشاعر # (فإنك لو حلتت ديار عيس % عرفت الدال عرفان اليقين) + الوافر + # وفي رواية # فلو أفوت عليك ديار إلخ . # وكما يقال مسجد الجامع ونحو هذا وقال البصريون هذه على حذف مضاف تقديره ودار الحياة الآخرة أو المدة الآخرة . # قال القاضي أبو محمد وهذه الأسماء التي هي للأجناس كمسجد وثوب وحق وجبل ونحو ذلك إذا نطق بها الناطق لم يدر ما يريد بها فتضاف إلى معرف مخصص للمعنى المقصود فقد تضاف إلى جنس آخر كقولك جبل أحد وقد تضاف إلى صفة كقولك مسجد الجامع وحق اليقين وقد تضاف إلى اسم خاص كقولك جبل أحد ونحوه . # وقرأ الحسن والأعمش والأعرج وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وعلقمة يعقلون بالياء واختلف عن الأعمش . # قال أبو حاتم قراءة العامة أفلا تعقلون بالتاء من فوق . # ويتضمن قوله تعالى ^ أفلم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ^ أن الرسل الذين بعثهم الله من أهل القرى دعوا أممهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثالات صاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فهذا المضمن حسن أن تدخل ^ حتى ^ في قوله ^ حتى إذا استبأس الرسل ^ . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والحسن وعائشة بخلاف وعيسى وقتادة ومحمد بن كعب والأعرج وأبو رجاء وابن أبي مليكة كذبوا بتشديد الذال وضم الكاف وقرأ الباقر كذبوا بضم الكاف وكسر الذال وتخفيفها وهي قراءة علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطلحة والأعمش وابن جبير ومسروق والضحاك وإبراهيم وأبي جعفر ورواه شيبه بن نضاح عن القاسم عن عائشة وقرأ مجاهد والضحاك وابن عباس وعبد الله بن الحارث بخلاف عنهم كذبوا بفتح الكاف والذال فأما الأولى فتحتمل أن يكون الطن بمعنى اليقين ويكون الضمير في ^ ظنوا ^ وفي ^ كذبوا ^ للرسل ويكون المكذبون مشركي من أرسل إليه المعنى وتيقن الرسل أن المشركين كذبوهم وهما على

@ 288 @ ذلك وأن الإنحراف عنه ويحتمل أن يكون الطن على بابه والضميران للرسل والمكذبون مؤمنو من أرسل إليه أي مما طالت المواعيد حسب الرسل أن المؤمنين أولا قد كذبوهم وارتابوا بقولهم . # وأما القراءة الثانية وهي ضم الكاف وكسر الذال وتخفيفها فيحتمل أن يكون المعنى حتى إذا استبأس الرسل من النصر أو من إيمان قومهم على اختلاف تأويل المفسرين في ذلك وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من النبوة أو فيما توعدوهم به من العذاب لما طال الإمهال واتصلت العافية فلما كان المرسل إليهم على هذا التأويل مكذبين بني الفعل للمفعول في قوله كذبوا هذا مشهور قول ابن عباس وابن جبير وأسند الطبري أن مسلم بن يسار قال لسعيد بن جبيرة يا أبا عبد الله آية بلغت مني كل مبلغ ^ حتى إذا استبأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ^ فهذا هو أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا مخففة . # فقال له ابن جبيرة يا أبا عبد الرحمن إنما يتأس الرسل من قومهم أن يجيبوهم وظن قومهم أن الرسل كذبوهم فحينئذ جاء النصر . # فقام مسلم إلى سعيد فاعتنقه وقال فرجت عني فرج الله عنك . # قال القاضي أبو محمد فرضي الله عنهم كيف كان خلقهم في العلم . # وقال بهذا التأويل في هذه القراءة ابن مسعود ومجاهد ورجح أبو علي الفارسي هذا التأويل وقال إن رد الضمير في ^ ظنوا ^ وفي كذبوا على المرسل إليهم وإن كان لم يتقدم لهم ذكر صريح جائز لوجهين # أحدهما أن ذكر الرسل يقتضي ذكر مرسل إليه . # والآخر أن ذكرهم قد أشير إليه في قوله ^ عاقبة الذين ^ وتحتمل هذه القراءة أيضا أن يكون الضمير في ^ ظنوا ^ وفي ^ كذبوا ^ عائد على الرسل والمعنى كذبهم من أخبرهم عن الله والطن علي بابه وحكى هذا التأويل قوم من أهل العلم والرسل بشر فضعفوا وساء ظنهم قاله ابن عباس وابن مسعود أيضا وابن جبير وقال ألم يكونوا بشرا وقال ابن مسعود لمن سألته عن هذا هو الذي نكره . # وردت هذا التأويل عائشة أم المؤمنين وجماعة من أهل العلم وأعظموا أن توصف الرسل بهذا . # وقال أبو علي الفارسي هذا غير جائز على الرسل . قال القاضي أبو محمد وهذا هو الصواب وأين العصمة والعلم # وأما القراءة الثالثة وهي فتح الكاف والذال فالضمير في ^ ظنوا ^ للمرسل إليهم والضمير في كذبوا للرسل ويحتمل أن يكون الضميران للرسل أي ظن الرسل أنهم قد كذبوا من حيث نقلوا الكذب وإن كانوا لم يتعمدوه فيرجع هذا التأويل إلى المعنى المردود الذي تقدم ذكره . # وقوله ^ جاءهم نصرنا ^ أي بتعذيب أممهم الكافرة ثم وصف حال مجيء العذاب في أنه ينجي الرسل وأتباعهم وهم الذين شاء رحمتهم ويحل بأسه بالمجرمين الكفرة . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحزمة والكسائي فننجي بنونين من أنجي . # وقرأ الحسن فننجي النون الثانية مفتوحة وهو من نجي ينجي . # وقرأ أبو عمرو أيضا وقتادة فننجي بنون واحدة وشد الجيم وسكون الياء فقالت فرقة إنها كأولى أدغمت النون الثانية في الجيم ومنع بعضهم أن

@ 289 @ يكون هذا موضع إدغام لتنافر النون والجيم في الصفات لا في المخارج وقال إنما حذف النون في الكتاب لا في اللفظ وقد حكيت هذه القراءة عن الكسائي ونافع . # وقرأ عاصم وابن عامر فننجي بفتح الياء على وزن فعل وقرأت فرقة فننجي بنونين وفتح الياء رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة . # وقرأ ابن محيصن ومجاهد فننجي فعل ماض بتخفيف الجيم وهي قراءة نصر بن عاصم والحسن بن أبي الحسن وابن السميع وأبي حيوه قال أبو عمرو الداني وقرأت لابن محيصن فننجي بشد الجيم على معنى فننجي النصر . # والباس العذاب . # وقرأ أبو حيوه من يشاء بالياء وجاء الإخبار عن هلاك الكافرين بقوله ^ ولا يرد بأسنا ^

الآية إذ في هذه الألفاظ وعيد بين وتهديد لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم . # وقرأ الحسن بأسه بالهاء . # قوله عز وجل \$ سورة يوسف 111 \$ # الضمير في ^ قصصهم ^ عام ليوسف وأبويه وإخوته وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة ولما كان ذلك كله في القرآن قال عنه ^ ما كان حديثا يفترى ^ فإذا تأملت قصة يوسف ظهر أن في غرائبها وإمتحان الله فيها لقوم في مواضع ولطفه لقوم في مواضع وإحسانه لقوم في مواضع معتبرا لمن له لب وأجاد النظر حتى يعلم أن كل أمر من عند الله وإليه . # وقوله ^ ما كان ^ صيغة منع وقرينة الحال تقتضي أن البرهان يقوم على أن ذلك لا يفترى وذلك بأدلة النبوة وأدلة الإعجاز والحديث هنا واحد الأحاديث وليس للذي هو خلاف القديم ها هنا مدخل . # ونصب ^ تصديق ^ إما على إضمار معنى كان وإما على أن تكون ^ لكن ^ بمعنى لكن المشددة . # وقرأ عيسى الثقفي تصديق بالرفع وكذلك كل ما عطف عليه وهذا على حذف المبتدأ التقدير هو تصديق . # وقال أبو حاتم النصب على تقدير ولكن كان والرفع على ولكن هو . # وينشد بيت ذي الرمة بالوجهين . # (وما كان مالي من تراث ورثته % ولا دية كانت ولا كسي مائم) # (ولكن عطاء الله من كل رحلة % إلى كل محبوب السرادق خضرم) # رفع عطاء الله والنصب أجود . # و ^ الذي بين يديه ^ هو التوراة والإنجيل والضمير في ^ يديه ^ عائذ على القرآن وهم اسم كان . # وقوله ^ كل شيء ^ يعني من العقائد والأحكام والحلال والحرام . # وباقي الآية بين .

@ 290 @ \$ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين \$ \$ سورة الرعد \$ # بسم الله الرحمن الرحيم هذه السورة مكية قاله سعيد بن جبير وقال قتادة هي مدنية غير قوله ^ ولو أن قرأنا سيرت ^ الآية حكاة الزهراوي وحكى المهدوي عن قتادة أن السورة مكية إلا قوله تعالى ^ ولا يزال الذين كفروا ^ . # قال القاضي أبو محمد وقال النقاش هي مكية غير آيتين قوله ^ ولا يزال الذين كفروا تصبيهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم ^ . # وقوله ^ ومن عنده علم الكتاب ^ والظاهر عندي أن المدني فيها كثير وكل ما نزل في شأن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة فهو مدني . # وقيل السورة مدنية حكاة منذر بن سعيد البلوطي وحكاها مكى بن أبي طالب . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 1 - 2 \$ # تقدم القول في فواتح السور وذكر التأويلات في ذلك إلا أن الذي يخص هذا الموضوع من ذلك هو ما قال ابن عباس رضي الله عنه إن هذه الحروف هي من قوله أنا الله أعلم وأرى . # ومن قال إن حروف أوائل السور هي مثال لحروف المعجم قال الإشارة هنا ب ^ تلك ^ هي إلى حروف المعجم ويصح على هذا أن يكون ^ الكتاب ^ يراد به القرآن ويصح أن يراد به التوراة والإنجيل . # و (المر) على هذا ابتداء و ^ تلك ^ ابتداء ثان و ^ آيات ^ خبر الثاني والجملة خبر الأول وعلى قول ابن عباس في ^ المر ^ يكون ^ تلك ^ ابتداء و ^ آيات ^ بدل منه ويصح في ^ الكتاب ^ التأويلان اللذان تقدمتا . # وقوله ^ والذي أنزل إليك من ربك الحق ^ الذي ^ رفع بالإبتداء و ^ الحق خبره هذا على تأويل من يرى ^ المر ^ حروف المعجم و ^ تلك آيات ^ ابتداء وخبر . # وعلى قول ابن عباس يكون ^ الذي ^ عطفًا على ^ تلك ^ و ^ الحق ^ خبر ^ تلك ^ . # وإذا أريد ب ^ الكتاب ^ القرآن فالمراد ب ^ الذي أنزل ^ جميع الشريعة ما تضمنه القرآن منها وما لم يتضمنه . # ويصح في ^ الذي ^ أن يكون في موضع

@ 291 @ خفض عطفًا على الكتاب فإن أردت مع ذلك ب ^ الكتاب ^ القرآن كانت الواو عطف صفة على صفة لشيء واحد كما تقول جاءني الطريف والعافل وأنت تريد شخصا واحدا ومن ذلك قول الشاعر # (إلى الملك القرم وابن الهمام % وليث الكتيبة في المزدحم) + المتقارب + # وإن أردت مع ذلك ب ^ الكتاب ^ التوراة والإنجيل فذلك بين فإن تأولت مع ذلك ^ المر ^ حروف المعجم رفعت قوله ^ الحق ^ على إضمار مبتدأ تقديره هو الحق وإن تأولتها كما قال ابن عباس ف ^ الحق ^ خبر ^ تلك ^ ومن رفع ^ الحق ^ بإضمار ابتداء وقف على قوله ^ من ربك ^ وباقي الآية ظاهر بين إن شاء الله . # وقوله تعالى ^ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ^ الآية لما تضمن قوله ^ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ^ توبيخ الكفرة عقب ذلك بذكر الله الذي ينبغي أن يوقن به ويذكر الأدلة الداعية إلى الإيمان به . # والضمير في قوله ^ ترونها ^ قالت فرقة هو عائذ على ^ السماوات ^ ف ^ ترونها ^ على هذا في موضع الحال وقال جمهور الناس لا عمد للسماوات البتة وقالت فرقة الضمير عائذ على العمد ف ^ ترونها ^ على هذا صفة للعمد وقالت هذه الفرقة للسماوات عمد غير مرئية قاله مجاهد وقتادة وقال ابن عباس وما يدريك أنها بعمد لا ترى وحكى بعضهم أن العمد جبل قاف المحيط بالأرض والسماوات عليها كالقبة # قال القاضي أبو محمد وهذا كله ضعيف والحق أن لا عمد جملة إذ العمد يحتاج إلى العمد ويتسلسل الأمر فلا بد من وقوفه على القدرة وهذا هو الظاهر من قوله تعالى ^ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ^ ونحو هذا من الآيات وقال إياس بن معاوية السماء مقببة على الأرض مثل القبة # وفي مصحف أبي ترونها بتذكير الضمير والعمد اسم جمع عمود والباب في جمعه عمد بضم الحروف الثلاثة كرسول ورسول وشهاب وشهب وغيره ومن هذه الكلمة قول النابغة # (وخيس الجن إني قد أذنت لهم % بينون تدمر بالصفاح والعمد) + البسيط + # وقال الطبري العمد بفتح العين جمع عمود كما جمع الأديم أما . # قال القاضي أبو محمد وليس كما قال وفي كتاب سيبويه إن الأدم اسم جمع وكذلك نص اللغويون على العمد ولكن أبا عبيدة ذكر الأمر غير متيقن فاتبعه الطبري . # وقرأ يحيى بن وثاب بغير عمد بضم العين والميم . # وقوله ^ ثم ^ هي هنا لعطف الجمل لا للترتيب لأن الاستواء على العرش قبل رفع

@ 292 @ السماوات ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم يكن شيء قبله . # وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض . # وقد تقدم القول في كلام الناس في الاستواء واختصاره أن أبا المعالي رجع أنه ^ استوى ^ بقهره وغلبته وقال القاضي ابن الطيب وغيره ^ استوى ^ في هذا الموضوع بمعنى استولى والإستلاء قد يكون دون قهر . # فهذا فرق ما بين القولين وقال سفيان فعل فعلا سماه استواء . # وقال الفراء ^ استوى ^ في هذا الموضوع كما تقول العرب فعل زيد كذا ثم استوى إلي يكلمني بمعنى أقبل وقصد . # وحكي لي عن أبي الفضل بن النحوي أنه قال ^ العرش ^ في هذا الموضوع مصدر عرش مكانه أراد جميع المخلوقات وذكر أبو منصور عن الخليل إن العرش الملك وهذا يؤيد منزع أبي الفضل بن النحوي إذ قال العرش مصدر وهذا خلاف ما مشى عليه الناس من أن العرش هو أعظم المخلوقات وهو الشخص الذي كان على الماء والذي بين يديه الكرسي وأيضا فينبغي النظر على أبي الفضل في معنى الإستواء قريبا مما هو على قول الجميع . # وفي البخاري عن مجاهد أنه قال المعنى علا على العرش . # قال القاضي أبو محمد وكذلك هي عبارة الطبري والنظر الصحيح يدفع هذه العبارة . # وقوله ^ وسخر ^ تنبيه على القدرة و ^ الشمس والقمر ^ في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب وكذلك قال ^ كل يجري ^ أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من التسخير و ^ كل ^ لفظة تقتضي الإضافة ظاهرة أو مقدررة والأجل المسمى هو انقضاء الدنيا وفساد هذه البنية وقيل يريد بقوله ^ لأجل مسمى ^ الحدود التي لا تتحداها هذه المخلوقات أن تجري على رسوم معلومة . # وقوله ^ يدبر ^ بمعنى يبرم وينفذ وعبر بالتدبير تقريبا لإفهام الناس إذ التدبير إنما هو النظر في أديار الأمور وعواقبها وذلك من صفة البشر و ^ الأمر ^ عام في جميع الأمور وما ينقضي في كل أوان في السماوات والأرضين وقال مجاهد ^ يدبر الأمر ^ معناه يقضيه وحده . # وقرأ الجمهور يفصل وقرأ الحسن بنون العظمة ورواها الخفاف وعبد الوهاب عن أبي عمرو وهبيرة عن حفص قال المهدوي ولم يختلف في ^ يدبر ^ وقال أبو عمرو الداني إن الحسن قرأ يفصل وتدبر بالنون فيهما والنظر يقتضي أن قوله ^ يفصل ^ ليس على حد قوله ^ يدبر ^ من تعدد الآيات بل لما تعددت الآيات وفي جملتها يدبر الأمر أخبر أنه يفصلها لعل الكفرة يوفنون بالبعث و ^ الآيات ^ هنا إشارة إلى ما ذكر في الآية وبعدها . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 3 - 4 \$

@ 293 @ # لما فرغت الآيات من ذكر السماوات ذكرت آيات الأرض . # وقوله ^ مد الأرض ^ يقتضي أنها بسيطة لا كرة وهذا هو ظاهر الشريعة وقد تترتب لفظة المد والبسط مع التكوير والله أعلم . # والرواسي الجبال الثابتة يقال رسا يرسو إذا ثبت ومنه قول الشاعر # (به خالدا ما يرمن وهامد % وأشعث أرسته الوليدة بالفهر) + الطويل + # والزوج في هذه الآية الصنف والنوع وليس بالزوج المعروف بالمتلازمين الفردين من الحيوان وغيره ومنه قوله تعالى ^ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ^ ومثل هذه الآية ^ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ^ . # وهذه الآية تقتضي

أن كل ثمرة فموجود مها نوعان فإن اتفق أن يوجد في ثمرة أكثر من نوعين فغير صار في معنى الآية . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم يغيث بسكون الغين وتخفيف الشين وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر يفتح الغين وتشديد الشين وكفى ذكر الواحد ذكر الآخر وباقي الآية بين . # قال القاضي أبو محمد ويشبهه ان الأزواج التي يراد بها الأنواع والأصناف والأجناس إنما سميت بذلك من حيث هي اثنان اثنان ويقال إن في كل ثمرة ذكر وأثنى وأشار إلى ذلك الفراء عند المهدي وحكى عنه غيره ما يقتضي أن المعنى تم في قوله ^ الثمرات ^ ثم ابتداء أنه جعل في الأرض من كل ذكر وأثنى زوجين . # وقوله تعالى ^ وفي الأرض قطع ^ الآية القطع جمع قطعة وهي الأجزاء وقيد منها في هذا المثال ما جاور وقرب بعضه من بعض لأن اختلاف ذلك في الأكل أغرب . # وقرأ الجمهور وجنات بالرفع عطفا على ^ قطع ^ وقرأ الحسن بن أبي الحسن وجنات بالنصب بإضمار فعل وقيل هو عطفا على ^ رواسي ^ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع في الكل عطفا على ^ قطع ^ وقرأ الباقون وزرع بالخفض في الكل عطفا على ^ أعناب ^ وجعل الجنة من الأعناب من رفع الزرع . # والجنة حقيقة إنما هي الأرض التي فيها الأعناب وفي ذلك تجوز ومنه قول الشاعر زهير بن أبي سلمى

@ 294 @ # (كأن عيني في غربي مقتلة % من النواضح تسقي جنة سحقا) + البسيط + # أي نخيل جنة إذ لا توصف بالسحق إلا النخل ومن خفض الزرع فالجنات من مجموع ذلك لا من الزرع وحده لأنه لا يقال للمزرعة جنة إلا إذا خالطتها شجرات . # و ^ صنوان ^ جمع صنو وهو الفرع يكون مع الآخر في أصل واحد وربما كان أكثر من فرعين قال البراء بن عازب الصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق فردا فردا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم العم صنو الأب . # وروي أن عمر بن الخطاب أسرع إليه العباس في ملاحاة فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أردت يا رسول الله أن أقول يا رسول الله لعباس فذكرت مكانك منه فسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك الله يا عمر العم صنو الأب . # وفي كتاب الزكاة من صحيح مسلم أنه قال يا عمر أما شعرت أن العم صنو الأب وجمع الصنو صنوان وهو جمع مكسر قال أبو علي وكسرة الصاد في الواحد ليست التي في الجمع وهو جار مجرى فلك . # وتقول صنو وصنوان في الجمع بتثوين النون وإعرابه . # وقرأ عاصم في رواية القواسم عن حفص صنوان بضم الصاد قال أبو علي هو مثل ذئب وذؤبان . # قال القاضي أبو محمد وهي قراءة ابن مصرف وأبي عبد الرحمن السلمي وهي لغة تميم وقيس وكسر الصاد هي لغة أهل الحجاز وقرأ الحسن وقاتدة صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع لا جمع ونظير هذه اللفظة قنو وقنوان وإنما نص على الصنوان في هذه الآية لأنها بمثابة التجاوز في القطع تظهر فيه غرابة اختلاف الأكل . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي والحسن وأبو جعفر وأهل مكة تسقى بالتاء وأمال حمزة والكسائي القاف . # وقرأ عاصم وابن عامر يسقى بالياء على معنى يسقى ما ذكر . # وقرأ الجمهور نفضل بالنون وقرأ حمزة والكسائي ويفضل بالياء وقرأ ابن محيصن يسقى بماء واحد ويفضل بالياء فيهما وقرأ يحيى بن يعمر وأبو حيوة ويفضل بالياء وفتح الصاد بعضها بالرفع قال أبو حاتم وجدته كذلك في نقط يحيى بن يعمر في مصحفة وهو أول من نقط المصاحف . # و ^ الأكل ^ اسم ما يؤكل بضم الهمزة والأكل المصدر . # وقرأت فرقة في الأكل بضم الهمزة والكاف وقد تقدم هذا في البقرة وحكى الطبري عن غير واحد ابن عباس وغيره ^ قطع متجاوزات ^ أي واجدة سبخة وأخرى عذبة ونحو هذا من القول وقال قتادة المعنى قرى متجاوزات . # قال القاضي أبو محمد وهذا وجه من العبرة بأنه قال وفي الأرض قطع مختلفات بتخصيص الله لها بمعان فهي تسقى بماء واحد ولكن تختلف فيما تخرجه والذي يظهر من وصفه لها بالتجاوز إنما هو أنها من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة في هذا آيين لأنها مع اتفاقها في التربة والماء تفضل

@ 295 @ القدرة والإرادة بعض أكلها على بعض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن هذه الآية فقال الدقل والفارسي والحلو والحامض . # وعلى المعنى الأول قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض في يد الرحمن طينة واحدة فسطحها فصارت قطعاً متجاوزة فينزل عليها ماء واحد من السماء فتخرج هذه زهرة وثمره وتخرج هذه سبخة وملحا وخبثا فكذلك الناس خلقوا من آدم فنزلت عليهم من السماء تذكرة فرقت قلوب وخشعت وقست قلوب ولهت وجفت قال الحسن فوالله ما جالس أحد القرآن إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قال الله تعالى ^ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ^ . # والتفضيل في الأكل الأذواق والألوان والملمس وغير ذلك . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 5 - 7 \$ # هذه آية توبيخ للكفرة أي وإن تعجب يا محمد من جهالتهم وإعراضهم عن الحق فهم أهل لذلك وعجب وغريب ومزمر بهم قولهم أعود بعد كوننا ترابا خلقا جديدا ويحتمل اللفظ منزعا آخر أي وإن كنت تريد عجا فلهم فإن من أعجب العجب قولهم . # واختلف القراء في قراءة قوله ^ أنذا كنا ترابا ^ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو أنذا كنا ترابا أننا لفي خلق جديد جميعا بالاستفهام غير أن أبا عمرو يمد الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مد . # وقرأ نافع أنذا كنا مثل أبي عمرو واختلف عنه في المد وقرأ إننا لفي خلق جديد مكسورة على الخبر ووافق الكسائي في اكتفائه بالاستفهام الأول عن الثاني غير أنه كان يهمز همزتين وقرأ عاصم وحمزة أنذا كنا ترابا أننا بهمزتين فيهما . # وقرأ ابن عامر إذا كنا مكسورة الألف من غير استفهام أننا يهمز ثم يمد ثم يهمز فمن قرأ بالاستفهامين فذلك للتأكيد والتحفى والإهتبال بهذا التقدير ومن استفهم في الأول فقط فإنما القصد بالاستفهام الموضوع الثاني وإذا طرف له وإذا في موضع نصب بفعل مضمر تقديره أبيع أو نحشر إذا . # ومن استفهم في الثاني فقط فهو بين ولا حول ولا قوة إلا بالله . # والإشارة ب ^ أولئك ^ إلى القوم القائلين ^ أنذا كنا ترابا ^ وتلك المقالة إنما هي تقرير مصمم على الجحد والإنكار للبعث فلذلك حكم عليهم بالكفر .

@ 296 @ # وقوله ^ وأولئك الأغلال ^ يحتمل معنيين . # أحدهما الحقيقة وأنه أخبر عن كون ^ الأغلال في أعناقهم ^ في الآخرة فهي كقوله تعالى ^ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل ^ . # ويحتمل أن يكون مجازا وأنه أخبر عن كونهم مغللين عن الإيمان فهي إذن تجري مجرى الطبع والختم على القلوب هي كقوله تعالى ^ إننا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون ^ وباقي الآية بين . # وقال بعض الناس ^ الأغلال ^ هنا عبارة عن الأعمال أي أعمالهم الفاسدة في أعناقهم كأغلال . # قال القاضي أبو محمد وتحرير هذا هو في التأويل الثاني الذي ذكرناه . # وقوله تعالى ^ ويستعجلونك بالسينة ^ الآية هذه آية تبيين تخطيتهم في أن يتمنوا المصائب ويطلبوا سقوط كسوف من السماء أو حجارة تمطر عليهم ونحو هذا مع خلو ذلك في الأمم ونزوله بأناس كثير ولو كان ذلك لم ينزل قط لكنوا أعذر ^ والمثلاث ^ جمع مثلة كسمرة وبسمرات وصدقة وصدقات . # وقرأ الجمهور المثلاث بفتح الميم وضم التاء وقرأ مجاهد المثلاث بفتح الميم والتاء وذلك جمع مثلة أي الأخذة الفذة بالعقوبة وقرأ عيسى بن عمر المثلاث بضم الميم والتاء ورويت عن أبي عمرو وقرأ يحيى بن وثاب بضم الميم وسكون التاء وهاتان جمع مثلة وقرأ طلحة بن مصرف المثلاث بفتح الميم وسكون التاء . # ثم رجي عز وجل بقوله ^ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ^ قال الطبري معناه في الآخرة وقال قوم المعنى إذا تابوا وشديد العقاب إذا كفروا . # قال القاضي أبو محمد والظاهر من معنى المغفرة هنا إنما هو ستره في الدنيا وإمهاله للكفرة ألا ترى التيسير في لفظ ^ مغفرة ^ وأنها منكرة مقللة وليس فيها مبالغة كما في قوله ^ وإني لعفار لمن تاب ^ ونمط الآية يعطي هذا ألا ترى حكمه عليهم بالنار ثم قال ^ ويستعجلونك ^ فلما ظهر سوء فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فأخبر بسيرته في الأمم وأنه يمهل مع ظلم الكفر ولم يرد في الشرع أن الله تعالى يغفر ظلم العباد . # ثم خوف بقوله ^ وإن ربك لشديد العقاب ^ قال ابن المسيب لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ومغفرته لما تمنى أحد عيشنا ولولا عفاه لا تكل كل أحد . # وقال ابن عباس ليس في القرآن أرجى من هذه الآية . # و ^ المثلاث ^ هي العقوبات المنكلات التي تجعل الإنسان مثلا يتمثل به ومنه التمثيل بالقتلى ومنه المثلة بالعبيد .

@ 297 @ # وقوله تعالى ^ ويقول الذين كفروا ^ الآية هذه آية غص من اقتراحاتهم المتشظطة التي لم يجر الله به عادة إلا للأمم التي حتم بعدائها واستئصالها والآية هنا يراد بها الأشياء التي سميتها قريش كالمكز وغير ذلك ثم أخبره الله تعالى بأنه ^ منذر ^ وهذا الخبر قصد هو بلفظه والناس أجمعون بمعناه . # واختلف المتأولون في قوله ^ ولكل قوم هاد ^ فقال عكرمة وأبو الضحى

المراد بالهادي محمد صلى الله عليه وسلم و ^ هاد ^ عطف على ^ منذر ^ كأنه قال إنما أنت منذر ^ و ^ هاد ^ لكل قوم . # فيكون هذا المعنى يجري مع قوله صلى الله عليه وسلم بعثت للأسود والأحمر . # و ^ هاد ^ على هذا في هذه الآية بمعنى داع إلى طريق الهدى . وقال مجاهد وابن زيد المعنى إنما أنت منذر ولكل أمة سلفت هاد أي نبي يدعوهم . # قال القاضي أبو محمد والمقصود فليس أمرك يا محمد بيدع ولا منكر وهذا يشبهه غرض الآية . # وقالت فرقة الهادي في هذه الآية الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير و ^ هاد ^ على هذا معناه مخترع للرشاد . # قال القاضي أبو محمد والألفاظ تطلق بهذا المعنى ويعرف أن الله تعالى هو الهادي من غير هذا الموضوع . # وقالت فرقة الهادي علي بن أبي طالب ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابن عباس أنه قرأ هذه الآية وعلي حاصر فأومأ بيده إلى منكب علي وقال أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي . # قال القاضي أبو محمد والذي يشبهه إن صح هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما جعل علياً رضي الله عنه مثلاً من علماء الأمة وهداتها إلى الدين كأنه قال أنت يا علي وصنفتك فيدخل في هذا أبو بكر وعمر وعثمان وسائر علماء الصحابة ثم كذلك من كل عصر فيكون المعنى على هذا إنما أنت يا محمد ولكل قوم في القديم والحديث رعاة وهداة إلى الخير . # قال القاضي أبو محمد والقولان الأولان أرجح ما تولى في الآية . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 8 - 10 \$ لما تقدم تعجب الكفار واستبعادهم البعث من القبور قص في هذه الآيات المثل المنبهة على قدرة الله تعالى القاضية بتجويز البعث

@ 298 # فمن ذلك هذه الواحدة من الخمس التي هي من مفاتيح الغيب وهي أن الله تعالى انفرد بمعرفة ما تحمل به الإناث من الأجنة من كل نوع من الحيوان وهذه البداية تبين أنه لا تعذر على القادر عليها الإعادة . # و ^ ما ^ في قوله ^ ما تحمل ^ يصح أن تكون بمعنى الذي مفعولة ^ يعلم ^ ويصح أن تكون مصدرية مفعولة أيضاً ^ يعلم ^ ويصح أن تكون استفهاماً في موضع رفع بالابتداء والخبر ^ تحمل ^ وفي هذا الوجه ضعف . # وفي مصحف أبي بن كعب ما تحمل كل أنثى وما تضع . # وقوله ^ وما تغيض الأرحام ^ معناه ما تنقص وذلك أنه من معنى قوله ^ وغيض الماء ^ وهو بمعنى النضوب فهي هنا بمعنى زوال شيء عن الرحم وذهابه فلما قبله قوله ^ وما تزداد ^ فسر بمعنى النقصان ثم اختلف المتأولون في صورة الزيادة والنقصان فقال مجاهد غيض الرحم أن يهرق دماً على الحمل وإذا كان ذلك ضعف الولد في البطن وشحب فإذا أكملت الحامل تسعة أشهر لم تضع وبقي الولد في بطنها زيادة من الزمن يكمل فيها من جسمه وصحته ما نقص بهرق الدم فهذا هو معنى قوله ^ وما تغيض الأرحام وما تزداد ^ وجمهور المتأولين على أن غيض الرحم الدم على الحمل . # وذهب بعض الناس إلى أن غيضه هو نضوب الدم فيه وامتناسكه بعد عادة إرساله بالحض فيكون قوله ^ وما تزداد ^ بعد ذلك جارياً مجري ^ غيض ^ على غير مقابلة بل غيض الرحم هو بمعنى الزيادة فيه . # وقال الضحاك غيض الرحم أن تسقط المرأة الولد والزيادة أن تضعه لمدة كاملة تاماً في خلقه . # وقال قتادة الغيض السقوط والزيادة البقاء بعد تسعة أشهر . # وقوله ^ وكل شيء عنده بمقدار ^ لفظ عام في كل ما يدخله التقدير و ^ الغيب ^ ما غاب عن الإدراكات و ^ الشهادة ^ ما شوهد من الأمور ووضع المصادر موضع الأشياء التي كل واحد منها لا بد أن يتصف بأحدى الحالتين . # وقوله ^ الكبير ^ صفة تعظيم على الإطلاق والمتعالي من العلو . # واختلف القراءة في الوقف على المتعال فأثبت ابن كثير وأبو عمرو في بعض ما روي عنه الياء في الوصل والوقف ولم يثبتها الباقون في وصل ولا وقف . # وإثباتها هو الوجه والباب . # واستسهل سيبويه حذفها في الفواصل كهذه الآية قياساً على القوافي في الشعر ويقبح حذفها في غير فاصلة ولا شعر ولكن وجهه أنه لما كان التنوين يعاقب الألف واللام أبداً وكانت هذه الياء تحذف مع التنوين حسن أن تحذف مع معاقبه . # قال القاضي أبو محمد ويتصل بهذه الآية فقه يحسن ذكره فمن ذلك اختلاف الفقهاء في الدم

@ 299 # الذي تراه الحامل فذهب مالك رحمه الله وأصحابه والشافعي وأصحابه وجماعة إلى أنه حيض . # وقالت فرقة عظيمة ليس بحيض ولو كان حيضاً لما صح استبراء الأمة بحيض وهو إجماع . # وروي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي أنه ليس بحيض ومن ذلك أن الأمة مجمعة على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وذلك منتزع من قوله تعالى ^ وحمله وفضاله ثلاثون شهراً ^ مع قوله تعالى ^ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ^ . # وهذه الستة أشهر هي بالأهلة كسائر أشهر الشريعة ولذلك قد روي في المذهب عن بعض أصحاب مالك وأظنه في كتاب ابن جارت أنه إن نقص من الأشهر الستة ثلاثة أيام فإن الولد يلحق لعله نقص الشهور وزيادتها واختلف في أكثر الحمل فقبل تسعة أشهر . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف . # وقالت عائشة وجماعة من العلماء أكثره حولان وقالت فرقة ثلاثة أعوام وفي المدونة أربعة أعوام وخمسة أعوام . # وقال ابن شهاب وغيره سبعة أعوام ويروي أن ابن عجلان ولدت امرأته لسبعة أعوام وروي أن الضحاك بن مزاحم بقي حولين قال وولدت وقد نبتت ثناباي وروي أن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر . # وقوله تعالى ^ سواء منكم ^ الآية ^ سواء ^ مصدر وهو يطلب بعده شيتين يتماثلان . # ورفعته على خبر الابتداء الذي هو من المصدر لا يكون خبراً إلا بإضمار كما قالت الخنساء # (فإنما هي إقبال وإدبار %) + البسيط + # أي ذات إقبال وإدبار . # فقال فرقة هنا المعنى ذو سواء وقال الزجاج كثر استعمال سواء في كلام العرب حتى جرى مجرى اسم الفاعل فلا يحتاج إلى إضمار . # قال القاضي أبو محمد هو عندي كعدل وزور وضيف . # وقال فرقة المعنى مستو منكم فلا يحتاج إلى إضمار . # قال القاضي أبو محمد وضعف هذا سيبويه بأنه ابتداء بنكرة . # ومعنى هذه الآية معتدل منكم في إحاطة الله تعالى وعلمه من أسر قوله فهمس به في نفسه ^ ومن جهر به ^ فأسمع لا يخفى على الله تعالى شيء . # وقوله تعالى ^ ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ^ معناه من هو بالليل في غاية الإخفاء ومن هو متصرف بالنهار ذاهب لوجهه سواء في علم الله تعالى وإحاطته بهما . # وذهب ابن عباس ومجاهد إلى معنى مقتضاه أن المستخفي والسارب هو رجل واحد مريب بالليل ويظهر بالنهار البراءة في التصرف مع الناس . # قال القاضي أبو محمد فهذا قسم واحد جعل الليل نهاراً وراحتاً والمعنى هذا والذي أمره كله

@ 300 # واحد بريء من الرب سواء في اطلاع الله تعالى على الكل ويؤيد هذا التأويل عطف السارب دون تكرر ^ من ^ ولا يأتي حذفها إلا في الشعر والسارب في اللغة المتصرف كيف شاء ومن ذلك قول الشاعر الأحنس بن شهاب الثعلبي # (أرى كل قوم كاربوا قيد محلهم % ونحن حللنا قيده فهو سارب) + الطويل + # أي متصرف غير مدفوع عن جهة وهذا رجل يفتخر بعزة قومه ومن ذلك قول الآخر قيس بن الخطيم # (إني سربت وكنت غير سروب % وتقرب الأحلام غير قريب) # وتحتمل الآية أن تتضمن ثلاثة أصناف فالذي يسر طرف والذي يجهر طرف مصاد الأول والثالث متوسط متلون بعضي بالليل مستخفياً ويظهر البراءة بالنهار . # و ^ القول ^ في الآية يطرد معناه في الأعمال . # وقال قطرب فيما حكى الزجاج ^ مستخف ^ معناه الظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته . # قال القاضي أبو محمد قال امرؤ القيس # (خفاهن من أنفاقهن كأنما % خفاهن ودق من عشي مجلب) + الطويل + # قال و ^ سارب ^ معناه متوار في سرب . # قال القاضي أبو محمد وهذا القول وإن كان تعلقه باللغة بينا فضعيف لأن اقتران الليل بالمستخفي والنهار بالسارب يرد على هذا القول . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 11 - 13 \$ اختلف المتأولون في يعود الضمير من ^ له ^ فقالت فرقة هو عائذ على اسم الله عز وجل المتقدم ذكره والمعقبات على هذا الملائكة الحفظة على العباد أعمالهم والحفظة لهم أيضاً قاله الحسن وروي فيه عثمان بن عفان حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد والتخعي والضمير على هذا في قوله ^ يديه ^ وما بعده من الضمائر عائذ على العبد المذكور في قوله ^ من هو مستخف ^

@ 301 # و ^ من أمر الله ^ يحتمل أن يكون صفة ل ^ معقبات ^ ويحتمل أن يكون المعنى يحفظونه من كل ما جرى القدر باندفاعه فإذا جاء المقدر الواقع أسلم المرء إليه . # وقال ابن عباس أيضاً الضمير في ^ له ^ عائذ على المذكور في قوله ^ من هو مستخف بالليل ^ وكذلك باقي الضمائر التي في الآية قالوا و ^ معقبات ^ على هذا حرس الرجل وجلاوزته الذين يحفظونه قالوا والآية على هذا في الرؤساء الكافرين وإختار هذا القول الطبري وهو قول عكرمة وجماعة قال عكرمة هي المواكب خلفه وأمامه . # قال القاضي أبو محمد ويصح على التأويل الأول الذي قبل هذا أن يكون الضمير في ^ له ^ للعبد المؤمن على معنى جعل الله له . # قال القاضي أبو محمد وهذا التأويل عندي أقوى لأن غرض الآية إنما هو التنبيه على قدرة الله تعالى فذكر استواء ^ من هو مستخف ^ ومن هو ^

سارب ^ وأن ^ له معقبات ^ من الله تحفظه في كل حال ثم ذكر أن الله تعالى لا يغير هذه الحالة من الحفظ للبعد حتى يغير ما بنفسه . # قال القاضي أبو محمد وعلى كلا التاويلين ليست الضمائر لمعين من البشر . # وقال عبد الرحمن بن زيد الآية في النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت في حفظ الله له من أريد بن ربيعة وعامر بن الطفيل في القصة التي ستأتي بعد هذا في ذكر الصواعق . # قال القاضي أبو محمد وهذه الآية وإن كانت بالفاظها تنطبق على معنى القصة فيضعف القول إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتقدم له ذكر فيعود الضمير في ^ له ^ عليه . # والمعقبات الجماعات التي يعقب بعضها فعلى التأويل الأول هي الملائكة وينظر هذا إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجمعون في صلاة المغرب والصبح وعلى التأويل الثاني هي الحرس والوزعة الذين للملوك . # والمعقبات ^ جمع معقبة وهي الجماعة التي تأتي بعد الأخرى والتعقيب بالجملة أن تكون حال تعقبها حال أخرى من نوعها وقد تكون من غير النوع ومنه معاقبة الركوب ومعاقبة الجاني ومعقب عقبة القدر والمعاقبة في الأزواج ومنه قول سلامة بن جندل # (وكرنا الخيل في آثارهم رجعا % كسر السنايك من بدء وتعقيب) + البسيط + # وقرأ عبيد الله بن زياد على المنبر له معاقب قال أبو الفتح هو تكسير معقب . # قال القاضي أبو محمد بسكون العين وكسر القاف كمتعم ومطاعيم ومقدم ومقاديم . # وهي قراءة أبي البرهسم فكان معقبا جمع على معاقبة ثم جعلت الياء في معاقب عوضا من الهاء المحذوفة في معاقبة والمعقبة ليست جمع معقب كما ذكر ذلك الطبري وشبه ذلك برجل ورجال

@ 302 @ ورجالات وليس الأمر كما ذكر لأن تلك كجمل وجمال وجمالات ومعقبة ومعقبات إنما هي كضاربة وضاربات . # وفي قراءة أبي بك كعب من بين يديه ورقيب من خلفه وقرأ ابن عباس ورقباء من خلفه وذكر عنه أبو حاتم أنه قرأ معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله . # وقوله ^ يحفظونه ^ يحتمل معنيين # أحدهما أن يكون بمعنى يحرسونه ويذوبون عنه فالضمير محمول ليحفظ . # والمعنى الثاني أن يكون بمعنى حفظ الأقوال وتحصيلها ففي اللفظة حينئذ حذف مضاف تقديره يحفظون أعماله ويكون هذا حينئذ من باب ^ وأسأل القرية ^ وهذا قول ابن جريج . # وقوله ^ من أمر الله ^ جعل ^ يحفظونه ^ بمعنى يحرسونه كان معنى قوله ^ من أمر الله ^ يراد به المعقبات فيكون في الآية تقديم وتأخير أي له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه قال أبو الفتح ف ^ من أمر الله ^ في موضع رافع لأنه صفة لمرفوع وهي المعقبات . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل هذا التأويل في قوله ^ من أمر الله ^ مع التأويل الأول في ^ يحفظونه ^ . # ومن تأويل الضمير في ^ له ^ عائد على العبد وجعل المعقبات الحرس وجعل الآية في رؤساء الكافرين جعل قوله ^ من أمر الله ^ بمعنى يحفظونه بزعمه من قدر الله ويدفعونه في ظنه عنه وذلك لجهالته بالله تعالى . # قال القاضي أبو محمد وبهذا التأويل جعلها المتأول في الكافرين . # قال أبو الفتح ف ^ من أمر الله ^ على هذا في موضع نصب كقولك حفظت زيدا من الأسد فمن الأسد معمول لحفظت وقال قتادة معنى ^ من أمر الله ^ بأمر الله أي يحفظونه مما أمر الله وهذا تحكم في التأويل وقال قوم المعنى الحفظ من أمر الله وقد تقدم نحو هذا . # وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وجعفر بن محمد يحفظونه بأمر الله . # ثم أخبر تعالى أنه لا يغير ما يقوم بان يعذبهم ويمتنعهم معاقبا حتى يقع منهم تكسب للمعاصي وتغيير ما أمروا به من طاعة . # وهذا موضع تأمل لأنه يداخل هذا الخبر ما قررت الشريعة من أخذ العامة بذنوب الخاصة ومنه قوله تعالى ^ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ^ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل له يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث . # إلى أشياء كثيرة من هذا . # فقوله تعالى في هذه الآية لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ^ معناه حتى يقع تغيير إما منهم وإما من

@ 303 @ الناظر إليهم أو ممن هو منهم بسبب كما غير الله تعالى بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم إلى غير هذا من أمثلة الشريعة . # فليس معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة إلا بأن يتقدم منه ذنب بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير وثم أيضا مصائب يريد الله بها اجر المصاب فتلك ليست تغييرا . # ثم أخبر تعالى أنه ^ إذا أراد الله بغيره سوءا فلا مرد له ^ ولا حفظ منه وهذا جرى في طريقة التنبيه على قدرة الله تعالى وإحاطته بالسوء والخير بمنزلة واحدة في أنهما إذا أرادهما الله بعيد لم يردا لكنه خص السوء بالذكر ليكون في الآية تخويف واختلاف القراء في وال فأماله بعضهم ولم يمله بعضهم والوالي الذي يلي أمر الإنسان كالولي هما من الولاية كعليم وعالم من العلم . # وقوله تعالى ^ هو الذي يريكم ^ الآية هذه آية تنبيه على القدرة و ^ البرق ^ روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مخراق بيد ملك يزجر به السحاب وهذا أصح ما روي فيه وروي عن بعض العلماء أنه قال البرق اصطكاك الأجرام وهذا عندي مردود وقال أبو الجلد البرق في هذه الآية الماء وذكره مكي عن ابن عباس . # قال القاضي أبو محمد ومعنى هذا القول أنه لما كان داعية الماء وكان خوف المسافرين من الماء وطمع المقيمين فيه عبر في هذا القول عنه بالماء . # وقوله ^ خوفا وطمعا ^ من رأى ذلك في الماء فهو على ما تقدم والظاهر أن الخوف إنما هو من صواعق البرق والطمع في المطر الذي يكون معه وهو قول الحسن و ^ السحاب ^ جمع سحابة ولذلك جمع الصفة و ^ الثقال ^ معناه بحمل الماء وبذلك فسر قتادة ومجاهد والعرب تصفها بذلك ومنه قول قيس بن الخطيم # (فما روضة من رياض القطا % كأن المصابيح حوادنها) # بأحسن منها ولا مزنة % دلوح تكشف أوجانها) + المتقارب + # والدلوح المثقلة . # و ^ الرعد ^ ملك يزجر ^ السحاب ^ بصوته وصوته هذا المسموع تسبيح و ^ الرعد ^ اسم الملك وقيل الرعد اسم صوت الملك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا سمع الرعد قال اللهم لا تهلكنا بغضبك ولا تقتلنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أنهم كانوا إذا سمعوا الرعد قالوا سبحان من سبحت له وروي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع الرعد قال سبحان من سبح الرعد بحمده . # وقال ابن زكرياء من قال إذا سمع الرعد سبحان الله ويحمده لم تصبه صاعقة . # وقيل في الرعد أيضا إنه ريح تختنق بين السحاب روي ذلك عن ابن عباس في غير ما ديوان . # قال القاضي أبو محمد وهذا عندي فيه نظر لأنها نزعات الطبيعية وغيرهم . # وروي أيضا عن ابن عباس أن الملك إذا غضب وزجر السحاب اصطدمت من خوفه فيكون البرق وتحتك فتكون الصواعق . # وقوله ^ ويرسل الصواعق ^ الآية قيل إنه أدخلها في التنبيه على القدرة بغير سبب ساق ذلك .

@ 304 @ وقال ابن جريج كان سبب نزولها قصة أريد أخي لبيد بن ربيعة لأمه وعامر بن الطفيل وكان من أمرهما فيما روي أنهما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا إلى أن يجعل الأمر بعده إلى عامر بن الطفيل ويدخلا في دينه فأبى فقال عامر فتكون أنت على أهل الوبر وأنا على أهل المدر فأبى فقال له عامر فماذا تعطيني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أعطيك أعنة الخيل فإنك رجل فارس فقال له عامر والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا حتى آخذك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وأبنا قيلة فخرجا من عنده فقال أحدهما لصاحبه لو قتلنا ما انتطج فيه عنزان فتأمر في الرجوع لذلك فقال عامر لأريد أنا أشغله لك بالحديث واضربه أنت بالسيف فجعل عامر يحدثه وأريد لا يضع شيئا فلما انصرفا قال له عامر والله يا أريد لا أخفتك أبدا ولقد كنت أخافك قبل هذا فقال له أريد والله لقد أردت إخراج السيف فما قدرت على ذلك ولقد كنت أراك بيني وبينه فأضربك فمضيا للحشد على النبي صلى الله عليه وسلم فأصاب أريد صاعقة فقتلته ففي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخوه # (أخشى على أريد الختوف ولا % أرب نوء السماك والأسد) # فجعني الرعد والصواعق % بالفارس يوم الكريهة النجد) # فنزلت الآية في ذلك . # وروي عن عبد الرحمن بن صغار العبدية أنه بلغه أن جبارا من جبابرة العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال أخبروني عن إله محمد أمن لؤلؤ هو أو من ذهب فنزلت عليه صاعقة ونزلت الآية فيه . # وقال مجاهد إن بعض اليهود جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بناظره فبينما هو كذلك إذ نزلت صاعقة فأخذت قحف رأسه فنزلت الآية فيه . # وقوله ^ وهم يجادلون في الله ^ يجوز أن تكون إشارة إلى جدال اليهودي المذكور وتكون الواو واو حال أو إلى جدال الجبار المذكور . # ويجوز إن كانت الآية على غير سبب أن يكون قوله ^ وهم يجادلون في الله ^ إشارة إلى جميع الكفرة من العرب وغيرهم الذين جلبت لهم هذه التنبيهات . # و ^ المحال ^ القوة والإهلاك ومنه قول الأعشى # (فرع نبع يهتز في غصن المجد % عظيم الندى شديد المحال) + الخفيف + # ومنه قول عبد المطلب # (لا يغلبن صليبههم % ومحالهم عدوا محالك) # وقرأ الأعرج والضحاك المحال بفتح الميم بمعنى المحالة وهي الحيلة ومنه قول العرب في مثل المرء يعجز لا المحالة وهذا كالاستدراج والمكر ونحوه وهذه استعارات في ذكر الله تعالى والميم

إذا كسرت أصلية وإذا فتحت زائدة ويقال محل الرجل بالرجل إذا مكر به وأخذة بسعاية شديدة . # قوله عز وجل

@ 305 @ سورة الرعد 14 - 16 \$ الضمير في له ^ عائذ على اسم الله عز وجل وقال ابن عباس ^ دعوة الحق لا إله إلا الله . # قال القاضي أبو محمد وما كان من الشريعة في معناها . # وقال علي بن أبي طالب ^ دعوة الحق ^ التوحيد . # ويصح أن يكون معناها له دعوة العباد الحق ودعاء غيره من الأوثان باطل . # وقوله ^ والذين ^ يراد به ما عبد من دون الله والضمير في ^ يدعون ^ لكفار قريش وغيرهم من العرب . # وروي اليزيدي عن أبي عمرو بن العلاء تدعون من دونه بالتاء من فوق و ^ يستجيبون ^ بمعنى يجيبون ومنه قول الشاعر # وداع دعا يا من يجب إلى النداء % فلم يستجبه عند ذلك مجيب + الطويل + # ومعنى الكلام والذين يدعوه الكفار في حوائجهم ومنافعهم لا يجيبون بشيء . # ثم مثل تعالى مثلاً لإجابتهم بالذي يبسط ^ كفيه ^ نحو الماء ويشير إليه بالإقبال إلى فيه فلا يبلغ فمه أبداً فكذلك إجابة هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع . # وقوله ^ هو ^ يراد به الماء وهو البالغ والضمير في بالغه للفم ويصح أن يكون ^ هو ^ يريد به الفم وهو البالغ أيضاً والضمير في بالغه للماء لأن الفم لا يبلغ الماء أبداً على تلك الحال . # ثم أخبر تعالى عن ^ دعاء الكافرين ^ أنه في انتلاف و ^ ضلال ^ لا يفيد فيه شيئاً ولا يعنيه . # وقوله تعالى ^ ولله يسجد ^ الآية ^ يحتمل ظاهر هذه الألفاظ أنه جرى في طريق التنبيه على قدرة الله وتسخر الأشياء له فقط ويحتمل أن يكون في ذلك طعن على كفار قريش وحاضري محمد صلى الله عليه وسلم أي إن كنتم أنتم لا توقنون ولا تسجدون فإن جميع ^ من في السماوات والأرض ^ لهم سجود لله تعالى وإلى هذا الإجماع نحا الطبري . # قال القاضي أبو محمد و ^ من ^ تقع على الملائكة عموماً وسجودهم طوع بلا خلاف وأما أهل الأرض فالمؤمنون منهم داخلون في ^ من ^ وسجودهم طوع وأما سجود الكفرة فهو الكره وذلك على نحوين من هذا المعنى # فإن جعلنا السجود هذه الهيئة المعهودة فالمراد من الكفرة من يضمه السيف إلى الإسلام كما قال

@ 306 @ قتادة فيسجد كرها إما نفاقاً وإما أن يكون الكره أول حاله فتستمر عليه الصفة وإن صح إيمانه بعد . # وإن جعلنا السجود الخضوع والتذلل على حسب ما هو في اللغة كقول الشاعر # (ترى الأكم فيه سجداً للحوافر %) # فيدخل الكفار أجمعون في ^ من ^ لأنه ليس من كافر إلا وتلقه من التذلل والإستكانة بقدره الله أنواع أكثر من أن تحصى بحسب رزاياه واعتباراته . # وقال النحاس والزجاج إن الكره يكون في سجود عصاة المؤمنين وأهل الكسل منهم . # قال القاضي أبو محمد وإن كان اللفظ يقتضي هذا فهو قلق من جهة المعنى المقصود بالآية . # وقوله ^ وظلالهم بالغدو والأصال ^ إخبار عن أن الظلال لها سجود لله تعالى بالبرك والعشبات . # قال الطبري وهذا كقوله تعالى ^ أو لم يروا إلى ما خلق من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله ^ قال وذلك هو فيئة بالعشي وقال مجاهد ظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره . # وقال ابن عباس يسجد ظل الكافر حين يفيء عن يمينه وشماله وحكى الزجاج أن بعض الناس قال الظلال هنا يراد به الأشخاص وضعفه أبو إسحاق . # و ^ الأصال ^ جمع أصيل . # وقرأ أبو مجلز والإبصال قال أبو الفتح هو مصدر أصلنا أي دخلنا في الأصل كأصبحنا وأمسينا . # وروي أن الكافر إذا سجد لصلته فإن ظله يسجد لله تعالى حينئذ . # وقوله ^ قل من رب السماوات ^ الآية جاء السؤال والجواب في هذه الآية من ناحية واحدة إذ كان السؤال والتقرير على أمر واضح لا مدافعة لأحد فيه ملزم للحجة فكان السبق إلى الجواب أفصح في الإحتجاج وأسرع في قطعهم من انتظار الجواب منهم إذ لا جواب إلا هذا الذي وقع البدار إليه وقال مكي جعلوا الجواب وطلبوه من جهة السائل فأعلمهم به السائل فلما تفيد من هذا كله أن الله تعالى هو ^ رب السماوات والأرض ^ وقع التوجيه على اتخاذهم ^ من دونه أولياء ^ متصفين بأنهم لا ينفعون أنفسهم ولا يصرونها وهذه غاية العجز وفي ضمن هذا الكلام وتركتموه وهو الذي بيده ملكوت كل شيء ولفظة ^ من دونه ^ تقتضي ذلك . # ثم مثل الكفار والمؤمنين بعد هذا بقوله ^ قل هل يستوي الأعمى والبصير ^ . # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم تستوي الظلمات بالتاء وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم يستوي بالياء فالتأنيب حسن لأنه مؤنث لم يفصل بينه وبين عاملة شيء . # والتذكير شائع لأنه تأنيب غير حقيقي والفعل مقدم . # وشبهت هذه الآية الكافر ب ^ الأعمى ^ . # والكفر ب ^ الظلمات ^ وشبهت المؤمن ب ^ البصير ^ والإيمان ب ^ النور ^ ثم وقفهم بعد هل رأوا خلقاً لغير الله فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله على أن جعلوا إليها غير الله ثم أمر محمد صلى الله عليه وسلم بالإفصاح بصفات الله تعالى في أنه ^ خالق كل شيء ^ وهذا

@ 307 @ عموم في اللفظ يراد به الخصوص في كل ما هو خلق الله تعالى . # قال القاضي ابن الطيب وأبو المعالي وغيرهما من الأصوليين ويخرج عن ذلك صفات ذاته لا رب غيره والقرآن ووصف نفسه ب ^ الواحد القهار ^ من حيث لا موجود إلا به وهو في وجوده مستغن عن الموجودات لا إله إلا هو العلي العظيم . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 17 \$ صدر هذه الآية تنبيه على قدرة الله وإقامة الحجة على الكفرة به فلما فرغ ذكر ذلك جعله مثلاً للحق والباطل والإيمان والكفر والشك في الشرع واليقين به . # وقوله ^ أنزل من السماء ماء ^ يريد به المطر والأودية ما بين الجبال من الإنخفاض والخنادق وقوله ^ بقدرها ^ يحتمل أن يريد بما قدر لها من الماء ويحتمل أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها . # وقرأ جمهور الناس بقدرها بفتح الدال وقرأ الأشهب العقيلي بقدرها بسكون الدال . # والزبد ما يحمله السيل من غثاء ونحوه وما يرمي به صفتيه من الحباب الملتبك ومنه قول حسان بن ثابت # (ما البحر حين تهب الريح شامية % فيغطئل ويرمي العبر بالزبد) # والرابي المنتفخ الذي قد ربا ومنه الربوة . # وقوله ^ ومما ^ خبر ابتداء والإبتداء قوله ^ زيد ^ و ^ مثله ^ نعت ل ^ زيد ^ . # والمعنى ومن الأشياء التي ^ توقدون ^ عليها ابتغاء الحلي وهي الذهب والفضة ابتغاء الإستمتاع بما في المرافق وهي الحديد والرصاص والنحاس ونحوها من الأشياء التي ^ توقدون ^ عليها فأخبر تعالى أن من هذه إذا أحمر عليها يكون ^ زيد ^ مماثل للزبد الذي يحمله السيل ثم ضرب تعالى ذلك مثلاً ل ^ الحق والباطل ^ أي أن الماء الذي تشربه الأرض من السيل فيقع النفع به هو كالحق و ^ الزبد ^ الذي يجمد وينفث ويذهب هو كالباطل وكذلك ما يخلص من الذهب والفضة والحديد ونحوها هو كالحق وما يذهب في الدخان هو كالباطل . # وقوله ^ في النار ^ متعلق بمحذوف تقديره كأننا أو ثابنا كذا قال مكي وغيره ومنعوا أن يتعلق بقوله ^ توقدون ^ لأنهم زعموا ليس يوقد على شيء إلا وهو ^ في النار ^ وتعليق حرف الجر ب ^ توقدون ^ يتضمن تخصيص حال من حال أخرى . # وذهب أبو علي الفارسي إلى تعلقها ب ^ توقدون ^

@ 308 @ وقال قد يوقد على شيء وليس في النار كقوله تعالى ^ فأوقد لي يا هامان على الطين ^ فذلك البناء الذي أمر به يود عليه وليس في النار لكن يصيبه لهبها . # وقوله ^ جفاء ^ مصدر من قولهم أجمت إذا غلت حتى خرج زبدها وذهب . # وقرأ رؤية جفالا من قولهم جفلت الريح السحاب إذا حملته وفرقته قال أبو حاتم لا تعتبر قراءة الأعراب في القرآن . # وقوله ^ ما ينفع الناس ^ يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وأبو جعفر والأعرج وشيبة والحسن توقدون بالتاء أي أنتم أيها الموقدون وهي صفة لجميع أنواع الناس وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وابن محيص ومجاهد وطلحة وبحيي وأهل الكوفة يوقدون بالياء على الإشارة إلى الناس و ^ جفاء ^ مصدر في موضع الحال . # قال القاضي أبو محمد وروي عن ابن عباس أنه قال قوله تعالى ^ أنزل من السماء ماء ^ يريد به الشرع والدين . # وقوله ^ فسألت أودية ^ يريد به القلوب أي أخذ النبيل بحظه . # والبليد بحظه . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول لا يصح والله أعلم عن ابن عباس لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز وقد تمسك به الغزالي وأهل ذلك الطريق ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة تدعو إلى ذلك والله الموفق للصواب برحمته وإن صح هذا القول عن ابن عباس فإنما قصد أن قوله تعالى ^ كذلك يضرب الله الحق والباطل ^ معناه ^ الحق ^ الذي يتقرر في القلوب المهديّة ^ والباطل ^ الذي يعترها أيضاً من وساوس وشبه حين تنظر في كتاب الله عز وجل . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 18 - 21 \$ الذين استجابوا ^ هم المؤمنون الذي دعاهم الله عز وجل على لسان رسوله فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من اتباع دينه و ^ الحسنی ^ هي الجنة وكل ما يختص به المؤمنون من نعم الله عز وجل ^ والذين لم يستجيبوا ^ هم الكفرة و ^ سوء الحساب ^ هو التقصي على المحاسب وأن لا يقع في حسابه من التجاوز شيء قاله شهر بن حوشب وإبراهيم النخعي وقاله فرقد السبخي وغيره والماوي حيث يأوي الإنسان ويسكن و ^ المهاد ^ ما يفترش ويلبس بالجلوس

والرقاد . # وقوله ^ أفمن يعلم ^ استفهام

@ 309 @ بمعنى التقرير والمعنى أسوأ من هداة الله فعلم صدق نبوتك وآمن بك ومن لم يهتد ولا رزق بصيرة فبقي على كفره فمثل عز وجل ذلك بالعمى . # وروي أن هذه الآية نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل بن هشام وقيل في عمار بن ياسر وأبي جهل بن هشام وهي بعد هذا مثال في جميع العالم . # و إنما ^ في هذه الآية حاصرة أي ^ إنما يتذكر ^ فيؤمن ويراغب الله من له لب وتحصيل . # ثم أخذ تعالى في وصف هؤلاء الذين يسرهم للإيمان فقال ^ الذين يوفون بعهد الله ^ وقوله ^ بعهد الله ^ اسم للجنس أي بجميع عهود الله وهي أوامره ونواهيته التي وصى بها عبده ويدخل في هذه الألفاظ التزام جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي # وقوله ^ ولا ينقضون الميثاق ^ يحتمل أن يريد به جنس الموثيق أي إذا اعتقدوا في طاعة الله عهدا لم ينقضوه . # قال قتادة وتقدم الله إلى عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين آية ويحتمل أن يشير إلى ميثاق معين وهو الذي أخذه الله على عباده وقت مسحه على ظهر أبيهم آدم عليه السلام . # ووصل ما أمر الله به أن يوصل ظاهره في القرابات وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات . # و سوء الحساب ^ هو أن يتقصى ولا تقع فيه مسامحة ولا تغمد . # وقوله عز وجل \$ سورة الرعد 22 - 24 \$ # الصبر لوجه الله يدخل في الرزايا والأسقام والعبادات وعن الشهوات ونحو ذلك . # و ابتغاء ^ نصب على المصدر أو على المفعول لأجله والوجه في هذه الآية ظاهره الجهة التي تقصد عنده تعالى بالحسنات لتقع عليها المثوبة وهذا كما تقول خرج الجيش لوجه كذا وهذا أظهر ما فيه مع احتمال غيره وإقامة الصلاة هي الإتيان بها على كمالها و الصلاة ^ هنا هي المفروضة وقوله ^ وأنفقوا ^ يريد به مواساة المحتاج والسر هو فيما أنفق تطوعا والعلائية فيما أنفق من الزكاة المفروضة لأن التطوع كله الأفضل فيه التكنم . # وقوله ^ ويدروون بالحسنة السيئة ^ أي يدفعون من رأوا منه مكروها بالتي هي أحسن وقيل يدفعون بقول لا إله إلا الله شركهم وقيل يدفعون بالسلام غوائل الناس . # قال القاضي أبو محمد وبالجملة فإنهم لا يكافئون الشر بالشر وهذا بخلاف خلق الجاهلية وروي أن هذه الآية نزلت في الأنصار ثم هي عامة بعد ذلك في كل من اتصف بهذه الصفات .

@ 310 @ # وقوله ^ عقبي الدار ^ يحتمل أن يكون ^ عقبي ^ دار الدنيا ثم فسر العقبي بقوله ^ جنات عدن ^ إذ العقبي تعم حالة الخير وحالة الشر ويحتمل أن يريد ^ عقبي ^ دار الآخرة لدار الدنيا أي العقبي الحسنة في الدار الآخرة هي لهم . # وقرأ الجمهور جنات عدن وقرأ النخعي جنة عدن يدخلونها بضم الياء وفتح الخاء . # و جنات ^ بدل من ^ عقبي ^ وتفسير لها . # و عدن ^ هي مدينة الجنة ووسطها ومنها جنات الإقامة . # من عدن في المكان إذا أقام فيه طويلا ومنه المعادن و جنات عدن ^ يقال هي مسكن الأنبياء والشهداء والعلماء فقط قاله عبد الله بن عمرو بن العاصي وروي أن لها خمسة آلاف باب . # وقوله ^ ومن صلح ^ أي من عمل صالحا وآمن قاله مجاهد وغيره ويحتمل أي من صلح لذلك بقدر الله تعالى وسابق علمه . # وحكى الطبري في صفة دخول الملائكة أحاديث لم تطول بها لضعف أسانيدها . # والمعنى يقولون سلام عليكم فحذف يقولون تخفيفا وإجازا لدلالة ظاهر الكلام عليه والمعنى هذا بما صبرتم والقول في ^ عقبي الدار ^ على ما تقدم من المعنيين . # وقرأ الجمهور فنعم بكسر النون وسكون العين وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بفتح النون وكسر العين . # وقالت فرقة معنى ^ عقبي الدار ^ أي أن أعقبوا الجنة من جهنم . # قال القاضي أبو محمد وهذا التأويل مبني على حديث ورد وهو أن كل رجل في الجنة فقد كان له مقعد معروف في النار فصرفه الله عنه إلى النعيم فيعرض عليه ويقال له هذا كان مقعدك فبدلك الله منه الجنة بإيمانك وطاعتك وصبرك . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 25 - 29 \$ # هذه صفة حالة مضادة للمتقدمة . # وقال ابن جريح في قوله ^ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ^ إنه روي إذا لم تمش إلى قريبك برجلك ولم تواسه بمالك فقد قطعته . # وقال مصعب بن سعد سألت أبي عن قوله تعالى ^ هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين صل سعيهم في الحياة الدنيا ^

@ 311 @ هم الحرورية قال ولا ولكن الحرورية ^ هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ^ وأولئك هم الفاسقون فكان سعد بن أبي وقاص يجعل فيهم الأيتيم . # واللجنة الإبعاد من رحمة الله ومن الخير جملة . # و سوء الدار ^ ضد ^ عقبي الدار ^ والأظهر في ^ الدار ^ هنا أنها دار الآخرة ويحتمل أنها الدنيا على ضعف . # وقوله ^ الله يبسط الرزق لمن يشاء ^ الآية لما أخبر عن تقدمت صفته بأن ^ لهم اللعنة ولهم سوء الدار ^ أنحن بعد ذلك على أغنيائهم وحفر شأنهم وشأن أموالهم المعنى أن هذا كله بمشيئة الله يهب الكافر المال ليعطيه به ويقدر على المؤمن ليعظم بذلك أجره وذخره . # وقوله ^ ويقدر ^ أي من التقدير فهو مناقض بسيط . # ثم استجملهم في قوله ^ وفرحوا بالحياة الدنيا ^ وهي بالإضافة إلى الآخرة متاع ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يفنى . # والمتاع ما يتمنع به مما لا يبقى وقال الشاعر # (تمتع يا مشعث إن شيئا % سبقت به الممات هو المتاع) + الوافر + # وقوله تعالى ^ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية ^ الآية هذا رد على مقترحي الآيات من كفار قريش كسقوط السماء عليهم كسفا ونحو ذلك من قولهم سير عنا الأخشيين واجعل لنا البطاح محارث ومغترسا كالأردن واحي لنا قصيا وأسلافنا فلما لم يكن ذلك بحسب أن آيات الإقتراح لم تجر عادة الأنبياء بالإتيان بها إلا إذا أراد الله تعذيب قوم قالوا هذه المقالة فرد الله عليهم ^ قل ^ أي أن نزول الآية لا تكون معه ضرورة إيمانكم ولا هداكم وإنما الأمر بيد الله ^ يضل من يشاء ويهدي ^ إلى طاعته والإيمان به ^ من أناب ^ إلى الطاعة وأمن بالآيات الدالة . # ويحتمل أن يعود الضمير في ^ إليه ^ على القرآن الكريم ويحتمل أن يعود على محمد صلى الله عليه وسلم . # و الذين ^ بدل من ^ من ^ في قوله ^ من أناب ^ وطمانينة القلوب هي الإستكانة والسرور بذكر الله . # والسكون به كمالا به . # ورضى بالثواب عليه وجودة اليقين . # ثم استفتح عز وجل الإخبار بأن طمانينة القلوب بذكر الله تعالى . # وفي هذا الإخبار حض وترغيب في الإيمان والمعنى أن بهذا تقع الطمانينة لا بالآيات المقترحة بل ربما كفر بعدها فنزل العذاب كما سلف في بعض الأمم . # و الذين ^ الثاني ابتداء وخبره ^ طوبى لهم ^ ويصح أن يكون ^ الذين ^ بدلا من الأول . # و طوبى ^ ابتداء و لهم ^ خبره . # و طوبى ^ اسم يدل على ذلك كونه ابتداء . # وهي فعلى من الطيب في قول بعضهم وذهب سيبويه بها مذهب الدعاء وقال هي في موضع رفع ويدل على ذلك رفع ^ وحسن ^ . # وقال ثعلب ^ طوبى ^ مصدر . # وقرئ وحسن بالنصب ف طوبى ^ على هذا مصدر كما قالوا سقيا لك ونظيره من المصادر الرجعي والعقبي . # قال ابن سيده والطوبى جمع طيبة عن كراع .

@ 312 @ ونظيره كوسى في جمع كيسة وضوفى في جمع ضيفة . # قال القاضي أبو محمد والذي قرأ وحسن بالنصب هي يحيى بن يعمر وابن أبي عيلة واختلف في معنى طوبى ^ فقيل خير لهم وقال عكرمة معناه نعم ما لهم وقال الضحاك معناه غبطة لهم . # وقال ابن عباس طوبى ^ اسم الجنة بالحبيشية وقال سعيد بن مسعود اسم الجنة طوبى ^ بالهندية وقيل طوبى ^ اسم شجرة في الجنة وبهذا تواترت الأحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة في الجنة يسير الراكب المجدد في ظلها مائة عام لا يقطعها أقرؤوا إن شئتم ^ وظل ممدود ^ وحكى الطبري عن أبي هريرة وعن مغيث بن سمي وعنتبة بن عبد يرفعه أخبارا مقتضاها أن هذه الشجرة ليس دار في الجنة إلا وفيها من أعصانها وأنها تثمر بثياب أهل الجنة وأنه يخرج منها الخيل بسروجها ولجمها ونحو هذا مما لم يثبت سنده . # والماب المرجع من أب يؤوب . # ويقال في طوبى ^ طوبى . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 30 - 32 \$ # الكاف في ^ كذلك ^ متعلقة بالمعنى الذي في قوله ^ قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ^ أي كما أنفذ الله هذا فعلنا في هذه الأمة ^ أرسلناك ^ إليها بوجي لا بآيات مقترحة فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء . # وقوله ^ وهم يكفرون بالرحمن ^ قال قتادة وابن جريح نزلت حين عاهدهم رسول الله عام الحديبية فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن ولا نقرأ اسمه . # قال القاضي أبو محمد والذي أقول في هذا أن الرحمن يراد به الله تعالى وذاته ونسب إليهم الكفر به على الإطلاق وقصة الحديبية وقصة أمية بن خلف مع عبد الرحمن بن عوف إنما هي إياية الاسم فقط وهروب عن هذه العبارة التي لم يعرفوها إلا من قبل محمد صلى الله عليه وسلم . # ثم أمر الله تعالى نبيه بالتصريح بالدين والإفصاح بالدعوة في قوله ^ قل

هو ربي لا إله إلا هو عليه

@ 313 @ (توكلت) والمتاب المرجع كالمآب لأن التوبة الرجوع . # ويحتمل قوله ^ ولو أن قرآنا ^ الآية أن يكون متعلقا بقوله ^ وهم يكفرون بالرحمن ^ فيكون معنى الآية الإخبار عنهم أنهم لا يؤمنون ولو نزل قرآن تسير به الجبال وتقطع به الأرض هذا تأويل الفراء وفرقة من المتأولين وقالت فرقة بل جواب ^ لو ^ محذوف تقديره ولو أن قرآنا يكون صفته كذا لما آمنوا بوجه وقال أهل هذا التأويل ابن عباس ومجاهد وغيرهما إن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أرح عنا وسبر جبلي مكة فقد ضيقا علينا واجعل لنا أرضنا قطع غراسه وحرث واحي لنا آباءنا وأجدادنا وفلانا وفلانا فنزلت الآية في ذلك معلمة أنهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كله وقالت فرقة جواب ^ لو ^ محذوف ولكن ليس في هذا المعنى بل تقديره لكان هذا القرآن الذي يصنع هذا به وتتضمن الآية على هذا تعظيم القرآن وهذا قول حسن يحرز فصاحة الآية . # وقوله ^ بل لله الأمر جميعا ^ يعرض التأويل الأخير ويترتب مع الآخرين . # وقوله ^ أفلم يبين الذين آمنوا ^ الآية ^ يبينس ^ معناه يعلم وهي لغة هوازن قاله القاسم بن معن وقال ابن الكلبي هي لغة هبيل حي من النخ ومنه قول سحيم بن وثيل الرياحي # (أقول لهم بالشعب إذ يبسونني % ألم تئسوا أي ابن فارس زهدم) + الطويل + # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يكون الياس في هذه الآية على بابيه وذلك أنه لما أبعده إيمانهم في قوله ^ لو أن قرآنا ^ الآية على التأويلين في المحذوف المقدر قال في هذه الآية أفلم يبينس المؤمنين من إيمان هؤلاء الكفرة علما منهم ^ أن لو يشاء لهدى الناس جميعا ^ . # وقرأ ابن كثير وابن محيصن يأس وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس وابن أبي مليكة وعكرمة والجحدري وعلي بن حسين وزيد بن علي وجعفر بن محمد أفلم يبينس . # ثم أخبر تعالى عن كفار قريش والعرب أنهم لا يزالون تصيبهم قوارع من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته . # وفي قراءة ابن مسعود ومجاهد ولا يزال الذين ظلموا ثم قال ^ أو تحل ^ أنت يا محمد ^ قريبا من دارهم ^ هذا تأويل فرقة منهم الطبري وعزاه إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال الحسن بن أبي الحسن المعنى ^ أو تحل ^ القارعة قريبا من دارهم ^ . # وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير أو يحل بالياء قريبا من ديارهم بالجمع . # ووعد الله على قول ابن عباس وقوم فتح مكة وقال الحسن بن أبي الحسن الآية عامة في الكفار إلى يوم القيامة وأن حال الكفرة هكذا هي أبدا . # ووعد الله قيام الساعة والقارعة الرزية التي تفرع قلب صاحبها بفظاعتها كالقتل والأسر ونهب المال وكشف الحرم ونحوه . # وقوله ^ ولقد استهزئ ^ الآية هذه أية تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا يضيق صدرك يا محمد

@ 314 @ بما ترى من قومك وتلقى منهم فليس ذلك ببدع ولا نكير قد تقدم هذا في الأمم وأمليت لهم أي مدت المدة وأصلت والإملاء الإمهال على جهة الإستدراج وهو من الملاوة من الزمن ومنه تمليت حسن العيش وقوله ^ فكيف كان عقاب ^ تقرير وتعجب في ضمنه وعيد للكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم . # قوله عز وجل \$ سورة الرعد 33 - 35 \$ هذه الآية راجعة بالمعنى إلى قوله ^ وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو ^ والمعنى ^ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ^ أحق بالعبادة أم الجمادات التي لا تنفع ولا تضر هذا تأويل ويظهر أن القول مرتبط بقوله ^ وجعلوا لله شركاء ^ كأن المعنى أفمن له القدرة والوحدانية ويجعل له شريك أهل أن ينتقم ويعاقب أم لا . # والأنفس من مخلوقاته وهو قائم على الكل أي محيط به لتقرب الموعظة من جس السامع . # ثم خص من أحوال الأنفس حال كسبها ليتفكر الإنسان عند نظر الآية في أعماله وكسبه . # وقوله ^ قل سموهم ^ أي سموا من له صفات يستحق بها الألوهية ثم أضرب القول وقرر هل تعلمون الله ^ بما لا يعلم ^ . # وقرأ الحسن هل تبنونه بإسكان النون وتخفيف الباء و ^ أم ^ هي بمعنى بل وألف الإستفهام هذا مذهب سيبويه وهي كقولهم إنها لإبل أم شاء . # ثم قررهم بعد هل يريدون تجوز ذلك بظاهر من الأمر لأن ظاهر الأمر له إلياس ما وموضع من الإحتمال وما لم يكن إلا بظاهر القول فقط فلا شبهة له . # وقرأ الجمهور زين على بناء الفعل للمفعول مكرهم بالرفع وقرأ مجاهد زين على بنائه للفاعل مكرهم بالنصب أي زين الله و ^ مكرهم ^ لفظ يعم أقوالهم وأفعالهم التي كانت بسبيل مناقضة الشرع . # وقرأ عاصم وحمره والكسائي وصدوا بضم الصاد وهذا على تعدي الفعل وقرأ الباقون هنا وفي ضم المؤمن بفتحها وذلك يحتمل أن يكون صدوا أنفسهم أو صدوا غيرهم وقرأ يحيى بن وثاب وصدوا بكسر الصاد .

@ 315 @ # وقوله ^ لهم عذاب ^ الآية آية وعيد أي لهم عذاب في دنياهم بالقتل والأسر والجدوب والبلايا في أجسامهم وغير ذلك مما يمتحنهم الله ثم لهم في الآخرة عذاب ^ أشق ^ من هذا كله وهو الإحتراق بالنار و ^ أشق ^ أصعب من المشقة والواقى السائر على جهة الحماية من الوقاية . # وقوله تعالى ^ مثل الجنة ^ الآية قال قوم ^ مثل ^ معناه صفة وهذا من قولك مثلت الشيء إذا وصفته لأحد وقربت عليه فهم أمره وليس بضرب مثل لها وهو كقوله ^ وله المثل الأعلى ^ أي الوصف الأعلى . # ويظهر أن المعنى الذي يتحصل في النفس مثلا للجنة هو جري الأنهار وأن أكلها دائم . # وراجع عند سيبويه فقدر قبل تقديره فيما يتلى عليكم أو ينص عليكم مثل الجنة . # وراجع عند الفراء قوله ^ تجري ^ أي صفة الجنة أنها ^ تجري من تحتها الأنهار ^ ونحو هذا موجود في كلام العرب وتأول عليه قوم أن ^ مثل ^ محمق وأن التقدير ^ الجنة التي وعد المتقون تجري ^ . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا قلق . # وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود أمثال الجنة . # وقد تقدم غير مرة معنى قوله ^ تجري من تحتها الأنهار ^ وقوله ^ أكلها ^ معناه ما يؤكل فيها . # والعقبى والعاقبة والعاقب حال تتلو أخرى قبلها . # وباقي الآية بين . # وقيل التقدير في صدر الآية مثل الجنة جنة تجري قاله الزجاج فتكون الآية على هذا ضرب مثل لجنة النعيم في الآخرة . # وقوله عز وجل \$ سورة الرعد 36 - 39 \$ # اختلف المتأولون فيمن عنى بقوله ^ الذين آتيناهم الكتاب ^ فقال ابن زيد عنى به من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وشبهه . # قال القاضي أبو محمد والمعنى مدحهم بأنهم لشدة إيمانهم يسرون بجميع ما يرد على النبي صلى الله عليه وسلم من زيادات الشرع .

@ 316 @ # وقال قتادة عنى به جميع المؤمنين و ^ الكتاب ^ هو القرآن و ^ بما أنزل إليك ^ يراد به جميع الشرع . # وقالت فرقة المراد ب ^ الذين آتيناهم الكتاب ^ اليهود والنصارى وذلك أنهم لهم فرح بما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم من تصديق شرائعهم وذكر أوائلهم . # قال القاضي أبو محمد ويضعف هذا التأويل بأن همهم به أكثر من فرحهم ويضعف أيضا بأن اليهود والنصارى ينكرون بعضه . # وقد فرق الله في هذه الآية بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب . # و ^ الأحزاب ^ قال مجاهد هم اليهود والنصارى والمجوس وقالت فرقة هم أحزاب الجاهلية من العرب . # وأمره الله تعالى أن يطرح اختلافهم ويصدع بأنه إنما أمر بعبادة الله وترك الإشراك والدعاء إليه واعتقاد المآب إليه وهو الرجوع عند البعث يوم القيامة . # وقوله ^ وكذلك ^ المعنى كما يسرنا هؤلاء للفرح وهؤلاء لإنكار البعض كذلك ^ أنزلناه حكما عربيا ^ ويحتمل المعنى والمؤمنون آتيناهموه يفرحون به لفهمهم به وسرعة تلقيهم . # ثم عدد النعمة بقوله كذلك جعلناه أي سهلنا عليهم في ذلك وتفضلنا . # و ^ حكما ^ نصب على الحال والحكم هو ما تضمنه القرآن من المعاني وجعله ^ عربيا ^ لما كانت العبارة عنه بالعربية . # ثم خاطب النبي صلى الله عليه وسلم محذرا من اتباع أهواء هذه الفرق الصالة والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو بالمعنى يتناول المؤمنين إلى يوم القيامة . # ووقف ابن كثير وحده على واقعي وهادي ووالي بالياء . # قال أبو علي والجمهور يقفون بغير ياء وهو الوجه . # وباقي الآية بين . # وقوله ^ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ^ الآية . # في صدر هذه الآية تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم ورد على المقترحين من قريش بالملائكة المتعجبين من بعثة الله بشرا رسولا . # فالمعنى أن بعثك يا محمد ليس ببدع فقد تقدم هذا في الأمم . # ثم جاء قوله ^ وما كان لرسول ^ الآية لفظه النهي والزجر والمقصود به إنما هو النهي المحض لكنه نفى تأكيد بهذه العبارة ومتى كانت هذه العبارة عن أمر واقع تحت قدرة المنهي فهي زجر ومتى لم يقع ذلك تحت قدرته فهو نفى محض مؤكدا و ^ بإذن الله ^ معناه إلا أن يأذن الله في ذلك . # وقوله ^ لكل أجل كتاب ^ لفظ عام في جميع الأشياء التي لها أجل وذلك أنه ليس كائن منها إلا وله أجل في بدئه أو في خاتمته . # وكل أجل مكتوب محصور فأخبر تعالى عن كتيبه الأجل التي للأشياء عامة وقال الضحاك والفراء المعنى لكل كتاب أجل . # قال القاضي أبو محمد وهذا العكس غير لازم ولا وجه له إذ المعنى تام في ترتيب القرآن بل يمكن هدم قولهما بأن الأشياء التي

كتبها الله تعالى أزلية باقية كتعميم أهل الجنة وغيره يوجد كتابها لا أجل له .

@ 317 @ # وقوله ^ يحو الله ما يشاء ويثبت ^ قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بشد الباء . # وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويثبت بتخفيفها . # وتخبط الناس في معنى هذه الألفاظ والذي يتخلص به مشكلها أن نعتقد أن الأشياء التي قدرها الله تعالى في الأزل وعلمها بحال ما لا يصح فيها محو ولا تبديل وهي التي ثبتت في ^ أم الكتاب ^ وسبق بها القضاء وهذا مروى عن ابن عباس وغيره من أهل العلم وأما الأشياء التي قد أخبر الله تعالى أنه يبدل فيها وينقل كعفو الذنوب بعد تقريرها وكنسخ آية بعد تلاوتها واستقرار حكمها ففيها يقع المحو والتثبيت فيما يقيد الحفظه ونحو ذلك وأما إذا رد الأمر للقضاء والقدر فقد محا الله ما محا وثبت ما ثبت . # وجاءت العبارة مستقلة بمحيء الحوادث وهذه الأمور فيما يستأنف من الزمان فينتظر البشر ما يحو أو ما يثبت وبحسب ذلك خوفهم ورجاؤهم ودعاؤهم . # وقال فرقة منها الحسن هي في آجال بني آدم وذلك أن الله تعالى في ليلة القدر وقيل في ليلة نصف شعبان يكتب آجال الموتى فيمحي ناس من ديوان الأحياء ويثبتون في ديوان الموتى . # وقال قيس بن عباد العاشر من رجب هو يوم ^ يحو الله ما يشاء ويثبت ^ . # قال القاضي أبو محمد وهذا التخصيص في الآجال أو غيرها لا معنى له وإنما يحسن من الأقوال هنا ما كان عاما في جميع الأشياء فمن ذلك أن يكون معنى الآية أن الله تعالى يغير الأمور على أحوالها أعني ما من شأنه أن يغير علي ما قدمناه فيمحوه من تلك الحالة ويثبت في التي نقله إليها . # وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن عبد الله بن مسعود أنهما كانا يقولان في دعائهما اللهم إن كنت كتبتنا في ديوان الشقاوة فامحنا واثبتنا في ديوان السعادة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت . # قال القاضي أبو محمد وهذا دعاء في غفران الذنوب وعلى جهة انجزع منها . # أي اللهم إن كنا شقين بمصعبتك وكتب علينا ذنوب وشقاوة بها فامحها عنا بالمغفرة وفي لفظ عمر في بعض الروايات بعض من هذا ولم يكن دعاؤهما البتة في تبديل سابق القضاء ولا يتناول عليهما ذلك . # وقيل إن هذه الآية نزلت لأن قريشا لما سمعت قول الله تعالى ^ وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله ^ قال ليس لمحمد في هذا الأمر قدرة ولا حظ فنزلت ^ يحو الله ما يشاء ويثبت ^ أي ربما أذن الله من ذلك فيما تكروهون بعد أن لم يكن بإذن . # وحكى الطبري عن ابن عباس أنه قال معنى الآية يمحو الله ما يشاء ويثبت من أمور عباده إلا السعادة والشقاوة والآجال فإنه لا محو فيها . # قال القاضي أبو محمد وهذا نحو ما أحلناه أولا في الآية . # وحكي عن فرقة أنها قالت يمحو الله ما يشاء ويثبت من كتاب حاشى أمر الكتاب الذي عنده الذي لا يغير منه شيئا . # وقال فرقة معناه يمحو كل ما يشاء ويثبت كل ما أراد ونحو هذه الأقوال التي هي سهلة المعارضة .

@ 318 @ # وأسند الطبري عن إبراهيم النخعي أن كعبا قال لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة . # قال وما هي قال ^ يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ^ . # وذكر أبو المعالي في التلخيص أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي قال هذه المقالة المذكورة عن كعب . # قال القاضي أبو محمد وذلك عندي لا يصح عن علي . # واختلف أيضا عبارة المفسرين في تفسير ^ أم الكتاب ^ فقال ابن عباس هو الذكر وقال كعب هو علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون . # قال القاضي أبو محمد وأصوب ما يفسر به ^ أم الكتاب ^ أنه كتاب الأمور المجزومة التي قد سبق القضاء فيها بما هو كائن وسبق ألا يتبدل ويبقى المحو التثبيت في الأمور التي سبق في القضاء أن تبدل وتمحى واثبتت قال نحوه قتادة وقالت فرقة معنى ^ أم الكتاب ^ الحلال والحرام وهذا قول الحسن بن أبي الحسن . # قول عز وجل \$ سورة الرعد 40 - 43 # ^ إن ^ شرط دخلت عليها ^ ما ^ مؤكدة وهي قبل الفعل فصارت في ذلك بمنزلة اللام المؤكدة في القسم التي تكون قبل الفعل في قولك والله لنخرجن فلذلك يحسن أن تدخل النون الثقيلة في قولك ^ نرينك ^ لحلولها هنا محل اللام هنالك ولو لم تدخل ^ ما ^ لما جاز ذلك إلا في الشعر وخص البعض بالذكر إذ مفهوم أن الأعمار تقصر عن إدراك جميع ما تأتي به الأقدار مما توعد به الكفار . # وكذلك أعطي الوجود ألا ترى أن أكثر الفتوح إنما كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم و ^ أو ^ عاطفة . # وقوله ^ فإنما ^ جواب الشرط . # ومعنى الآية إن نبئك يا محمد لترى أو نتوفئك فعلى كلا الوجهين إنما يلزمك البلاغ فقط . # وقوله ^ نعدهم ^ محتمل أن يريد به المضار التي توعد بها الكفار فأطلق فيها لفظة الوعد لما كانت تلك المضار معلومة مصرحا بها ويحتمل أن يريد الوعد لمحمد في إهلاك الكفرة ثم أضاف الوعد إليهم لما كان في شأنهم .

@ 319 @ # والضمير في قوله ^ يروا ^ عائد على كفار قريش وهم المتقدم ضميرهم في قوله ^ نعدهم ^ . # وقوله ^ نأتي ^ معناه بالقدرة والأمر كما قال الله تعالى ^ فأتى الله بنيانهم من القواعد ^ و ^ الأرض ^ يريد به اسم الجنس وقيل يريد أرض الكفار المذكورين . # قال القاضي أبو محمد وهذا بحسب الاختلاف في قوله ^ تنقصها من أطرافها ^ # وقرأ الجمهور تنقصها وقرأ الضحاك تنقصها . # وقوله ^ من أطرافها ^ من قال إنها أرض الكفار المذكورين قال معناه ألم يروا أنا نأتي أرض هؤلاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم فما يؤمنهم أن نمكنك منهم أيضا كما فعلنا بمجاورهم قاله ابن عباس والضحاك # قال القاضي أبو محمد وهذا بحسب الاختلاف في قوله ^ تنقصها من أطرافها ^ القول لا يتأني إلا بأن نقدر نزول هذه الآية بالمدينة ومن قال إن ^ الأرض ^ اسم جنس جعل الانتقاص من الأطراف بتخريب العمران الذي يحله الله بالكفرة هذا قول ابن عباس أيضا ومجاهد . # وقالت فرقة الانتقاص هو يموت البشر وهلاك الثمرات ونقص البركة قاله ابن عباس أيضا والشعبي وعكرمة وقاتدة . # وقالت فرقة الانتقاص هو يموت العلماء والأخبار قال ذلك ابن عباس أيضا ومجاهد وكل ما ذكر يدخل في لفظ الآية . # والطرف من كل شيء خياره ومنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلوم أودية في أي واد أخذت منها حسرت فخذوا من كل شيء طرفا # يعني خيارا . # وجملة معنى هذه الآية الموعظة وضرب المثل أي ألم يروا فيقع منهم انعاط . # وأليق ما يقصد لفظ الآية هو تنقص الأرض بالفتوح على محمد . # وقوله ^ لا معقب ^ أي لا راد ولا مناقض يتعقب أحكامه أي ينظري أعقابها أمصية هي أم لا وسرعة حساب الله واجبة لأنها بالإحاطة ليست بعدد . # و ^ المكر ^ ما يترسب بالإنسان ويسعى عليه علم بذلك أو لم يعلم فوصف الله تعالى الأمم التي سعت على أنبيائها كما فعلت قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم ب ^ المكر ^ . # وقوله ^ فله المكر جميعا ^ أي العقوبات التي أحلها بهم . # وسماها مكرًا على عرف تسمية المعاقبة باسم الذنب كقوله تعالى ^ الله يستهزئ بهم ^ ونحو هذا . # وفي قوله تعالى ^ يعلم ما تكسب كل نفس ^ تنبيه وتحذير في طي إخبار ثم توعدهم تعالى بقوله ^ وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار ^ . # وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو الكافر بالإفراد وهو اسم السجن وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي الكفار وقرأ عبد الله بن مسعود الكافرون وقرأ أبي بن كعب الذين كفروا . # وتقدم القول في ^ عقبي الدار ^ قبل هذا .

@ 320 @ # وقوله تعالى ^ ويقول الذين كفروا ^ الآية المعنى ويكذبك يا محمد هؤلاء الكفرة ويقولون لست مرسلا من الله وإنما أنت مدع قل لهم ^ كفى بالله شهيدا ^ . # و ^ بالله ^ في موضع رفع التقدير كفى الله . # وشهيد بمعنى شاهد وقوله ^ ومن عنده علم الكتاب ^ قيل يريد اليهود والنصارى الذين عندهم الكتب الناطقة برفض الأصنام وتوحيد الله تعالى وقال قتادة يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي الذين يشهدون بتصديق محمد وقال مجاهد يريد عبد الله بن سلام خاصة قال هو في نزلة (ومن عنده علم الكتاب) . # قال القاضي أبو محمد وهذا القولان الأخيران لا يستقيمان إلا أن تكون الآية مدنية والجمهور على أنها مكية قاله سعيد بن جبير وقال لا يصح أن تكون الآية في ابن سلام لكونها مكية وكان يقرأ ومن عنده علم الكتاب . # وقيل يريد جنبا معروفا حكاه النقاش وهو قول شاذ ضعيف . # وقيل يريد الله تعالى كأنه استشهد بالله تعالى ثم ذكره بهذه الألفاظ التي تتضمن صفة تعظيم . # ويعترض هذا القول بأن فيه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز وإنما تعطف الصفات بعضها على بعض . # ويحتمل أن تكون في موضع رفع بالبنداء والخبر محذوف تقديره أعدل وأمضى قولا ونحو هذا مما يدل عليه لفظ ^ شهيدا ^ ويراد بذلك الله تعالى . # وقرأ علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عباس وابن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والحكم وغيرهم ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم من من وخفض الدال قال أبو الفتح ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ علي بن أبي طالب أيضا والحسن وابن السميع ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم من من وضم العين من علم على أنه

مفعول لم يسم فاعله ورفع الكتاب وهذه القراءات يراد فيها الله تعالى لا يحتمل لفظها غير ذلك . # والله المعين برحمته .

@ 321 @ \$ بسم الله الرحمن الرحيم \$ سورة إبراهيم \$ # هذه السورة مكية إلا آيتين وهي قوله عز وجل ^ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً ^ إلى آخر الآيتين ذكره مكي والنقاش . # بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل # تقدم القول في الحروف المقطعة في أوائل السور والإختلاف في ذلك . # و ^ كتاب ^ رفع على خبر ابتداء مضمرة تقديره هذا كتاب وهذا على أكثر الأقوال في الحروف المقطعة وأما من قال فيها إنها كناية عن حروف المعجم ف ^ كتاب ^ مرتفع بقوله ^ الر ^ أي هذه الحروف كتاب أنزلناه إليك وقوله ^ أنزلناه ^ في موضع الصفة للكتاب . # قال القاضي ابن الطيب وأبو المعالي وغيرهما إن الإنزال لم يتعلق بالكلام القديم الذي هو صفة الذات لكن بالمعاني التي أفهمها الله تعالى جبريل عليه السلام من الكلام . # وقوله ^ لتخرج ^ أسند الإخراج إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حيث له فيه المشاركة بالدعاء والإنذار وحقيقته إنما هي لله تعالى بالإختراع والهداية . # وفي هذه اللفظة تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم . # وعم ^ الناس ^ إذ هو مبعوث إلى جميع الخلق ثبت ذلك بآيات القرآن التي اقتنر بها ما نقل تواتراً من دعوته العالم كله ومن بعثته إلى الأحمر والأسود علم الصحابة ذلك مشاهدة ونقل عنهم تواتراً فعلم قطعاً والحمد لله . # واستعير ^ الظلمات ^ للكفر و ^ النور ^ للإيمان تشبيهاً . # وقوله ^ بإذن ربهم ^ أي بعلمه وقضائه به وتمكينه لهم .

@ 322 @ # و ^ إلى ^ في قوله ^ إلى صراط ^ بدل من الأولى في قوله ^ إلى النور ^ إي إلى المحجة المؤدية إلى طاعة الله وللإيمان به ورحمته فأضافها إلى الله بهذه التعلقات . # و ^ العزيز الحميد ^ صفتان لاقتتان بهذا الموضع فالعزة من حيث الإنزال للكتاب وما في ضمن ذلك من القدرة واستيجاب الحمد من جهة بث هذه النعم على العالم في نصب هدايتهم . # وقرأ نافع وابن عامر الله الذي برفع اسم الله على القطع والابتداء وخبره الذي ويصح رفعه على تقدير هو الله الذي . # وقرأ الباقون بكسر الهاء على البذل من قوله ^ العزيز الحميد ^ وروى الأصمعي وحده هذه القراءة عن نافع . # وعبر بعض الناس عن هذا بأن قال التقدير إلى صراط الله العزيز الحميد ثم قدم الصفات وأبدل منها الموصوف . # قال القاضي أبو محمد وإذا كانت هكذا فليست بعد بصفات على طريقة صناعة النحو وإن كانت بالمعنى صفاته ذكر معها أو لم يذكر . # وقوله ^ وويل ^ ومعناه وشدة وبلاء ونحوه . # أي يلقونه من عذاب شديد ينالهم الله به يوم القيامة ويحتمل أن يريد في الدنيا هذا معنى قوله ^ وويل ^ . # وقال بعض ويل اسم واد في جهنم يسيل من صديد أهل النار . # قال القاضي أبو محمد وهذا خبر يحتاج إلى سند يقطع العذر ثم لو كان هذا لقلق تأويل هذه الآية لقوله ^ من عذاب ^ وإنما يحسن تأويله في قوله ^ ويل للمطغفين ^ المطغفين وما أشبهه وأما هنا فإنما يحسن في ويل أن يكون مصدرًا ورفع على نحو رفعهم سلام عليك وشبهه . # و ^ الذين ^ بدل من الكافرين وقوله ^ يستحيون ^ من صفة الكافرين الذين توعدهم قبل والمعنى يؤثرون دنياهم وكفرهم وترك الإذعان للشرع على رحمة الله وسكنى جنته وقوله ^ يصدون ^ يحتمل أن يتعدى وأن يقف والمعنى على كلا الوجهين مستقل تقول صد زيد وصد غيره ومن تعديته قول الشاعر # (صدت الكأس عنا أم عمرو % وكان الكأس مجراها اليمين) + الوافر + # و ^ سبيل الله ^ طريقة هداية وشرعه الذي جاء به رسوله . # وقوله ^ ويبغونها عوجاً ^ يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل أظهرها أن يريد ويطلبونها في حالة عوج منهم . # ولا يراعى إن كانوا بزعمهم على طريق نظر وبسبيل اجتهاد واتباع الأحسن فقد وصف الله تعالى حالهم تلك بالعوج وكأنه قال ويصدون عن سبيل الله التي هي بالحقيقة سبيله ويطلبونها على عوج في النظر . # والتأويل الثاني أن يكون المعنى ويطلبون لها عوجاً يظهر فيها أي يسعون على الشريعة بأقوالهم وأفعالهم . # ف ^ عوجاً ^ مفعول . # والتأويل الثالث أن تكون اللفظة من المعنى على معنى ويبغون عليها أو فيها عوجاً ثم حذف الجار وفي هذا بعض القلق .

@ 323 @ # وقال كثير من أهل اللغة العوج بكسر العين في الأمور وفي الدين وبالجملة في المعاني والعوج بفتح العين في الأجرام . # قال القاضي أبو محمد ويعترض هذا القانون بقوله تعالى ^ فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ^ وقد تتداخل اللفظة مع الأخرى ووصف الضلال بالبعد عبارة عن تعمقهم فيه . # وصعوبة خروجهم منه . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 4 - 5 \$ # هذه الآية طعن ورد على المستغربين أمر محمد صلى الله عليه وسلم أي لمست يا محمد بدع من الرسل وإنما أرسلناك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور على عادتنا في إرسالنا في أن نبعثهم بالسنة أمهم ليقع البيان والعبارة المتمكنة ثم يكون سائر الناس من غير أهل اللسان عيلاً في التبيين على أهل اللسان الذي يكون للنبي وجعل الله العلة في إرسال الرسل بالسنة قومهم طلب البيان ثم قطع قوله ^ فيضل ^ أي إن النبي إنما غايته أن يبلغ ويبين وليس فيما كلف أن يهدي ويضل بل ذلك بيد الله ينفذ فيه سابق قضائه وله في ذلك العزة التي لا تعارض والحكمة التي لا تغفل لأرب غيره . # قال القاضي أبو محمد فإن اعترض أعجمي بأن يقول من أين بين لي هذا الرسول الشريعة وأنا لا أفهمه قيل له أهل المعرفة باللسان يعبرون ذلك وفي ذلك كفايتك . # فإن قال ومن أين تتبين لي المعجزة وأفهم الإعجاز وأنا لا أفقه اللغة قيل له الحجة عليك إذعان أهل الفصاحة والذين كانوا يظن بهم أنهم قادرون على المعارضة وبإذعانهم قامت الحجة على البشر كما قامت الحجة في معجزة موسى بإذعان السحرة وفي معجزة عيسى بإذعان الأطباء . # واللسان في هذه الآية يراد به اللغة . # وقرأ أبو السمال بلسن بسكون السين دون ألف كريش ورباش ويقال لسن ولسان في اللغة فاما العضو فلا يقال فيه لسن بسكون السين . # وقوله ^ ولقد أرسلنا موسى ^ الآية آيات الله هي العصا واليد وسائر التسع . # وقوله ^ أن أخرج ^ تقديره بأن أخرج ويجوز أن تكون ^ أن ^ مفسرة لا موضع لها من الإعراب وأما ^ الظلمات ^ و ^ النور ^ فيحتمل أن يراد بها من الكفر إلى الإيمان . # وهذا على ظاهر أمر بني إسرائيل في أنهم كانوا قبل

@ 324 @ بعث موسى أشياخاً متفرقين في الدين قوم مع القبط في عبادة فرعون وكلهم على غير شيء وهذا مذهب الطبري وحكاة عن ابن عباس وإن صح أنهم كانوا على دين إبراهيم وإسرائيل ونحو هذا ف ^ الظلمات ^ الذل والعبودية و ^ النور ^ العزة والدين والظهور بأمر الله تعالى . # قال القاضي أبو محمد وظاهر هذه الآية وأكثر الآيات في رسالة موسى عليه السلام أنها إنما كانت إلى بني إسرائيل خاصة في معنى الشرع لهم وأمرهم ونهيمهم بفروع الديانة وإلى فرعون وأشراف قومه في أن ينظروا ويعتبروا في آيات موسى فيقروا بالله ويؤمنوا به تعالى وبموسى ومعجزته ويتحققوا بنوته وبرسلوا معه بني إسرائيل . # قال القاضي أبو محمد ولا يترتب هذا إلا بإيمان به . # وأما أن تكون رسالته إليهم لمعنى اتباعه والدخول في شرعه فليس هذا بظاهر القصة ولا كشف الغيب ذلك ألا ترى أن موسى خرج عنهم ببني إسرائيل فلو لم يتبع لمضى بأمته وألا ترى أنه لم يدع القبط بجملتهم وإنما كان يحاور أولي الأمر وأيضاً فليس دعاؤه لهم على حد دعاء نوح وهود وصالح أمهم في معنى كفرهم ومعاصيهم بل في الإهداء والتزكي وإرسال بني إسرائيل . # ومما يؤيد هذا أنه لو كانت دعوته لفرعون والقبط على حدود دعوته لبني إسرائيل فلم كان يطلب بأمر الله أن يرسل معه بني إسرائيل بل كان يطلب أن يؤمن الجميع ويتشبعوا بشرعه ويستقر الأمر . # وأيضاً فلو كان مبعوثاً إلى القبط لردده الله إليهم حين عرق فرعون وجنوده ولكن لم يكونوا أمة له فلم يرد إليهم . # قال القاضي أبو محمد واحتج من ذهب إلى أن موسى بعث إلى جميعهم بقوله تعالى في غير آية ^ إلى فرعون وملئه ^ و ^ إلى فرعون وقومه ^ والله أعلم . # وقوله ^ وذكرهم ^ الآية . # أمر الله عز وجل موسى أن يعظ قومه بالتهديد بنقم الله التي أحلها بالأمم الكافرة قبلهم وبالتعديد لنعمه عليهم في المواطن المتقدمة وعلى غيرهم من أهل طاعته ليكون جريهم على منهاج الذين أنعم عليهم وهربهم من طريق الذين حلت بهم النقمات وعبر عن النعم والنقم بالأيام إذ هي في أيام وفي هذه العبارة تعظيم هذه الكوائن المذكور بها ومن هذا المعنى قولهم يوم عصيب ويوم عبوس ويوم بسام وإنما الحقيقة وصف ما وقع فيه من شدة أو سرور . # وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت ^ أيام الله ^ نعمة وعن فرقة أنها قالت ^ أيام الله ^ نعمة . # قال القاضي أبو محمد ولفظة الأيام تعم المعنيين لأن التذكير يقع بالوجهين جميعاً . # وقوله ^ لكل صبار شكور ^ إنما أراد لكل مؤمن ناظر لنفسه فأخذ من صفات المؤمن صفتين تجمع أكثر الخصال وتعم أجمل الأفعال . # قوله عز وجل

@ 325 @ \$ سور إبراهيم 6 - 9 \$ # هذا من التذكير بأيام الله في النعم وكان يوم الإنجاء عظيماً لعظم الكائن فيه وقد تقدم تفسير

هذه الآية وقصصها بما يغني عن إعادته غير أن في هذه الآية زيادة الواو في قوله ^ ويذبحون ^ وفي البقرة ^ يذبحون ^ بغير واو عطف . # فهناك فسر سوء العذاب بأنه التذبيح والإستحياء وهنا دل بسوء العذاب على أنواع غير التذبيح والإستحياء وعطف التذبيح والإستحياء عليها . # وقرأ ابن محيصن ويذبحون بفتح الباء والياء مخففة . # و ^ بلاء ^ في هذه الآية يحتمل أن يريد به المحنة ويحتمل أن يريد به الاختيار والمعنى متقارب . # و ^ تاذن ^ بمعنى أذن . # أي أعلم وهو مثل أكرم وتكرم وأوعد وتوعد وهذا الإعلام منه مقترن بإنفاذ وقضاء قد سبقه وما في تفعل هذه من المحاولة والشروع إذا أسندت إلى البشير منفي في جهة الله تعالى وأما قول العرب تعلم بمعنى أعلم فمرفوض . # الماضي على ما ذكر يعقوب كقول الشاعر (تعلم آبيت اللعن . . . ونحوه %) # وقال بعض العلماء الزيادة على الشكر ليست في الدنيا وإنما هي من نعم الآخرة والدنيا أهون من ذلك . # قال القاضي أبو محمد وصحيح جازن أن يكون ذلك وأن يزيد الله أيضا المؤمن على شكره من نعم الدنيا وأن يزيده أيضا منهما جميعا وفي هذه الآية ترجية وتخويف ومما يقضي بأن الشكر متضمن الإيمان أنه عادل بالكفر وقد يحتمل أن يكون الكفر كفر النعم لا كفر الجحد وحكى الطبري عن سفيان وعن الحسن أنهما قالا معنى الآية ^ لئن شكرتم لأزيدنكم ^ من طاعتي وضعفه الطبري وليس كما قال بل هو قوي حسن فتأمله . # قال القاضي أبو محمد وقوله ^ لئن شكرتم ^ هو جواب قسم يتضمنه الكلام . # وقوله ^ وقال موسى ^ الآية في هذه الآية تحقير للمخاطبين بشرط كفرهم وتوبيخ وذلك بين من الصفتين اللتين وصف بهما نفسه تعالى في آخر الآية وقوله ^ لغني ^ يتضمن تحقيرهم وعظمتهم إذ له الكمال التام على الإطلاق وقوله ^ حميد ^ يتضمن توبيخهم وذلك أنه صفة يستوجب المحامد

@ 326 @ كلها دائم كذلك في ذاته لم يزل ولا يزال فكفركم أتمم بإله هذه حاله غاية التخلف والخذلان وفي قوله أيضا ^ حميد ^ ما يتضمن أنه ذو آلاء عليكم أيها الكافرون به كان يستوجب بها حمدكم فكفركم به مع ذلك أذهب في الضلال وهذا توبيخ بين . # وقوله ^ ألم يأتكم ^ الآية هذا من التذكير بأيام الله في النعم من الأمم الكافرة . # وقوله ^ لا يعلمهم إلا الله ^ من نحو قوله ^ وقرونا بين ذلك كثيرا ^ وفي مثل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب النسابون من فوق عدنان وروي عن ابن عباس أنه قال كان بين زمن موسى وبين زمن نوح قرون ثلاثون لا يعلمهم إلا الله . # وحكى عنه المهدي أنه قال كان بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون . # قال القاضي أبو محمد وهذا الوقوف على عدتهم بعيد ونفي العلم بها حيلة أصح وهو ظاهر القرآن . # واختلف المفسرون في معنى قوله ^ فردوا أيديهم في أفواههم ^ بحسب احتمال اللفظ . # قال القاضي أبو محمد والأيدي في هذه الآية قد تتأول بمعنى الجوارح وقد تتأول بمعنى أيدي النعم مما ذكر على أن الأيدي الجوارح أن يكون المعنى ردوا أيدي أنفسهم في أفواه أنفسهم عضا عليها من الغيظ على الرسل ومبالغة في التكذيب هذا قول ابن مسعود وابن زيد وقال ابن عباس عجبوا وفعلوا ذلك والعرض من الغيظ مشهور من البشر وفي كتاب الله تعالى ^ عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ^ وقال الشاعر (قد أفنى أنامله أزمه % فأضحى بعض علي الوظيفة) # وقال الآخر (لو أن سلمى أبصرت تخددي % ودقه في عظم ساقى ويدي) # وبعد أهلي وجفاه عودي % عصت من الوجد بأطراف اليد) + الرجز + # ومما ذكر أن يكون المعنى أنهم ردوا أيدي أنفسهم في أفواه أنفسهم إشارة على الأنبياء بالسكوت واستبشاعا لما قالوا من دعوى النبوة ومما ذكر أن يكون المعنى ردوا أيدي أنفسهم في أفواه الرسل تسكيناً لهم ودفعاً في صدر قولهم قاله الحسن وهذا أشنع في الرد وأذهب في الإستطالة على الرسل والنيل منهم . # قال القاضي أبو محمد وتحتمل الألفاظ معنى رابعا وهو أن يتجاوز في لفظ الأيدي أي إنهم ردوا قوتهم ومدافعتهم ومكافحتهم فيما قالوه بأفواههم من التكذيب فكأن المعنى ردوا جميع مدافعتهم في أفواههم أي في أفوالهم وعبر عن جميع المدافعة بالأيدي إذ الأيدي موضع لشد المدافعة والمرادة . # وحكى المهدي قولاً ضعيفا وهو أن المعنى أخذوا أيدي الرسل فجعلوها في أفواه الرسل . # قال القاضي أبو محمد وهذا عندي لا وجه له .

@ 327 @ # ومما ذكر على أن الأيدي أيدي النعم ما ذكره الزجاج وذلك أنهم ردوا آلاء الرسل في الإنذار والتبليغ بأفواههم أي بأفوالهم فوصل الفعل ب ^ في ^ عوض وصوله بالياء وروي نحوه عن مجاهد وقتادة . # قال القاضي أبو محمد والمشهور جمع يد النعمة آباد ولا يجمع على أيد إلا أن جمعه على أيد لا يكسر بابا ولا ينقص أصلا وبحسنا أن الزجاج قدره وتأول عليه . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل اللفظ على هذا معنى ثانيا أن يكون المقصد ردوا أنعام الرسل في أفواه الرسل أي لم يقبلوه كما تقول لمن لا يعجبك قوله امسك يا فلان كلامك في فمك . # ومن حيث كانت أيدي الرسل أقوالا ساغ هذا فيها كما تقول كسرت كلام فلان في فمه أي رددته عليه وقطعته بقلة القبول والرد وحكى المهدي عن مجاهد أنه قال معناه ردوا نعم الرسل في أفواه أنفسهم بالتكذيب والنجه . # وقوله ^ لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ^ يقتضي أنهم شكوا في صدق نبوتهم وأقوالهم أو كذبها وتوقفوا في إمضاء أحد المعتقدين ثم ارتابوا بالمعتقد الواحد في صدق نبوتهم فجاءهم شك مؤكداً بارتباب . # وقرأ طلحة بن مصرف مما تدعوننا بنون واحدة مشددة . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 10 \$ # قوله ^ أفي الله ^ مقدر فيه ضمير تقديره عند كثير من النحويين أفي ألوهية الله شك وقال أبو علي الفارسي تقديره أفي وحدانية الله شك . # قال القاضي أبو محمد وزعم بعض الناس أن أبا علي إنما فرغ إلى هذه العبارة حفاً للاعتزال وزوالاً عما تحتمله لفظة الألوهية من الصفات بحسب عمومها ولفظة الوحدانية مخصصة من هذا الإحتمال . والفاطر المخترع المبتدي وسوق هذه الصفة احتجاج على الشاكنين بين التوبيخ أي أبشك فيمن هذه صفته فساق الصفة التي هي منصوبة لرفع الشك . # وقوله ^ من ذنوبكم ^ ذهب بعض النحاة إلى أنها زائدة وسيبويه يابى أن تكون زائدة وبراهل للتبويض .

@ 328 @ # قال القاضي أبو محمد وهو معنى صحيح وذلك أن الوعد وقع بغفران الشرك وما معه من المعاصي وبقي ما يستأنفه أحدهم بعد إيمانه من المعاصي مسكوتاً عنه ليبقى معه في مشيئة الله تعالى فالغفران إنما نفذ به الوعد في البعض فصح معنى (من) . # وقوله ^ ويؤخركم إلى أجل مسمى ^ قد تقدم القول فيه في سورة الأعراف في قوله ^ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ^ وعلبت هذه هناك بسبب ما يظهر بين الأيتين من التعارض . # ويليق هنا أن نذكر مسألة المقتول هل قطع أجله أم ذلك هو أجله المحتوم عليه . # فالأول هو قول المعتزلة والثاني قول أهل السنة . # فتقول المعتزلة لو لم يقتله لعاش وهذا سبب القود . # وقالت فرقة من أهل السنة لو لم يقتله لمات حتف أنفه . # قال أبو المعالي وهذا كله تخبط وإنما هو أجله الذي سبق في القضاء أنه يموت فيه على تلك الصفة فمحال أن يقع غير ذلك فإن فرضنا أنه لو لم يقتله وفرضنا مع ذلك أن علم الله سبق بأنه لا يقتله بقي أمره في حيز الجواز في أن يعيش أو يقتل وكيفما كان علم الله تعالى يسبق فيه . وقول الكفرة ^ إن أنتم إلا بشر مثلنا ^ فيه استبعاد بعثة البشر وقال بعض الناس بل أرادوا إخالته وذهبوا مذهب البراهمة أو من يقول من الفلاسفة إن الأجناس لا يقع فيها هذا التباين . # قال القاضي أبو محمد وظاهر كلامهم لا يقتضي أنهم أعضوا هذا الإغماض وبدل على ما ذكرت أنهم طلبوا منهم الإتيان بآية و ^ سلطان مبین ^ ولو كانت بعثتهم عندهم محالاً لما طلبوا منهم حجة ويحتمل أن طلبهم منهم السلطان إنما هو على جهة التعجيز أي بعثتكم محال وإلا ^ فأتونا بسلطان مبین ^ أي إنكم لا تفعلون ذلك أبداً فيتقوى بهذا الاحتمال منحاهم إلى مذهب الفلاسفة . # قوله عز وجل \$ سورة 11 - 12 \$ # المعنى صدقتم في قولكم أي بشر مثلكم في الأشخاص والخلقة لكن تبايننا بفضل الله ومنه الذي يختص به من يشاء . # قال القاضي أبو محمد ففارقومهم في المعنى بخلاف قوله تعالى ^ كأنهم حمر ^ فإن ذلك في المعنى لا في الهيئة .

@ 329 @ # وقوله ^ وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان ^ هذه العبارة إذا قالها الإنسان عن نفسه أو قيلت له فيما يقع تحت مقدوره فمعناها النهي والخطر وإن كان ذلك فيما لا قدرة له عليه فمعناها نفي ذلك الأمر جملة وكذا هي آيتنا وقال المهدي لفظها لفظ الخطر ومعناها النفي . # واللام في قوله ^ ليتوكل ^ لام الأمر . # وقرأها الجمهور ساكنة وقرأها الحسن مكسورة وتحريكها بالكسر هو أصلها . # وتسكينها طلب التخفيف ولكثرة استعمالها وللفرق بينها وبين لام كي التي ألزمت الحركة إجماعاً . # وقوله ^ ما لنا ألا نتوكل ^ الآية وفتهم الرسل على جهة التوبيخ على تعليل في أن لا يتوكلوا على الله وهو قد أنعم عليهم وهداهم طريق النجاة وفضلهم على خلقه ثم أقسموا أن يقع منهم الصبر على الإذابة في ذات الله تعالى . # و ^ ما ^ في قوله ^ ما أدبتمونا ^ مصدرية وهي

حرف عند سيبويه بانفرادها إلا أنها اسم مع ما اتصل بها من المصدر وقال بعض النحويين ما المصدرية بانفرادها اسم . # ويحتمل أن تكون ^أ ما ^أ في هذا الموضوع بمعنى الذي فيكون في ^أ أدبتمونا ^أ ضمير عائذ تقديره أدبتمونا ولا يجوز أن تضمير به سبب إضمار حرف الجر هذا مذهب سيبويه والأخفش يجوز ذلك . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 13 - 17 \$ # قاله ^أ أو تعودن في ملتنا ^أ قالت فرقة ^أ أو ^أ هنا بمعنى إلا أن كما هي في قول امرئ القيس # (فقلت له لا تبيك عينك إنما % نحاول ملكا أو نموت فنعدرا) + الطويل + # قال القاضي أبو محمد وتحمل ^أ أو ^أ في هذه الآية أن تكون على بابها لوقوع أحد الأمرين لأنهم حملوا رسلهم على أحد الوجهين ولا يحتمل بيت امرئ القيس ذلك لأنه لم يحاول أن يموت فيعذر فتخلصت بمعنى إلا أن ولذلك نصب الفعل بعدها . # وقالت فرقة هي بمعنى حتى في الآية وهذا ضعيف وإنما تترتب كذلك في قوله لألزمنك أو تقصيني حقي وفي قوله لا يقوم زيد أو يقوم عمرو وفي هذه المثل كلها يحسن تقدير إلا أن . # والعودة أبدا إنما هي إلى حالة قد كانت والرسل ما كانوا قط في ملة الكفر وإنما المعنى أو

@ 330 @ @ نعودن في سكوتكم عنا وكونكم اغفالا وذلك عند الكفار كون في ملتهم . # وخصص تعالى ^أ الظالمين ^أ من الذين كفروا إذ جائز أن يؤمن من الكفرة الذين قالوا المقالة ناس وإنما توعد بالإهلاك من خلص للظلم . # وقوله ^أ لنسكننكم ^أ الخطاب للحاضرين والمراد هم وذريتهم ويترتب هذا المعنى في قوله ^أ ويؤخركم إلى أجل مسمى ^أ أي يؤخركم وأعقابكم . # وقرأ أبو حيوه ليهلكن وليسكننكم بالياء فيهما . # وقوله ^أ مقامي ^أ يحتمل أن يريد به المصدر من القيام على الشيء بالقدرة ويحتمل أن يريد به الظرف لقيام العبد بين يديه في الآخرة فإضافته إذا كان مصدرا إضافة المصدر إلى الفاعل وإضافته إذا كان ظرفا إضافة الظرف إلى حاضره أي مقام حسابي فجائز قوله ^أ مقامي ^أ وجائز لو قال مقامه وجائز لو قال مقام العرض والجزاء وهذا كما تقول دار الحاكم ودار الحكم ودار المحكوم عليهم . # وقال أبو عبيدة ^أ مقامي ^أ مجازة حيث أقيمه بين يدي للحساب والإستفتاح طلب الحكم والفتاح الحاكم والمعنى أن الرسل استفتحوا أي سألوا الله تعالى إنفاذ الحكم بنصرهم وتعذيب الكفرة وقيل بل استفتح الكفار على نحو قول قريش ^أ عجل لنا قطنا ^أ وعلى نحو قول أبي جهل في بدر اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا يعرف فاحنه الغداة . # هذا قول أبي زيد . # وقرأت فرقة واستفتحوا بكسر التاء على معنى الأمر للرسل قراءها ابن عباس ومجاهد وابن مهيض . # و ^أ خاب ^أ معناه خسرو ولم ينجح والجبار المتعظم في نفسه الذي لا يرى لأحد عليه حقا وقيل معناه الذي يجبر الناس على ما يكرهون . # قال القاضي أبو محمد وهذا هو المفهوم من اللفظ وعبر قتادة وغيره عن الجبار بأنه الذي يأبى أن يقول لا إله إلا الله . # والعنيد الذي يعاند ولا ينفاد وقوله ^أ من ورائه ^أ ذكر الطبري وغيره من المفسرين أن معناه من أمامه وعلى ذلك حملوا قوله تعالى ^أ وكان وراءهم ملك ^أ وأنشد الطبري # (أتوعدني وراء بني رياح % كذبت لتقصرن يداك دوني) # قال القاضي أبو محمد وليس الأمر كما ذكر والوراء هنا على بابها أي هو ما يأتي بعد في الزمان وذلك أن التقدير في هذه الحوادث بالأمام والوراء إنما هو بالزمان وما تقدم فهو أمام وهو بين اليد كما تقول في التوراة والإنجيل إنها بين يدي القرآن والقرآن وراءها على هذا وما تأخر في الزمان فهو وراء المتقدم ومنه قولهم لولد الولد وراء وهذا الجبار العنيد وجوده وكفره وأعماله في وقت ما ثم بعد ذلك في الزمان يأتيه أمر جهنم .

@ 331 @ # قال القاضي أبو محمد وتلخيص هذا أن يشبه الزمان بطريق تأتي الحوادث من جهته الواحدة متتابعة فما تقدم فهو أمام وما تأخر فهو وراء المتقدم وكذلك قوله ^أ وكان وراءهم ^أ أي غصبه وتغلبه يأتي بعد حذرهم وتحفظهم . # وقمله ^أ ويسقى من ماء ^أ وليس بماء لكن لما كان بدل الماء في العرف عندنا عد ماء ثم نعته ب ^أ صديد ^أ كما تقول هذا خاتم حديد والصدید الفيح والدم وهو ما يسيل من أجساد أهل النار قاله مجاهد والضحاك . # وقوله ^أ يتجرعه ولا يكاد يسيغه ^أ عبارة عن صعوبة أمره عليهم وروي أن الكافر يؤتى بالشربة من شراب أهل النار فينكرها فإذا أدنبت منه شوت وجهه وسقطت فيها فروة رأسه فإذا شربها قطعت أمعاءه . # قال القاضي أبو محمد وهذا الخبر مفرق في آيات من كتاب الله . # وقوله ^أ وبأبيه الموت من كل مكان ^أ أي من كل شجرة في بدنه قال إبراهيم التيمي وقيل من جميع جهاته الست وقوله ^أ وما هو بميت ^أ أي لا يراح بالموت وباقي الآية كأولها ووصف العذاب بالغليظ مبالغة فيه وقال الفضيل بن عياض العذاب الغليظ حبس الأنفاس في الأجساد وقيل إن الضمير في ^أ ورائه ^أ هنا هو للعذاب المتقدم . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 18 - 20 \$ # اختلف في الشيء الذي ارتفع به قوله ^أ مثل ^أ فمذهب سيبويه رحمه الله أن التقدير فيما يتلى عليكم أو يقص ^أ مثل الذين كفروا ^أ . # ومذهب الكسائي والفرأ أنه ابتداء خبره ^أ كرماد ^أ والتقدير عندهم مثل أعمال الذين كفروا كرماد وقد حكى عن الفرأ أنه يرى إلغاء ^أ مثل ^أ وأن المعنى الذين كفروا أعمالهم كرماد وقيل هو ابتداء ^أ أعمالهم ^أ ابتداء ثان ^أ كرماد ^أ خبر الثاني والجملة خبر الأول وهذا عندي أرجح الأقوال وكأنك قلت المتحصل مثلا في النفس للذين كفروا هذه الجملة المذكورة وهي ^أ أعمالهم كرماد ^أ . # وهذا يطرد عندي في قوله تعالى ^أ مثل الجنة ^أ وشبهت أعمال الكفرة ومساعيتهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها بالرماد الذي تذروه الريح وتفرقه بشدتها حتى لا يبقى أثر ولا يجتمع منه شيء ووصف اليوم بالعصوف وهي من صفة الريح بالحقيقة لما كانت في اليوم ومن هذا المعنى قول الشاعر # (لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى % ونمت وما ليل المطي بنائم) + جرير + # ومنه قول الآخر يومين غيمين ويوما شمسا .

@ 332 @ # فأعمال الكفرة لتلاشيها لا يقدرن منها على شيء . # وقرأ نافع وحده وأبو جعفر الرياح والباقون الريح بالإفراد وقد تقدم هذا ومعناه مستوفى بحمد الله وقوله ^أ ذلك ^أ إشارة إلى كونهم بهذه الحال وعلى مثل هذا الغرور و ^أ الضلال البعيد ^أ الذي قد تعمق فيه صاحبه وأبعد عن لاجب النجاة . # وقرأ ابن أبي إسحاق وإبراهيم بن أبي بكر في يوم عاصف بإضافة يوم إلى عاصف وهذا بين وقرأ السلمى ألم تر يسكون الرءاء بمعنى ألم تعلم من رؤية القلب وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر خلق السماوات وقرأ حمزة والكسائي خالق السماوات فوجه الأولى أنه فعل قد مضى فذكر كذلك ووجه الثانية أنه ك ^أ فاطر السماوات والأرض ^أ و ^أ فالق الإصباح ^أ . # وقوله ^أ بالحق ^أ أي بما يحق في جوده ومن جهة مصالح عباده وإنفاذ سابق قضائه ولتدل عليه وعلى قدرته . # ثم توعد تبارك وتعالى بقوله ^أ إن يشأ يذهبكم ^أ أي يهدمكم ويطمس آثاركم . # وقوله ^أ يخلق جديد ^أ يصح أن يريد من فرق بني آدم ويصح غير ذلك وقوله ^أ وما ذلك على الله بعزيز ^أ أي بمتنع . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 21 \$ # برزوا ^أ معنا صاروا بالبراز وهي الأرض المتسعة كالبراح والقواء والخيار فاستعير ذلك لجمع يوم القيامة . # وقولهم ^أ تبعنا ^أ يحتمل أن يكون مصدرا فيكون على نحو قولهم قول عدل وقوم حرب ويحتمل أن يكون جمع تابع على نحو غائب وغيب وهو تأويل الطبري . # وفسر الناس ^أ الضعفاء ^أ بالأتباع والمستكبرين بالقادة وأهل الرأي وقولهم ^أ مغنون ^أ من الغناء وهي المنفعة التي تكون من الإنسان للأخر في الدفاع وغيره وقوله ^أ أجزعنا ^أ ألف التسوية وليست بالف استقهام بل هي كقوله ^أ أنذرتهم أم لم تنذرهم ^أ والمحيص المفر والملجأ مأخوذ من حاص يحيص إذا نفر وفر ومنه في حديث هرقل فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب وروي عن ابن زيد وعن محمد بن كعب أن أهل النار يقولون إنما نال أهل الجنة الرحمة بالصبر على طاعة الله فتعال فلنصبر فيصبرون خمسمائة سنة فلا ينتفعون فيقولون هلم فلنجزع

@ 333 @ فيصجون ويصبحون ويكون خمسمائة سنة أخرى فلا ينتفعون فيصبرون هذا القول الذي في الآية وظاهر الآية أنهم إنما يقولونها في موقف العرض وقت البروز بين يدي الله تعالى . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 22 - 23 \$ # المراد هنا ب ^أ الشيطان ^أ إبليس الأقدم نفسه وروي في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر أنه قال يقوم يوم القيامة خطيبان أحدهما إبليس يقوم في الكفرة بهذه الألفاظ والأخر عيسى ابن مريم يقوم بقوله ^أ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ^أ وقال بعض العلماء يقوم إبليس خطيب السوء الصادق بهذه الآية . # قال القاضي أبو محمد فعلى هذه الرواية يكون معنى قوله ^أ قضى الأمر ^أ أي حصل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة وهو تأويل الطبري . # قال القاضي أبو محمد و ^أ قضى ^أ قد يعبر عنها في الأمور عن فعل كقوله تعالى ^أ وقضى الأمر واستوت على الجودي ^أ وقد يعبر بها عن عزم علي أن يفعل كقوله ^أ قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ^أ . # و ^أ الوعد ^أ في هذه الآية على بابها في الخير أي إن الله وعدهم النعيم إن آمنوا ووعدهم إبليس الظفر والأمل إن

كذبوا ومعلوم اقتتران وعد الله بوعيده واتفق أن لم يتبعوا طلب وعد الله فوقعوا في وعيده وجاء من ذلك كأن إبليس أخلفهم . # وال سلطان ^ الحجة البينة وقوله ^ إلا أن دعوتكم ^ استثناء منقطع و ^ أن ^ في موضع نصب ويصح أن تكون في موضع رفع على معنى إلا ان النائب عن السلطان إن دعوتكم فكون هذا في المعنى كقول الشاعر (تحية بينهم ضرب وجيع %) + الوافر + # ومعنى قوله ^ فاستجبت لي ^ أي رأيتم ما دعوتكم إليه ببصيرتكم واعتقدتموه الرأي وأتى نظركم عليه . # قال القاضي أبو محمد وذكر بعض الناس أن هذا المكان يبطل منه التقليد وفي هذه المقالة ضعف على احتمالها والتقليد وإن كان باطلا ففساده من غير هذا الموضوع .

@ 334 # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يريد بالسلطان في هذه الآية الغلبة والقدرة والملك أي ما اضطرتكم ولا خوفتم بقوة مني بل عرضت عليكم شيئاً فأتى رأيكم عليه . # وقوله ^ فلا تلوموني ^ يريد بزعمه إذ لا ذنب لي ^ ولوموا أنفسكم ^ في وسوء نظركم وقلة تثبتكم فإنكم إنما أتيتم اتباعي عن بصيرة منكم وتكسب . # والمصرخ المغيث والصارخ المستغيث . # ومنه قول الشاعر (كنا إذا ما أتانا صارخ فرغ % كان الصراخ له قطع الظنايب) + البسيط + # فيقال صرخ الرجل وأصرخ غيره وأما الصرخ فهو مصدر بمنزلة البريح ويوصف به كما يقال رجل عدل ونحوه . # وقرأ حمزة والأعمش وابن وثاب بمصرخي بكسر الباء تشبيهاً لباء الإضمار بباء الإضمار في قوله مصرخيه ورد الزجاج هذه القراءة وقال هي ردية مردولة وقال فيها القاسم بن معن إنها صواب ووجهها أبو علي وحكى أبو حاتم أن أبا عمرو حسنهما وأنكر أبو حاتم على أبي عمرو . # وقوله ^ بما أشركتمون ^ أي مع الله تعالى في الطاعة لي التي ينبغي أن يفرد الله بها فما مصدرية وكأنه يقول إني الآن كافر بإشراككم إياي مع الله قبل هذا الوقت . # قال القاضي أبو محمد فهذا تبر منه وقد قال الله تعالى ^ ويوم القيامة يكفرون بشرككم ^ ويحتمل أن يكون اللفظ إقراراً على نفسه بكفره الأقدم فتكون ما بمعنى الذي يريد الله تعالى أي خطيئتي قبل خطيئتك فلا إصرار عندي وباقي الآية بين . # وقرأ الجمهور وأدخل على بناء الفعل للمفعول وقرأ الحسن وأدخل على فعل المتكلم أي يقولها الله عز وجل وقوله ^ من تحتها ^ أي من تحت ما علا منها كالغرف والمباني والأشجار وغيره . # والخلود في هذه الآية على بابه في الدوام والإذن هنا عبارة عن القضاء والإمضاء وقوله ^ تحيتهم ^ مصدر مضاف إلى الضمير فإجاز أن يكون الضمير للمفعول أي تحييم الملائكة وإجاز أن يكون الضمير للفاعل أي يحيي بعضهم بعضاً . # و ^ تحيتهم ^ رفع بالابتداء و ^ سلام ^ ابتداء ثان وضمير محذوف تقديره عليكم والجملة خبر الأول والجميع في موضع الحال من المضميرين في ^ خالدين ^ أو يكون صفة ل ^ جنات ^ . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 24 - 26 \$ قوله ^ ألم تر بمعنى ألم تعلم و ^ مثلاً ^ مفعول بضر و ^ كلمة ^ مفعول أول بها

@ 335 # و ^ ضرب ^ هذه تتعدى إلى مفعولين لأنها بمنزلة جعل ونحوه إذ معناها جعل ضربها . # وقال المهدوي ^ مثلاً ^ مفعول و ^ كلمة ^ بدل منه . # قال القاضي أبو محمد وهذا على أنها تتعدى إلى مفعول واحد وإنما أوهم في هذا قلة التحرير في ^ ضرب ^ هذه . # والكاف في قوله ^ كشجرة ^ في موضع الحال أي مشبهة شجرة . # قال القاضي أبو محمد وقال ابن عباس وغيره الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله مثلها الله بالشجرة الطيبة وهي النخلة في قول أكثر المتأولين فكان هذه الكلمة ^ أصلها ثابت ^ في قلوب المؤمنين وفضلها وما يصدر عنها من الأفعال الزكية والحسنة وما يتحصل من عفو الله ورحمته هو فرعها يصعد إلى السماء من قبل العبد ويتنزل بها من قبل الله تعالى . # وقرأ أنس بن مالك ثابت أصلها وقالت فرقة إنما مثل الله بالشجرة الطيبة المؤمن نفسه إذ الكلمة الطيبة لا تقع إلا منه فكان الكلام كلمة طيبة وقائلها . # وكان المؤمن ثابت في الأرض وأفعاله وأقواله صاعدة فهو كشجرة فرعها في السماء وما يكون أبداً من المؤمن من الطاعة أو عن الكلمة من الفضل والأجر والغفران هو بمثابة الأكل الذي تأتي به كل حين . # وقوله عن الشجرة ^ وفرعها في السماء ^ أي في الهواء نحو السماء والعرب تقول عن المستطيل نحو الهواء وفي الحديث خلق الله آدم طولها في السماء ستون ذراعاً وفي كتاب سيبويه والقيود الطويل في غير سماء . # قال القاضي أبو محمد كأنه انقاد وامتن . # وقال أنس بن مالك وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد الشجرة الطيبة في هذه الآية هي النخلة وروي ذلك في أحاديث وقال ابن عباس أيضاً هي شجرة في الجنة . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن تكون شجرة غير معينة إلا أنها كل ما اتصف بهذه الصفات فيدخل في ذلك النخلة وغيرها . # وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأنجفة فلا يتعذر أيضاً أن يشبه بشجرتها . # والأكل الثمر وقرأ عاصم وحده أكلها بضم الكاف . # وقوله ^ كل حين ^ الحين في اللغة القطيع من الزمن غير محدد كقوله تعالى ^ هل أتى على الإنسان حين ^ وكقوله ^ ولتعلمن نبأه بعد حين ^ وقد تقتضي لفظة الحين بقرينتها تحديداً كهذه الآية فإن ابن عباس وعكرمة ومجاهداً والحكم وحمادا وجماعة من الفقهاء قالوا من حلف ألا يفعل شيئاً حيناً فإنه لا يفعله سنة واستشهدوا بهذه الآية ^ تؤتي أكلها كل حين ^ أي كل سنة وقال ابن عباس وعكرمة والحسن أي كل ستة أشهر وقال ابن المسيب الحين شهران لأن النخلة تدوم مثمرة شهرين وقال ابن عباس أيضاً والضحاك والربيع بن أنس ^ كل حين ^ أي غدوة وعشية ومتى أريد جناها .

@ 336 # قال القاضي أبو محمد وهكذا يشبهها المؤمن الذي هو في جميع أيامه في عمل أو الكلمة التي أجرها والصادر عنها من الأعمال مستمر فيشبهه أن قول الله تعالى إنما شبه المؤمن أو الكلمة بالشجرة في حال إثمارها إذ تلك أفضل أحوالها . # وتأول الطبري في ذلك أن أكل الطلح في الشتاء وإن أكل الثمر في كل وقت من أوقات العام وهو إتيان أكل وإن فارق النخل وإن فرضنا التشبيه بها على الإطلاق . # وهي إنما تؤتي في وقت دون وقت فالمعنى كشجرة لا تخل بما جعلت له من الإتيان بالكل في الأوقات المعلومة فكذلك هذا المؤمن لا يخل بما يسر له من الأعمال الصالحة أو الكلمة التي لا تعب بركتها والأعمال الصادرة عنها بل هي في حفظ النظام كالشجرة الطيبة في حفظ وقتها المعلوم . # وباقي الآية بين . # قال القاضي أبو محمد ومن قال الحين سنة راعى أن ثمر النخلة وجناها إنما يأتي كل سنة ومن قال سنة أشهر راعى من وقت جذاذ النخل إلى حملها من الوقت المقبل . # وقيل إن التشبيه وقع بالنخل الذي يثمر مرتين في العام ومن قال شهرين قال هي مدة الجنين في النخل . وكلهم أفتى بقوله في الإيمان على الحين . # وحكى الكسائي والفرغ أن في قراءة أبي بن كعب وضرب الله مثلاً كلمة خبيثة والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وما قاربها من كلام السوء في الظلم ونحوه . # و ^ الشجرة الخبيثة ^ قال أكثر المفسرين هي شجرة الحنظل قاله أنس بن مالك ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا عندي على جهة المثال . # وقال فرقة هي الثوم وقال الزجاج قيل هي الكشوت . # قال القاضي أبو محمد وعلى هذه الأقوال من الإعتراض أن هذه كلها من النجم وليست من الشجر والله تعالى إنما مثل بالشجرة فلا تسمى هذه شجرة إلا بتجاوز فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثوم والبصل من أكل من هذه الشجرة وأيضاً فإن هذه كلها ضعيفة وإن لم تجتث اللهم إلا أن تقول اجتثت بالخلقة . # وقال ابن عباس هذا مثل ضربه الله ولم يخلق هذه الشجرة على وجه الأرض . # والظاهر عندي أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة إذا وجدت فيها هذه الأوصاف . # فالخبث هو أن تكون كالعصاة أو كشجر السموم أو نحوها . # إذا اجتثت أي اقتلعت حيث جنتها بنزع الأصول وبقيت في غاية الوهاء والضعف لتقلبها أقل ربح . # فالكافر يرى أن بيده شيئاً وهو لا يستقر ولا يغني عنه كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد أو للجهل بها أنها شيء نافع وهي خبيثة الجنين غير باقية . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 27 - 30 \$

@ 337 # القول الثابت في الحياة الدنيا ^ كلمة الإخلاص والنجاة من النار لا إله إلا الله والإقرار بالنبوة . # وهذه الآية تعم العالم من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة وقال طاوس وقتادة وجمهور العلماء ^ الحياة الدنيا ^ هي مدة حياة الإنسان . # وفي الآخرة ^ هي وقت سؤاله في قبره . # وقال البراء بن عازب وجماعة ^ في الحياة الدنيا ^ هي وقت سؤاله في قبره ورواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم في لفظ متناول . # قال القاضي أبو محمد ووجه القول لأن ذلك في مدة وجود الدنيا . # وقوله ^ في الآخرة ^ هو يوم القيامة عند العرض . # قال القاضي أبو محمد والأول أحسن ورجحه الطبري . # و ^ الظالمين ^ في هذه الآية الكافرين بدليل أنه عادل بهم المؤمنين وعادل التثيبت بالإضلال وقوله ^ ويفعل الله ما يشاء ^ تقرير لهذا التقسيم المتقدم كأن امرأ

رأى التقسيم فطلب في نفسه علته فقبل له ^ ويفعل الله ما يشاء ^ بحق الملك . # وفي هذه الآية رد على القدرية . # وذكر الطبري في صفة مسائلة العبد في قبره أحاديث منها ما وقع في الصحيح . # وهي من عقائد الدين وأنكرت ذلك المعتزلة . # ولم تقل بأن العبد يسأل في قبره وجماعة السنة تقول إن الله يخلق له في قبره إدراكات وتحصيلا إما بحياة كالمعرفة وإما بحضور النفس وإن لم تلبس بالجسد كالعرف كل هذا جائز في قدرة الله تعالى غير أن في الأحاديث إنه يسمع خفق النعال ومنها إنه يرى الضوء كأن الشمس دنت للغروب وفيها إنه ليراجع وفيها فيعاد روحه إلى جسده وهذا كله يتضمن الحياة فسبحان رب هذه القدرة . # وقوله ^ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ^ الآية هذا تنبيه على مثال من ظالمين أضلوا والتقدير بدلوا شكر نعمة الله كفرا وهذا كقوله ^ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ^ . # و ^ نعمة الله ^ المشار إليها في هذه الآية هو محمد صلى الله عليه وسلم ودينه أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها وتبدلوا بها الكفر . # والمراد ب ^ الذين ^ كفرة قريش جملة هذا بحسب ما اشتهر من حالهم وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين . # وروي عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب أنها نزلت في الأفجرين من قريش بني مخزوم وبني أمية . # قال عمر فاما بنو المغيرة فكفوا يوم بدر . # وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين وقال ابن عباس هذه الآية في جيلة بن الأيهم . # قال القاضي أبو محمد ولم يرد ابن عباس أنها نزلت لأن نزول الآية قبل قصته وإنما أراد أنها تحصر من فعل جيلة إلى يوم القيامة .

@ 338 @ # وقوله ^ وأحلوا قومهم ^ أي من أطاعهم وكان معهم في التبديل فكان الإشارة والتعنيف إنما هي للرؤوس والأعلام و ^ البوار ^ الهلاك ومنه قول أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب # (يا رسول الملك إن لساني % فاتق ما رقت إذ أنا بور) # قاله الطبري وقال هو وغيره إنه يروى لابن الزبير ويحتمل أن يريد ب ^ البوار ^ الهلاك في الآخرة ففسره حينئذ بقوله ^ جهنم يصلونها ^ يحترقون في حرها ويحتملونه ويحتمل أن يريد ب ^ البوار ^ الهلاك في الدنيا بالقتل والخزي فتكون الدار قلب بدر ونحوه . # وقال عطاء نزلت هذه الآية في قتلى بدر . # قال القاضي أبو محمد فيكون قوله ^ جهنم ^ نصبا على حد قولك زيدا ضربته بإضمار فعل يقتضيه الظاهر . # و ^ القرار ^ موضع استقرار الإنسان و ^ أندا ^ جمع ند وهو المثل والمثبه المناوئ والمراد الأصنام . # واللام في قوله ^ ليضلوا ^ بضم الياء لام كي وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ليضلوا بفتح الياء أي هم أنفسهم فاللام على هذا لام عاقبة وصيرورة وقرأ الباقيون ليضلوا بضم الياء أي غيرهم . # وأمرهم بالتمتع هو وعيد وتهديد على حد قوله ^ اعملوا ما شئتم ^ وغيره . # قوله عز وجل \$ إبراهيم 31 - 34 \$ # العباد جمع عبد وعرفه في التكرمة بخلاف العبيد . # وقوله ^ يقيموا ^ قالت فرقة من النحويين جزمه بإضمار لام الأمر على حد قول الشاعر # (محمد تفد نفسك كل نفس %) + الوافر + # أنشده سيبويه إلا أنه قال إن هذا لا يجوز إلا في شعر . # وقالت فرقة أبو علي وغيره هو فعل مضارع بني لما كان في معنى فعل الأمر لأن المراد أقيموا وهذا كما بني الاسم المتمكن في النداء في قولك يا زيد لما شبه بقبل وبعد وقال سيبويه هو جواب شرط مقدر يتضمنه صدر الآية تقديره إن تقل لهم أقيموا يقيموا .

@ 339 @ # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يكون جواب الأمر الذي يعطينا معناه قوله ^ قل ^ وذلك أن يجعل ^ قل ^ في هذه الآية بمعنى بلغ واد الشريعة يقيموا الصلاة وهذا كله على أن المقول هو الأمر بالإقامة والإنفاق . # وقيل إن المقول هو الآية التي بعد أعني قوله ^ الله الذي خلق السماوات ^ . # والسر صدقة التنفل والعلاية المفروضة وهذا هو مقتضى الأحاديث وفسر ابن عباس هذه الآية بزكاة الأموال مجعلا وكذلك فسر الصلاة بأنها الخمس وهذا منه عندي تقرب للمخاطب . # و ^ خلال ^ مصدر من خال إذا واد وصافى ومنه الخلعة والخليل وقال امرؤ القيس # (صرفت الهوى عنهن من خشية الردى % ولست بمقلي الخلال ولا قال) + الطويل + # وقال الأخفش الخلال جمع خلة . # وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي وابن عامر لا بيع ولا خلال بالرفع على إلغاء لا وقرأ أبو عمرو والحسن وابن كثير لا بيع ولا خلال بالنصب على التبرية وقد تقدم هذا . # والمراد بهذا اليوم يوم القيامة . # وقوله تعالى ^ الله الذي خلق السماوات ^ الآية تذكير بآلاء الله وتنبيه على قدرته التي فيها إحسان إلى البشر لتقوم الحجة من جهتين . # و ^ الله ^ مبتدأ و ^ الذي ^ خبره . # ومن أخبر بهذه الجملة وتقرر في نفسه أمن وصلّى وأنفق . # و ^ السماوات ^ هي الأربعة السبعة والسماء في قوله ^ وأنزل من السماء ^ السحاب . # وقوله ^ من الثمرات ^ يجوز أن تكون ^ من ^ للتبويض فيكون المراد بعض جنى الأشجار ويسقط ما كان منها سما أو مجردا للمضرات ويجوز أن تكون ^ من ^ لبيان الجنس كأنه قال فأخرج به رزقا لكم من الثمرات وقال بعض الناس ^ من ^ زائدة وهذا لا يجوز عند سيبويه لكونها في الواجب ويجوز عند الأخفش . # و ^ الفلك ^ جمع فلك وقد تقدم القول فيه مرارا وقوله ^ بأمره ^ مصدر من أمر يأمر وهذا راجع إلى الكلام القائم بالذات كقول الله تعالى للبحار والأرض وسائر الأشياء كن عند الإيجاد إنما معناه كن بحال كذا وعلى وتيرة كذا وفي هذا يندرج جريان الفلك وغيره . # وفي تسخير الفلك ينطوي تسخير البحر وتسخير الرياح وأما تسخير الأنهار فتفجرها في كل بلد وانقيادها للسقي وسائر المنافع . # و ^ دائبين ^ معناه متمادين ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب الجمل الذي بكى وأجهش عليه إن هذا الجمل شكى إلي أنك تجعده وتديبه أي تديمه في الخدمة والعمل وظاهر الآية أن معناه دائبين في الطلوع والغروب وما بينهما من المنافع للناس التي لا تحصى كثرة . # وحكى الطبري عن مقاتل بن حيان يرفع إلى ابن عباس أنه قال معناه دائبين في طاعة الله وهذا قول إن كان يراد به أن الطاعة انقياد منهما في التسخير فذلك موجود في قوله ^ سخر ^ وإن كان يراد أنها طاعة مقصودة كطاعة العبادة من البشر فهذا جيد والله أعلم .

@ 340 @ # وقوله ^ وآتاكم ^ للجنس من البشر أي إن الإنسان بجملته قد أوتي من كل ما شأنه أن يسأل وينتفع به ولا يطرد هذا في واحد من الناس وإنما تفرقت هذه النعم في البشر فيقال بحسب هذا للجميع أوتيتم كذا على جهة التعديد للنعمة وقيل المعنى ^ وآتاكم من كل ما سألتموه ^ أن لو سألتموه . # قال القاضي أبو محمد وهذا قريب من الأول . # و ^ ما ^ في قوله ^ ما سألتموه ^ يصح أن تكون مصدرية ويكون الضمير في قوله ^ سألتموه ^ عائدا على الله تعالى ويصح أن يكون ^ ما ^ بمعنى الذي ويكون الضمير عائدا على الذي . # وقرأ الضحاك بن مزاحم من كل ما سألتموه بنتوين ^ كل ^ وهي قراءة الحسن وقتادة وسلام ورويت عن نافع المعنى وآتاكم من كل هذه المخلوقات المذكورات قبل . # ما من شأنه أن يسأل لمعنى الانتفاع به . # ف ^ ما ^ في قوله ^ ما سألتموه ^ مفعول ثان ب ^ آتاكم ^ وقال بعض الناس ^ ما ^ نافية على هذه القراءة أي أعطاكم من كل شيء لم يعرض له . # قال القاضي أبو محمد وهذا تفسير الضحاك . # وأما القراءة الأولى بإضافة ^ كل ^ إلى ^ ما ^ فلا بد من تقدير المفعول الثاني جزءا أو شيئا ونحو هذا . # وقوله ^ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ^ أي لكثرتها وعظمتها في الحواس والقوى والإيجاد بعد العدم والهداية للإيمان وغير ذلك . # وقال طلق بن حبيب إن حق الله تعالى أثقل من أن يقوم به العباد ونعمه أكثر من أن يحصيها العباد . # ولكن أصبحوا توابين وأمساوا توابين وقال أبو الدرداء ن لم ير نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه . # وقوله ^ إن الإنسان ^ يريد به النوع والجنس والمعنى توجد فيه هذه الخلال وهي الظلم والكفر فإن كانت هذه الخلال من جاد فهي بصفة وإن كانت من عاص فهي بصفة أخرى . # قوله عز وجل \$ سور إبراهيم 35 - 37 \$ # المعنى وأذكر إذ قال إبراهيم و ^ البلد ^ مكة و ^ أمنا ^ معناه فيه أمن فوصفه بالأمن تجوزا كما قال ^ في يوم عاصف ^ وكما قال الشاعر # (وما ليل المطي بنائم %)

@ 341 @ # واجنبي ^ معناه وامعني يقال جنبه كذا وجنبيه واجنبيه إذا منعه من الأمر وحماه منه . # وقرأ الجحدري والثقفى واجنبي بقطع الالف وكسر النون . # وأراد إبراهيم بني صلبه وكذلك أجيبت دعوته فيهم وأما باقي نسله فعبدوا الأصنام وهذا الدعاء من الخليل عليه السلام يقتضي إفراط خوفه على نفسه ومن حصل في رتبته فكيف يخاف أن يعبد صنما لكن هذه الآية ينبغي أن يقتدى بها في الخوف وطلب الخاتمة . # و ^ الأصنام ^ هي المنحوتة على خلقة البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر فهي أوثان قاله الطبري عن مجاهد . # ونسب إلى الأصنام أنها أضلت كثيرا من الناس تجوز إذ كانت عرضة الإضلال والأسباب المنصوبة للغبي وعليها تنشأ الأغيار وحقيقة الإضلال إنما هي لمخترعه وقيل أراد بالأصنام هنا الدنانير والدراهم . # وقوله ^ ومن عصاني ^

ظاهره بالكفر بمعادلة قوله ^ فمن تبني فإنه مني ^ وإذا كان ذلك كذلك فقولهُ ^ فإنك غفور رحيم ^ معناه بتوبتك على الكفرة حتى يؤمنوا لا أنه أراد أن الله يغفر لكافر لكنه حمله على هذه العبارة ما كان يأخذ نفسه به من القول الجميل والنطق الحسن وجميل الأدب صلى الله عليه وسلم قال قتادة اسمعوا قول الخليل صلى الله عليه وسلم والله ما كانوا طعانين ولا لعانين وكذلك قال نبي الله عيسى ^ وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ^ وأسند الطبري عن عبد الله بن عمر حديثاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم تلا هاتين الآيتين ثم دعا لأمته فبشر فيهم وكان إبراهيم التيمي يقول من يأمن على نفسه بعد خوف إبراهيم الخليل على نفسه من عبادة الأصنام . # وقوله ^ ومن ذريتي ^ يريد إسماعيل عليه السلام وذلك أن سارة لما غارت بهاجر بعد أن ولدت إسماعيل تعذب إبراهيم عليه السلام بهما فروي أنه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء في يوم واحد من الشام إلى بطن مكة فنزل وترك ابنه وأمته هنالك وركب منصرفاً من يومه ذلك وكان هذا كله بوحي من الله تعالى فلما ولي دعا بمضمن هذه الآية وأما كيفية بقاء هاجر وما صنعت وسائر خبر إسماعيل ففي كتاب البخاري والسير وغيره . # و ^ من ^ في قوله ^ ومن ذريتي ^ للتبويض لأن إسحاق كان بالشام والوادي ما بين الجبلين وليس من شروطه أن يكون فيه ماء . # وهذه الآية تقتضي أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم قد كان علم من الله تعالى أنه لا يضيع هاجر وابنها في ذلك الوادي وأنه يرزقهما الماء وإنما نظر النظر البعيد للعاقبة فقال ^ غير ذي زرع ^ ولو لم يعلم ذلك من الله لقال غير ذي ماء على ما كانت عليه حال الوادي عند ذلك . # وقوله ^ عند بيتك المحرم ^ إما أن يكون البيت قد كان قديماً على ما روي قبل الطوفان وكان علمه عند إبراهيم وإما أن يكون قالها لما كان قد أعلمه الله تعالى أنه سيبنى هنالك بيتاً لله تعالى فيكون

@ 342 @ محرماً . # ومعنى ^ المحرم ^ على الجابرة وأن تنتهك حرمة ويستخف بحقه قاله قتادة وغيره . # وجمعه الضمير في قوله ^ ليقيموا ^ يدل على أن الله قد أعلمه أن ذلك الطفل سيعقب هنالك ويكون له نسل . # واللام في قوله ^ ليقيموا ^ هي لام كي هذا هو الظاهر فيها على أنها متعلقة ب ^ أسكنت ^ والنداء اعتراض ويصح أن تكون لام أمر كان رغب إلى الله أن يوفقهم بإقامة الصلاة ثم ساق عبارة ملزمة لهم إقامة الصلاة وفي اللفظ على هذا التأويل بعض تجوز يربطه المعنى ويصلحه . # و ^ أفئدة ^ القلوب جمع فؤاد . # سمي بذلك لإنفاذه مأخوذ من فاد ومنه المفتاد وهو مستوفد النار حيث يشوي اللحم . # وقرأ ابن عامر بخلاف ^ فاجعل أفئدة ^ بياء بعد الهمزة . # وقوله ^ من الناس ^ تبويض ومراده المؤمنين قال مجاهد لو قال إبراهيم أفئدة الناس لازدحمت على البيت فارس والروم . # وقال سعيد بن جبير لحنه اليهود والنصارى . # و ^ تهوي ^ معناه تسير بجد وقصد مستعجل ومنه قول الشاعر أبو كبير # (وإذا رميت به الفجاج رأيتهم % يهوي مخارمها هوي الأجل) + الكامل + # ومنه البيت المروي # (تهوي إلى مكة تبغي الهدى % ما يؤمنو الجن كأنجاسها) + السريع + # وقرأ مسلمة بن عبد الله تهوي بضم التاء من أهوى وهو الفعل المذكور معدي بالهمزة وقرأ علي بن أبي طالب ومحمد بن علي ومجاهد تهوي بفتح التاء والواو . # وتعدي هذا الفعل وهو من الهوى لما كان مقترناً بسير وقصد . # وروي عن مسلم بن محمد الطائفي أنه لما دعا عليه السلام بان يرزق سكان مكة من الثمرات بعث الله جبريل فاقطع بجناحه قطعة من أرض فلسطين وقيل من الأردن فجاء بها وطاف حول البيت بها سبعا ووضعها قريب مكة فهي الطائف وبهذه القصة سميت وهي موضع تقيف وبها أشجار وثمرات وثم هي ركية . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 38 - 41 \$ # مقصد إبراهيم عليه السلام بقوله ^ ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ^ التنبيه على اختصاره في الدعاء وتقويضه إلى ما علم الله من رغبته وحرصه على هداية بنيه والرفق بهم وغير ذلك ثم أنصرف إلى

@ 343 @ الثناء على الله تعالى بأنه علام الغيوب وإلي حمده على هباته وهذه من الآيات المعلمة أن علم الله تعالى بالأشياء هو على التفصيل التام . # وروي في قوله ^ على الكبير ^ أنه لما ولد له إسماعيل وهو ابن مائة وسبعة عشر عاماً وروي أقل من هذا و ^ إسماعيل ^ أسن من ^ إسحاق ^ فيما روي وبحسب ترتيب هذه الآية وروي عن سعيد بن جبير أنه قال بشر إبراهيم وهو ابن مائة وسبعة عشر عاماً . # وقوله ^ رب اجعلني مقيم الصلاة ^ دعا إبراهيم عليه السلام في أمر كان مثابراً عليه متمسكاً به ومتى دعا الإنسان في مثل هذا فإنما القصد إدامة ذلك الأمر واستمراره . # وقرأ طلحة والأعمش دعاء ربنا بغير ياء . # وقرأ أبو عمرو وابن كثير دعائي بياء ساكنة في الوصل وأثبتها بعضهم دون الوقف في الوصل . # وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بغير ياء في وصل ولا وقف . # وروي ورش عن نافع إثبات الياء في الوصل وقرأت فرقة ولولادي واختلف في تأويل ذلك وقالت فرقة كان هذا من إبراهيم قبل يأسه من إيمان أبيه وتبينه أنه عدو لله فأراد أباه وأمه لأنها كانت مؤمنة وقيل أراد آدم ونوحاً عليهما السلام . # وقرأ سعيد بن جبير ولولادي بأفراد الأبد وحده وهذا يدخله ما تقدم من التأويلات وقرأ الزهري وإبراهيم النخعي ولولادي على أنه دعاء لإسماعيل وإسحاق وأنكرها عاصم الجحدري وقال إن في مصحف أبي بن كعب ولأبوي وقرأ يحيى بن يعمر ولولادي بضم الواو وسكون اللام والولد لغة في الولد ومنه قول الشاعر أنشد أبو علي وغيره # (فليت زيادا كان في بطن أمه % وليت زيادا كان ولد حمار) + الطويل + # ويحتمل أن يكون الولد جمع ولد كأسد في جمع أسد . # وقوله ^ يوم يقوم الحساب ^ معناه يوم يقوم الناس للحساب فأسند القيام للحساب إيجازاً إذ المعنى مفهوم . # قال القاضي أبو محمد ويتوجه أن يريد قيام الحساب نفسه ويكون القيام بمعنى ظهوره وتبليس العباد بين يدي الله به كما تقول قامت السوق وقامت الصلاة وقامت الحرب على ساق . # قوله عز وجل \$ 44 - هذه الآية بجملتها فيها وعيد للظالمين وتسلية للمظلومين والخطاب بقوله ^ تحسبن ^ لمحمد

@ 344 @ صلى الله عليه وسلم والمراد بالنهي غيره ممن يليق به أن يحسب مثل هذا . # وقرأ طلحة بن مصرف ولا تحسب الله غافلاً بإسقاط النون وكذلك ولا تحسب الله مخلف وعده وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن والأعرج نؤخرهم بنون العظمة . # وقرأ الجمهور يؤخرهم بياء أي الله تعالى . # و ^ تشخص ^ معناه تحد النظر لفرع ولفرط ذلك بشخص المحتضر والمهطع المسرع في منتهى قاله ابن جبير وقاتدة . # قال القاضي أبو محمد وذلك بذلة واستكانة كأسراع الأسير والخائف ونحوه وهذا هو أرجح الأقوال وقد توصف الإبل بالإهطاع على معنى الإسراع وقلما يكون إسراعها إلا مع خوف السوط ونحوه فمن ذلك قول الشاعر # (بمهطع سرج كان عنانه % في رأس جذع من أوام مشذب) + الكامل + # ومن ذلك قول عمران بن حطان # (إذا دعانا فأهطعنا لدعوته % داع سمع فلونا وساقونا) + البسيط + # ومنه قول ابن مفرغ # (بدجلة دارهم ولقد أراهم % بدجلة مهطعين إلى السماء) + الوافر + # ومن ذلك قول الآخر # (بمهطع رسل كان جديله % بقيدوم رعد من صوام منع) + الطويل + # وقال ابن عباس وأبو الضحى الإهطاع شدة النظر من غير أن يطرف وقال ابن زيد المهطع الذي لا يرفع رأسه . # قال أبو عبيدة وقد يكون الإهطاع الوجهن جميعاً الإسراع وإدامة النظر والمقنع هو الذي يرفع رأسه قدماً بوجهه نحو الشيء ومن ذلك قول الشاعر الشماخ # (يباكرن العضاء بمقنعات % نواجذهن كالأحداء الوقيع) + الوافر + # يصف الإبل بالإقناع عند رعيها أعالي الشجر . # وقال الحسن في تفسير هذه الآية وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد . # وذكر المبرد فيما حكى عن مكى أن الإقناع يوجد في كلام العرب بمعنى خفض الرأس من الذلة . # قال القاضي أبو محمد والأول أشهر . # وقوله ^ لا يرتد إليهم طرفهم ^ أي لا يظرفون من الحذر والجزع وشدة الحال وقوله ^ وأفئدتهم هواء ^ تشبيه محض لأنها ليست بهواء حقيقة وجهة التشبيه يحتمل أن تكون في فرغ الأفئدة من الخير والرجاء والطمع في الرحمة فهي منخرقة مشبهة الهواء في تفرغه من الأشياء وانخراقه ويحتمل أن يكون .

@ 345 @ في اضطراب أفئدتهم وجيشانها في صدورهم وأنها تحيء وتذهب وتبلغ على ما روي حناجرهم فهي في ذلك كالهواء الذي هو أبداً في اضطراب . # قال القاضي أبو محمد وعلى هاتين الجهتين يشبه قلب الجبان وقلب الرجل المضطرب في أموره بالهواء فمن ذلك قول الشاعر # (ولا تكن من أخدان كل يراعة % هواء كسقب الناب جوفاً مكاسره) + الطويل + # ومن ذلك قول حسان # (ألا أبلغ أبا سفيان عني % فأنت مجوف نخب هواء) + الوافر + # ومن ذلك قول زهير # (كأن الرجل منه فوق صعل % من الظلمان جوجوه هواء) + الوافر + # فالمعنى أنه في غاية الخفة في إجماله . # وقوله تعالى ^ وأنذر الناس ^ الآية المراد ب ^ يوم ^ يوم القيامة ونصبه على أنه مفعول ب ^ أنذر ^ ولا يجوز أن يكون ظرفاً لأن القيامة ليست بموطن إنذار وقوله ^ فيقول ^ رفع عطفاً

على قوله ^ يأتيهم ^ وقوله ^ ولم تكونوا ^ إلى آخر الآية معنا يقال لهم فحذف ذلك إيجازاً إذ المعنى يدل عليه وقوله ^ ما لكم من زوال ^ هو المقسم عليه نقل المعنى و ^ من زوال ^ معناه من الأرض بعد الموت . # أي لا بعث من القبور وهذه الآية ناطرة إلى ما حكى عنهم في قوله ^ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ^ . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 45 - 48 \$ يقول عز وجل ^ وسكنتم ^ أيها المعرضون عن آيات الله من جميع العالم ^ في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ^ بالكفر من الأمم السالفة فنزلت بهم المثلاث فكان نولكم الاعتبار والاعتاظ . # وقرأ الجمهور وتبين بناء . # وقرأ السلمي فيما حكى المهدي وبنين بنون عظيمة مضمومة وحزم على معنى أو لم يكونوا ^ قال أبو عمرو وقرأ أبو عبد الرحمن بضم النون ورفع النون الأخيرة .

@ 346 @ # وقوله ^ وعند الله مكرهم ^ هو على حذف مضاف تقديره وعند الله عقاب مكرهم أو جزاء مكرهم ويحتمل قوله تعالى ^ وقد مكرروا مكرهم ^ أن يكون خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم والضمير لمعاصريه ويحتمل أن يكون مما يقال للظلمة يوم القيامة والضمير للذين سكن في منازلهم . # وقرأ السبعة سوى الكسائي وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام من ^ لتزول ^ وفتح الأخيرة وهي قراءة علي بن أبي طالب وجماعة سكنوا وهذا على أن تكون إن نافية بمعنى ما ومعنى الآية تحقير مكرهم وأنه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوات وأقدار الله بها التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها هذا تأويل الحسن وجماعة من المفسرين وتحتمل عندي هذه القراءة أن تكون بمعنى تعظيم مكرهم أي وإن كان شديداً إنما يفعل لتذهب به عظام الأمور . # وقرأ الكسائي وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال بفتح اللام الأولى من ^ لتزول ^ وضم الأخيرة وهي قراءة ابن عباس ومجاهد وابن وثاب وهذا على أن تكون إن مخففة من الثقيلة ومعنى الآية تعظيم مكرهم وشدة أي أنه مما يشقى به وينزل الجبال عن مستقراتها لقوته ولكن الله تعالى أبطله ونصر أوليائه وهذا أشد في العبرة . # وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وعمر بن الخطاب وأبي بن كعب وإن كاد مكرهم ويترتب مع هذه القراءة في ^ لتزول ^ ما تقدم . # وذكر أبو حاتم أن في قراءة أبي بن كعب ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال . # وحكى الطبري عن بعض المفسرين أنهم جعلوا هذه الآية إشارة إلى ما فعل الأنسر حتى إذا علق الثابوت من الأنسر ورفع لها الجبال في أطراف الرماح بعد أن أجاجها ودخل هو وحاجبه في الثابوت فعلمت بهما الأنسر حتى قال له نمروود ماذا ترى قال أرى بحراً وجزيرة يريد الدنيا المعمورة ثم قال ماذا ترى قال أرى عماماً ولا أرى جبلاً فكان الجبال زالت عن نظر العين بهذا المكر وذكر ذلك عن علي بن أبي طالب . # وذلك عندي لا يصح عن علي رضي الله وفي هذه القصة كلها ضعف من طريق المعنى وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وصف وبعيد أن يعبر أحد بنفسه في مثل هذا . # وقوله ^ فلا تحسبن الله ^ الآية تثبت للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من أمته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ممن يحسب مثل هذا ولكن خرجت العبارة هكذا والمراد بما فيها من الزجر من شارك النبي صلى الله عليه وسلم في أن قصد تثبيته . # وقرأ جمهور الناس مخلف وعده بالإضافة رسله بالنصب وإضافة مخلف إلى الوعد إذ للإخلاف تعلق بالوعد على تجوز وإنما حقيقة تعلقه بالرسول وهذا نحو قول الشاعر # (ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه % وسائرته باد إلى الشمس أجمع) + الطويل + # وكقوله هذا معطي درهم زيدا . # وقرأت فرقة مخلف وعده رسله بنصب الوعد وخفض الرسل على الإضافة وهذه القراءة ذكرها الزجاج وضعفها وهي تحول بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهي كقول الشاعر # (فزجتها بمزجة % زح القلوص أبي مزادة) + مجزوء الكامل +

@ 347 @ # وأما إذا حيل في نحو هذا بالظرف فهو أشهر في الكلام كما قال الشاعر # (لله در اليوم من لامها %) # وقال آخر # (كما خط الكتاب بكف يوما % يهودي يقارب أو يزيل) + الوافر + # والمعنى لا تحسب يا محمد أنت ومن اعتبر بالأمر من أمتك وغيرهم أن الله لا ينجز ميعاده في نصره رسله وإظهارهم ومعاقبة من كفر بهم في الدنيا أو في الآخرة فإن الله عزيز لا يمتنع منه شيء ذو انتقام من الكفرة لا سبيل إلى عفوه عنهم . # وقوله ^ يوم تبدل الأرض ^ الآية ^ يوم ^ ظرف للانتقام المذكور قبله . # ورويت في تبديل الأرض أقوال منها في الصحيح أن الله يبديل هذه الأرض بأرض عفراء بيضاء كأنها قرصة نقي وفي الصحيح أن الله يبديلها خبزة يأكل المؤمنين منها من تحت قدميه . # وروي أنها تبدل أرضاً من فضة . # وروي أنها أرض كالفضة من بياضها . # وروي أنها تبدل من نار . # وقال بعض المفسرين تبديل الأرض هو نفس جبالها وتفجير بحارها وتغييرها حتى لا يرى فيها عوج ولا أمت فهذه حال غير الأولى وبهذا وقع التبديل . # قال القاضي أبو محمد وسمعت من أبي رضي الله عنه أنه روي أن التبديل يقع في الأرض ولكن يبديل لكل فريق بما تقتضيه حاله فالمؤمن يكون على خبز يأكل منه بحسب حاجته إليه وفريق يكون على فضة إن صح السند بها وفريق الكفرة يكونون على نار . # ونحو هذا مما كله واقع تحت قدرة الله تعالى . # وأكثر المفسرين على أن التبديل يكون بأرض بيضاء عفراء لم يعص الله فيها . # ولا سفك فيها دم وليس فيها معلم لأحد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمنون وقت التبديل في ظل العرش وروي عنه أنه قال الناس وقت التبديل على الصراط وروي أنه قال الناس حينئذ أضياف الله فلا يعجزهم ما لديه . # و ^ برزوا ^ مأخوذ من البراز أي ظهروا بين يديه لا يوارهم بناء ولا حصن . # وقوله ^ الواحد القهار ^ صفتان لائقتان بذكر هذه الحال . # قوله عز وجل \$ سورة إبراهيم 49 - 52 \$ ^ المحرمين ^ هم الكفار و ^ مقرنين ^ مربوطين في قرن وهو الحبل الذي تشد به رؤوس الإبل والبقر ومنه قول الشاعر # (وابن اللبون إذا ما لز في قرن % لم يستطع صولة البزل القناعيس) + البسيط +

@ 348 @ # و ^ الأصفاذ ^ الأغلال واحدها صفاذ يقال صفاذ وأصفاذ وصفده إذا غلله والاسم الصفاذ ومنه قول سلامة بن جندل # (وزيد الخيل قد لاقى صفاذا % بعض يساعد ويعظم ساق) + الوافر + # وكذلك يقال في العطاء والصدف العطاء ومنه قول النابغة . # (فلم أعرض أبيت اللعن بالصدف %) # والسراويل القمص والفطران هو الذي تهنا به الإبل وللنار فيه اشتعال شديد فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه ويقال فطران بفتح القاف وكسر الطاء ويقال فطران بكسر القاف وسكون الطاء ويقال فطران بفتح القاف وسكون الطاء . # وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن بخلاف وابن عباس وأبو هريرة وعلقمة وسنان بن سلمة وعكرمة وابن سيرين وابن جبير والكلبي وقتادة وعمرو بن عبيد من قطر أن والقطر القصدير وقيل النحاس . # وروي عن عمر أنه قال ليس بالقطران ولكنه النحاس يسر بلونه . # وإن وهو الطائب الحار الذي قد تناهى حره قال الحسن قد سعرت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره . # وقال ابن عباس المعنى أنى أن يعذبوا به . # وقرأ جمهور الناس وجوههم بالنصب النار بالرفع . # وقرأ ابن مسعود وجوههم بالرفع . # النار بالنصب . # فالأولى على نحو قوله ^ والليل إذا يغشى ^ فهي حقيقة الغشيان والثانية على نحو قول الشاعر # (يغشون حتى ما تهر كلابهم % لا يسألون عن السواد المقبل) + الكامل + # فهي بتجوز في الغشيان كأن ورود الوجوه على النار غشيان . # وقوله ^ ليجزي ^ أي لكي يجزي واللام متعلقة بفعل مضمرة تقديره فعل هذا وأنفذ هذا العقاب على المجرمين ليكون في ذلك جزاء المسيء على إساءته . # وجاء من لفظة الكسب بما يعم المسيء والمحسن لينبه على أن المحسن أيضاً يجازي بإحسانه خيراً . # وقوله ^ سريع الحساب ^ أي فاصله بين خلقه بالإحاطة التي له بدقيق أمرهم وجليها . # إله غيره وقيل لعلي بن أبي طالب كيف يحاسب الله العباد في وقت واحد مع كثرتهم قال كما يرزقهم في وقت واحد . # وقوله ^ هذا بلاغ للناس ^ الآية إشارة إلى القرآن والوعيد الذي يتضمنه ووصفه بالمصدر في قوله ^ بلاغ ^ والمعنى هذا البلاغ للناس وهو ليندروا به . # وقرأ جمهور الناس وليندروا بالبلاء وفتح الذال على بناء الفعل للمفعول . # وقرأ يحيى بن عمارة وأحمد بن يزيد بن أسيد ليندروا به بفتح الياء والذال كقول العرب نذرت بالشيء إذا أشعرت وتحزرت منه وأعددت وروي أن قوله ^ وليذكروا أولو الألباب ^ نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

@ 349 @ \$ بسم الله الرحمن الرحيم \$ سورة الحجر \$ بسم الله الرحمن الرحيم هذه السورة مكية . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 1 - 5 \$ # تقدم القول في الحروف المقطعة في أوائل السور . # و ^ تلك ^ يمكن أن تكون إشارة إلى حروف المعجم بحسب بعض الأقوال ويمكن أن تكون إشارة إلى الحكم والعبير ونحوها التي تضمنتها آيات التوراة والإنجيل وعطف القرآن عليه . # قال

مجاهد وقتادة ^ الكتاب ^ في الآية ما نزل من الكتب قبل القرآن ويحتمل أن يريد ب ^ الكتاب ^ القرآن ثم تعطف الصفة عليه . #
وقرأ نافع وعاصم ربما بتخفيف الباء . # وقرأ الباقر بن بشدها إلا أن أبا عمرو قرأها على الوجهين وهما لغتان وروي عن عاصم ربما
بضم الراء والباء مخففة وقرأ طلحة بن مصرف رتبما بزيادة تاء وهي لغة . # و ^ ربما ^ للتقليل وقد تجيء شاذة للتكثير وقال قوم
إن هذه من ذلك ومنه رب رقد هرقته . # ومنه # (رب كأس هرقته يا ابن لؤي %) # وأنكر الزجاج أن تجيء رب للتكثير . # وما التي
تدخل عليها رب قد تكون اسما نكرة بمنزلة شيء وذلك إذا كان في الضمير عائد عليه كقول الشاعر # (ربما تكره النفوس من الأمر
% له فرجة كحل العقال) + الخفيف + وقد تكون حرفا كافا لرب وموطئا لها لتدخل على الفعل إذ ليس من
شأنها أن تدخل إلا على الأسماء وذلك إذا لم يكن ثم ضمير عائد كقول الشاعر جذيمة الأبرش # (ربما أوفيت في علم % ترفعن
ثوبي شمالات) + المديد + # قال القاضي أبو محمد وكذلك دخلت ما على من كافة في نحو قوله وكان الرسول صلى الله عليه
وسلم مما يحرك شفتيه . # ونحو قول الشاعر # (وأنا لهما نصرب الكيش ضربة % على رأسه تلقي اللسان من الفم) + الطويل +

@ 350 # قال الكسائي والقراء الباب في ربما أن تدخل على الفعل الماضي ودخلت هنا على المستقبل إذ هذه الأفعال
المستقبلة من كلام الله تعالى لما كانت صادقة حاصلة ولا بد جرت مجرى الماضي الواقع . # قال القاضي أبو محمد وقد تدخل رب
على الماضي الذي يراد به الاستقبال وتدخل على العكس . # والظاهر في ^ ربما ^ في هذه الآية أن ما حرف كاف هكذا قال أبو علي
قال ويحتمل أن تكون اسما ويكون في ^ بود ^ ضمير عائد عليه التقدير رب ود أو شيء يوده ^ الذين كفروا لو كانوا مسلمين . #
قال القاضي أبو محمد ويكون لو كانوا مسلمين ^ بدلا من ما . # وقالت فرقة تقدير الآية ربما كان يود الذين كفروا . # قال أبو علي
وهذا لا يجيزه سيوبه لأن كان لا تضمير عنده . # واختلف المتأولون في الوقت الذي يود فيه الكفار أن لو كانوا مسلمين فقالت فرقة
هو عند معاينة الموت في الدنيا حتى ذلك الضحاك وفيه نظر لأنه لا يقين للكافر حينئذ بحسن حال المسلمين وقالت فرقة هو عند
معاينة أهوال يوم القيامة قاله مجاهد وهذا بين لأن حسن حال المسلمين ظاهر فتود وقال ابن عباس وأنس بن مالك هو عند دخولهم
النار ومعرفتهم بدخول المؤمنين الجنة واحتج لهذا القول بحديث روي في هذا من طريق أبي موسى الأشعري وهو أن الله إذا أدخل
عصاة المسلمين النار نظر إليهم الكفار فقالوا ليس هؤلاء من المسلمين فماذا أغنت عنهم لا إله إلا الله قال فيغضب الله تعالى
لقولهم فيقول أخرجوا من النار كل مسلم . # قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ يود الذين كفروا أن لو كانوا مسلمين . #
قال القاضي أبو محمد ومن العبر في هذه الآية حديث الواصي الذي في صدر ذيل الأمالي ومقتضاه أنه ارتد ونسي القرآن إلا هذه
الآية . # وقوله ^ ذرهم يأكلوا ^ الآية وعيد وتهديد وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف . # وقوله ^ فسوف يعلمون ^ وعيد ثان
وحكى الطبري عن بعض العلماء أنه قال الأول في الدنيا والثاني في الآخرة فكيف تطيب حياة بين هذين الوعدين # ومعنى قوله ^
ويلهمهم ^ أي يشغلهم أمهم في الدنيا والتزبد منها عن النظر والإيمان بالله ورسوله . # ومعنى قوله ^ وما أهلكتنا من قرية ^ الآية أي
لا تستيطن هلاكهم فليس قرية مهلكة إلا بأجل وكتاب معلوم محدود . # والواو في قوله ^ ولها ^ هي واو الحال . # وقرأ ابن أبي
عيلة إلا لها بغير واو . # وقال منذر بن سعيد هذه الواو هي التي تعطي أن الحالة التي بعدها في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة
التي قبل الواو منه قوله ^ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ^ وباقي الآية بين .

@ 351 # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 6 - 11 # الضمير في ^ قالوا ^ يراد به كفار قريش . # وبروي أن الفاتلين كانوا عبد الله
بن أبي أمية والنضر بن الحارث وأشباههما . # وقرأ الأعمش يا أيها الذي ألقى إليه الذكر . # وقولهم ^ يا أيها الذي نزل عليه الذكر ^
كلام على جهة الاستخفاف أي بزعمك ودعواك وهذه المخاطبة كما تقول لرجل جاهل أراد أن يتكلم فيما لا يحسن يا أيها العالم لا
تحسن تتوصا . # و ^ لو ما ^ بمعنى لولا فتكون تخصيصا كما في هذه الآية وقد تكون دالة على امتناع الشيء لوجود غيره كما قال
ابن مقبل # (لو ما الحياء ولو ما الدين عبتكما % بعض ما فيكما إذ عبتما عوري) + البسيط + # وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن
عامر ما تنزل الملائكة بفتح التاء والرفع وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ما تنزل بضم التاء والرفع وهي قراءة يحيى بن وثاب وقرأ
حمزة والكسائي وحفص ما تنزل بنون العظمة الملائكة بالنصب وهي قراءة طلحة بن مصرف . # وقوله ^ إلا بالحق ^ قال مجاهد
المعنى بالرسالة والعذاب . # قال القاضي أبو محمد والظاهر أن معناه كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي رآها الله لعباده لا
على اقتراح كافر ولا باختيار معترض . # ثم ذكر عادة الله في الأمم من أنه لم يأتهم بآية اقتراح إلا ومعها العذاب في إثرها إن لم
يؤمنوا . # فكان الكلام ما تنزل الملائكة إلا بحق وواجب لا باقتراحكم وأيضا فلو نزلت لم تنتظروا بعد ذلك بالعذاب أي تؤخروا
والنظرة التأخير المعنى فهذا لا يكون إذ كان في علم الله أن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن . # وقوله تعالى ^ إنا نحن نزلنا الذكر ^
رد على المستخفين في قولهم ^ يا أيها الذي نزل عليه الذكر ^ . # وهذا كما يقول لك رجل على جهة الاستخفاف يا عظيم القدر
فتقول له على جهة الرد والنحو نعم أنا عظيم القدر . # ثم تأخذ في قولك فتأمل . # وقوله ^ وأنا له لحافظون ^ قالت فرقة الضمير
في ^ له ^ عائد على محمد صلى الله عليه وسلم

@ 352 # أي يحفظه من أذاكم ويحوطه من مكرهم وغيره ذكر الطبري هذا القول ولم ينسبه وفي ضمن هذه العدة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أظهر الله به الشرع وجران أجله . # وقالت فرقة وهي الأكثر الضمير في ^ له ^ عائد على القرآن وقاله
مجاهد وقتادة والمعنى ^ لحافظون ^ من أن يبدل أو يغير كما جرى في سائر الكتب المنزلة وفي آخر ورقة من البخاري عن ابن
عباس . # أن التبديل فيها إنما كان في التأويل وأما في اللفظ فلا وظاهر آيات القرآن أنهم بدلوا اللفظ ووضع اليد في آية الرجم هو
في معنى تبديل الألفاظ . # وقيل ^ لحافظون ^ باختراجه في صدور الرجال . # قال القاضي أبو محمد والمعنى متقارب وقال قتادة
هذه الآية نحو قوله تعالى ^ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ^ . # قال القاضي أبو محمد وقوله تعالى ^ ولقد أرسلنا من
قبلك ^ الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وعرض أسوة أي لا يضيق صدرك يا محمد بما يفعله قومك من الاستهزاء في قولهم ^
يا أيها الذي نزل عليه الذكر ^ وغير ذلك فقد تقدم منا إرسال الرسل في شيع الأولين وكان تلك سيرتهم في الاستهزاء بالرسول . # و
^ شيع ^ جمع شيعية وهي الفرقة التابعة لرأس ما مذهب أو رجل أو نحوه وهي مأخوذة من قولهم شيعت النار إذا استدمت وقدها
بخطب أو غيره فكان الشيعة تصل أمر رأسها وتظهر وتمده بمعونة . # وقوله ^ أرسلنا ^ يقتضي رسلا ثم أوجز باختصار ذكرهم لدلالة
الظاهر من القول على ذلك . # وقوله عز وجل \$ سورة الحجر 12 - 15 # يحتمل أن يكون الضمير في ^ نسله ^ يعود على
الاستهزاء والشرك ونحوه وهو قول الحسن وقتادة وابن جرير وابن زيد ويكون الضمير في ^ به ^ يعود أيضا على ذلك بعينه وتكون
باء السبب أي لا يؤمنون بسبب شركهم واستهزائهم ويكون قوله ^ لا يؤمنون به ^ في موضع الحال . # ويحتمل أن يكون الضمير في
^ نسله ^ عائدا على الذكر المحفوظ المتقدم الذكر وهو القرآن أي مكذبا به مردودا مستهزا به ندخله في قلوب المجرمين ويكون
الضمير في ^ به ^ عائدا عليه أيضا أي لا يصدقون به . # ويحتمل أن يكون الضمير في ^ نسله ^ عائدا على الاستهزاء والشرك
والضمير في ^ به ^ يعود على القرآن فيختلف على هذا عود الضميرين . # والمعنى في ذلك كله ينظر بعضه إلى بعض . # و ^ نسله
معناه ندخله يقال سلكت الرجل في الأمر أي أدخلته فيه ومن هذا قول الشاعر عدي بن زيد

@ 353 # (وكنت لراز خصمك لم أعرد % وقد سلوك في يوم عصب) + الوافر + # ومنه قول الآخر عبد مناف بن ريع الهذلي
(حتى إذا سلوكهم في فتايدة % شلاكما تطرد الجمالة الشردا) + البسيط + + البسيط + # ومنه قول أبي وجزة يصف حمر وحش
(حتى سلكن الشوى منهن في مسك % من نسل جوابة الأفاق مهداج) + البسيط + # قال الزجاج ويقرأ نسله بضم النون وكسر
اللام و ^ المجرمين ^ في هذه الآية يراد بهم كفار قريش ومعاصري محمد صلى الله عليه وسلم . # وقوله ^ لا يؤمنون به ^ عموم
معناه الخصوص فيمن حتم عليه وقوله ^ وقد خلت سنة الأولين ^ أي على هذه الوتيرة . # وتقول سلكت الرجل في الأمر وأسلكته
بمعنى واحد . # وبروي حتى إذا أسلوكهم في فتايدة البيت . # وقوله ^ ولو فتحنا عليهم ^ الضمير في ^ عليهم ^ عائد على قريش
وكفرة العصر المحتوم عليهم . # والضمير في قوله ^ فطلوا ^ يحتمل أن يعود عليهم هو أبلغ في إصرارهم وهذا تأويل الحسن و ^

يعرجون ^ معنا يصعدون . # وقرأ الأعمش وأبو حيوة يعرجون بكسر الراء والمعارج الأدرج ومنه المعراج ومنه قول كثير # (إلى حسب عود بني المرء قبله % أبوه له فيه معارج سلم) + الطويل + # ويحتمل أن يعود على ^ الملائكة ^ لقولهم ^ لو ما تأتينا بالملائكة ^ فقال الله تعالى ولو رأوا الملائكة يصعدون ويتصرفون في باب مفتوح في السماء لما آمنوا وهذا تأويل ابن عباس . # وقرأ السبعة سوى ابن كثير سكرت بضم السين وشد الكاف وقرأ ابن كثير وحده بتخفيف الكاف وهي قراءة مجاهد . # وقرأ ابن الزهري بفتح السين وتخفيف الكاف على بناء الفعل لفاعل . # وقرأ أبان بن تغلب سحرت أبصارنا وبجيء قوله ^ بل نحن قوم مسحورون ^ انتقالاً إلى درجة عظمى من سحر العقل والجملة . # وتقول العرب سكرت الريح تسكر سكورا إذا ركزت ولم تنفذ لما كانت بسبيله أولاً وتقول سكر الرجل من الشراب سكرًا إذا تغيرت حاله وركد ولم ينفذ فيما للإنسان أن ينفذ فيه ومن هذا المعنى سكران لا يبيت أي لا يقطع أمراً وتقول العرب سكرت الفتق في مجاري الماء سكرًا إذا طمسته وصرفت الماء عنه فلم ينفذ لوجهه . # قال القاضي أبو محمد فهذه اللفظة سكرت بشد الكاف إذا كانت من سكر الشراب أو من

@ 354 @ سكور الريح فهي فعل عدي بالتضعيف وإن كانت من سكر مجاري الماء فتضعفها للمبالغة لا للتعدية لأن المخفف من فعله متعد . # ورجح أبو حاتم هذه القراءة لأن الأبخار جمع والتثقيف مع الجمع أمثل كما قال ^ مفتحة لهم الأبواب ^ ومن قرأ سكرت بضم السين وتخفيف الكاف فإن كانت اللفظة من سكر الماء فهو فعل متعد وإن كانت من سكر الشراب أو من سكور الريح فيضمنا أن الفعل بني للمفعول إلى أن تنزله متعدياً ويكون هذا الفعل من قبيل رجح زيد ورجحه غيره وغارت العين وغارها الرجل فتقول على هذا سكر الرجل وسكره غيره وسكرت الريح وسكرها شيء غيرها . # ومعنى هذه المقالة منهم أي غيرت أبصارنا عما كانت عليه فهي لا تنفذ وتعطينا حقائق الأشياء كما كانت تفعل . # قال القاضي أبو محمد وعبر بعض المفسرين عن هذه اللفظة بقوله غشي على أبصارنا وقال بعضهم عميت أبصارنا وهذا ونحوه تفسير بالمعنى لا يرتبط باللفظ . # ولقال أيضاً هؤلاء المصورون عروج الملائكة أو عروج أنفسهم بعد قولهم ^ سكرت أبصارنا ^ بل سحرنا حتى ما نعمل الأشياء كما يجب أي صرف فينا السحر . # قوله عز وجل \$ سور الحجر 16 - 21 \$ لما ذكر تعالى أنهم لو رأوا الآية المذكورة في السماء لعاندوا فيها عقب ذلك بهذه الآية فكانه قال وإن في السماء لعبرا منصوبة غير هذه المذكورة وكفرهم بها وإعراضهم عنها إصرار منهم وعتو . # والبروج المنازل واحدها برج وسمي بذلك لظهوره ووضوحه ومنه تبحر المرأة ظهورها وبدوها والعرب تقول برج الشيء إذا طهر وارتفع . # وحفظ السماء هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الأحاديث الصحاح . # قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشياطين تقرب من السماء أفواجا قال فينفرد المارد منها فيعلو فيسمع فيرمى بالشهاب . # فيقول لأصحابه وهو يلتهب إنه من الأمر كذا وكذا فيزيد الشياطين في ذلك ويلقون إلى الكهنة فيزيدون مع الكلمة مائة ونحو هذا الحديث . # وقال ابن عباس إن الشهب تجرح وتؤذي ولا تقتل وقال الحسن تقتل . # قال القاضي أبو محمد وفي الأحاديث ما يدل على أن الرجم كان في الجاهلية ولكنه اشتد في وقت

@ 355 @ الإسلام وحفظ السماء حفظاً تاماً . # وقال الزجاج لم يكن إلا بعد النبي صلى الله عليه وسلم دليل أن الشعراء لم يشبهوا به في السرعة إلا بعد الإسلام . # وذكر الزهراوي عن أبي رعاء العطاردي أنه قال كنا لا نرى الرجم بالنجوم قبل الإسلام . # و ^ رجم ^ فعيل بمعنى مفعول . # فإما من رجم الشهب وإما من الرجم الذي هو الشتم والذم . # ويقال تبعث الرجل واتبعته بمعنى واحد . # و ^ إلا ^ بمعنى لكن . # قال القاضي أبو محمد هذا قول والظاهر أن الاستثناء من الحفظ وقال محمد بن يحيى عن أبيه ^ إلا من استرق السمع ^ فإنها لم تحفظ منه ذكره الزهراوي . # وقوله تعالى ^ والأرض مددناها ^ روي في الحديث أن الأرض كانت تتكأ بأهلها كما تتكأ السفينة فثبتها الله بالجبال . # يقال رسا الشيء يرسو إذا رسخ وثبت . # وقوله ^ موزون ^ قال الجمهور معناه مقدر محرر يقصد وإرادة فالوزن على هذا مستعار . # وقال ابن زيد المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والفضة والفلز كله وغير ذلك مما يوزن . # قال القاضي أبو محمد الأول أعم وأحسن . # و ^ معايش ^ جمع معيشة . # وقرأها الأعمش بالهمز وكذلك روي خارجة عن نافع . # والوجه ترك الهمز لأن أصل باء معيشة الحركة . # فيردها إلى الأصل الجمع بخلاف مدينة ومدائن . # وقوله ^ ومن لستم له برازقين ^ يحتمل أن تكون ^ من ^ في موضع نصب وذلك على ثلاثة أوجه . # أحدها أن يكون عطفاً على ^ معايش ^ كأن الله تعالى عدد النعم في المعايش وهي ما يؤكل ويلبس ثم عدد النعم في الحيوان والعيبد والصناع وغير ذلك مما ينتفع به الناس وليس عليهم رزقهم . # والوجه الثاني أن تكون ^ من ^ معطوفة على موضع الضمير في ^ لكم ^ وذلك أن التقدير وأنعشناكم وأنعشنا أما غيركم من الحيوان . # فكان الآية على هذا فيها اعتبار وعرض آية . # والوجه الثالث أن تكون ^ من ^ منصوبة بفعل مضمر يقتضيه الظاهر تقديره وأنعشنا من لستم له برازقين . # ويحتمل أن تكون ^ من ^ في موضع خفض عطفاً على الضمير في ^ لكم ^ وهذا قلق في النحو لأن العطف على الضمير المحرور وفيه قبح فكانه قال ولمن لستم له برازقين وأنتم تنتفعون به . # وقوله ^ وإن من شيء ^ قال ابن جريح وهو المطر خاصة . # قال القاضي أبو محمد وينبغي أن تكون أعم من هذا في كثير من المخلوقات . # والخزائن المواضع الحاوية وظاهر هذا أن الماء والريح ونحو ذلك موجود مخلوق وهو ظاهر في قولهم في الريح عنت على الخزان وانفتح منها قدر حلقة الخاتم ولو كان قدر منخر الثور لأهلك الأرض إلى غير هذا من الشواهد . # وذهب قوم إلى أن كونها في القدرة هو خزنها فإذا شاء الله أوجدها .

@ 356 @ قال القاضي أبو محمد وهذا أيضاً ظاهر في أشياء كثيرة . # وهو لازم في الأعراض إذا عمنا لفظة ^ شيء ^ وكيفما كان الأمر فالقدرة تسعه وتتقنه . # وقوله ^ ننزله ^ ما كان من المطر ونحوه . # فالإنزال فيه متمكن وما كان من غير ذلك فإيجاده والتمكين من الانتفاع به إنزال على تجوز . # وقرأ الأعمش وما نرسله . # وقوله ^ بقدر معلوم ^ روي فيه عن ابن مسعود وغيره أنه ليس عام أكثر مطراً من عام ولكن الله تعالى ينزله في مواضع دون مواضع . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 22 - 27 \$ يقال لفحت الناقة والشجرة فهي لافحة إذا حملت والرياح تلعج الشجر والسحاب فالوجه في الريح أنها ملقحة لا لافحة وتتجه صفة ^ الرياح ^ ب ^ لواقح ^ على أربعة أوجه . # أولها وأولها أن نجعلها لافحة حقيقة وذلك أن الرياح منها ما فيها عذاب أو حر ونار ومنها ما فيه رحمة ومطر أو نصر أو غير ذلك فإذا بها تحمل ما حملتها القدرة أو ما علقته من الهواء أو التراب أو الماء الذي مرت عليه فهي لافحة بهذا الوجه وإن كانت أيضاً تلعج غيرها وتصير إليه نفعها والعرب تسمي الجنوب الحامل واللاقحة وتسمي الشمال الحائل والعقيم ومحوة لأنها تمحو السحاب . # وروي أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الريح الجنوب من الجنة وهي اللواقح التي ذكر الله وفيها منافع للناس ومن هذا قول الطرماح . # (قلق لا فبان الرياح % للاقح منها وحائل) # ومن قول أبي وجزة # (من نسل جوابة الأفاق %) # فجعلها حاملاً تنسل . # قال القاضي أبو محمد ويخرج هذا على أنها ملقحة فلا حجة فيه . # والثاني أن يكون وصفها ب ^ لواقح ^ من باب قولهم ليل نائم أي فيه نوم ومعه ويوم عاصف ونحوه فهذا على طريق المجاز .

@ 357 @ # والثالث أن توصف الرياح ب ^ لواقح ^ على جهة النسب ذات أي لقع كقول النابغة # (كليني لهم يا أميمة ناصب %) # أي ذي نصب . # والرابع أن تكون ^ لواقح ^ جمع ملقحة على حذف زوائده فكانه لقعقة فجمعها كما تجمع لاقحة ومثله قول الشاعر سيبويه # (ليك يزيد ضارع لخصومة % وأشعث ممن طوحته الطوائج) + الطويل + # وإنما طوحته المطاوح وعلى هذا النحو فسرها أو عبدة في قوله ^ لواقح ^ ملاقح وكذلك العبارة عنها في كتاب البخاري لواقح ملاقح ملقحة . # وقرأ الجمهور الرياح بالجمع وقرأ الكوفيون حمزة وطلحة بن مصرف والأعمش ويحيى بن وثاب الريح بالإفراد وهي للجنس فهي في معنى الجمع ومثلها الطبري بقولهم قميص أخلاق وأرض أفعال . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله من حيث هو أجزاء كثيرة تجمع صفة كذلك ربح لواقح لأنها متفرقة الهبوب وكذلك دار بلاقع أي كل موضع منها بلقع . # وقال الأعمش إن في قراءة عبد الله وأرسلنا الرياح يلقحن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الريح من نفس الرحمن) ومعنى الإضافة هنا هي من إضافة خلق إلى خالق كما قال ^ من روحي ^ ومعنى نفس الرحمن أي من تنفيسه وإزالته الكرائب والشدائد . # فمن التنفيس بالريح النصر بالصبا وذرو الأرزاق بها وما لها من الخدمة في الأرزاق وجلب الأمطار وغير ذلك مما يكثر عده . # ولقد حدثت أن ابن أبي قحافة رحمه الله فسر هذا الحديث بنحو

هذا وأشد في تفسيره # (فإن الصبا ربح إذا ما تنسمت % على نفس محزون تجلت همومها) + الطويل + # وهذا من جملة التنفيس والعرب تقول أسقى وسقى بمعنى واحد وقال لبيد # (سقى قومي بني مجد وأسقى % تميرا والقبائل من هلال) + الوافر + # فجاء باللغتين وقال أبو عبيدة أما إذا كان من سقى الشفة خاصة فلا يقال إلا سقى وأما إذا كان لسقى الأرض والثمار وجملة الأشياء فيقال أسقى وأما الداعي لأرض أو غيرها بالسقى فإنما يقال فيه أسقى ومنه قول ذي الرمة # (وقفت على رسم لمية ناقتي % فما زلت أبكي عنده وأخطبه) # (وأسقيه حتى كاد مما أبته % تكلمني أحجاره وملاعبه) + الطويل + # قال القاضي أبو محمد على أن بيت لبيد دعاء وفيه اللغتان . # وقوله تعالى ^ وإنا لنحن نحيي ونميت ^ الآيات هذه الآيات مع الآيات التي قبلها تضمنت العبرة والدلالة على قدرة الله تعالى وما يوجب توحيده وعبادته فمعنى هذه وإنا لنحن نحيي ونميت من نشاء وإخراجها

@ 358 @ من العدم إلى وجود الحياة وبرده عند البعث من مرقد ميتا ونميت بإزالة الحياة عمن كان حيا ^ ونحن الوارثون ^ أي لا يبقى شيء سوانا وكل شيء هالك إلا وجهه لا رب غيره . # ثم أخبر تعالى بإحاطة علمه بمن تقدم من الأمم وبمن تأخر في الزمن من لدن أهبط آدم إلى الأرض إلى يوم القيامة وأعلم أنه هو الجاشع لهم الجامع لعرض القيامة على تبعدهم في الأزمان والأقطار وأن حكمته وعلمه ياتيان بهذا كله على أتم غاياته التي قدرها وأرادها . # وقرأ الأعرج بحشرهم بكسر الشين . # قال القاضي أبو محمد بهذا سياق معنى الآية وهو قول جمهور المفسرين . # وقال الحسن معنى قوله ^ ولقد علمنا المستقدمين ^ أي في الطاعة والبدار إلى الإيمان والخيرات و ^ المستأخرين ^ بالمعاصي . # قال القاضي أبو محمد وإن كان اللفظ يتناول كل تقدم وتأخر على جميع وجوهه فليس يطرد سياق معنى الآية إلا كما قدمنا وقال ابن عباس ومروان بن الحكم وأبو الجوزاء نزل قوله ^ ولقد علمنا ^ الآية في قوم كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تصلي وراءه امرأة جميلة فكان بعض القوم يتقدم في الصفوف لئلا تفتنه وكان بعضهم يتأخر ليسرق النظر إليها في الصلاة فنزلت الآية فيهم . # قال القاضي أبو محمد وما تقدم الآية من قوله ^ ونحن الوارثون ^ وما تأخر من قوله ^ وإن ربك يحشرهم ^ يضعف هذه التاويلات لأنها تذهب اتصال المعنى وقد ذكر ذلك محمد بن كعب القرظي لعون بن عبد الله . # وقوله تعالى ^ ولقد خلقنا الإنسان ^ الآية ^ الإنسان ^ هنا للجنس والمراد آدم قال ابن عباس سمي بذلك لأنه عهد إليه فنسي ودخل من بعده من ذلك إذ هو من نسله . # والصلصال الطين الذي إذا جف صلصل هذا قول فرقة منها من قال هو طين الخزف ومنها قول الفراء هو الطين الحريخالطه رمل دقيق . # وقال ابن عباس خلق من ثلاثة من طين لازب وهو اللازق والجيد ومن ^ صلصال ^ وهو الأرض الطيبة يقع عليها الماء ثم ينحسر فتشقق وتصير مثل الخزف ومن ^ حمأ مسنون ^ وهو الطين في الحماة . # قال القاضي أبو محمد وكان الوجه أن يقال على هذا المعنى صلال ولكن ضوعف الفعل من قائه وأبدلت إحدى اللامين من صلاص صادا . # وهذا مذهب الكوفيين وقاله ابن جني والزيدي ونحوهما على البصرة ومذهب جمهور البصريين إنهما فعلا متباينان وكذلك قالوا في ثرة وثرارة . # قال بعضهم تقول صل الخزف ونحوه إذا صوت بتمديد فإذا كان في صوته ترجيع كالجرس ونحوه قلت صلصل ومنه قول الكميث # (فينا العناجيج ترد في أعنتها % شعنا تصلصل في أشداقها للجم) + البسيط + وقال مجاهد وغيره ^ صلصال ^ هنا إنما هو مأخوذ من صل اللحم وغيره إذا اتن .

@ 359 @ قال القاضي أبو محمد فجعلوا معنى ^ صلصال ^ ومعنى ^ حمأ ^ في لزوم أنتن شيئا واحدا . # قال القاضي أبو محمد والحمأ جمع حماة وهو الطين الأسود الممتن يخالطه ماء . # والمسنون قال معمر هو الممتن وهو من أسن الماء إذا تغير . # قال القاضي أبو محمد والتصريف يرد هذا القول . # وقال ابن عباس المسنون الرطب . # قال القاضي أبو محمد وهذا تفسير لا يخص اللفظة . # وقال الحسن المعنى سن ذريته على خلقه . # والذي يترتب في ^ مسنون ^ إما أن يكون بمعنى محكوك محكم العمل أمليس السطح فيكون من معنى المسن والسنان وقولهم سننت السكين وسننت الحجر إذا أحكمت تلميسه ومن ذلك قول الشاعر # (ثم دافعتها إلى القبة الخضراء % وتمشي في مرمر مسنون) + الخفيف + # أي محكم الإملاص بالسن وإما أن يكون بمعنى المصبوب تقول سننت التراب والماء إذا صببته شيئا بعد شيء ومنه قول عمرو بن العاصي لمن حضر دفنه إذا ادخلتموني في قبري فسنوا علي التراب سنا ومن هذا هو سن الغارة . # وقال الزجاج هو مأخوذ من كونه على سنة الطريق لأنه إنما يتغير إذا فارق الماء فمعنى الآية على هذا من حمأ مصبوب موضوع بعضه فوق بعض على مثال صورة . # ^ الجان ^ يراد به جنس الشياطين ويسمون جنة وجانا لاستتارهم عن العين . # وسئل وهب بن منبه عنهم فقال هم أجناب فأما خالص الجن فهم ربح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ومنهم أجناس نفعل هذا كله منها السعالي والغول وأشياء ذلك . # وقرأ الحسن بن أبي الحسن والجان بالهمز . # قال القاضي أبو محمد والمراد بهذه الحلقة إبليس أبو الجن وفي الحديث أن الله تعالى خلق آدم من جميع أنواع التراب الطيب والخبيث والأسود والأحمر . # وفي سورة البقرة إيعاب هذا وقوله ^ من قيل ^ لأن إبليس خلق قبل آدم بمدة وخلق آدم آخر الخلق . # و ^ السموم ^ في كلام العرب إفراط الحر حتى يقتل من نار أو شمس أو ربح . # وقالت فرقة السموم بالليل والحرور بالنهار . # قال القاضي أبو محمد وأما إضافة ^ نار ^ إلى ^ السموم ^ في هذه الآية فيحتمل أن تكون النار أنواعا ويكون ^ السموم ^ أمرا يختص بنوع منها فتصح الإضافة حينئذ وإن لم يكن هذا فيخرج هذا على قولهم مسجد الجامع ودار الآخرة على حذف مضاف . # قوله عز وجل \$ الحجر 28 - 33 \$

@ 360 @ إذا ^ نصب بإضمار فعل تقديره اذكر إذ قال ربك والبشر هنا آدم وهو مأخوذ من البشرة وهي وجه الجلد في الأشهر من القول . # ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم وافقوا البشر . # وقيل البشرة ما يلي اللحم ومنه قولهم في المثل إنما يعاتب الأديم ذو البشرة لأن تلك الجهة هي التي تبشر . # وأخر الله تعالى الملائكة بعجب عندهم وذلك أنهم كانوا مخلوقين من نور فهي مخلوقات لطاف فأخبرهم أنه لا يخلق جسما حيا ذا بشرة وأنه يخلقه ^ من صلصال ^ . # قال القاضي أبو محمد والبشر والبشارة أيضا أصلهما البشرة لأنهما فيها يظهران . # و ^ سويته ^ معناه كلمته وأنتننه حتى استنوت أجزاءه على ما يجب وقوله ^ من روحي ^ إضافة خلق وملك إلى خالق مالك أي من الروح الذي هو لي ولفظة الروح هنا للجنس . # وقوله ^ فقعدوا ^ من وقع يقع وفتحت القاف لأجل حرف الحلق وهذه اللفظة تقوي أن سجود الملائكة إنما كان على المعهود عندنا لأنه خضوع وتسليم وإشارة كما قال بعض الناس وشبهوه بقول الشاعر أبي الأحرز الحماني # (فكلتاها حرت وأسجد رأسها % كما سجدت نصرانية لم تحنف) + الطويل + # وهذا البيت يشبه أن يكون السجود فيه كالمعهود عندنا . # وحكى الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن عباس أنه قال خلق الله ملائكة أمرهم بالسجود لآدم فأبوا فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق آخرين فأمرهم بالسجود فأطاعوا إلا إبليس فإنه كان من الأولين . # قال القاضي أبو محمد وقول ابن عباس من الأولين يحتمل أن يريد في حالهم وكفرهم ويحتمل أن يريد في أنه بقي منهم . # وقوله ^ كلهم أجمعون ^ هو عند سيبويه تأكيد بعد تأكيد يتضمن الآخر ما تضمن الأول . # وقال غيره ^ كلهم ^ لو وقف عليه لصلحت للاستيفاء وصلحت على معنى المبالغة مع أن يكون البعض لم يسجد وهذا كما يقول القائل كل الناس يعرف كذا وهو يريد أن المذكور أمر مشتهر فلما قال ^ أجمعون ^ رفع الاحتمال في أن يبقى منهم أحد واقتضى الكلام أن جميعهم سجد . # وقال ابن المبرد لو وقف على ^ كلهم ^ لاحتمال أن يكون سجودهم في مواطن كثيرة فلما قال ^ أجمعون ^ دل على أنهم سجدوا في موطن واحد . # قال القاضي أبو محمد واعترض قول المبرد بأنه جعل قوله ^ أجمعون ^ حالا . # بمعنى مجتمعين .

@ 361 @ يلزمه على هذا أن يكون أجمعين يقرب من التذكير إذ هو معرفة لكونه يلزم اتباع المعارف والقراءة بالرفع تأتي قوله . # قوله ^ إلا إبليس ^ قيل إنه استثناء من الأول وقيل إنه ليس من الأول . # وهذا متركب على الخلاف في ^ إبليس ^ هل هو من الملائكة أو لا والظاهر من كثير من الأحاديث ومن هذه الآية أنه من الملائكة وذلك أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود ولو لم يكن إبليس من الملائكة لم يذنب في ترك السجود . # وقد روي عن الحسن بن أبي الحسن أن إبليس إما كان من قبيل الجن ولم يكن قط ملكا ونسب ابن فورك القول إلى المعتزلة وتعلق من قال هذا بقوله في صفته ^ كان من الجن ^ وقالت الفرقة الأخرى لا حجة في هذا لأن الملائكة قد تسمى جنا لاستتارها وقد قال تعالى ^ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ^ . # وقوله تعالى ^ قال يا إبليس ^ قيل

إنه حينئذ سماه ^٥ إبليس ^٥ وإنما كان اسمه قبل عزرايل وهو من الإبلان وهو الإبعاد أي يا مبعد وقالت طائفة ^٥ إبليس ^٥ كنا اسمه وليس باسم مشتق بل هو أعجمي ويقضي بذلك أنه لا ينصرف ولو كان عربيا مشتقا لكان كإفيل من أجفل وغيره ولكن منصرفا قاله أبو علي الفارسي . # وقوله ^٥ إلا تكون ^٥ أن في موضع نصب وقيل في موضع خفض والأصل ما لك أن تكون قول إبليس ^٥ لم أكن لأسجد لبشر ^٥ ليس هذا موضع كفره عند الحذاق لأن إبابته إنما هي معصية فقط وأما قوله وتعليه وإنما يقتضي أن الله خلق خلقا مفصولا وكلف أفضل منه أن يذل له فكانه قال هذا جور وذلك أن إبليس لما ظن أن النار أفضل من الطين ظن أن نفسه أفضل من آدم من النار يأكل الطين ففاس وأخطأ في قياسه وجهل أن الفضائل إنما هي حيث جعلها الله المالك للجميع لا رب غيره . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 34 - 44 # الضمير في ^٥ منها ^٥ للجنة وإن لم يجر ذكرها في القصة تتضمنها ويحتمل أن يعود الضمير على صيفة الملائكة وال ^٥ رجم ^٥ المشتوم أي المرجوم بالقول والشتم ^٥ يوم الدين ^٥ يوم الجزاء ومنه قول الشاعر

@ 362 (ولم يبق سوى العدوان % دناهم كما دانوا) # وسأل إبليس والنظرة إلى يوم البعث فأعطاه الله إياها إلى وقت معلوم واختلف فيه فقيل إلى يوم القيامة أي يكون آخر من يموت من الخلق قاله الطبري وغيره وقيل إلى وقت غير معين ولا مرسوم بقيامة ولا غيرها بل علمه عند الله وحده وقيل بل أمره كان إلى يوم بدر وأنه قتل يوم بدر . # قال القاضي أبو محمد وهذا وإن كان روي فهو ضعيف والأحاديث وهذا لا يدفع في صدر كفره وقوله ^٥ رب ^٥ مع كفره يخرج على أنه يقر بالربوبية والخلق وهو الظاهر من حاله وما يقتضيه فيه الآيات والأحاديث وهذا لا يدفع في صدر كفره وقوله ^٥ بما أعوتني ^٥ قال أبو عبيدة وغيره أقسم بالإغواء . # قال القاضي أبو محمد كأنه جعله بمنزلة قوله رب بقدرتك علي وقضائك ويحتمل أن تكون باء سبب كأنه قال رب والله لأغوينهم بسبب إغوائك لي ومن أجله وكفاه له . # ويحتمل أن يكون المعنى تجلدا منه ومبالغة في الجد أي بحالي هذه وبعدني عن الخير والله لأفعلن ولأغوين ومعنى ^٥ لأزبن لهم في الأرض ^٥ أي الشهوات والمعاصي والضمير في ^٥ لهم ^٥ لذرية آدم وإن كان لم يجر لهم ذكر فالقصة بجملتها حيث وقعت كاملة تتضمنهم والإغواء الإضلال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والحسن والأعرج المخلصين بفتح اللام أي الذين أخلصتهم أنت لعبادتك وتقواك وقرأ الجمهور المخلصين بكسر اللام أي الذي أخلصوا الإيمان بك وبرسلك وقوله تعالى ^٥ قال هذا صراط ^٥ الآيات القائل هو الله تعالى ويحتمل أن يكون ذلك بواسطة وقرأ الضحاك وحמיד والنخعي وأبو رجا وأبن سيرين بقيادة وقيس بن عباد ومجاهد وغيرهم على مستقيم من العلو والرفعة والإشارة بهذا على هذه القراءة إلى الإخلاص لما استثنى إبليس من أخلص . # قال الله له هذا الإخلاص طريق رفيه مستقيم لا تنال أنت يا غوائك أهله وقرأ جمهور الناس علي مستقيم والإشارة بهذا على هذه القراءة إلى انقسام الناس إلى غاو ومخلص لما قسم إبليس الناس هذين القسمين قال الله هذا طريق علي أي هذا أمر إلى مصيره والعرب تقول طريقك في هذا الأمر على فلان أي إليه يصير النظر في أمرك وهذا نحو قوله تعالى ^٥ إن ربك لبالمرصاد ^٥ . # قال القاضي أبو محمد الآية على هذه القراءة تتضمن وعيدا ثم ابتداء الإخبار عن سلامة عبادة المتقين من إبليس وخاطبه بأنه لا حجة له عليهم ولا ملكه . # قال القاضي أبو محمد والظاهر من قوله ^٥ عبادي ^٥ الخصوص في أهل الإيمان والتقوى لا عموم الخلق وبحسب هذا يكون ^٥ إلا من أتبعك ^٥ مستثنى من غير الأول التقدير لكن من أتبعك من الغاوين لك عليهم سلطان وإن أخذنا العباد عاما في عباد الناس إذ لم يقرر الله لإبليس سلطانا على أحد فإنا نقدر الاستثناء في الأقل في القدر من حيث لا قدر للكفار والنظر الأول أصوب وإنما الغرض أن لا تقع في استثناء الأكثر من الأقل وإن كان الفقهاء قد جوزوه قال أبو المعالي ليس معروفا في استعمال العرب وهذه الآية أمثل ما احتج به مجزوه . # قال القاضي أبو محمد ولا حجة لهم في الآية على ما بينته وقوله ^٥ جهنم لموعدهم ^٥ أي موضع

@ 363 اجتماعهم والموعود يتعلق بزمان ومكان وقد يذكر المكان ولا يحد زمان الموعود و ^٥ أجمعين ^٥ تأكيد وفيه معنى الحال وقوله ^٥ لها سبعة أبواب ^٥ قيل إن النار بجملتها سبعة أطباق أعلاها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم وفيه أبو جهنم ثم الهاوية وإن في كل طبق منها بابا فالأبواب على هذا بعضها فوق بعض وغير في هذه الآية عن النار جملة ب ^٥ جهنم ^٥ إذ هي أشهر منازلها وأولها وهي موضع عصاة المؤمنين الذين لا يخلدون ولهذا روي أن جهنم تخرب وتبلى وقيل إن النار أطباق كما ذكرنا لكن الأبواب السبعة كلها في جهنم على خط استواء ثم ينزل من كل باب إلى طبقة الذي يفضى إليه . # قال القاضي أبو محمد واختصرت ما ذكر المفسرون في المسافات التي بين الأبواب وفي هواء النار وفي كيفية الحال إذ هي أقوال أكثرها لا يستند وهي في حيز الجائر والقدرة أعظم منها عافانا الله من ناره وتعمدنا برحمته بمنه . # وقرأ الجمهور جزء بهمز وقرأ ابن شهاب جزء بضم الزاي وقرأت فرقة جز بشد الزاي دون همز وهي قراءة ابن الفقعاق . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 45 - 50 # ذكر الله تعالى ما أعد لأهل الجنة عقب ذكره ما أعد لأهل النار ليظهر التباين وقرأ الجمهور وعيون بضم العين وقرأ نبيح والجراح وأبو واقد ويعقوب في رواية رويس وعيون بكسر العين مثل بيوت وشيوخ وقرأ الجمهور ادخلوها على الأمر بمعنى يقال لهم ادخلوها وقرأ رويس عن يعقوب ادخلوها على بناء الفعل للمفعول وضم التنوين في عيون ألقى عليه حركة الهمزة والسلام ها هنا يحتمل أن يكون السلامة ويحتمل أن يكون التحية والغل الحقد وذكر الله تعالى في هذه الآية أن ينزع الغل من قلوب أهل الجنة ولم يذكر لذلك موطنها وجاء في بعض الحديث أن ذلك على الصراط وجاء في بعضها أن ذلك على أبواب الجنة وفي لفظ بعضها أن الغل ليبقى على أبواب الجنة كما عاين الإبل . # قال القاضي أبو محمد وهذا على أن الله تعالى يجعل ذلك تمثيلا بلون يخلقه هناك ونحوه وهذا كحديث ذبح الموت وقد يمكن أيضا أن يسلم من الصدور ولذلك جواهر سود فيكون كمنار الإبل وجاء في بعض الأحاديث أن نزع الغل إنما يكون بعد استقرارهم في الجنة . # قال القاضي أبو محمد والذي يقال في هذا أن الله ينزعه في موطن من قوم وفي موطن من آخرين وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله تعالى فيهم

@ 364 # ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ^٥ . # وذكر أن ابنا لطلحة كان عنده فاستأذن الأشر فحبسه مدة ثم أذن له فدخل فقال ألهذا حبستني وكذلك لو كان ابن عثمان حبستني له فقال علي نعم إنني وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم ^٥ ونزعنا ما في صدورهم من غل ^٥ الآية . # قال القاضي أبو محمد وقد روي أن المستأذن غير الأشر ^٥ إخوانا ^٥ نصب على الحال وهذه أخوة الدين والود والأخ من ذلك يجمع على إخوان وأخوة أيضا والأخ من النسب يجمع أخوة وإخاء ومنه قول الشاعر # (وأي بني الإخاء تصفو مذاهيه %) # ويجمع أيضا إخوانا ^٥ سرر ^٥ جمع سرير ^٥ متقابلين ^٥ الظاهر أن معناه في الوجوه إذ الأسرة متقابلة فهي أحسن في الرتبة قال مجاهد لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه وقيل ^٥ متقابلين ^٥ في المودة وقيل غير هذا مما لا يعطيه اللفظ والنصب التعب يقع على القليل والكثير ومن الكثير قول موسى عليه السلام ^٥ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ^٥ ومن ذلك قول الشاعر # (كليني لهم يا أمية ناصب %) + الطويل + # ^٥ نبي ^٥ معناه أعلم ^٥ عبادي ^٥ مفعول ب ^٥ نبي ^٥ وهي تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ف ^٥ عبادي ^٥ مفعول وأن تسد مسد المفعولين الباقيين وانصف ذلك وهي وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد ألا ترى أنك إذ قلت أعجبتني أن زيدا منطلق إنما المعنى أعجبتني انطلاقا زيدا لأن دخولها إنما هو على جملة ابتداء وخبر فسدت لذلك مسد المفعولين . # قال القاضي أبو محمد وقد تعدى ^٥ نبي ^٥ إلى مفعولين فقط ومنه قوله تعالى ^٥ من أنبأك هذا ^٥ وتكون في هذا الموضوع بمعنى أخبر وعرف وفي هذا كله نظر وهذه آية ترجية وتخويف وروي في هذه المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه . # وروي في هذه الآية أن سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى جماعة من أصحابه عند باب بني شيبه في الحرم فوجدتهم يضحكون فزجرهم ووعظهم ثم ولى فجاءه جبريل عن الله فقال يا محمد أنتقط عبادي ولنا عليه الآية فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وأعلمهم . # قال القاضي أبو محمد ولو لم يكن هذا السبب لكان ما قبلها يقتضيها إذ تقدم ذكر ما في النار وذكر ما في الجنة فأكد تعالى تبيينه الناس بهذه الآية . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 51 - 56 \$

@ 365 # قرأ أبو حيوة ونهم بضم الهاء من غير همز وهذا ابتداء قصص بعد انصرام الغرض الأول و ^٥ صيف ^٥ مصدر وصف به

فهو للواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد كعدل وغيره قال النحاس وغيره التقدير عن أصحاب ضيف . # قال القاضي أبو محمد ويعني عن هذا أن هذا المصدر عومل معاملة الأسماء كما فعل في رهن ونحوه والمراد بالضيف هنا الملائكة الذين جاؤوا لإهلاك قوم لوط وبشروا إبراهيم وقد تقدم قصصهم . # وقوله ^ سلاما ^ مصدر منصوب بفعل مضمر تقديره سلمنا أو نسلم سلاما والسلام هنا التحية وقوله ^ سلاما ^ حكاية قولهم فلا يعمل القول فيه وإنما يعمل إذا كان ما بعده ترجمة عن كلام ليس يحكى بعينه كما تقول لمن قال لا إله إلا الله قلت حقا ونحو هذا وقوله ^ إنا منكم وجلون ^ أي فزعون وإنما وجل إبراهيم عليه السلام منهم لما قدم إليهم العجل الحنيد فلم يهرم يأكلون وكانت عندهم العلامة المؤمنة أكل الطعام وكذلك هو في غابر الدهر أمانة للنازل والمنزول به وقرأ الجمهور لا توجل مستقبلا وجل وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء على بناء الفعل للمفعول من اوجل لأن وجل لا يتعدى وكانت هذه الإشارة بإسحاق وذلك بعد مولد إسماعيل بمدة وقوله إبراهيم ^ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ^ وليس يقتضي أنهما حينئذ وهبهما بل قبل الحمد بكثير . # وقرأ الجمهور أبشروني بألف الاستفهام وقرأ الأعرج بشروني بغير ألف . # وقوله ^ على أن مسني الكبر ^ أي في حالة قد مسني فيها الكبر وقرأ ابن محيصن الكبر بضم الكاف وسكون الباء وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحزمة والكسائي تبشرون بفتح النون التي هي علامة الرفع والفعل على هذه القراءة غير معدي وقرأ الحسن البصري تبشروني بنون مشددة وباء وقرأ ابن كثير بشد النون دون ياء وهذه القراءة أدغمت فيها نون العلامة في النون التي هي للمتكلم موطئة للياء وقرأ نافع تبشرون بكسر النون وغلط أبو حاتم نافعا في هذه القراءة وقال إن شاهد الشعر في هذا اضطراب . قال القاضي أبو محمد وهذا حمل منه وتقدير هذه القراءة أنه حذف النون التي للمتكلم وكسرت النون التي هي علامة الرفع بحسب الياء ثم حذف الياء لدلالة الكسرة عليها ونحو هذا قول الشاعر أنشد سيبويه # (تراه كالثغام يعل مسكا % يسوء الغاليات إذا فليني) + الوافر + # ومنه قو الآخر # (أبا الموت الذي لا بد أني % ملاق لا أباك تخوفيني) # ومن حذف هذه النون قول الشاعر # (قدني من نصر الخبيين قدي %) # يريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير وكان عبد الله يكنى أبا حبيب وقرأ الحسن فيم تبشرون بفتح

@ 366 @ التاء وضم الشين وقول إبراهيم عليه السلام ^ فيم تبشرون ^ تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما أو على جهة الاحتقار وقله المبالاة بالمسرة الدينوية لمضي العمر واستيلاء الكبر . # قال مجاهد عجب من كبره ومن كبر امرأته وقد تقدم ذكر سنه وقت البشارة . # وقولهم ^ بشرناك بالحق ^ فيه شدة ما أي بشر بما بشرت به ودع غير ذلك وقرأ جمهور الناس الفانطين والقنوط أتم اليأس وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وابن مصرف ورويت عن عمرو القنطين وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحزمة ومن يقط بفتح النون في كل القرآن وقرأ أبو عمرو والكسائي ومن يقط بكسر النون وكلهم قرأ من ^ بعد ما قنطوا ^ بفتح النون ورد أبو عبيد قراءة أهل الحرمين وأنكر أن يقال قنط بكسر النون وليس كما قال لأنهم لا يجمعون إلا على قوي في اللغة مروى عندهم وهي قراءة فصيحة إذ يقال قنط يقنط وقنط يقنط مثل نغم ونقم وقرأ الأعمش هنا يقنط بكسر النون وقرأ ^ من بعد ما قنطوا ^ بكسر النون أيضا فقرأ باللغتين وقرأ الأشهب يقنط بضم النون وهي قراءة الحسن والأعمش أيضا وهي لغة تميم . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 57 - 65 \$ # الفائل هنا إبراهيم عليه السلام وقوله ^ فما خطبكم ^ سؤال فيه عنف كما تقول لمن تنكر حاله ما دهك وما مصيبتك وأنت إنما تريد استفهاما عن حاله فقط . # لأن الخطب لفظة إنما تستعمل في الأمور الشداد على أن قول إبراهيم عليه السلام ^ أيها المرسلون ^ وكونهم أيضا قد بشروه يقتضي أنه قد كان عرف أنهم ملائكة حين قال ^ فما خطبكم ^ فيحتمل قوله ^ فما خطبكم ^ مع هذا أنه أضاف الخطب إليهم من حيث هم حملته إلى القوم المعذنين أي ما هذا الخطب الذي تحمّلونه وإلى أي أمة . # و ^ لقوم مجرمين ^ يراد به أهل مدينة سدوم الذين بعث فيهم لوط عليه السلام والمجرم الذي يجر الجرائر ويرتكب المحظورات وأصل جرم وأجرم كسب ومنه قول الشاعر # (جريمة ناهض في رأس نيق %) + الوافر + # أي كسب عقاب في قنة شامخ ولكن اللفظة خصت في عرفها بالبشر لا يقال لكاسب الأجر مجرم وقولهم ^ إلا آل ^ استثناء منقطع والأول القوم الذي يؤول أمرهم إلى المضاف إليه كذا قال سيبويه وهذا نص في أن لفظه ^ آل ^ ليست لفظة أهل كما قال النحاس ويجوز على هذا إضافة ^ آل ^ إلى الضمير وأما أهيل فتصغير أهل واجتزوا به عن تصغير آل فرفضوا أولا وقرأ جمهور السبعة

@ 367 @ لمنجوههم وقرأ حمزة والكسائي لمنجوههم بسكون النون وضم الجيم مخففة والضمير في ^ لمنجوههم ^ في موضع خفض بالإضافة وانحذفت النون للمعاقبة هذا قول جمهور النحويين وقال الأخفش الضمير في موضع نصب وانحذفت النون لأنه لا بد من اتصال هذا الضمير . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا نظر وقوله ^ إلا امرأته ^ استثناء بعد استثناء وهما منقطعان فيما حكى بعض النحاة لأنهم لم يجعلوا امرأته الكافرة من آل . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا نظر لأنها قبل الاستثناء داخلة في اللفظ الذي هو الأول وليس كذلك الأول مع المجرمين فيظهر الاستثناء الأول منقطعاً والثاني متصلًا والاستثناء بعد الاستثناء يرد المستثنى الثاني في حكم أمر الأول ومثل بعض الناس في هذا بقولك لي عندك مائة درهم إلا عشرة دراهم إلا درهماين فرجعت الدرهمان في حكم التسعين الدرهم وقال المبرد ليس هذا المثال بجيد لأنه من خلق الكلام ورثه إذ له طريق إلى أداء المعنى المقصود بأجمل من هذا التخليق وهو أن يقول لي عندك مائة إلا ثمانية وإنما ينبغي أن يكون مثالا للآية قولك قولك صريت بني تميم إلا بني دارم إلا حاجبا لأن حاجبا من بني دارم فلما كان المستثنى الأول في ضمنه ما لا يجري الحكم عليه والضرورة تدخله في لفظه ولا يمكنك العبارة عنه دون ذلك الذي يجري الحكم عليهم اضطرت إلى استثناء ثان . # قال القاضي أبو محمد ونزعة المبرد في هذا نبيلة وقرأ جميعهم سوى عاصم في رواية أبي بكر قدرنا بتشديد الدال في كل القرآن وقرأ عاصم قدرنا بتخفيفها ونقل في رواية حفص والتخفيف يكون بمعنى التشليل كما قال الهذلي أبو ذؤيب # (ومفرهة عنس قدرت لساقها % فخرت كما تتابع الريح بالقفل) + الطويل + # يريد قدرت ضربتي لساقها وكقول النبي صلى الله عليه وسلم في الاستخارة واقدر لي الخير حيث كان ويكون أيضا بمعنى سن ووفق ومنه قول الشاعر يزيد بن مفرغ # (بقندهار ومن تقدير منيته % يرجع دونه الخبر) # وكسرت الألف من ^ إنها ^ بسبب اللام التي في قوله ^ لمن ^ والغاير الباقي في الدهر وغيره وقالت فرقة منهم النحاس هو من الأضداد يقال في الماضي وفي الباقي وأما في هذه الآية فهي لبقاء أي من الغابرين في العذاب وقوله تعالى ^ فلما جاء آل لوط المرسلون ^ الآيات تقدم القول وذكر القصص في أمر لوط وصورة لقاء الرسل له وقيل إن الرسل كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وقيل كانوا اثني عشر وقوله ^ منكرون ^ أي لا يعرفون في هذا القطر وفي هذه اللفظة تحذير وهو من نمط ذمه لقومه وجريه إلى أن لا ينزل هؤلاء القوم في تلك المدينة خوفا منه أن يظهر سوء فعلهم وطلبهم الفواحش فقالت الرسل للوط بل جئناك بما وعدك الله من تعذيبهم على كفرهم ومعاصيهم وهو الذي كانوا يشكون فيه ولا يحقونه وقرأت فرقة فاسر بوصل الألف وقرأت فرقة فاسر بقطع الألف يقال سرى وأسرى بمعنى إذا سار ليلا وقال النابغة # (أسرت عليه من الجوزاء سارية %) + البسيط +

@ 368 @ فجمع بين اللغتين في بيت وقرأ اليماني فيسر بأهلك وهذا الأمر بالسرى هو عن الله تعالى أي يقال لك والقطع الجزء من الليل وقرأت فرقة بقطعيه الطاء حكاية منذر بن سعيد وقوله ^ واتع أدبارهم ^ أي كن خلفهم وفي ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد ولا يتلوى و ^ حيث ^ في مشهورها ظرف مكان وقالت فرقة أمر لوط أن يسير إلى زغر وقيل إلى موضع نجا غير معروف عندها وقالت فرقة ^ حيث ^ قد تكون ظرف زمان وأنشد أبو علي في هذا بيت طرفة ^ للفتى عقل يعيش به % حيث تهدي ساقه قدمه ^ + المديد + # كأنه قال مدة مشيه وتنقله وهذه الآية من حيث أمر أن يسري ^ بقطع من الليل ^ ثم قيل له حيث تؤمر . # ونحن لا نجد في الآية أمرا له لا في قوله ^ بقطع من الليل ^ أمكن أن تكون ^ حيث ^ ظرف زمان و ^ يلتفت ^ مأخوذ من الالتفات الذي هو نظر العين قال مجاهد المعنى لا ينظر أحد وراءه . # قال القاضي أبو محمد ونهوا عن النظر مخافة العقلنة وتعلق النفس بمن خلف وقيل بل لئلا تنفطر قلوبهم من معاينة ما جرى على القرية في رفعها وطرحها . # وقيل ^ يلتفت ^ معناه يتلوى من قولك لفت الأمر إذا لويته ومنه قولهم للعصيدة لفتية لأنها تلوى بعضها على بعض . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 66 - 77 \$ # المعنى ^ وقضينا ذلك الأمر ^ أي أمضينا وختمنا به ثم أدخل في الكلام ^ إليه ^ من حيث أوحى ذلك إليه وأعلمه الله به فجلب هذا المعنى بإيجاز وحذف ما يدل الظاهر عليه و ^ أن ^ في موضع نصب قال الأخفش هي بدل من ^ ذلك ^ وقال الفراء بل التقدير بأن دابر فحذف حرف الجر

والأول أصوب والداير الذي يأتي آخر القوم أي في أديارهم وإذا قطع ذلك وأتى عليه فقد أتى العذاب من أولهم إلى آخرهم وهذه الفاظ دالة على الاستئصال والهلاك التام يقال قطع الله دابره واستأصل شأفته وأسكت نأتمته بمعنى . # و ^ مصحين ^ معناه إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح وقوله ^ وجاء أهل المدينة ^ يحتمل أن رج الوصف أمر جرى قبل إعلام لوط بهلاك أمته ويدل على هذا أن محاجة لوط لقومه تقتضي ضعف من لم يعلم إهلاكهم وأن الأضياف ملائكة ويحتمل قوله ^ وجاء أهل المدينة ^ أن يكون بعد علمه بهلاكهم وكان قوله ما يأتي من المحاوراة على جهة التهكم عنهم والإملاء لهم والترص بهم .

@ 369 # قال القاضي أبو محمد والاحتمال الأول عندي أرجح وهو الظاهر من آيات غير هذه السورة وقوله ^ يستبشرون ^ أي بالأضياف طمعا منهم في الفاحشة والضيف مصدر وصف به فهو يقع للواحد والجمع والمؤنث وقولهم ^ أو لم ننهك عن العالمين ^ روي أنهم قد تقدموا إليه في أن لا يضيف أحدا ولا يجبره لأنهم لا يراعونه ولا يكتفون عن طلب الفاحشة فيه وقرأ الأعمش إن دابر بكسر الهمزة وروي أن في قراءة عبد الله وقصينا إليه ذلك الأمر وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع وذكر السدي أنهم إنما كانوا يفعلون الفاحشة مع الغرباء ولا يفعلونها بعضهم بعض فكانوا يعترضون الطرق وقول لوط عليه السلام ^ هؤلاء بناتي ^ اختلف في تأويله فقيل أراد نساء أمته لأن زوجات النبيين أمهات الأمم وهو أبوهم فالنساء بناته في الحرمة والمراد بالتزويج ويلزم هذا التأويل أن يكون في شرعه جواز زواج الكافر للمؤمنة وقد ورد أن المؤمنات به قليل جدا وقيل إنما أراد بنات صلبه ودعا إلى التزويج أيضا قاله قتادة ويلزم هذا التأويل أيضا ما لزم المتقدم في ترتيبنا . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يريد بقوله عليه السلام ^ هؤلاء بناتي ^ بنات صلبه ويكون ذلك على طريق المجاز وهو لا يحقق في إباحة بناته وهذا كما تقول لإنسان تراه يريد قتل آخر اقتلني ولا تقتله وإنما ذلك على جهة التشيع عليه ولاستئزال من جهة ما واستدعاء الحياء منه وهذا كله من مبالغة القول الذي لا يدخله معنى الكذب بل الغرض منه مفهوم وعليه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولو كمفحص قطاة إلى غير هذا من الأمثلة والعمر والعمر بفتح العين وضمها واحد وهما مدة لحياة ولا يستعمل في القسم إلا بالفتح وفي هذه الآية شرف لمحمد صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى أقمس بحياته ولم يفعل ذلك مع بشر سواه قاله ابن عباس . # قال القاضي أبو محمد والقسم ب ^ لعمر ك ^ في القرآن وب لعمرى ونحوه في أشعار العرب وفصح كلامها في غير موضع . # كقوله # (لعمرى وما عمري علي بهين %) + الطويل + # وقول الآخر # (لعمر أيبك ما نسب المعالي %) + الوافر + # وكقول الآخر طرفة بن العبد # (لعمر إن الموت ما أخطأ الفنى % لكالطول المرخى وتبناه باليد) + الطويل + # والعرب تقول لعمر الله ومنه قول الشاعر # (إذا رضيت علي بنو قشير % لعمر الله أعجبتني رضاها) # وقول الأعشى # (ولعمر من جعل الشهور علامة % فيها فبين نصفها وكمالها) + الكامل +

@ 370 # ويروى وهلالها وقال بعض أصحاب المعاني لا يجوز هذا لأنه لا يقال لله تعالى عمر وإنما يقال بقاء أزلي ذكره الزهراوي وكره إبراهيم النخعي أن يقول الرجل لعمرى لأنه حلف بحياة نفسه وذلك من كلام ضعفة الرجال ونحو هذا قول مالك في لعمرى ولعمر ك أنها ليست بيمين وقال ابن حبيب ينبغي أن تصرف ^ لعمر ك ^ في الكلام اقتداء بهذه الآية و ^ يعمهون ^ يرتبون ويتحرون والضمائر في ^ سكرتهم ^ يراد بها قوم لوط المذكورون وذكر الطبري أن المراد قريش وهذا بعيد لأنه ينقطع مما قبله ومما بعده وقوله ^ لفي سكرتهم ^ مجاز وتشبيه أي في ضلالتهم وغفلتهم وإعراضهم عن الحق ولهوهوم و ^ يعمهون ^ معناه يتردون في حيرتهم و ^ مشرقين ^ معناه قد دخلوا في الإشراق وهو سطوع ضوء الشمس وظهوره قاله ابن زيد . # قال القاضي أبو محمد وهذه الصيحة هي صيحة الوجبة وليست كصيحة تمود وأهلكوا بعد الفجر مصحين واستوفاهم الهلاك مشرقين وخبر قوله ^ لعمر ك ^ محذوف تقديره لعمر ك قسمني أو يميني وفي هذا نظر وقرأ ابن عباس وعمر ك وقرأ الأشهب العقيلي لفي سكرتهم بضم السين وقرأ ابن أبي عيلة لفي سكراتهم وقرأ الأعمش لفي سكرهم بغير تاء وقرأ أبو عمرو في رواية الجهضمي أنهم في سكرتهم بفتح الألف وروي في معنى قوله ^ جعلنا عاليها سافلها ^ أن جبريل عليه السلام اقتلع المدينة بجناحه ورفعها حتى سمعت ملائكة السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها وأرسل الكل فمن سقط عليه شيء من جرم المدينة مات ومن أفلت منهم أصابته ^ حجارة من سجيل ^ و ^ سجيل ^ اسم من الدنيا وقيل لفظة فارسية وهي الحجارة المطبوخة من الطين كالآجر ونحوه وقد تقدم القول في هذا والمتوسمون قال مجاهد المتفرسون وقال الضحاك الناظرون وقال قتادة المعتبرون وقيل غير هذا مما هو قريب منه وهذا كله تفسير بالمعنى وأما تفسير اللفظة فإن المعاني التي تكون في الإنسان وغير من خير أو شر يلوح عليه وسم عن تلك المعاني كالسكون والدماثة واقتصاد الهيئة التي تكون عن الخير ونحو هذا فالمتوسم هو الذي ينظر في وسم المعنى فيستدل به على المعنى وكان معصية هؤلاء أبقث من العذاب والإهلاك وسما فمن رأى الوسم استدل على المعصية به واقتاده النظر إلى تجنب المعاصي لتلا ينزل به ما نزل بهم ومن الشعر في هذه اللفظة قول الشاعر # (توسمته لما رأيت مهابة % عليه وقت المرء من آل هاشم) + الطويل + # وقال آخر # (فطللت فيها واقفا أنوسم %) # وقال آخر # (إني توسمت فيك الخير نافلة %) # والضمير في قوله ^ وإنها ^ يحتمل أن يعود على المدينة المهلكة أي أنها في طريق ظاهر بين للمعتبر وهذا تأويل مجاهد وقاتدة وابن زيد ويحتمل أن يعود على الآيات ويحتمل أن يعود على الحجارة ويقوي هذا التأويل ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن حجارة العذاب معلقة بين السماء

@ 371 # والأرض منذ ألقى سنة لعصاة أمتي وقوله ^ الآية ^ أي أمانة وعلامة كما تقول آية ما بيني وبينك كذا وكذا . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 78 - 86 \$ # الأيكة ^ الغبضة والشجر الملتف المخضر يكون السدر وغيره قال قتادة وروي أن أيبكة هؤلاء كانت من شجر الدوم وقيل من المقل وقيل من السدر وكان هؤلاء قوما يسكنون غبضة ويرتفقون بها في معايشهم فبعث الله إليهم شعيبا فكفروا فسلط الله عليهم الحر فدام عليهم سبعة أيام ثم رأوا سحابة فخرجوا فاستظلوا تحتها فاضطربت عليهم نارا وحكى الطبري قال بعث شعيب إلى أميين كفرتا فعذبنا بعذابين مختلفين أهل مدين عذبوا بالصيحة و ^ أصحاب الأيكة ^ ولم يختلف القراء في هذا الموضوع في إدخال الألف واللام على أيبكة وأكثرهم همز ألف أيبكة بعد اللام وروي عن بعضهم أنه سهلها ونقل حركتها إلى اللام فقرأ أصحاب الأيكة دون همز واختلفوا في سورة الشعراء وفي سورة ص و ^ إن ^ هي المخففة من الثقيلة على مذهب البصريين وقال الفراء ^ إن ^ بمعنى ما واللام في قوله ^ لظالمين ^ بمعنى إلا . # قال أبو علي الأيبك جمع أيبكة كثرة وتمر . # قال القاضي أبو محمد ومن الشاهد على اللفظة قول أمية بن أبي الصلت # (كيبك الحمام على غصون الأيبك % في الطير الجوانح) # ومنه قول جرير # (وقفت بها فهاج الشوق مني % حمام الأيبك يسعدنا حمام) + الوافر + # ومنه قول الآخر # (إلا إنما الدنيا غصارة أيبكة % إذا اخضر منها جانب جف جانب) # ومنه قول الهذلي # (موشحة بالطرتين دنا لها % جنا أيبكة تصفو عليها قصارها) # وأنشد الأصمعي

@ 372 # (وما خليج من المروت ذو حذب % يرمي الصعيد بخشب الأيبك والضال) + البسيط + # والضمير في قوله ^ وإنهما ^ يحتمل أن يعود على المدينتين اللتين تقدم ذكرهما مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة ويحتمل أن يعود للنبيين على لوط وشعيب أي أنهما على طريق من الله وشرع مبين . # والإمام في كلام العرب الشيء الذي يهتدي به ويؤتم بقولونه لخيطة البناء وقد يكون الطريق وقد يكون الكتاب المفيد وقد يكون القياس الذي يعمل عليه الصانع وقد يكون الرجل المقتدى به ونحو هذا ومن رأى عاد الضمير في ^ إنهما ^ على المدينتين قال الإمام الطريق وقيل على ذلك الإمام الكتاب الذي سبق فيه إهلاكهما و ^ أصحاب الحجر ^ هو ثمود وقد تقدم قصصهم و ^ الحجر ^ مدينتهم وهي ما بين المدينة وتبوك وقال ^ المرسلين ^ من حيث يجب بتكذيب رسول واحد تكذيب الجميع إذ القول في المعتقدات واحد للرسول أجمع فهذه العبارة أشنع على المكذبين والآية التي أتاهم الله هي الناقية وما اشتملت عليه من خرق العادة حسبا تقدم تفسيره وبسطه وقرأ أبو حيوه وأتيناها مفردة وقوله تعالى ^ وكانوا ينحتون ^ الآية يصف قوم صالح بشدة النظر للدنيا والتكسب منها فذكر من ذلك مثلا أن بيوتهم كانوا ينحتونها في حجر الجبال والنحت النقر بالمعاول ونحوها في الحجارة والعود ونحوه وقرأ جمهور الناس ينحتون بكسر الحاء وقرأ الحسن ينحتون بفتحها وذلك لأجل حرف الحلق وهي قراءة أبي حيوه وقوله ^ أمين ^ قيل معناه من انهدامها وقيل من حوادث الدنيا وقيل من الموت لاغترارهم بطول الأعمال . # قال

القاضي أبو محمد وهذا كله ضعيف وأصح ما يظهر في ذلك أنهم كانوا يأمنون عواقب الآخرة فكانوا لا يعملون بحسبها بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها ومعنى ^ مصحين ^ أي عند دخولهم في الصباح وذكر أن ذلك كان يوم سبت وقد تقدم قصص عذابهم وميعادهم وتغير ألوانهم ولم تغن عنهم شدة نظرهم للدنيا وتكسبهم شيئاً ولا دفع عذاب الله و ^ ما ^ الأولى تحتمل النفي وتحتمل التقرير والثانية مصدرية وقوله تعالى ^ وما خلقنا السماوات والأرض ^ الآية المراد أن هؤلاء المكتسبين للدنيا الذين لم يغن عنهم اكتسابهم ليسوا في شيء فإن السماوات والأرض وجميع الأشياء لم تخلق عبثاً ولا سدى ولا لتكون طاعة الله كما فعل هؤلاء ونظراًؤهم وإنما خلقت بالحق ولواجب مراد وأغراض لها نهايات من عذاب أو تنعيم ^ وإن الساعة لأتية ^ على جميع أمور الدنيا أي فلا تهتم يا محمد بأعمال قومك فإن الجزء لهم بالمرصاد ^ فاصفح ^ عن أعمالهم أي ولها صفحة عنفك بالإعراض عنها وأكد الصفح نبعث الجمال إذ المراد منه أن يكون لا عتب فيه ولا تعرض . وهذه الآية تقتضي مدهانة ونسخها في آية السيف قاله قتادة ثم تلاه في آخر الآية بأن الله تعالى يخلق من شاء لما شاء ويعلم تعالى وجه الحكمة في ذلك لا هذه الأوثان التي يعبدونها وقرأ جمهور الناس الخلاق وقرأ الأعمش والجحدري الخالق . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 87 - 93 \$

@ 373 @ # قال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وابن جبير السبع هنا هي السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والمص والأنفال مع براءة وقال ابن جبير بل السابعة يونس وليست الأنفال وبراءة منها و ^ المثاني ^ على قول هؤلاء القرآن كما قال تعالى ^ كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ^ وسمي بذلك لأن القصص والأخبار تشبه فيه وتردد وقال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس أيضاً وابن مسعود والحسن وابن أبي مليكة وعبيد بن عمير وجماعة السبع هنا هي آيات الحمد قال ابن عباس هي سبع بسم الله الرحمن الرحيم وقال غيره هي سبع دون البسملة وروي في هذا حديث أبي بن كعب ونصه قال أبي قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك يا أبي سورة لم تنزل في التوراة والإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قلت بلى قال إنني لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها فقام رسول الله وقمت معه ويدي في يده وجعلت أبطن في المشي مخافة أن أخرج فلما دنوت من باب المسجد قلت يا رسول الله السورة التي وعدتنيها فقال كيف تقرأ إذا قمت في الصلاة قال فقرات ^ الحمد لله رب العالمين ^ حتى كملت فاتحة الكتاب فقال هي هي وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت كذا أو نحوه ذكره مالك في الموطأ وهو مروى في البخاري ومسلم عن أبي سعيد بن المعلى أيضاً وروي أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إنها السبع المثاني وأم القرآن وفاتحة الكتاب وفي كتاب الزهراوي وليس فيها بسملة و ^ المثاني ^ على قول هؤلاء يحتمل أن يكون القرآن ف ^ من ^ للتبويض وقالت فرقة بل أراد الحمد نفسها كما قال ^ الرجس من الأوثان ^ ف ^ من ^ لبيان الجنس وسميت بذلك لأنها تنبئ في كل ركعة وقيل سميت بذلك لأنها ينشئ بها على الله تعالى جوزه الزجاج . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا القول من جهة التصريف نظر وقال ابن عباس سميت بذلك لأن الله تعالى استثنى لها هذه الأمة ولم يعطها لغيرها وقال نحوه ابن أبي مليكة وقرأت فرقة والقرآن بالخفض عطفاً على ^ المثاني ^ وقرأت فرقة والقرآن بالنصب عطفاً على قوله ^ سبعاً ^ وقال زياد بن أبي مريم المراد بقوله ^ ولقد آتيناك سبعاً ^ أي سبع معان من القرآن وخولناك فيها شرف المنزلة في الدنيا والآخرة وهي مرانته وبشر وأنذر واضرب الأمثال واعدد النعم واقصص الغيوب وقال أبو العالية السبع المثاني هي آية فاتحة الكتاب ولقد نزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطوال شيء وقوله ^ لا تمدن عينيك ^ الآية حكى الطبري عن سفيان بن عيينة أنه قال هذه الآية أمر بالاستغناء بكتاب الله عن جميع زينة الدنيا وهي نظرة إلى قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي يستغني به .

@ 374 @ # قال القاضي أبو محمد فكأنه قال ولقد آتيناك عظيماً خطيراً فلا تنظر إلى غير ذلك من أمور الدنيا وزينتها التي متعنا بها أنواعاً من هؤلاء الكفرة ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيراً وصغر عظيماً وكان مد العين يقترن به تمن ولذلك عبر عن الميل إلى زينة الدنيا ب مد العين والأزواج هنا الأنواع والأشياء وقوله ^ ولا تحزن عليهم ^ أي لا تتأسف لكفرهم وهلاكهم واصرف وجه تحفيك إلى من آمن بك ^ واخضع ^ لهم ^ جناحك ^ وهذه استعارة بمعنى لين جناحك ووطىء أكنافك . # والجناح الجانب والجنب ومنه ^ واضمم يدك إلى جناحك ^ فهو أمر بالميل إليهم والجناح الميل ^ وقل إنني أنا النذير المبين ^ أي تمسك بهذا القدر العظيم الذي وهبناك والكاف من قوله ^ كما ^ متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل إنني أنا النذير المبين عذاباً كالذي أنزلنا على المقتسمين فالكاف اسم في موضع نصب . # قال القاضي أبو محمد هذا قول المفسرين وهو عندي غير صحيح لأن ^ كما ^ ليس مما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من قول الله تعالى له فيفصل الكلام وإنما يترتب هذا القول بأن نقدر أن الله تعالى قال له تنذر عذاباً كما والذي أقول في هذا المعنى وقل أنا النذير كما قال قبلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك ويحتمل أن يكون المعنى وقل أنا النذير كما قد أنزلنا قبل في الكتب أنك ستأتي نذيراً وهذا على أن ^ المقتسمين ^ أهل الكتاب واختلف الناس في ^ المقتسمين ^ من هم فقال ابن زيد هم قوم صالح الذين اقتسموا السيئات فالمقتسمون على هذا من القسم . # قال القاضي أبو محمد ويقلق هذا التأويل مع قوله ^ الذين جعلوا القرآن عضين ^ وقال ابن عباس وسعيد بن جبير المقتسمون هم أهل الكتاب الذين فرقوا دينهم وجعلوا كتاب الله أعضاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض وقال نحوه مجاهد وقالت فرقة المقتسمون هم من كفار قريش الذين اقتسموا الطرق وقت الموسم ليعرفوا الناس بحال محمد صلى الله عليه وسلم وجعلوا القرآن سحراً وشعراً وكهانة فعضوه بهذا وعضوه أعضاء بهذا التقسيم وقال عكرمة المقتسمون هم قوم كانوا يستهزئون بسور القرآن فيقول الرجل منهم هذه السورة لي ويقول الآخر وهذه لي وقوله ^ عضين ^ مفعول ثان وجعل بمعنى صير أي بالسنتهم ودعواهم وأظهر ما فيه أنه جمع عضة وهي الفرقة من الشيء والجماعة من الناس كثرة وثيين وعزة وعزبين وأصلها عضة وثيوة فالياء والنون عوض من المحذوف كما قالوا سنة وسنون إذ أصلها سنة وقال ابن عباس وغيره ^ عضين ^ مأخوذ من الأعضاء أي عضوه فجعلوه أعضاء مقسماً ومن ذلك قول الراجز # (وليس دين الله بالمعضى %) وهذا هو اختيار أبي عبيدة وقال قتادة ^ عضين ^ مأخوذ من العضة وهو السب المفحش فقريش عضوها كتاب الله بقولهم هو شعر هو سحر هو كهانة وهذا هو اختيار الكسائي وقالت فرقة ^ عضين ^ جمع عضة وهي اسم للسحر خاصة بلغة قريش ومنه قول الراجز # (للماء من عضتهن زمزمة %) وقال هذا قول عكرمة مولى ابن عباس وقال العضة السحر وهم يقولون للسحرة العاضة وفي الحديث لعن الله العاضة والمستعضة وهذا هو اختيار الفراء .

@ 375 @ # قال القاضي أبو محمد ومن قال جعلوه أعضاء وإنما أراد قسموه كما تقسم الجزور أعضاء وقوله ^ فوريك لنسألهم ^ إلى آخر الآية ضمير عام ووعد محض يأخذ كل أحد منه بحسب جرمه وعصيانه فالكافر يسأل عن لاله إلا الله وعن الرسل وعن كفره وقصده به والمؤمن العاصي يسأل عن تضييعه والإمام عن رعيته وكل مكلف عما كلف القيام به وفي هذا المعنى أحاديث وقال أبو العالية في تفسير هذه الآية يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين وقال في تفسيرها أنس بن مالك وابن عمر ومجاهد إن السؤال عن لاله إلا الله وذكره الزهراوي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس في قوله ^ فوريك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون ^ قال يقال لهم لم عملتم كذا وكذا وقال وقوله تعالى ^ فيؤمئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ^ معناه يقال له ما أذنبت لأن الله تعالى أعلم بذنبه منه . # قوله عز وجل \$ سورة الحجر 94 - 99 \$ # فاصدع ^ معناه فانصد وصرح بما بعثت به والصدع التفريق بين ملتئم كصدع الزجاجة ونحوه فكان المصريح بقول يرجع إليه يصدع به ما سواه مما يصاده والصدع الصبح لأنه يصدع الليل وقال مجاهد نزلت في أن يجهر بالقرآن في الصلاة وفي ^ تؤمر ^ ضمير عائذ على ^ ما ^ تقديره ما تؤمر به أو تؤمره وفي هذين تنازع وقوله ^ وأعرض عن المشركين ^ من آيات المهادنات التي نسختها آية السيف قاله ابن عباس ثم أعلمه الله تعالى بأنه قد كفاه ^ المستهزئين ^ من كفار مكة ببوائق إصابتهم من الله تعالى لم يسع فيها محمد ولا تكلف فيها مشقة وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير المستهزئون خمسة نفر الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب أبو زمعة والأسود بن عبد يغوث ومن خزاعة الحارث بن الطلائع وهو ابن غيطلة وهو ابن قيس قال أبو بكر الهذلي قلت للزهري إن

ابن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين فقال ابن جبير هو الحارث بن غيطلة وقال عكرمة هو الحارث بن قيس فقال الزهري صدقا أمه عيطلة وأبوه قيس وذكر الشعبي في ^ المستهزئين ^ هيار بن الأسود وذلك وهم لأن هيارا أسلم يوم الفتح ورحل إلى المدينة وذكر الطبري عن ابن عباس أن ^ المستهزئين ^ كانوا ثمانية كلهم مات قبل بدر وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المسجد فاتاه جبريل فجاز الوليد فأوما جبريل بأصبعه إلى ساقه وقال للنبي صلى الله عليه وسلم كفيتم ثم جاز العاصي فأوما إلى أخصه وقال كفيتم ثم مر أبو زمعة فأوما إلى عينه ثم مر الأسود بن عبد يغوث فأوما إلى أخصه وقال كفيتم ثم مر أبو زمعة فأوما إلى عينه ثم مر الأسود بن عبد يغوث فأوما إلى رأسه وقال كفيتم ثم مر الحارث فأوما إلى بطنه وقال كفيتم وكان الوليد قد مر يقين في خرازة .

@ 376 @ فتعلق سهم من نبلة بإزاره فخدش ساقه ثم برئ فانتقض به ذلك الخدش بعد إشارة جبريل فقتله وقيل إن السهم قطع أكمله قاله قتادة ومقسم وركب العاصي بغلة في حاجة فلما جاء ينزل وضع أخصه على شبرقه فورمت قدمه فمات وعمي أبو زمعة وكان يقول دعا علي محمد بالعمى فاستجيب له ودعوت عليه بان يكون طريدا شريدا فاستجيب لي وتمخض رأس الأسود بن عبد يغوث قيحا فمات وإملا بطن الحارث ماء فمات حيناً . # قال القاضي أبو محمد وفي ذكر هؤلاء وكفائتهم اختلاف بين الرواة في صفة أحوالهم وما جرى لهم جلبيت أصحه مختصرا طلب الإيجاز ثم قرر تعالى ذنبهم في الكفر واتخاذ الأصنام آلهة مع الله تعالى ثم توعدهم بعذاب الآخرة الذي هو أشق وقوله تعالى ^ ولقد نعلم أنك بضيق صدرك بما يقولون ^ آية تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية عن أقوال المشركين وإن كانت مما يقلق وضيق الصدر يكون من امتلائه غيظا بما يكره الإنسان ثم أمره تعالى بملازمة الطاعة وأن تكون مسلاته عند الهموم وقوله ^ من الساجدين ^ يريد من المصلين فذكر من الصلاة حالة القرب من الله تعالى وهي السجود وهي أكرم حالات الصلاة وأقمنها نبيل الرحمة وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة فهذا منه صلى الله عليه وسلم أخذ بهذه الآية و ^ اليقين ^ الموت بذلك فسرره هنا ابن عمر ومجاهد والحسن وابن زيد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موت عثمان بن مظعون أما هو فقد رأى اليقين وبروي فقد جاءه اليقين . # وليس ^ اليقين ^ من أسماء الموت وإنما العلم به يقين لا يمتري فيه عاقل فسماه هنا يقينا تجوزا أي يأتيك الأمر اليقين علمه ووقوعه وهذه الغاية معناها مدة حياتك ويحتمل أن يكون المعنى ^ حتى يأتيك اليقين ^ في النصر الذي وعدته .

@ 377 @ \$ بسم الله الرحمن الرحيم \$ سورة النحل \$ هذه السورة كانت تسمى سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده وهي مكية غير قوله تعالى ^ وإن عاقبتم فعاقبوا ^ نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد وغير قوله تعالى ^ واصبر وما صبرك إلا بالله ^ وغير قوله ^ ثم أن ربك للذين هاجروا ^ وأما قوله ^ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا ^ فمكي في شأن هجرة الحبشة . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 1 - 4 \$ روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال جبريل في سرد الوحي ^ أتى أمر الله ^ وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فلما قال ^ فلا تستعجلوه ^ سكن . # قوله ^ أمر الله ^ قال فيه جمهور المفسرين إنه يريد القيامة وفيها وعيد للكفار وقيل المراد نصر محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد تعذيب كفار مكة يقتل محمد صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ظهورهم عليهم ذكر نحو هذا النقاش عن ابن عباس وقيل المراد فرائض الله وأحكامه في عباده وشرعه لهم هذا هو قول الضحاك ويضعفه قوله ^ فلا تستعجلوه ^ إن لا تعرف استعجالا إلا ثلاثة اثنتان منها للكفار وهي في القيامة وفي العذاب والثالث للمؤمنين في النصر وظهور الإسلام وقوله ^ أتى ^ على هذا القول إخبار عن إتيان ما يأتي وضح ذلك من جهة التأكيد وإذا كان الخبر حقا فيؤكد المستقبل بان يخرج في صيغة الماضي أي كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع ويحسن ذلك في خبر الله تعالى لصدق وقوعه وقال قوم ^ أتى ^ بمعنى قرب وهذا نحو ما قلت وإنما يجوز الكلام بهذا عندي لمن يعلم قرينة التأكيد وبفهم المجاز وأما إن كان المخاطب لا يفهم القرينة فلا يجوز وضع الماضي موضع المستقبل لأن ذلك يفسد الخبر ويوجب الكذب وإنما جاز في الشرط لوضوح القرينة ب ^ أن ^ ومن قال إن الأمر القيامة قال إن قوله ^ فلا تستعجلوه ^ رد على المكذبين بالبعث القائلين متى هذا الوعد ومن قال إن الأمر تعذيب الكفار بنصر محمد صلى الله عليه وسلم وقتله لهم قال إن قوله ^ فلا تستعجلوه ^ رد على القائلين ^ عجل لنا قطنا ^

@ 378 @ ونحوه من العذاب أو على مستبطني النصر من المؤمنين في قراءة من قرأ بالتاء وقرأ الجمهور فلا تستعجلوه بالتاء على مخاطبة المؤمنين أو على مخاطبة الكافرين بمعنى قل لهم فلا تستعجلوه وقرأ سعيد بن جبير بالتاء على غيبة المشركين وقرأ حمزة والكسائي بالتاء من فوق وجميع الباقيين قرأ بشركون بالتاء ورجح الطبري القراءة بالتاء من فوق في الحرفين قال أبو حاتم قرأ بشركون بالتاء من فوق والثانية بالتاء من تحت وفي هذه والتي بعدها الأعرج وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن نصح والحسن وأبو رجاء وقرأ عيسى الأولى بالتاء من فوق والثانية بالتاء من تحت وقرأهما جميعا بالتاء من فوق أبو العالية وطلحة والأعمش وأبو عبد الرحمن ويحيى بن وثاب والجحدري وقد روى الأصمعي عن نافع التاء في الأولى . # وقوله ^ سبحانه ^ معناه تنزيها له وحكى الطبري عن ابن جريح قال لما نزلت ^ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ^ قال رجال من الكفار إن هذا يزعم أن أمر الله قد أتى فأمسكوا عما أنتم بسبيله حتى ننظر فلما لم يروا شيئا عادوا فنزلت ^ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ^ فقالوا مثل ذلك فنزلت ^ ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسنا إلا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم ^ وقال أبو بكر بن حفص لما نزلت ^ أتى أمر الله ^ رفعوا رؤوسهم فنزلت ^ فلا تستعجلوه ^ وحكى الطبري عن أبي صادق أنه قرأ يا عبادي أتى أمر الله فلا تستعجلوه . # و ^ سبحانه ^ نصب على المصدر أي تنزيها له وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ينزل بالتاء وشد الزاي ورجحها الطبري لما فيها من التكرار وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الزاي مكسورة وسكون النون وقرأ ابن أبي عيلة بالنون التي للعظمة وشد الزاي وقرأ قتادة بالنون وتخفيف الزاي وسكون النون وفي هذه والتي قبلها شذوذ كثير وقرأ أبو عمرو عن عاصم تنزل الملائكة بضم التاء وفتح النون والزاي وشدوا ورفع الملائكة على ما لم يسم فاعله وهي قراءة الأعمش وقرأ الجحدري بالتاء مضمومة وسكون النون وفتح الزاي وقرأ الحسن وأبو العالية وعاصم الجحدري والأعرج بفتح التاء ورفع الملائكة على أنها فاعله ورواها المفضل عن عاصم و ^ الملائكة ^ هنا جبريل واختلف المتأولون في ^ الروح ^ فقال مجاهد ^ الروح ^ النبوة وقال ابن عباس والوحي وقال قتادة بالرحمة والحي وقال الربيع بن أنس كل كلام الله روح ومنه قوله تعالى ^ أوحينا إليك روحا من أمرنا ^ وقال ابن جريح الروح شخص له صورة كصورة بني آدم ما نزل جبريل قط إلا وهو معه وهو كثير وهم ملائكة وهذا قول ضعيف لم يأت به سند وقال الزجاج ^ الروح ^ ما تحيي به القلوب من هداية الله تعالى . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول حسن فكان اللفظة على جهة التشبيه بالمقايضة إلى الأوامر التي هي في الأفعال والعبادات كالروح للجسد ألا ترى قوله ^ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا لها نورا ^ . # قال القاضي أبو محمد و ^ من ^ في هذه الآية على هذا التأويل الذي قدرنا للتبويض وعلى سائر الأقوال لبيان الجنس و ^ من ^ في قوله ^ من يشاء ^ هي للأنبياء و ^ إن ^ في موضع خفض بدل من ^ الروح ^ ويصح أن تكون في موضع نصب بإسقاط الخافض على تقدير بان أنذروا ويحتمل أن تكون مفسرة بمعنى أي وقرأ الأعمش لينذروا أنه وحسنت النذارة هنا وإن لم يكن في اللفظ ما فيه خوف من

@ 379 @ حيث كان المنذرون كافرين بالألوهية ففي ضمن أمرهم مكان خوف وفي ضمن الإخبار بالوحدانية نهي عما كانوا عليه ووعيد ثم ذكر تعالى ما يقال للأنبياء بالوحي على المعنى ولم يذكره على لفظه لأنه لو ذكره على اللفظ لقال أن أنذروا أنه لا إله إلا الله ولكنه إنما ذكر ذلك على معناه وهذا سائغ في الأقوال إذا حكيت أن تحكى على لفظها أو تحكى بالمعنى فقط وقوله تعالى ^ خلق السماوات والأرض ^ الآية آية تنبيه على قدرة الله تعالى بالحق أي بالواجب اللائق وذلك أنها تدل على صفات يحق لمن كانت له أن يخلق ويخترع ويعيد وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة النافذة بخلاف شركائهم الذين لا يحق لهم شيء من صفات الربوبية وقرأ الأعمش بزيادة فاء فتعالى . # وقوله ^ خلق الإنسان من نطفة ^ يريد ب ^ الإنسان ^ الجنس وأخذ له الغائتين ليظهر له البعد بينهما بقدرة الله وبروي أن الآية نزلت لقول أبي بن خلف من يحيي العظام وهي رميم وقوله ^ خصيم ^ يحتمل أن يريد به الكفرة الذين

يختصمون في الله ويجادلون في توحيد وشرعه ذكره ابن سلام عن الحسن البصري ويحتمل ان يريد أعم من هذا على أن الآية تعدد نعمة الذهن والبيان على البشر ويظهر أنها إذا تقدر في خصام الكافرين ينضاف إلى العبرة وعيدا . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 5 - 9 \$ ^ الأنعام ^ الإبل والبقر والغنم وأكثر ما يقال نعم وأنعام للإبل ويقال للمجموع ولا يقال للغنم مفردة ونصبها إما عطف على ^ الإنسان ^ وإما بفعل مقدر وهو أوجه والدفع السخانة وذهاب البرد بالأكسية ونحوها وذكر النحاس عن الأموي أنه قال الدفء في لغة بعضهم تناسل الإبل . # قال القاضي أبو محمد وقد قال ابن عباس نسل كل شيء وقد قال ابن سيده الدفء نتاج الإبل وأوبارها والانتفاع بها والمعنى الأول هو الصحيح وقرأ الزهري وأبو جعفر دفا بضم الفاء وشدها وتبينها والمنافع ألبانها وما تصرف منها ودهونها وحرثها والنصح عليها وغيره ذلك ثم ذكر الأكل الذي هو من جميعها وقوله ^ جمال ^ أي في المنظر . # و ^ تريخون ^ معناه حين تردونها وقت الرواح إلى المنازل فتأتي بطانا ممتلئة الضروع و ^ تسرحون ^ معناه تخرجونها غدوة إلى السرح تقول سرحت السائمة إذا أرسلتها تسرح فسرحت هي كرجع رجعت وهذا الجمال هو لملكها ولحميه وعلى حسدته وهذا المعنى كقوله تعالى ^ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ^ وقرأ عكرمة والضحاك حينما تريخون حينما تسرحون وقرأت فرقة وحينما تترخون .

@ 380 @ # قال القاضي أبو محمد وأظنها تصحيفا . # والأثقال الأمتعة وقيل المراد هنا الأجسام كقوله ^ وأخرجت الأرض أثقالها ^ أي أجسام بني آدم . # قال القاضي أبو محمد واللفظ يحتمل المعنيين قال النقاش ومنه سمي الإنس والجن الثقيلين وقوله ^ إلى بلد ^ أي بلد توجهتم بحسب اختلاف أغراض الناس وقال عكرمة وابن عباس والربيع بن أنس المراد مكة وفي الآية على هذا حص على الحج # والشق المشقة ومنه قول الشاعر النمر بن توبل # (وذي إبل يسعى وبحسبها له % أحي نصب من شقها ودؤوب) + الطويل + # أي من مشقتها ويقال فيها شق وشق أي مشقة وقرأ أبو جعفر القاري وعمرو بن ميمون وابن أرقم ومجاهد والأعرج بشق الأنفس بفتح الشين ورويت عن نافع وأبي عمرو وذهب الفراء إلى أن معنى ^ بشق الأنفس ^ أي بذهاب نصفها كأنه قد دأبت نصبا وتعبا . # قال القاضي أبو محمد كما تقول لرجل لا تقدر على كذا إلا بذهاب جل نفسك ويقطعه من كبدك ونحو هذا من المجاز وذهبوا في فتح الشين إلى أنه مصدر شق يشق ثم أوجب رافة الله ورحمته في هذه النعم التي أذهبت المشقات ورفع الكلف وقوله ^ والخيل ^ عطف أي وخلق الخيل وقرأ ابن أبي عبله والخيل والبغال والحمير بالرفع في كلها وسميت الخيل لاختيائها في المشية أفهمه أعرابي لأبي عمرو بن العلاء وقوله ^ وزينة ^ نصب بإضمار فعل قيل تقديره وجعلنا زينة وقرأ ابن عباس لتركبها زينة دون واو والنصب حينئذ على الحال من الهاء في ^ تركيبها ^ وقوله ^ ويخلق ما لا تعلمون ^ عبرة منصوبة على العموم أي أن مخلوقات الله من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمها بشر بل ما يخفى عنه أكثر مما يعلمه وقد روي أن الله تعالى خلق ألف نوع من الحيوان منها في البر أربعمائة وبثها بأعيانها في البحر وزاد فيه مائتين ليست في البر . # وكل من خصص في تفسير هذه الآية شيئا كقول من قال سوس الثياب وغير ذلك وإنما هو على جهة المثال لا أن ما ذكره هو المقصود في نفسه . # قال الطبري ^ ما لا تعلمون ^ هو ما أعد الله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر واحتج بهذه الآية مالك رحمه الله ومن ذهب مذهبه في كراهة لحوم الخيل والبغال والحمير أو تحريمها بحسب الاختلاف في ذلك وذكر الطبري عن ابن عباس قال ابن جبير سئل ابن عباس عن لحوم الخيل والبغال والحمير فكرها فاحتج بهذه الآية وقال جعل الله الأنعام للأكل وهذه للركوب وكان الحكم بن عتبة يقول الخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله ويحتج بهذه الآية . # قال القاضي أبو محمد وهذه الحجة غير لازمة عند جماعة من العلماء قالوا إنما ذكر الله عز وجل عظم منافع الأنعام وذكر عظم منافع هذه وأهم ما فيها وليس يقضي ذلك بأن ما ذكر لهذه لا تدخل هذه فيها قال الطبري وفي إجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للأكل دليل على جواز أكل ما ذكر للركوب . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا نظر ولحوم الخيل عند كثير من العلماء حلال وفي جواز أكلها

@ 381 @ حديث أسماء بنت أبي بكر وحديث جابر بن عبد الله كذا نأكل الخيل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . # قال القاضي أبو محمد والبغال والحمير مكروهة عند الجمهور وهو تحقيق مذهب مالك ومن حجة من ألحق الخيل بالبغال والحمير في الكراهية القياس إذ قد تشابهت وفارقت الأنعام في أنها لا تجتر وأنها ذوات حوافر وأنها لا أكرأش لها وأنها متداخلة في النسل إذ البغال بين الحمير والخيل فهذا من جهة النظر وأما من جهة الشرع بأن قرنت في هذه الآية وأسقطت فيها الزكاة وقوله ^ وعلى الله قصد السبيل ^ الآية هذا أيضا من أجل نعم الله تعالى أي على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه وذلك نصب الأدلة وبعث الرسل وإلى هذا ذهب المتأولون ويحتمل أن يكون المعنى أن مرسلك السبيل القاصد فعلى الله ورحمته وتنعيمة طريقه وإلى ذلك مصيره فيكون هذا مثل قوله تعالى ^ هذا صراط علي مستقيم ^ وضد قول النبي صلى الله عليه وسلم والنشر ليس إليك أي لا يفرضي إلى رحمتك وطريق قاصد معناه بين مستقيم ومنه قول الآخر . # (فصد عن نهج الطريق القاصد %) # والألف واللام في ^ السبيل ^ للعهد وهي سبيل الشرع وليست للجنس ولو كانت للجنس لم يكن فيها جائر وقوله ^ ومنها جائر ^ يريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم كعبدة الأصنام والضمير في ^ منها ^ يعود على ^ السبيل ^ التي تضمنها معنى الآية كأنه قال ومن السبيل جائر فأعاد عليها وإن كان لم يجر له ذكر لتضمن لفظه ^ السبيل ^ بالمعنى لها ويحتمل أن يعود الضمير في ^ منها ^ على سبيل الشرع المذكورة وتكون من للتبعيض ويكون المراد فرق الضلالة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال ومن بنيات الطرف في هذه السبيل ومن شعبها جائر وقوله ^ ولو شاء لهداكم أجمعين ^ معناه لخلق الهداية في قلوب جميعكم ولم يضل أحد وقال الزجاج معناه لو شاء لعرض عليكم آية تضطرركم إلى الإيمان والاهتداء . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول سوء لأهل البدع الذين يرون أن الله لا يخلق أفعال العباد لم يحصله الزجاج ووقع فيه رحمه الله عن غير قصد وفي مصحف عبد الله بن مسعود ومنكم جائر وقرأ علي بن أبي طالب فعنكم جائر و ^ السبيل ^ تذكر وتؤنث . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 10 - 12 \$ # هذا تعدد نعمة الله في المطر وقوله ^ ومنه شجر ^ أي يكون منه بالتدرج إذ يسقي الأرض فينبت

@ 382 @ عن ذلك السقي الشجر وهذا من التجوز كقول الشاعر # (أسنمة الآبال في ربابه %) + الرجز + # وكما سمي الآخر العشب سماء في قوله # (إذا نزل السماء بأرض قوم % رعيناه وإن كانوا غصبا) + الوافر + # قال أبو إسحاق يقال لكل ما نبت على الأرض شجر وقال عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت يعني الكلاً . # و (تسيمون) معناه ترعون أنعامكم وسومها من الرعي وتسرحونها ويقال للأنعام السائمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سائمة الغنم الزكاة يقال أسام الرجل ماشيته إسامة إذا أرسلها ترعى وسومها أيضا وسامت هي ومن ذلك قول الأعشى . # (ومشى القوم بالأنعام إلى الروحي % وأعبي المسيم ابن المساق) # ومنه قول الآخر # (مثل ابن بزعة أو كآخر مثله % أولى لك ابن مسيمة الأجمال) + الكامل + # أي راعية للأجمال وفسر المتأولون بترعون وقرأ الجمهور بنيت بالياء على معنى بنيت الله يقال نبت الشجر وأنبته الله وروي أنبت الشجر بمعنى نبت وكان الأصمعي يابى ذلك وينتم قصيدة زهير التي فيها حتى إذا أنبت البقل وقرأ أبو بكر عن عاصم نبت بنون العظيمة وخص عز وجل ذكر هذه الأربعة لأنها أشرف ما بنيت وأجمعها للمنافع ثم عم بقوله ^ من كل الثمرات ^ ثم أحال القول على الفكرة في تصاريح النبات والأشجار وهي موضع عبر في ألوانها وأطراد خلقها وتناسب أطرافها فسبحان الخلاق العليم . # وقوله تعالى ^ وسخر لكم الليل والنهار ^ الآية قرا الجمهور بإعمال ^ سخر ^ في جميع ما ذكر ونصب مسخرات على الحال المؤكدة كما قال تعالى ^ وهو الحق مصدقا ^ وكما قال الشاعر # (أنا ابن دارة معروفًا في نسبي %) + البسيط + # ونحو هذا وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات برفع هذا كله وقرأ حفص عن عاصم والنجوم مسخرات بأمره بالرفع ونصب ما قيل ذلك والمعنى في هذه الآية أن هذه المخلوقات مسخرات على رتبة قد استمر بها انتفاع البشر من السكون بالليل والسعي في المعاش وغير ذلك بالنهار وأما منافع الشمس والقمر فأكثر من أن تحصى وأما النجوم فهدايات وبهذا الوجه عدت من جملة النعم على بني آدم ومن النعمة بها ضياؤها أحيانا قال الزجاج وعلم عدد السنين والحساب بها . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا نظر وقرأ ابن مسعود والأعشى وطلحة بن مصرف والرياح مسخرات في موضع النجوم ثم قال ^ إن في ذلك لآيات ^ لعظم الأمر لأن كل واحد مما ذكر آية في نفسه لا يشترك مع الآخر وقال في الآية قبل الآية لأن شيئا واحدا يعم تلك الأربعة وهو النبات وكذلك

@ 383 @ في ذكر ^ ما ذرأ ^ ليسارته بالإضافة وأيضا فآية بمعنى آيات واحد يراد به الجمع . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 13 - 15 \$ ذرأ ^ معناه بث ونشر والذرية من هذا في أحد الأقوال في اشتقاقها وقوله ^ ألوانه ^ معناه أصنافه كما تقول هذه ألوان من التمر ومن الطعام ومن حيث كانت هذه الميثونات في الأرض أصنافا فأعدت في النعمة وظهر الانتفاع بها أنه علي وجوه ولا يظهر ذلك من حيث هي متلوثة حمرة وصفرة وغير ذلك ويحتمل أن يكون التنبيه على اختلاف الألوان حمرة وصفرة والأول آيين . # وقوله تعالى ^ وهو الذي سخر البحر ^ الآية تعيد نعم وتسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله للركوب والإرفاق وغيره و ^ البحر ^ الماء الكثير ملحا كان أو عذبا كله يسمى بحرا و ^ البحر ^ هنا اسم جنس وإذا كان كذلك فمنه أكل اللحم الطري ومنه استخراج الحلية وأكل اللحم يكون من ملحه وعذبه وإخراج الحلية إنما يكون فيما عرف من الملح فقط ومما عرف من ذلك اللؤلؤ والمرجان والصدف والصفوف البحري وقد يوجد في العذب لؤلؤ لا يلبس إلا قليلا وإنما يتدواى به ويقال إن في الزمرد بحريا وقد خطيء الهذلي في وصف الدرة . # (ف جاء بها من درة لطمية % على وجهها ماء الفرات يدوم) + الطويل + # فجعلها من الماء الحلو . # قال القاضي أبو محمد وتأمل أن قوله يخرج على أنه وصف بريقتها ومائيتها فشيبه بماء الفرات ولم يذهب إلى الغرض الذي خطيء فيه واللحم الطري والحلية ما تقدم و ^ الفلك ^ هنا جمع و ^ مواخر ^ جمع ماخرة والمخر في اللغة الصوت الذي يكون من هبوب الريح على شيء يشق أو يصعب في الجملة الماء فيترتب منه أن يكون من السفينة ونحوها وهو في هذه الآية من السفن ويقال للسحاب نبات مخر تشبيها إذ في جربها ذلك الصوت الذي هو عن الريح والماء الذي في السحاب وأمرها يشبه أمر البحر على أن الزجاج قد قال نبات المخر سحاب بيض لا ماء فيها وقال بعض اللغويين المخر في كلام العرب الشق يقال مخر الماء الأرض . # قال القاضي أبو محمد فهذا بين أن يقال فيه للفلك ^ مواخر ^ وقال قوم ^ مواخر ^ معناه تجيء وتذهب بريح واحدة وهذه الأقوال ليست تفسير اللفظة وإنما أرادوا أنها مواخر بهذه الأحوال إذ هي موضع النعمة المعددة إذ نفس كون الفلك ماخرة لا نعمة فيه وإنما النعمة في مخرها بهذه الأحوال في

@ 384 @ التجارات والسفر فيها وما يمنح الله لها من الأرباح والمخ في اللغة صوت هبوب الريح ولم يقيد ذلك يكون في ماء وقال إن من ذلك قول واصل مولى ابن عيينة إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح أي لينظر في صوتها في الأجسام من أين تهب فيتجنب استقبالها لئلا ترد عليه بوله وقوله ^ ولتبتغوا ^ عطف على ^ تاكلوا ^ وهذا ذكر نعمة لها تفاصيل لا تحصى فيه إباحة ركوب البحر للتجارة وطلب الأرباح وهذه ثلاثة أسباب في تسخير البحر وقوله ^ وألقى في الأرض ^ الآية قال المتأولون ^ ألقى ^ بمعنى خلق وجعل . # قال القاضي أبو محمد وهي عندي أخص من خلق وجعل وذلك أن ^ ألقى ^ تقتضي أن الله أحدث الجبال ليس من الأرض لكن من قدرته واختراعه ويؤيد هذا النظر ما روي في القصص عن الحسن بن قيس بن عباد أن الله تعالى لما خلق الأرض وجعلت تمور فقالت الملائكة ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصاحت ضحى وفيها رواسيها . # والرواسي الثوابت رسا الشيء برسوا إذا ثبت ومنه قول الشاعر في صفة الودت # (وأشعث أرسنه الوليدة بالفهد %) # و ^ أن ^ مفعول من أجله والميد الاضطراب وقوله ^ أنهارا ^ منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا . # قال القاضي أبو محمد وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على خصوص ل ^ ألقى ^ ولو كانت ^ ألقى ^ بمعنى خلق لم يحتج إلى هذا الإضمار والسبل الطرق وقوله ^ لعلمكم تهتدون ^ في مشيكم وتصرفكم في السبل ويحتمل ^ لعلمكم تهتدون ^ بالنظر في هذه المصنوعات على صنعها وهذا التأويل هو البارغ أي سخر وألقى وجعل أنهارا وسبلا لعل البشر يعتبر ويرشد ولتكون علامات . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 16 - 21 \$ # ^ علامات ^ نصب على المصدر أي فعل هذه الأشياء لعلمكم تعتبرون بها ^ وعلامات ^ أي عبرة وإعلاما في كل سلوك فقد يهتدي بالجبال والأنهار والسبل واختلف الناس في معنى قوله ^ وعلامات ^ على أن الأظهر عندي ما ذكرت فقال ابن الكلبي العلامات الجبال وقال إبراهيم النخعي ومجاهد العلامات النجوم ومنها ما سمي علامات ومنها ما يهتدي به وقال ابن عباس العلامات معالم الطرق بالنهار والنجوم هداية الليل .

@ 385 @ # قال القاضي أبو محمد والصواب إذا قدرنا الكلام غير معلق بما قبله أن اللفظة تعم هذا وغيره وذلك أن كل ما دل على شيء وأعلم به فهو علامة وأحسن الأقوال المذكورة قول ابن عباس رضي الله عنه لأنه عموم في المعنى فتأمله وحدثنني أبي رضي الله عنه أنه سمع بعض أهل العلم بالمشرك يقول إن في بحر الهند الذي يجري فيه من اليمن إلى الهند حيتانا طويلا رقاقا كالحيات في التوائها وحركتها والوانها وإنها تسمى علامات وذلك أنها علامة الوصول إلى بلد الهند وأمارة إلى النجاة والانتهاة إلى الهند لطول ذلك البحر وضعوته وإن بعض الناس قال إنها التي أراد الله تعالى في هذه الآية . # قال القاضي أبو محمد قال أبي رضي الله عنه وأما من شاهد تلك العلامات في البحر المذكور وعابنها فحدثني منهم عدد كثير وقرأ الجمهور وبالنجم على أنه اسم الجنس وقرأ يحيى بن وثاب وبالنجم بضم النون والجيم ساكنة على التخفيف من ضمها وقرأ الحسن وبالنجم بضم النون وذلك جمع كستف وسقف ورهن ورهن ويحتمل أن يراد وبالنجوم فحذفت الواو . # قال القاضي أبو محمد وهذا عندي توجيه ضعيف وقال الفراء المراد الجدي والفرقدان . # وقال غيره المراد القطب الذي لا يجري وقال قوم غير هذا وقال قوم هو اسم الجنس وهذا هو الصواب ثم قررهم على التفرقة بين من يخلق الأشياء ويخترعها وبين من لا يقدر على شيء من ذلك وغير عن الأصنام ب من لوجهين أحدهما أن الآية تضمنت الرد على جميع من عبد غير الله وقد عبرت طوائف من تقع عليه العبارة ب من والآخر أن العبارة جرت في الأصنام بحسب اعتقاد الكفرة فيها في أن لها تأثيرا وأفعالا ثم وبخهم بقوله ^ أفلا تذكرون ^ وقوله ^ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي إن حاولتم إحصاءها وحصرها عددا حتى لا يشد شيء منها لم تقدروا على ذلك ولا اتفق لكم إحصاؤها إذ ه ي في كل دقيقة من أحوالكم . # والنعمة هنا مفردة يراد بها الجمع وبحسب العجز عن عد نعم الله يلزم أن يكون الشاكر لها مقصرا عن بعضها فلذلك قال عز وجل ^ إن الله لغفور رحيم ^ أي تقصيركم في الشكر عن جميعها نحا هذا المنحى الطبري ويرد عليه أن نعمة الله تعالى في قول العبد الحمد لله رب العالمين مع شروطها من النية والطاعة يوارى جميع النعم ولكن أين قولها بشروطها والمخاطبة بقوله ^ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ^ عامة لجميع الناس وقوله ^ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ^ الآية متصلة بمعنى ما قبله أي أن الله لغفور في تقصيركم عن شكر ما لا تحصونه من نعم الله وأن الله تعالى يعلم سرركم وعلمكم فيغني ذلك عن إلزامكم شكر كل نعمة هذا على قراءة من قرأ تسرون بالتاء مخاطبة للمؤمنين فإن جمهور القراء قرأ تسرون بالتاء من فوق وتعلنون وتدعون كذلك وهي قراءة الأعرج وشيبة وأبي جعفر ومجاهد على معنى قل يا محمد للكفار وقرأ عاصم تسرون وتعلنون بالتاء من فوق ويدعون بياء من تحت على غيبة الكفار وهي قراءة الحسن بن أبي الحسن وروي هبيرة عن حفص عن عاصم كل ذلك بالتاء على غيبة الكفار وروي الكسائي عن أبي بكر عن عاصم كل ذلك بالتاء من فوق وقرأ الأعمش وأصحاب عبد الله يعلم الذي تبدون وما تكتمون وتدعون بالتاء من فوق في الثلاثة ^ تدعون ^ معناه تدعونه إليها وغير عن الأصنام ب ^ الذين ^ على ما قدمنا من أن ذلك يعم الأصنام وما عبد من دون الله وغيرها وقوله تعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ^ أجمع عبارة في نفي أحوال

@ 386 @ الربوبية عنهم وقرأ محمد اليماني والذين يدعون بضم الباء وفتح على ما لم يسم . # و ^ أموات ^ يراد به الذين يدعون من دون الله ورفع على خير ابتداء مضمر تقديره هم أموات ويجوز أن يكون خبرا لقوله ^ والذين ^ بعد خبر في قوله لا يخلقون ^ ووصفهم بالموت مجازا . # وإنما المراد لا حياة لهم فشبها بالموت وقوله ^ غير أحياء ^ أي لم يقلبوا حياة قط ولا اتصفوا بها . # قال القاضي أبو محمد وعلى قراءة من قرأ والذين يدعون فإلياء على غيبة الكفار يجوز أن يراد بالأموات الكفار الذين ضميرهم في يدعون شبههم بالأموات غير الأحياء من حيث هم ضلال غير مهتدين ويستقيم على هذا فيهم قوله ^ وما يشعرون إيان يبعثون ^ والبعث هنا هو الحشر من القبور و ^ إيان ^ ظرف زمان مبني وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي إيان بكسر الهمزة والفتح فيها والكسر لغتان وقالت فرقة ^ وما يشعرون ^ أي الكفار ^ إيان يبعثون ^ الضميران لهم وقالت فرقة وما يشعر الأصنام إيان يبعث الكفار . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يكون الضميران للأصنام ويكون البعث الإثارة كما تقول بعثت النائم من نومه إذا نبهته وكما تقول بعث الرامي سهمه فكانه وصفهم بغاية الجمود أي وإن طلبت حركاتهم بالتحريك لم يشعروا لذلك . # قال القاضي أبو محمد وعلى

تأويل من يرى الضمير للكفار ينبغي أن يعتقد في الكلام الوعيد وما يشعر الكفار متى يبعثون إلى التعذيب ولو اختصر هذا المعنى لم يكن في وصفهم بأنهم لا يشعرون وأبان يبعثون طائل لأن الملائكة والأنبياء والصالحين كذلك هم في الجهل بوقت البعث وذكر بعض الناس أن قوله ^ أبان يبعثون ^ طرف لقوله ^ إلهكم إله واحد ^ وأن الكلام تم في قوله ^ وما يشعرون ^ ثم أخبر عن يوم القيامة أن الإله فيه واحد وهذا توعد . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 22 - 25 \$ لما تقدم وصف الأصنام جاء الخبر الحق بالوحدانية وهذه مخاطبة لجميع الناس معلمة بأن الله تعالى متحد وحدة تامة لا يحتاج لكمالها إلى مضاف إليها ثم أخبر عن إنكار قلوب الكافرين وأنهم يعتقدون ألوهية أشياء آخر ويستكبرون عن رفض معتقدتهم فيها واطراح طريقة آبائهم في عبادتها ووسمهم بأنهم لا يؤمنون بالآخرة إذ هي أقوى رتب الكفر أعني الجمع بين التكذيب بالله تعالى وبالبعث لأن كل مصدق يبعث فمحال أن يكذب بالله وقوله لا جرم ^ عبرت فرقة من النحويين عن معناها بلا بد

@ 387 @ ولا محالة وقالت فرقة معناها حق ان الله ومذهب سيبويه أن لا ^ نفي لما تقدم من الكلام و ^ جرم ^ معناها حق ووجب ونحو هذا هو مذهب الزجاج ولكن مع مذهبهما لا ملازمة ل ^ جرم ^ لا تنفك هذه من هذه وفي ^ جرم ^ لغات قد تقدم ذكرها في سورة هود وأنشد أبو عبيدة جرمت فزارة وقال معناها حقت عليهم وأوجبت أن يغضبوا و ^ أن ^ على مذهب سيبويه فاعلة ب ^ جرم ^ وقرأ الجمهور أن وقرأ عيسى الثقفي إن بكسر الألف على القطع قال يحيى بن سلام والنقاش المراد هنا بما يسرون مشاورتهم في دار الندوة في قتل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ^ إنه لا يحب المستكبرين ^ عام في الكافرين والمؤمنين فأخذ كل واحد منهم بقسطه وفي الحديث لا يدخل الجنة وفي قلبه مثقال حبة من كبر وفيه أن الكبر منع الحق وعمص الناس . # وبروي عن الحسن بن علي أنه كان يجلس مع المساكين ويحدثهم ثم يقول ^ إنه لا يحب المستكبرين ^ وروي في الحديث أنه من سجد لله سجدة من المؤمنين فقد برئ من الكبر . # وقوله ^ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ^ الآية الضمير في ^ لهم ^ لكفار مكة ويقال إن سبب الآية كان النضر بن الحارث سافر عن مكة إلى الحيرة وغيرها وكان قد اتخذ كتب التواريخ والأمثال ككيلة ودمنة وأخبار السندباد ورستم فجاء إلى مكة فكان يقول إنما يحدث محمد بأساطير الأولين وحديثي أجمل من حديثه وقوله ^ ماذا ^ يجوز أن تكون ما استفهاما وذا بمعنى الذي وفي ^ أنزل ^ ضمير عائذ ويجوز أن يكون ما وذا اسما واحدا مركبا كأنه قال أي شيء وقوله ^ أساطير الأولين ^ ليس بجواب على السؤال لأنهم لم يريدوا أنه نزل شيء ولا أن تم منزلا ولكنهم ابتدوا الخبر بأن هذه ^ أساطير الأولين ^ # وإنما الجواب على السؤال قول المؤمنين في الآية المستقبلية ^ خيرا ^ وقولهم ^ أساطير الأولين ^ إنما هو جواب بالمعنى فاما على السؤال وبحسبه فلا واللام في قوله ^ ليحملوا ^ يحتمل أن تكون لام العاقبة لأنهم لم يقصدوا بقولهم ^ أساطير الأولين ^ ليحملوا الأوزار ويحتمل أن يكون صريح لام كي على معنى قدر هذا ويحتمل أن تكون لام الأمر على معنى الحتم عليهم بذلك والصغار الموجب لهم والأوزار الأثقال وقوله ^ ومن للتبعض وذلك أن هذا الواهن المضل يحمل وزر نفسه كاملا ويحمل وزرا من وزر كل مضل بسببه ولا تنقص أوزار أولئك وقوله ^ بغير علم ^ يجوز أن يريد بها المضل أي أضل بغير برهان قام عنده ويجوز أن يريد ^ بغير علم ^ من المقلدين الذين يضلون ثم استفتح الله تعالى الإخبار عن سوء ما يتحملونه للآخرة وأسند الطبري وغيره في معنى هذه الآية حديثا نصه أما داع دعا إلى ضلالة فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وأما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء و ^ ساء ^ فعل مسند إلى ^ ما ^ ويحتاج في ذلك هنا إلى صلة . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 26 - 27 \$

@ 388 @ قال ابن عباس وغيره من المفسرين الإشارة ب ^ الذين من قبلهم ^ إلى نمرود الذي بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء على زعمه فلما أفرط في علوه وطوله في السماء فرسخين على ما حكى النقاش بعض الله عليها رمحا فهدمته وخر سقفه عليه وعلى أتباعه وقيل جبريل هدمه بجناحه وألقى أعلاه في البحر وانحرف من أسفله وقالت فرقة أخرى المراد ب ^ الذين من قبلهم ^ جميع من كفر من الأمم المتقدمة ومكر ونزلت فيه عقوبة من الله تعالى وقوله على هذا ^ فأتى الله بنيانهم من القواعد ^ إلى آخر الآية تمثيل وتشبيه أي حالهم بحال من فعل به هذا وقالت فرقة المراد بقوله ^ فخر عليهم السقف من فوقهم ^ أي جاءهم العذاب من قبل السماء . # قال القاضي أبو محمد وهذا ينحو إلى اللعن ومعنى قوله ^ من فوقهم ^ رفع الاحتمال في قوله ^ فخر عليهم السقف ^ فإنك تقول إنهدم على فلان بناؤه وهو ليس تحته كما تقول أنفسد عليه متاعه وقوله ^ من فوقهم ^ أزم أنهم كانوا تحته . # وقوله ^ فأتى ^ أي أتى أمر الله وسلطانه وقرأ الجمهور بنيانهم وقرأت فرقة بنيتهم وقرأ جعفر بن محمد بيتهم وقرأ الضحاک بيوتهم وقرأ الجمهور السقف بسكون القاف وقرأت فرقة بضم القاف وهي لغة فيه وقرأ الأعرج السقف بضم السين والقاف وقرأ مجاهد السقف بضم السين وسكون القاف وقوله ^ ثم يوم القيامة ^ الآية ذكر الله تعالى في هذه الآية المتقدمة حال هؤلاء الماكربن في الدنيا ثم ذكر في هذه حالهم في الآخرة وقوله ^ يخزيهم ^ لفظ يعم جميع المكاره التي تنزل بهم وذلك كله راجع إلى إدخالهم النار وهذا نظير وقوله ^ ربنا إنك من تدخل النار فقط أخزيتهم ^ وقوله ^ أين شركائهم ^ توبيخ لهم وأضافهم إلى نفسه في مخاطبة الكفار أي على زعمكم ودعواكم قال أبو علي وهذا كما قال الله تعالى حكاية ^ ذق إنك أنت العزيز الكريم ^ وكما قال ^ يا أيها الساحر ادع لنا ربك ^ . # قال القاضي أبو محمد والإضافات تترتب معقولة وملفوظا بأرق سبب وهذا كثير في كلامهم ومنه قول الشاعر # (إذا قلت قدني قال تالله حلفة % لنغني عني ذا إنائك أجمعا) # فأضاف الإناء إلى حابسه وقرأ البيزي عن ابن كثير شركاي بقصر الشركاء وقرأت فرقة شركاء ي بالمد وباء ساكنة و ^ تشاقون ^ معناه تحاربون وتحارجون أي تكون في شق والحق في شق وقرأ الجمهور تشاقون بفتح النون وقرأ نافع وحده بكسر النون ورويت عن الحسن بخلاف وضعف هذه القراءة أبو حاتم وقد تقدم القول في مثله في الحجر في ^ تبشرون ^ وقرأت فرقة تشاقوني بشد النون وباء بعدها و ^ الذين أوتوا العلم ^ هم الملائكة فيما قال بعض المفسرين وقال يحيى بن سلام هم المؤمنون وهذا الخطاب منهم يوم القيامة .

@ 389 @ # قال القاضي أبو محمد والصواب أن يعم جميع من آتاه الله علم ذلك من جميع من حضر الموقف من ملك أو إنسي وغير ذلك وباقي الآية بين . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 28 - 30 \$ # الذين ^ نعت للكافرين في قول أكثر المتأولين ويحتمل أن يكون ^ الذين ^ مرتفعا بالابتداء منقطعاً مما قبله وخبره في قوله ^ فألقوا السلم ^ فزبدت الفاء في الخبر وقد يجيء مثل هذا و ^ الملائكة ^ يريد القابضين لأرواحهم وقوله ^ ظالمي أنفسهم ^ حال و ^ السلم ^ هنا الاستسلام أي رموا بأيديهم وقالوا ^ ما كنا نعمل من سوء ^ فحذف قالوا دلالة الظاهر عليه قال الحسن هي مواطن بمررة يقرون على أنفسهم كما قال ^ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ^ ومرة يجحدون كهذه الآية ويحتمل قولهم ^ ما كنا نعمل من سوء ^ وجهين أحدهما أنهم كذبوا وقصدوا الكذب اعتصاما منهم به على نحو قولهم ^ والله ربنا ما كنا مشركين ^ والآخر أنهم أخبروا عن أنفسهم بذلك على ظنهم أنهم لم يكونوا يعملون سوءاً فأخبروا عن ظنهم بأنفسهم وهو كذب في نفسه . # و ^ عليم بما كنتم تعملون ^ وعيد وتهديد وظاهر الآية أنها عامة في جميع الكفار والقاؤهم السلم ضد مشافهتهم قيل وقال عكرمة نزلت في قوم من أهل مكة آمنوا بقولهم ولم يهاجروا الأخرى التي نزلت في مكرهين إلى بدر فقتلوا هنالك فنزلت فيهم هذه الآية . # قال القاضي أبو محمد وإنما اشبهت عليه بالآية الأخرى التي نزلت في أولئك باتفاق من العلماء وعلى هذا القول يحسن قطع ^ الذين ^ ورفع بالابتداء فتامله والقانون أن ^ بلى ^ تحيء بعد النفي ونعم تحيء بعد الإيجاب وقد تحيء بعد التقرير كقوله ليس كذا ونحوه ولا تحيء بعد نفي سوى التقرير وقرأ الجمهور تتوفاهم بالتاء فوق وقرأ حمزة يتوفاهم بالياء وهي قراءة الأعمش قال أبو زيد أدغم أبو عمرو بن العلاء السلم ما وقوله ^ فادخلوا ^ من كلام الذي يقول ^ بلى و ^ أبواب جهنم ^ مفضية إلى طبقاتها التي هي بعض على بعض والأبواب كذلك باب على باب و ^ خالدين ^ حال واللام في قوله ^ فليئس لام التأكيد . # قال القاضي أبو محمد وذكر سيبويه رحمه الله وهو إجماع النحويين قال ما علمت أن لام التأكيد لا تدخل على الفعل الماضي وإنما تدخل عليه لام القسم لكن دخلت على بئس لما لم تتصرف أشبهت الأسماء وبعدت عن حال الفعل من جهة أنها لا تدخل على زمان والمثوى موضع الإقامة ونعم

@ 390 @ وثس إنما تدخلان على معرف بالألف واللام أو مضاف إلى معرف بذلك والمذموم هنا محذوف تقديره بثس المنوى ^ منوى المتكبرين ^ والمتكبر هنا هو الذي أفضى به كبره إلى الكفر وقوله ^ وقيل للذين اتقوا ^ الآية لما وصف تعالى مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين عادل ذلك بذكر مقالة المؤمنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأوجب لكل فريق ما يستحق لتباين المنازل بين الكفر والإيمان و ^ ماذا ^ تحتل ما ذكر في التي قبلها وقولهم ^ خيرا ^ جواب بحسب السؤال واختلاف المتأولون في قوله تعالى ^ للذين أحسنوا ^ إلى آخر الآية فقالت فرقة هو ابتداء كلام من الله مقطوع مما قبله لكنه بالمعنى وعد متصل بذكر إحسان المتقين في مقاتلتهم وقالت فرقة هو من كلام الذين ^ قالوا خيرا ^ وهو تفسير للخير الذي أنزل الله في الوحي على نبينا خيرا أن من أحسن في الدنيا بطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة بدخول الجنة وروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة . # وقد تقدم القول في إضافة الدار إلى الآخرة وباقي الآية بين . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 31 - 32 \$ ^ جنات عدن ^ يحتمل أن يرتفع على خبر ابتداء مضمر بتقدير هي جنات عدن ويحتمل أن يرتفع بقوله ^ ولنعم دار المتقين ^ جنات عدن ^ ويحتمل أن يكون التقدير لهم جنات عدن ويحتمل أن يكون ^ جنات ^ مبتدأ وخبره ^ يدخلونها ^ وقرأ زيد بن ثابت وأبو عبد الرحمن جنات بالنصب وهذا نحو قولهم زيد ضربته وقرأ جمهور الناس يدخلونها وقرأ إسماعيل عن نافع يدخلونها بضم الياء وفتح الخاء ولا يصح هذا عن نافع ورويت عن أبي جعفر وشيبة بن نصاح وقوله ^ تجري من تحتها الأنهار ^ في موضع الحال وباقي الآية بين . # وقرأ الجمهور تتوفاهم بالتاء وقرأ الأعمش يتوفاهم بالياء من تحت وفي مصحف ابن مسعود تتوفاهم بياء واحدة في الموضعين و ^ طيبين ^ عبارة عن صلاح حالهم واستعدادهم للموت وهذا بخلاف ما قال في الكفرة ^ ظالمي أنفسهم ^ والطيب الذي لا خيث معه ومنه قوله تعالى ^ طيبتم فادخلوها خالدين ^ وقول الملائكة ^ سلام عليكم ^ بشارة من الله تعالى وفي هذا المعنى أحاديث صحاح يطول ذكرها وقوله ^ بما كنتم تعملون ^ أي بما كان في أعمالكم من تكسبكم وهذا على التجوز علق دخولهم الجنة بأعمالهم من حيث جعل الأعمال أمانة لإدخال العبد الجنة ويعترض في هذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة وهذه الآية ترد بالتأويل إلى معنى الحديث .

@ 391 @ # قال القاضي أبو محمد ومن الرحمة والتغمد أن يوفق الله العبد إلى أعمال برة ومقصد الحديث نفى وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل كما ذهب إليه فريق من المعتزلة . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 33 - 35 \$ ^ ينظرون ^ معناه ينتظرون ونظر متى كانت من رؤية العين وإنما تعديها العرب ب إلى ومتى لم تتعد ب إلى فهو بمعنى انتظر كما قال امرؤ القيس # (فإنكما إن تنظراني ساعة % من الدهر تنفعي لدى أم جندب) # ومنه قوله تعالى حكاية ^ انظرونا نقتبس من نور ^ وقد جاء بشاذا نظرت بمعنى الرؤية متعديا بغير إلى كقول الشاعر # (باهرات الجمال والحسن ينظرن % كما تنظر الأراك الضياء) # وقرأ الجمهور تأنيهم بالتاء من فوق وقرأ حمزة والكسائي بآنيهم بالياء وهي قراءة يحيى بن وثاب وطلحة والأعمش ومعنى الكلام أن تأنيهم الملائكة لقبض أرواحهم ظالمي أنفسهم وقوله ^ أو يأتي أمر ربك ^ وعيد يتضمن قيام الساعة أو عذاب الدنيا ثم ذكر تعالى أن هذا كان فعل أسلافهم من الأمم أي فعوقبوا ولم يكن ذلك ظلما لأنه لم يوضع ذلك العقاب في غير موضعه ولكن ظلموا أنفسهم بأن وضعوا كفرهم في جهة الله وميلهم إلى الأصنام والأوثان فهذا وضع الشيء في غير موضعه أي أذوا بنفس فعلهم وإن كانوا لم يقصدوا ظلمها ولا إذابتها وقوله ^ فأصاهم سيئات ما عملوا ^ أي جزاء ذلك في الدنيا والآخرة . # وفاق ^ معناه نزل وأحاط وهنا محذوف يدل عليه الظاهر من الكلام تقديره جزاء ^ ما كانوا به يستهزئون ^ وقوله تعالى ^ وقال الذين أشركوا ^ الآية جدل من الكفار وذلك أن أكثر الكفار يعتقدون وجود الله تعالى وأنه خالقهم ورازقهم فإن كان أهل هذه الآية من هذا الصنف فكأنهم قالوا يا محمد نحن من الله بمرئ في عبادة الأوثان لتنفع وتقرب زلفى ولو كره الله فعلنا لغيره منذ مدة إما بإهلاكنا وإما بهدائنا وكان من الكفار فريق لا يعتقد وجود الله تعالى فإن كان أهل هذه الآية من هذا الصنف فكأنهم أخذوا الحجة على النبي صلى الله عليه وسلم من قوله أي إن الرب الذي تبتته يا محمد وهو على ما تصفه يعلم ويقدر لا شك أنه يعلم حالنا ولو كرهها لغيرها والرد على هذين الفريقين هو في أن الله تعالى ينهى عن الكفر وقد أراده يقوم وإنما نصب الأدلة وبعث الرسل وبسر كلا لما حتم عليه وهذا الجدل من أي الصنفين فرضته ليس فيه استهزاء لكن أبا إسحاق الزجاج قال إن هذا الكلام على

@ 392 @ جهة الهزء فذهب أبو إسحاق رحمه الله والله أعلم إلى أن الطائفة التي لا تقول بآله ثم أقامت الحجة من مذهب خصمها كأنها مستهزئة في ذلك وهذا جدل محض والرد عليه كما ذكرناه وقوله ^ فهل علي الرسل إلا البلاغ المبين ^ يشير إلى ما ذكرناه وقولهم ^ ولا حرمنا ^ يريدون البحيرة والسائبة والوصيلة وغير ذلك مما شرعوه وأخبر الله تعالى أن هذه النزعة قد سبقهم الأولون من الكفار إليها كأنه قال والأمر ليس على ما ظنوه من أن الله تعالى إذا أراد الكفر لا يأمر بتركه بل قد نصب الله لعباده الأدلة وأرسل الرسل منذرين وليس عليهم إلا البلاغ . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 36 - 38 \$ # لما أشار قوله تعالى ^ فهل علي الرسل إلا البلاغ المبين ^ إلى إقامة الحجة حسبما ذكرناه بين ذلك في هذه الآية أي إنه بعث الرسل أمرا بعبادته وتجنب عبادة غيره و ^ الطاغوت ^ في اللغة كل ما عبد من دون الله من آدمي راض بذلك أو حجر أو خشب ثم أخبر أن منهم من اعتبر وهواه الله ونظر ببصيرته ومنهم أيضا من أعرض وكفر ^ فحقت عليه الضلالة ^ وهي مؤدية إلى النار حتما ومنه من أدته إلى عذاب الله في الدنيا ثم أحالهم في علم ذلك على الطلب في الأرض واستقراء الأمم والوقوف على عواقب الكافرين المكذبين وقوله ^ إن تحرص ^ الآية الحرص أبلغ الإرادة في الشيء وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي إن حرصك لا ينفع فإنها أمور محتومة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة ومجاهد وشبل ومزاحم الخراساني وأبو رجاء العطاردي وابن سيرين لا يهدي بضم الياء وفتح الدال وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال وهي قراءة ابن المسيب وابن مسعود وجماعة وذلك على معنيين أي إن الله لا يهدي من قضى بإضلاله والآخر أن العرب تقول هدي الرجل بمعنى اهتدى حكاة الفراء وفي القرآن ^ لا يهدي إلا أن يهدي ^ وجعله أبو علي وغيره بمعنى يهتدي وقرأت فرقة إن الله لا يهدي بفتح الياء وكسر الهاء والدال وقرأت فرقة إن الله لا يهدي بضم الياء وكسر الدال وهي ضعيفة وفي مصحف أبي بن كعب إن الله لا هادي لمن أضل قال أبو علي الراجع إلى اسم ^ إن ^ مقدر في ^ يضل ^ على كل قراءة إلا على قراءة من قرأ يهدي بفتح الياء وكسر الدال بمعنى يهدي الله فإن الراجع مقدر في يهدي وقوله ^ وما لهم ^ ضمير على معنى من وتقول العرب حرص يحرض وحرص يحرض والكسر في المستقبل هي لغة أهل

@ 393 @ الحجاز وقرأ الحسن وإبراهيم وأبو حيوه بفتح الراء وقرأ إبراهيم منهم وإن بزيادة الواو والضمير في قوله ^ وأقسموا ^ لكفار قريش وذكر أن رجلا من المسلمين حاور رجلا من المشركين فقال في حديثه لا والذي أرجوه بعد الموت فقال له الكافر أو نبعث بعد الموت قال نعم فأقسم الكافر مجتهدا في يمينه أن الله لا يبعث أحدا بعد الموت فنزلت الآية بسبب ذلك و ^ جهد ^ مصدر ومعناه فغاية جهدهم ثم رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى ^ بلى ^ فأوجب بذلك البعث وقوله ^ وعدا عليه حقا ^ مصدران مؤكدان وقرأ الضحاك بلى وعد عليه حق بالرفع في المصدرين و ^ أكثر الناس ^ في هذه الآية الكفار المكذبين بالبعث . # قال القاضي أبو محمد والبعث من العود مما جزوه العقل وأثبتته خبر الشريعة على لسان جميع النبيين وقال بعض الشيعة إن الإشارة بهذه الآية إنما هي لعلي بن أبي طالب وإن الله سبيعه في الدنيا وهذا هو القول بالرجعة وقولهم هذا باطل واقتراء على الله وبهتان من القول رده ابن عباس وغيره . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 39 - 40 \$ اللام في قوله ^ لبيين ^ تتعلق بما في ضمن قوله ^ بلى ^ لأن التقدير بلى يبعث لبيين وقيل هي متعلقة بقوله ^ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ^ والأول أصوب في المعنى لأن به يتصور كذب الكفار في إنكار البعث وقوله ^ إنما قولنا ^ الآية إنما في كلام العرب هي للمبالغة وتحقيق تخصيص المذكور فقد تكون مع هذا حاصرة إذا دل على ذلك المعنى كقوله تعالى ^ إنما الله إله واحد ^ وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم إنما الربا في النسبئة وقول العرب إنما الشجاع عنترة فبقي فيها معنى المبالغة فقط و ^ إنما ^ في هذه الآية هي للحصر وقاعدة القول في هذه الآية أن تقول إن الإرادة

والأمر اللذين هما صفتان من صفات الله تعالى القديمة هما قديمان أزليان وإن ما في ألفاظ هذه الآية من معنى الاستقبال والاستئناف إنما هو راجع إلى المراد لا إلى الإرادة وذلك أن الأشياء المرادة المكونة في وجودها استئناف واستقبال لا في إرادة ذلك ولا في الأمر به لأن ذنبك قديمان فمن أجل المراد عبر ب[^] إذا[^] وب[^] نقول[^] ويرجع الآن على هذه الألفاظ فتوضح الوجه فيها واحدة واحدة أما قوله[^] لشيء[^] فيحتمل وجهين أحدهما أن الأشياء التي هي مرادة وقيل لها[^] كن[^] معلوم أن للوجود يأتي على جميعها بطول الزمن وتقدير الله تعالى فلما كان وجودها حتماً جاز أن تسمى أشياء وهي في حالة عدم والوجه الثاني أن يكون قوله[^] لشيء[^] تنبيهاً لنا على الأمثلة التي تنتظر فيها أي إن كل ما تأخذونه من الأشياء الموجودة فإنما سبيله أن يكون مراداً وقيل له[^] كن[^] فكان ويكون ذلك الشيء المأخوذ من الموجودات مثلاً لما يتأخر من الأمور وما تقدم وفني فيها يتخلص من تسمية المعدوم شيئاً وقوله[^] أردناه[^] منزل منزلة مراد ولكنه أتى بهذه الألفاظ المستأنفة بحسب أن الموجودات تجيء ونظهر شيئاً بعد

@ 394 @ شيء فكانه قال إذا ظهر للمراد منه وعلى هذا الوجه يخرج قوله تعالى[^] فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون[^] وقوله تعالى[^] وليعلم الله الذين آمنوا[^] ونحو هذا مما معناه ويقع منكم ما رآه الله تعالى في الأزل وعلمه وقوله[^] أن نقول[^] منزل منزلة المصدر كأنه قال قولنا ولكن[^] أن[^] مع الفعل تعطي استئنافاً ليس في المصدر في أغلب أمرها وقد تجيء في مواضع لا يلحق فيها الزمن كهذه الآية وكقوله تعالى[^] ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره[^] وغير ذلك وذهب أكثر الناس إلى أن الشيء هو الذي يقال له كالمخاطب وكان الله تعالى قال في الأزل لجميع ما خلق[^] كن[^] بشرط الوقت والصفة وقال الزجاج[^] له[^] بمعنى من أجله وهذا يمكن أن يرد بالمعنى إلى الأول وذهب قوم إلى أن قوله[^] أن نقول[^] مجاز كما تقول قال برأسه فرفعه وقال بيده فضرب فلانا ورد على هذا المنزلة أبو منصور وذهب إلى أن الأولى هو الأولى وقرأ الجمهور فيكون برفع النون وقرأ ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون بنصبها وهي قراءة ابن محيصن . قال القاضي أبو محمد والأول أبعد من التعقيب الذي يصحب الفاء في أغلب حالها فتأمل وفي هذه النبتة ما يطلع منع على عيون هذه المسألة وشرط الإجازة منه من بسط الاعتراضات والانفصالات والمقصود بهذه الآية إعلام منكري البعث بهوان أمره على الله وقربه في قدرته لا رب غيره . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 41 - 44 \$ لما ذكر الله تعالى كفار مكة الذين أقسموا أن الله لا يبعث من يموت ورد على قلوبهم ذكر مؤمني مكة المعاصرين لهم وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة هذا قول الجمهور وهو الصحيح في سبب الآية لأن هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية وقالت فرقة سبب الآية أبو جندل بن سهيل بن عمرو . قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف لأن أمر أبي جندل كان والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وقالت فرقة نزلت في عمار وصهيب وحياب وأصحابهم الذين أودوا بمكة وخرجوا عنها . # قال القاضي أبو محمد وعلى كل قول فالآية تتناول بالمعنى كل من هاجر أولاً وأخيراً . # وقرأ الجمهور لنبيئهم وقرأ ابن مسعود ونعيم بن ميسرة والربيع بن خثيم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب . # لنبيئهم وهاتان اللفظتان معناهما التقرير فقالت فرقة الحسنة عدة ببقعة شريفة كشف الغيب أنها كانت المدينة وإليها كانت الإشارة بقوله[^] حسنة[^] وقالت فرقة الحسنة لسان الصدق الباقي عليهم في غابر الدهر .

@ 395 @ قال القاضي أبو محمد وفي[^] لنبيئهم[^] أو لنبيئهم على هذا التأويل في لسان الصدق تجوز كثير واستعارة بعيدة وهذا على أن[^] حسنة[^] هي المباءة والمثوى وأن الفعل الطاهر عامل فيها وقا أبو الفتح نصبها على معنى نجس إليهم في ذلك إحساناً وجعلت[^] حسنة[^] موضع إحساناً وذهبت فرقة إلى أن الحسنة عامة في كل ما يستحسن أن يناله ابن آدم وتخف الاستعارة المذكورة على هذا التأويل وفي هذا القول يدخل ما روي عن بن الخطاب أنه كان يعطي المال وقت القسمة للرجل من المهاجرين ويقول له خذ ما وعدك الله في الدنيا[^] ولأجر الآخرة أكبر[^] ثم يتلو هذه الآية . # قال القاضي أبو محمد وبدل في هذه القول النصر على العدو وفتح البلاد وكل أمل أبلغه المهاجرون وأجر الآخرة هنا إشارة إلى الجنة والضمير في[^] يعلمون[^] عائذ إلى كفار قريش وجواب[^] لو[^] مقدر محذوف ومفعول[^] يعلمون[^] كذلك وفي هذا نظر وقوله[^] الذين صبروا[^] من صفة المهاجرين الذين وعدهم الله والصبر يجمع عن الشهوات وعلى المكاره في الله تعالى والتوكل تتفاضل مراتبه فمطيل فيه وذلك مباح حسن ما لم يغل حتى يسبب الهلاك ومتوسط يسعى جميلاً وهذا مع قول النبي صلى الله عليه وسلم قيدها وتوكل ومقصر لا نفع في تقصيره وإنما له ما قدر له وقوله[^] وما أرسلنا من قبلك[^] الآية هذه الآية رد على كفار قريش الذين استبعدوا أن يكون البشر رسولا من الله تعالى فأعلمهم الله مخاطباً لمحمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يرسل إلى المم[^] إلا رجلاً[^] . # ولم يرسل ملكاً ولا غير ذلك[^] ورجلاً[^] منصوب[^] ب[^] أرسلنا[^] وإلا[^] إيجاب وقرأ الجمهور بضم الباء وفتح الحاء وقرأت فرقة يوحى بضم الباء وكسر الحاء وقرأ عاصم من طريق حفص وحده نوحى بالنون وكسر الحاء وهي قراءة ابن مسعود وطلحة بن مصرف وأبي عبد الرحمن ثم قال تعالى[^] فاسألوا[^] وأهل الذكر[^] هنا اليهود والنصارى قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وقال الأعشى وسفيان بن عيينة المراد من أسلم منهم وقال ابن جبير وابن زيد[^] أهل الذكر[^] أهل القرآن . # قال القاضي أبو محمد وهذان القولان فيهما ضعف لأنه لا حجة على الكفار في إخبار المؤمنين بما ذكر لأنهم يكذبون هذه الصفات وقال الزجاج[^] أهل الذكر[^] هنا أخبار اليهود والنصارى الذين لم يسلموا وهم في هذه النازلة خاصة إنما يخبرون بأن الرسل من البشر وإخبارهم حجة على هؤلاء فإنهم لم يزالوا مصدقين لهم ولا يتهمون لشهادة لنا لأنهم مدافعون في صدر ملة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو كسر حجتهم من مذهبه لا أنا افتقرنا إلى شهادة هؤلاء بل الحق واضح في نفسه وقد أرسلت قريش إلى يهود يثرب يسألون ويستندون إليهم وقوله[^] بالبينات[^] متعلق بفعل مضمر تقديره أرسلناهم بالبينات وقالت فرقة الباء متعلقة[^] ب[^] أرسلنا[^] في أول الآية والتقدير على هذا وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجلاً ففي الآية تقديم وتأخير[^] والزبر[^] الكتب المزبورة تقول زبرت ودبرت إذا كتبت[^] والذكر[^] في هذه الآية القرآن وقوله[^] لتبين[^] يحتمل أن يريد لتبين بسررك نص القرآن ما نلز ويحتمل أن يريد لتبين بتفسيرك المجل وشرحك ما أشكل مما نزل فيدخل في هذا ما بينته السنة من أمر الشريعة وهذا قول مجاهد .

@ 396 @ # قوله عز وجل \$ سورة النحل 45 - 48 \$ هذه الآية تهديد لأهل مكة وهم المراد[^] الذين[^] في قول الأكثر وقال مجاهد المراد نمروذ بن كنعان والأول أظهر ونصب[^] السيئات[^] يحتمل وجهين أحدهما أن ينصب بقوله[^] أفامن[^] وتكون[^] السيئات[^] على هذا العقوبات التي تسوء من تنزل به ويكون قوله[^] أن يخسف[^] بدلاً منها . # والوجه الثاني أن ينصب[^] ب[^] مكروا[^] وعدي[^] مكروا[^] لأنه بمعنى عملوا وفعلوا[^] والسيئات[^] على هذا معاصي الكفر وغيره قاله قتادة ثم توعدهم بما أصاب الأمم قبلهم من الخسف وهو أن تبتلع الأرض المخسوف به ويقعد به إلى أسفل وأسند النقاش أن قوماً في هذه الأمة أقيمت الصلاة فتدافعوا الإمامة وتصلفوا في ذلك فما زالوا كذلك حتى خسف بهم[^] وتقليلهم[^] سفرهم ومحاولتهم المعاش بالسفر والرعاية ونحوها والمعجز المفلت هرباً كأنه عجز طالبه وقوله[^] على تخوف[^] أي على جهة التخوف والتخوف النقص ومنه قول الشاعر # (تخوف السير منها تامكا فردا % كما تخوف عود النبعة السفن + البسيط + # والسفن المبرد وبروي أن عمر بن الخطاب خفي عليه معنى التخوف في هذه الآية وأراد الكتب إلى الأمصار يسأل عن ذلك حتى سمع هذا الخبر وبروي أنه جاءه فتى من العرب وهو قد أشكل عليه أمر لفظة التخوف فقال له يا أمير المؤمنين إن أبي يتخوفني مالي فقال عمر الله كبير[^] أو يأخذهم على تخوف[^] ومنه قول طرفة . # (وجامل خوف من نبيه % زجر المعلى أبدا والسفيج) # وبروي من نبتة من قول الآخر # (الأم على الهجاء وكل يوم % تلاقيني من الجيران غول) # (تخوف غدرهم مالي وهدي % سلاسل في الحلوق لها صليل) + الوافر + # يريد الأهاجي ومنه قول النابغة # (تخوفهم حتى أذل سراتهم % بطعن ضرار بعد قبح الصفائح) + الطويل + # قال القاضي أبو محمد وهذا النقص يتجه الوعيد به على معنيين أحدهما أن يهلكهم ويخرج أرواحهم على تخوف أي أفذاذ ينقصهم بذلك الشيء بعد الشيء وهذا لا يدعي أحد أنه يأمنه وكان

@ 397 @ هذا الوعيد إنما يكون بعذاب ما يلحقون بعد الموت وإلا فهذا تهلك الأمم كلها ويؤيد هذا قوله[^] فإن ربكم لرؤوف رحيم[^] أي إن هذه الرتبة الثالثة من الوعيد فيها رافة ورحمة وإمهال ليتوب التائب ويرجع الراجع والآخر أن يأخذ بالعذاب طائفة أو قرية

ويترك أخرى ثم كذلك حتى يهلك الكل وقالت فرقة التخوف هنا من الخوف أي يأخذهم بعد تخوف ينالهم فيعذبهم به . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا القول تكلف ما وقوله ^ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء ^ الآية قرأ ابن كثير ويا فاع وأبو عمرو وابن عامر أو لم يروا بالياء على لفظ الغائب وكذلك في العنكبوت فهي جارية على قوله ^ أو يأخذهم ^ وقوله ^ أو يأتيهم ^ وقوله ^ لا يشعرون ^ ورجحها الطبري وقرأ حمزة والكسائي أولم تروا بالتاء في الموضعين وهي قراءة الحسن والأعرج وأبي عبد الرحمن وذلك يحتمل من المعنى وجهين أحدهما أن يكون على معنى قل لهم يا محمد أولم تروا والوجه الآخر أن يكون خطاباً عاماً لجميع الخلق ابتداءً به القول أنفاً وقرأ عاصم في النحل بالتاء من فوق واختلف عنه في العنكبوت وقوله ^ من شيء ^ لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله ^ يتفياً ظلاله ^ لأن ذلك صفة لما عرض العبرة في جميع الأشخاص التي لها ظل والرؤية هنا هي رؤية القلب ولكن الاعتبار برؤية القلب إنما تكون في مرنيات بالعين وقرأ أبو عمرو وحده تتفياً بالتاء من فوق وهي قراءة عيسى ويعقوب وقرأ الجمهور بتفياً قال أبو علي إذا تقدم الفعل المنسوب إلى مثل هذا الجمع فالتذكير والتأنيث فيه حسنان وفاء الظل رجوع بعكس ما كان إلى الزوال وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال إنما هي في نسخ الظل العام قبل طلوعها فإذا زالت ابتداءً رجوع الظل العام ولا يزال ينمو حتى تغيب الشمس فيعم والظل الممدود في الجنة لم يذكر الله فينه لأنه لم يرجع بعد أن ذهب وكذلك قول حميد بن ثور # (فلا الظل من برد الضحى تستطيعه % ولا الفيء من برد العشي تذوق) # فهو على المهيع وكذلك قول علقمة بن عبدة # (تتبع أفياء الظلال عشية % على طرق كأنهن سيوف) + الطويل + # وكذلك قول امرئ القيس # (يفيء عليها الظل %) # وأما النابغة الجعدي فقال # (فسلام الإله يغدو عليهم % وفي الفردوس ذات الظلال) + الخفيف + # فتجوز في أن جعل الفيء حيث لا رجوع وقال رؤية بن العجاج يقال بعد الزوال فيء وظل ولا يقال قبله إلا ظل فقط ويقال فاء الظل أي رجوع من النقصان إلى الزيادة ويعدي فاء بالهمزة كقوله تعالى ^ ما أفاء الله ^ ويعدي بالتضعيف فيقال أفاءه الله وفياه الله وتفيأ مطاوع فيا ولا يقال الفيء إلا من بعد الزوال في مشهور كلام العرب لكن هذه الآية الاعتبار فيها من أول النهار إلى آخره فكان الآية

@ 398 @ جارية في بعض التأويلات على تجوز كلام العرب واقتضائه وضع تتفياً مكان تتنقل وتميل وأضاف الظلال إلى ضمير مفرد حملاً على لفظ ما أو لفظ شيء وهو في المعنى لجمع وقرأ الثقفي ظلاله بفتح اللام الأولى وضم الثانية وضم الطاء وقوله ^ عن اليمين والشمال ^ أفرد اليمين وهو يراد به الجمع فكانه للجنس والمراد عن الأيمان والشمال كما قال الشاعر # (الواردون ونيم في ذري سبأ % قد عض أعناقهم جلد الجواميس) + جرير + # وكما قال الآخر # (ففي الشاميين الصخر إن كان هدني % رزية شبلي مخدر في الصراغم) # والمنصوب للعبارة في هذه الآية هو كل شخص وجرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك والذي يترتب فيه أيمان وشمال إنما هو البشر فقط لكن ذكر الأيمان والشمال هنا على جهة الاستعارة لغير البشر أي تقدره ذا يمين وشمال وتقدره يستقبل أي جهة شئت ثم تنظر ظله فتراه يميل إما إلى جهة اليمين وإما إلى جهة الشمال وذلك في كل أقطار الدنيا فهذا وجه يعمم لك ألفاظ الآية وفيه تجوز واتساع ومن ذهب إلى أن ^ اليمين ^ من غدوة النهار إلى الزوال ثم يكون من الزوال إلى المغرب عن الشمال وهو قول قتادة وابن جريح فإنما يترتب له ذلك فيما قدره مستقبل الجنوب والاعتبار في هذه الآية عندي إنما هو المستقبل الجنوب وما قال بعض الناس من أن ^ اليمين ^ أو وقعة للظل بعد الزوال ثم الآخر إلى الغروب هي عن الشمال ولذلك جمع ^ الشمال ^ وأفراد ^ اليمين ^ فتخليط من القول يبطل من جهات وقال ابن عباس إذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس إلى مغربها ظلاً ثم بعث الله الشمس عليه دليلاً فقبض إليه الظل . # قال القاضي أبو محمد فعلى هذا فأول ذور الشمس فالظل عن يمين مستقبل الجنوب ثم يبدأ الانحراف فهو عن الشمال لأنها حركات كثيرة وظلال متقطعة فهي شمائل كثيرة وكان الظل عن اليمين متصلاً واحداً عاماً لكل شيء وفي هذا القول تجوز في تفيأ وعلى ما قدرنا من استقبال الجنوب يكون الظل أبداً مندفعاً عن اليمين إلى الزوال فإذا تحرك بعد فارق الأيمان جملة وصار اندفاعه عن الشمال وقالت فرقة الظلال هنا الأشخاص هي المراد أنفسهم والعرب تعبر أحياناً عن الأشخاص بالظل ومنه قول عبدة بن الطيب # (إذا نزلنا نصينا ظل أخبية % وفار للقوم باللحم المراجيل) + البسيط + # وإنما تنصب الأخبية ومنه قول الآخر # (تتبع أفياء الظلال عشية) + الطويل + # أي أفياء الأشخاص . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله محتمل غير صريح وإن كان أبو علي قد قدره واختلف المتأولون في هذا السجود فقالت فرقة هو سجود عبادة حقيقة وذكر الطبري عن الضحاك قال إذا زالت

@ 399 @ الشمس سجد كل شيء قبل القبلة من نبت أو شجر ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت وقال مجاهد إنما تسجد الظلال لا الأشخاص وقالت فرقة منهم الطبري عبر عن الخضوع والطاعة وميلان الظل ودورانها بالسجود وكما يقال للمشير برأسه على جهة الخضوع والطاعة وميلان الظل ساجد ومنه قول الشاعر # (فكلتاها خرت وأسجد رأسها % كما سجدت نصرانة لم تحنف) + الطويل + # والداخر المتصاغر المتواضع ومنه قول ذي الرمة # (فلم يبق إلا داخر في مخيس % ومنحجر في غير أرضك في حجر) + الطويل + # وقوله عز وجل \$ سورة النحل 49 - 55 \$ وقعت ^ ما ^ في هذه الآية لما يعقل قال الزجاج قوله ^ ما في السماوات ^ يعم ملائكة السماء وما في السحاب وما في الجو من حيوان وقوله ^ وما في الأرض من دابة ^ بين ثم ذكر ملائكة الأرض في قوله ^ والملائكة ^ ويحتمل أن يكون قوله ^ والملائكة ^ هو الذي يعم السماوات والأرض وما قبل ذلك لا يدخل فيه ملك إنما هو للحيوان أجمع وقوله ^ يخافون ربهم ^ عام لجميع الحيوان وقوله ^ من فوقهم ^ يحتمل معنيين أحدهما الفوقية التي يوصف بها الله تعالى فهي فوقية القدر والعظمة والقهر والسلطان والآخر أن يتعلق قوله ^ من فوقهم ^ بقوله ^ يخافون ^ أي يخافون عذاب ربهم من فوقهم وذلك أن عادة عذاب الأمم إنما أتى من جهة فوق وقوله ^ ويفعلون ما يؤمرون ^ أما المؤمنون فيحسب الشرع والطاعة وأما غيرهم من الحيوان فيالتسخير والقدر الذي يسوقهم إلى ما نفذ من أمر الله تعالى وقوله ^ وقال الله ^ الآية آية نهي من الله تعالى عن الإشراف به ومعناها لا تتخذوا إلهين اثنين فصاعداً بما ينصه من قوله ^ إنما هو إله واحد ^ قال فرقة المفعول الأول ب ^ تتخذوا ^ قوله ^ إلهين ^ وقوله ^ اثنين ^ تأكيد وبيان بالعدد وهذا معروف في كلام العرب أن يبين المعدود بذكر عدده تأكيداً ومنه قوله ^ إله واحد ^ لأن لفظ ^ إله ^ يقتضي الانفراد وقال قوم منهم المفعول الثاني محذوف تقديره معبوداً أو مطاعاً ونحو هذا وقالت فرقة المفعول الأول ^ اثنين ^ والثاني قوله ^ إلهين ^ وتقدير الكلام لا تتخذوا اثنين إلهين ومثله قوله تعالى ^ ألا تتخذوا من دوني وكيلاً ذرية من حملنا مع نوح ^ ففي هذه الآية على بعض الأقوال تقديم المفعول الأول ^ تتخذوا ^ وقوله ^ إلهين ^ منصوب بفعل مضمرة تقديره

@ 400 @ فارهبوا إياي فارهبون ولا يعمل فيه الفعل لأنه قد عمل في الضمير المتصل به وقوله ^ وله ما في السماوات ^ الآية الواو في قوله ^ وله ^ عاطفة على قوله ^ إله واحد ^ وجائز أن يكون واو ابتداءً و ^ ما ^ عامة لجميع الأشياء مما يعقل ومما لا يعقل و ^ السماوات ^ هنا كل ما ارتفع من الخلق في جهة فوق فيدخل فيه العرش والكروسي و ^ الدين ^ الطاعة والملك كما قال زهير في دين عمرو وحالت بيننا فدك . # أي في طاعته وملكه والواصب القائم قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقال الشاعر أبي الأسود # (لا أتغيي الحمد القليل بقاؤه % يوماً بدم الدهر أجمع واصباً) + الكامل + # ومنه قول حسان # (غيرته الريح تسفي به % وهزيم رعداه واصب) + المديد + # وقالت فرقة هو من الوصب وهو التعب أي وله الدين على تعبه ومشقته . # قال القاضي أبو محمد فواصب على هذا جار على النسب أي ذا وصب كما قال أضحى فؤادي به فاتنا وهذا كثير وقال ابن عباس أيضاً الواصب الواجب وهذا نحو قوله الواصب الدائم وقوله ^ أغير ^ توبخ ولفظ استهفام ونصب غير ب ^ تتقون ^ لأنه فعل لم يعمل في سوى غير المذكورة والواو في قوله ^ وما يكمن ^ يجوز أن تكون واو ابتداءً ويجوز أن تكون واو الحال ويكون الكلام متصلاً بقوله ^ أغير الله ^ تتقون ^ كأنه يقال على جهة التوبيخ أنتقون غير الله وما منعم عليكم سواء والياء في قوله ^ يكمن ^ متعلقة بفعل تقديره وما نزل أو ألم ونحو هذا و ^ ما ^ بمعنى الذي وإفاء في قوله ^ فمن الله ^ دخلت بسبب الإبهام الذي في ^ ما ^ التي هي بمعنى الذي فأشبهه الكلام الشرط ومعنى الآية التذكير بأن الإنسان في جليل أمره ودقيقه إنما هو في نعمة الله وأفضاله إيجاده داخل في ذلك فما بعده ثم ذكر تعالى بأوقات المرض لكون الإنسان الجاهل يحس فيها قدر الحاجة إلى لطف الله تعالى و ^ الضر ^ وإن كان يعم كل مكروه

فأكثر ما يجيء عبارة عن أرزاء البدن و تجأرون ^ معناه ترفعون أصواتكم باستغاثة وتضرع وأصله في جؤار الثور والبقرة وصياحها وهو عند جهد يلحقها أو في أثر دم يكون من بقر تديج فذلك الصراخ يشبه به انتخاب الداعي المستغيث بالله إذ رفع صوته ومنه قول الأعشى # (يراوح من صلوات المليك % طوراً سجوداً وطوراً جؤاراً) + المتقارب + # وأنشده أبو عبيدة # (بأبيل كلما صلى جار) # والأصوات تأتي غالباً على فعال أو فاعل وقرأ الزهري يجرون بفتح الجيم دون همز حذف الهزمة وألقيت حركتها على الجيم كما خفت تسلون من تسألون وقوله ^ ثم إذا كشف الضر قرأ ^

@ 401 @ الجمهور كشف وقرأ قتادة كاشف ووجهها أنها فاعل من واحد بمعنى كشف وهي ضعيفة و فريق ^ هنا يراد به المشركون الذين يرون أن للأصنام أفعالاً من شفاء المرض وجلب الخير ودفع الضر فهم إذا شفاهم الله عظموا أصنامهم وأضافوا ذلك الشفاء إليها وقوله ^ ليكفروا ^ يجوز أن يكون اللام لام الصيرورة أي فصار أمرهم ليكفروا وهم لم يقصدوا بأفعالهم تلك أن يكفروا ويجوز أن تكون لام أمر على معنى التهديد والوعيد كقوله ^ اعملوا ما شئتم ^ والكفر هنا يحتمل أن يكون كفر الجحد بالله والشرك ويؤيده قوله ^ برهم يشركون ^ ويحتمل أن يكون كفر النعمة وهو الأظهر لقوله ^ بما أتيناكم ^ أي بما أنعمنا عليهم وقرأ الجمهور ^ فتمتعوا فسوف تعلمون ^ على معنى قل لهم يا محمد وروي أبو رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم فتمتعوا بياء من تحت مضمومة فسوف يعلمون على معنى ذكر الغائب وكذلك في الروم وهي قراءة أبي العالية وقرأ الحسن فتمتعوا على الأمر فسوف يعلمون بالياء على ذكر الغائب وعلى ما روى أبو رافع يكون يمتعوا في موضع نصب عطفاً على يكفروا إن كانت اللام لام كي أو نصبا بالفاء في جواب الأمر إن كانت اللام لام أمر ومعنى التمتع في هذه الآية بالحياة الدنيا التي مصيرها إلى الفناء والزوال . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 56 - 59 # الضمير في قوله ^ ويجعلون ^ للكفار وقوله ^ لما لا يعلمون ^ يريد الأصنام ومعناه لا يعلمون فيهم حجة ولا برهاناً ويحتمل أن يريد بقوله ^ يعلمون ^ الأصنام أي يجعلون لجمادات لا تعلم شيئاً ^ نصيباً ^ فالمفعول محذوف ثم عبر عنهم بعبارة من يعقل بحسب مذهب الكفار الذين يسندون إليها ما يسند إلى من يعقل وبحسب أنه إسناد منفي وهذا كله ضعيف والنصيب المشار إليه هو ما كانت العرب سنته من الذبح لأصنامها والإهداء إليها والقسم لها من الغلات ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقسم لهم أنهم سيسألون على افتراءهم في أن تلك السنن هي الحق الذي أمر الله به كما قال بعضهم والفرية اختلاق الكذب وقوله ^ ويجعلون لله البنات ^ الآية هذا تعدد لفتح قول الكفار الملائكة بنات الله ورد عليهم من وجهين أحدهما نسبة النسل إلى الله تعالى عن ذلك والآخر أنهم نسبوا من النسل الأخص المكروه عندهم و ^ ما ^ في قوله ^ ما يشتهون ^ مرتفعة بالابتداء والخبر في المجرور قبله وأجاز الفراء أن تكون في موضع نصب عطفاً على البنات ^ والبصريون لا يجيزون هذا لأنه من باب ضربتي وكان يلزم عندهم أن يكون لأنفسهم ما يشتهون والمراد بقوله ^ ما يشتهون ^ الذاكرا من الأولاد وقوله ^ وإذا بشر ^ لما صرح بالشيء المبشر به حسن ذكر البشارة فيه وإلا فالبشارة مطلقة لا تكون إلا في خير وقوله ^ ظل وجهه مسوداً ^ عبارة عن العيوس والتقطيب الذي يلحق المغموم وقد يعلو وجه

@ 402 @ المغموم سواد وريدة وتذهب شرافته فلذلك يذكر له السواد و كظيم ^ بمعنى كاظم كعليم وعالم والمعنى أنه يخفي وجهه وهمه بالأشئ وقوله ^ يتوارى من القوم ^ الآية هذا التواري الذي ذكر الله تعالى إنما هو بعد البشارة بالأشئ وما يحكى أن الرجل منهم كان إذا أصاب أمراته الطلق توارى حتى يخبر بأحد الأمرين فليس المراد في الآية ويشبه أن ذلك كان إذا أخبر بسار خرج وإن أخبر بسوء بقي على تواريه ولم يحتج إلى إحدائه ومعنى ^ يتوارى ^ يتعيب وتقدير الكلام يتوارى من القوم مدبراً ^ أيمسكه أم يدسه ^ وقرأت فرقة أيمسكه على لفظ ما أم يدسها على معنى الأثنى وقرأ الجحدري أيمسكها أم يدسها على معنى الأثنى في الموضوعين وقرأ الجمهور على هون بضم الهاء وقرأ عيسى بن عمر على هوانه وهي قراءة عاصم الجحدري وقرأ الأعمش على سوء ومعنى الآية يدبر أيمسك هذه الأثنى على هوان يتحملة وهم يتجلد له أم يدسها فيدفعها حية فهو الدس في التراب ثم استفتح تعالى بالإخبار بسوء حكمهم وفعلمهم بهذا في بناتهم ورزق الجميع على الله . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 60 - 62 # قالت فرقة ^ مثل ^ في هذه الآية بمعنى صفة أي لهؤلاء صفة السوء ولله الوصف الأعلى . # قال القاضي أبو محمد وهذا لا يضطر إليه لأنه خروج عن اللفظ بل قوله ^ مثل ^ على بابه وذلك أنهم إذا قالوا إن البنات لله فقد جعلوا له مثلاً أبا البنات من البشر وكثرة البنات عندهم مكروه ذميم فهو مثل السوء الذي أخبر الله تعالى أنه لهم ليس في البنات فقط لكن لما جعلوه هم في البنات جعله هو لهم على الإطلاق في كل سوء ولا غاية أبعد من عذاب النار وقوله ^ ولله المثل الأعلى ^ على الإطلاق أيضاً في الكمال المستغني وقال قتادة ^ المثل الأعلى ^ إلا الله وباقى الآية بين وقوله ^ ولو يؤاخذ الله الناس ^ الآية وأخذ هو تفاعل من أخذ كأن أحد المتواخذين يأخذ من الآخر إما بمعصية كما هي في حق الله تعالى أو بإذية في جهة المخلوقين فيأخذ الآخر من الأول بالمعاقبة والجزاء وهي لغتان وأخذ وأخذ و يؤاخذ ^ يصح أن يكون من أخذ وأما كونها من واخذ وبين والضمير في ^ عليها ^ عائد على الأرض وتمكن ذلك مع أنه لم يجر لها ذكر لشهرتها وتمكن الإشارة لها كما قال لبيد في الشمس . # (حتى إذا ألقيت بدا في كافر % وأجن عورات البلاد ظلامها) # ومنه قول تعالى ^ حتى توارت بالحجاب ^ ولم يجر للشمس ذكر وقوله ^ من دابة ^ دخلت ^ من ^ لاستعراق الجنس وظاهر الآية أن الله تعالى أخبر أنه لو أخذ الناس يعقاب يستحقونه

@ 403 @ بظلمهم في كفرهم ومعاصيهم لكان ذلك العقاب يهلك منه جميع ما يدب على الأرض من حيوان فكأنه بالفحوظ أو بأمر يصيبهم من الله تعالى وعلى هذا التأويل قال بعض العلماء كاد جعل أن يهلك بذنوب بني آدم ذكره الطبري وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى ليهزل الحوت في الماء والطير في الهواء بذنوب العصاة وسمع أبو هريرة رجلاً يقول إن الظالم لا يهلك إلا نفسه فقال أبو هريرة بلى إن الله ليهلك الجباري في وكرها هزلاً بذنوب الظلمة وقد نطقت الشريعة في أخبارها بأن الله تعالى أهلك الأمم برئها وعاصيها بذنوب العصاة منهم وقالت فرقة قوله ^ من دابة ^ يريد من أولئك الظلمة فقط وبديل على هذا التخصيص أن الله لا يعاقب أحداً بذنب أحد واحتجت بقول الله تعالى ^ ولا تزر وازرة وزر أخرى ^ وهذا معنى آخر وذلك أن الله تعالى لا يجعل العقوبة تقصد أحداً بسبب إذنب غيره ولكن إذا أرسل عذاباً على أمة عاصية لم يمكن البري التخليص من ذلك العذاب فأصابه العذاب لا بأنه له مجازاة ونحو هذا قوله ^ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ^ وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثرت الخبث ثم لا بد من تعلق ظلم ما بالأبرياء وذلك بترك التغيير ومداهنة أهل الظلم ومدامة جوارهم والأجل المسمى في هذه الآية هو بحسب شخص شخص وفي معنى الآية مع أمائرها اختصار وإيجاز وقوله ^ ما يكرهون ^ يريد البنات و ^ ما ^ في هذا الموضوع تقع لمن يعقل من حيث هو صنف وقرأ الحسن السننهم الكذب بسكون النون كراهية توالي الحركات وقرأ الجمهور الكذب بكسر الهمزة و ^ أن ^ بدل منه وقرأ معاذ بن جبل وبعض أهل الشام الكذب بضم الكاف والذال والباء على صفة الألسنة و ^ أن لهم ^ مفعول ب ^ تصف ^ و ^ الحسنى ^ قال مجاهد وقتادة الذكور من الأولاد وهو الأسبق من معنى الآية وقالت فرقة يريد الألسنة . # قال القاضي أبو محمد ويؤيد هذا قوله ^ لا جرم أن لهم النار ^ ومعنى الآية على هذا التأويل يجعلون لهم المكروه ويدعون مع ذلك أنهم يدخلون الجنة كما تقول لرجل أنت تعصي الله وتقول مع ذلك أنت تنجو أي هذا بعيد مع هذا ثم حكم عليهم بعد ذلك بالنار وقد تقدم القول في ^ لا جرم ^ وقرأ الجمهور أن لهم بفتح الهزمة وإعرابها بحسب تقدير ^ جرم ^ فمن قدرها بكسب فعلهم فهو نصب ومن قدرها بوجوب فهو رفع وقرأ الحسن وعيسى بن عمران إن لهم بكسر الهزمة وقرأ السبعة سوى نافع مفرطون بفتح الراء وخفتها ومعناه مقدمون إلى النار والعذاب وهي قراءة الحسن والأعرج وأصحاب ابن عباس وقد رويت عن نافع وهو مأخوذ من فرط الماء وهم القوم الذين يتقدمون إلى المياه لإصلاح الدلاء والأرشيبة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض ومنه قول القطامي # (واستعجلونا وكانوا من صاحبنا % كما تعجل فراط لوراد) # وقالت فرقة ^ مفرطون ^ معناه مخلفون متركون في النار منسيون فيها قاله سعيد بن جبير ومجاهد وابن أبي هند وقال آخرون ^ مفرطون ^ معناه مبعدون في النار وهذا قريب من الذي قبله وقرأ أبو جعفر بن القعقاع مفرطون بكسر الراء وتشديدها وفتح الفاء ومعناه مقصرون في طاعة الله تعالى وقد

@ 404 @ روى عنه فتح الرء مع شدها وقرأ نافع وحده مفرطون بكسر الراء وخفتها وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وأبي رجا وشيبة بن نصاح وأكثر أهل المدينة أي يتجاوزون الحد في معاصي الله عز وجل # قوله عز وجل \$ سورة النحل 63 - 66 \$ # هذه آية ضرب مثل لهم بمن تقدم وفي ضمنها وعيد لهم وتأسيس للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله ^ اليوم ^ يحتمل أن يريد يوم الإخبار بهذه الآية وهو بعد موت أولئك الأمم المذكورة أي لا ولي لهم منذ ماتوا واحتاجوا إلى العوث إلا الشيطان ويحتمل أن يريد يوم القيامة والألف واللام فيه للعهد أي هو وليهم في اليوم المشهور وهو وقت الحاجة والفصل ويحتمل أن يريد ^ فهو وليهم ^ مدة حياتهم ثم انقطعت ولايته بموتهم وعبر عن ذلك بقوله ^ اليوم ^ تمثيلاً للمخاطبين بمدة حياتهم كما تقول لرجل شاب تحضه على طلب العلم يا فلان لا يدرس أحد من الناس إلا اليوم تريد في مثل سنك هذه . # فكانه قال لهؤلاء ^ فهو وليهم ^ في مثل حياتكم هذه وهي التي كانت لهم وسائر الآية وعيد وقوله ^ وما أنزلنا عليك الكتاب ^ يريد القرآن وقوله ^ لتبين لهم ^ في موضع المفعول من أجله وقوله ^ وهدي ورحمة ^ عطف عليه كأنه قال إلا للبيان أي لأجل البيان لهم وقوله ^ الذي اختلفوا فيه ^ لفظ عام لأنواع كفر الكفرة من الجحد بالله تعالى أو بالقيامة أو بالنبوءات أو غير ذلك ولكن الإشارة في هذه الآية إنما هي لجحدهم الربوبية وتشريكهم الأصنام في الألوهية يدل على ذلك أخذه بعد هذا في إثبات العبر الدالة على أن الأنعم وسائر الأفعال إنما هي من الله تعالى لا من الأصنام . # وقوله تعالى ^ والله أنزل من السماء ماء ^ الآية لما أمره بتبيين ما اختلف فيه نص العبر المؤدية إلى تبيين أمر الربوبية فبدأ بنعمة المطر التي هي آيين العبر وهي ملاك الحياة وهي في غاية الظهور لا يخالف فيها عاقل وحياة الأرض وموتها استعارة وتشبيه بالحيوان فإذا هي هامة عبراء غير منبئة فهي كالميت وإذ هي منبئة مخضرة مهتزة رابية فهي كالحى وقوله ^ يسمعون ^ يدل على ظهور هذا الاعتبار فيه وبيانه لأنه لا يحتاج إلى تفكر ولا نظر قلب وإنما يحتاج المنبه إلى أن يسمع القول فقط و ^ الأنعام ^ هي الأصناف الأربعة الإبل والبقر والضأن والمعز و ^ العبرة ^ الحال الاعتبار فيها وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وابن مسعود بخلاف والحسن وأهل المدينة نسقيكم بفتح النون من سقى يسقى وقرأ الباقون وحفص عن عاصم نسقيكم بضم النون من أسقى يسقى وهي قراءة الكوفيين وأهل مكة قال بعض أهل اللغة هما لغتان بمعنى واحد وقالت فرقة تقول لمن تسقيه بالشفة أو في مرة واحدة سقيته وتقول لمن تعد سقيه أو تمنحه

@ 405 @ شرباً أسقيته وهذا قول من قرأ نسقيكم لأن ألبان الأنعام من المستمر للبشر وأنشد من قال إنهما لغتان بمعنى قول لبيد # (سقى قومي بني بدر وأسقى % نميراً والقابل من هلال) + الوافر + # وذلك لازم لأنه لا يدعو لقومه بالقليل وقرأ أبو رجا نسقيكم بالياء أي يسقيكم الله وقرأت فرقة نسقيكم بالياء وهي ضعيفة وكذلك اختلف القراء في سورة المؤمنين وقوله ^ مما في بطونه ^ الضمير عائد على الجنس وعلى المذكور كما قال الشاعر مثل الفراهج تتفت حواصله وهذا كثير لقوله تعالى ^ إن هذه تذكرة ^ فمن شاء ذكره ^ وقيل إنما قال ^ مما في بطونه ^ لأن الأنعام والنعم واحد فرد الضمير على معنى النعم وقالت فرقة الضمير عائد على البعض إذ الذكور لا ألبان لها فكان العبرة إنما هي في الأنعام والفرد ما ينزل إلى الأمعاء والسائغ السهل في الشرب اللذيذ وقرأت فرقة سيغا بشد الباء وقرأ عيسى الثقفي سيغا بسكون الباء وهي تخفيف من سبغ كميته وهين وليس وزنها فعلاً لأن اللفظة واوية ففعل منها سوغ وروي أن اللين لم يشرق به أحد قط وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 67 - 69 \$ # قال الطبري التقدير ^ ومن ثمرات النخيل والأعناب ^ ما ^ تتخذون ^ وقالت فرقة التقدير ^ ومن ثمرات النخيل والأعناب ^ شيء ^ تتخذون منه ^ ويجوز أن يكون قوله ^ ومن ثمرات النخيل والأعناب ^ عطفاً على ^ الأنعام ^ أي ولكم من ثمرات النخيل والأنعام عبرة ويجوز أن يكون عطفاً على ^ مما ^ أي ونسقيكم أيضاً مشروبات من ثمرات والسكر ما يسكر هذا هو المشهور في اللغة فقال ابن عباس نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر وأراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يشرب ويؤكل حلالاً من هاتين الشجرتين وقال بهذا القول ابن جبير وإبراهيم والشعبي وأبو زيد وقال الحسن بن أبي الحسن ذكر الله نعمته في السكر قبل تحريم الخمر وقال الشعبي ومجاهد السكر السائغ من هاتين الشجرتين كالخل والرب والنبيذ والرزق الحسن العنب والتمر قال الطبري والسكر أيضاً في كلام العرب ما يطعم ورجح الطبري هذا القول ولا مدخل للخمر فيه ولا نسخ من الآية شيء وقال بعض الفرقة التي رأت السكر الخمر إن هذه الآية منسوخة بتحريم الخمر وفي هذه المقالة درك لأن النسخ إنما يكون في حكم مستقر مشروع وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حرمت الخمر

@ 406 @ بعينها والسكر من غيرها . # هكذا في الرواية الصحيحة بفتح السين والكاف أي جميع ما يسكر منه حرم على حد تحريم الخمر قليله وكثيره ورواه العراقيون والسكر بضم السين وسكون الكاف وهذا مني على فقههم في أن ما أسكر كثيره من غير خمر العنب فقليله حلال وباقي الآية بين وقوله تعالى ^ وأوحى ربك إلى النحل ^ الآية الوحي في كلام العرب إلقاء المعنى من الموحى إلى الموحى إليه في خفاء فمنه الوحي إلى الأنبياء برسالة الملك ومنه وحي الرؤيا ومنه وحي الإلهام وهو الذي في آياتنا هذه باتفاق من المتأولين والوحي أيضاً بمعنى الأمر كما قال تعالى ^ بأن ربك أوحى لها ^ وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتح الحاء و ^ أن ^ في قوله ^ أن اتخذني ^ مفسرة وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع إما في الجبال وكواها وإما في متجوف الأشجار وإما فيما يعرش ابن آدم من الأجاج والحيطان ونحوها وعرش معناه هياً وأكثر ما يستعمل فيما يكون من إتقان الأغصان والخشب وترتيب ظلالها ومنه العريش الذي صيغ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومن هذا هي لفظة العريش ويقال عريش يعرش بكسر الراء وضمتها وقرئ بهما قرأ ابن عامر بالضم وسائرهم بالكسر واختلف عن عاصم وجمهور الناس على الكسر وقرأ بالضم أبو عبد الرحمن وعبيد بن نضلة وقال ابن زيد في قوله ^ يعرشون ^ قال الكروم وقال الطبري ^ ومما يعرشون ^ يعني ما بينون من السقوف . # قال القاضي أبو محمد وهذا منهما تفسير غير متقن وقوله تعالى ^ ثم كلي من كل الثمرات ^ الآية المعنى ثم ألهمها أن كلي فعضف ^ كلي ^ على ^ اتخذني ^ و ^ من ^ للتبعيض أي كلي جزءاً أو شيئاً من كل الثمرات وذلك إنما تأكل النوار من أشجار والنسب الطروق وهي مسالكها في الطيران وغيرها وأضافها إلى الرب من حيث هي ملكة وخلقه التي يسر لك وقوله ^ ذلاً ^ يحتمل أن يكون حالاً من النحل ^ أي مطيعة منقادة لما يسرت له قاله قتادة وقال ابن زيد فهم يخرجون بالنحل ينتجعون وهي تتبعهم وقرأ ^ أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللتناها لهم فمناها ركوبهم ومنها يأكلون ^ ويحتمل أن يكون حالاً من السبل أي مسهلة مستقيمة قال مجاهد لا يتوعر عليها سبيل تسلكه ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة والتنبية على العبرة أمر العسل في قوله ^ يخرج من بطونها ^ وجمهور الناس على أن العسل يخرج من أفواه النحل وورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة فظاهر هذا أنه من غير الفم واختلاف الألوان في العسل بحسب اختلاف النحل والمراعي وقد يختلف طعمه بحسب اختلاف المراعي ومن هذا المعنى قول زينب للنبي صلى الله عليه وسلم جرس نحل العرفط حين شبته رائحته برائحة المغاير وقوله ^ فيه شفاء للناس ^ الضمير للعسل قاله الجمهور ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان بل هو خير عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض دون بعض وعلى حال دون حال ففائدة الآية إخبار منبه منه في أنه دواء كما كثر الشفاء وصار خليطاً ومعيناً للأدوية في الأشربة والمعاجين وقد روي عن ابن عمر أنه كان لا يشكو شيئاً إلا تداوى بالعسل حتى إنه كان يدهن به الدم والضرحة وبقراً ^ فيه شفاء للناس ^ . # قال القاضي أبو محمد وهذا يقتضي أنه يرى الشفاء به على العموم وقال مجاهد الضمير

@ 407 @ للقرآن أي فيه شفاء وذهب قوم من أهل الجهالة إلى أن هذه الآية إنما يراد بها أهل البيت ورجال بني هاشم وأنهم النحل وأن الشراب القرآن والحكمة وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس المنصور أبي جعفر العباسي فقال له رجل ممن حضر جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فأضحك الحاضرين وبهت الآخر وظهرت سخافة قوله وباقي الآية بين . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 70 - 72 \$ # هذا تنبيه على الاعتبار في إيجادنا بعد العدم وإماتتنا بعد ذلك ثم اعترض بمن ينكث من الناس لأنهم موضع عبرة و ^ أرذل العمر ^ أخره الذي تفسد فيه الحواس ويختل النطق وخص ذلك بالرديلة وإن كانت حال الطفولية كذلك من حيث كانت هذه لأرجاء معها والطفولية إنما هي بدأة والرجاء معها متمكن وقال بعض الناس أول أرذل العمر خمسة وسبعون سنة

روي ذلك عن علي رضي الله عنه . # قال القاضي أبو محمد وهذا في الأغلب وهذا لا ينحصر إلى مدة معينة وإنما هو بحسب إنسان إنسان والمعنى منكم من يرد إلى أرذل عمره ورب من يكون ابن خميس سنة وهو في أرذل عمره ورب ابن مائة وتسعين ليس في أرذل عمره واللام في ^ لكي ^ يشبه أن يكون لام صيرورة وليس بين والمعنى ليصير أمره بعد العلم بالأشياء إلى أن لا يعلم شيئاً وهذه عبارة عن قلة علمه لا أنه لا يعلم شيئاً البتة ولم تحل ^ لا ^ بين كي ومعمولها لتصرفها وأنها قد تكون زائدة ثم قرر تعالى علمه وقدرته التي لا تتبدل ولا تحملها الحوادث ولا تتغير وقوله ^ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ^ إخبار براد به العبرة وإنما هي قاعدة بيني المثل عليها والمثل هو أن المفضلين لا يصح منهم أن يساهموا مماليتهم فيما أعطوا حتى تستوي أحوالهم فإذا كان هذا في البشر فكيف تنسبون أنتم أيها الكفرة إلى الله تعالى أنه يسمح بأن يشرك في ألوهيته الأوثان والأنصاب وهم خلقه وغيرها مما عبد كالملائكة والأنبياء وهم عبيده وخلقهم هذا تأويل الطبري وحكاة عن ابن عباس وحكي عنه أن الآية مشيرة إلى عيسى ابن مريم عليه السلام قال المفسرون هذه الآية كقوله تعالى ^ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء ^ ثم وقفهم على جدهم نعمة الله في تبيينه لهم على مثل هذا من مواطن النظر المؤدية إلى الإيمان وقرأ الجمهور وحفص عن عاصم يجحدون بالياء من تحت وقرأ أبو بكر عن عاصم تجحدون بالتاء وهي قراءة أبي عبد الرحمن والأعرج بخلاف عنه وهي على معنى قل

@ 408 @ لهم يا محمد . # قال قتادة لا يكون الجحد إلا بعد معرفة وقوله ^ والله جعل لكم ^ الآية آية تعديد نعم والأزواج الزوجات ولا يترتب في هذه الآية الأنواع ولا غير ذلك وقوله ^ من أنفسكم ^ يحتمل أن يريد خلقه حواء من نفس آدم وجسمه فمن حيث كانا مبتدأ الجميع ساع حمل أمرهما على الجميع حتى صار الأمر كأن النساء خلقن من أنفس الرجال وهذا قول قتادة والأظهر عندي أن يريد بقوله ^ من أنفسكم ^ أي من نوعكم وعلى خلقكم كما قال تعالى ^ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ^ وقوله ^ وجعل لكم من أزواجكم بنين ^ ظاهر في تعديد النعمة في الأبناء واختلاف الناس في قوله ^ وحفدة ^ فقال ابن عباس الحفدة أولاد البنين وقال الحسن هم بنوك وبنو بنوك وقال ابن سعد وأبو الضحى وإبراهيم وسعيد بن جبير الحفدة الأصهار وهم قرابة الزوجة وقال مجاهد الحفدة الأنصار والأعوان والخدم وحكى الزجاج أن الحفدة البنات في قوله بعضهم قال الزهراوي لأنهن خدم الأبوين لأن لفظة البنين لا تدل عليهن ألا ترى أنهن ليس في قول الله تعالى ^ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ^ وإنما الزينة في الذكور وقال ابن عباس أيضا الحفدة أولاد زوجة الرجل من غيره ولا خلاف أن معنى الحفد الخدمة والبر والمشى مسرعا في الطاعة ومنه في القنوت وإليك تسعى ونحفد والحفدان خيب فوق المشى ومنه قول الشاعر وهو جميل بن معمر # حفد الولائد بينهن وأسلمت % بأفهن أرمة الإجمال) + الكامل + # ومنه قول الآخر # (كلفت مجهولها نوقا ثمانية % إذا الحداة على أكسائها حفدوا) + البسيط + # قال القاضي أبو محمد وهذه الفرق التي ذكرت أقوالها إنما بنيت على أن كل أحد جعل له من زوجة بنون وحفدة وهذا إنما هو في الغالب وعظم الناس ويحتمل عندي أن قوله ^ من أزواجكم ^ إنما هو على العموم والاشترار أي من أزواج البشر جعل الله لهم البنين ومنهم جعل الخدمة فمن لم تكن له قط زوجة فقد جعل الله له حفدة وحصلت تحت النعمة وأولئك الحفدة هم من الأزواج وهكذا تترتب النعمة التي تشمل جميع العالم وتستقيم لفظة الحفدة على مجراها في اللغة إذ البشر بجملتهم لا يستغني أحد منهم عن حفدة وقالت فرقة الحفدة هم البنون . قال القاضي أبو محمد وهذا يستقيم على أن تكون الواو عاطفة صفة لهم كما لو قال جعلنا لهم بنين وأعوانا أي وهم لهم أعوان فكأنه قال وهم حفدة وقوله ^ ورزقكم من الطيبات ^ يريد الله من الأشياء التي تطيب لمن رزقها ولا يقتصر هنا على الحلال لأنهم كفار لا يكتسبون بشرع وفي هذه الآية رد على من قال من المعتزلة إن الرزق إنما يكون الحلال فقط و ^ لكم ^ تعلق في لفظة ^ من ^ إذ هي للتبعية فيقولون ليس الرزق المعدد عليهم من جميع ما بأيديهم إلا ما كان حلالا وقرأ الجمهور يؤمنون وتجيء الآية على هذه القراءة توقيفا لمحمد صلى الله عليه وسلم على إيمانهم بالباطل وكفرهم بنعمة الله وقرأ أبو عبد الرحمن يؤمنون بالتاء من فوق ورويت عن عاصم على معنى قل لهم يا محمد ويجيء قوله بعد ذلك ^ وبنعمت الله هم يكفرون ^ إخبارا مجردا عنهم وحكما عليهم لا توقيفا وقد

@ 409 @ يحتمل التوقيف أيضا على قلة اطراد في القول . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 73 - 75 \$ هذه آية تبرع للكفار وتوبيخ وإظهار لفساد نظرهم ووضع لهم من الأصنام في الجهة التي فيها سعي الناس وإليها همهم وهي طلب الرزق وهذه الأصنام لا تملك إنزال المطر ولا إثبات نعمة ومع أنها لا تملك لا تستطيع أن تحاول ذلك من ملك الله تعالى وقوله ^ رزقا ^ مصدر ونصبه على المفعول ب ^ يملك ^ وقوله ^ شيئاً ^ ذهب كثير من النحويين إلى أنه منصوب على البدل من قوله ^ رزقا ^ و ^ رزقا ^ اسم وذهب الكوفيون وأبو علي معهم إلى أنه منصوب بالمصدر في قوله ^ رزقا ^ ولا نقدره اسما وهو كقوله تعالى ^ ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا ^ ف ^ كفاتا ^ مصدر منصوب به ^ أحياء ^ ومنه أيضا في قوله عز وجل ^ أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة ^ فنصب ^ يتيما ^ ب ^ إطعام ^ ومنه قول الشاعر # فلولوا رجاء النصر منك ورهية % عقابك قد صاروا لنا كالموارد) + الطويل + # والمصدر يعمل مضافا باتفاق لأنه في تقدير الانفصال ولا يعمل إذا دخله الألف اللام لأنه قد توغل في حال الأسماء وبعد عن حال الفعلية وتقدير الانفصال في الإضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الألف واللام في قول الشاعر ضعيف النكاية أعداء البيت # وقوله عن الضرب مسمعا وقوله ^ يملك ^ على لفظ ^ ما ^ وقوله ^ يستطيعون ^ على معناها بحسب اعتقاد الكفار في الأصنام أنها تعقل ويحتمل أن يكون الضمير في ^ يستطيعون ^ للذين يعبدون المعنى لا يستطيعون ذلك ببرهان يظهره وحجة يثبتونها وقوله ^ فلا تضربوا ^ أي لا تمثلوا لله الأمثال وهو مأخوذ من قولك ضريب هذا أي مثله والضرب النوع تقول الحيوان على ضروب وهذان من ضرب واحد وبأقي الآية بين وقوله ^ ضرب الله مثلا ^ الآية هو مثال في هذه الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا من أمر نفسه وإنما هو مسخر بإرادة سيده مدير ولا يلزم من هذا أن العبيد كلهم بهذه الصفة كما انتزع بعض من ينتحل الفقه وقد قال في المثال لا يقدر على شيء فيلزم على هذا الانتزاع أن يكون مؤمنا يتفق بحسب الطاعة وذلك أنه أشرف أن يكون مثلا والرزق ما صح الانتفاع به وقال أبو منصور في عقيدته الرزق ما وقع الاعتداء به وهذه الآية ترد على هذا التخصيص

@ 410 @ وكذلك قوله تعالى ^ ومما رزقناهم ينفقون ^ و ^ أنفقوا مما رزقناكم ^ وغير ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم جعل رزقي في ظل رحمتي وقوله أرزاق أمتي في سنانك خيلها وأسنة رماحها فالغنيمة كلها رزق والصحيح أن ما صح الانتفاع به هو الرزق وهو مراتب أعلاها ما تغذي به وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه الانتفاع في وقوله يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فألبيت أو تصدقت فأمضيت . # قال القاضي أبو محمد وفي معنى اللباس يدخل المركوب ونحوه واختلف الناس في الذي هو له هذا المثل فقال قتادة وابن عباس هو مثل الكافر والمؤمن فكان الكافر مملوك مصروف عن الطاعة فهو لا يقدر على شيء لذلك . # ويشبه ذلك العبد المذكور . # قال القاضي أبو محمد والتمثيل على هذا التأويل إنما وقع في جهة الكافر فقط جعل له مثلا ثم قرن بالمؤمن المرزوق إلا أن يكون المرزوق ليس بمؤمن وإنما هو مثال للمؤمن فيقع التمثيل من جهتين وقال مجاهد والضحاك هذا المثال والمثال الآخر الذي بعده إنما هو لله تعالى وللعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء والله تعالى تتصرف قدرته دون معتق وكذلك فسر الزجاج على نحو قول مجاهد . # قال القاضي أبو محمد وهذا التأويل أصوب لأن الآية تكون من معنى ما قبلها وبعدها في تبين أمر الله والرد على أمر الأصنام وذكر الطبري عن ابن عباس أنه قال نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وعبد كان له وروي تعيين غير هذا ولا يصح إسناده . # قال القاضي أبو محمد والمثل لا يحتاج إلى تعيين أحد وقوله ^ الحمد لله ^ شكر على بيان الأمر بهذا المثال وعلى إدعان الخصم له وهذا كما تقول لمن أذعن لك في حجة وسلم ما تبني أنت عليه قولك الله أكبر على هذا يكون كذا وكذا فلما قال هنا ^ هل يستوون ^ فكان الخصم قال له لا فقال الحمد لله ظهرت الحجة وقوله ^ بل أكثرهم لا يعلمون ^ يريد لا يعلمون أبدا ولا يدخلهم إيمان ويتمكن على هذا قوله ^ أكثرهم ^ لأن الأقل من الكفار هو الذي آمن من أولئك ولو كان معنى قوله ^ لا يعلمون ^ أي الآن لكان قوله ^ أكثرهم ^ بمعنى الاستيعاب لأنه لم يكن أحد منهم يعلم . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 76 - 79 \$

@ 411 # هذا مثل لله عز وجل والأصنام فهي كالأبكم الذي لا نطق له ولا يقدر على شيء وهو عيال على من والاه من قريب أو صديق والكل النقل والمؤنة وكل محمول فهو كل ويسمي البتيم كلا ومنه قول الشاعر # (أقول لمال الكل قبل شبابه % إذا كان عظم الكل غير شديد) + الطويل # كما الأصنام تحتاج إلى أن تنتقل وتخدم ويتعذب بها ثم لا يأتي من جهتها خير البتة هذا قول قتادة وقال ابن عباس هو مثل للكافر وقرأ ابن مسعود يوجه وقرأ علقمة يوجه وقرأ الجمهور يوجه وهي خط المصحف وقرأ يحيى بن وثاب يوجه وقرأ ابن مسعود أيضا توجهه على الخطاب وضعف أبو حاتم قراءة علقمة لأنه لازم والذي ^ يأمر بالعدل ^ هو الله تعالى وقال ابن عباس هو المؤمن . # والصراط الطريق وقوله ^ ولله غيب السماوات والأرض ^ الآية أخبر الله تعالى أن الغيب له يملكه ويعلمه وقوله ^ وما أمر الساعة ^ أية إخبار بالقدرة وحجة على الكفار والمعنى على ما قال قتادة وغيره ما تكون الساعة وأقامتها في قدرة الله إلا أن يقول لها كني فلو اتفق أن يقف على ذلك محصل من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك هل هي كالمح البصر أو هي أقرب من ذلك ف ^ أو ^ على هذا على بابها في الشك وقيل هي للتخيير ولمح البصر هو وقوعه على المرئي وقوى هذا الإخبار بقوله ^ إن الله على كل شيء قدير ^ ومن قال ^ وما أمر الساعة ^ له وما إتيانها ووقوعها بكم على جهة التخويف من حصولها ففيه بعد وتجاوز كثير وبعد من قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ومن ذكره ما ذكر من أشرط الساعة ومهلتها ووجه التأويل أن القيامة لما كانت آتية ولا بد جعلت من القرب ^ كالمح البصر ^ كما يقال ما السنة إلا لحظة إلا أن قوله ^ أو هو أقرب ^ يرد أيضا هذه المقالة وقوله ^ والله أخرجكم ^ الآية آية تعديد نعمة بينة لا ينكرها عاقل وهي نعمة معها كفرها وتصريفها في الإشراف بالذي وهبها فالله عز وجل أخبر بأنه أخرج ابن آدم لا يعلم شيئا ثم جعل حواسه التي قد وهبها له في البطن سلما إلى درك المعارف ليشكر على ذلك ويؤمن بالمنعم عليه وأمها أصله أمات وزيدت الهاء مبالغة وتأكيذا كما زادوا الهاء في أهرقت الماء قاله أبو إسحاق وفي هذا المثل نظر وقول غير هذا وقرأ حمزة والكسائي إمهاتكم بكسر الهمزة وقرأ الأعمش في بطون أمهاتكم بحذف الهمزة ردي ولكن قراءة ابن أبي ليلى أصوب والترجي الذي في لعل هو بحسنا وهذه الآية تعديد نعم وموضع اعتبار وقوله ^ ألم تروا إلى الطير ^ الآية وقرأ طلحة بن مصرف والأعمش وابن هرمز ألم تروا بالتاء وقرأ أهل مكة والمدينة ألم يروا بالياء على الكناية عنهم واختلف عن الحسن وعاصم وأبي عمرو وعيسى الثقفي والجو مسافة ما بين السماء والأرض وقيل هو ما يلي الأرض منها وما فوق ذلك هو اللوح والآية عبرة بينة تفسيرها تكلف بحت .

@ 412 # قوله عز وجل \$ سورة النحل 80 - 81 \$ هذه آية تعديد نعمة الله على الناس في البيوت فذكر أولا بيوت التمدن وهي التي للإقامة الطويلة وهي أعظم بيوت الإنسان وإن كان الوصف ب ^ سكننا ^ يعم جميع البيوت والسكن مصدر يوصف به الواحد ومعناه يسكن فيها وإليها ثم ذكر تعالى بيوت النقلة والرحلة وقوله ^ وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا ^ يحتمل أن يعم به بيوت الأدم وبيوت الشعر وبيوت الصوف لأن هذه هي من الجلود لكونها نابتة فيها نحا إلى ذلك ابن سلام ويكون قوله ^ ومن أصوافها ^ عطايا على قوله ^ من جلود الأنعام ^ أي جعل بيوتا أيضا ويكون قوله ^ أثاناً ^ نصبا على الحال و ^ تستخفونها ^ أي تجدونها خفافا وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو طعنكم بفتح العين وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي طعنكم بسكون العين وهما لغتان وليس بتخفيف وطعن معناه رحل والأصواف للغنم والأوبار للإبل والأشعار للمعز والبقير ولم تكن بلادهم بلاد قطن وكتان فلذلك اقتصر على هذه ويحتمل أن ترك ذلك القطن والحبر والكتان إعراضا عن ذلك السرف إذ ليس عباد الله الصالحين إنما هو الصوف وأيضا فقد أشير إلى القطن والحبر والكتان في لفظ السراويل والأثامنتاع البيت واحدها أثانة هذا قول أبي زيد الأنصاري وقال غيره الأثاث جميع أنواع المال ولا واحد له من لفظه . # قال القاضي أبو محمد والاشتقاق يقوي هذا المعنى الأعم لأن حال الإنسان تكون بالمال أثينة تقول شعر أثيث ونبات أثيث إذا كثرت والتف وقوله ^ إلى حين ^ يريد به وقتا غير معين وهو بحسب كل إنسان إما يموت وإما يفقد تلك الأشياء التي هي أثاث ومن هذه اللفظة قول الشاعر # (أهاجتك الطعائن يوم بانوا % بذي الزبي الجميل من الأثاث) + الوافر + # وقوله ^ والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر ^ الآية نعم عددها الله عليهم بحسب أحوالهم وبلادهم وأنها الأشياء المباشرة لهم لأن بلادهم من الحرارة وقهر الشمس بحيث للظل غناء عظيم ونفع ظاهر وقوله ^ مما خلق ^ يعم جميع الأشخاص المظلة والأكنان جمع كن وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك والسراويل جمع ما يلبس على جميع البدن كالقميص والقرقل والمجول والدرع والجوشن والخفتان ونحوه وذكر وقاية الحر إذا هو أمس في تلك البلاد على ما ذكرنا والبرد فيها معدوم في الأكثر وإذا جاء في الشتوات وإنما يتوقى بما هو أكنف من السراويل المتقدم الذكر فتبقى السراويل لتوقى الحر فقط قاله الطبري عن عطاء الخراساني ألا ترى أن الله قد نبههم إلى العبرة في البرد ولم يذكر لهم الثلج لأنه ليس في بلادهم قال ابن عباس إن الثلج شيء أبيض ينزل من السماء ما رأيته قط .

@ 413 # قال القاضي أبو محمد وأيضا فذكر أحدهما يدل على الآخر ومنه قول الشاعر # (وما أدري إذا يمتت أرضا % أريد الخير أيهما يلبسني) # قال القاضي أبو محمد وهذه التي ذكرناها هي بلاد الحجاز وإلا ففي بلاد العرب ما فيه برد شديد ومنه قول متمم . # (إذا القشيع من برد الشتاء تقعقا %) # ومنه قول الآخر # (في ليلة من جمادى ذات أندية %) # البيهقي وغير هذا والسراويل التي تقي لباس هي الدرع ومنه قول كعب بن زهير # (شم العرائين أبطال لبوسهم % من نسج داود في الهيجا سراويل) + البسيط + وقال أوس بن حجر # (ولنعم حشو الدرع والسراويل %) # فهذا يراد به القميص واللباس مس الحديد في الحرب وقرأ الجمهور يتم نعمته وقرأ ابن عباس تتم نعمته على أن النعمة هي تتم وروي عنه تتم نعمه على الجمع وقرأ الجمهور تسلمون من الإسلام وقرأ ابن عباس تسلمون من السلامة فتكون اللفظة مخصوصة في لباس الحرب وما في لعل من الترجي والتوقع فهو في حيز البشر المخاطبين أي لو نظر الناظر هذه الحال لترجى منها إسلامهم . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 82 - 85 \$ هذه الآية فيها موادة نسختها آية السيف والمعنى إن أعرضوا فلسنت بقادر على خلق الإيمان في قلوبهم وإنما عليك أن تبين وتبلغ أمر الله ونهيه ثم فرغهم ووبخهم بأنهم يعرفون نعمة الله في هذه الأشياء المذكورة ويقرون أنها من عنده ثم يكفرون به تعالى وذلك فعل المنكر للنعمة الجاحد لها هذا قول مجاهد فسماهم منكرين للنعمة تجوزا إذ كانت لهم أفعال المنكر من الكفر برب النعمة وتشريكهم في النعمة الأوثان على وجه ما وهو ما كانوا يعتقدون للأوثان من الأفعال من الضر والنفع وقال السدي النعمة ها هنا محمد صلى الله عليه وسلم ووصفهم تعالى بأنهم يعرفون بمعجزاته وآيات نبوته وينكرون ذلك بالتكذيب ورجحه الطبري ثم حكم على أكثرهم بالكفر وهم أهل مكة وذلك أنه كان فيهم من قد داخله الإسلام ومن أسلم بعد ذلك وقوله ^ ويوم نبعث ^ الآية وعيد والتقدير واذكر يوم نبعث ويرد

@ 414 # شهدا ^ على كفرهم وإيمانهم ف (شهيدي) بمعنى شاهد وذكر الطبري أن المعنى ثم ينكرونها اليوم ^ ويوم نبعث من كل أمة شهيد ^ أي ينكرون كفرهم فيكذبهم الشهيد وقوله ^ ثم لا يؤذن ^ أي لا يؤذن لهم في المعذرة وهذا في موطن دون موطن لأن في القرآن أن ^ كل نفس تأتي تجادل عن نفسها ^ ويتربط أن تجيء كل نفس تجادل فإذا استقرت أقوالهم بعث الله الشهود من الأمم فتكذب الكفار فلم يؤذن للمكذبين بعد في معذرة و ^ يستعيبون ^ معناه يعتبون يقال أعيت الرجل إذا كفيته ما عتب فيه كما تقول أشكيتك إذا كفيته ما شكأ فكأنه قال ولا هم يكفون ما يعتبون فيه ويشق عليهم والعرب تقول استفعل بمعنى أفعال تقول أدنيت الرجل واستدنيته وقال قوم معناه لا يسألون أن يرجعوا عما كانوا عليه في الدنيا . # قال القاضي أبو محمد فهذا استعتاب معناه طلب عتابهم وقال الطبري معنى ^ يستعيبون ^ يعطون الرجوع إلى الدنيا فيقع منهم توبة عمل . # وقوله ^ وإذا رأى الذين ظلموا العذاب ^ الآية أخبر الله تعالى في هذه الآية أن هؤلاء الكفرة الظالمين في كفرهم إذا أراهم الله عذاب الله وشارفوها وتحققوا كنه شدتها فإن ذلك الأمر الهائل الذي نزل بهم لا يخفف بوجه ولا يؤخر عنهم وإنما مقصد الآية الفرق بين ما يحل بهم وبين رزايا الدنيا فإن الإنسان لا يتوقع أمرا من خطوب الدنيا إلا وله طمع في أن يتأخر عنه وفي أن يجيئه في أخف ما يتوهم برجائه وكذلك متى حل به كان طامعا في أن يخف وقد يقع ذلك في خطوب الدنيا كثيرا فأخبر الله تعالى أن عذاب الآخرة إذا غابته الكافر لا طماعية فيه بتخفيف ولا بتأخير . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 86 - 89 \$ أخبر الله تعالى في هذه الآية أن المشركين إذا رأوا يوم القيامة

بأبصارهم الأوثان والأصنام وكل معبود من دون الله لأنها تحشر معهم توبيخا لهم على رؤوس الأشهاد أشاروا إليهم وقالوا هؤلاء كنا نعبد من دون الله أرادوا بذلك تذنب المعبودين وإدخالهم في المعصية وأضافوا الشركاء إلى أنفسهم من حيث هم جعلوهم شركاء وهذا كما يصف رجل آخر بأنه خير فتقول أنت ما فعل خيرك فأصفته إليه من حيث وصفه هو بتلك الصفة والضمير في [^] أقول [^] عائذ على الشركاء فمن كان من المعبودين من البشر ألقى القول المعهود بلسانه وما كان من الجمادات تكلمت بقدره الله بتكذيب المشركين في وصفهم بأنهم آلهة وشركاء لله ففي هذا وقع الكذب لا في العبادة وقال الطبري المعنى إنكم لكاذبون ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا .

@ 415 @ # قال القاضي أبو محمد فكأنهم كذبوهم في التذنب لهم وقوله [^] وألقوا إلى الله [^] الضمير في [^] ألقوا [^] عائذ على المشركين والمعنى ألقوا إليه الاستسلام وألقوا ما بأيديهم ودلوا لحكمه ولم تكن لهم حيلة ولا دفع و [^] السلم [^] الاستسلام وقرأ الجمهور السلم بفتح اللام وروي يعقوب عن أبي عمرو سكون اللام وقرأ مجاهد السلم يضم السين واللام وقوله [^] وصل عنهم [^] معناه ولف عنهم كذبهم على الله وإفترأؤهم الكفر والتشريك وقوله [^] الذين كفروا [^] الآية في ضمن قوله [^] وصل عنهم ما كانوا يفترون [^] لأنه حل بهم عذاب الله وباشروا نعمته ثم فسره فأخبر أن الذين كفروا ومنعوا غيرهم من الدخول في الدين وسلوك سبيل الله زادهم عذابا أجل من العذاب العام لجميع الناس عقوبة على إفسادهم فيحتمل أن يكون قوله [^] الذين [^] بدلا من الضمير في [^] يفترون [^] و [^] زدناهم [^] فعل مستأنف إخباره ويحتمل أن يكون [^] الذين [^] ابتداء و [^] زدناهم [^] خبره وروي في ذلك أن الله تعالى يسلب عليهم عقارب وحيات لها أنياب كالنخل الطوال قاله ابن مسعود وقال عبيد بن عمير لها أنياب كالنخل وعقارب كالبغال الدهم ونحو هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاصي إن لجهنم سواحل فيها هذه الحيات وهذه العقارب فيفر الكافر إلى السواحل من النار فتلقاهم هذه الحيات والعقارب فيفرون منها إلى النار فتبتعهم حتى تجد حر النار فترجع قال وهي في أسراب وقوله تعالى [^] ويوم نبعث [^] الآية هذه الآية في ضمنها وعيد والمعنى وأذكر يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليها وهو رسولها الذي شاهد في الدنيا تكذيبها وكفرها وإيمانها وهداها ويجوز أن يبعث الله شهيدا من الصالحين مع الرسل وقد قال بعض الصحابة إذا رأيت أحدا على معصية فانه فأن أطاعك ولا كنت شهيدا عليه يوم القيامة [^] من أنفسهم [^] بحسب أن بعثة الرسل كذلك في الدنيا وذلك أن الرسول الذي من نفس الأمة في اللسان والسير وفهم الأغراض والإشارات يتمكن له إفهامهم والرد على معانديهم ولا يتمكن ذلك من غير من هو من الأمة فلذلك لم يبعث الله قط نبيا إلا من الأمة المبعوث إليهم وقوله [^] هؤلاء [^] إشارة إلى هذه الأمة و [^] الكتاب [^] القرآن وقوله [^] تبيان [^] اسم وليس بالمصدر وهو كالتقصان والمصادر في مثل هذا التاء فيها مفتوحة كالترداد والتكرار ونصب [^] تبيان [^] على الحال . # وقوله [^] لكل شيء [^] أي مما يحتاج في الشرع ولا بد منه في الملة كاللحلال والحرام والدعاء إلى الله والتخويف عن عذابه وهذا حصر ما اقتضته عبارات المفسرين وقال ابن مسعود أنزل في هذا القرآن كل علم وكل شيء قد بين لنا في القرآن ثم تلا هذه الآية . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 90 - 91 # قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أجمل آية في كتاب الله في سورة النحل وتلا هذه الآية

@ 416 @ وروي عن عثمان بن مطعم رضي الله عنه أنه قال لما نزلت هذه الآية قرأتها على علي بن أبي طالب فتعجب وقال يا آل غالب اتبعوه تفلحوا فوالله إن الله أرسله ليأمر بكارم الأخلاق وحكى النقاش قال يقال زكاة العدل الإحسان وزكاة القدرة العفو وزكاة الغنى المعروف وزكاة الجاه كتب الرجل إلى إخوانه . # قال القاضي أبو محمد و [^] العدل [^] هو فعل كل مقروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق [^] والإحسان [^] هو فعل كل مندوب إليه فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه ومنها ما هو فرض إلا أن حد الاجزاء منه داخل في العدل والتكميل الزائد على حد الاجزاء داخل في الإحسان وقال ابن عباس فيما حكى الطبري [^] العدل [^] إلا إله إلا الله و [^] الإحسان [^] أداء الفرائض . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا القسم الأخير نظر لأن أداء الفرائض هي الإسلام حسبا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث بسؤال جبريل عليه السلام وذلك هو العدل وإنما الإحسان التكميلات والمندوب إليه حسبا يقتضيه تفسير النبي صلى الله عليه وسلم أنه في حديث سؤال جبريل عليه السلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فإن صح هذا عن ابن عباس فإنما أراد أداء الفرائض مكملة [^] وإيتاء ذي القربى [^] لفظ يقتضي صلة الرحم ويعم جميع إسداء الخير إلى القرابة وتركه مبهما أبلغ لأن كل من وصل في ذلك إلى غاية وإن علت يرى أنه مقصر وهذا المعنى المأمور به في جانب [^] ذي القربى [^] داخل تحت [^] العدل [^] و [^] الإحسان [^] لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماما به وحضا عليه و [^] الفحشاء [^] الزنى قاله ابن عباس . # قال القاضي أبو محمد وغيره من المعاصي التي شنعها ظاهرة وفاعلا أبدا متستر بها وكأنهم خصوها بمعاني الفروج والمنكر أعم منه لأنه يعم جميع المعاصي والردائل والإذيات على اختلاف أنواعها و [^] البغي [^] هو إنشاء ظلم الإنسان والسعاية فيه وهو داخل تحت [^] المنكر [^] لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماما به لشدة ضررة بالناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ذنب أسرع عقوبة من بغي وقال صلى الله عليه وسلم الباغي مضرور وقد وعد الله تعالى من بغي عليه بالنصر وفي بعض الكتب المنزلة لو بغى جيل على جيل لجعل الله الباغي منهما دكا . # قال القاضي أبو محمد وتغيير المنكر فرض على الولاة إلا أن المغير لا يعن لمستور ولا يعمل طنا ولا يتجسس ولا يغير إلا ما بدت صفحته ويكون أمره ونهيه بعروف وهذا كله لغير الولاة أئزم وفرض على المسلمين عامة ما لم يخف المغير إذابة أو ذلا ولا المؤمن بيده ما وجد سلطانا فإن عدمه غير بيده إلا أنه لا يصل إلى نصب القتال والمدارة وأعمال السلاح إلا مع الرياسة والإمام المتبع وينبغي للناس أن يغير المنكر منهم كل أحد تقى وغير تقى ولو لم يغير إلا تقى لم يتغير منكر في الأغلب وقد ذم الله تعالى قوما بأنهم لم يتناهوا عن منكر فعلوه فقد وصفهم بفعله وذمهم لما لم يتناهوا عنه وكل منكر فيه مدخل للنظر فلا مدخل لغير حملة العلم فيه فهذه نبذة من القول في تغيير المنكر تضمنت ثمانية

@ 417 @ شروط وروي أن جماعة رفعت على عاملها إلى أبي جعفر المنصور العباسي فحاجها العامل وغلبها بأنهم لم يبينوا عليه كبيرة ظلم ولا جوروه له في شيء فقام فتى من القوم فقال يا أمير المؤمنين إن الله أمر [^] بالعدل والإحسان [^] وأنه عدل ولم يحسن قال فعجب أبو جعفر من إصابته وعزل العامل وقوله [^] وأوفوا بعهد الله [^] الآية مضمن قوله [^] إن الله يأمر بالعدل والإحسان [^] الآية أفعلوا كذا وانتهاوا عن كذا فعطف على ذلك التقدير قوله [^] وأوفوا [^] وعهد الله لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الإنسان من بيع أو صلة أو موائقة في أمر موافق للديانة وبالجملة كل ما كان طاعة بين العاهد وبين ربه كان فيه نفع للغير أو لم يكن وقوله [^] ولا تنقضوا الأيمان [^] خص في هذه الألفاظ اليهود التي تقترن بها إيمان تهما بها وتبينها عليها . # قال القاضي أبو محمد وهذا في كل ما كان الثبوت فيه على اليمين طاعة لله وما كان الانصراف عنه أصوب في الحق فهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف علي يمين ثم رأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير # ويقال تأكيد وتوكيد وأكد وهما لغتان وقال الزجاج الهمزة مبدلة من الواو . # قال القاضي أبو محمد وهذا غير بين لأنه ليس في وجوه تصريفه ما يدل على ذلك و [^] كفيلا [^] معناه متكفلا بوفائكم وباقي الآية وعيد في ضمن خبر بعلم الله تعالى بأفعال عباده وقالت فرقة نزلت هذه الآية في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام رواه أبو ليلى عن مزنية وقال قتادة ومجاهد وابن زيد نزلت فيما كان من تحالف الجاهلية في أمر معروف أو نهى عن منكر فزادها الإسلام شدة . # قال القاضي أبو محمد قال صلى الله عليه وسلم لا حلف في الإسلام وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة وهذا حديث معني وإن كان السبب بعض هذه الأشياء فألفاظ الآية عامة على جهة مخاطبة العالمين أجمعين . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 92 - 93 # شبهت هذه الآية الذي يحلف أو يعاهد أو يبرم عقدة بالمرأة التي تغزل غزلها وتغزله محكما وشبه الذي ينقض عهده بعد الإحكام بتلك الغازلة إذا نقصت قوى ذلك الغزل فحلته بعد إبرامه ويروى أن امرأة حمقاء كانت بمكة تسمى ربيعة بنت سعد كانت تفعل ذلك فيها وقع التشبيه قاله عبد الله بن كثير والسدي .

@ 418 @ ولم يسميا المرأة وقيل كانت امرأة موسوسة تسمى خطية تغزل عند الحجر وتفعل ذلك وقال مجاهد وقتادة ذلك ضرب

مثل لا على امرأة معينة و[^] أنكانا[^] نصب على الحال والنكت النقص والقوة في اللغة واحدة قوى الغزل والحيل وغير ذلك مما يظفر ومنه قول الأغلب الرازي # (حيل عجز فتلقت سبع قوى %) # ويظهر لي أن المراد ب القوة في الآية الشدة التي تحدث من تركيب قوى الغزل ولو قدرناها واحدة القوى لم يكن معها ما ينقص[^] أنكانا[^] والعرب تقول أنكثت الحيل إذا انتقضت قواه أما إن عرف الغزل أنه قوة واحدة ولكن لها أجزاء كأنها قوة كثيرة له قال مجاهد المعنى من بعد إمرار قوة والدخل الدغل بعينه وهي الذرائع إلى الخدع والغدر وذلك أن المحلوف له مطمئن فيتمكن الحالف من ضره بما يريد وقوله[^] أن تكون أمة هي أرى من أمة[^] قال المفسرون نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم إذا حالفت الأخرى ثم جاءت إحداهما قبيلة كبيرة قوية فداخلتها غدرت الأولى ونقضت معها ورجعت إلى هذه الكبرى فقال الله تعالى ولا تنقضوا العهود من أجل أن تكون قبيلة أزيد من قبيلة في العدد والعزة والربا الزيادة ويحتمل أن يكون القول معناه لا تنقضوا الأيمان من أجل أن تكونوا أرى من غيركم أي أزيد خيرا فمعناه لا تطلبوا الزيادة بعضكم على بعض ينقض العهود و[^] يلوكم[^] معناه يختبركم والضمير في[^] به[^] يحتمل أن يعود على الوفاء الذي أمر الله به ويحتمل أن يعود على الربا أي أن الله تعالى ابتلى عباده بالتحاسد وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم بذلك ليرى من يجاهد نفسه ممن يتبعها هواها وباقي الآية وعيد بين بيوم القيامة وقوله[^] هي أرى[^] موضع[^] أرى[^] عند البصريين رفع وعند الكوفيين نصب وهي عماد ولا يجوز العماد هنا عند البصريين لأنه لا يكون مع النكرة و[^] أمة[^] نكرة وحجة الكوفيين أن[^] أمة[^] وما جرى مجراها من أسماء الأجناس تتكربها قريب من التعريف ألا ترى أن إدخال الألف واللام عليها لا يخصها كبير تخصيص وفي هذا نظر وقوله تعالى[^] ولو شاء الله[^] الآية أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه يتلى عباده بالأوامر والنواهي ليذهب كل أحد إلى ما يسر له وذلك منه تعالى بحق الملك وأنه لا يسأل عما يفعل ولو شاء لكان الناس كلهم في طريق واحد إما في هدى وإما في ضلالة ولكنه تعالى شاء أن يفرق بينهم . # ويخص قوما بالسعادة وقوما بالشقاوة و[^] يضل[^] و[^] يهدي[^] معناه يخلق ذلك في القلوب خلافا لقول المعتزلة ثم توعد في آخر الآية بسؤال كل أحد يوم القيامة عن عمله وهذا سؤال توبيخ وليس ثم سؤال تفهم وذلك هو المنفي في آيات . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 94 - 97 \$

@ 419 @ # كرر النهي عن اتخاذ الأيمان[^] دخلا بينكم[^] تهما بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه من الدين وتردده في معاشرات الناس والدخل كما قلنا الغوائل الخدائع وقوله[^] فتزل قدم بعد ثبوتها[^] استعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه لأن القدم إذا زلت نقلت الإحسان من حال خير إلى حال شر ومن هذا المعنى قول كثير # (فلما توافقنا ثبت وزلت %) # أي تنقلت من حال إلى حال فاستعار لها الزلل ومنه يقال لمن أخطأ في شيء زل فيه ثم توعد بعد عذاب في الدنيا و[^] عذاب عظيم[^] في الآخرة وقوله[^] بما صدقتم عن سبيل الله[^] يدل على أن الآية فيمن باع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله[^] ولا تشتروا بعهد الله[^] الآية هذه آية نهى عن الرشا وأخذ الأموال على فعل ما يجب على الأخذ أو تركه أو فعل ما يجب عليه تركه فإن هذه هي التي عهد الله إلى عباده فيها فمن أخذ على ذلك مالا فقد أعطى عهد الله وأخذ قليلا من الدنيا ثم أخبر تعالى أن ما عنده من نعيم الجنة ومواهب الآخرة خير لمن اتقى وعلم واهتدى ثم بين الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفذ وتنقض عن الإنسان أو ينقض عنها ومن الآخرة باقية دائمة وقرأ ابن كثير وعاصم ولنجزين بنون وقرأ الباقون وليجزين بالياء ولم يختلفوا في قوله[^] ولنجزينهم[^] أنه بالنون كذا قال أبو علي وقال أبو حاتم إن نافعا روي عنه وليجزينهم بالياء و[^] صبروا[^] معناه عن الشهوات وعلى مكاره الطاعة وهذه إشارة إلى الصبر عن شهوة كسب المال بالوجوه المذكورة وقوله[^] بأحسن[^] أي بقدر أحسن ما كانوا يعملون وقوله[^] من عمل صالحا[^] يعم جميع أعمال الطاعة ثم قيده بالإيمان واختلف الناس في[^] الحياة الطيبة[^] فقال ابن عباس والضحاك هو الرزق الحلال وقال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي القناعة وهذا طيب عيش الدنيا وقال ابن عباس أيضا هي السعادة وقال الحسن البصري الحياة الطيبة هي حياة الآخرة ونعيم الجنة . # قال القاضي أبو محمد وهناك هو الطيب على الإطلاق ولكن ظاهر هذا الوعد أنه في الدنيا والذي أقول إن طيب الحياة اللازم للصالحين إنما هو بنشاط نفوسهم ونيلها وقوة رجائهم والرجاء للنفس أمر ملذ فهذا تطيب حياتهم وأنهم احتقروا الدنيا فرالت همومها عنهم فإن انضاف إلى هذا مال حلال وصحة أو قناعة فذلك كمال وإلا فالطيب فيما ذكرناه راتب وجاء قوله[^] فلنجيبه[^] على لفظ[^] من[^] وقوله[^] ولنجزينهم[^] على معناها وهذا وعد بنعيم الجنة وباقي الآية بين وحكى الطبري عن أبي صالح أنه قال نزلت هذه الآية بسبب قوم من أهل الملل تفاخروا وقال كل منهم ملتي أفضل ففرهم الله تعالى في هذه الآية أفضل الملل .

@ 420 @ # قوله عز وجل \$ سورة النحل 98 - 103 \$ الفاء في قوله[^] فإذا[^] واصلة بين الكلامين والعرب تستعملها في مثل هذا وتقدير الآية فإذا أخذت في قراءة القرآن كما قال عز وجل[^] إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم[^] وكما تقول لرجل إذا أكلت فقل بسم الله والاستعاذة ندب عند الجميع وحكى النقاش عن عطاء أن التعوذ واجب ولفظ الاستعاذة هو على رتبة الآية وقد ذكرت الخلاف الذي قيل فيه في صدر هذا الكتاب و[^] الرجيم[^] المرجوم باللغة وهو إبليس ثم أخبر الله تعالى أن إبليس ليس له ملكة ولا رئاسة هذا ظاهر السلطان عندي في هذه الآية وذلك أن السلطان إن جعلناه الحجة فليس له حجة في الدنيا على أحد لا مؤمن ولا كافر اللهم إلا أن يتأول متأول[^] ليس له سلطان[^] يوم القيامة فيستقيم أن يكون بمعنى الحجة لأن إبليس له حجة على الكافرين أنه دعاهم بغير دليل فاستجابوا له من قبل أنفسهم وهؤلاء الذين لا سلطان ولا رئاسة لإبليس عليهم هم المؤمنون أجمعون لأن الله لم يجعل سلطانه إلا على المشركين الذين يتولونه والسلطان منفي ها هنا في الإشراف إذ له عليهم ملكة ما في المعاصي وهم الذين قال الله فيهم[^] إن عبادي ليس لك عليهم سلطان[^] وهم الذين قال إبليس فيهم[^] إلا عبادك منهم المخلصين[^] و[^] يتولونه[^] معناه يجعلونه وليا والضمير فيه يحتمل أن يعود على اسم الله عز وجل والظاهر أنه يعود على اسم إبليس بمعنى من أجله وبسببه كما تقول لمعلمك أنا عالم بك أي بسببك فكأنه قال والذين هم بسببه مشركون بالله وهذا الإخبار بأن لا سلطان للشيطان على المؤمنين يعقب الأمان بالاستعاذة تقتضي أن الاستعاذة تصرف كيده كأنها متضمنة للتوكل على الله والانقطاع إليه وقوله[^] وإذا بدلنا آية مكان آية[^] كأن كفار مكة إذا نسخ الله لفظ آية بلفظ أخرى ومعناها وإن بقي لفظها لأن هذا كله يقع عليه التبديل يقولون لو كان هذا من عند الله لم يتبدل وإنما هو من افتراء محمد فهو بروج من خطايدلونه إلى صواب يراه بعد فأخبر الله عز وجل أنه أعلم بما يصلح للعباد برهة من الدهر ثم ما يصلح لهم بعد ذلك وأنهم لا يعلمون هذا وقرأ الجمهور ينزل بفتح النون وشد الزاي وقرأ أبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي وعبر ب الأكثر مراعاة لما كان عند قليل منهم من توقف وقلة مبالغة في التكذيب والظن ويحتمل أن يكون هذا اللفظ قرر على قليل منهم انهم يعلمون ويكفرون وتمردا

@ 421 @ وعنادا وأمر نبيه أن يخبر أن القرآن وناسخه ومنسوخه إنما نزل جبريل عليه السلام وهو[^] روح القدس[^] لا خلاف في ذلك و[^] القدس[^] الموضوع المطهر فكان جبريل أضيف إلى الأمر المطهر بإطلاق وسمي روحا إما لأنه نور روح من جملة روح الله الذي بثه في خلقه وخص هو بهذا الاسم وإما لأنه يجري من الهدايات والرسالات ومن الملائكة أيضا مجرى الروح من الأجساد لشرفه ومكائنه وقرأ ابن كثير القدس يسكون الدال وقرأ الباقون القدس بضمها وقوله[^] بالحق[^] أي مع الحق[^] في أوامره ونواهيته وأحكامه ومصالحه وأخباره ويحتمل أن يكون قوله[^] بالحق[^] بمعنى حقا ويحتمل أن يريد[^] بالحق[^] في أن ينزل أي أنه واجب لمعنى المصلحة أن ينزل وعلى هذا الاحتمال اعتراضات عند أصحاب الكلام على أصول الدين وباقي الآية بين وقوله[^] ولقد نعلم أنهم يقولون[^] قال ابن عباس كان في مكة غلام أعجمي لبعض قريش يقال له بلعام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ويعلمه الإسلام ويرومه عليه فقالت قريش هذا يعلم محمدا من جهة الأعاجم فنزلت الآية بسببه وقال عكرمة وسفيان كان اسم الغلام يعيى وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان بمكة غلامان أحدهما اسمه جبر والآخر يسار وكانا يقرآن بالرومية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إليهما فقالت قريش ذلك ونزلت الآية وقال ابن إسحاق والإشارة إلى جبر وقال الضحاك الإشارة إلى سلمان الفارسي . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف لأن سلمان إنما أسلم بعد الهجرة بمدة وقرأت فرقة لسان الذي وقرأ الحسن البصري اللسان الذي بالتعريف وبغير تنوين في رأي بشر وقرأ نافع وابن كثير يلحدون بضم الياء منالحد إذا مال وهي قراءة أبي

عمرو وعاصم وابن عامر وأبي جعفر بن القعقاع وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء من لحد وهي قراءة عبد الله وطلحة وأبي عبد الرحمن والأعمش ومجاهد وهما بمعنى ومنه قول الشاعر # (قدني من نصر الخبيبي قدي % ليس أمري بالشحيح الماحد) + الرمل + # يريد المائل عن الجود وحال الرياسة وقوله ^ أعجمي إضافة إلى أعجم لا إلى العجم لأنه كان يقول عجمي والأعجمي هو الذي لا يتكلم بالعربية وأما العجمي فقد يتكلم بالعربية ونسبته قائمة وقوله ^ وهذا ^ إشارة إلى القرآن والتقدير وهذا سرد لسان أو نطق لسان فهو على حذف مضاف وهذا علي أن يجعل اللسان هنا الجارحة واللسان في كلام العرب اللغة ويحتمل أن يراد في هذه الآية واللسان الخبر ومنه قول الأعشى إني أتنني لسان غير كاذبة . # ومنه قول الآخر # (لسان السوء يهديها إلينا % وجبت وما حسبتك أن تجينا ^ + الوافر + # وحكى الطبري عن سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله ^ إنما يعلمه بشر ^ إنما ^ هي إشارة إلى كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم في أواخر الآيات والله سميع عليم أو عزيز حكيم أو نحو هذا ثم يشتغل بسماع الوحي فيبدل هو بغفور رحيم أو نحوه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الآيات هو كما كتبت ففتن وقال أنا

@ 422 @ أعلم محمدا وارتد ولحق بمكة ونزلت الآية فيه . # قال القاضي أبو محمد هذا نصراني أسلم وكتب ثم ارتد ولحق بمكة ومات ثم لفظته الأرض وإلا فهذا القول يضعف لأن الكاتب المشهور الذي ارتد لهذا السبب ولغيره من نحوه هو عبد الله بن أبي سرح العامري ولسانه ليس بأعجمي فتأمل . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 104 - 106 \$ المفهوم من الوجود أن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته ولكنه قدم في هذا الترتيب وآخر تهما بتقبيح فعلهم والتشجيع لخباطهم وذلك كقوله تعالى ^ فلما زاعوا أراغ الله قلوبهم ^ والمراد ما ذكرناه فكانه قال إن الذين لم يؤمنوا لم يهدهم الله وقوله ^ إنما يفترى الكذب ^ بمعنى يكذب وهذه مقاومة للذين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم إنما أنت مفتر و ^ إنما ^ أبدا حاضرة لكن حصرها يختلف باختلاف المعاني التي تقع فيها قد يربط المعنى أن يكون حصرها حقيقيا كقوله تعالى ^ إنما لله إله واحد ^ وقد يقتضي المعنى أن يكون حصرها تجوزا ومبالغة كقولك إنما الشجاع عنترة وهكذا هي في هذه الآية قال الزجاج يفترى هذا الصنف إذا روا الأيات التي لا يقدر عليها إلا الله كذبوا بها فهذا أفحش الكذب وكرر المعنى في قوله ^ وأولئك هم الكاذبون ^ لفائدة إيقاع الصفة بالكذب عليهم إذ الصفة بالشيء أبغ من الخبر به لأن الصفة تقتضي الدوام أكثر مما يقتضيه الخبر فبدأ في هذه الآية بالخبر ثم أكد بالصفة وقد اعترض هذا النظر مكي وليس اعتراضه بالقوي و ^ من ^ في قوله ^ من كفر ^ بدل من قوله ^ هم الكاذبون ^ ولم يجز الزجاج غير هذا الوجه لأنه رأى الكلام إلى آخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله والذي أبى الزجاج سائغ على ما أورده الآن إن شاء الله . # قال القاضي أبو محمد وهذا يتأكد بما روي من أن قوله ^ وأولئك هم الكاذبون ^ يراد به عبد الله بن أبي سرح ومقيس بن صباة وأشباههما ممن كان آمن برسول الله ثم ارتد فلما بين في هذه الآية أمر الكاذبين بأنهم الذين كفروا بعد الإيمان أخرج من هذه الصفة القوم المؤمنون المعذبون بمكة وهم بلال وعمار وسمية وأمه وخباب وصهيب وأشباههم وذلك أن كفار مكة كانوا في صدر الإسلام يؤذون من أسلم من هؤلاء الضعفة يعذبونهم ليرتدوا فريما سامعهم بعضهم بما أرادوا من القول يروى أن عمار بن ياسر فعل ذلك فاستنأه الله في هذه الآية وبقيت الرخصة عامة في الأمر بعده ثم ابتداء الإخبار أن من شرح

@ 423 @ صدرا بالكفر فعليهم وهذا الضمير على معنى من لا على لفظها . # قال القاضي أبو محمد وفي هذا من الاعتراض أن أمر ابن أبي سرح وأولئك إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والظاهر من هذه الآية أنها مكية وقالت فرقة ^ من ^ في قوله ^ من كفر ^ ابتداء وقوله ^ من شرح ^ تخصيص منه ودخل الاستثناء لما ذكرنا من إخراج عمار وشبهه وردنا من الاستثناء إلى المعنى الأول لاستدراك ب ^ ولكن ^ وقوله ^ فعليهم ^ خبر ^ من ^ الأولى والثانية إذ هو واحد بالمعنى لأن الإخبار في قوله ^ من كفر ^ إنما قصد به الصنف الشارح بالكفر و ^ صدرا ^ نصب على التمييز وقوله ^ شرح بالكفر صدرا ^ معناه انبسط إلى الكفر باختياره ويروي أن عمار بن ياسر شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع به من العذاب وما سماع به من القول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال أجده مطمئنا بالإيمان قال فأجبهم بلسانك فإنه لا يضرك وإن عادوا فعد . # قال القاضي أبو محمد ويتعلق بهذه الآية شيء من مسائل الإكراه أما من عذبه كافر قادر عليه ليكفر بلسانه وكان العذاب يؤدي إلى قتله فه الإجابة باللسان قولاً واحداً فيما أحفظ فإن أراد منه الإجابة بفعل كالسجود إلى صنم ونحو ذلك ففي هذا اختلاف فقالت فرقة هي الجمهور يجب بحسب التقية وقالت فرقة لا يجب ويسلم نفسه وقالت فرقة إن كان السجود نحو القبلة أجاز واعتقد السجود لله . # قال القاضي أبو محمد وما أحره أن يسجد لله حينئذ حينما توجه وهذا مباح في السفر لتعب النزول عن الدابة في التنقل فكيف لهذا وإذا احتجت فرقة المنع بقول ابن مسعود ما من كلام يدرأ عني سوطين من ذي سلطان إلا كنت متكلماً به فقص الرحمة علي القول ولم يذكر الفعل . # قال القاضي أبو محمد وليس هذا بحجة لأنه يحتمل أن جعل الكلام مثالا وهو يريد أن الفعل في حكمه فأما الإكراه على البيع والإيمان والطلاق والعنق والفطر في رمضان وشرب الخمر ونحو هذا من المعاصي التي بين العبد والله عز وجل فلا يلزم المكروه شيء من ذلك قاله مطرف ورواه عن مالك وقاله ابن عبد الحكم وأصعب وروياه عن ابن القاسم عن مالك وفرق ابن عباس بين ما هنا قول كالعنق والطلاق فجعل فيها التقية وقال لا تقية فيما كان فعلا كشراب الخمر والفطر في رمضان ولا يحل فعلها لمكروه فأما المظلوم بضغط حتى يبيع متاعه فذلك بيع لا يجوز عليه وهو أولى بمتاعه يأخذه بلا ثمن ويتبع المشتري بالثمن ذلك الظالم فإن أفات المتاع رجع بثمنه أو بقيته بالأكثر من ذلك على الظالم إذا كان المشتري غير عالم بظلمه قال مطرف ومن كان من المشتري يعلم حال المكروه فإنه ضامن لما ابتاع من رقيقه وعروضه كالغاصب وأما من لا يعلم فلا يضمن العروض والحيوان وإنما يضمن ما كان تلفه بسببه مثل طعام أكله أو ثوب لبسه والغلة إذا علم أو لم يعلم ليست له بحال هو لها ضامن كالغاصب وقاله أصعب وابن عبد الحكم قال مطرف وكل ما أحدث المتاع في ذلك من عتق أو تدبير أو تحييس فلا يلزم المكروه وله أخذ متاعه وأما الإكراه على قتل مسلم أو جلده أو أخذ ماله أو بيع متاعه فلا عذر فيه ولا

@ 424 @ استكراه في ركوب معصية تنتهك مثل حد كالزنا والقتل أو نحوه قال مطرف وأصعب وابن عبد الحكم لا يفعل أحد ذلك وإن قتل إن لم يفعله فإن فعل فهو أثم ويلزمه الحد والقود قال مالك والقيد إكراه والسجن إكراه والوعيد المخوف إكراه وإن لم يقع إذا تحقق ظلم ذلك المتعدي وإنفاذه لما يتوعد . # قال القاضي أبو محمد ويعتبر الإكراه عندي بحسب همة المكروه وقدره في الدين وبحسب قدر الشيء الذي يكره عليه فقد يكون الضرب إكراها في شيء دون شيء فلهذه النوازل فقه الحال وأما يمين المكروه كما قلنا فهي غير لازمة قال ابن الماجشون وسواء حلف فيما هو لله طاعة أو فيما ليس في فعله طاعة ولا معصية فاليمين فيه ساقطة وإن أكره على اليمين فيما هو طاعة مثل أن يأخذ الوالي رجلا فاسقا فيكرهه أن يحلف بالطلاق أن لا يشرب خمرأ أو لا يفسق أو لا يغش في عمله أو الوالد يحلف ولده في مثل هذا تاديباً له فإن اليمين تلزم وإن كان المكروه قد أخطأ فيما تكلف من ذلك وقال به ابن حبيب وأما إن أكره رجل على أن يحلف وإلا أخذ له مال كأصحاب المسكن وظلمة السعاة وأهل الاعتداء فقال مطرف لا تقية في ذلك وإنما يدرأ المرء بيمينه عن بدنه لا عن ماله وقال ابن الماجشون لا يحنث وإن درأ عن ماله ولم يخف على بدنه وقال ابن القاسم بقول مطرف ورواه عن مالك وقاله ابن عبد الحكم وأصعب وابن حبيب قال مطرف وابن الماجشون وإن بدر الحالف يمينه للوالي الظالم قبل أن يسألها ليدب بها عما خاف عليه من بدنه وماله فحلف له فإنه يلزمه قال ابن عبد الحكم وأصعب وقال أيضا ابن الماجشون فيمن أخذه ظالم فحلف له بالطلاق البتة من غير أن يحلفه وتركه وهو كاذب وإنما حلف خوفاً من ضربه أو قتله أو أخذ ماله فإن كان إنما يتبرع باليمين غلبة خوف ورجاء النجاة من ظلمه فقد دخل في الإكراه ولا شيء عليه وإن لم يحلف على رجاء النجاة فهو حانث وإذا اتهم الوالي أحداً بفعل أمر فقال لا بد من عقوبتك إلا أن تحلف لي فإن كان ذلك الأمر مما لذلك المكروه فعلة إما أن يكون طاعة وأما أن يكون لا طاعة ولا معصية فالتقية في هذا وأما إن كان ذلك الأمر مما لا يحل لذلك الرجل فعلة ويكون نظر الوالي فيه صواباً فلا تقية في اليمين وهو حانث قاله مالك وابن الماجشون . # قال القاضي أبو محمد فهذه نبذة من مسائل الإكراه . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 107 - 111 \$ قوله ^ ذلك ^ إشارة إلى الغضب والعذاب الذي توعد به قبل

هذه الآية والضمير في ^ أنهم ^

@ 425 @ ل ^ من شرح بالكفر صدرا ^ ولما فعلوا فعل من استحب ألزموا ذلك وإن كانوا مصدقين بآخرة لكن الأمر في نفسه بين فمن حيث أعرضوا عن النظر فيه كانوا كمن استحب غيره وهذه الآية علق فيها العقاب بتكسيهم وذلك أن استحبابهم زينة الدنيا ولذات الكفر هو التكسب وقوله ^ وأن الله لا يهدي ^ إشارة إلى اختراع الله تعالى الكفر في قلوبهم ولا شك أن كفر الكافر الذي يتعلق به العقاب إنما هو باختراع من الله تعالى وتكسب من الكافر فجمعت الآية بين الأمرين وعلى هذا مرت عقيدة أهل السنة وقوله ^ لا يهدي القوم الكافرين ^ عموم على أنه لا يهديهم من حيث إنهم كفار في نفس كفرهم أو عموم يراد به الخصوص فيمن يوافي وقوله ^ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ^ الآية عبارة عن صرف الله لهم عن طريق الهدى واختراع الكفر المظلم في قلوبهم وتغليب الإعراض على نظرهم فكانه سد بذلك طرق هذه الحواس حتى لا ينتفع بها في اعتبار وتأمل وقد تقدم القول وذكر الاختلاف في الطبع والختم في سورة البقرة وهل هو حقيقة أو مجاز والسمع اسم جنس وهو مصدر في الأصل فلذلك وحد ونبه على تكسيهم الإعراض عن النظر فوصفهم ب الغفلة وقد تقدم شرح ^ لا جرم ^ في هذه السورة وقوله ^ ثم إن ربك للذين هاجروا ^ الآية قال ابن عباس كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروها فاستغفروا لهم فنزلت ^ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ^ إلى آخر الآية قال وكتب بها إلى من بقي بمكة من المسلمين وأن لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنه فنزلت ^ ومن الناس من يقول آمنا بالله ^ إلى آخر الآية فكتب المسلمون إليهم بذلك فخرجوا ويئسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ^ ثم إن ربك للذين هاجروا ^ الآية فكتبوا إليهم بذلك أن الله قد جعل لكم مخرجا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل . # قال القاضي أبو محمد جاءت هذه الرواية هكذا أن بعد نزول الآية خرجوا فجيء الجهاد الذي ذكر في الآية جهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . # وروت طائفة أنهم خرجوا وأتبعوا وجاهدوا متبعيهم فقتل من قتل ونجا من نجا فنزلت الآية حينئذ فعنى الجهاد المذكور جهادهم لمتبعيهم وقال ابن إسحاق ونزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد . # قال القاضي أبو محمد وذكر عمار في هذا عندي غير قويم فإنه أرفع من طبقة هؤلاء وإنما هؤلاء من شرح بالكفر صدرا فتح الله لهم باب التوبة في آخر الآية وقال عكرمة والحسن نزلت هذه الآية في شأن عبد الله بن أبي سرح وأشباهه فكانه يقول من بعد ما فتنهم الشيطان وهذه الآية مدنية ولا أعلم في ذلك خلافا وإن وجد فهو ضعيف وقرأ الجمهور من بعد ما فتنوا بضم الفاء وكسر التاء وقرأ ابن عامر وحده فتنوا بفتح الفاء والتاء فإن كان الضمير للمعنيين فيجيء بمعنى فتنوا أنفسهم بما أعطوا للمشركين من القول كما فعل عمار وإن كان الضمير للمعنيين فهو بمعنى من بعد ما فتنهم المشركون وإن كان الضمير للمشركين فهو بمعنى من بعد ما فتنهم الشيطان والضمير في ^ بعدها ^ عائد على الفتنة أو على الفعلة أو الهجرة أو التوبة والكلام يعطيها وإن لم يجر لها ذكر صريح وقوله ^ يوم تأتي كل

@ 426 @ نفس) المعنى لغفور رحيم يوم وقوله ^ كل نفس ^ أي كل ذي نفس ثم أجري الفعل على المضاف إليه المذكور فأتت العلامة و ^ نفس ^ الأولى هي النفس المعروفة والثانية هي بمعنى الذات كما تقول نفس الشيء وعينه أي ذاته ^ وتوفى كل نفس ^ أي يجازى كل من أحسن بإحسانه وكل من أساء بإساءته . # قال القاضي أبو محمد وظاهر الآية أن كل نفس ^ تجادل ^ كانت مؤمنة أو كافرة فإذا جادل الكفار بكذبهم وجدهم للكفر شهدت عليهم الجوارح والرسول وغير ذلك بحسب الطوائف فحينئذ لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فتجتمع آيات القرآن باختلاف المواطن وقالت فرقة الجدل قول كل أحد من الأنبياء وغيرهم نفسي نفسي وهذا ليس بجدل ولا احتجاج إنما هو مجرد رغبة . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 112 - 114 \$ # قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة والقرية المضروب بها المثل مكة كانت بهذه الصفة التي ذكر الله لأنها كانت لا تغزى ولا يغير عليها أحد . # وكانت الأزراق تجلب إليها وأنعم الله عليها رسوله والمراد بهذه الضمائر كلها أهل القرية فكفروا بأنعم الله في ذلك وفي جملة الشرع والهداية فأصابتهم السنون والخوف وسرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته هذا إن كانت الآية مدنية وإن كانت مكية فجعوج البسنيين وخوف العذاب من الله بحسب التكذيب . # قال القاضي أبو محمد وإن كانت هي التي ضربت مثلا وإنما ضربت لغيرها مما يأتي بعدها ليحذر أن يقع فيما وقعت هي فيه وحكى الطبري عن حفصة أم المؤمنين أنها كانت تسأل في وقت حصر عثمان بن عفان رضي الله عنه ما صنع الناس وهي صادرة من الحج من مكة فقيل لها قتل فقالت والذي نفسي بيده إنها القرية تعني المدينة التي قال الله لها ^ وضرب الله مثلا ^ الآية . # قال القاضي أبو محمد فأدخل الطبري هذا على أن حفصة قالت إن الآية نزلت في المدينة وإنها هي التي ضربت مثلا والأمر عندي ليس كذلك وإنما أرادت أن المدينة قد حصلت في محذور الملل وحل بها ما حل بالتالي جعلت مثلا وكذلك يتوجه عندي في الآية أنها قصد بها قرية غير معينة جعلت مثلا لكة على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة و ^ رعدا ^ نصب على الحال و ^ أنعم ^ جمع نعمة كشدة وأشد كذا قال سيويه وقال قطرب ^ أنعم ^ جمع نعم وهي بمعنى التنعيم يقال هذه أيام

@ 427 @ طعم ونعم وقوله ^ فأذاقها الله لباس الجوع ^ استعارات أي لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الأعشى # (إذا ما الضجيع شئ جيدا % تنتت عليه فصارت لباسا) + المتقارب + # ونحو قوله تعالى ^ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ^ ومنه قول الشاعر # (وقد لبست بعد الزبير مجاشع % ثياب التي حاضت ولم تغسل الدما) + الطويل + # كان العار لما باشرهم وألصق بهم جعلهم لبسوه قوله أذاقها نظير قوله تعالى ^ ذق إنك أنت العزيز الكريم ^ ونظير قول الشاعر # (دونك ما جنيته فأحسن وذق %) # وقرأ الجمهور والخوف عطفًا على ^ الجوع ^ وقرأ أبو عمرو بخلاف عنه والخوف عطفًا على قوله ^ لباس ^ وفي مصحف أبي بن كعب لباس الخوف والجوع وقرأ ابن مسعود فأذاقها الله الخوف والجوع ولا يذكر ^ لباس ^ والضمير في ^ جاءهم ^ لأهل مكة والرسول محمد صلى الله عليه وسلم و ^ العذاب ^ الجوع وأمر بدر ونحو ذلك إن كان التمثيل بمكة وكانت الآية مدنية وإن كانت مكية فهو الجوع فقط وذكر الطبري أنه القتل بدير وهذا يقتضي أن الآية نزلت بالمدينة وإن كان التمثيل بمدينة قديمة غير معينة فيحتمل أن يكون الضمير في ^ جاءهم ^ لأهل تلك المدينة ويكون هذا مما جرى فيها كمدينة شعيب وغيره ويحتمل أن يكون الضمير المذكور لأهل مكة وتأمل . # وقوله ^ فكلوا مما رزقكم الله ^ الآية هذا ابتداء كلام آخر ومعنى حكم والفاء في قوله ^ فكلوا ^ الصلة الكلام واتساق الجمل خرج من ذكر الكافرين والميل عليهم إلى أمر المؤمنين بشرع ما فوصل الكلام بالفاء وليست المعاني موصولة هذا قول والذي عندي أن الكلام متصل المعنى أي وأنتم أيها المؤمنون لستم كهذه القرية ^ فكلوا ^ وأشكروا الله على تباين حالكم من حال الكفرة وهذه الآية هي بسبب أن الكفار كانوا سنوا في الأنعام سننا وجرموا بعضا وأحلوا بعضا فأمر الله تعالى المؤمنين بأكل جميع الأنعام التي رزقها الله عباده وقوله ^ حلالا ^ حال وقوله ^ طيبا ^ أي مستلذا ووقع النص في هذا على المستلذات فيه ظهور النعمة وهو عظم النعموان كان الحلال قد يكون غير مستلذ ويحتمل أن يكون الطيب بمعنى الحلال وكرره مبالغة وتوكيدا وباقي الآية بين وقوله ^ إن كنتم إياه تعبدون ^ إقامة للنفس كما تقول لرجل إن كنت من الرجال فافعل كذا على معنى إقامة نفسه وذكر الطبري أن بعض الناس قال نزلت هذه الآية خطابا للكافر عن طعام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم في جوعهم وأنحى الطبري على هذا القول وكذلك هو فاسد من غير وجه . # قوله عز وجل

@ 428 @ \$ سورة النحل 115 \$ # حصرت ^ إنما ^ هذه المحرمات وقت نزول الآية ثم نزلت المحرمات بعد ذلك وقرأ جمهور الناس الميتة وقرأ أبو جعفر بن القعقاع الميتة وهذا هو الأصل وتخفيف الباء طارئ عليه والعامل في نصبها ^ حرم ^ وقرأت فرقة الميتة بالرفع على أن تكون ^ ما ^ بمعنى الذي . # قال القاضي أبو محمد وكون ^ ما ^ متصلة ب ^ إن ^ يضعف هذا ويحكم بأنها حاصرة و ^ ما ^ كافة وإذا كانت بمعنى الذي فيجب أن تكون منفصلة وذلك خلاف خط المصحف وقرأ الجمهور حرم على معنى حرم الله وقرأت فرقة حرم على ما لم يسم فاعله وهذا يرفع الميتة ولا بد . # قال القاضي أبو محمد و ^ الميتة ^ المحرمة هي ما مات من حيوان البر

الذي له نفس سائلة حتف أنفه وأما ما ليس له نفس سائلة كالجراد والبراغيث والذباب ودود التين وحيوان الفول وما مات من الحوت حتف أنفه وطفا على الماء ففيه قولان في المذهب وما مات حتف أنفه من الحيوان الذي يعيش في الماء وفي البر كالسلاحف ونحوها ففيه قولان والمنع هنا أظهر إلا أن يكون الغالب عليه العيش في الماء ^ والدم ^ المحرم هو المنسحق الذي يسيل إن ترك مفردا وأما ما خالط اللحم وسكن فيه فحلال طبخ ذلك اللحم فيه ولا يكلف أحد تتبعه ودم الحوت مختلف فيه وإن كان ينسحق لو ترك ^ ولحم الخنزير ^ هو معظمه والمقصود الأظهر فيه فذلك خصه بالذكر وأجمعت الأمة على تحريم شحمة وعضاريفه ومن تخصيصه استدلت فرقة على جواز الانتفاع بجلده إذا دبغ ولبسه والأولى تحريمه جملة وأما شعره فالانتفاع به مباح وقالت فرقة ذلك غير جائز والأول أرجح وقوله ^ وما أهل لغير الله به ^ يريد كل ما نوي بذبحه غير التقرب إلى الله والقرب إلى سواه وسواء تكلم بذلك على الذبيحة أو لم يتكلم لكن خرجت العبارة عن ذلك ب ^ أهل ^ ومعناه صحيح على عادة العرب وقصد الغرض منها وذلك أنها كانت إذا سافت ذبيحة إلى صنم جهرت باسم ذلك الصنم وصاحت به وقوله ^ فمن اضطر ^ قالت فرقة معناه أكره وقال الجمهور معناه اضطره جوع واحتياج وقرأت فرقة فمن بضم النون اضطر بضم الطاء وقرأت فرقة فمن بكسر النون اضطر بكسر الطاء على أن الأصل اضطررت فنقلت حركة الراء إلى الطاء وأدغمت الراء في الراء وقالت فرقة الباغي صاحب البغي على الإمام أو في قطع الطريق وبالجملة في سفر المعاصي والعادي بمعناه في أنه ينوي المعصية وقال الجمهور ^ غير باغ ^ معناه غير مستعمل لهذه المحرمات مع وجود غيرها ^ ولا عاد ^ معناه لا يعدو حدود الله في هذا وهذا القول أرجح وأعم في الرخصة وقالت فرقة ^ باغ ^ و ^ عاد ^ في الشيع والتزود واختلف الناس في صورة الأكل من الميتة فقالت فرقة الجائز من ذلك ما بمسك الرمي فقطوقالت فرقة بل يجوز الشيع التام وقالت فرقة منهم مالك رحمه الله يجوز الشيع والتزود وقال بعض النحويين في قوله ^ عاد ^ إنه مقلوب من عائد فهو كشاكبي السلام وكيوم راح وكقول الشاعر لأن بها الأشياء والعنبري وقوله ^ فإن الله غفور رحيم ^ لفظ يقتضي منه الإباحة للمضطر وخرجت الإباحة في هذه الألفاظ تحرجا وتضييقا في أمرها ليدل الكلام على عظم الخطر في هذه المحرمات فغاية هذا المرخص له غفران الله له وحطه عنه ما كان يلحقه من الإثم لولا ضرورته .

@ 429 @ # قال القاضي أبو محمد وهذا التحريم الذي ذكرناه يفهمه الفصحاء من اللفظ وليس في المعنى منه شيء وإنما هو إيماء وكذلك جعل في موضع آخر غايته أن لا إثم عليه وإن كان لا إثم عليه وقوله هو له مباح يرجعان إلى معنى واحد فإن في هيئة اللفظين خلافا . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 116 - 119 \$ # هذه الآية مخاطبة للكفار الذين حرموا البحائر والسوائب وأحلوا ما في بطون الأنعام وإن كانت ميتة يدل على ذلك قوله حكاية عنهم ^ وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ^ والآية تقتضي كل ما كان لهم من تحليل وتحريم فإنه كله افتراء منهم ومنه ما جعلوه في الشهور وقرأ السبعة وجمهور الناس الكذب بفتح الكاف وكسر الذال وفتح الباء وما مصدرية فكأنه قال لوصف المستنكح الكذب وقرأ الأعرج وأبو طلحة وأبو معمر والحسن الكذب بخفض الباء على البدل من ما وقرا بعض أهل الشام ومعاذ بن جبل وابن أبي عتبة الكذب بضم الكاف والذال والباء على صفحة الألسنة وقرأ مسلمة بن محارب الكذب بفتح الباء الكذب بفتح الباء على أنه جمع كذاب ككتب في جمع كتاب وقوله ^ هذا حلال ^ إشارة إلى ميتة بطون الأنعام وكل ما أحلوا وقوله ^ وهذا حرام ^ إشارة إلى البحائر والسوائب وكل ما حرموا وقوله ^ لتفتروا على الله الكذب ^ إشارة إلى قولهم في فواحشهم التي هذه إحداهما وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يريد أنه كان شرعهم لاتباعهم سننا لا يرضاه الله فترأى عليه لأن من شرع أمرا فكأنه قال لاتباعه هذا هو الحق وهذا مراد الله ثم أخبرهم الله ^ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يبلغون الأمل والفلاح بلوغ الأمل فطورا يكون في البقاء كما قال الشاعر والصبح والمسي لا الفلاح معه وبشبهه أن هذه الآية من هذا المعنى يقوي ذلك قوله ^ متاع قليل ^ وقد يكون في المساعي ومنه قول عبيد # (أفلح بما شئت فقد يبلغ % بالضعف وقد يخدع الأريب) + الرجز + # وقوله ^ متاع قليل ^ إشارة إلى عيشهم في الدنيا ^ ولهم عذاب أليم ^ بعد ذلك في الآخرة . # وقوله ^ وعلى الذين هادوا ^ الآية لما قص تعالى على المؤمنين ما حرم عليهم أعلم أيضا بما حرم على اليهود ليعين تبديلهم الشرع فيما استحلوا من ذلك وفيما حرموا من تلقاء أنفسهم وقولهم ^ ما قصصنا عليك ^ إشارة إلى ما في سورة الأنعام من ذي الطفر والشحوم الآية ^ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي طفر

@ 430 @ وقوله ^ وما ظلمناهم ^ أي لم نضع العقوبة بتحريم تلك الأشياء عليهم في غير موضعها بل هم طرقتوا إلى ذلك وجاء من تسبيهم بالمعاصي ما أوجب ذلك . # وقوله ^ ثم إن ربك للذين عملوا السوء ^ هذه آية تأنيس لجميع العالم أخبر الله تعالى فيها أنه يغفر للتائب والآية إشارة إلى الكفار الذين افتروا على الله وفعّلوا الأفاعيل المذكورة فهم إذا تابوا من كفرهم بالإيمان وأصلحوا من أعمال الإسلام غفر الله لهم وتناولت هذه الآية بعد ذلك كل واقع تحت لفظها من كافر وعاص . # وقالت فرقة الجهالة العمد والجهالة عندي في هذا الموضوع ليست ضد العلم بل هي تعدي الطور وركوب الرأس ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم أو أجهل أو يجهل علي . # وهي التي في قول الشاعر # (ألا لا يجهلن أحد علينا % فنجهل فوق جهل الجاهلينا) + الوافر + والجهالة التي هي ضد العلم تصحب هذه الأخرى كثيرا ولكن يخرج منها المتعمد وهو الأكثر وقلما يوجد في العصاة من لم يتقدم له علم بخطر المعصية التي يواقع . والضمير في ^ بعدها ^ عائد على التوبة . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 120 - 124 \$ لما كشف الله تعالى فعل اليهود وتحكمهم في شرعهم بذكر ما حرم عليهم أراد أن يبين بعدهم عن شرع إبراهيم والدعوى فيه أن يصف حال إبراهيم ليعين الفرق بين حاله وحال قريش أيضا و ^ أمة ^ لفظة مشتركة تقع للعين والقامة والجمع الكثير من الناس ثم يشبه الرجل العالم أو الملك أو المنفرد بطريقة وحده بالناس الكثير فيسمى ^ أمة ^ وعلى هذا الوجه سمي إبراهيم عليه السلام ^ أمة ^ قال ابن مسعود الأمة معلم الخير وكان معاذ بن جبل أمة قانتا وقال في بعض أوقاته إن معاذًا كان ^ أمة قانتا ^ فقال قرة الكندي أو فروة بن نوفل ليس كذلك إنما هو إبراهيم فقال أتدري ما الأمة هو معلم الخير وكذلك كان معاذ يعلم الخير ويطيع الله ورسوله وقال مجاهد سمي إبراهيم ^ أمة ^ لانفراده بالإيمان في وقته مدة . # قال القاضي أبو محمد وفي البخاري أنه قال لسارة ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك وقال بعض النحويين أظنه أبا الحسن الأخفش الأمة فعلة من أم يؤم فهو كالهزأة والضحكة أي يؤتم به . # قال القاضي أبو محمد ف ^ أمة ^ على هذا صفة وعلى القول الأول اسم ليس بصفة والقانت المطيع الدائم على العبادة والحنيف المائل إلى الخير والإصلاح وكانت العرب تقول لمن يختن ويحج البيت حنيفا وحذف النون من لم يكن لكثرة الاستعمال كحذفهم من لا أبال ولا أدر وهو أيضا

@ 431 @ يشبه النون في حال سكنها حروف العلة لغنتها وخفتها وأنها قد تكون علامة وغير ذلك فكان لم دخلت على يكن في حال الجزم . # ولا تحذف النون إذا لم تكن ساكنة في نحو قوله ^ لم يكن الذين كفروا ^ ولا يحذف في مثل هذا إلا في الشعر فقد جاءت محذوفة وقوله ^ من المشركين ^ يشير إلى تبرؤ إبراهيم عليه السلام من حال مشركي العرب ومشركي اليهود إذ كلهم ادعاه ويلزم الإشراف اليهود من جهة تجسيمهم و ^ شاكرا ^ صفة لإبراهيم تابعة ما تقدم والأنعم جمع نعمة و ^ اجتباها ^ معناه تخيره وباقي الآية بين . # وقوله ^ وأتيناها في الدنيا حسنة ^ الآية الحنسية لسان الصدق وإمامته لجميع الخلق هذا قول جميع المفسرين وذلك أن كل أمة منتشرعة فهي مقرة أن إيمانها إبراهيم وأنه قديمتها وأنه كان على الصواب . # وقوله ^ لمن الصالحين ^ بمعنى المنعم عليهم أي من الصالحين في أحوالهم ومراتبهم أو بمعنى أنه في الآخرة ممن يحكم له بحكم الصالحين في الدنيا وهذا على أن الآية وصف حاله في الدارين ويحتمل أن يكون المعنى وأنه في عمل الآخرة فعلى هذا هي وصف حاله في الدنيا الدنياوية والأخرافية . # وقوله ^ ثم أوحينا إليك ^ الآية الوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم بهذا من جملة الحسنات التي أتاه الله إبراهيم قال ابن فورك وأمر الفاضل باتباع المفضل لما تقدم إلى الصواب والعمل به و ^ أن ^ في قوله ^ أن اتبع ^ مفسرة ويجوز أن تكون مفعولة والملة الطريقة في عقائد الشرع و ^ حنيفا ^ حال والعامل فيه الفعلية التي في قوله ^ مله إبراهيم ^ ويجوز أن تكون حالا من الضمير المرفوع في ^ اتبع ^ قال مكّي ولا يكون حالا من إبراهيم لأنه مضاف إليه وليس كما قال لأن الحال قد تعمل فيه حروف الخفض إذا عملت في ذي الحال كقولك مررت يزيد قائما وقوله ^ إنما جعل السبت ^ أي لم يكن من مله إبراهيم وإنما جعله الله فرضا عاقب به القوم المختلفين فيه قاله ابن زيد وذلك أن موسى أمر بني إسرائيل أن يجعلوا من الجمعة يوما مختصا بالعبادة وأمرهم أن يكون

الجمعة فقال جمهورهم بل يكون يوم السبت لأن الله فرغ فيه من خلق مخلوقاته فقال غيرهم بل نقبل ما أمر الله به موسى فراجعهم الجمهور فتابعهم الآخرون فأنزلهم الله يوم السبت إلزاماً قوياً عقوبة لهم منه فلم يكن منهم ثبوت بل عصوا فيه وتعدوا فأهلكهم وقرأ الأعمش إنما أنزلنا السبت وهي قراءة ابن مسعود وقرأ أبو حيوه جعل بفتح الجيم والعين . # قال القاضي أبو محمد وورد في الحديث أن اليهود والنصارى اختلفوا في اليوم الذي يختص من الجمعة فأخذ هؤلاء السبت وهؤلاء الأحد فهدانا الله نحن إلى يوم الجمعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فليس الاختلاف المذكور في الآية هو الاختلاف الذي في الحديث وباقي الآية وعيد بين . # قوله عز وجل \$ سورة النحل 125 - 128 \$

@ 432 @ # هذه الآية نزلت بمكة في قوت الأمر بمهادنة المشركين أمره الله تعالى أن يدعو إلى الله وشرعه بتلطف وهو أن يسمع المدعو حكمه وهو الكلام الصواب القريب الواقع في النفس أجمل موقع ^ والموعظة الحسنة ^ التخويف والترجية والتلطف بالإنسان بان يحله ويبسطه ويجعله بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا فهذه حالة من يدعى وحالة من يجادل دون مخاشنة وبيبين عليه دون قتال فالكلام يعطى أن جدك وهمك وتعبك لا يعني لأن الله تعالى قد علم من يؤمن منهم ويهتدي وعلم من بضل فجملة المعنى اسلك هذا السبيل ولا تعن للمخاشنة لأنها غير مجدية لأن علم الله قد سبق بالمهتدي منهم والصال وقالت فرقة هذه الآية منسوخة بآية القتال وقالت فرقة هي محكمة . # قال القاضي أبو محمد ويظهر لي أن الاقتصار على هذه الحال وأن لا تتعدى مع الكفرة متى احتج إلى المخاشنة هو منسوخ لا محالة وأما من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي محكمة إلى يوم القيامة وأيضا فهي محكمة في جهة العصاة فهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة . # وقوله ^ وإن عاقبتم فعاقبوا ^ الآية أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد ووقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتاب السير وذهب النحاس إلى أنها مكية . # قال القاضي أبو محمد والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالا حسنا لأنها تتدرج الرتب من الذي يدعى ويوعظ إلى الذي يجادل إلى الذي يجازي على فعله ولكن ما روى الجمهور أثبت وأيضا فقله ^ ولئن صيرتم ^ يقلق بمعنى الآية على ما روى الجميع أن كفار قريش كما مثلوا بحمزة فقال ذلك من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لئن أظفرنني الله بهم لأمتلن بثلاثين وفي كتاب النحاس وغيره بتسعين منهم فقال الناس إن ظفرننا لنفعلن ولنفعلن فنزلت هذه الآية ثم عزم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر في الآية بعدها وسمى الإذئاب في هذه الآية عقوبة والعقوبة حقيقة إنما هي الثانية وإنما فعل ذلك ليستوي اللفظان وتتناسب ديباجة القول وهذا بعكس قوله ^ مكروا ومكر الله ^ وقوله ^ الله يستهزئ بهم ^ فإن الثاني هو المجاز والأول هو الحقيقة وقرأ ابن سيرين وإن عاقبتم فعاقبوا وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت إنما نزلت هذه الآية فيمن أصيب بظلامه أن لا ينال من ظالمه إذا تمكن إلا مثل ظلامته لا يتعداه إلى غيره واختلف أهل العلم فيمن ظلمه رجل في أخذ مال ثم أئتمن الظالم المظلوم على مال تجوز له خيانتة في القدر الذي ظلمه فقالت فرقة له ذلك منهم ابن سيرين وإبراهيم النخعي وسفيان ومجاهد واحتجت بهذه الآية وعموم لفظها وقال مالك وفرقة معه لا يجوز له ذلك واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من استأمنك ولا تخن من خانك .

@ 433 @ # قال القاضي أبو محمد ووقع في مسند ابن سنجر أن هذا الحديث إنما ورد في رجل زنا بامرأة رجل آخر ثم تمكن الآخر من زوجة الثاني بأن تركها عنده وسافر فاستنشر الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أد الأمانة إلى من أئتمنك ولا تخن من خانك ويتقوى في أمر المال قول مالك رحمه الله لأن الخيانة لاحقة في ذلك وهي رذيلة لا انفكاك عنها ولا ينبغي للمرأة أن يتأسى بغيره في الرذائل وإنما ينبغي أن تتجنب لنفسها وأما الرجل يظلم في المال ثم يتمكن من الانتصاف دون أن يؤمن فيشبهه أن ذلك له جائز يرى أن الله حكم له كما لو تمكن له بالحكم من الحاكم وقوله ^ وأصبر وما صبرك إلا بالله ^ الآية هذه العزيمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر عن المجازاة في التمثيل بالقتلى قال ابن زيد هذه الآية منسوخة بالقتال وجمهور الناس على أنها محكمة ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت فمادما تصنعون قالوا نصر يا رسول الله كما ندبنا وقوله ^ وما صبرك إلا بالله ^ أي بمعونة الله وتأييده لك على ذلك والضمير في قوله ^ عليهم ^ قيل يعود على الكفار أي لا تتأسف على أن لم يسلموا وقالت فرقة بل يعود على القتلى حمزة وأصحابه الذين حزن عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والأول أصوب يكون عود الضمير على جهة واحدة وقرأ الجمهور في ضيق بفتح الصاد وقرأ ابن كثير في ضيق بكسر الصاد ورويت عن نافع وهو غلط ممن رواه قال بعض اللغويين الكسر والفتح في الصاد لغتان في المصدر وقال أبو عبيدة الضيق مصدر والضيق مخفف من ضيق كميته وميت وهين وهين قال أبو علي الفارسي والصواب أن يكون الضيق لغة في المصدر لأنه إن كان مخففا من ضيق لزم أن تقام الصفة مقام الموصوف وليس هذا موضع ذلك . # قال القاضي أبو محمد الصفة إنما تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف من نفس الصفة كما تقول رأيت ضاحكا فإنما تخصص الإنسان ولو قلت رأيت باردا لم تحسن وبارد مثل سيبويه رحمه الله وضيق لا يخص الموصوف وقال ابن عباس وابن زيد إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ وقوله ^ مع الذين ^ أي بالنصر والمعونة والتأييد و ^ اتقوا ^ يريد المعاصي و ^ محسنون ^ معنا يتزيدون فيما ندب إليه من فعل الخير . \$ كمل تفسير سورة النحل بعون الله وتأييده \$ \$ وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم \$

@ 434 @ \$ بسم الله الرحمن الرحيم \$ \$ سورة الإسراء \$ # هذه السورة مكية إلا ثلاث آيات قوله عز وجل ^ وإن كادوا ليفتنونك ^ وقوله ^ وإن كادوا ليستفزونك ^ نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثقيف وحين قالت اليهود ليس هذه بأرض الأنبياء وقوله عز وجل ^ وقل رب أدخلني مدخل صدق ^ وقوله عز وجل ^ إن ربك أحاظ بالناس ^ وقال مقاتل وقوله عز وجل ^ إن الذين أوتوا العلم من قبله ^ قال ابن مسعود في بني إسرائيل والكهف إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي يريد أنهن من قديم كسبه . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 1 \$ # لفظ الآية يقتضي أن الله عز وجل أسرى بعبدته وهو محمد صلى الله عليه وسلم ويظهر أن ^ أسرى ^ هي هنا معداة بالهمزة إلى مفعول محذوف تقديره أسرى الملائكة بعبدته وكذلك يعلق أن يسند ^ أسرى ^ وهو بمعنى أسرى إلى الله تعالى إذ هو فعل يعطى النقلة كمشي وجرى وأحضر وانتقل فلا يحسن إسناد بشيء من هذا ونحن نجد مندوحة فإذا صرحت الشريعة بشيء من هذا النحو كقوله في الحديث أتيت سعيًا وأتيت هرولة حمل ذلك بالتأويل على الوجه المخلص من نفي الحوادث و ^ أسرى ^ في هذه الآية تخرج فصيحة كما ذكرنا ولا نحتاج إلى تجوز قلق في مثل هذا اللفظ فإنه ألزم للنقلة من أتيت و ^ أتى الله بنيانهم ^ ويحتمل أن يكون ^ أسرى ^ بمعنى أسرى على حذف مضاف كتحق قوله تعالى ^ ذهب الله بنورهم ^ ووقع الإسراء في جميع مصنفات الحديث وروى عن الصحابة في كل أقطار الإسلام فهو من المتواتر بهذا الوجه وذكر النقاش عمن رواه عشرين صحابيا فروى جمهور الصحابة وتلقى جل العلماء منهم أن الإسراء كان بشخصه صلى الله عليه وسلم وأنه ركب البراق من مكة ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه وروى حذيفة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل عن البراق في بيت المقدس ولا دخله قال حذيفة ولو صلى فيه لكتبت عليكم الصلاة فيه وأنه ركب البراق بمكة ولم ينزل عنه حتى انصرف إلى بيته إلا في صعوده إلى السماء وقالت عائشة ومعاوية إنما أسرى

@ 435 @ بنفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارق شخصه مضجعه وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق من ربه عز وجل وجوزه الحسن وابن إسحاق والحديث قال القاضي أبو محمد مطول في البخاري ومسلم وغيرهما فلذلك اختصرنا نصه في هذا الباب وركوب البراق على قول هؤلاء يكون من جملة ما رأى في النوم قال ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن في كتاب الطبري البراق هو دابة إبراهيم الذي كان يزور عليه البيت الحرام . # قال القاضي أبو محمد يريد أن يجيء من يومه ويرجع وذلك من مسكنه بالشام والصحيح ما ذهب إليه الجمهور ولو كانت منامة ما أمكن قريشا التشيع ولا فضل أبو بكر بالتصديق ولا قالت له أم هانئ لا تحدث الناس بهذا فيكذبوك إلى غير هذا من الدلائل واحتج لقول عائشة بقوله تعالى ^ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ^ ويحتمل القول الآخر لأنه يقال لرؤية العين رؤيا واحتج أيضا بأن في بعض الأحاديث فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام وهذا محتمل

أن يريد من الإسراء إلى نوم واعترض قول عائشة بأنها كانت صغيرة لم تشاهد ولا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأما معاوية فكان كافراً في ذلك الوقت غير مشاهد للحال صغيراً ولم يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ^ سبحان ^ مصدر غير متمكن لأنه لا يجري بوجوه الإعراب ولا تدخل عليه الألف واللام ولم يجر منه فعل وسبح إنما معناه قال سبحان الله فلم يستعمل سبح إلا إشارة إلى ^ سبحان ^ ولم ينصرف لأن في آخره زائدتين وهو معرفة بالعلمية وإضافته لا تزيده تعريفاً هذا كله مذهب سيبويه فيه وقالت فرقة قال القاضي أبو محمد نصبه على النداء كأنه قال يا سبحان قال القاضي أبو محمد الذي وهذا ضعيف ومعناه تنزيها لله وروى طلحة بن عبيد الله الفياض أحد العشرة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما معنى سبحان الله قال تنزيها لله من كل سوء والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي هو من معناه لا من لفظه إذ يجر من لفظه فعل وذلك مثل قعد القرفصاء واشتمل الصماء فالتقدير عنده أنزه الله تنزيهاً فوقه ^ سبحان ^ مكان قولك تنزيهاً وقال قوم من المفسرين ^ أسرى ^ فعل غير متعد عداه هنا بحرف جر تقول سرى الرجل وأسرى إذ سار بالليل بمعنى وقد ذكرت ما يظهر في اللفظ من جهة العقيدة وقرأ حذيفة وابن مسعود أسرى بعينه من الليل من المسجد الحرام وقوله من ^ المسجد الحرام ^ قال أنس بن مالك أراد المسجد المحيط بالكعبة نفسها ورجه الطبري وقال هو الذي يعرف إذا ذكر هذا الاسم وروى الحسن بن أبي الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بينا أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل والملائكة الحديث بطوله . # وروى قوم أن ذلك كان بين زمزم والمقام وروى مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وذكر عبد بن حميد الكشي في تفسيره عن سفيان الثوري أنه قال أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم من شعب أبي طالب وقال فرقة ^ المسجد الحرام ^ مكة كلها واستندوا إلى قوله تعالى ^ تدخلن المسجد الحرام ^ وعظم المقصد هنا إنما هو مكة وروى بعض هذه الفرقة عن أم هانئ أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في بيتي وروي بعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خرج سقف بيتي وهذا يلتئم مع قول أم هانئ وكان الإسراء فيما قال مقاتل قبل الهجرة بعام وقاله قتادة وقيل بعام ونصف قاله عروة عن عائشة وكان ذلك

@ 436 @ في رجب وقيل في ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول والنبي صلى الله عليه وسلم ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً والمتحقق أن ذلك كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة ووقع في الصحيحين لشريك بن أبي نمر وهم في هذا المعنى فإنه روى حديث الإسراء فقال فيه وذلك قبل الوحي إليه ولا خلاف بين المحدثين أن هذا وهم من شريك و ^ المسجد الأقصى ^ مسجد بيت المقدس وسماه ^ الأقصى ^ أي في ذلك الوقت كان أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة ويحتمل أن يريد ب ^ الأقصى ^ البعيد دون مفاصلة بينه وبين سواه ويكون المقصد إظهار العجيب في الإسراء إلى هذا البعد في ليلة . # والبركة حوله هي من جهتين إحداهما النبوة والشرائع والرسائل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه وبواديه والأخرى النعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خص الله الشام بها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله بارك فيما بين العريش إلى الفرات وخص فلسطين بالتقديس وقوله ^ نبريه من آياتنا ^ يريد لنرى محمداً بعينه آياتنا في السماوات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك مما رآه تلك الليلة من العجائب ويحتمل أن يريد لنرى محمد للناس آية أي يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع وتكون الرؤية على هذا رؤية قلب ولا خلاف أن في هذا الإسراء فرضت الصلوات الخمس على هذه الأمة . # وقوله ^ إنه هو السميع البصير ^ وعيد من الله للكفار تكذيبهم محمداً في أمر الإسراء فهي إشارة لطيفة بليغة إلى ذلك أي ^ هو السميع ^ لما تقولون ^ البصير ^ بأفعالكم . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 2 - 4 \$ عطف قوله ^ وآتينا ^ على ما في قوله ^ أسرى بعينه ^ من تقدير الخبر كأنه قال أسرينا بعيننا وأرنا آياتنا و ^ الكتاب ^ التوراة والضمير في ^ جعلناه ^ يحتمل أن يعود على ^ الكتاب ^ ويحتمل أن يعود على ^ موسى ^ . # وقوله ^ ألا تتخذوا ^ يجوز أن تكون أن في موضع نصب بتقدير كراهية أن موضع خفض بتقدير لأن لا تتخذوا ويجوز أن تكون أن مفسرة بمعنى أي كما قال ^ أن امشوا واصبروا ^ فهي في هذا مع أمر موسى وهي في آياتنا هذه مع نهي والمعنى مع هذه التقديرات فعلنا ذلك لئلا تتخذوا يا ذرية ويحتمل أن يكون ^ ذرية ^ مفعولاً ويحتمل أن تكون أن زائدة ويضم في الكلام قول تقديره قلنا لهم لا تتخذوا وأما أن يضم القول ولا تجعل أن زائدة فلا يتجه لأن ما بعد القول إما يكون جملة تحكى وإما أن يكون ترجمة عن كلام لا هو بعينه فيعمل القول في الترجمة كما تقول لمن قال لا إله إلا الله قلت حقاً وقوله ^ ألا تتخذوا ^ ليس بواحد من هذين قاله أبو علي وقرأ جمهور الناس تتخذوا بالياء على المخاطبة وقرأ أبو عمرو وحده ألا يتخذوا بالياء على لفظ الغائب وهي قراءة بن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبي رجا والوكيل هنا فاعيل من التوكل أي

@ 437 @ متوكلاً عليه في الأمور فهو ند لله بهذا الوجه قال مجاهد ^ وكيلاً شريكاً وقر جمهور الناس ذرية بضم الذال وقرأ مجاهد بفتحها وقرأ زيد بن ثابت وأبان بن عثمان ومجاهد أيضاً بكسرها وكل هذا بسند الرأ والياء ورويت عن زيد بن ثابت بفتح الذال وتسهيل الرأ وشد الياء على وزن فعيلة و ^ ذرية ^ وزنها فعولة أصلها ضرورة أبدلت الرأ الثانية ياء كما قالوا قصيت شعري أي قصصته ثم قلبت الواو ياء وأدغمت ثم كسرت الرأ لتناسب الياء وكل هؤلاء قرؤوا ^ ذرية ^ بالنصب وذلك متجه إما على المفعول ب يتخذوا ويكون المعنى أن لا يتخذ بشر إلها من دون الله وإما على النداء أي يا ذرية فهذه مخاطبة للعالم قال قوم وهذا لا يتجه إلا على قراءة من قرأ تتخذوا بالياء من فوق ولا يجوز على قراءة من قرأ يتخذوا بالياء لأن الفعل الغائب والنداء لمخاطب والخروج من الغيبة إلى الخطاب إنما يستسهل مع دلالة الكلام على المراد وفي النداء لا دلالة إلا على التكلف وإما على النصب بإضمار أعني وذلك متجه على القراءتين على ضعف النزعة في إضمار أعني وإما على البدل من قوله ^ وكيلاً ^ وهذا أيضاً فيه تكلف وقرات فرقة ذرية بالرفع على البدل من الضمير المرفوع في يتخذوا وهذا إنما يتوجه على القراءة بالياء ولا يجوز على القراءة بالياء لأنك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيداً على البدل لم يجر وقوله ^ ذرية من حملنا مع نوح ^ إنما عبر بهذه العبارة عن الناس الذين عنانهم في الآية بحسب الخلاف المذكور لأن في هذه العبارة تعديد النعمة على الناس في الإنجاء المؤدي إلى وجودهم وبقح الكفر والعصيان مع هذه النعمة والذين حملوا مع نوح وأنسلوا هم بنوه لصلبه لأنه آدم الأصغر وكل من على الأرض اليوم من نسله هذا قول الجمهور ذكره الطبري عن قتادة ومجاهد وإن كان معه غيرهم فلم ينسل قال النقاش اسم نوح عبد الجبار وقال ابن الكلبي اسمه فرج ووصفه ب الشكر لأنه كان يحمد الله في كل حال وعلى كل نعمة على المطعم والمشرب والملبس والبراز وغير ذلك صلى الله عليه وسلم قاله سلمان الفارسي وسعيد بن مسعود وابن أبي مريم وقتادة وقوله ^ وقضينا إلى بني إسرائيل ^ الآية قال الطبري معنى ^ قضينا ^ فرغنا وحكي عن غيره أنه قال ^ قضينا ^ هنا بمعنى أخبرنا وحكي عن آخرين أنهم قالوا ^ قضينا ^ معناه في أم الكتاب . # قال القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية رضي الله عنه وإنما يلبس في هذا المكان تعدياً ^ قضينا ب ^ إلى ^ وتلخيص المعنى عندي أن هذا الأمر هو مما قضاه الله تعالى في أم الكتاب على بني إسرائيل وألزمهم إياه ثم أخبرهم به في التوراة على لسان موسى . # فلما أراد هنا الإعلام لنا بالأمرين جميعاً في إيجاز جعل ^ قضينا ^ دالة على النفوذ في أم الكتاب وقرن بها دالة على إنزال الخبر بذلك إلى بني إسرائيل والمعنى المقصود مفهوم خلال هذه الألفاظ ولهذا فسر ابن عباس مرة بأن قال ^ قضينا إلى بني إسرائيل ^ معناه أعلمناهم وقال مرة معناه قضينا عليهم . # و ^ الكتاب ^ هنا التوراة لأن القسم في قوله ^ لتفسدن ^ غير متوجه مع أن يجعل ^ الكتاب ^ هو اللوح المحفوظ وقرأ سعيد بن جبيرة وأبو العالية الرياحي في الكتب على الجمع قال أبو حاتم قراءة الناس على الأفراد وقرأ الجمهور لتفسدن بضم التاء وكسر السين وقرأ عيسى الثقفي لتفسدن بفتح التاء وضم السين والذال وقرأ ابن عباس ونصر بن عاصم وجابر بن زيد لتفسدن بضم التاء وفتح السين وضم الدال . # وقوله ^ ولتعلن ^ أي لتتجربون عن طاعة

@ 438 @ الأمرين بطاعة الله وتطلبون في الأرض العلو والفساد وتظلمون من قدرتم على ظلمة ونحو هذا . # قال القاضي أبو محمد ومقتضى هذه الآيات أن الله تعالى أعلم بني إسرائيل في التوراة أنه سيقع منهم عصيان وطغيان وكفر لنعم الله تعالى عندهم في الرسل والكتب وغير ذلك وأنه سيرسل عليهم أمه تغليهم وتقتلهم وتذلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم إلى حالهم الأولى من الظهور فيقع منهم المعاصي وكفر النعم والظلم والقتل والكفر بالله من بعضهم فيبعث الله عليهم أمة أخرى تحرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحاً وأعطى الوجود بعد ذلك هذا الأمر كله وقيل كان بين المرتين آخر الأولى وأول الثانية مائتا

سنة وعشر سنين ملكا مؤبدا بنبياء وقيل سبعون سنة . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 5 - 7 \$ الضمير في قوله ^ أولاهما ^ عائداً علي قوله ^ مرتين ^ وغير عن البشر بالوعد لأنه قد صرح بذكر المعاقبة وإذا لم يجيء الوعد مطلقاً فحائز أن يقع في الشر وقرأ علي بن أبي طالب والحسن بن أبي الحسن عبيداً واختلف الناس في العبيد المعوثين وفي صورة الحال اختلافاً شديداً متباعداً عيونه أن بني إسرائيل عصوا وقتلوا زكرياء عليه السلام فغزاهم سنحاريب ملك بابل كذا قال ابن إسحاق وابن جبير وقال ابن عباس غزاهم جالوت من أهل الجزيرة وروي عن عبد الله بن الزبير أنه قال في حديث طويل غزاهم آخرًا ملك اسمه خردوس وتولى قتلهم علي بن يحيى بن زكرياء قائد لخردوس اسمه بيورزاذان وكف عن بني إسرائيل وسكن بدعائه دم يحيى بن زكرياء وقيل غزاهم أولًا صنحابين ملك رومة وقيل بختنصر وروي أنه دخل في جيش من الفرس وهو حامل يسير في مطبخ الملك فاطلع من جور بني إسرائيل على ما لم تعلمه الفرس لأنه كان يداخلهم فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الأعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش وبعثه فخر بيت المقدس وقتلهم وجلاهم ثم انصرف فوجدوا الملك قد مات فملك موضعه واستمرت حاله حتى ملك الأرض بعد ذلك وقالت فرقة إنما غزاهم بختنصر في المرة الأخيرة حين عصوا وقتلوا يحيى بن زكرياء وصورة قتله أن الملك أراد أن يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى عنها فغز ذلك على امرأته فزنت بنتها وجعلتها تسقي الملك الخمر وقالت لها إذا راودك الملك عن نفسك فتمنعي حتى يعطيك الملك ما تتمنين فإذا قال لك تمنني علي ما أردت فقولني رأس يحيى بن زكرياء ففعلت الجارية ذلك فردها الملك مرتين وأجابها في الثالثة فجاء بالرأس في طست ولسانه يتكلم وهو يقول لا تحل لك وجرى دم يحيى فلم ينقطع فجعل الملك عليه التراب

@ 439 @ حتى ساوى سور المدينة والدم ينبعث فلما غزاهم الملك الذي بعث الله عليهم بحسب الخلاف الذي فيه قتل منهم على الدم حتى سكن بعد قتل سبعين ألفاً هذا مقتضى هذا الخبر وفي بعض رواياته زيادة ونقص فروت فرقة أن أشعيا النبي صلى الله عليه وسلم وعظهم في بعض الأمر وذكرهم الله ونعمه في مقام طويل قصة الطبري وذكر أشعيا في آخره محمداً صلى الله عليه وسلم وبشر به فابتدعه بنو إسرائيل ففر منهم فلقى شجرة فتلفت له حتى دخلها فالتامت عليه فعرض الشيطان عليهم هدية من ثوبه فأخذوا منشارة فنشروا الشجرة وقطعوه في وسطها فقتلوه فحينئذ بعث الله عليهم في المرة الأخيرة وذكر الزهراوي عن قتادة قصصاً أن زكرياء هو صاحب الشجرة وأنهم قالوا لما حملت مريم ضيع بنت سيدنا حتى زنت فطلبوه فهرب منهم حتى دخل في الشجرة فنشروه وروت فرقة أن بختنصر كان عقيد سنحاريب الملك الأول وروت فرقة أن الذي غزاهم آخرًا هو سابور ذو الأكتاف وقال أيضاً ابن عباس سلط الله عليهم حين عادوا ثلاثة أملاك من فارس سندا بادان وشهرياران وآخر وقال مجاهد إنما جاءهم في الأولى عسكر من فارس فجاس خلال الديار وتغلب ولكن لم يكن قتال ولا قتل في بني إسرائيل ثم انصرف عنهم الجيوش وظهروا وأمدوا بالأموال والبنين حتى عصوا وطغوا فجاءهم في المرة الثانية من قتلهم وعلبهم على بيضتهم وأهلكهم آخر الدهر وقوله عز وجل ^ فجاسوا خلال الديار ^ وهي المنازل والمسكن . # وقوله تعالى ^ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ^ يرد على قول مجاهد إنه لم يكن في المرة الأولى غلبة ولا قتال وهل يدخل المسجد إلا بعد غلبة وقاتل وقد قال مؤرخ جاسوا خلال الأزقة وقد ذكر الطبري في هذه الآية قصصاً طويلاً منه ما يخص الآيات وأكثره لا يخص وهذه المعاني ليست بالثابت فذلك اختصرتها وقوله ^ بعثنا ^ يحتمل أن يكون الله بعث إلى ملك تلك الأمة رسولا يأمره بغزو بني إسرائيل فتكون البيعة بأمر ويحتمل أن يكون عبر بالبعث عما ألقى في نفس الملك الذي غزاهم وقرأ الناس فجاسوا بالجيم وقرأ أبو السمال فجاسوا بالحاء وهما بمعنى الغلبة والدخول قسراً ومنه الحواس وقيل لأبي السمال إنما القراءة جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد . # قال القاضي أبو محمد فهذا يدل على تخير لا على رواية ولهذا لا تجوز الصلاة بقراءته وقراءة نظرائه وقرأ الجمهور خلال وقرأ الحسن بن أبي الحسن خلل ونصبه في الوجوه على الطرف وقوله ^ ثم رددنا لكم الكرة ^ الآية عبارة عما قاله الله لبني إسرائيل في التوراة وجعل ^ رددنا ^ موضع نرد إذ وقت إخبارهم لم يقع الأمر بعد لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة أنه يقع عبر عن مستقبله بالماضي وهذه الكرة هي بعد الجلوة الأولى لما وصفنا فغلبت بنو إسرائيل على بيت المقدس وملكوها فيه وحسنت حالهم برهة من الدهر وأعطاهم الله الأموال والأولاد وجعلهم إذا نفرُوا إلى أمر أكثر الناس قال الطبري معناه وصيرناكم أكثر عدد نافر منهم قال قتادة كانوا ^ أكثر نفيراً ^ في زمن داود عليه السلام ونفير يحتمل أن يكون جمع نفر ككلب وكليب وعيد وعبيد ويحتمل أن يكون فعلاً بمعنى فاعل أي وجعلناكم أكثر نافرينا . # قال القاضي أبو محمد وعندي أن النفر اسم لا جمع الذي ينفر سمي بالمصدر وقد قال تبع الحميري

@ 440 @ # (فأكرم بقحطان من والد % وحمير أكرم بقوم نفيرا) + المتقارب + # وقالوا لا في العير ولا في النفير يريدون جمع فريش الخارج من مكة لا بإذن فلما قال الله لهم إني سأفعل بكم هكذا عقب ذلك بوصيتهم في قوله ^ إن أحسنتم ^ والمعنى أنكم بعملكم تؤخذون لا يكون ذلك ظلماً ولا تسرعاً إليكم و ^ وعد الآخرة ^ معناه من المرتين المذكورتين وقوله ^ ليسوعوا ^ اللام لام أمر وقيل المعنى بعثناهم ^ ليسوعوا ^ فهي لام كي كلها والضمير للعباد أولي اليأس الشديد وقرأ الجمهور ليسوعوا بالياء جمع همزة وبين واوين وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر ليسوعوا بالياء وهمزة مفتوحة على الأفراد وقرأ الكسائي وهي مروية عن علي بن أبي طالب ليسوعوا بنون العظمة وقرأ أبي بن كعب ليسوعون بنون خفيفة وهي الأم وقرأ علي بن أبي طالب ليسوعون وهي لام القسم والفاعل الله عز وجل وفي مصحف أبي بن كعب ليسوعى بياء مضمومة بغير واو وفي مصحف أنس ليسوعوا وجهكم على الأفراد وخص ذكر الوجوه لأنها المواضيع الدالة على ما بالإنسان من خير أو شر و ^ المسجد ^ مسجد بيت المقدس وتبر معناه أفسد بقسم وركوب رأس وقوله ^ ما علوا ^ أي ما غلبوا عليه من الأقطار وملكوها من البلاد وقيل ^ ما ^ ظرفية والمعنى مدة علوهم وعلبتهم على البلاد وتبر معناه رد الشيء فثابتا كثير الذهب والحديد ونحوه وهو مفتتة . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 8 - 11 \$ يقول الله عز وجل لبقية بني إسرائيل ^ عسى ربكم ^ إن أطعتم في أنفسكم واستقمتم ^ أن يرحمكم ^ و ^ عسى ^ ترج في حقهم وهذه العدة ليست برجوع دولة وإنما هي بأن يرحم المطيع منهم وكان من الطاعة اتباعهم لعيسى ومحمد فلم يفعلوا وعادوا إلى الكفر والمعصية فعاد عقاب الله فضرِب عليهم الذل وقتلهم وأذلهم بيد كل أمة وهنا قال ابن عباس سلط عليهم ثلاثة ملوك والحصير فعيل من الحصر فهو بمعنى السجن أي يحصرهم وينحو هذا فسر مجاهد وقاتله وغيرهما ويقال الحصير أيضاً من الحصر للملك ومنه قول لبيد # (ومقامة غلب الرقاب كأنهم % جن لدى باب الحصير قيام) + الكامل + # ويقال لجنى الإنسان الحصيران لأنهما يحصرانه ومنه قول الطرمح # (قليلاً تتلى حاجة ثم غولبت % على كل معروش الحصيرين بادن) + الطويل + # وقال الحسن البصري في الآية أراد به ما يفترش ويبسط كالحصير المعروف عن الناس . # قال القاضي أبو محمد وذلك الحصير أيضاً هو مأخوذ من الحصر وقوله تعالى ^ إن هذا القرآن ^

@ 441 @ الآية ^ بهدي ^ في هذه الآية بمعنى يرشد ويتوجه فيها أن تكون بمعنى يدعو و ^ التي ^ يريد بها الحالة والطريقة وقالت فرقة ^ للتي هي أقوم ^ لا إله إلا الله . # قال القاضي أبو محمد والأول أعم وكلمة الإخلاص وغيرها من الأقوال داخلة في الحال التي هي أقوم من كل حال تجعل بارزاتها والاقتصار على ^ أقوم ^ ولم يذكر من كذا إيجاز والمعنى مفهوم أي ^ للتي هي أقوم ^ من كل ما غيرها فهي النهاية في القوام وقيد المؤمنين بعمل الصالحات إذ هو كمال الإيمان وإن لم يكن في نفسه والمؤمن المفرط في العمل له بإيمانه حظ في عمل الصالحات والأجر الكبير الجنة وكذلك حيث وقع في كتاب الله فضل كبير وأجر كبير فهو الجنة وقوله ^ أن ^ الأولى في موضع نصب ب ^ يبشر ^ و ^ أن ^ الثانية عطف على الأولى وهي داخلة في جملة بشارة المؤمنين بشرهم القرآن بالجنة وأن الكفار لهم عذاب أليم وذلك أن علم المؤمنين بهذا مسرة لهم وفي هذه البشارة وعيد للكفار بالمعنى هذا الذي تقتضيه الفاظ الآية وقرأ الجمهور ويبشر بضم الباء وفتح الباء وكسر الشين وقرأ ابن مسعود ويحيى بن وثاب وطلحة وبيشتر بفتح الباء وسكون الباء وضم الشين ^ وأعدتنا ^ معناه أحضرنا وأعدنا ومنه العناد والأليم الموجع وقوله ^ وبدع الإنسان ^ الآية سقطت الواو من ^ بدع ^ في خط المصحف لأنهم كتبوا المسموع وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد هذه الآية نزلت ذامة لما يفعله الناس من الدعاء على أموالهم وأبنائهم في وقت الغضب والضجر فأخبر الله أنهم يدعون بالشرك في ذلك الوقت كما تدعون بالخير في وقت التثبيت فلو أجاب الله

دعاهم أهلهم لكنه يصفح ولا يجيب دعاء الصجر المستعجل ثم عذر بعض العذر في أن الإنسان له عجلة فطرية و[^] الإنسان[^] هنا قبل يرد به الجنس بحسب ما في الخلق من ذلك قاله مجاهد وغيره وقال سلمان الفارسي وابن عباس إنشأته إلى آدم في أنه لما نفخ الروح في رأسه عطس وأبصر فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقبه أعجبه نفسه فذهب ليمشي مستعجلاً لذلك فلم يقدر وأشارت الفاظ هذه الآية إلى هذا والمعنى فأنتم ذوو عجلة موروثه من أبيكم ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل أسيراً في قيد في بيت سودة بنت زمعة فسمعت سودة أتتته فأسفقت فقالت له ما بالك فقال ألم القيد فقالت فأرخت من ربطه فسكت ثم نامت فتحيل في الانحلال وفر فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصبح فأخبر الخبر فقال قطع الله يدها ففرغت سودة ورفعت يديها نحو السماء وهي تخاف الإجابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد جعل دعائي في مثل هذا رحمة على المدعو عليه لأنني بشر أعذب وأعجل فلترد سودة يديها وقالت فرقة هذه الآية نزلت في شأن قريش الذين قالوا[^] اللهم إن كان الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء[^] وكان الأولى أن يقولوا فاهدنا إليه وارحمنا به فذمهم الله تعالى في هذه الآية بهذا وقالت فرقة معنى هذه الآية معاتبة الناس على أنهم إذا نالهم شر وضرعوا وألجوا في الدعاء الذي كان يجب أن يدعوهم في حالة الخير ويلتزمه من ذكر الله وحمده والرغبة إليه لكنه يقصر حينئذ فإذا مسه ضر ألج واستعجل الفرج فالآية على هذا من نحو قوله تعالى[^] وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره[^].

@ 442 @ # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 12 - 14 \$ الآية العلامة المنصوبة للنظر والعبارة وقوله[^] فمحونا[^] قالت فرقة سبب تعقيب الفاء أن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين فمحا بعد ذلك القمر محاه جبريل بجناحه ثلاثة مرات فمن هنالك كلفه وكونه منيراً فقط وقالت فرقة وهو الظاهر إن قوله[^] فمحونا[^] إنما يريد في أصل خلقته وهذا كما تقول بنيت داري فبدأت بالأس ثم تأبعت فلا تريد بالفاء التعقيب وظاهر لفظ الآية يقتضي أربع آيات لا سيما لمن بني علي أن القمر هو الممحو والشمس هي المبصرة فأما إن قدر الممحو في إظلام الليل والإبصار في ضوء النهار أمكن أن تتضمن الآية[^] آيتين[^] فقط على أن يكون فيها طرف من إضافة الشيء إلى نفسه وقوله[^] مبصرة[^] مثل قولك ليل قائم ونائم أي ينام فيه ويقام فكذلك آية مبصرة أي يبصر بها ومعها وحكى الطبري عن بعض الكوفيين أنه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سلوا عما شئتم فقال ابن الكوا ما السواد الذي في القمر فقال له علي فأتك الله هلا سألت عن أم دينك وأخرتك ذلك محو الليل وجعل الله تعالى النهار مبصراً ليبتغي الناس الرزق وفصل الله وجعل القمر مخالفاً للشمس ليعلم بهد العدم من السنين والحساب للأشهر وللأيام ومعرفة ذلك في الشرع إنما هو من جهة القمر لا من جهة الشمس وقوله[^] كل شيء[^] منصوب بفعل مضمر يدل عليه الظاهر تقديره وفصلنا كل شيء فصلناه تفصيلاً وقيل و[^] كل[^] عطف على[^] والحساب[^] فهو معمول[^] لتعلموا[^] والتفصيل البيان بأن تذكر فصول ما بين الأشياء ونزال أشباهها حتى يتميز الصواب من الشبه العارضة فيه وقوله[^] وكل إنسان ألزمناه طائره[^] الآية قوله[^] كل[^] منصوب بفعل مقدر وقرأ الحسن وأبو رجاء ومجاهد طيره في عنقه قال ابن عباس[^] طائره[^] ما قدر له وعليه وخطب الله العرب في هذه الآية بما تعرف وذلك أنه كان من عادتها التيمن والتشاؤم بالطير في كونها سائحة وبارحة وكثير ذلك حتى فعلته بالظبا وحيوان الفلاة وسميت ذلك كله تطيرا وكانت تعتقد أن تلك الطيرة قاضية بما يلقي الإنسان من خير وشر فأخبرهم الله تعالى في هذه الآية في أوجز لفظ وأبلغ إشارة أن جميع ما يلقي الإنسان من خير وشر قد سبق به القضاء . # وألزم حظه وعمله وتكسبه في عنقه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى ولا طيرة . # وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه[^] فغير عن الحظ والعمل إذ هما متلازمان ب الطائر قال مجاهد وقتادة بحسب معتقد العرب في التطير وقولهم في أمور على الطائر الميمون وأبسط طائر ومنه ما طار في المحاجة والسهم كقول أم العلاء الانصارية فطار لنا من القادمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة عثمان بن مظعون أي كان ذلك حطنا وأصل هذا كله من الطير التي تقضي عندهم بقاء الخير

@ 443 @ والشر وأبطل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة وقوله[^] في عنقه[^] جرى أيضا على مقطع العرب في أن تنسب ما كان إلزاما وقلادة وأمانة ونحو هذا إلى العنق كقولهم دمي في عنق فلان وكقول الأعشى # (والشعر قلده سلامة ذا % فائش والشيء حيثما جلا) # وهذا كثير ونحوه جعلهم ما كان تكسبا وجناية وإنما منسوباً إلى اليد إذ هي الأصل في التكسب وقرأ أبو جعفر ونافع والناس ونخرج بنون العظمة كتاباً بالنصب وقرأ الحسن وابن محيصن ويخرج بفتح الياء وضم الراء على الفعل المستقبل كتاباً أي طائره الذي كنى به عن عمله يخرج له ذا كتاب وقرأ الحسن من هؤلاء كتاب بالرفع وقرأ أبو جعفر أيضا ويخرج بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله كتاباً أي طائره وقرأ أيضا كتاباً وقرأت فرقة ويخرج بضم الياء وكسر الراء أي يخرج الله وفي مصحف أبي بن كعب في عنقه بقرؤه يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً وهذا الكتاب هو عمل الإنسان وخطيئته وقرأ الجمهور يلقاه بفتح الياء وسكون اللام وخفة القاف وقرأ ابن عامر وحده يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف وهي قراءة الحسن بخلاف وأبي جعفر والجحدري وقوله[^] اقرأ كتابك[^] حذف من الكلام يقال له اختصار الدلالة الظاهرة عليه والحسب الحاسب ونسبه على التمييز وأسند الطبري عن الحسن أنه قال يا بن آدم بسطت لك صحيفة ووكلك بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك والآخر عن شمالك يحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أو قلل أو أكثر حتى إذ مت طويت صحيفة فكشفت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً[^] اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً[^] قد عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك . # قال القاضي أبو محمد فعلى هذه الألفاظ التي ذكر الحسن يكون الطائر ما يتحصل مع آدم من عمله في قبره فتأمل لفظه وهذا هو قول ابن عباس وقال قتادة في قوله[^] اقرأ كتابك[^] إنه سيقراً يومئذ من لم يكن يقرأ . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 15 - 17 \$ # معنى هذه الآية أن كل أحد إنما يحاسب عن نفسه لا عن غيره وروي أن سببها أن الوليد بن المغيرة المخزومي قال لأهل مكة اكفروا بمحمد وإثمكم علي فنزلت هذه الآية أي إن الوليد لا يحمل إثمكم وإنما كل واحد عليه وقالت فرقة نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسد والإشارة بالصلال إلى الوليد بن المغيرة[^] وزر[^] معناه حمل والوزر النقل ومنه وزير السلطان أي يحمل ثقل دولته وبهذه الآية نزلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في الرد على من قال إن الميت يعذب ببكاء الحي

@ 444 @ عليه ونكتة ذلك المعنى إنما هي أن التعذيب إنما يعن إذا كان البكاء من سنة الميت وسببه كما كانت العرب تفعل وقوله[^] وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[^] قالت فرقة هي الجمهور هذا في حكم الدنيا أي إن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار وقالت فرقة هذا عام في الدنيا والآخرة . # قال القاضي أبو محمد وتلخيص هذا المعنى أن مقصد الآية في هذه الموضع الإعلام بعادة الله مع الأمم في الدنيا وبهذا يقرب الوعيد من كفار مكة ويؤيد هذا ما يجيء بعد من وصفه ما يكون عند إرادته إهلاك قربة ومن إعلامه بكثرة ما أهلك من القرون ومع هذا فالظاهر من كتاب الله في غير هذا الموضع ومن النظر أن الله تعالى لا يعذب في الآخرة إلا بعد بعثة الرسل كقوله تعالى[^] كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى[^] وظاهر[^] كلما[^] الحصر وكقوله تعالى[^] وإن من أمة إلا خلا فيها نذير[^] وأما من جهة النظر فإن بعثة آدم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات في نبيه مع نصب الأدلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر يوجب على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله ثم تتجدد ذلك في مدة نوح عليه السلام بعد غرق الكفار وهذه الآية أيضا يعطي احتمال ألفاظها نحو هذا ويجوز مع الفرض وجود قوم لم تصلهم رسالة وهم أهل الفترات الذين قد قدر وجودهم بعض أهل العلم وأما ما روي من أن الله تعالى يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال فحديث لم يصح ولا يقتضيه ما تعطيه الشريعة من أن الآخرة ليست دار تكليف وقوله[^] وإذا أردنا أن نهلك قرية[^] الآية في مصحف أبي بعثنا أكابر مجرميها والقرية المدينة المجتمعة مأخوذ من قربت الماء في الحوض إذا جمعت وليست من قرأ الذي هو مهموز وإن كان فيها جمعا معنى الجمع وقرأ الجمهور أمرنا على صيغة الماضي من أمر ضد نهى وقرأ نافع وابن كثير في بعض ما روي عنهما أمرنا بمد الهمزة بمعنى كثرنا ورويت عن الحسن وهي قراءة علي بن أبي طالب وابن عباس بخلاف عنه وعن الأعرج وقرأ بها ابن إسحاق تقول العرب أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله بتعدي الهمزة وقرأ أبو عمرو بخلاف أمرنا بتشديد الميم وهي قراءة أبي عثمان

النهدي وأبي العالية وابن عباس ورويت عن علي بن أبي طالب وقال الطبري القراءة الأولى معناها أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها وهو قول ابن عباس وابن جبير والثانية معناها كثرتناهم والثالثة هي من الإمارة أي ملكناهم على الناس قال القاضي أبو محمد قال أبو علي الفارسي الجيد في أمرنا أن تكون بمعنى كثرنا فتعدي الفعل بلفظة غير متعد كما تقول رجع ورجعته وشتت عينه وشترتها فتقول أمر القوم وأمرهم الله أي كثرهم قال وأمرنا مبالغة في أمرنا بالهمزة وأمرنا مبالغة فيه بالتضعيف ولا وجه لكون أمرنا من الإمارة لأن رياستهم لا تكون إلا واحدا بعد واحد والإهلاك إنما يكون في مدة واحد منهم . # قال القاضي أبو محمد وينفصل عن هذا الذي قاله أبو علي بأن الأمر وإن كان يعم المترف وغيره فخص المترف بالذكر إذ فسقه هو المؤثر في فساد القرية وهم عظم الضلالة وسواهم تبع لهم وأما أمرنا من الإمارة فمتوجه على وجهين أحدهما أن لا يريد إمارة الملك بل كونهم يأمرون ويؤتمر لهم فإن العرب تقول لمن يأمر الإنسان وإن لم يكن ملكا هو أميره ومنه قول الأعشى # (إذا كان هادي الفتى في البلاد % صدر الفناة أطاع الأميرا) + المتقارب +

@ 445 @ # ومنه قول معاوية لعمر رضي الله عنه حين أمره بالاستقادة من لطمعة عمرو بن العاص إن علي أميرا لا أقطع أمرا دونه أراد معاوية رضي الله عنه أباه وأراد الأعشى أنه إذا شاخ الإنسان وعمي واهتدى بالعصا أطاع كل من يأمره ومنه قول الآخر # (والناس يلحون الأمير إذ هم % خطئوا الصواب ولا يلام المرشد) + الكامل + # وأيضا فلو أراد إمارة الملك في الآية لحسن المعنى لأن الأمة إذا ملك الله عليها مترفا ففسق ثم ولي مثله بعده ثم كذلك عظم الفساد وتوالى الكفر واستحقوا العذاب فنزل بهم على الرجل الأخير من ملوكهم وقرأ الحسن ويحيى بن يعمر أمرنا بكسر الميم وحكاها النحاس عن ابن عباس ولا تحقق وجهها لهذه القراءة إلا إن كان أمر القوم يتعدى بلفظه فإن العرب تقول أمر بنو فلان إذا كثروا ومنه قول لبيد # (إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا % يوما يصيروا للقل والنقد) # ومنه لقد أمر أمر ابن أبي كيشة ورد القراءة هذه القراءة وقد حكى أمر متعديا عن أبي زيد الأنصاري والمترف الغني من المال المنتعم والترفة النعمة وفي مصحف أبي بن كعب قرية بعثنا أكابر مجرميها فمكروا فيها وقوله ^ فحق عليها القول ^ أي وعيد الله لها الذي قاله رسولهم والتدمير الإهلاك مع طمس الآثار وهدم البناء ومنه قول الفرزدق # وكان لهم كبرك ثمود لما % رعا دهرًا فدمرهم دمارًا) + المتقارب + # وقوله ^ وكم أهلكنا ^ الآية ^ كم ^ في موضع نصب ب ^ أهلكنا ^ وهذا الذكر لكثرة من أهلك الله ^ من القرون ^ مثال لقريش ووعيد أي لستم بعيد مما حصلوا فيه من العذاب إذا أنتم كذبتم نبيكم واختلف الناس في القرن فقال ابن سيرين عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعون وقيل غير هذا مما هو قريب منه وقال عبد الله بن أبي أوفى القرن مائة وعشرون سنة وقالت طائفة القرن مائة سنة وهذا هو الأصح الذي يعضده الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني وروى محمد بن القاسم في خنته عبد الله بن بسر قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسي وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قلت كم القرن قال مائة سنة قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى أكمل مائة سنة ومات رحمه الله وإلباء في قوله ^ برك ^ زائدة التقدير وكفى برك وهذه الباء إنما تجيء في الأغلب في مدح أو ذم وكأنها تعطي معنى اكتف برك أي ما أكفاه في هذا وقد تجيء ^ كفى ^ دون باء كقول الشاعر # (كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا %) + الطويل + # وكقول الآخر # (وبخبرني عن غائب الأمر هديه % كفى الهدى عما غيب المرء مخيرا) + الطويل + # قوله عز وجل

@ 446 @ \$ سورة الإسراء 18 - 22 \$ # المعنى من كان يريد الدنيا العاجلة ولا يعتقد غيرها ولا يؤمن بآخرة فهو يفرغ أمله ومعتقده للدنيا فإن الله يعجل لمن يريد من هؤلاء ما يشاء هذا المريد أو ما يشاء الله على قراءة من قرأ نشاء بالنون وقوله ^ لمن نريد ^ شرط كاف على القراءتين ثم يجعل الله جهنم لجميع مريدي العاجلة على جهة الكفر من أعطاه فيها ما يشاء ومن حرمه قال أبو إسحاق الفزاري المعنى لمن نريد هلكته وقرأ الجمهور نشاء بالنون وقرأ نافع أيضا يشاء بالياء والمدحور المهان المبعد المذل المسخوط عليه وقوله ^ ومن أراد الآخرة ^ الآية المعنى ومن أراد الآخرة إرادة يقين بها وإيمان بها وبالله ورسالاته . # قال القاضي أبو محمد وذلك كله مرتبط متلازم ثم شرط في مريد الآخرة أن يسعى لها سعيها وهو ملازمة أعمال الخير وأقواله على حكم الشرع وطرقه فأولئك يشكر الله سعيهم ولا يشكر الله عملا ولا سعيًا إلا أناب عليه وغفر بسببه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الرجل الذي سقى الكلب العاطش فشكر الله له فغفر له وقوله ^ كلا نمد ^ الآية نصب ^ كلا ب ^ نمد ^ وامتدت الشيء إذا زدت فيه من غيره نوعه ومددته إذ زدت فيه من نوعه وقيل هما بمعنى واحد يقال مد وأمد . # و ^ هؤلاء ^ بدل من قوله ^ كلا ^ فهو في موضع نصب وقوله ^ من عطاء ربك ^ يحتمل أن يريد من الطاعات لمريدي الآخرة والمعاصي لمريدي العاجلة وروي هذا التأويل عن ابن عباس ويحتمل أن يريد ب العطاء رزق الدنيا وهذا هو تأويل الحسن بن أبي الحسن وقتادة أي إن الله تعالى يرزق في الدنيا مريدي الآخرة المؤمنين ومريدي العاجلة من الكافرين ويمدهم بعطائه منها وإنما يقع التفاضل والتباين في الآخرة ويتناسب هذا المعنى مع قوله ^ وما كان عطاء ربك محظورا ^ أي إن رزقه في الدنيا لا يضيق عن مؤمن ولا كافر وقلما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي التي توبقه والمحظور الممنوع . # وقوله ^ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ^ آية تدل دلالة ما على أن العطاء في التي قبلها هو الرزق وفي ذلك يترتب أن ينظر محمد صلى الله عليه وسلم إلى تفضيل الله لبعض على بعض في الرزق ونحوه من الصور والشرف والجاه والحطوط وبين أن يكون التفضيل الذي ينظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم إن أعطى الله قوما الطاعات المؤدية إلى الجنة وأعطى آخرين الكفر المؤدي إلى النار وهذا قول الطبري وهذا إنما هو النظر في تفضيل فريق على فريق وعلى التأويل الآخر فالنظر في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين ومن الكافرين كيفما قرنتهما ثم أخبر عز وجل أن التفضيل الأكبر إنما يكون في الآخرة . # وقوله ^ أكبر درجات ^ ليس في اللفظ من أي شيء لكنه في المعنى ولا بد أي ^ أكبر درجات ^ من كل ما يضاف بالوجود أو بالفرض إليها وكذلك قوله ^ أكبر تفضيلا ^ .

@ 447 @ # قال القاضي أبو محمد وروى بعض العلماء أن هذه الدرجات والتفضيل إنما هو فيما بين المؤمنين وأسند الطبري في ذلك حديثا نصه أن بين أعلى الجنة وأسفلها درجة كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها . # قال القاضي أبو محمد ولكن قد رضي الله الجميع فما يغبط أحد أحدا ولا يتمنى ذلك بدلا وقوله ^ لا تجعل ^ الآية الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد لجميع الخلق قاله الطبري وغيره والذم هنا لاحق من الله تعالى ومن ذوي العقول في أن يكون الإنسان يجعل عودا أو حجرا أفضل من نفسه وبخصه بالكرامة وينسب إليه الألوهية وبشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه والخذلان في هذا يكون بإسلام الله وأن لا يكفل له بنصر والمخدول الذي لا ينصره من يحب أن ينصره . # والخاذل من الظبا التي تترك ولدها ومن هذه اللفظة قول الراعي # (قتلوا ابن عفان الخليفة مجرما % وسعى فلم أر مثله مخذولا) # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 23 - 25 \$ # قضى ^ في هذه الآية هي بمعنى أمر والزم وأوجب عليكم وهكذا قال الناس وأقول إن المعنى ^ وقضى ربك ^ أمره ^ ألا تعبدوا إلا إياه ^ وليس في هذه الألفاظ الأمر بالاقتصار على عبادة الله فذلك هو المقضي لا نفس العبادة وقضى في كلام العرب أتم المقضي محكما والمقضي هنا هو المر وفي مصحف ابن مسعود ووصى ربك وهي قراءة أصحابه وقراءة ابن عباس والنخعي وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وكذلك عند أبي بن كعب وقال الصحاك تصحف على قوم وصى ب فضى حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتب المصحف . # قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف وإنما القراءة مروية بسند وقد ذكر أبو حاتم عن ابن عباس قول الصحاك وقال عن ميمون بن مهران إنه قال إن علي قول ابن عباس لنورا قال الله تعالى ^ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ^ ثم ضعف أبو حاتم أن يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا والضمير في ^ تعبدوا ^ لجميع الخلق وعلى هذا التأويل مضى السلق والجمهور وسأل الحسن بن أبي الحسن رجل فقال له إنه طلق امرأته ثلاثا فقال له الحسن عصيت ربك وبانت منك امرأتك فقال له الرجل قضى ذلك علي فقال له الحسن وكان فصيحًا ما قضى الله أي ما أمر الله وقرأ هذه الآية فقال الناس تكلم الحسن في القدر .

@ 448 @ # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن تكون ^ قضى ^ على مشهورها في الكلام ويكون الضمير في قوله ^ تعبدوا ^

للمؤمنين من الناس إلى يوم القيامة لكن على التأويل الأول يكون قوله ^ بالوالدين إحسانا ^ عطفا على ^ أن ^ الأولى أي أمر الله ألا تعبدوا إلا إياه وأن تحسنوا بالوالدين إحسانا وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرناه يكون قوله ^ وبالوالدين إحسانا ^ مقطوعا من الأول كأنه أخبرهم بقضاء الله ثم أمرهم بالإحسان إلى الوالدين و ^ إما ^ شرطية وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وعاصم وابن عامر بيلغن وروي عن ابن ذكوان بيلغن بتخفيف النون وقرأ حمزة والكسائي بيلغان وهي قراءة أبي عبد الرحمن وبحي وطلحة والأعمش والحجري وهي النون الثقيلة دخلت مؤكدة وليست بنون تثنية فعلى القراءتين الأوليين يكون قوله ^ إحداهما ^ فاعلا وقوله ^ أو كلاهما ^ معطوفا عليه وعلى هذه القراءة الثانية يكون قوله ^ أحدهما ^ بدلا من الضمير في بيلغان وهو بدل مقسم كقول الشاعر # ^ وكنت كذي رجلين رجل صحيحة % ورجل رمى فيها الزمان فشلت + الطويل + # ويجوز أن يكون ^ أحدهما ^ فاعلا وقوله ^ أو كلاهما ^ عطفا عليه ويكون ذلك على لغة من قال أكلوني البراغيث وقد ذكر هذا في هذه الآية بعض النحويين وسببوه لا يرى لهذه اللغة مدخلا في القرآن وقرأ أبو عمرو أف بكسر الفاء وترك التنوين وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر وقرأ نافع والحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة وعيسى أف بالكسر والتنوين وقرأ ابن كثير وابن عامر أف بفتح الفاء وقرأ أبو السمال أف بضم الفاء وقرأ ابن عباس أف خفيفة وهذا كله بناء إلا أن قراءة نافع تعطلي التنكير كما تقول آية وفيها لغات لم يقرأ بها أف بالرفع والتنوين على أن هارون حكاها قراءة وأفا بالنصب والتنوين وأفي بياء بعد الكسرة حكاها الأخص الكبير وأفا بألف بعد الفتحة وأف يسكون الفاء المشددة وأف مثل رب ومن العرب من يميل أفا ومنهم من يزيد فيها هاء السكت فيقول أفاه . # قال القاضي أبو محمد ومعنى اللفظة أنها اسم فعل كان الذي يريد أن يقول أضجر أو أتقذر أو أكره أو نحو هذا يعبر إيجازا بهذه اللفظة فتعطي معنى الفعل المذكور وجعل الله تعالى هذه اللفظة مثلا لجميع ما يمكن أن يقابل به الآباء مما يكرهون فلم ترد هذه في نفسها وإنما هي مثال الأعظم منها والأقل فهذا هو مفهوم الخطاب الذي المسكوت عنه حكمه حكم المذكور والانتهاز إظهار الغضب في الصوت واللفظ والقول الكريم الجامع للمحاسن من اللين وجودة المعنى وتضمن البر وهذا كما تقول ثوب كريم تريد أنه جم المحاسن والأف وسخ الأظفار فقالت فرقة إن هذه اللفظة التي في الآية مأخوذة من ذلك وقال مجاهد في قوله ^ ولا تقل لهما أف ^ معناه إذا رأيت منهما في حال الشيخ الغائط والبول الذي رأياه في حال الصغر فلا تستقذرهما . # وتقول ^ أف ^ . # قال القاضي أبو محمد والآية أعم من هذا القول وهو داخل في جملة ما تقتضيه وقال أبو الهذاج التجيبي قلت لسعيد بن المسيب كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا قوله ^ وقول لهما قولاً كريماً ^ ما هذا القول الكريم قال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ وقوله ^ واخض لهما

@ 449 @ جناح الذل من الرحمة) استعارة أي اقطعهما جانب الذل منك ودمت لهما نفسك وخلقتك وبولغ بذكر ^ الذل ^ هنا ولم يذكر في قوله ^ واخض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ^ وذلك بحسب عظم الحق هنا وقرأ الجمهور الذل بضم الذال وقرأ سعيد بن جبير وابن عباس وعروة بن الزبير الذل بكسر الذال ورويت عن عاصم بن أبي النجود والذل في الدواب ضد الصعوبة ومنه الجمل الذلول والمعنى يتقارب وينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أوبه في خير ذلة في أقواله واستكاته ونظره ولا يحد إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب والحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبعده الله وأسحقه قالوا من يا رسول الله قال من أدرك أوبه أو أحدهما فلم يغفر له . # وقوله ^ من الرحمة ^ من ^ هنا لبيان الجنس أي إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بأن يكون ذلك استعمالا ويصح أن يكون لابتداء الغاية ثم أمر الله عبادة بالترحم على آباءهم وذكر منتهاها عليه في التربية ليكون تذكر تلك الحالة مما يزيد الإنسان إشفافا لهما وحنانا عليهما وهذا كله في الأبوين المؤمنين وقد نهى القرآن عن الاستغفار للمشركين الأموات ولو كانوا أولي قربي وذكر عن ابن عباس هنا لفظ النسخ وليس هذا موضع نسخ وقوله ^ ريكم أعلم بما في نفوسكم ^ أي من اعتقاد الرحمة بهما والحنو عليهما أو من غير ذلك ويجعلون ظاهر برهما رياء ثم وعد في آخر الآية بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة بعد الأوبة إلى طاعة الله واختلفت عبارة الناس في ^ الأوابين ^ فقالت فرقة هم المصلحون وقال ابن عباس هم المسحون وقال أيضا هم المطيعون والمحسنون وقال ابن المنكدر هم الذين يصلون العشاء والمغرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصلاة في ذلك الوقت فقال تلك صلاة الأوابين وقيل غير هذا من المستغفرين ونحوه وقال عون العقيلي هم الذين يصلون صلاة الصبح وحقيقة اللفظة أنه من أب يؤوب إذا رجع وهؤلاء كلهم لهم رجوع أبدا إلى طاعة الله تعالى ولكنها لفظة لزم عرفها أهل الصلاح قال ابن المسيب هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وفسر الجمهور ^ الأوابين ^ بالرجاعين إلى الخير وقال ابن جبير أراد بقوله غفورا للأوابين الزلة والفتنة تكو من الرجل إلى أحد أوبه وهو لم يصر عليها بقلبه ولا علمها الله من نفسه وقالت فرقة خفض الجناح هو ألا يمتنع من شيء يريدانه . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 26 - 30 \$ اختلف المتأولون في ذي القربي فقال الجمهور الآية وصية للناس كلهم بصلة قرايتهم خوطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الأمة والحق في هذه الآية ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة .

@ 450 @ والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه قال بنحو هذا الحسن وعكرمة وابن عباس وغيرهم وقال علي بن الحسين في هذه هم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإعطائهم حقوقهم من بيت المال . # قال القاضي أبو محمد والقول الأول أبين ويعضده العطف ب ^ المسكين وابن السبيل ^ . # وابن السبيل ^ هنا يعم الغني والفقير إذ لكل واحد منهما حق وإن اختلفا وابن السبيل في آية الصدقة أخص والتبذير إنفاق المال في فساد أو في سرف في مباح وهو من البذر ويحتمل قوله تعالى ^ المبذرين ^ أن يكون اسم جنس ويحتمل أن يعني أهل مكة معينين وذكره النقاش وقوله تعالى ^ إخوان ^ يعني أنهم في حكمهم إذ المبذر ساع في فساد والشيطان أبدا ساع في فساد و ^ إخوان ^ جمع أخ من غير النسب وقد يشد ومنه قوله تعالى في سورة النور ^ أو إخوانهم أو بني إخوانهم ^ والإخوة جمع أخ في النسب وقد يشد ومنه قوله تبارك وتعالى ^ إنما المؤمنون إخوة ^ وقرأ الحسن والضحاك إخوان الشيطان على الأفراد وكذلك في مصحف أنس بن مالك ثم ذكر تعالى كفر الشيطان ليقع التحذير من التشبه به في الإفساد مستوعبا بينا وقوله تعالى ^ وإما تعرض ^ الضمير في ^ عنهم ^ عائد على من تقدم ذكره من المساكين وبني السبيل فأمر الله تعالى نبيه في هذه الآية إذا سأله منهم أحدا فلم يجد عنده ما يعطيه فقابله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإعراض تادبا منه في أن لا يرده تصرحاً وانتظار الرزق من الله تعالى يأتي فيعطيه منه أن يكون يؤنسه بالقول الميسور وهو الذي فيه الترجية بفضل الله تعالى والتأنيس بالميعاد الحسن والدعاء في توسعة الله تبارك وتعالى وعطائه وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطي يرزقنا الله وإياكم من فضله ف الرحمة على هذا التأويل الرزق المنتظر وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقال ابن زيد الرحمة الأجر والثواب وإنما نزلت الآية في قوم كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأبى أن يعطيهم لأنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم منهم نفقة المال في فساد فكان يعرض عنهم رغبة الأجر في منعهم لئلا يعينهم على فسادهم فأمره الله تعالى بأن يقول لهم ^ قولا ميسورا ^ يتضمن الدعاء في الفتح لهم والإصلاح . # قال القاضي أبو محمد وقال بعض أهل التأويل الأول نزلت الآية في عمار بن ياسر وصفه والميسور مفعول من لفظة اليسر تقول يسرت لك كذا إذا أعددت وقوله ^ ولا تجعل يدك ^ الآية روي عن قالون كل البصط بالصاد ورواه الأعشى عن أبي بكر واستعير ليد المقبوضة جملة عن الإنفاق المتصفة بالخل الغل إلى العنق واستعير ليد التي تستنفد جميع ما عندها غاية البسط ضد الغل وكل هذا في إنفاق الخير وأما إنفاق الفساد فقليله وكثيره حرام وهذه الآية ينظر إليها قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق والحديث بكامله والعلامة هنا لا حقة ممن يطلب من المستحقين فلا يجد ما يعطي والمسحور المنفح الذي قد استنفدت قوته تقول حسرت البعير إذا أتعبت حتى لم تبق له قوة فهو حسيير ومنه قول الشاعر # (لهن الوجى لم كن عوناً على السرى % ولا زال منها طالع وحسيير) + الطويل +

@ 451 @ # ومنه البصر الحسيير وهو الكال وقال ابن جريح وغيره في معنى هذه الآية لا تمسك عن النفقة فيما أمرت به من الحق ولا تبسطها كل البسط فيما نهيتك عنه وقال قتادة التبذير النفقة في معصية الله وقال مجاهد لو أنفق إنسان ماله كله في حق لم

يكن تذبذبا ولو أنفق مدا في باطل كان تذبذبا . # قال القاضي أبو محمد وهذا فيه نظر ولا بعض البسط لم يبح فيما نهى عنه . # ولا يقال في المعصية ولا تذبذبا وإنما يقال ولا تنفق ولو باقتصاد وقوام ولله در ابن عباس وابن مسعود فإنهما قالا التذبذبا وفي غير حق فهذه عبارة تعم المعصية والسرف في المباح وإنما نهت هذه الآية عن استفرار الوجد فيما بطرا أولا من سؤال المؤمنين لئلا يبقى من يأتي بعد ذلك لا شيء أو لئلا أو تكرر يصنع المنفق عبلا ونحوه ومن كلام الحكمة ما رأيت قط سرفا إلا ومعه حق مضيع وهذه من آيات فقه الحال ولا يبين حكمها إلا باعتبار شخص من الناس وقوله ^ إن ربك ببسط ^ الآية والمعنى كن أنت يا محمد على ما رسم لك من الاقتصاد وإنفاق القوام ولا يهمنك فقر من تراه كذلك فإنه بمرأى من الله ومسمع وبمشيئة ^ ويقدر ^ معناه ويضيف وقوله تعالى ^ إنه كان عباده خيرا بصيرا ^ أي يعلم مصلحة قوم في الفقر ومصلحة آخرين في الغنى وقال بعض المفسرين وحكاه الطبري إن الآية إشارة إلى حال العرب التي كانت يصلحها الفقر وكانت إذا شبعت طغت وقتلت غيرها وأغارت وإذا كان الجوع والقحط شغلهم . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 31 - 33 # قرأ الأعمش وابن وثاب ولا تقتلوا بتضعيف الفعل وهذه الآية نهى عن الوأد الذي كانت العرب تفعله وهو قوله تعالى ^ وإذا الموءودة سئلت ^ ويقال كان جهلهم يبلغ أن يغذوا أحدهم كلبه ويقتل ولده و ^ خشية ^ نصب على المفعول من أجله والإملاق الفقر وعدم الملك أملق الرجل لم يبق له إلا الملقات وهي الحجارة العظام الملس السود وقرأ الجمهور خطنا بكسر الخاء وسكون الطاء وبالهمز والقصر وقرأ ابن عامر خطنا بفتح الخاء والطاء والهمزة مقصورة وهي قراءة أبي جعفر وهاتان قراءتان مأخوذتان من خطئ إذا أتى الذنب على عمد فهي كحذر وحذر ومثل ومثل وشبهه وشبهه اسم ومصدر ومنه قول الشاعر # (الخطأ فاحشة والبر نافلة % كعجوة غرست في الأرض تؤتير) + البسيط + # قال الزجاج يقال خطئ الرجل يخطأ خطأ مثل أثم إثمها فهذا هو المصدر وخطأ اسم منه وقال بعض العلماء خطئ معناه واقع الذنب عامدا ومنه قوله تعالى ^ لا يأكله إلا الخاطئون ^ وأخطأ واقع الذنب عن غير عمد ومنه قوله تعالى ^ إن نسينا أو أخطأنا ^ وقال أبو علي

@ 452 @ الفارسي وقد يقع هذا موضع هذا وهذا فخطأ بمعنى تعمد في قول الشاعر # (عبادك يخطئون وأنت رب % كريم لا يليق بك الذموم) + الوافر + # وخطئ بمعنى لم يتعمد في قول الآخر # (والناس يلحون الأمير إذا هم % خطئوا الصواب ولا يلام المرشد) + الكامل + # وقد روي عن ابن عامر خطا بفتح الخاء وسكون الطاء وهمزة وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء ومد الهمزة وهي قراءة الأعرج بخلاف وطلحة وشبل والأعمش وعيسى وخالد بن إلياس وقتادة والحسن بخلاف عنه قال النحاس ولا أعرف لهذه القراءة وجهها وكذلك جعلها أبو حاتم علطا . # قال أبو علي الفارسي هي مصدر من خاطئ يخاطئ وإن كنا لم نجد خاطئا ولا كنا وجدنا تخاطئا وهو مطاوع خاطئا فدلنا عليه فمنه قول الشاعر # (تخاطات النبل احشاه % وخر يومي فلم أعجل) + المتقارب + # وقول الآخر في صفة كماه # (تخاطاه القناص حتى وجدته % وخرطوميه في منقع الماء راسب) + الطويل + # فكان هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل وقرأ الحسن فيما روي عنه خطاء بفتح الخاء والطاء والمد في الهمزة قال أبو حاتم لا يعرف هذا في اللغة وهو غلط غير جائز وليس كما قال أبو حاتم قال أبو الفتح الخطاء من أخطأت بمنزلة العطاء من أعطيت هو اسم بمعنى المصدر وقرأ الحسن بخلاف خطا بفتح الخاء والطاء منونة من غير همز وقرأ أبو رجاء والزهرى خطا بكسر الخاء وفتح الطاء كالتي قبلها وهاتان مخففتان من خطا وخطاء وقوله ^ ولا تقربوا الزنى ^ تحريم . # و ^ الزنى ^ يمد ويقصر فمن قصره الآية وهي لغة جميع كتاب الله ومن مده قول الفرزدق # (أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه % ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا) + الطويل + # وبروي أبا خالد والفاحشة ما يستتر به من المعاصي لقعده و ^ سبيلا ^ نصب على التمييز التقدير وساء سبيلا أي لأنه يؤدي إلى النار وقوله ^ ولا تقتلوا ^ وما قبله من الأفعال جزم بالنهاي وذهب الطبري إلى أنها عطف على قوله ^ وقضى ربك ألا تعبدوا ^ والأول أصوب وأبرع للمعنى والألف واللام التي في ^ النفس ^ هي للجنس و ^ الحق ^ الذي تقتل به النفس هو ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا يحل دم المسلم إلا إحدى ثلاث خصال كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو قتل نفس أخرى . # قال القاضي أبو محمد وتتصل بهذه الأشياء هي راجعة إليها فمنها قطع الطريق لأنه في معنى قتل النفس وهي الحرابة ومن ذلك الزندقة ومسألة ترك الصلاة لأنها في معنى الكفر بعد الإيمان ومنه قتل أبي بكر رضي الله عنه منعة الزكاة وقتل من امتنع في المدن من فروض الكفاية وقوله تعالى

@ 453 @ # مظلوما ^ نصب على الحال ومعناه بغير هذه الوجوه المذكورة والولي القائم بالدم وهو من ولد الميت أو ولده الميت أو جمعه وأباه أب ولا مدخل للنساء في ولاية الدم عند جماعة من العلماء ولهن ذلك عند أخرى والسلطان الحجة والملك الذي جعل إليه من التخير في قبول الدية أو العفو قاله ابن عباس والضحاك . # وقال قتادة السلطان القود وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم فلا يسرف بالياء وهي قراءة الجمهور أي الولي لا يتعدى أمر الله والتعدي هو أن يقتل غير قاتل وليه من سائر القبيل أو يقتل اثنين بواحد وغير وذلك من وجوه التعدي وهذا كله كانت العرب تفعله لذلك وقع التحذير منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أعتى الناس على الله ثلاثة رجل قتل غير قاتل وليه أو قتل بدخل الجاهلية أو قتل في حرم الله وقالت فرقة المراد بقوله ^ فلا يسرف ^ القاتل الذي يتضمنه الكلام والمعنى فلا يكن أحد من المسرفين بأن يقتل نفسا فإنه يحصل في ثقاف هذا الحكم وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي فلا تسرف في القتل بالناء من فوق وهو قراءة حذيفة ويحيى بن وثاب ومجاهد بخلاف والأعمش وجماعة قال الطبري على معنى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والأئمة بعده أي فلا تقتلوا غير القاتل . # قال القاضي أبو محمد ويصح أن يراد به الولي أي فلا تسرف أيها الولي في قتل أحد يتحصل في هذا الحكم وقرأ أبو مسلم السراج صاحب الدعوة العباسية فلا يسرف بالياء بضم الفاء على معنى الخبر لا على معنى النهي والمراد هذا التأويل فقط . # قال القاضي أبو محمد وفي الاحتجاج بأبي مسلم في القراءة نظر وفي قراءة أبي بن كعب فلا تسرفوا في القتل إن ولي المقتول كان منصورا والضمير في قوله ^ إنه ^ عائد على الولي وقيل على المقتول وهو عندي أرجح الأقوال لأنه المظلوم ولقطة النصر تقارن أبدا الظلم كقوله صلى الله عليه وسلم ونصر المظلوم وإبرار القسم وكقوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما إلى كثير من الأمثلة وقيل على القاتل وقال أبو عبيد على القاتل لأنه إذا قتل في الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر وهذا ضعيف بعيد المقصد وقال الضحاك هذه أول ما نزل من القرآن في شأن القتل وهي مكية . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 34 - 36 # الخطاب في هذه الآية للأوصياء الذين هم معدون لقرب مال اليتامى ثم لمن تلبس بشيء من أمر يتيم من غير وصي و ^ اليتيم ^ الفرد من الأبناء واليتيم الانفراد يقال يتيم الصبي يتيم إذا فقد أباه قال ابن السكيت اليتيم في البشر من قبل الأب وفي البهائم من قبل الأم وفي كتاب الماوردي أن اليتيم في

@ 454 @ البشر من قبل الأم أيضا وجمعه أيتام كشريف وأشرف وشهيد وأشهد وجمع يتامى كأسير وأسارى كأنهما الأمور المكروهة التي تدخل على المرء غلبة قال ابن سيده وحكى ابن الأعرابي يتام في يتيم وأنشد في ذلك # (فبت أشوي ظيبي وحليتي % طريا وجرو الذيب يتام جاع) + الطويل + # ويجوز أن يكون يتامى جمع يتام وفي الحديث لا يتم بعد حلم وقوله ^ إلا بالتى هي أحسن ^ يريد إلا بأحسن الحالات . # قال القاضي أبو محمد وذلك في الوصي الغني أن يثمر المال ويحوطه ولا يمس منه شيئا على جهة الانتفاع به هذا هو الورع والأولى إلا أن يكون يتيم في مال اليتيم ويشغ فله بالفقه أن تفرص له أجرة وأما الوصي الفقير الذي يشغله مال اليتيم عن معاشه فاختلف الناس في أكله منه بالمعروف كيف هو فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتسلف منه فإذا أيسر رد فيه وقال ابن المسيب لا يشرب الماء من مال اليتيم قيل له فما معنى ^ فليأكل بالمعروف ^ قال إنما ذلك لخدمته وغسل ثوبه وقال مجاهد لا يقرب إلا التجارة ولا يستقرض منه قال وقوله ^ فليأكل بالمعروف ^ ذاته معناه من مال نفسه وقال أبو يوسف لعل قوله ^ فليأكل بالمعروف ^ ذاته منسوخ بقوله ^ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ^ وقال ابن عباس يأكل منه الشربة من اللبن والطرفة من الفاكهة ونحو هذا مما يخدمه ويلط الحوض ويجد النخل وينشد الضالة فليأكل غير مضر ينسل ولا ناهك في الحلب وقال زيد بن أسلم يأكل منه بأطراف أصابعه بلغة من العيش يتبعه . قال القاضي أبو محمد وهذه استعارة للتقلل وقال مالك رحمه الله وغيره يأخذ منه أجرة بقدر تعبه فهذه كلها تدخل فيما هو أحسن وكما تفسر هذه المعاني في سورة النساء بحسب ألفاظ تلك الآيات وفي الخبر عن قتادة أن هذه الآية لما نزلت شقت على المسلمين وتجنبوا الأكل معهم في صحفة ونحوه

فزلت ^ وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ^ وقوله ^ حتى يبلغ أشده ^ غاية الإمساك عن مال اليتيم ثم ما بعد الغاية قد بينته آية أخرى وما بعد هذه الغايات أبدا موقوف حتى يقوم فيه دليل شرعي أو يقتضي ذلك الاتفاق في النازلة ومثل هذا قول عائشة رضي الله عنها أنا قتلت قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وبعث بها فلم يحرم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء أحله الله له حتى نحر الهدى والأشد جمع شد عند سبويه وقال أبو عبيدة لا واحد له من لفظه ومعناها قواه في العقل والتجربة والنظر لنفسه وذلك لا يكون إلا مع البلوغ ف الأشد في مذهب مالك أمران البلوغ بالاحتلام أو ما يقوم مقامه حسب الخلاف في ذلك والرشد في المال واختلف هل من شروط ذلك الرشد في الدين على قولين فابن القاسم لا يراعيه إذا كان ضابطا لماله وراعه غيره من بعض أصحاب مالك ومذهب أبي حنيفة أن الأشد هو البلوغ فقط فلا حرج عنده على بالغ إلا أن يعرف منه السفه . # قال القاضي أبو محمد وليست من هذا التقييد في قوله على ثقة وقال أبو إسحاق الزجاج الأشد

@ 455 @ في قوله أن تأتي على الصبي ثمان عشرة سنة وإنما أراد أنها بعض ما قيل في حد البلوغ لمن لا يحتلم وأما أن يكون بالغ رشيد تقي لا يدفع إليه ماله حتى يبلغ هذه المدة فشيء لا أحفظ من يقوله وقوله ^ بالعهد ^ لفظ عام لكل عهد وعقد بين الإنسان وبين ربه أو بينه وبين المخلوقين في طاعة وقوله ^ إن العهد كان مسؤولا ^ أي مطلوبا ممن عهد إليه أو عوهد هل وفى به أم لا . # وقوله تعالى ^ وأوفوا الكيل ^ الآية أمر الله تعالى في هذه الآية أهل التجار والكيل والوزن أن يعطوا الحق في كيلهم ووزنهم وروي عن ابن عباس أنه كان يقف في السوق ويقول يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان . # قال القاضي أبو محمد وتقتضي هذه الآية أن الكيل على البائع لأن المشتري لا يقال له أوف الكيل هذا ظاهر اللفظ والسابق منه و ^ القسطاس ^ قال الحسن هو القبان ويقال القفان وهو القلستون ويقال القرسطون وقيل القسطاس الميزان صغيرا كان أو كبيرا وقال مجاهد ^ القسطاس ^ العدل وكان يقول هي لغة رومية فكان الناس قيل لهم زونا بمعدلة في وزنكم وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر القسطاس بضم القاف وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم القسطاس بكسر القاف وهما لغتان واللفظة منه للمبالغة من القسط والمراد بها في الآية جنس الموازين المعدلة على أي صفة كانت قال أبو حاتم إنما قرأ بكسر القاف أهل الكوفة وكل قراءة لا تجاوز الكوفة إلى الحرمين والبصرة فأقرأ بغيرها وقرأت فرقة القسطاس بالصاد . # قال القاضي أبو محمد وكان مذهب مجاهد في هذا وفي ميزان القيامة وكل ذلك أنها استعارات للعدل وقوله في ميزان القيامة مردود وعقيدة أهل السنة أنه ميزان له عمود وكفتان . # وسمعت أبي رضي الله عنه يقول رأيت الواعظ أبا الفضل الجوهري في جامع عمرو بن العاص يعط الناس في الوزن فقال في جملة كلامه إن هيئة اليد بالميزان عظة وذلك أن الأصابع تجيء منها صورة المكتوبة ألف ولامان وهاء فكان الميزان يقول الله الله . # قال القاضي أبو محمد وهذا وعط جميل والتأويل في هذه الآية المال . # قاله قتادة ويحتمل أن يكون التأويل مصدر تأول أي يتأول عليكم الخير في جميع أموركم إذا أحسنتم في الكيل والوزن والفرص من أمر الكيل والوزن تحري الحق فإن غلب الإنسان تعد تحربه شيء يسير من تطفيف شادا لم يقصده بذلك نزر موضوع عنه إنهم وذلك ما لا يكون الانفكاك عنه في وسع وقوله ^ ولا تقف ^ معناه ولا تقل ولا تتبع . # قال القاضي أبو محمد لكنها لفظة تستعمل في القذف والعصه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر لا نقفو أمنا ولا ننتقي من أبينا ونقول فلان قفوتي أي موضع تهمني وتقول العرب رب سامع عذرتي ولم يسمع قفوتي أي ما رميت به وهذا مثل للذي يفشي سره ويعتذر من ذنب لم يسمعه المعتذر إليه وقد قال ابن عباس أيضا ومجاهد ^ ولا تقف ^ معناه ولا ترم ومن هذه اللفظة قول الشاعر

@ 456 @ # (ومثل الدمى شم العرائن ساكن % بهن الحياء لا يشعن التقافيا) # وقال الكميت # (ولا أرم البرى بغير ذنب % ولا أقفو الجواضن إن قفينا) + الوافر + # وأصل هذه اللفظة من اتباع الأثر تقول قفوت الأثر وبشبهه أن هذا من القفا مأخوذ ومنه قافية الشعر لأنها تقفو البيت وتقول قفت الأثر ومن هذا هو القائف وتقول قفوت الأثر بتقديم الفاء على القاف وبشبهه أن يكون هذا من تلعب العرب في بعض الألفاظ كما قالوا وعمري في عمري وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت قفا وقاف مثل عثا وعثا فمعنى الآية ولا تتبع لسانك من القول ما لا علم لك به وذهب منذر بن سعيد إلى أن قفا وقاف مثل جبد وجذب فهذه الآية بالجملة تنهى عن قول الزور والقذف وما أشبه ذلك من الأقوال الكاذبة الردية وقرأ الجمهور ولا تقف وقرأ بعض الناس فيما حكى الكسائي ولا تقف بضم القاف وسكون الفاء وقرأ الجراح والفاد بفتح الفاء وهي لغة وأنكرها أبو حاتم وغيره وعبر عن ^ السمع والبصر والفؤاد ^ ب ^ أولئك ^ لأنها حواس لها إدراك وجعلها في هذه الآية مسؤولة فهي حالة من يعقل فلذلك عبر عنها ب ^ أولئك ^ وقد قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى ^ رأيتهم لي ساجدين ^ إنه إنما قال رأيتهم في نجوم لأنه لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل وحكى الزجاج أن العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل ب أولئك وأنشد هو والطبري # (ذم المنازل بعد منزلة اللوى % والعيش بعد أولئك الأيام) + الكامل + # فأما حكاية أبي إسحاق عن اللغة فأمر يوقف عنده وأما البيت فالرواية فيه الأقوام والضمير في ^ عنه ^ يعود على ما ليس للإنسان به علم ويكون المعنى أن الله تعالى يسأل سماع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي ويحتمل أن يعود الضمير في ^ عنه ^ على كل التي هي للسمع والبصر والفؤاد والمعنى أن الله تعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده فكانه قال كل هذه كان الإنسان عنه مسؤولا أي عما حصل لهؤلاء من الإدراكات ووقع منها من الخطأ فالتقدير عن أعمالها مسؤولا فهو على حذف مضاف . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 37 - 40 # قرأ الجمهور مرحا بفتح الراء مصدر من مرح يمرح إذا تسبب مسرورا بديناه مقبلا على راحته

@ 457 @ فهذا هو المرح فنهى الإنسان في هذه الآية أن يكون مشبهه في الأرض على هذا الوجه ثم قيل له إنك لن تقطع الأرض وتمسحها بمشيك ولن تبلغ أطوال الجبال فتتالها طولاً فإذا كنت لا تستوي في الأرض بمشيك فقصرك نفسك على ما يوجب الحق من المشي والتصرف أولى وأحق وخطب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية والمراد الناس كلهم . # قال القاضي أبو محمد وأقبال الناس على الصيد ونحوه تنزهها دون حاجة إلى ذلك داخل في هذه الآية وأما الرجل يستريح في اليوم النادر أو الساعة من يومه يجم بها نفسه في التفرج والراحة ليستعين بذلك على شغل من البر كقراءة علم أو صلاة فليس ذلك بداخل في هذه الآية وقرأت فرقة فيما حكى يعقوب مرحا بكسر الراء على بناء اسم الفاعل وهذا المعنى يترتب على هذه القراءة ولكن يحسن معها معنى آخر ذكره الطبري مع القراءة الأولى وهو بهذه القراءة أليق وهو أن قوله ^ لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ^ أراد به أنك أيها المرح المختال الفخور لا تحرق الأرض ولا تطاول الجبال بفخر وكبرك وذهب بالألفاظ إلى هذا المعنى ويحسن ذلك مع القراءة بكسر الراء من المرح لأن الإنسان نهى حينئذ عن التخلق بالمرح في كل أوقاته إذ المشي في الأرض لا يفارقه فلم يمه إلا عن يكون مرحا وعلى القراءة الأخرى إنما نهى من ليس بمرح عن أن يمشي في بعض أوقاته مرحا فيترب في المرح بكسر الراء أن يؤخذ بمعنى المتكبر المختال وخرق الأرض قطعها والخرق الواسع من الأرض ومنه قول الشاعر # (وخرق تجاوزت مجهوله % بوجناء خرق تشكى الكلالا) + المتقارب + # ويقال لثقب الأرض وليس هذا المعنى في الآية ومنه قول رؤبة بن العجاج # (وقاتم الأعماق خاوي المخرق %) # وقرأ الجراح الأعرابي تحرق بضم الراء وقال أبو حاتم لا تعرف هذه اللغة وقوله تعالى ^ كل ذلك كان سيئة ^ الآية قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والأعرج وسيف بن عميرة وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي والحسن ومسروق سيئة على إضافة سيئة إلى الضمير والإشارة على القراءة الأولى إلى ما تقدم ذكره مما نهى عنه كقول أف وقذف الناس والمرح وغير ذلك والإشارة على القراءة الثانية إلى جميع ما ذكر في هذه الآيات من بر ومعصية ثم اختص ذكر السيئة منه بأنه مكروه عند الله تعالى فأما من قرأ سيئة بالإضافة إلى الضمير فأعراب قراءته بين وسيئة اسم ^ كان ^ و ^ مكروها ^ خبرها وأما من قرأ سيئة فهي الخبر ل ^ كان ^ واختلف الناس في إعراب قوله ^ مكروها ^ فقالت فرقة هو خبر ثان ^ كان ^ حمله على لفظ كل وسيئة محمول على المعنى في جميع هذه الأشياء المذكورة قبل وقال بعضهم هو نعت ^ سيئة ^ لأنه لما كان تأنيثها غير حقيقي جاز أن توصف بمذكر . # قال القاضي أبو محمد وضعف أبو علي الفارسي هذا وقال إن المؤنث إذا ذكر فإنما ينبغي أن يكون ما بعده وفقه وإنما التساهل أن يتقدم الفعل المسند إلى المؤنث وهو في صيغة ما يسند إلى المذكر ألا ترى أن قول الشاعر

@ 458 (فلا مزنة ودقت ودقها % ولا أرض أبقل أبقالها) + المتقارب + # مستقيح عندهم ولو قال قائل أبقل أرض لم يكن قبيحا قال أبو علي ولكن يجوز في قوله ^ مكروها ^ أن يكون بدلا من ^ سيئة ^ قال ويجوز أن يكون حالا من الذكر الذي في قوله ^ عند ربك ^ ويكون قوله ^ عند ربك ^ في موضع الصفة ل ^ سيئة ^ وقرا عبد الله بن مسعود كان سيئاته وروي عنه كان سيئات بغير هاء وروي عنه كان خبيثة وذهب الطبري إلى أن هذه النواهي كلها معطوفة على قوله أولا ^ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ^ وليس ذلك بالبين قوله ^ ذلك مما أوحى إليك ربك ^ الآية . # الإشارة ب ^ ذلك ^ إلى هذه الآداب التي تضمنتها هذه الآيات المتقدمة أي هذه من الأفعال المحكمة التي تقتضيها حكمة الله في عباده وخلقه لهم محاسن الأخلاق و ^ الحكمة ^ قوانين المعاني المحكمة والأفعال الفاضلة ثم عطف قوله ^ ولا تجعل ^ علي ما تقدم من النواهي والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل من سمع الآية من البشر والمدحور المهان المبعد وقوله ^ أفأصفاكم ^ الآية خطاب للعرب التي كانت تقول الملائكة بنات الله فقررهم الله على هذه الحجة أي أنتم أيها البشر لكم الأعلى من النسل ولله الإناث فلما ظهر هذا التباعد الذي في قولهم عظم الله عليهم فساد ما يقولونه وشنعتهم ومعناه عظيما في المنكر والوخامة وأصفاكم معناه جعلكم أصحاب الصفوة وحكى الطبري عن قتادة عن بعض أهل العلم أنه قال نزلت هذه الآية في اليهود لأنهم قالوا هذه المقالة من أن الملائكة بنات الله . # قال القاضي أبو محمد والأول هو الذي عليه جمهور المفسرين . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 41 - 44 \$ # قرأ الجمهور صرفنا بتشديد الراء على معنى صرفنا فيه الحكم والمواظب وقرأ الحسن صرفنا بتخفيف الراء على معنى صرفنا فيه الناس إلى الهدى بالدعاء إلى الله وقال بعض من شدد الراء إن قوله ^ في ^ زائد والتقدير ولقد صرفنا هذا القرآن وهذا ضعيف وقرأ الجمهور ليذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا يسكون الذال وضم الكاف وهي قراءة طلحة ويحيى والأعمش وما في ضمن الآية من ترج وطماعية فهو في حق البشر وبحسب ظنهم فيمن يفعل الله معه هذا والنفور عبارة عن شدة الإعراض تشبيها بنفور الدابة وهو في هذه الآية مصدر لا غير وروي أن في الإنجيل في معنى هذه الآية يا بني إسرائيل شوقناكم فلم تشاقوا ونحن لكم فلم تبتكوا . # وقوله تعالى ^ قل لو كان مع الله آية إخبار بالحجة واختلف الناس في معنى قوله ^ لا تبغوا إلى ذي العرش سبيلا ^ فحكى الطبري وغيره من المفسرين أن معناه لطلب هؤلاء الآلهة الزلفى إلى ذي العرش والقربة إليه بطاعته فيكون السبيل على هذا التأويل بمعناها في قوله ^ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ^ وقال سعيد بن جبير وأبو علي

@ 459 @ الفارسي والنقاش وقاله المتكلمون أبو منصور وغيره إن معنى الكلام لابتغوا إليه سبيلا في إفساد ملكه ومضاهاته في قدرته وعلى هذا التأويل تكون الآية بيانا للتمانع وجارية مع قوله ^ لو كان فيهما آية إلا الله لفسدتا ^ # قال القاضي أبو محمد ونقتضب شيئا من الدليل على أنه لا يجوز أن يكون مع الله تبارك وتعالى غيره وذلك على ما قال أبو المعالي وغيره إنا لو فرضناه لفرضنا أن يريد أحدهما تسكين جسم والآخر تحريكه ومستحيل أن تنفذ الإرداتان ومستحيل أن لا تنفذ جميعا فيكون الجسم لا متحركا ولا ساكنا فإن صحت إرادة أحدهما دون الآخر فالذي لم تتم إرادته ليس بإله فإن قيل نفرضهما لا يختلفان قلنا اختلافهما جائز غير ممتنع عقلا والجائز في حكم الواقع ودليل آخر أنه لو كان الاثنان لم يمتنع أن يكونوا ثلاثة وكذلك إلى ما لا نهاية ودليل آخر أن الجزء الذي لا يتجزأ من المخترعات لا تتعلق به إلا قدرة واحدة لا يصح فيها اشتراك والآخر كذلك دأبا فكل جزء إنما يخترعه واحد وهذه نبذة شرحها بحسب التقصي يطول وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم كما يقولون بالياء من تحت وقرأ الجمهور كما تقولون و ^ سبحانه ^ مصدر بفعل متروك إظهاره فهو بمعنى التنزيه موضع هنا موضع تنزهه فلذلك عطف الفعل عليه في قوله ^ وتعالى ^ والتعالى تفاعل أما في الشاهد والأجرام فهو من اثنين لأن الإنسان إذا صعد في منزله أو في جبل فكان ذلك يعالیه وهو يعالي ويرتقي وأما في ذكر الله تعالى فالتعالى هو بالفدر لا بالإضافة إلى شيء آخر وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو عما يقولون بالياء وقرأ حمزة والكسائي تقولون بالتاء من فوق . # و ^ علوا ^ مصدر على غير الفعل فهو كقوله ^ والله أنبتكم من الأرض نباتا ^ وهذا كثير وقوله تعالى ^ تسبح له السماوات ^ الآية المعنى ينزهه عن هذه المقالة التي لكم والإشتراك الذي أتم بسبيله ^ السماوات السبع والأرض ^ ثم أعاد على السماوات والأرض ضمير من يعقل لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسيح وقوله ^ من فيهن ^ يريد الملائكة والإنس والجن ثم عم بعد ذلك الأشياء كلها في قوله ^ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ^ أي ينزهه الله ويحمده ويمجده واختلف أهل العلم في التسيح فقالت فرقة هو تجوز ومعناه إن كل شيء تبدي فيهنصنة الصانع الدالة عليه فتدعو رؤية ذلك إلى التسيح من المعتبر ومن حجة هذا التأويل قوله تعالى ^ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن ^ وقالت فرقة ^ من شيء ^ لفظ عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام وليس ذلك في الجمادات البتة فمن هذا قول عكرمة الشجرة تسبح والأسطوانة لا تسبح وقال يزيد الرفاشي للحسن وهما في طعام وقد قدم الخوان أيسح هذا الخوان يا أبا سعيد فقاقد كان يسبح مرة يريد أن الشجرة في زمان نموها واغتنانها تسبح فمذ صارت خوانا مدهونا أو نحوه صارت جمادا وقالت فرقة هذا التسيح حقيقة وكل شيء على العموم يسبح تسيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه ولو كان التسيح ما قاله الآخرون من أنه أثر الصنعة لكان أمرا مفقوها والآية تنطق بان هذا التسيح لا يفقه . # قال القاضي أبو محمد وينفصل عن هذا الاعتراض بان يراد بقوله ^ لا تفقهون ^ الكفار والغفلة أي إنهم يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الأشياء وقال الحسن بلغني أن معنى هذه

@ 460 @ الآية في التوراة ذكر فيه ألف شيء مما يسبح سبحت له السماوات سبحت له الأرض سبح كذا سبح كذا وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر يسبح له بالياء وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي تسبح بالتاء والقراءتان حسنتان وقرأ عبد الله بن مسعود وطلحة والأعمش سبحت له السماوات وقوله ^ إنه كان حلما غفورا ^ فيه تنبيه على إملائه لهم وصفحه عنهم في الدنيا وإمهاله لهم مع شنيع هذه المقالة أي تقولون قولنا ينزهه عنه كل شيء من المخلوقات ^ إنه كان حلما غفورا ^ فلذلك أمهلكم . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 45 - 47 \$ # هذه الآية تحتمل معنيين أحدهما أن الله تعالى أخبر نبيه أنه يحيمه من الكفرة أهل مكة الذي كانوا يؤذونه في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد ويريدون مد اليد إليه وأحوالهم في هذا المعنى مشهورة مروية والمعنى الآخر أنه أعلمه أنه يصنع له الكفرة وبين فهم ما يقرأه محمد صلى الله عليه وسلم حجبا فالآية على هذا التأويل في معنى التي بعدها وعلى التأويل الأول هما آيتان لمعنيين وقوله ^ مستورا ^ أظهر ما فيه أن يكون نعتا للحجاب أي مستورا عن أعين الخلق لا يدركه أحد برؤية كسائر الحجب وإنما هو من قدرة الله وكفائته وإضلاله بحسب التأويلين المذكورين وقل التقدير مستورا به على حذف العائد وقال الأخفش ^ مستورا ^ بمعنى ساتر كمشؤوم وميمون فإنهما بمعنى شائم وبامن . # قال القاضي أبو محمد وهذا لغير داعية إليه تكلف وليس مثاله بمسلم وقيل هو على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر وهذا معترض بأن المبالغة أبدا إنما تكون باسم الفاعل ومن اللفظ الأول فلو قال حجبا حاجبا لكان التنظير صحيحا وقوله ^ وجعلنا على قلوبهم أكنة ^ الآية الأكنة جمع كنان وهو ما غطى الشيء ومنه كبانة النبل والوقر الثقيل في الأذن المانع من السمع وهذه كلها استعارات للإضلال الذي حفيهم الله به فغير عن كثرة ذلك وعظمه بأنهم بمثابة من غطى قلبه وصمت أذنه وقوله ^ وإذا ذكرت ^ الآية يريد إذا جاءت مواضع التوحيد في القرآن أثناء قراءتك فر كفار مكة من سماع ذلك إنكارا له واستبشاعا إذ فيه رفض أهتهم واطراحها وقال بعض العلماء إن ملا قريش دخلوا على أبي طالب يزورونه فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ومر بالتوحيد ثم قال يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا ونفروا فنزلت الآية وأن تكون الآية وصف حال الفارين عنه في وقت توحيدهم في قراءته أبين وأجرى مع اللفظ وقوله ^ نفورا ^ يصح أن يكون مصدرا في موضع الحال ويصح أن يكون جمع نافر كشاهد وشهود لأن فعولا من أبنية فاعل في

@ 461 @ الصفات ونصبه على الحال أي نافرين وقوله ^ أن يفقهوه ^ أن ^ أن ^ نصب على المفعول أي كراهة أن أو منع أن والضمير في ^ يفقهوه ^ عائد على ^ القرآن ^ وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت إنما عنى بقوله ^ ولوا على أديبارهم نفورا ^ الشياطين وأنهم يفرون من قراءة القرآن يريد أن المعنى يدل عليهم وإن لم يجر لهم ذكر في اللفظ وهذا نظير قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له خصاص . # وقوله ^ نحن أعلم بما يستمعون به ^ الآية هذا كما تقول فلان يستمع بحرص وإقبال أو

بإعراض وتغافل واستخفاف فالضمير في ^{هـ} به ^{هـ} عائد على ^{هـ} ما ^{هـ} وهي بمعنى الذي والمراد بالذي ما ذكرناه من الاستخفاف والإعراض فكانه قال نحن أعلم بالاستخفاف والاستهزاء يستمعون به أي هو ملازمهم ففصح الله بهذه الآية سرهم والعامل في ^{هـ} إذا ^{هـ} الأولى وفي المعطوفة عليها ^{هـ} يستمعون ^{هـ} الأول وقوله ^{هـ} وإذ هم نجوى ^{هـ} وصفهم بالمصدر كما قالوا قوم رضى وعدل وقيل المراد بقوله ^{هـ} وإذ هم نجوى ^{هـ} اجتماعهم في دار الندوة ثم انتشرت عنهم وقوله ^{هـ} مسحورا ^{هـ} الظاهر فيه أن يكون من السحر فشيها الخيال الذي عنده بزعمهم وأقواله الوخيمة برأيهم بما يكون من المسحور الذي قد خيل السحر عقله وأفسد كلامه وتكون الآية على هذا شبيهة قول بعضهم ^{هـ} به جنة ^{هـ} ونحو هذا وقال أبو عبيدة ^{هـ} مسحورا ^{هـ} معناه ذا سحر وهي الربة يقال لها سحر وسحر بضم السين ومنه قول عائشة رضي الله عنها توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري وسحري . ومنه قولهم للجبان أنتفخ سحره لأن الفارع تنتفخ ريته فكان مقصد الكفار بهذا التنبيه على أنه بشر أي ذا ربة قال ومن هذا يقال لكل من يأكل ويشرب من أدمي وغيره مسحور ومسحر ومنه قول امرئ القيس # (ونسحر بالطعام وبالشراب %) + الوافر + # وقول لبيد # (فإن تسألينا فيم نحن فإننا % عسافير من هذا الأنام المسحر) + الطويل + # ومنه السحور وهو إلى هذه اللفظة أقرب منه إلى السحر ويشبه أن يكون من السحر كالصباح من الصباح والآية التي بعد هذا تقوي أن اللفظة التي في الآية من السحر بكسر السين لأن حينئذ في قولهم ضرب مثل له وأما على أنها من السحر الذي هو الربة ومنه التغذي وأن تكون الإشارة إلى أنه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل بل هي صفة حقيقة له . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 48 - 51 \$ # ضرب المثل له هو قولهم مسحور ساحر مجنون متكهن لأنه لم يكن عندهم متيقنا بأحد هذه

@ 462 @ فإنما كانت منهم على جهة التشبيه ثم رأى الوليد بن المغيرة أن أقرب هذه الأمور على تخيل الطارين عليهم هو أنه ساحر ثم حكم الله عليهم بالضلال وقوله ^{هـ} فلا يستطيعون سبيلا ^{هـ} يحتمل معنيين أحدهما لا يستطيعون سبيلا إلى الهدى والنظر المؤدي إلى الإيمان فجزى الآية مجرى قوله ^{هـ} وجعلنا على قلوبهم أكنة ^{هـ} ونحو هذا والآخر لا يستطيعون سبيلا إلى فساد أمرك وإطفاء نور الله فيك بزعمهم الأمثال لك واتباعهم كل حيلة في جهنك وحكى الطبري أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه وقوله ^{هـ} إذا كنا عظاما ^{هـ} الآية هذه الآيات في إنكارهم البيعت وهذا منهم تعجب وإنكار واستبعاد والرفات من الأشياء ما مر عليه الزمن حتى بلغ به غاية البلى وقربه من حالة التراب يقال رفت رفقا فهو مرفوت وفعال بناء لهذا المعنى كالحطام والفتات والرصاص والرصاص والدقاق ونحوه وقال ابن عباس ^{هـ} رفاتا ^{هـ} غبارا وقال مجاهد ترابا واختلف القراء في هذين الاستفهامين فقرا ابن كثير وأبو عمرو أيذا كنا ترابا أي جميعا بالاستفهام غير أن أبا عمرو يمد الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مدة وقرأ نافع الأولى مثل أبي عمرو واختلف عنه في المد وقرأ الثانية إنا مكسورة على الخبر ووافق الكسائي في اكتفائه بالاستفهام الأول من الثاني غير أنه كان يهمز همزتين وقرأ عاصم وحمزة إذا إنا بهمزتين فيهما وقرأ ابن عامر إذا كنا مكسورة الألف من غير استفهام إنا يهمز ثم يمد ثم يهمز . # ويروى عنه مثل قراءة حمزة وفي سورة الرعد توجيه هذه القراءات و ^{هـ} جديدا ^{هـ} صفة لما قرب حدوثه من الأشياء وهكذا يوصف به المذكر والمؤنث فيقال ملحفة جديد وقولهم جديدة لغة ضعيفة كذا قال سيبويه وقوله تعالى ^{هـ} قل كونوا حجارة أو حديدا ^{هـ} الآية المعنى قل لهم يا محمد كونوا إن استطعتم هذه الأشياء الصعبة الممتنعة الثاني لا بد من بعثكم وقوله ^{هـ} كونوا ^{هـ} هو الذي يسميه المتكلمون التعجيز من أنواع لفظة افعل وبهذه الآية مثل بعضهم وفي هذا عندي نظر وإنما التعجيز حيث يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب كقوله تعالى ^{هـ} فادرؤوا عن أنفسكم الموت ^{هـ} ونحوه وأما هذه الآية فمعناها كونوا بالتوهم والتقدير كذا وكذا الذي فطرتم كذلك هو يعيدكم وقال مجاهد أراد ب الخلق الذي يكبر في الصدور السماوات والأرض والجبال وقال ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمرو والحسن وابن جبير والضحاك أراد الموت وقال قتادة ومجاهد بل أحال على فكرتهم عموما ورجحه الطبري وهذا هو الأصح لأنه بدأ بشيء صلب ثم تدرج القول إلى أقوى منه ثم أحال على فكرهم إن شاؤوا في أشد من الحديد فلا وجه لتخصيص شيء دون شيء ثم احتج عليهم عز وجل في الإعادة بالفطرة الأولى من حيث خلقهم واخترعهم من تراب فكذلك يعيدهم إذا شاء لا رب غيره وقوله ^{هـ} فسينغضون ^{هـ} معناه يرفعون ويخفضون يريد على جهة التكذيب قال ابن عباس والاستهزاء . # قال الزجاج تحريك من يبطل الشيء ويستبطئه ومنه قول الشاعر # (أنغض نحوي رأسه وأقعنا % كأنما أبصر شيئا أطمعا) + الرجز + # ويقال نغضت السن إذا تحركت وقال ذو الرمة # (طعائن لم يسكن أكناف قرية % بسيف ولم تنغض بهن القناطر) + الطويل +

@ 463 @ # قال الطبري وابن سلام و ^{هـ} عسى ^{هـ} من الله واجبة والمعنى وهو قريب . # قال القاضي أبو محمد وهذه إنما هي من النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها بأمر الله فيقربها ذلك من الوجوب وكذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وفي ضمن اللفظ توعد لهم . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 52 - 55 \$ # يوم ^{هـ} بدل من قوله ^{هـ} قريبا ^{هـ} ويظهر أن يكون المعنى هو يوم جوابا لقولهم ^{هـ} متى هو ^{هـ} ذاته ويريد يدعوكم من قبوركم بالنفخ في الصور ليقيم الساعة وقوله ^{هـ} فتستنجييون ^{هـ} أي بالقيام والعودة والنهوض نحو الدعوة وقوله ^{هـ} بحمده ^{هـ} حكى الطبري عن ابن عباس أنه قال معناه بأمره وكذلك قال ابن جريج وقال قتادة معناه بطاعته ومعرفته وهذا كله تفسير لا يعطيه اللفظ ولا شك أن جميع ذلك بأمر الله تعالى وإنما معنى ^{هـ} بحمده ^{هـ} إما أن جميع العالمين كما قال ابن جبير يقومون وهم يحمدون الله ويحمدونه لما يظهر لهم من قدرته وإما أن قوله ^{هـ} بحمده ^{هـ} هو كما تقول لرجل خصمته وحاورته في علم قد أخطأت بحمد الله فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم في هذه الآيات عسى أن الساعة قريبة يوم تدعون فيقومون بخلاف ما تعتقدون الآن وذلك بحمد الله على صدق خبري نحا هذا المنحى الطبري ولم يخلصه وقوله تعالى ^{هـ} وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ^{هـ} يحتمل معنيين أحدهما أنه أخبر أنهم لما رجعوا إلى حالة الحياة وتصرف الأجساد وقع لهم ظن أنهم لم ينفصلوا عن حال الدنيا إلا قليلا لمغيب علم مقدار الزمن عنهم إذ من في الآخرة لا يقدر زمن الدنيا إذ هم لا محالة أشد مفارقة لها من النائمين وعلى هذا التأويل عول الطبري واحتج بقوله تعالى ^{هـ} كم لبثت في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ^{هـ} والآخر أن يكون الظن بمعنى اليقين فكانه قال لهم يوم تدعون فتستنجييون بحمد الله وتيقنون أنكم إنما لبثتم قليلا من حيث هو منقضى منحصر وهذا كما يقال في الدنيا بأسرها متاع قليل فكانه قلة قدر على أن الظن بمعنى اليقين يخلقها هنا لأنه في شيء قد وقع وإنما يجيء الظن بمعنى اليقين فيما لم يخرج بعد إلى الكون والوجود وفي الكلام تقوية للبعث كأنه يقول أنت أيها المكذب بالحشر الذي تعتقد أنك لا تبعث أبدا لا بد أن تدعى للبعث فتقوم وترى أنك إنما لبثت قليلا منقضا منصرما وحكى الطبري عن قتادة أنهم لما رأوا هول يوم القيامة احتقروا الدنيا فظنوا أنهم لبثوا فيها قليلا . # وقوله تعالى ^{هـ} وقل لعبادي ^{هـ} الآية اختلف النحويون في قوله ^{هـ} يقولوا ^{هـ} فمذهب سيبويه أنه جواب شرط مقدر تقديره وقل لعبادي إنك إن تقل لهم يقولوا وهذا على أصله في أن الأمر لا يجاب وإنما يجاب معه شرط مقدر ومذهب الأخفش أن الأمر

@ 464 @ يجاب وأن قوله ها هنا ^{هـ} يقولوا ^{هـ} إنما هو جواب ^{هـ} قل ^{هـ} . # قال القاضي أبو محمد ولا يصح المعنى على هذا بأن يجعل ^{هـ} قل ^{هـ} مختصة بهذه الألفاظ على معنى أن يقول لهم النبي قولوا التي هي أحسن وإنما يصح بأن يكون ^{هـ} قل ^{هـ} أمرا بالمحاوره في هذا المعنى بما أمكن من الألفاظ كأنه قال بين لعبادي فتكون ثمرة ذلك القول والبيان قولهم ^{هـ} التي هي أحسن ^{هـ} وهذا المعنى يجوز مذهب سيبويه الذي قدمنا ومذهب أبي العباس المبرد أن ^{هـ} يقولوا ^{هـ} جزم بالأمر بتقدير ^{هـ} قل لعبادي ^{هـ} ليقولوا فحذفت اللام لتقدم الأمر وحكى يقولوا فحذف وطوي الكلام ومذهب الزجاج أن ^{هـ} يقولوا ^{هـ} جزم بالأمر بتقدير ^{هـ} قل لعبادي ^{هـ} ليقولوا فحذفت اللام لتقدم الأمر وحكى أبو علي في الحليات في تضاعيف كلامه أن مذهب أبي عثمان المازني في ^{هـ} يقولوا ^{هـ} أنه فعل مبني لأنه مضارع حل محل المبني الذي هو فعل الأمر لأن المعنى ^{هـ} قل لعبادي ^{هـ} قولوا واختلف الناس في ^{هـ} التي هي أحسن ^{هـ} فقالت فرقة هي لا إله إلا الله ويلزم على هذا أن يكون قوله ^{هـ} لعبادي ^{هـ} يريد به جميع الخلق لأن جميعهم مدعو إلى لا إله إلا الله . # ويجيء قوله بعد ذلك ^{هـ} إن الشيطان ينزع بينهم ^{هـ} غير مناسب للمعنى إلا على تكرهه بأن يجعل ^{هـ} بينهم ^{هـ} بمعنى خلالهم وأثناءهم ويجعل النزع بمعنى الوسوسة والإضلال وقال الجمهور ^{هـ} التي هي أحسن ^{هـ} هي المحاوره الحسنى بحسب معنى قال الحسن يقول يغفر الله لك يرحمك الله وقوله ^{هـ} لعبادي

خاص بالمؤمنين فكان الآية بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم وكونوا عباد الله إخوانا ثم اختلفوا فقالت فرقة أمر الله المؤمنين فيما بينهم بحسن الأدب وخفض الجناح وإلانة القول وأطراح نزغات الشيطان وقالت فرقة إنما أمر الله في هذه الآية المؤمنين بالآية القول للمشركين بمكة أيام المهادنة وسبب الآية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفرة فسيه عمر وهم يقتله فكان أن يثير فتنة فنزلت الآية وهي منسوخة بآية السيف وقرأ الجمهور ينزع بفتح الزاي وقرأ طلحة بن مصرف ينزع بكسر الزاي على الأصل قال أبو حاتم لعلها لغة والقراءة بالفتح ومعنى النزغ حركة الشيطان بسرعة ليوجب فسادا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح لا ينزع الشيطان في يده فهذا يخرج اللفظة عن الوسوسة وعداوة الشيطان البينة هي قصته مع آدم عليه السلام فيما بعد وقوله تعالى ربكم أعلم بكم الآية هذه الآية تقوي أن التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة وذلك أن هذه المخاطبة في قوله ربكم أعلم بكم هي لكفار مكة بدليل قوله وما أرسلناك عليهم وكيلا فكان الله عز وجل أمر المؤمنين أن لا يخاشنوا الكفار في الدين ثم قال للكفار إنه أعلم بهم ورجاهم وخوفهم ومعنى برحمتكم بالآية عليكم من الكفر قاله ابن جريج وغيره ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم فإنما عليك البلاغ ولسنت بوكيل على إيمانهم ولا بد فتتناسب الآيات بهذا التأويل ثم قال تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وربك أعلم بمن في السماوات والأرض وهو الذي فضل بعض الأنبياء على بعض بحسب علمه فيهم فهذه إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى استبعاد قريش أن يكون الرسول بشرا المعنى لا تنكروا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وإن أوتي قرآنا فقد فضل النبيون وأوتي داود زبوراً فالله أعلم حيث يجعل رسالاته وتفضيل بعض الرسل هو إما بهذا الإخبار المجمل دون أن يسمى المفضل وعلى هذا يتجه لنا أن نقول محمد

@ 465 أفضل البشر وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تعيين أحد منهم في قصة موسى ويونس وإما أن يكون التفضيل مقسما فيهم أعطي هذا التكليف وأعطيت هذه الخلقة ومحمد والخمس وعيسى الإحياء فكلهم مفضل على وجه فاضل على الإطلاق وقوله ربكم أعلم بكم في السماوات الباء متعلقة بفعل تقديره علم بمن في السماوات ذهب إلى هذا أبو علي لأنه لو علقها بربكم لاقضى أنه ليس بأعلم بغير ذلك. # قال القاضي أبو محمد وهذا لا يلزم ويصح تعلُّقها بربكم وأعلم بربكم ولا يلتفت لدليل الخطاب وقرأ الجمهور زبوراً بفتح الزاي وهو فعول بمعنى مفعول وهو قليل لم يجر إلا في قدوم وركوب وحلب وقرأ حمزة ويحيى والأعشى زبوراً بضم الزاي وله وجهان أحدهما أن يكون جمع زبور بحذف الزائد كما قالوا في جمع طريفق ظروف والآخري أن يكون جمع زبور كأن ما جاء به داود جزئ أجزاء كل جزء منها زبر سمي بمصدر زبر يزبر ثم جمع تلك الأجزاء على زبور فكانه قال أتينا داود كتبنا ويحتمل أن يكون جمع زبر الذي هو العقل وسداد النظر لأن داود أوتي من المواعظ والوصايا كثيرا ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في آخر كتاب مسلم وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له قال قتادة زبور داود مواعظ وحكم ودعاء ليس فيه حلال ولا حرام. # قوله عز وجل سورة الإسراء 56 - 59 الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم في هذه الآية ليسوا عبدة الأصنام وإنما هم عبدة من يعقل واختلف في ذلك. # فقال ابن عباس هي في عبدة العزيز والمسيح وأمه ونحوهم وقال ابن عباس أيضا وابن مسعود هي في عبدة الملائكة وقال ابن مسعود أيضا هي في عبدة شياطين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أولئك الشياطين وعبدتهم بقول يعبدونهم فنزلت الآية في ذلك. # وقال ابن عباس أيضا هي في عبدة الشمس والقمر والكواكب وعرزير والمسيح وأمه وأي ذلك كان فمعنى الآية قل لهؤلاء الكفرة ادعوا عند الشدائد والضرة هؤلاء المعبودين فإنهم لا يملكون كشفه ولا تحويله عنكم ثم أخبرهم على قراءة ابن مسعود وقتادة تدعون بالباء أو أخبر النبي صلى الله عليه وسلم على قراءة الجمهور يدعون بالياء من تحت أن هؤلاء المعبودين يطلبون التقرب إلى الله والتزلف إليه وأن هذه حقيقة حالهم وقرأ ابن مسعود إلى ربك والضمير في ربهم للمتعين أو

@ 466 @ للجمع والوسيلة هي القرية وسبب الوصول إلى البغية وتوسل الرجل إذا طلب الدنو والنيل لأمر ما وقال عنترة # (إن الرجال لهم إليك وسيلة %) ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من سأل الله لي الوسيلة الحديث. # وأهم ابتداء وأقرب خبر وأولئك يراد به المعبودون وهو ابتداء خبره يتبعون والضمير في يدعون للكفار وفي يتبعون للمعبودين والتقدير نظرهم ووكدهم أيهم أقرب وهذا كما قال عمر بن الخطاب في حديث الرابية بخير فبات الناس يدعونهم يعطاها أي يتبارون في طلب القرب وطفف الزجاج في هذا الموضع فتأمله وقال ابن فورق وغيره إن الكلام من قوله أولئك الذين راجع إلى النبيين المتقدم ذكرهم فيدعون على هذا من الدعاء بمعنى الطلبة إلى الله والضمائر لهم في يدعون وفي يتبعون وباقي الآية بين. # وقوله تعالى وإن من قرية الآية أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه ليس مدينة من المدن إلا هي هالكة قبل يوم القيامة بالموت والفناء هذا مع السلامة وأخذها جزءا أو هي معذبة مأخوذة مرة واحدة فهذا عموم في كل مدينة ومن لبيان الجنس وقيل المراد الخصوص وإن من قرية ظالمة وحكى النقاش أنه وجد في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسير هذه الآية استقرار البلاد المعروفة اليوم وذكر لهلاك كل قطر منها صفة ثم ذكر نحو ذلك عن وهب بن منبه فذكر فيه أن هلاك الأندلس وخرابها يكون بسنايك الخيل واختلاف الجيوش فيها وتركت سائرنا لعدم الصحة في ذلك والمعلوم أن كل قرية تهلك إما من جهة الفحوظ والخسيف غرقا وإما من الفتن أو منهما وصور ذلك كثيرة لا يعلمها إلا الله عز وجل فأما ما هلك بالفتنة فعن ظلم ولا بد إما في كفر أو معاص أو تقصير في دفاع وحزامة وأما القحط فيصيب الله به من يشاء وكذلك الخسيف. # وقوله مهلكوها الضمير لها وفي ضمن ذلك الأهل وقوله معذبوها هو على حذف مضاف فإنه لا يعذب إلا الأهل وقوله في الكتاب يريد في سابق القضاء وما خطه القلم في اللوح المحفوظ والمسطور المكتوب إسطارا وقوله تعالى وما معنا أن نرسل الآية هذه العبارة في معناها هي على ظاهر ما تفهم العرب فسمى سبق قضائه بتكذيب من كذب وتعذبه منعاً وأن الأولى في موضع نصب والثانية في موضع رفع والتقدير وما معنا الإرسال إلا التكذيب وسبب هذه الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذبها واقترح بعضهم أن يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا الأرض فأوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم إن شئت أن أفعل ذلك لهم فإن تأخروا عن الإيمان عاجلتهم العقوبة وإن شئت استأنيت بهم عسى أن أجتبي منهم مؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تستأنى بهم يا رب فأخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لم يمنعه من إرسال الآيات المقترحة إلا الاستئناء إذ قد سلفت عادته بمعالجة الأمم الذين جاءتهم الآيات المقترحة فلم يؤمنوا قال الزجاج أخبر تعالى أن موعد كفار هذه الأمة الساعة بقوله بل الساعة موعدهم فهذه الآية تنظر إلى ذلك ثم ذكر أمر احتجاجا إن قال منهم قائل نحن كنا نؤمن لو جاءتنا آية اقترحناها ولا نكفر بوجه فذكر الله تعالى ثمود بمعنى لا تؤمنون إن تظلموا بالآية كما ظلمت ثمود بالناقة وقرأ الجمهور ثمود بغير

@ 467 @ تنوين قال هارون أهل الكوفة ينونون ثمودا في كل وجه قال أبو حاتم لا تنون العامة والعلماء بالقرآن ثمود في وجه من الوجوه وفي أربعة مواطن ألف مكتوبة ونحن نقرأها بغير ألف وقوله مبصرة على جهة النسب أي معها إبصار كما قال آية النهار مبصرة أي معها إبصار ممن ينظر وهذا عبارة عن بيان أمرها ووضوح أعجازها وقرأ قوم مبصرة بضم الميم وفتح الصاد حكاة الزجاج ومعناه متبينة وقرا قتادة مبصرة بفتح الميم والصاد وهي مفعلة من البصر ومثله قول عنترة # (الكفر مخبئة لنفس المنعم % الكامل + # وقوله فظلموا بها أي وضعوا الفعل غير موضعه أي بعقرها وقيل بالكفر في أمرها ثم أخبر الله تعالى أنه إنما يرسل بالآيات غير المقترحة تخويفا للعباد وهي آيات معها إمهال لا معالجة فمن ذلك الكسوف والرعذ والزلزلة وقوس قزح وغير ذلك قال الحسن والموت الذريع وروي أن الكوفة رجفت في مدة عبد الله بن مسعود. # فقال أيها الناس إن ربكم يستعجبكم فاعتبوه ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فافزعوا إلى الصلاة الحديث وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام فقسم عام في كل شيء إذ حيثما وضعت نظرك وجدت آية وهنا فكرة العلماء وقسم معتاد غيا كالرعذ والكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة فقط وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وإنما يعتبر به توهم لما سلف منه. # قوله عز وجل سورة الإسراء 60 قال الطبري معني قوله وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس أي في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك فالآية إخبار له بأنه محفوظ من الكفرة آمن أن يقتل أو ينال بمكروه عظيم أي فالتبليغ رسالة ربك ولا تهيب أحدا من المخلوقين وهذا تأويل بين جار مع

اللفظ وقد روي نحوه عن الحسن بن أبي الحسن والسدي إلا أنه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة ويحتمل أن يجعل الكلام مناسبة لما بعده توطئة له فأقول اختلف الناس في ^ الرؤيا ^ فقال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء قالوا فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الإسراء بما رأى في تلك الليلة من العجائب قال الكفار إن هذا لعجيب تحت الهداة إلى بيت المقدس شهرين إقبالا وإدبارا ويقول محمد إنه جاءه من ليلة وأنصرف منه فافتتن بهذا التلييس قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآيات فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله ^ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ^ أي في إضلالهم وهدايتهم وأن كل واحد ميسر لما

@ 468 @ خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قيل لك إن الله محيط بهم مالك لأمرهم وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر وسميت الرؤية في هذا التأويل رؤيا إذ هما مصدران من رأى وقال النقاش جاء ذلك على اعتقاد من اعتقد أنها منامة وإن كانت الحقيقة غير ذلك . # وقالت عائشة ^ الرؤيا ^ في الإسراء رؤيا منام وهذا قول الجمهور على خلافه وهذه الآية تقضي بفساده وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان أحد لينكرها وقد ذكر هذا مستوعبا في صدر السورة وقال ابن عباس ^ الرؤيا ^ التي في هذه الآية هي رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية فرد فافتتن المسلمون بذلك فنزلت الآيات وقال سهل بن سعد إنما هذه الرؤيا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بني أمية ينزون على منبره نزل القردة فاهتم لذلك وما استجمع صاحكا من يومئذ حتى مات فنزلت الآية مخيرة أن ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر إنما يجعلها الله فتنة للناس وامتحانا ويحيى قوله ^ أحاط بالناس ^ أي بأقداره وأن كل ما قدره نافذ فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك وقد قال الحسن بن علي في خطبته في شأن بيعته لمعاوية ^ وإن أدري لعله فتنة لكم ومناجاة إلى حين ^ وفي هذا التأويل نظر ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان بن عفان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاوية وقوله ^ والشجرة الملعونة في القرآن ^ معطوفة على قوله ^ الرؤيا ^ أي جعلنا الرؤيا والشجرة فتنة ^ والشجرة ^ هنا في قول الجمهور في شجرة الزقوم وذلك أن أمرها لما نزل في سورة الصافات قال أبو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تثبت الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ثم أمر أبو جهل جارية له فأحضرتم تمرا وزبدا وقال لأصحابه تزفموا فافتتن أيضا بهذه المقالة بعض الضعفاء فأخبر الله نبيه أنه إنما جعل الإسراء وذكر شجرة الزقوم فتنة واختبارا ليكفر من سبق عليه الكفر ويصدق من سبق له الإيمان كما روي أن أبا بكر الصديق قيل له صبيحة الإسراء إن صاحبك يزعم أنه جاء البارحة بيت المقدس وأنصرف منه فقال إن كان ذلك فلقد صدق فقيل له اتصدقه قيل أن تسمع منه قال أين عقولكم أنا أصدقه بخبر السماء فكيف لا أصدقه بخبر بيت المقدس والسماء أبعد منها بكثير . # وقالت فرقة ^ والشجرة ^ إشارة إلى القوم المذكورين قيل في ^ الرؤيا ^ . # قال القاضي أبو محمد وهذا قول ضعيف محدث وليس هذا عن سهل بن سعد ولا مثله وقال الطبري عن ابن عباس إن ^ الشجرة الملعونة ^ يريد الملعون أكلها لأنها لم يجر لها ذكر . # قال القاضي أبو محمد ويصح أن يريد ^ الملعونة ^ هنا فأكد الأمر بقوله ^ في القرآن ^ وقالت فرقة ^ الملعونة ^ المبعدة المكروهة وهذا أراد أنها لعنة اللعنة المتعارف وهذا قريب في المعنى من الذي قبله وأيضا فما بنيت في أصل الجحيم فهو في نهاية البعد من رحمة الله وقوله ^ ونخوفهم ^ يريد إما كفار مكة وإما الملوك من بني أمية بعد الخلافة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا والأول منها أصوب كما قلنا قبل وقوله ^ فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ^ يريد كفرهم وانتهاكهم فيه كقول أبي جهل في الزقوم والتزقم فقد قال النقاش إن في ذلك نزلت وفي نحوه وقرأ الأعمش ونخوفهم بالنون .

@ 469 @ # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 61 - 65 \$ # المعنى واذكر إذ قلنا وكذلك ^ إذا ^ في الآية المتقدمة هي منصوبة بفعل مضمر وقد تقدم في غير موضع ذكر خلق آدم وأمر السجود واختلف في قوله ^ إلا إبليس ^ فقيل هو استثناء منقطع لأن ^ إبليس ^ لم يكن من الملائكة وقيل هو متصل لأن إبليس من الملائكة وقوله ^ طينا ^ يصح أن يكون تمييزا ويصح أن يكون حالا وقاس ^ إبليس ^ في هذه النازلة فأخطأ وذلك أنه رأى الفضيلة لنفسه من حيث رأى النار أفضل من الطين وجهل أن الفضائل في الأشياء إنما تكون حيث خصصها الله تعالى ولا ينظر إلى أصولها . # وذكر الطبري عن ابن عباس أن إبليس هو الذي أمره الله فأخذ من الأرض طينة آدم والمشهور أنه ملك الموت وكفر إبليس في أن جهل صفة العدل من الله تعالى حين لحقته الأنفة والكبر وكان أصل ذلك الحسد ولذلك قيل إن أول ما عصي الله بالحسد وظهر ذلك من إبليس من قوله ^ أرايتك هذا الذي كرمت علي ^ أنا خير منه ^ حسبا ذكر الله في آية أخرى . # فهذا هو النص بأن فعلك غير مستقيم والكاف في قوله ^ أرايتك ^ هي كاف خطاب ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الإعراب فهي زائدة ومعنى أرايت أتأملت ونحوه كان المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه عليه بعد وقال سيبويه هي بمعنى أخبرني ومثل بقوله أرايتك زيدا أبو من هو وقاله الزجاج في ^ آياتنا ^ ولم يمثل وقول سيبويه صحيح حيث يكون بعدها استفهام كمثاله وأما في هذه الآية فهي كما قلت وليست التي ذكر سيبويه رحمه الله وقرأ ابن كثير آخرتي بياء في الوصل والوقف وهذا هو الأصل وليس هذا الموضوع كالفافية التي يحسن فيها الحذف كمثل قول الأعشى # (فهل بمعني ارتياد البلاد % من حذر الموت أن يأتين) + المتقارب + # وقرأ نافع وأبو عمرو بالياء في الوصل وحذفها في الوقف وقرأ ابن عامر وعاصم وحمره والكسائي آخرتن بحذف الياء في الوصل والوقوف وهذا تشبيه بياء قاض ونحوه لكونها باء متطرقة قبلها كسرة ومنه قوله تعالى ^ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ^ وقوله ^ لاحتنكن ^ معناه لأميلن

@ 470 @ ولأجرن وهو مأخوذ من تحنيك الدابة وهو أن يشد على عنقها بحبل أو غيره فتتقاد وألسنة تحتك المال أي تجتره ومنه قول الشاعر # (نشكو إليك سنة قد أجمعت % جهدا إلى جهد بنا فأضعفت) # (واحتنكت أموالنا وجلفت %) # ومن هذا الشعر قال الطبري ^ لاحتنكن ^ معناه لاستأصلن وعبر ابن عباس في ذلك ب الأستولين وقال ابن زيد لأصلن وهذا بدل اللفظ لا تفسير وحكم إبليس بهذا الحكم على ذرية آدم من حيث رأى الخلقه مجوفة مختلفة الأجزاء وما اقترن بها من الشهوات والعوارض كالغضب ونحوه ثم استثنى القليل لعلمه أنه لا بد أن يكون في ذريته من يصلب في طاعة الله وقوله ^ اذهب ^ وما بعده من الأوامر هو صيغة افعل من التهديد كقوله تعالى ^ اعملوا ما شئتم ^ و ^ تبع ^ معناه في طريق الكفر الذي تدعو إليه فالآية في الكفار وفي من ينفذ عليه الوعيد من العصاة وقوله ^ جزاء ^ مصدر في موضع الحال والموفور المكمل ^ واستغرز ^ معناه استخف واخذ حتى يقع في إرادتك تقول استغزني فلان في كذا إذا خدعتك حتى تقع في أمر أراده ومن الخفة قيل لولد البقرة فز ومثله قول زهير # (كما استغاث بسبي فز غيظلة % خاف العيون فلم ينظر به الحشك) # والصوت هنا قيل هو الغناء والمزامير والملاهي لأنها أصوات كلها مختصة بالمعاصي فهي مضافة إلى ^ الشيطان ^ قاله مجاهد وقيل معناه بدعائك إياهم إلى طاعتك قال ابن عباس صوته كل داع إلى معصية الله والصواب أن يكون الصوت يعم جميع ذلك . # وقوله ^ وأجلب ^ أي هول والجلية الصوت الكثير المختلط الهائل وقرأ الحسن وأجلب بوصل الألف وضم اللام . # وقوله ^ بخيلك ورجلك ^ قيل هذا مجاز واستعارة بمعنى اسمع سعيك وأبلغ جهدك وقيل معناه أن له من الجن خيلا ورجلا قتادة وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون في الباطل فإنهم كلهم أعوان لإبليس على غيرهم قاله مجاهد وقرأ الجمهور ورجلك بسكون الجيم وهو جمع راجل كناجر وتجر وصاحب وصاحب وشارب وشرب وقرأ حفص عن عاصم ورجلك بكسر الجيم على وزن فعل وكذلك قرأ الحسن وأبو عمرو بخلاف عنه وهي صفة تقول فلان يمشي رجلا غير راكب ومنه قول الشاعر # (أنا أقاتل عن ديني على فرسي % ولا كذا رجلا إلا بأصحابي) + البسيط + # وقرأ قتادة وعكرمة ورجالك . # # وشاركهم في الأموال ^ عام لكل معصية يصنعها الناس بالمال فإن ذلك المصرف في المعصية هو خط إبليس فمن ذلك البحائر وشبهها ومن ذلك مهر البغي وثمان الخمر وحلوان الكاهن والربا وغير ذلك مما يوجد في الناس دأبا وقوله ^ والأولاد ^ عام لكل ما يصنع في أمر الذرية من المعاصي فمن ذلك الإيلاد بالزنا ومن ذلك تسميتهم عبد شمس وعبد الجدي وأبا الكويفر وكل اسم مكروه ومن ذلك الواد الذي كانت العرب تفعله ومن ذلك صنعهم في أديان الكفر

@ 471 @ وغير هذا وما أدخل النقاش من وطء الجن وأنه تحبل المرأة من الإنس فضعيف كله . # وقوله ^ وعدهم ^ أي منهم بما لا يتم لهم وبأنهم غير مبعوثين فهذه مشاركة في النفوس ثم أخبر الله تعالى أنه يعدهم ^ غرورا ^ منه لأنه لا يغني عنهم شيئاً وقوله ^ إن عبادي ^ الآية قول من الله تعالى لإبليس وقوله ^ عبادي ^ يريد المؤمنين في الكفر والمتقين في المعاصي وخصهم باسم العباد وإن كان اسماً عاماً لجميع الخلق من حيث قصد تشريفهم والتنويه بهم كما يقول رجل لأحد بنيه إذا رأى منه ما يحب هذا ابني على معنى التنبيه منه والتشريف له ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص هذا خالي فيليرني امرؤ خاله والسلطان الملكة والتغلب وتفسيره هنا بالحجة قلق ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ^ وكفى بربك ^ يا محمد حافظاً للمؤمنين وقبماً على هدايتهم . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 66 - 69 # الإجزاء سوق الثقيل السير إما لضعف أو ثقل حمل أو غيره فالإبل الضعاف تزجي ومنه قول الفرزدق # (على زواحف تزجها محاسير) + البسيط + # والسحاب تزجي ومنه قوله تعالى ^ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ^ والبصاعة المزجاة هي التي تحتاج لاختلالها أن تساق بشفاعة وتدفع بمعاون إلى الذي يقبضها وإزاء ^ الفلك ^ سوقه بالريح اللينة والمجاديف و ^ الفلك ^ و ^ البحر ^ الماء الكثير عذبا كان أو ملحا وقد غلب الاسم على هذا المشهور و ^ الفلك ^ تجري فيها . # وقوله ^ لتبتغوا من فضله ^ لفظ يعم البصر وطلب الأجر في حج أو غزو ونحوه ولا خلاف في جواز ركوبه للحج والجهاد والمعاش واختلف في وجوبه للحج أعني الكثير منها واختلف في كراهيته للثروة وتزويد المال وقد روي عنه أنه قال البحر لا أركبه أبداً وهذا حديث يحتمل أن رأي رآه لنفسه ويحتمل أنه أوحى إليه ذلك وهذه الآية توقيف على آلاء الله وفضله عند عبادته . و ^ الصر ^ لفظ يعم خوف الغرق والامتسك في المشي وأهول حالاته اضطرابه وتموجه . # وقوله ^ صل ^ معناه تلف وفقد وهي عبارة تحقير لمن يدعي إلهاً من دون الله والمعنى في هذه الآية أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم أنها شافعة وأن لها فضلاً وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علماً لا يقدر على مدافعتها أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام فوفقهم الله من ذلك على حالة البحر . وقوله

@ 472 @ ^ أعرضتم ^ أي لم تفكروا في صنع الله وقت حاجتكم إليه وقوله ^ كفورا ^ أي بالنعم . # و ^ الإنسان ^ هنا للجنس وكل أحد لا يكاد يؤدي شكر الله تعالى كما يجب وقال الزجاج ^ الإنسان ^ يراد به الكفار وهذا غير بارع . # وقوله ^ أفأنتم ^ الآية المعنى ^ أفأنتم ^ أيها المعرضون الناسون الشدة حين صرتم إلى الرخاء أن يخسف الله بكم مكانكم من البر إذا أنتم في قبضة القدرة في البحر والبر . # والحاصب العارض الرامي بالبرد والحجارة ونحو ذلك ومنه قول الشاعر # (مستقبلين شمال الشام تضربنا % بحاصب كنديف القطن منثور) + البسيط + # ومنه قول الأخطل # (ترمي العصاة بحاصب من ثلجها % حتى يبيت على العصاه جمالا) + الكامل + # ومنه الحاصب الذي أصاب قوم لوط والحصب الرمي بالحصياء وهي الحجارة الصغار وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يخسف بالياء على معنى يخسف الله وكذلك يرسل ويعيد ويرسل ويغرق وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ذلك كله بالنون وقرأ أبو جعفر ومجاهد تغرقكم بالتاء أي الريح وقرأ حميد نغرقكم بالنون حقيقة وأدغم القاف في الكاف ورويت عن أبي عمرو وابن محيصن وقرأ الحسن وأبو رجاء يغرقكم بشد الراء . # والوكيل القائم بالأمر والقاض الذي يكسر كل ما يلقى ويقصفه و ^ تارة ^ وعدت غزلائهم فكانها % ضوامن عزم لزهن تبع) + الطويل + # ومن هذه اللفظة قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتبع أحدكم على ملي فليتبع فالمعنى لا تحدون من يتبع فعلنا بكم ويطلب نصرتمكم . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 70 - 75 # كرمنا ^ تضعيف كرم فالمعنى جعلنا لهم كرماً أي شرفاً وفضلاً وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال وإنما هو كما تقول ثوب كريم أي جمه محاسنه .

@ 473 @ # قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه وهذه الآية عدد الله تعالى فيها على بني آدم ما خصهم به من بين سائر الحيوان والحيوان والجن هو الكثير المفضل والملائكة هم الخارجون عن الكثير المفضل وجملمهم ^ في البر والبحر ^ مما لا يصلح لحيوان سوي بني آدم أن يكون يحمل إرادته وقصده وتديبره ^ في البر والبحر ^ جميعاً والرزق ^ من الطيبات ^ ولا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ويلبسون الثياب ويأكلون المركبات من الأطعمة وغاية كل حيوان أن يأكل لحماً نياً أو طعاماً غير مركب والرزق كل ما صح الانتفاع به وحكى الطبري عن جماعة أنهم قالوا التفضيل هو أن يأكل بيديه وسائر الحيوان بالفم وقال غيره وأن ينظر من إشراف أكثر من كل حيوان ويمشي قائماً ونحو هذا من التفضيل وهذا كله غير محذوق وذلك للحيوان من هذا النوع ما كان يفضل به ابن آدم كجري الفرس وسمعه وإبصاره وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك وإنما التكريم والتفضيل بالعقل الذي يملك به الحيوان كله وبه يعرف الله عز وجل ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه وقالت فرقة هذه الآية تقضي بفضل الملائكة على الإنس من حيث هم المستثنون وقد قال تعالى ^ ولا الملائكة المقربون ^ وهذا غير لازم من الآية بل التفضيل بين الإنس والجن لم تعن به الآية بل يحتمل أن الملائكة أفضل ويحتمل التساوي وإنما صح تفضيل الملائكة من مواضع آخر من الشرع وقوله تعالى ^ يوم ندعو ^ الآية يحتمل قوله ^ يوم ^ أن يكون منصوباً على الطرف والعامل فيه فعل مضمر تقديره أنكروا أو فعل يدل عليه قوله ^ ولا يظلمون ^ تقديره ولا يظلمون يوم ندعو . # ثم فسره ^ يظلمون ^ الأخير ويصح أن يعمل فيه ^ وفضلناهم ^ وذلك أن فضل البشر يوم القيامة على سائر الحيوان بين لأنهم المنعمون المكلمون المحاسبون الذين لهم القدر إما أن هذا يرده أن الكفار يومئذ أخسر من كل حيوان إذ يقول الكافر باليتني كنت تراباً ولا يعمل فيه ^ ندعو ^ لأنه مضاف إليه ويحتمل أن يكون ^ يوم ^ منصوباً على البناء لما أضيف إلى غير متمكن ويكون موضعه رفعا بالابتداء والخبر في التقسيم الذي أتى بعد في قوله ^ فمن أوتي ^ إلى قوله ^ ومن كان ^ . # وقرأ الجمهور ندعو بنون العظمة وقرأ مجاهد يدعو بالياء على معنى يدعو الله ورويت عن عاصم . # وقرأ الحسن يدعو بضم الياء وسكون الواو وأصلها يدعى ولكنها لغة لبعض العرب يقلبون هذه الألف واوا فيقولون افعو حبلو ذكرها أبو الفتح وأبو علي في ترجمة أعمى بعد وقرأ الحسن كل بالرفع على معنى يدعى كل وذكر أبو عمرو الداني عن الحسن أنه قرأ يدعى كل و ^ أناس ^ اسم جمع لا واحد له من لفظه وقوله ^ بإمامهم ^ يحتمل أن يريد باسم إمامهم ويحتمل أن يريد مع إمامهم فعلى التأويل الأول يقال يا أمة محمد وبا أتباع فرعون ونحو هذا وعلى التأويل الثاني تجيء كل أمة معها إمامها من هاد أو مضل واختلف المفسرون في الإمام فقال مجاهد وقتادة نبيهم وقال ابن زيد كتابهم الذي نزل عليهم وقال ابن عباس والحسن كتابهم الذي فيه أعمالهم وقالت فرقة متبعهم من هاد أو مضل ولفظة الإمام تعم هذا كله لأن الإمام هو ما يؤتم به ويهتدى به في المقصد ومنه قيل لخطب البناء إمام قال الشاعر يصف قدحا # (وقومته حتى إذا تم واستوى % كمخة ساق أو كمتن إمام) + الطويل + # ومنه قيل للطريق إمام لأنه يؤتم به في المقاصد حتى ينهي إلى المراد وقوله ^ فمن أوتي كتابه

@ 474 @ بيمينه) حقيقة في أن في يوم القيامة صحائف تتطاير وتوضع في الأيمان لأهل الإيمان وفي الشمائل لأهل الكفر وتوضع في أيمن المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد فسيستفيدون منها أنهم غير مخلصين في النار وقوله ^ يقرؤون كتابهم ^ عبارة عن السرور بها أي يرددونها ويتأملونها وقوله ^ ولا يظلمون قليلاً ^ أي ولا أقل ولا أكثر فهذا هو مفهوم الخطاب حكم المسكوت عنه كحكم المذكور . # كقوله تعالى ^ فلا تقل لهما أف ^ وكقوله ^ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ^ وهذا كثير ومعنى الآية أنهم لا يخسرون من جزاء أعمالهم الصالحة شيئاً والفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة يضرب به المثل في القلة وتفاهة القدر وقوله ^ ومن كان ^ الآية قال محمد بن أبي موسى الإشارة بهذه إلى النعم التي ذكرها في قوله ^ ولقد كرمنا بني آدم ^ أي من عمي عن شكر هذه النعم والإيمان لمسديها فهو في أمور الآخرة وشأنها ^ أعمى ^ . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل ^ أعمى ^ الثاني أن يكون بمنزلة الأول على أنه تشبيه بأعمى البصر ويحتمل أن يكون صفة تفضيل أي أشد عمى والأعمى في هذه الآية هو عمى القلب في الأول والثاني وقال ابن عباس ومجاهد قتادة وابن زيد الإشارة بهذه إلى الدنيا أي من كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وغيره والإيمان بأنبيائه فهو في الآخرة أعمى إما أن يكون على حذف مضاف أي في شأن الآخرة وإما أن يكون فهو في يوم القيامة أعمى على معنى أنه حيران لا يتوجه له صواب ولا يلوح له نجح قال مجاهد فهو في الآخرة أعمى عن حجته . # قال القاضي أبو محمد والظاهر عندي أن الإشارة ب ^ هذه ^ إلى الدنيا أي من كان في دنياه هذه ووقت إدراكه وفهمه أعمى عن النظر في آيات الله فهو

في يوم القيامة أشد حيرة وأعمى لأنه قد باشر الخيبة ورأى مخايل العذاب وبهذا التأويل تكون معادلة للتي قبلها من ذكر من يؤتى كتابه يمينه وإذا جعلنا قوله ^ في الآخرة ^ بمعنى في شأن الآخرة لم تطرد المعادلة بين الآيتين . # وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم أعمى في الموضوعين بغير إمالة وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بخلاف عنه في الموضوعين بإمالة وقرأ أبو عمرو بإمالة الأول وفتح الثاني وتأوله بمعنى أشد عمى ولذلك لم يمله قال أبو علي لأن الإمالة إنما تحسن في الأواخر و ^ أعمى ^ ليس كذلك لأن تقديره أعمى من كذا فليس يتم إلا في قولنا من كذا فهو إذا ليس بأخر ويقوي هذا التأويل قوله عطفاً عليه ^ وأصل سبيلا ^ فإنما عطف ^ أصل ^ الذي هو أفعل من كذا على ما هو شبيه به وإنما جعله في الآخرة ^ أصل سبيلا ^ لأن الكافر في الدنيا يمكن أن يؤمن فينجو وهو في الآخرة لا يمكنه ذلك فهو ^ أصل سبيلا ^ وأشد حيرة وأقرب إلى العذاب وقول سببويه رحمه الله لا يقال أعمى من كذا كما يقال ما أبداه إنما هو في عمى العين الذي لا تفاضل فيه وأما في عمى القلب فيقال ذلك لأنه يقع فيه التفاضل وذكر مكى في هذه الآية أن العمى الأول هو عمى العين عن الهدى وهذا بين الاختلال والله المعين . # وقوله ^ وإن كادوا ليفتنونك ^ الآية ^ إن ^ هذه عند سببويه هي المخففة من الثقلية واللام في قوله ^ ليفتنونك ^ لام تأكيد و ^ إن ^ هذه عند الفراء بمعنى ما واللام بمعنى إلا والضمير في قوله ^ كادوا ^ قيل هو لقريش وقيل لثقيف فأما لقريش فقال ابن جبير ومجاهد نزلت الآية لأنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا

@ 475 @ ندعك تستلم الحجر الأسود حتى تمس أيضاً أوئانا على معنى التشرع بذلك قال الطبري وغيره فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يظهر لهم ذلك وقلبه منكر فنزلت الآية في ذلك قال الزجاج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وما علي أن أفعل لهم ذلك والله تعالى يعلم ما في نفسي وقال ابن إسحاق وغيره إنهم اجتمعوا إليه ليلة فعظموه وقالوا له أنت سيدنا ولكن أقبل علي بعض أمرنا ونقبل على بعض أمرك فنزلت الآية في ذلك فهي في معنى قوله تعالى ^ ودوا لو تدهن فيدهنون ^ . # وحكى الزجاج أن الآية قيل إنها فيما أرادوه من طرد فقراء أصحابه وأما لثقيف فقال ابن عباس وغيره لأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعيدون فيها اللات وقالوا إنا نريد أن نأخذ ما يهدي لنا ولكن إن خفت أن تنكر ذلك عليك العرب فقل أوحى الله ذلك إلي فنزلت الآية في ذلك ويلزم قائل هذا القول أن يجعل الآية مدينة وقد روي ذلك روى قائلو الأقوال الأخر أنها مكية . # قال القاضي أبو محمد وجميع ما أريد من النبي صلى الله عليه وسلم بحسب هذا الاختلاف قد أوحى الله إليه خلافه إما في معجز وإما في غير معجز وفعله هو أن لو وقع افتراء على الله إذ أفعاله وأقواله إنما هي كلها شرع . # وقوله ^ وإذا لاتخذوك خليلاً ^ توقيف على ما نجاه الله منه من مخالفة الكفار والولاية لهم وقوله ^ لولا أن ثبتناك ^ الآية تعدد نعمة على النبي صلى الله عليه وسلم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اللهم لا تكلمي إلى نفسي طرفة عين . # والركون شد الظهر إلى الأمر أو الحزم على جهة السكون إليه كما يفعل الإنسان بالركن من الجدران ومنه قوله تعالى حكاية . # ^ أو أوى إلى ركن شديد ^ وقرأ الجمهور تركن بفتح الكاف وقرأ ابن مصرف وقتادة وعبد الله بن أبي إسحاق تركن بضم الكاف ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يركن لكنه كاد بحسب هم بموافقهم طمعاً منه في استئلافهم وذهب ابن الأباري إلى أن معناه لقد كاد أن يخبروا عنك أنك ركنك ونحو هذا ذهب في ذلك إلى نفي الهم بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فحمل اللفظ ما لا يحتمل وقوله ^ شيئاً قليلاً ^ يبطل ذلك وهذا الهم من النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت خطرة مما لا يمكن دفعه ولذلك قيل ^ كدت ^ وهي تعطي أنه لم يقع ركون ثم قيل ^ شيئاً قليلاً ^ إذ كانت المقاربة التي تتضمنها ^ كدت ^ قليلة خطرة لم تتأكد في النفس وهذا الهم هو كهم يوسف عليه السلام والقول فيهما واحد وقوله ^ إذا لأذفناك ^ الآية يبطل أيضاً ما ذهب إليه ابن الأباري وقوله ^ ضعف الحياة وضعف الممات ^ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك يريد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات . # قال القاضي أبو محمد على معنى أن ما يستحقه هذا المذنب من عقوبتنا في الدنيا والآخرة كنا نضعفه لك وهذا التضعيف شائع مع النبي صلى الله عليه وسلم في أجره وفي ألمه وعقاب أزواجه وباقي الآية بين . # قوله عز وجل

@ 476 @ \$ سورة الإسراء # قال حضرمي الضمير في ^ كادوا ^ ليهود المدينة وناحياتها كحيي بن أخطب وغيره وذلك أنهم ذهبوا إلى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وإنما أرض الأنبياء بالشام ولكنك تخاف الروم فإن كنت نبياً فأخرج إليها فإن الله سيحميك كما حمى غيرك من الأنبياء فنزلت الآية في ذلك وأخبر الله عز وجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرج لم يلبثهم بعده ^ إلا قليلاً ^ وحكى النقاش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بسبب قولهم وعسكر بذي الحليفة وأقام ينتظر أصحابه فنزلت الآية عليه فرجع وهذا ضعيف لم يقع في سيرة ولا في كتاب يعتمد عليه وذو الحليفة ليس في طريق الشام من المدينة وقالت فرقة الضمير في ^ كادوا ^ هو لقريش وحكى الزجاج أن استفزازهم هو ما كانوا أجمعوا عليه في دار الندوة من قتله و ^ الأرض ^ على هذا عامة في الدنيا كأنه قال ^ ليخرجوك ^ من الدنيا وعلى سائر الأقوال هي أرض مخصوصة إما مكة وإما المدينة كما قال تعالى ^ أو ينفوا من الأرض ^ . # وإنما معناه من الأرض التي فيها تصرفهم وتمعسهم وقال ابن عباس وقتادة واستفزاز قريش هو ما كانوا ذهبوا إليه من إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كما ذهبوا قبل إلى حصره في الشعب ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الآية وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه إلى الغار وغير ذلك ونفذ عليهم الوعيد في أن لم يلبثوا خلفه ^ إلا قليلاً ^ يوم بدر وقال مجاهد ذهب قريش إلى هذا ولكنه لم يقع منها لأنه لما أراد الله استيقاق قريش وأن لا يستأصلها أذن لرسوله بالهجرة فخرج من الأرض بإذن الله لا يقهر قريش واستيققت قريش ليسلم منها ومن أعقابها من أسلم قال ولو أخرجته قريش لذهبوا فذهب مجاهد رحمه الله إلى أن الضمير في ^ يلبثون ^ عام في جميعهم وفي مصحف عبد الله بن مسعود وإذا لا يلبثوا بحذف النون وإعمال ^ إذا ^ وسائر القراء ألغوها وأثبتوا النون وقرأ عطاء بن أبي رباح يلبثون بضم الباء وفتح اللام وشدد الباء وروي مثله عن يعقوب إلا أنه كسر الباء وقرأ عطاء بعدك إلا قليلاً وقرأ الجمهور خلفك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم خلافاً والمعنى واحد ومنه قول الشاعر # (عقب الرذاد خلفاً فكانما % بسط الشواطب بينهن حصيراً) + الكامل + # ومنه قوله تعالى ^ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ^ على بعض تأويلاته أي بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه اللفظة قد لزم حذف المضاف لأن التقدير في آياتنا خلاف خروجك وفي بيت الشاعر خلاف انبساط الشمس أو نحوه قال أبو علي أصابوا هذه الظروف تضاف إلى الأسماء الأعيان التي ليست أحداناً فلم يستحبوا إضافتها إلى غير ما جرى عليه كلامهم كما أنها لما جرت منصوبة في كلامهم تركوها على حالها إذا وقعت في غير موضع النصب كقوله تعالى ^ وإنا منا

@ 477 @ الصالحون ومنا دون ذلك) وقوله ^ يوم القيامة يفصل بينكم ^ وقوله ^ سنة ^ نصب على المصدر وقال الفراء نصبه على حذف الخافض لأن المعنى كسنة فحذفت الكاف ونصب ويلزمه على هذا أن لا يقف على قوله ^ قليلاً ^ ومعنى الآية الإخبار أن سنة الله تعالى في الأمم الخالية وعادته أنها إذا أخرجت نبيها من بين أظهرها نالها العذاب واستأصلها الهلاك فلم تلبث بعده إلا قليلاً وقوله ^ أقم الصلاة ^ الآية هذه بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة فقال ابن عمر وابن عباس وأبو بردة والحسن والجمهور دلوك الشمس زوالها والإشارة إلى الظهر والعصر و ^ غسق الليل ^ أشير به إلى المغرب والعشاء ^ وقرأ الفجر ^ أريد به صلاة الصبح فالآية على هذا تعم جميع الصلوات وروي ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل ^ لدلوك الشمس ^ حين زالت فصلى بي الظهر وروي جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس فقال أخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس وقال ابن مسعود وابن عباس يزيد بن أسلم دلوك الشمس غروبها والإشارة بذلك إلى المغرب و ^ غسق الليل ^ اجتماع ظلمته بالإشارة إلى العتمة ^ وقرأ الفجر ^ صلاة الصبح ولم تقع إشارة على هذا إلى الظهر والعصر والقول الأول أصوب لعمومه الصلوات وهما من جهة اللغة حسنان وذلك أن الدلوك هو الميل في اللغة فأول الدلوك هو الزوال وآخره هو الغروب ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكاً لأنها في حالة ميل فذكر الله ^ الصلوات ^ التي في حالة الدلوك وعنده فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب ويصح أن تكون المغرب داخلة في ^ غسق الليل ^ ومن الدلوك الذي هو الميل قول الأعرابي للحسن بن أبي الحسن أيدالك الرجل امرأته يريد أيميل بها إلى المطل في دينها فقال له الحسن نعم إذا كان

ملفجا أي عديما ومنه قول ذي الرمة # (مصاييح ليست باللواتي تقودها % نجوم ولا بالآفلات الدوالك) + الطويل + # ومن ذلك قول الشاعر # (هذا مكان قدمي رباح % غدوة حتى دلكت رباح) + الرجز + # يروى براح بكسر الباء قال أبو عبيدة الأصمعي وأبو عمرو الشيباني ومعناه براحة الناظر يستنكف بها أبدا لينظر كيف ميلها وما بقي لها وهذا نحو قول الحجاج # (والشمس قد كادت تكون دنفا % دفعها بالراح كي تزحلقا) + الرجز + # وذكر الطبري عن ابن مسعود أنه قال دلكت براح يعني براح مكانا . # قال فإن كان هذا من تفسير ابن مسعود فهو أعلم وإن كان من كلام راو فاهل الغريب أعلم بذلك ويروى أن البيت الأول غدوة حتى هلكت براح بفتح الباء على وزن قطام وحذام وهو اسم من أسماء الشمس وغسق الليل اجتماعه وتكاثف ظلمته وقال الشاعر ^ أب هذا الليل إذ غسقا % ^ + المديد +

@ 478 # وقال ابن عباس ^ غسق الليل ^ بدؤه ونصب قوله ^ وقرآن ^ بفعل مضمر تقديره واقرأ قرآن ويصح أن ينصب عطفا على الصلاة أي وأقم قرآن الفجر وعبر عن صلاة الصبح خاصة ب القرآن لأن القرآن هو عظمها إذ قراءتها طويلة مجهور بها ويصح أن ينصب قوله ^ وقرآن ^ على الإغراء وقوله ^ إن قرآن الفجر كان مشهودا ^ معناه ليشهده حفظة النهار وحفظة الليل من الملائكة حسبا ورد في الحديث المشهور من قوله صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر الحديث بطوله من رواية أبي هريرة وغيره وعلى القول بذلك مضى الجمهور وذكر الطبري حديثا عن ابن عسك من طريق أبي الدرداء في قوله ^ كان مشهودا ^ قال محمد بن سهل بن عسكر يشهده الله وملائكته وذكر في ذلك الحديث أن الله تعالى ينزل في آخر الليل ونحو هذا مما ليس بالقوي وقوله ^ ومن الليل ^ من ^ للتبغض التقدير ووقتا من الليل أي وقم وقتا والضمير في ^ به ^ عائد على هذا المقدر ويحتمل أن يعود على القرآن وإن كان لم يجر له ذكر مطلق كما هو الضمير مطلق لكن جرى مضافا إلى الفجر و ^ فتهجد ^ معناه فاطرح الهجود عنك والهجود النوم يقال هجد يهجد بضم الجيم هجودا إذا نام ومنه قول ذي الرمة # (ألا طرقتنا والرفاق هجود % فباتت بعلات النوال تجود) + الطويل + # ومنه قول الحطيئة # (فحياك ود ما هذاك لفتية % وخوص بأعلى ذي طولة هجد) + الطويل + # وهذا الفعل جار مجرى تحوب وتأنم وتحنث ومثله ^ فطلتم تفكهون ^ معناه تندمون أي تطرحون الفاكهة عن أنفسكم وهي انبساط النفس وسرورها يقال رجل فكه إذا كان كثير السرور والضحك فالمعنى وقتنا من الليل اسهر به في صلاة وقراءة وقال الأسود وعلقمة وعبد الرحمن بن الأسود التهجد بعد نومة وقال الحجاج بن عمرو إنما التهجد بعد رقدة وقال الحسن التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة وقوله ^ نافلة لك ^ قال ابن عباس وغيره معناه زيادة لك في الفرض قالوا وكان قيام الليل فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم . # قال القاضي أبو محمد وتحتمل الآية أن يكون هذا على وجه الندب في التنفل ويكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمه كخطابه في قوله ^ أقم الصلوات ^ الآية . # وقال مجاهد إنما هي ^ نافلة ^ للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه مغفور له والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم وبين أن النبي صلى الله عليه وسلم منذ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عام الحديدية فإنما كانت نوافله واستغفاره فضائل من العمل وقربا أشرف من نوافل أمته لأن هذا إما أن تجبر بها فرائضهم حسب الحديث وإما أن تحط بها خطاياهم وقد يتصور من لا ذنب له ينتفل فيكون تنفله فضيلة كنصراني يسلم وصبي يحتلم وضعف الطبري قول مجاهد . # وقوله ^ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ^ عزة من الله عز وجل لرسوله وهو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء حتى ينتهي إليه صلى الله عليه وسلم والحديث يطوله في البخاري ومسلم فلذلك اختصرناه ولأجل ذلك الاعتمال الذي له في مرضاة جميع العالم مؤمنهم وكافرهم قال أنا سيد ولد آدم

@ 479 # ولا فخر . # و ^ عسى ^ من الله واجبة و ^ مقاما ^ نصب على الطرف ومن غريب حديث الشفاعة اقتضاه المعنى وذلك أن صدر الحديث يقتضي أن النبي صلى الله عليه وسلم يستنهض للشفاعة في أن يحاسب الناس وينطلقون من الموقف فيذهب لذلك وينص بإثر ذلك على أنه شفع في إخراج المذنبين من النار فمعناه الاقتصاب والاختصار . # لأن الشفاعة في المذنبين لم تكن إلا بعد الحساب والزوال من الموقف ودخول قوم الجنة ودخول قوم النار وهذه الشفاعة لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء وذكر الطبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي . # قال القاضي أبو محمد وينبغي أن يتأول هذا على ما قلناه لأتمه وغيرها أو يقال إن كل مقام منها محمود قال النقاش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات شفاعت العامة وشفاعة السابق إلى الجنة وشفاعة في أهل الكبائر والمشهور أنهما شفاعتان فقط وحكى الطبري عن فرقة منها مجاهد أنها قالت المقام المحمود هو أن الله عز وجل يجلس محمدا معه على عرشه وروت في ذلك حديثا وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول وهو لا يخرج إلا على تल्प في المعنى وفيه بعد ولا ينكر مع ذلك أن يروى والعلم يتأوله وقد ذكر النقاش عن أبي داود السخيتاني أنه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا منهم ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا . # قال القاضي أبو محمد من أنكر جوازه على تأويله . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 80 - 84 \$ # ظاهر هذه الآية والأحسن فيها أن يكون دعاء في أن يحسن الله حالته في كل ما يتناول من الأمور ويحاول من الأسفار والأعمال وينتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة فهي على أتم عموم معناه ^ رب ^ أصل لي وردي في كل الأمور وصدري وذهب المفسرون إلى أنها في غرض مخصوص ثم اختلفوا في تعيينه فقال ابن عباس والحسن وقتادة أراد ^ أدخلني ^ المدينة ^ وأخرجني ^ من مكة وتقدم في هذا التأويل المتأخر في الوقوع فإنه متقدم في القول لأن الإخراج من مكة هو المتقدم اللهم إن مكان الدخول والقرار هو الأهم وقال أبو صالح ومجاهد ^ أدخلني ^ في أمر تبليغ الشرع ^ وأخرجني ^ منه بالأداء التام وقال ابن عباس الإدخال بالموت في القبر والإخراج البعث وما قدمت من العموم التام الذي يتناول هذا كله أصوب وقرأ الجمهور مدخل ومحرج بضم الميم فهو جرى على ^ أدخلني

@ 480 # (وأخرجني) وقرأ أبو حيوه وقتادة وحמיד مدخل ومخرج بفتح الميم فليس بجار على ^ أدخلني ^ ولكن التقدير أدخلني فأدخل مدخل لأنه إنما يجري على دخل والصدق هنا صفة تقتضي رفع المذام واستيعاب المدح كما تقول رجل صدق أي جامع للمحاسن وقوله ^ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ^ قال مجاهد وغيره حجة يريد تصرنى ببيانها على الكفار وقال الحسن وقتادة يريد سعة ورياسة وسيفا ينصر دين الله فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بأمر الله إياه به رغبة في نصر الدين فروي أن الله وعده بذلك ثم أنجزه له في حياته وتممه بعد وفاته وقوله ^ وقل جاء الحق ^ الآية قال قتادة ^ الحق ^ القرآن و ^ الباطل ^ الشيطان وقالت فرقة ^ الحق ^ الإيمان ^ والباطل ^ الكفر وقال ابن جريج ^ الحق ^ الجهاد ^ والباطل ^ الشرك وقيل غير ذلك والصواب تعميم اللفظ بالغاية الممكنة فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه ^ وزهق ^ الكفر بجميع ما انطوى فيه و ^ الباطل ^ كل ما لا تتال به غاية نافعة . # وقوله ^ كان زهوقا ^ ليست ^ كان ^ إشارة إلى زمن مضى بل المعنى كان وهو يكون وهذا كقولك كان الله عليما قادرا ونحو هذا وهذه الآية نزلت بمكة ثم إن رسول الله كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الأصنام وسقوطها لطفه إياها بالمحصرة حسبا في السيرة لابن هشام وفي غيرها وقرأ الجمهور ونزل بالنون وقرأ مجاهد وينزل بالياء خفيفة ورواه المروزي عن حفص وقوله ^ من القرآن ^ يصح أن تكون ^ من ^ لابتداء الغاية ويصح أن تكون لبيان الجنس كأنه قال ونزل ما فيه شفا ^ من القرآن ^ وأنكر بعض المتأولين أن يكون ^ من ^ للتبغض لأنه تحفظ من يلزمه أن بعضه لا شفاء فيه . # قال القاضي أبو محمد وليس يلزمه هذا بل يصح أن يكون للتبغض بحسب أن إنزاله إنما هو مبعض فكأنه قال ^ ونزل من القرآن ^ شيئا شيئا ما فيه كله ^ شفاء ^ واستعارته للقرآن هو بحسب إزالته للرب وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى المقررة لشرعه ويحتمل أن يراد ب الشفاء نفعه من الأمراض بالرقى والتعويد ونحوه وكونه رحمته ظاهر وقوله ^ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ^ معنى أنه عليهم عمى إذ هم معرضون بحالة من لا يفهم ولا يلقن . # وقوله ^ وإذا أنعمنا ^ الآية ^ الإنسان ^ في هذه الآية لا يراد به العموم وإنما يراد به بعضه وهم الكفرة وهذا كما تقول عند غضب لا خير في الأصدقاء ولا أمانة في الناس فأنت تعم مبالغة ومرادك البعض وهذا بحسب ذكر الظالمين والخسار في الآية قبل فاتصل ذكر الكفرة ويحتمل أن يكون ^ الإنسان ^ في هذه الآية عاما للجنس على معنى أن هذا الخلق الذميمة في سجيته فالكافر يبالغ في الإعراض والعاصي يأخذ بحظه منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مؤمن فأعرض فأعرض الله عنه ومعنى ^ أعرض ^ ولانا عرضه ونأى أي بعد وهذه

استعارة وذلك أنه يفعل أفعال المعرض النائي في تركه الإيمان بالله وشكر نعمه عليه وقرا ابن عامر وحده وناء ومعناه نهض أي متباعدة هذا قول طائفة وقالت أخرى هو قلب الهمزة بعد الألف من ^أ نأى ^أ بعينه وهي لغة كراى وراء ومن هذه اللفظة قول الشاعر في صفة رام # (حتى إذا ما التأمت مفاصله % وناء في شق الشمال كاهله) + الرجز +

@ 481 @ # أي نهض متوركا على شماله والذي عندي أن ناء ونأى فعنان متباينان وناء بجانبه عبارة عن التحيز والاستبداد ونأى عبارة عن البعد والفرق ثم وصف الكفرة بأنهم إذا مسهم شر من مرض أو مصيبة في مال أو غير ذلك يئسوا من حيث لا يؤمنون بالله ولا يرجون تصرف أقداره ثم قال عز وجل ^أ قل ^أ يا محمد ^أ كل يعمل على شاكلته ^أ أي على طريقته وبحسب نيته ومذهبه الذي يشبه وهو شكله ومثل له وهذه الآية تدل دلالة على ما أن ^أ الإنسان ^أ أولا لم يرد به العموم أي إن الكفار بهذه الصفات والمؤمنون بخلافها وكل منهم يعمل على ما يليق به والرب تعالى أعلم بالمهتدي وقال مجاهد ^أ على شاكلته ^أ معناه على طبيعته وقال أيضا معناه على حدته وقال ابن عباس معناه على ناحيته وقال قتادة معناه على ناحيته وعلى ما ينوي وقال ابن زيد معناه على دينه وأرجح هذه العبارات قول ابن عباس وقيادة وفي وقوله ^أ فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ^أ توعد بين . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 85 - 88 # الضمير في ^أ يسألونك ^أ قيل هو لليهود وإن الآية مدنية وروى عبد الله بن مسعود أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر على حرت بالمدينة ويروى على حرت وإذا فيه جماعة من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فإن أجاب فيه عرفتم أنه ليس بنبي وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه ولا يطلع عليه أحدا من عباده قال ابن مسعود وقال بعضهم لا تسألوه لئلا يأتي فيه بشيء تكروهونه يعني والله أعلم من أنه لا يفسره فتقوى الحجة عليهم في نبوته قال فسألوه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عسيب فظننت أنه يوحى إليه ثم تلا عليهم الآية وقيل الآية مكية والضمير لقريش وذلك أنهم قالوا نسأل عن محمد أهل الكتاب من اليهود فأرسلوا إليهم إلى المدينة النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط فقال اليهود لهما جرباه بثلاث مسائل سلوه عن أهل الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن فسر الثلاثة فهو كذاب وإن سكت عن الروح فهو نبي فسألته قريش عن الروح فيروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم غدا أحبركم به ولم يقل إن شاء الله فاستمسك الوحى عليه خمسة عشر يوما معاتبه على وعده لهم دون استثناء ثم نزلت هذه الآية واختلف الناس في ^أ الروح ^أ المسؤول عنه أي روح هو فقالت فرقة هي الجمهور وقع السؤال عن الروح التي في الأشخاص الحيوانية ما هي في ^أ الروح ^أ اسم جنس على هذا وهذا هو الصواب وهو المشكل الذي لا تفسير له وقال قتادة ^أ الروح ^أ المسؤول عنه جبريل قال وكان ابن عباس يكتمه وقالت فرقة عيسى ابن مريم وقال علي بن أبي طالب ملك له سبعون ألف وجه في كل

@ 482 @ وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله سبحانه بكل تلك اللغات يخلق من كل تسيحة ملك يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة ذكره الطبري وما أظن هذا القول يصح عن علي وقالت فرقة ^أ الروح ^أ القرآن وهذه كلها أقوال مفسرة والأول أظهرها وأصوبها وقوله ^أ من أمر ربي ^أ يحتمل تأويلين أحدهما أن يكون الأمر اسم جنس للأمور أي للروح من حملة أمور الله التي استأثر بعلمها فهي إضافة خلق إلى خالق والثاني أن يكون مصدرا من أمر يأمر أي الروح مما أمره بالكون فكان . # وقرا ابن مسعود والأعمش وما أوتوا ورواها ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرا الجمهور وما أوتيتم واختلف فيمن خوطب بذلك فقالت فرقة السائلون فقط ترجم الطبري بذلك ثم أدخل تحت الترجمة عن قتادة أنهم اليهود وقال المراد اليهود بجملتهم وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود وقالت فرقة العالم كله وهذا هو الصحيح لأن قول الله له ^أ قل الروح ^أ إنما هو أمر بالقول لجميع العالم إذ كذلك هي أقواله كلها وعلى ذلك تمت الآية من مخاطبة الكل ويحتمل أيضا أن تكون مخاطبة من الله للنبي ولجميع الناس ويتصف ما عند جميع الناس من العلم بالقلبة بإضافته إلى علم الله عز وجل الذي هو بهذه الأمور التي عندنا من علمها طرف يسير جدا كما قال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام ما نقص علمي وعلمك وعلم الخلائق من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من البحر وأراد الخضر علم الله تعالى بهذه الموجودات التي عند البشر من علمها طرف يسير نسبة إلى ما يخفى عليهم نسبة النقطة إلى البحر وأما علم الله على الإطلاق فغير متناه ويحتمل أن يكون التجوز في قول الخضر كما نقص هذا العصفور أي إما لا ينقص علمنا شيئا من علم الله تعالى على الإطلاق ثم مثل بنقرة العصفور في عدم النقص إذ نقصه غير محسوس فكأنه معدوم فهذا احتمال ولكن فيه نظر وقد قالت اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف لم نؤت من العلم إلا قليلا وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فعارضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم الله فغلبوا وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في بعض الأحاديث كذا يعني أن المراد ب ^أ أوتيتم ^أ جميع العالم وذلك أن يهود قالت له نحن عنيت أم قومك فقال كلا وفي هذا المعنى نزلت ^أ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ^أ حكى ذلك الطبري رحمه الله وقوله تعالى ^أ ولئن شئنا ^أ الآية فيها شدة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي عتاب على قوله غدا أعلمكم فأمر بان يقول إن الروح من أمر ربه فيذعن بالتسليم لله في أنه يعلم بما شاء وبمسك عن عباده ما شاء ثم قيل له ^أ وما أوتيتم ^أ أنت يا محمد وجميع الخلائق ^أ من العلم إلا قليلا ^أ فالله يعلم من علمه بما شاء ويدع ما شاء ولئن شاء لذهب بالوحي الذي أتاك ثم لا ناصر لك منه أي فليس يعظيهم أن لا تجيء بتفسير في الروح الذي أردت أن تفسره للناس ووعدهم بذلك وروى ابن مسعود أنه ستخرج ربح حمراء من قبل الشام فتزبل القرآن من المصاحف ومن الصدور وتذهب به ثم يتلو هذه الآية . # أراد ابن مسعود بتلاوة الآية أن يبدي أن الأمر جائز الوقوع ليظهر مصداق خبره من كتاب الله تعالى . # والوكيل القائم بالأمر في الانتصار أو المخاصمة ونحو ذلك من وجود النفع وقوله ^أ إلا رحمة ^أ استثناء منقطع أي لكن رحمة من ربك تمسك ذلك عليك وهذا الاستثناء المنقطع يخص تخصيصا ما وليس كالمتمصل لأن المتمصل يخص من الجنس أو الجملة والمنقطع

@ 483 @ يخص أجنبا من ذلك ولا ينكر وقوع المنقطع في القرآن إلا أعجمي وقد حكى عن ابن خوير مناد ثم عدد عليه عز وجل كبر فضله في اختصاصه بالنبوة وحمانيته من المشركين إلى غير ذلك مما لا يحصى . # وقوله تعالى ^أ قل لئن اجتمعت الإنس والجن ^أ الآية سبب هذه الآية أن جماعة من قريش قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد جئتنا بأية غريبة غير هذا القرآن فإننا نقدر على المجيء بمثل هذا فنزلت هذه الآية المصروفة بالتعجيز المعلمة بان جميع الخلائق لو تعاونوا إنسا وجنا على ذلك لم يقدروا عليه والعجز في معارضة القرآن إنما وقع في النظم والرصف لمعانيه وعلة ذلك الإحاطة التي لا يتصف بها إلا الله عز وجل والبشر مقصر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص فإذا نظم كلمة خفي عنه للعلل التي ذكرنا أليق الكلام بها في المعنى وقد ذكرت هذه المسألة في صدر هذا الديوان وقوله ^أ لا يأتون بمثله ^أ في موضع رفع و ^أ لا ^أ متلقية قسما واللام في قوله ^أ لئن ^أ مؤذنة غير لازمة قد تحذف أحيانا وقد تجيء هذه اللام مؤكدة فقط ويجيء الفعل المنفي مجزوما وهذا اعتماد على الشرط ومنه قول الأعمش # ^أ لئن منيت بنا عن غر معركة % تلفنا عن دماء القوم تنتقل ^أ + البسيط + # والظهير المعين ومنه قوله عز وجل ^أ وإن تطاها عليه ^أ الآية فهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودرستها به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز عنه ضرورة ومشاهدة وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي وأعماله مشاهدة علم ضرورة وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر فحصل للجميع القطع لكن في مرتبتين وفهم إعجاز القرآن أرباب الفصاحة الذين لهم غرائب في ميز الكلام ألا ترى إلى فهم الفرزدق شعر جرير في شعر ذي الرمة في قوله يعد الناسون إلى تميم . # الأبيات كلها وألا ترى قصة جرير في نوادره مع الفرزدق في قول الفرزدق على م تلفتين وفي قوله تلفت أنها تحت ابن قين . # وألا ترى إلى قول الأعرابي عز فحكم فقطع وألا ترى إلى استدلال الآخر على البعث بقوله ^أ حتى زرم المقابر ^أ فقال إن الزيارة تقتضي الانصراف ومنه علم بشار بقول أبي عمرو بن العلاء في شعر الأعشى وأنكرتني وما كان الذي نكرت ومنه قول الأعرابي للأصمعي من أحوح الكريم إلى أن يقسم ومن فهمهم أنهم بيدائهم يأتون بكلمة منثورة تفضل المنقح من الشعر وأمثلة ذلك محفوظة ومن ذلك أجوبتهم المسكتة إلى غير ذلك من براعتهم في الفصاحة وكونهم فيها النهاية كما كان السحر في زمن موسى والطب في زمن عيسى فهم مع هذا الأفهام أقروا بالعجز ولجا المحاد منهم إلى السيف ورضي بالقتل

والسبا وكشف الحرم وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة وكذلك التحدي بالعشر السور والتحدي بالسورة إنما وقع كله على حد واحد في النظم خاصة وقيد العشر بالافتراء لأنهم ذكروا أن القرآن مفترى فدعاهم بعقب ذكر ذلك إلى الإتيان بعشر سور مفتريات ولم يذكر

@ 484 @ الافتراء في السورة لأنه لم يجر عنهم ذكر ذلك قبل بل قال ^ إن كنتم في ريب ^ على أنه قد جاء ذكر السورة مع ذكرهم الافتراء في سورة هود وقد اختلف الناس في هذا الموضوع فقبل دعوا إلى السورة المماثلة في النظم والغيوب وغير ذلك من الأوصاف وكان ذلك من تكليف ما لا يطاق فلما عسر عليهم خفق بالدعوة إلى المفتريات وقيل غير هذا مما ينحل عند تحصيله . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 89 - 92 \$ هذه الآية تنبه على فضل الله في القرآن على العالم وتوبيخ للكفار منهم على قبيح فعلهم وتصريف القول هو ترديد البيان عن المعنى وقرأ الجمهور صرفنا بنشديد الرأ وقرأ الحسن صرفنا بفتح الرأ خفيفة وقوله ^ من كل مثل ^ يجوز أن تكون ^ من ^ لابتداء الغاية ويكون المفعول ب ^ صرفنا ^ مقدرًا تقديره ولقد صرفنا في هذا القرآن التنبيه والعبير من كل مثل ضربناه ويجوز أن تكون مؤكدة زائدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل وهذا كقوله تعالى ^ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ^ وقوله ^ فأبى ^ عبارة عن تكسب الكفار الكفر وأعراضهم عن الإيمان وفي العبارة بأبى تغليب والكفر بالخلق والاختراع هو من فعل الله تعالى وبالتكسب والدؤوب هو من الإنسان و ^ كفورا ^ مصدر كالخروج . # وقوله تعالى ^ وقالوا لن نؤمن لك ^ الآية قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر حتى تفجر وقرأ عاصم وحزمة الكسائي حتى تفجر بفتح التاء وضم الجيم وفي القرآن ^ فانفجرت ^ وانفجر مطاوع فجر فهذا مما يقوي القراءة الثانية وأما الأولى فتقصي المبالغة في التفجير . # والنبوع الماء النابع وهي صفة مبالغة إنما تقع للماء الكثير وطلبت قريش هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وإياها عنوا ب ^ الأرض ^ وإنما يراد بإطلاق لفظة ^ الأرض ^ هنا الأرض التي يكون فيها المعنى المتكلم فيه كقوله ^ أو ينفوا من الأرض ^ وإنما يريد من أرض تصرفهم وقطعهم السبل ومعاشهم وكذلك أيضا اقتراحهم الجنة إنما هو بمكة لامتناع ذلك فيها وإلا ففي سائر البلاد كان ذلك بمكنه وإنما طلبوه بأمر إلهي في ذلك الموضوع الجذب وقرأ الجمهور جنة وقرأ حبة المهدي وقوله ^ فتفجر ^ . # تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدي كعلقت الأبواب و ^ خلالها ^ ظرف ومعناه أثناءها وفي داخلها وروي في قول هذه المقالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديث طويل مقتضاه أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وعبد الله بن أبي أمية والنضر بن الحارث وغيرهم من مشيخة قريش وساداتها اجتمعوا عليه فعرضوا عليه أن يملكوه إن أراد الملك أو يجمعوا له كثيرا من المال إن أراد الغنى أو يطبوه إن كان به داء ونحو هذا من الأقاويل فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك

@ 485 @ إلى الله وقال إنما جئتم عند الله بأمر فيه صلاح دينكم وديناكم فإن سمعتم وأطعتم فحسن وإلا صبرت لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم بما شاء فقالوا له حينئذ فإن كان ما تزعمه حقا ففجر ينبوعا ونؤمن لك ولتكن لك جنة إلى غير ذلك مما كلفوه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كله إلى الله ولا يلزمني هذا ولا غيره وإنما أنا مستسلم لأمر الله هذا هو معنى الحديث . # وفي الألفاظ اختلاف وروايات متشعبة يطول سوق جمعها فاختصرت لذلك . # وقوله تعالى ^ أو تسقط السماء ^ الآية قرأ الجمهور أو تسقط بضم التاء وقرأ مجاهد أو تسقط السماء برفع السماء وإسناد الفعل إليها وقوله ^ كما زعمت ^ إشارة إلى ما تلي عليهم قبل ذلك في قوله عز وجل ^ إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ^ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزمة والكسائي كسفا بسكون السين إلا في الروم فإنهم حركوها ومعناه قطعوا واحدا قال مجاهد السماء جميعا وتقول العرب كسفت الثوب ونحوه قطعته ف الكسف بفتح السين المصدر والكسف الشيء المقطوع قال الزجاج المعنى أو تسقط السماء علينا قطعاً واشتقاقه من كسفت الشيء إذا غطيته . # قال القاضي أبو محمد وليس بمعروف في دواوين اللغة كسف بمعنى غطى وإنما هو بمعنى قطع وكان كسوف الشمس والقمر قطع منهما وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر كسفا بفتح السين أي قطعاً جمع كسفه وقوله ^ قبلا ^ قيل معناه مقابلة وعبارة وقيل معناه ضامنا وزعيما بتصديقك ومنه القبالة وهي الضمان والقبيل والمتقبل الضامن وقيل معناه نوعا وجنسا لا نظير له عندنا وقرأ الأعرج قبلا وقيل بمعنى المقابلة . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 93 - 95 \$ قال المفسرون الزخرف الذهب في هذا الموضوع والزخرف ما تزين به كان بذهب أو غيره ومنه ^ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ^ وفي قراءة عبد الله بن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب قال مجاهد ما كنا نعرف الزخرف حتى قرأنا في حرف عبد الله من ذهب وقوله ^ في السماء ^ يريد في الهواء علوا والعرب تسمي الهواء علوا سماء لأنه في حيز السمو . # ويحتمل أن يريدوا السماء المعروفة وهو أظهر لأنه أعلمهم أن إله الخلق فيها وأنه تأتبه خبرها و ^ ترقى ^ معناه تصعد والبرقي الصعود وپروي أن قائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية فإنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أؤمن لك حتى تأتي بكتاب أراك هابطا به فيه من الله عز وجل إلى عبد الله بن أبي أمية وروي أن جماعتهم طلبت هذا النحو منه فأمره الله عز وجل أن يقول ^ سبحان ربي ^ أي تنزيها له من الإتيان مع

@ 486 @ الملائكة قبلا ومن أن يخاطبكم بكتاب كما أردتم ومن أن اقترح أنا عليه هذه الأشياء وهل أنا إلا بشر منكم أرسلت إليكم بالشرعة وإنما علي التبليغ فقط وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي على معنى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سح عند قولهم وقوله تعالى ^ وما منع الناس أن يؤمنوا ^ هذه الآية على معنى التوبيخ والتلف من النبي صلى الله عليه وسلم والبشر كأنه يقول متعجبا منهم ما شاء الله كان ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا هذه العلة النزره والاستبعاد الذي لا يستند إلى حجة وبعثة البشر رسلا غير بدع ولا غريب فيها يقع الإفهام والتمكن من النظر كما ^ لو كان في الأرض ملائكة ^ يسكنونها ^ مطمئنين ^ أي وادعين فها مقيمين لكان الرسول إليهم من الملائكة ليقع الإفهام وأما البشر فلو بعث إليهم ملك لنفرت طباعهم من رؤيته ولم تحتمله أبصارهم ولا تجلدت له قلوبهم وإنما أراد الله جري أحوالهم على معتادها . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 96 - 98 \$ روى البخاري أن الملا من قريش الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المقالات التي تقدم ذكرها من عرض الملك عليه والغنى وغير ذلك قالوا له في آخر قولهم فلتجئ معك طائفة من الملائكة تشهد لك بصدقك في نبوتك قال المهدي روي أنهم قالوا له فمن يشهد لك . # قال القاضي أبو محمد ومعنى أقوالهم إنما هو طلب شهادة دون أن يذكرها ففي ذلك نزلت الآية أي الله يشهد بيني وبينكم الذي له الخبر والبصر لجميعنا صادقنا وكاذبنا ثم رد الأمر إلى خلق الله تعالى واختراعه الهدى والضلال في قلوب البشر أي ليس بيدي من أمركم أكثر من التبليغ وفي قوله ^ فلن تجد لهم أولياء من دونه ^ وعيد ثم أخبر عز وجل أنهم يحشرون على الوجوه ^ عميا وبكما وصما ^ وهذا قد اختلف فيه فقيل هي استعارات إما لأنهم من الحيرة والهيم والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات وأما من حيث لا يرون ما يسرهم ولا يسمعون ولا ينصفونه بحجة وقيل هي حقيقة كلها وذلك عند قيامهم من قبورهم ثم يرد الله إليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم فعند رد ذلك إليهم يرون النار ويسمعون زفيرها ويتكلمون بكل ما حكى عنهم في ذلك ويقال للمنصرف عن أمر خائفا مهموما انصرف على وجهه ويقال للبعير المتفه كأنما يمشي على وجهه ومن قال ذلك في الآية حقيقة قال أقدروهم الله على النقلة على الوجوه كما أقدروا في الدنيا على النقلة على الأقدام وفي هذا المعنى حديث قيل يا رسول الله كيف يمشي الكافر على وجهه قال أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادرا أن يمشيه في

@ 487 @ الآخرة على وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا وقوله ^ كلما خبت ^ أي كلما فرغت من إحراقهم فسكن الله عليهم قدر ما يعادون ثم تثور فتلك زيادة السعير قاله ابن عباس فالزيادة في حيزهم وأما جهنم فعلى حالها من الشدة لا يصيبها فتور وخبت النار معناه سكن اللهيب والجمر على حاله وخدمت معناه سكن الجمر وضعف وهمدت معناه طفيت جملة ومن هذه اللفظة قول الشاعر # (أمن زينب ذي النار قبيل الصبح ما تخبو % إذا ما خبت يلقي عليها المنديل الرطب) + الهزج + # ومنه قول عدي بن زيد # (وسطة كالبراق أو سرج المجدل % طوراً تخبو وطورا تثير) + الخفيف + # ومنه قول القطامي # (فتخبو ساعة وتهب ساعا %) # وقوله ^ ذلك جزاؤهم ^ الآية الإشارة إلى الوعيد المتقدم بجهنم وقوله ^ بأياتنا ^ يعم الدلائل والحجج التي جاء بها محمد صلى الله

عليه وسلم وبعم آيات القرآن وما تضمن من خبر وأمر ونهي ثم عظم عليهم أمر إنكار البعث وخصه بالذكر مع كونه في عموم الكفر بآيات القرآن ووجه تخصيصه التعظيم له والتنبية على خطارة الكفر في إنكاره وقد تقدم اختلاف القراء في الاستفهامين في غير هذا الموضوع والرفات بقية الشيء التي قد أصارها البلى إلى حال التراب والبعث تحريك الشيء الساكن وهذا الاستفهام منهم هو على جهة الإنكار والاستبعاد للحال بزعمهم . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 99 - 101 \$ # هذه الآية احتجاج عليهم فيما استبعده من البعث وذلك أنهم قرروا على خلق الله تعالى واختراعه لهذه الجملة التي البشر جزء منها فهم لا ينكرون ذلك فكيف يصح لهم أن يقرروا بخلقه للكل وإخراجه من خمول العدم وينكرون إعادته للبعض فحصل الأمر في حيز الجواز وأخبر الصادق الذي قامت دلائل معجزاته بوقوع ذلك الجائر والرؤية في هذه الآية رؤية القلب والأجل هنا يحتمل أن يريد به القيامة ويحتمل أن يريد أجل الموت والأجل على هذا التأويل اسم جنس لأنه وضعه موضع الأجل ومقصد هذا الكلام بيان قدرة الله عز وجل وملكه لخلقه وبتقرير ذلك يقوى جواز بعثه لهم حين يشاء لا إله إلا هو وقوله ^ فابى ^ عبارة عن تكسبهم وجنوحهم وقد مضى تفسير هذه الآيات أنفاً وقوله تعالى ^ قل لو أنتم تملكون ^

@ 488 @ تملكون الآية حكم لو أن يليها الفعل إما مظهراً وإما مضمراً يفسره الظاهر بعد ذلك فالتقدير هنا قل لو تملكون خزائن فأنتم ^ رفع على تبع الضمير والرحمة في هذه الآية المال والنعم التي تصرف في الأرزاق ومن هذا سميت ^ رحمة ^ و ^ الإنفاق ^ المعروف ذهب المال وهو مؤد إلى الفقر فكان المعنى خشية عاقبة الإنفاق وقال بعض اللغويين أنفق الرجل معناه افتقر كما تقول أترب وأقتروا وقوله ^ وكان الإنسان فتوراً ^ أي ممسكاً يريد أن في طبعه ومنتهاى نظره أن الأشياء تتناهى وتفنى فهو لو ملك خزائن رحمة الله لأمسك خشية الفقر وكذلك يظن أن قدرة الله تعالى تقف دون البعث والأمر ليس كذلك بل قدرته لا تتناهى فهو مخترع من الخلق ما يشاء ويخترع من الرحمة الأرزاق فلا يخاف نفاذ خزائن رحمته وبهذا النظر تتلبس هذه الآية بما قبلها والله ولي التوفيق رحمته ومن الإقتار قول أبي داود # (لا أعد الإقتار عدماً ولكن % فقد من قد رزته الإعدام) + الخفيف + # وقوله تعالى ^ ولقد أتينا موسى تسبع آيات بينات ^ اتفق المتأولون والرواة أن الآيات الخمس التي في سورة الأعراف هي من هذه التسع وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واختلفوا في الأربع فقال ابن عباس هي يده ولسانه حين انحلت عقدته وعصاه والبحر وقال محمد بن كعب القرظي هي البحر والعصا والطمسية والحجر وقال سألني عن ذلك عمر بن عبد العزيز فأخبرته فقال لي وما الطمسية فقلت دعا موسى وأمن هارون فطمس الله أموالهم وردها حجارة فقال عمر وهل يكون الفقه إلا هكذا ثم دعا بخريطة فيها غرائب كانت لعبد العزيز بن مروان جمعها بمصر فاستخرج منها الحوزة والبيضة والعدسة وهي كلها حجر كانت من بقايا أموال آل فرعون وقال الضحاك هي إلقاء العصا مرتين واليد وعقدة لسانه وقال عكرمة ومطر الوراق والشعبي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات وقال الحسن هي العصا في كونها ثعباناً وتلقف العصا ما يافكون وقال ابن عباس هي السنون في بواديهم ونقص الثمرات في قراهم واليد والعصا وروى مطرف عن مالك أنها العصا واليد والجبل إذ تنق والبحر وروى ابن وهب عنه مكان البحر الحجر والذي يلزم من الآية أن الله تعالى خص من آيات موسى إذ هي كثيرة جداً تنيف على أربع وعشرين تسعاً بالذكر ووصفها بالبيان ولم يعينها واختلف العلماء في تعيينها بحسب اجتهادهم في بيانها أو روايتهم التوقيف في ذلك وقالت فرقة آيات موسى إنما أريد بها آيات النوراة التي هي أوامر ونواه روى في هذا صفوان بن عيسال أن يهود المدينة قال لآخر سر بنا إلى هذا النبي نسأله عن آيات موسى فقال له الآخر لا تقل إنه نبي فإنه لو سمعك صار له أربع أعين قال فسار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال هن أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا بيريء إلى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت وقرأ الجمهور فاسأل بني إسرائيل وروى عن الكسائي فسل على لغة من قال سأل يسأل وهذا كله على معنى الأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم أي أسأل معاصريك عما أعلمناك به من غيب القصة ثم قال ^ إذ جاءهم ^ يريد آباءهم وأدخلهم في الضمير إذ هم منهم ويحتمل أن يريد ^ فاسأل

@ 489 @ (بني إسرائيل) الأولين الذين جاءهم موسى وتكون إحالته إياه على سؤالهم بطلب إخبارهم والنظر في أحوالهم وما في كتبهم نحو قوله تعالى ^ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ^ وهذا كما تقول لمن تعظه سل الأمم الخالية هل بقي منها مخلد ونحو هذا مما يجعل النظر فيه مكان السؤال فالحسن سؤالك نظرك في القرآن وقرأ ابن عباس فسأل بني إسرائيل أي فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أي طلبهم لينجيهم من العذاب وقوله ^ مسحوراً ^ اختلف فيه المتأولون فقالت فرقة هو مفعول على بابه أي إنك قد سحرت فكلامك مختل وما تأتي به غير مستقيم وقال الطبري هو مفعول بمعنى فاعل كما قال ^ حجاباً مستورا ^ وكما قالوا مشؤوم وميمون وإنما هو شاييم ويامن . # قال القاضي أبو محمد وهذا لا يتخرج إلا على النسب إي ذا سحر ملكته وعلمته فأنت تأتي بهذه الغرائب لذلك وهذه مخاطبة تنقص فيستقيم أن يكون ^ مسحوراً ^ مفعولاً على ظاهره وعلى أن يكون بمعنى ساحر يعارضنا ما حكى عنهم أنهم قالوا له على جهة المدح ^ يا أيها الساحر ادع لنا ربك ^ فإما أن يكون القائلون هنالك ليس فيهم فرعون وإما أن يكون فيهم لكنه تنقل من تنقصه إلى تعظيمه وفي هذا نظر . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 102 - 104 \$ # روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أنه قرأ علمت بقاء المتكلم مضمومة وقال ما علم عدو الله قط وإنما علم موسى وتتقوى هذه القراءة لمن تأول ^ مسحوراً ^ علي بابه فلما رماه فرعون بأنه قد سحر ففسد نظره وعقله وكلامه رد هو عليه بأنه يعلم آيات الله وأنه ليس بمسحور بل محرر لما يأتي به وهي قراءة الكسائي وقرأ الجمهور لقد علمت بقاء المخاطب مفتوحة فكان موسى عليه السلام رماه بأنه يكفر عنادا ومن قال بوقوع الكفر عنادا فله تعلق بهذه الآية وجعلها كقوله عز وجل ^ وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ^ وقد حكى الطبري ذلك عن ابن عباس ونحا إلى ذلك الزجاج وهي معرضة للاحتمال على أن يكون قول موسى عليه السلام إبلاغاً على فرعون في التوبيخ أي أنت بحال من يعلم هذا وهي من الوضوح بحيث تعلمها ولم يكن ذلك على جهة الخبر عن علم فرعون ومن يريد من الآية وقوع الكفر عنادا فإنما يجعل هذا خيراً من موسى عن علم فرعون والإشارة ب ^ هؤلاء ^ إلى التسع الآيات وقوله ^ بصائر ^ جمع بصيرة وهي الطريقة أي طرائق يهتدي بها وكذلك غلب على البصيرة أنها تستعمل في طريقة النفس في نظرها واعتقادها ونصب ^ بصائر ^ على الحال والمبثور المهلك قاله مجاهد وقال ابن عباس والضحاك هو المغلوب وقال ابن زيد هو المخبول وروي عن ابن عباس أنه فسره بالملعون وقال بعض العلماء كان موسى عليه

@ 490 @ السلام في أول أمره يجزع ويؤمر بالقول اللين ويطلب الوزير فلما تقوت نفسه بقوى النبوة تجلد وقابل فرعون بأكثر مما أمره به بحسب اجتهاده الجائر له قال ابن زيد اجترأ موسى أن يقول له فوق ما أمره الله به وقالت فرقة بل المشبور المغلوب المختدع وما كان موسى عليه السلام ليكون لعانا ومن اللفظة قول عبد الله بن الزبير # (إذا جاري الشيطان في سنن الغي % ومن مال ميله مشبورا) + الخفيف + # وقوله عز وجل ^ فأراد أن يستفزههم ^ الآية ^ يستفزههم ^ معناه يستخفهم ويقلعهم إما بقتل أو بإجلاء و ^ الأرض ^ أرض مصر وقد تقدم أنه متى ذكرت الأرض عموماً فإنما يراد بها ما يناسب القصة المتكلم فيها وقد يحسن عمومها في بعض القصص . # قال القاضي أبو محمد واقتضيت هذه الآية قصص موسى مع فرعون وإنما ذكرت عظم الأمر وخاطريره وذلك طرفاه أراد فرعون غلبتهم وقتلهم وهذا كان بدء الأمر فأغرقه الله وأغرق جنوده وهذا كان نهاية الأمر ثم ذكر تعالى أمر ^ بني إسرائيل ^ بعد إغراق فرعون بسكنى أرض الشام و ^ وعد الآخرة ^ هو يوم القيامة واللفيف الجمع المختلط الذي قد لفت بعضه إلى بعض فليس ثم قبائل ولا انحياز قال بعض اللغويين هو من أسماء الجموع ولا واحد له من لفظه وقال الطبري هو بمعنى المصدر كقول القائل لفقته لفا و ^ لفيفا ^ وفي هذا نظر فتأمله . # قوله عز وجل \$ سورة الإسراء 105 - 108 \$ # الضمير في قوله ^ أنزلناه ^ عائد على القرآن المذكور وفي قوله ^ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ^ ويجوز أن يكون الكلام أنفاً . # وأشار بالضمير إلى القرآن على ذكر متقدم لشهرته كما قال ^ حتى توارت بالحجاب ^ . # وهذا كثير قال الزهراوي معنا بالواجب الذي هو المصلحة والسداد للناس ^ بالحق ^ في نفسه وقوله ^ وبالحق نزل ^ يريد ^ بالحق ^ في أوامره ونواهيته وأخباره فهذا التأويل يكون

تكرار اللفظ لمعنى غير الأول وذهب الطبري إلى أنهما بمعنى واحد أي بأخباره وأوامره وبذلك نزل وقوله ^ وقرأنا ^ مذهب سيبويه أن نصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر بعد أي وفرقتنا قرأنا ويصح أن يكون معطوفاً على الكاف في ^ أرسلناك ^ من حيث كان إرسال هذا وإنزال هذا لمعنى واحد وقرأ جمهور من الناس فرقناه بتخفيف الراء ومعناه بيناه وأوضحناه وجعلناه فرقانا وقرأ ابن عباس وقتادة وأبو رجاء وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وابي بن كعب والشعبي والحسن بخلاف وحמיד وعمرو بن فائد فرقناه بتشديد الراء إلا أن

@ 491 @ في قراءة ابن مسعود وأبي فرقناه عليه لتقرأه أي أنزلناه شيئاً بعد الشيء لا جملة واحدة ويتناسق هذا المعنى مع قوله ^ لتقرأه على الناس على مكث ^ وهذا كان مما أراد الله من نزوله بأسباب تقع في الأرض من أقوال وأفعال في أزمان محدودة معينة واختلف أهل العلم في كم القرآن من المدة فقيل في خمس وعشرين سنة وقال ابن عباس في ثلاث وعشرين سنة وقال قتادة في عشرين سنة وهذا بحسب الخلاف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن الوحي بدأ وهو ابن أربعين وتم بموته وحكى الطبري عن الحسن البصري أنه قال نزل القرآن في ثمان عشرة سنة وهذا قول يختل لا يصح عن الحسن والله أعلم وتأولت فرقة قوله عز وجل ^ على مكث ^ أي على ترسل في التلاوة وهو ترتيب هذا قول مجاهد وابن عباس وابن جريج وابن زيد والتأويل الآخر أي ^ على مكث ^ وتناول في المدة شيئاً بعد شيء وقوله ^ ونزلناه تنزيلاً ^ مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم ذكره في ألفاظ الآية وأجمع القراء على ضم الميم من ^ مكث ^ ويقال مكث ومكث بكسرهما وقوله ^ قل آمنوا به ^ الآية تحقير للكفار وفي ضمنه ضرب من التوعد والمعنى أنكم لستم بحجة فسواء علينا أمنت أم كفرتم وإنما ضر ذلك على أنفسكم وإنما الحجة أهل العلم من قبله وهم بالصفة المذكورة واختلف الناس في المراد ب ^ الذين أوتوا العلم من قبله ^ فقالت فرقة هم مؤمنو أهل الكتاب وقالت فرقة هم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ومن جرى مجراهما . # وقيل إن جماعة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذكروا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه وقرئ عليهم منه شيء فخشعوا وسبحوا لله وقالوا هذا وقت نبوة المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا إلى الإسلام هذا الجنوح فنزلت الآية فيهم وقالت فرقة المراد ب ^ الذين أوتوا العلم من قبله ^ محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في ^ قبله ^ عائد على القرآن حسب الضمير في ^ به ^ وبين ذلك قوله ^ إذا يتلى ^ وقيل الضميران لمحمد . # واستأنف ذكر القرآن في قوله ^ إذا يتلى ^ وقوله ^ للأذقان ^ أي لناحيتهما وهذا كما تقول تساقط لليد والقم أي لناحيتهما وعليهما قال ابن عباس المعنى للوجوه وقال الحسن المعنى للحي والأذقان أسافل الوجوه حيث يجتمع اللحيان وهي أقرب ما في رأس الإنسان إلى الأرض لا سيما عند سجوده وقال الشاعر # (فخرنا لأذقان الوجوه تنوشهم % سباع من الطير العوادي وتنثف) + الطويل + # و ^ إن ^ في قوله ^ إن كان ^ هي عند سيبويه المخففة من الثقلية واللام بعدها لام التوكيد وهي عند الفراء النافية واللام بمعنى إلا ويتوجه في هذه الآية معنى آخر وهو أن يكون قوله ^ آمنوا به أو لا تؤمنوا ^ مخلصاً للوعيد دون التحقير والمعنى فسترون ما تجازون به ثم ضرب لهم المثل على جهة التقرير بمن تقدم من أهل الكتاب أي أن الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر بل الذين أوتوا التوراة والإنجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة ^ إذا يتلى عليهم ^ ما نزل عليهم خشعوا وأمنوا . # قوله عز وجل

@ 492 @ \$ سورة الإسراء 109 - 111 # هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحض لكل من ترسم بالعلم وحصل منه شيئاً أن يجري أي هذه الرتبة وحكى الطبري عن التميمي أنه قال إن من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق أن يكون أوتي علماً ينفعه لأن الله تعالى نعت العلماء ثم تلا هذه الآية كلها وقوله ^ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ^ سبب نزول هذه الآية أن المشركين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا يا الله يا الرحمن فقالوا كان محمد أمرنا بدعاء إله واحد وهو يدعو إلهين قاله ابن عباس وقال مكحول تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال في دعائه يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين وكان باليمامة رجل يسمى الرحمن فقال ذلك السامع ما بال محمد يدعو رحمن اليمامة فنزلت مبينة أنها لمسمى واحد فإن دعوتهم بالله فهو ذلك وإن دعوتهم بالرحمن فهو ذلك وقرأ طلحة بن مصرف أيا ما تدعوا فله الأسماء أي وله سائر الأسماء الحسنى أي التي تقتضي أفضل الأوصاف وهي بتوقيف لا يصح وضع اسم الله ينظر إلا بتوقيف من القرآن أو الحديث وقد روي أن لله تسعة وتسعين اسماً الحديث ونصها كلها الترمذي وغيره بسند وتقدير الآية أي الأسماء تدعوا به فأنت مصيب له الأسماء الحسنى ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجهر بصلاته وأن لا يخافت بها وهو الإسرار الذي لا يسمعه المتكلم به هذه هي حقيقته ولكنه في الآية عبارة عن خفض الصوت وإن لم ينته إلى ما ذكرناه واختلف المتأولون في الصلاة ما هي فقال ابن عباس وعائشة وجماعة هي الدعاء وقال ابن عباس أيضاً هي قراءة القرآن في الصلاة فهذا على حذف مضاف التقدير ^ ولا تجهر ^ بقراءة صلاتك قال والسبب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فسمعه المشركون فسيبوا القرآن ومن أنزله فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوسط ليسمع أصحابه المصلون معه ويذهب عنه أذى المشركين قال ابن سيرين كان الأعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الآية في ذلك وكان أبو بكر رضي الله عنه يسر قراءته وكان عمر يجهر بها فقيل لهما في ذلك فقال أبو بكر إنما أنا جري ربي وهو يعلم حاجتي وقال عمر أنا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت هذه الآية قيل لأبي بكر أرفع أنت قليلاً وقيل لعمر اخفض أنت قليلاً وقالت عائشة أيضاً الصلاة يراد بها في هذه الآية التشهد وقال ابن عباس والحسن المراد والمعنى ولا تحسن صلاتك في الجهر ولا تسئها في السر بل اتبع طريقاً وسطاً يكون دائماً في كل حالة وقال ابن زيد معنى الآية النهي عما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوت أحياناً فيرفع الناس معه ويخفض أحياناً فيسكت من خلفه وقال ابن عباس في الآية إن معناها ^ ولا تجهر ^ بصلاة النهار ^ ولا تخافت ^ بصلاة الليل واتبع سبيلاً من امتثال الأمر كما رسم لك ذكره يحيى بن سلام والزهراوي وقال عبد الله بن مسعود لم يخافت من أسمع أذنيه وما روي من أنه قيل لأبي بكر أرفع أنت قليلاً يرد هذا ولكن الذي قال ابن مسعود هو أصل اللغة ويستعمل الخفوت بعد ذلك في أرفع من ذلك وقوله تعالى ^ وقل الحمد لله ^ الآية هذه الآية رادة على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذا عزيز وعيسى

@ 493 @ والملائكة ذرية لله سبحانه وتعالى عن أقوالهم وورادة على العرب في قولهم لولا أولياء الله لذل وقيد لفظ الآية نفي الولاية لله عز وجل بطريق الذل وعلى جهة الانتصار إذ ولايته موجودة بتفضله ورحمته لمن والى من صالحى عباده قال مجاهد المعنى لم يخالف أحداً ولا ابتغى نصر أحد وقوله ^ وكبره تكبيراً ^ أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال ثم أكدها بالمصدر تحقيقاً لها وإبلاغاً في معناها وروى مطرف عن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الأنعام وختمت بخاتمة هذه السورة . # نجر تفسير سورة سبحان والحمد لله رب العالمين .

@ 494 @ \$ بسم الله الرحمن الرحيم \$ \$ سورة الكهف \$ هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين وروي عن فرقة أن أول السور نزل بالمدينة إلى قوله ^ جزراً ^ والأول أصح وهي أفضل سور القرآن وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إلا أخبركم بسورة عظمتها ما بين السماوات والأرض ولمن جاء بها من الأجر مثل ذلك قالوا أي سورة هي يا رسول الله قال سورة الكهف من قرأ بها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وفي رواية أنس ومن قرأ بها أعطى نوراً بين السماء والأرض ووقى بها فتنة القبر . # قوله عز وجل \$ الكهف 1 - 5 # كان حفص عن عاصم يسكت عند قوله ^ عوجاً ^ سكتة خفيفة وعند ^ مرقداً ^ في سورة يس وسبب هذه الابداء في هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سألته قريش عن المسائل الثلاث الروح والكهف وذو القرنين حسباً أمرتهم بهن يهود قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً أخبركم بجواب سؤالكم ولم يقل إن شاء الله فعاتبه الله عز وجل بأن استمسك الوحي عنه خمسة عشر يوماً فأرجف به كفار قريش وقالوا إن محمداً قد تركه ربه الذي كان يأتيه من الجن وقال بعضهم قد عجز عن أكاذيبه إلى غير ذلك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ منه فلما انقضى الأمد الذي أراد الله تعالى عتاب محمد إليه جاءه الوحي من الله بجواب الأسئلة وغير ذلك فافتتح الوحي بحمد الله ^ الذي أنزل على عبده الكتاب ^ أي بزعمكم أنتم يا قريش وهذا كما تقول لرجل يحب مساءتك فلا يرى إلا نعمتك

الحمد لله الذي أنعم عليّ وفعل بي كذا على جهة النعمة عليه و[^] الكتاب[^] هو القرآن وقوله[^] ولم يجعل له عوجا[^] أي لم يزله عن طريق الاستقامة والعوج فقد الاستقامة وهو بكسر العين في الأمور والطرق وما لا يحس منتصبا شخصا والعوج يفتح العين في الأشخاص كالعصا والحائط ونحوه وقال ابن عباس معناه ولم يجعله مخلوقا وقوله[^] ولم يجعل له

@ 495 @ عوجا) يعم هذا وجميع ما ذكره الناس من أنه لا تناقض فيه ومن أنه لا خلل ولا اختلاف فيه . # وقوله[^] قيما[^] نصب على الحال من[^] الكتاب[^] فهو بمعنى التقديم مؤخر في اللفظ أي أنزل الكتاب قيما واعترض بين الحال وذو الحال قوله[^] ولم يجعل له عوجا[^] وذكر الطبري هذا التأويل عن ابن عباس ويجوز أن يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره أنزله أو جعله[^] قيما[^] وفي بعض مصاحف الصحابة ولم يجعل له عوجا لكن جعله قيما قاله قتادة ومعنى قيم مستقيم هذا قول ابن عباس والضحاك وقيل معناه أنه قيم على سائر الكتب بتصديقها ذكره المهدوي وهذا محتمل وليس من الاستقامة ويصح أن يكون معنى قيم قيامه بأمر الله عز وجل على العالم وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة للذين عما العالم . # والباس الشديد عذاب الآخرة ويحتمل أن يندرج معه في النذارة عذاب الدنيا بيدر وغيرها ونصبه على المفعول الثاني والمعنى لينذر العالم وقوله[^] من لدنه[^] أي من عنده ومن قبله والضمير في[^] لدنه[^] عائذ على الله تعالى وقرأ الجمهور من لدنه بضم الدال وسكون النون وضم الهاء وقرأ عاصم في رواية أبي بكر من لدنه بسكون الدال وإشمام الضم فيها وكسر النون والهاء وفي لدن لغات يقال لدن مثل سبع ولدن بسكون الدال ولدن بضم اللام ولدن بفتح اللام والدال وهي لفظة مبنية على السكون ويلحقها حذف النون مع الإضافة وقرأ عبد الله وطلحة وبيشتر بفتح الباء وسكون الباء وضم الشين وقوله[^] أن لهم أجرا[^] تقديره بأن لهم أجرا والأجر الحسن نعيم الجنة ويتقدمه خير الدنيا و[^] ما كئين[^] حال من الضمير في[^] لهم[^] و[^] أبدا[^] ظرف لأنه دال على زمن غير متناه . # قال القاضي أبو محمد وقد أشرت في تفسير هذه الآية إلى أمر اليهود قريشا بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل الثلاث وينبغي أن تنص كيف كان ذلك . # ذكر ابن إسحاق عن ابن عباس بسند أنه قال بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة فقالوا لهما سلامهم عن محمد وصفا لهم صفته فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألا أخبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لهما أخبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متفول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول وما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح . # فأقبل النضر وعقبة إلى مكة وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وكان الأمر ما ذكرناه وقوله[^] وينذر الذين قالوا اتخذ الله[^] الآية[^] أهل هذه المقالة هم بعض اليهود في عزير والنصارى في المسيح وبعض العرب في الملائكة والضمير في[^] به[^] يحتمل أن يعود على القول الذي يتضمنه[^] قالوا[^] المتقدم وتكون جملة قوله[^] ما لهم به من علم[^] في موضع الحال أي قالوا جاهلين ويحتمل أن يعود على الولد الذي ادعوه فتكون الجملة صفة للولد قاله المهدوي وهو معترض لأنه لا يصفه إلا القائل وهم ليس في قصدهم أن يصفوه والصواب عندي أنه نفي مؤنثف أخبر الله تعالى بجهلهم في ذلك فلا موضع للجملة من الإعراب ويحتمل أن يعود على الله عز وجل وهذا التأويل أدم لهم وأقصى بالجهل التام عليهم وهو قول الطبري . # وقوله[^] ولا لآياتهم[^] يريد الذين أخذ هؤلاء هذه المقالة عنهم

@ 496 @ وقرأ الجمهور كبرت كلمة بنصب الكلمة كما تقول نعم رجلا زيد وفسر الكلمة ووصفها بالخروج من أفواههم وقال بعضهم نصبها على التفسير على حد نصب قوله تعالى[^] وساء مرتفقا[^] وقالت فرقة نصبها على الحال والتقدير[^] كبرت[^] فريتهم أو نحو هذا[^] كلمة[^] وسميت هذه الكلمات[^] كلمة[^] من حيث هي مقالة واحدة كما يقولون للقصيدة كلمة وهذه المقالة قائمة في النفس معنى واحدا فيحسن أن تسمى كلمة وقرأ الحسن ويحيى بن يعمر وابن محيصن والقواسم عن ابن كثير كبرت كلمة برفع الكلمة على أنها فاعلة ب[^] كبرت[^] وقوله[^] إن يقولون[^] أي ما يقولون . # قوله عز وجل \$ الكهف 6 - 9 \$ هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله[^] فلعلك[^] تقرير وتوفيق بمعنى الإنكار عليه أي لا تكن كذلك والباخع نفسه هو مهلكها وجدا وحزنا على ما أمر ما ومنه قول الشاعر (# ألا أيها ذا الباخع الوجد نفسه % لشيء نحتة عن يديه المقادر) + الطويل + # يريد نحتة فخفف وقوله[^] على آثارهم[^] استعارة فصيحة من حيث لهم إدار وتباعد عن الإيمان وإعراض عن الشرع فكأنهم من فرط إدارهم قد بعدوا فهو في آثارهم يحزن عليهم وقوله[^] بهذا الحديث[^] أي بالقرآن الذي يحدثك به و[^] أسفا[^] نصب على المصدر قال الزجاج والأسف المبالغة في حزن أو غضب . # قال القاضي أبو محمد والأسف في هذا الموضع الحزن لأنه على من لا يملكه ولا هو تحت يد الأسف ولو كان الأسف من مقتدر على من هو في قبضته وملكه لكان غضبا كقوله تعالى[^] فلما أسفونا[^] أي أغضبونا وإذا تأملت هذا في كلام العرب اطرد وذكره منذر بن سعيد وقال قتادة هنا[^] أسفا[^] غضبا قال مجاهد[^] أسفا[^] جزعا وقال قتادة أيضا حزنا ومن هذه اللفظة قول الأعشى (# أرى رجلا منكم أسيفا كأنما % يضم إلي كشيء كفا مخضيا) + الطويل + # يريد حزينا كأنه مقطوع اليد وقوله[^] إنا جعلنا ما على الأرض زينة[^] الآية بسط في التسلية أي لا تهتم للدنيا وأهلها فأمرها وأمرهم أقل بفتائنها وذهابها فإنما جعلنا ما على الأرض زينة وإمتحانا وخبرة واختلف في المراد ب[^] ما[^] فقال ابن جبير عن ابن عباس أراد الرجال وقاله مجاهد وروى عكرمة عن ابن عباس أن الزينة الخلفاء والعلماء والأمراء وقالت فرقة أراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه زينة ولم يدخل في هذا الجبال الصم وكل ما لا زين فيه كالحيات والعقارب وقالت

@ 497 @ فرقة أراد كل ما على الأرض عموما وليس شيء إلا وفيه زينة من جهة خلقه وصنعتة وإحكامه . # وفي معنى هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء . # و[^] زينة[^] مفعول به ثان أو مفعول من أجله بحسب معنى جعل وقوله[^] لنبلوهم أيهم أحسن عملا[^] أي لنختبرهم وفي هذا وعيد ما قال سفيان الثوري[^] أحسنهم عملا[^] أزهدهم فيها وقال أبو عاصم العسقلاني أحسن عملا[^] أترك لها . # قال القاضي أبو محمد وكان أبي رضي الله عنه يقول أحسن العمل أخذ بحق واتفاق في حق مع الإيمان وأداء الفرائض واجتناب المحارم والإكثار من المندوب إليه . # وقوله[^] وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جززا[^] أي يرجع كل ذلك ترابا غير مترين بنيات ونحوه والجزز الأرض التي لا شيء فيها من عمارة وزينة فهي البلقع وهذه حالة الأرض العامرة الخالية بالدين لا بد لها من هذا في الدنيا جزءا جزءا من الأرض ثم يعمها ذلك بأجمعها عند القيامة يقال جززت الأرض بقحط أو جراد أو نحوه إذا ذهب نباتها وبقيت لا شيء فيها ولا نفع وأرضون أجزاز قال الزجاج والجزز الأرض التي لا تنبت . # قال القاضي أبو محمد وإنما ينبغي أن يقول التي لم تنبت والصعيد وجه الأرض وقيل الصعيد التراب خاصة وقيل الصعيد الأرض الطيبة وقيل الصعيد الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة وقوله تعالى في[^] أم حسبت[^] الآية مذهب سبويه[^] أم[^] إذا جاءت دون أن يتقدمها ألف استفهام أنها بمعنى بل وألف الاستفهام كأنه قال بل أحسبت إضرابا عن الحديث الأول واستفهاما عن الثاني وقال بعض النحويين هي بمنزلة ألف الاستفهام وأما معنى الكلام فقال الطبري هو تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم على حسابه أن أصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى إنكار ذلك عليه أي لا تعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم وأشنع وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحاق وذكر الزهراوي أن الآية تحتمل معنى آخر وهو أن تكون استفهاما له هل علم أصحاب الكهف عجبا بمعنى إثبات أنهم عجب وتكون فائدة تقريره جمع نفسه للام لأن جوابه أن يقول لم أحسب ولا علمته فيقال له وصفهم عند ذلك والتجوز في هذا التأويل هو في لفظه حسبت فتأمله و[^] الكهف[^] النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار وحكى النحاس عن انس بن مالك أنه قال[^] الكهف[^] الجبل وهذا غير شهير في اللغة واختلف الناس في[^] الرقيم[^] فقال كعب[^] الرقيم[^] القرية التي كانت بإزاء[^] الكهف[^] وقال ابن عباس وقتادة[^] الرقيم[^] الوادي الذي كان بإزائه وهو واد بين عصبان وأيلة دون فلسطين وقال ابن عباس أيضا هو الجبل الذي فيه[^] الكهف[^] وقال السدي[^] الرقيم[^] الصخرة التي كانت على[^] الكهف[^] وقال ابن عباس[^] الرقيم[^] كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى وقيل من دين قبل عيسى وقال ابن زيد كتاب عمى الله علينا أمره ولم يشرح لنا قصته وقالت فرقة[^] الرقيم[^] كتاب في لوح نحاس وقال ابن عباس في لوح رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخا لهم ذكروا وقت فقدهم

وكم كانوا وبني من كانوا وقال سعيد بن جبير ^ الرقيم ^ لوح من حجارة كتبوا فيه قصة ^ أصحاب الكهف ^ ووضعه على باب الكهف ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قوما مؤرخين للحوادث وذلك من

@ 498 @ قبل المملكة وهو أمر مفيد وهذه الأقوال مأخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم ومنه الأرقم لتخطيطه ومنه رقمة الوادي أي مكان جري الماء وانعطافه يقال عليك بالرقمة وخل الضفة وقال النقاش عن قتادة ^ الرقيم ^ دراهمهم وقال أنس بن مالك والشعبي ^ الرقيم ^ الكلب وقال عكرمة ^ الرقيم ^ الدواة وقال فرقة ^ الرقيم ^ كان لفتية آخرين في السراة جرى لهم ما جرى ل أصحاب الكهف ^ وروي عن ابن عباس أنه قال ما أدري ما ^ الرقيم ^ أكتاب أم ببيان وروي أنه قال كل بالقرآن أعلمه إلا الختان والأواه والرقيم . # قوله عز وجل \$ الكهف 10 - 12 \$ # الفتية ^ فيما روي قوم من أبناء أشرف مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقيوس ويقال دقيونوس وروي أنهم كانوا مطوقين مسورين بالذهب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى وأما أسماؤهم فهي أعجمية والسند في معرفتها واه ولكن التي ذكر الطبري هي هذه مكسييليمنيا وهو أكبرهم والمتكلم عنهم ومحسيلييليا وتخليها وهو الذي مضى بالورق إلى المدينة عند بعثهم من رقدتهم مرطوس وكشوطونس وبيرونس ودينموس ويطونس واختلف الرواة في قصص هؤلاء الفتية وكيف كان اجتماعهم وخروجهم إلى الكهف وأكثر المؤرخون في ذلك ولكن نختصر من حديثهم ونذكر ما لا تستغني الآية عنه ونذكر من الخلاف عيونهم حول الله روي مجاهد عن ابن عباس أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الأصنام ويذبح لها ويكفر بالله وقد تابعه على ذلك أهل المدينة فوقع للفتية علم من بعض النحويين حسب ما ذكر النقاش أو من مؤمني الأمم قبلهم بحسب الخلاف الذي ذكرناه فأمنوا بالله ورأوا بصفاتهم قبيح فعل الناس فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله فرجع أمرهم إلى الملك وقيل له إنهم قد فارقوا دينك واستخفوا أهلك وكفروا بها فاستحضرهم الملك في مجلسه وأمرهم بتباعد دينه والذبح لألهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي ^ ربنا رب السماوات والأرض ^ إلى قوله ^ وإذ اعتزلتموهم ^ وروي أنهم قالوا نحو هذا الكلام وليس به فقال لهم الملك إنكم شبان أغمار لا عقول لكم وأنا لا أعجل بكم بل أستاذني فأذهبوا إلى منازلكم وديروا رأيكم وارجعوا إلى أمري وضرب لهم في ذلك أجلا ثم إنه سافر خلال الأجل فتشاور الفتية في الهروب بأديانهم فقال لهم أحدهم إني أعرف كهفا في جبل كذا كان أبي يدخل فيه غنمه فلنذهب إليه فنختفي فيه حتى يفتح الله لنا فخرجوا فيما روي يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها إلى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم وقيل إنهم كانوا متقنين فحضر عيد أخرجوا له فركبوا في جملة الناس ثم أخذوا في اللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك فرقة أن أمر أصحاب الكهف إنما كان

@ 499 @ أنهم كانوا من أبناء الأشرف فحضر عيد لأهل المدينة فرأى الفتیان ما يمثله الناس في ذلك العيد من الكفر وعبادة الأصنام والذبح لها فوقع الإيمان في قلوبهم وأجمعوا على مفارقة الناس لئلا ينالهم العذاب معهم فزايلا الناس وذهبوا إلى الكهف وروي وهب بن منبه أن أمرهم إنما كان إن حواريا لعيسى ابن مريم جاء إلى مدينة أصحاب الكهف يريد دخولها فاجر نفسه من صاحب الحمام فكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في أعماله على دينه واشتهرت خلطتهم به فأتى يوما إلى ذلك الحمام ولد الملك المدينة فنشتر فيهم الإيمان وعرفهم الله تعالى فأمنوا واتبعوه على دينه واشتهرت خلطتهم به فأتى يوما إلى ذلك الحمام ولد الملك بامرأة بغى أراد الخلوة بها فنهاه ذلك الحوارى فاتته ثم جاء مرة أخرى فنهاه فنشتمه وأمضى عزمه في دخول الحمام مع البغي فدخل فماتا فيه جميعا فاتتها ذلك الحوارى وأصحابه بقتله ففروا جميعا حتى دخلوا الكهف وقال عبيد إن أصحاب الكهف كانوا فتية أبناء العظماء مطوقين مسورين ذوي نواب قد داخلهم الإيمان أفاذا وأزمع واحد منهم الفرار بدينه من بلد الكفر فأخرجهم الله في يوم واحد لما أرادهم بهم فخرج أحدهم فجلس في ظل شجرة على بعد من المدينة فخرج ثان فلما رأى الجالس جلس إليه ثم الثالث ثم الباقيون حتى كمل جميعهم في ظل الشجرة فلقى الله في نفوسهم أن غرضهم واحد فتساءلوا ففرغ بعضهم من بعض وتكلموا ثم تراضوا برجلين منهم وقالوا لنفرد أو نواتقا وليفئس كل واحد منكما سره إلى صاحبه فإن اتفقنا كنا معكما فنهضنا بعيدا وتكلمنا فافصحا بالإيمان والهروب بالدين فرجعا وقضحا الأمر وتابعهما الآخرون ونهضوا إلى الكهف وأما الكلب فروي أنه كان كلب صيد لبعضهم وروي أنهم وجدوا في طريقهم راعيا له كلب فاتبعهم الراعي على رأيهم وذهب الكلب معهم واسم الكلب حمران وقيل قطير فدخلوا الغار على جميع هذه الأقوال فروت فرقة أن الله عز وجل ضرب على أذانهم عند ذلك لما أرادهم من سترهم وخفي على أهل المملكة مكانهم وعجب الناس من غرابة فقدهم فأرخوا ذلك ورقموه في لوحين من رصاص أو نحاس وجعلوه على باب المدينة فيه أسماؤهم وأسماء آبائهم وذكر شرفهم وأنهم فقدوا بصورة كذا في وقت كذا وقيل إن الذي كتب هذا وتهمم به رجلان قاضيان مؤمنان يكتمان إيمانهما من أهل بيت المملكة وتسنرا بذلك ودفنا اللوحين عندهما وقيل على الرواية بأن الملك أتى باب الغار وأنهما دفنا ذلك في بناء الملك على الغار وروت فرقة أن الملك لما ذهب الفتية أمر بقص آثارهم فاتته ذلك بمتبعيهم إلى باب الغار فعرف الملك فركب في جنده حتى وقف عليه فأمر بالدخول عليهم فهاب الرجال ذلك فقال له بعض وزرائه ألسنت أيها الملك إن أخرجتهم قتلتمهم قال نعم قال فأبي قتلته أبلغ من الجوع والعطش ابن عليهم باب الغار ودعهم يموتوا فيه ففعل وقد ضرب الله على أذانهم قبل ذلك لما أراد من تأمينهم وأرخ الناس أمرهم في اللوحين أو أرخه الرجلان بحسب الخلاف واسم أحد الرجلين فيما ذكر الطبري بندروس واسم الآخر روناس وروي أن هذا الملك الذي فر الفتية من دينه كان قد امتحن الله به المؤمنين حيث أحس بهم يقتلهم وعلقهم أشخاصا ورؤوسا على أسوار مدينته وكان يريد أن يذهب فيما ذكر دين عيسى وكان هو وقومه من الروم ثم أخبر الله تعالى عن الفتية أنهم لما أووا إلى الكهف أي دخلوه وجعلوه ماوى لهم وموضع اعتصام دعوا الله تعالى بأن يؤتيتهم من عنده رحمة وهي الرزق فيما ذكر

@ 500 @ المفسرون وأن يهيب لهم من أمرهم ^ رشدا ^ أي خلاصا جميلا وقرأ الجمهور رشدا بفتح الراء والشين وقرأ أبو رجاء رشدا بضم الراء وسكون الشين والأولى أرجح لتشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم وألفاظه تقتضي ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط فإنها ويحتمل ذكر الرحمة أن يراد بها أمر الآخرة وقد اختصرت هذا القصص ولم أغفل من مهمه شيئا بحسب اجتهادي والله المعين برحمته وقوله ^ فضرنا على أذانهم ^ الآية عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم ويعبر عن هذا ونحوه ب الضرب لتبين قوة المباشرة وشدة اللصوق في الأمر المتكلم فيه والإلزام ومنه ضرب الذلة والمسكنة ومنه ضرب الجزية ومنه ضرب البعث ومنه قول الفرزدق # (ضربت عليك العنكبوت بنسجها % وقضى عليك به الكتاب المنزل) + الكامل + # فهذا يستعمل في اللزوم البليغ وأما تخصيص الأذان بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم وقلما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه ولا يستحکم نوم إلا مع نعلل السمع ومن ذكر الأذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذلك رجل بال الشيطان في أذنه أشار صلى الله عليه وسلم إلى رجل طويل النوم لا يقوم بالليل وقوله ^ عددا ^ نعت للسنين والقصد به العبارة عن التكرير أي تحتاج إلى عدد وهي ذات عدد قال الزجاج ويجوز أن يكون نصب ^ عددا ^ على المصدر والبعث التحريك بعد سكون وهذا مطرد مع لفظة البعث حيث وقعت وقد يكون السكون في الشخص أو عن الأمر المبعوث فيه وإن كان الشخص متحركا وقوله ^ لنعلم ^ أحصا عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود وهذا على نحو كلام العرب أي لنعلم ذلك موجودا وإلا فقد كان الله تعالى علم ^ أي الحزبين ^ أحصا الأمد وقرأ الزهري الذين يعلم بالياء والحزبان الفريقان والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية إذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين وقالت فرقة هما حزبان من الكافرين اختلفا في مدة أصحاب الكهف وقالت فرقة هما حزبان من المؤمنين وهذا لا يرتبط من ألفاظ الآية وأما قوله ^ أحصى ^ فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض و ^ أمدأ ^ منصوب به على المفعول والأمد الغاية وتأتي عبارة عن المدة من حيث للمدة غاية هي أمدها على الحقيقة وقال الزجاج ^ أحصى ^ هو أفعل (و ^ أمدأ ^ على هذا نصب على التفسير ويلحق هذا القول من الاختلال أن أفعل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ و ^ أحصى ^ فعل رباعي ويحتج لقول أبي إسحاق بأن أفعل من الرباعي قد كثر كقولك ما أعطاه للمال وأتاه للخير وقال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة جهنم هي أسود من القار وقال في صفة حوضه صلى الله عليه وسلم ماؤه أبيض من

اللبن وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو لما سواها أضيغ وهذه كلها أفعال من الرباعي وقال مجاهد ^ أمدا ^ معناه عددا وهذا تفسير بالمعنى على جهة التقريب وقال الطبري نصب ^ أمدا ^ ب ^ لبثوا ^ وهذا غير متجه . # وقوله عز وجل \$ الكهف 13 - 16 \$

@ 501 @ # لما اقتضى قوله ^ لنعلم أي الحزبين أحصى ^ اختلافا وقع في أمر الفتية عقب بالخبر عن أنه عز وجل يعلم من أمرهم ^ بالحق ^ الذي وقع وفي مجموع هذه الآيات جواب قريش عن سؤالهم الذي أمرتهم به بنو إسرائيل . # والقص الإخبار بأمر يسرد لا بكلام يروى شيئا شيئا لأن تلك المخاطبة ليست بقصص وقوله ^ وزدناهم هدى ^ أي يسرناهم للعمل الصالح والانقطاع إلى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادات على الإيمان . # وقوله ^ وربطنا على قلوبهم ^ عبارة عن شدة عزم وقوة صبر أعطاهما الله لهم ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن يشبه الربط ومنه يقال فلان رابط الجأش إذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحرب وغيرها ومنه الربط على قلب أم موسى وقوله ^ إذ قاموا فقالوا ^ يحتمل معنيين أحدهما أن يكون هذا وصف مقامهم بين يدي الملك الكافر فإنه مقام يحتاج إلى الربط على القلب حيث صلبوا عليه وخالفوا دينه ورفضوا في ذات الله هيبته والمعنى الثاني أن يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله ومنايذة الناس كما تقول قام فلان إلى أمر كذا إذا اعتزم عليه بغاية الجد وبهذه الألفاظ التي هي قاموا فقالوا تعلق الصوفية في القيام والقول وقرأ الأعمش إذ قاموا قياما فقالوا وقولهم ^ لقد قلنا إذا شططا ^ أي لو دعونا من دون ربنا إليها والشطط الجور وتعدي الحد والغلو بحسب الأمر ومنه اشتط الرجل في السوم إذا طلب في سلته فوق قيمتها ومنه شطوط النوى والبعد ومن اللفظة قول الشاعر # (أيا لقومي قد اشتط عواذلي % وبزعمن أن أودي بحقي باطلاي) + الطويل + # وقولهم ^ هؤلاء قومنا ^ مقالة تصلح أن تكون مما قالوا في مقامهم بين يدي الملك وتصلح أن تكون من قول بعضهم لبعض عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه وقولهم ^ لولا يأتون ^ تحضيض بمعنى التعجيز لأنه تحضيض على ما لا يمكن وإذا لم يمكنهم ذلك لم يجب أن تلفت دعواهم والسلطان الحجة وقال قتادة المعنى يعذر بين وهذه عبارة محلفة ثم عظموا جرم الداعين مع الله آلهة وظلمهم بقوله على جهة التقريب ^ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ^ وقولهم ^ وإذا اعتزلتموهم ^ الآية أن القيام في قوله ^ إذا قاموا ^ عزا كما تضمن التأويل الواحد وكان القول منهم فيما بينهم هذه المقالة يصح أن تكون من قولهم الذي قالوه عند قيامهم وإن كان القيام المذكور مقامهم بين يدي الملك فهذه المقالة لا يترتب أن تكون من مقالهم بين يدي الملك بل يكون في الكلام حذف تقديره وقال بعضهم لبعض وبهذا يترجح أن قوله تعالى ^ إذ قاموا فقالوا ^ إنما المراد به إذ عزموا ونفذوا لأمرهم وقوله ^ إلا الله ^ إن فرضنا

@ 502 @ الكفار الذين فر أهل الكهف منهم لا يعرفون الله ولا علم لهم به وإنما يعتقدون الألوهية في أصنامهم فقط فهو استثناء منقطع ليس من الأول وإن فرضناهم يعرفون الله ويعظمونه كما كانت تفعل العرب لكنهم يشركون أصنامهم معه في العبادة فلاستثناء متصل لأن الاعتزال وقع في كل ما يعبد الكفار إلا في جهة الله تعالى وفي مصحف ابن مسعود وما يعبدون من دون الله قال قتادة هذا تفسيرها قال هارون وفي بعض مصاحفه وما يعبدون من دوننا فعلى ما قال قتادة تكون ^ إلا ^ بمنزلة غير و ^ ما ^ من قوله ^ وما يعبدون ^ في موضع نصب عطفا على الضمير في قوله ^ اعتزلتموهم ^ ومضمن هذه الآية أن بعضهم قال لبعض إذ فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى فلنجعل الكهف مأوى وتكلم على الله تعالى فإنه سيبسط لنا رحمته وينشرها علينا ويهيب لنا من أمرنا ^ مرفقا ^ وهذا كدعاء بحسب الدنيا وعلى ثقة من الله كانوا في أمر آخرتهم وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر كالرفق فيما حكى أبو زيد وهي قراءة أبي جعفر والأعرج وشيبة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي والحسن وطلحة والأعمش وابن أبي إسحاق مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء ويقالان جميعا في الأمر وفي الجارحة حكاة الزجاج وذكر مكي عن الفراء أنه قال لا أعرف في الأمر وفي اليد وفي كل شيء إلا كسر الميم وأنكر الكسائي أن يكون المرفق من الجارحة إلا بفتح الميم وكسر الفاء وخالفه أبو حاتم وقال المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وهما بعد لغتان . # قوله عز وجل \$ الكهف 17 - 18 \$ # بين هاتين الآيتين اقتضاب يبينه ما تقدم من الآيات تقديره فأووا وضرب الله على آذانهم ومكثوا كذلك وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو تراور بتشديد الزاي وإدغام التاء وقرأ عاصم وحزمة والكسائي تراور بتخفيفها بتقدير تراور فحذفت إحدى التاءين وقرأ ابن عامر وابن أبي إسحاق وقاتدة تراور في وزن تحمر وقرأ الجحدري وأبو رجاء تراور بألف بعد الواو ومعنى اللفظ على كل هذا التصريف تعدل وتروغ وتميل وهذه عبارات المفسرين أما أن الأخفش قال تراور معناه تنتقض والزور الميل والأزور في العين المائل النظر إلى ناحية ويستعمل في غير العين كقول ابن أبي ربيعة # (وجني خيفة القوم أزور %) # ومن اللفظة قول عنترة # (فأزور من وقع الفنا بلبانه %) + الكامل + # ومنه قول بشر بن أبي حازم

@ 503 @ # (تؤم بها الحداة مياه نخل % وفيها عن أبانين أزورار) + الوافر + # وفي حديث غزوة مؤتة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في سرير عبد الله بن رواحة أزورارا عن سرير جعفر وزيد بن حارثة وقرأ الجمهور تقرضهم بالتاء وقرقة بقرضهم بالياء أي الكهف كأنه من القرص وهو القطع أي يقتطعهم الكهف بطله من ضوء الشمس وجمهور من قرأ بالتاء فالمعنى أنهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة وهو قول ابن عباس فيتأولون تقرضهم بمعنى تتركهم أي كأنها عنده تقطع كل ما لا تناله عن نفسها وقرقة ممن قرأ بالتاء تاول أنها كانت بالعشي تنالهم فكانها تقرضهم أي تقتطعهم مما لا تناله وقالوا كان في مسها لهم بالعشي صلاح لأجسامهم وحكى الطبري أن العرب تقول قرضت موضع كذا أي قطعته ومنه قول ذي الرمة # (إلى طعن يقرض أجواز مشرف % شمالا وعن إيمانهم الفوارس) + الطويل + # ومنه أقرضني درهما أي اقطع له من مالك وهذه الصفة مع ^ الشمس ^ تقتضي أنه كان لهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاويته وحكى الزجاج وغيره قال كان باب الكهف ينظر إلى بنات نعيش وقاله عبد الله بن مسلم وهذا نحو ما قلناه غير أن الكهف كان مستور الأعلى من المطر وذهب الزجاج إلى أن فعل الشمس كان آية من الله تعالى دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك وقوله ^ ذات اليمين وذات الشمال ^ يحتمل أن يريد ذات يمين الكهف بان نقدر باب الكهف بمثابة وجه إنسان فإن الشمس تجيء منه أول النهار عن يمين وأخره عن شمال ويحتمل أن يريد ذات يمين الشمس وذات شمالها بان نقدر الشعاع الممتد منها إلى الكهف بمثابة وجه إنسان والوجه الأول أصح والفجوة المتسع وجمعها فجى قال قتادة في فضاء منه ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير العنق فإذا وجد فجوة نص وقال ابن جبير ^ في فجوة ^ في مكان داخل وقوله ^ ذلك من آيات الله ^ الإشارة إلى الأمر بجملته وعلى قول الزجاج إن الشمس كانت تراور وتقرض دون حجاب تكون الإشارة إلى هذا المعنى خاصة ثم تابع بتعظيم الله عز وجل والتسليم له وما يقتضي صرف الآمال إليه وقوله ^ وتحسبهم ^ الآية صفة حال قد نقصت وجاءت أفعالها مستقبلة تجوزا واتساعا و ^ أيقاظا ^ جمع يقط كعصد وأعضاء وهو المنتبه قال أهل التفسير كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فلذلك كان الرائي يحسبهم ^ أيقاظا ^ . # قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يحسب الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقلة التغيير وذلك أن الغالب على النوم أن يكون لهم استرخاء وهيبات تقتضي النوم ورب نائم على أحوال لم يتغير عن حالة اليقظة فيحسبه الرائي يقظانا وإن كان مسدود العينين ولو صح فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أيمن في أن يحسب عليهم التيقظ وقرأ الجمهور ونقلهم بنون العظمة وقرأ الحسن وتقليهم بالتاء المفتوحة وضم اللام والباء وهو مصدر مرتفع بالابتداء قاله أبو حاتم وحكى ابن جني القراءة عن الحسن بفتح التاء وضم اللام وفتح الباء وقال هذا نصب بفعل مقدر كأنه قال وترى أو تشاهد تقليهم وأبو حاتم أثبت ورات فرقة أن التقلب هو الذي من أجله كان الرائي يحسبهم ^ أيقاظا ^ وهذا وإن كان التقلب

@ 504 @ لمن صادف رؤيته دليلا على ذلك فإن ألفاظ الآية لم تسقه إلا خيرا مستأنفا وقال أبو عياض كان هذا التقلب مرتين في السنة وقالت فرقة كل سبع سنين مرة وقالت فرقة إنما قلبوا في التسع الأواخر وأما في الثلاثمائة فلا وذكر بعض المفسرين أن تقليهم إنما كان حفظا من الأرض وروي عن ابن عباس أنه قال لو مستهم الشمس لأحرقتهم ولولا التقلب لأكلتهم الأرض . # قال القاضي أبو محمد وآية الله في نومهم هذه المدة الطويلة وحياتهم دون تعد أذهب في الغرابة مع حفظهم من مس الشمس ولزوم

الأرض ولكنها روايات تجلب . # وتتأمل بعد وظاهر كلام المفسرين أن التقليب كان بأمر الله وفعل ملائكته ويحتمل أن يكون ذلك بإقدار الله إياهم على ذلك وهم في عمرة النوم لا ينتبهون كما يعتري كثيرا من النوم لأن القوم لم يكونوا موتى . # وقوله ^ وكلبهم ^ أكثر المفسرين على أنه كلب حقيقة كان لصيد أحدهم فيما روي وقيل كان لراع مروا عليه فصحبهم وتبعه الكلب . # قال القاضي أبو محمد وحدثني أبي رضي الله عنه قال سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين وأربعمئة إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم كلب أحب أهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله وقيل كان أنمر وقيل أحمر وقالت فرقة كان رجلا طبأها لهم حكاها الطبري ولم يسم قائله وقالت فرقة كان أحدهم وكان قعد عند باب الغار طليعة لهم . # قال القاضي أبو محمد فسمي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس كما سمي النجم التابع للجوزاء كلبا لأنه منها كالكلب من الإنسان ويقال له كلب الحيار أما أن هذا القول يضعفه بسط الذراعين فإنهما في العرف من صفة الكلب حقيقة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتوسط أحدكم ذراعيه في السجود ابتساض الكلب وقد حكى أبو عمر المطرز في كتاب اليواقيت أنه فرئ وكالهم بأسط ذراعيه فيحتمل أن يريد ب الكالب هذا الرجل على ما روي إذ بسط الذراعين واللصوق بالأرض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الربيثة المستخفي بنفسه ويحتمل أن يريد ب الكالب الكلب وقوله ^ بأسط ذراعيه ^ أعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضى لأنها حكاية حال ولم يقصد الإخبار عن فعل الكلب والوصيد العتبة لباب الكهف أو موضعها حيث ليست وقال ابن عباس ومجاهد وابن جبير الوصيد الفناء وقال ابن عباس أيضا الوصيد الباب وقال ابن جبير أيضا الوصيد التراب والقول الأول أصح والباب الموصد هو المغلق أي قد وقف على وصيده ثم ذكر الله عز وجل ما حفهم من الرعب واكتنفهم من الهيبة وقرأ لو اطلعت بكسر الواو جمهور القراء وقرأ الأعمش وابن وثاب لو اطلعت بضمها . # وقد ذكر ذلك عن نافع وشيبة وأبي جعفر وقرأ ابن كثير ونافع وابن عباس وأهل مكة والمدينة لمثلت بشد اللام على تضعيف المبالغة أي ملئت ثم ملئت وقراء الباقون لمثلت بتخفيف اللام والتخفيف أشهر في اللغة وقد جاء الثقيل في قول المخيل السعدي # (وإذ فتك النعمان بالناس محرما % فملئ من كعب بن عوف سلاسله) + الطويل + # وقالت فرقة إنما حفهم هذا الرعب لطول شعورهم وأظفارهم ذكره المهدي والزجاج وهذا قول بعيد ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا ^ لبثنا يوما أو بعض يوم ^ وإنما الصحيح في

@ 505 @ أمرهم أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية فلم يبيل لهم ثوب ولا تغيرت صفة ولا أنكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم ولروي ذلك وقرأ الجمهور رعبا يسكون العين وقرأ رعبا بضمها أبو جعفر وعيسى قال أبو حاتم هما لغتان . # قوله عز وجل \$ الكهف 19 - 20 \$ # الإشارة بذلك إلى الأمر الذي ذكر الله في جهتهم والعبارة التي فعلها فيهم والبعث التحريك عن سكون واللام في قوله ^ ليتساءلوا ^ لام الصيرورة لأن بعثهم لم يكن لنفس تساؤلهم وقول القائل ^ كم لبثتم ^ يقتضي أنه هجس في خاطره طول نومهم واستشعر أن أمرهم خرج عن العادة بعض الخروج وظاهر أمرهم أنهم انتبهوا في حال من الوقت والهواء الزماني لا تباين التي ناموا فيها وأما أن يجدد الأمر جدا فبعيد وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم بورقكم بكسر الراء وقرأ أبو عمرو وحده وأبو بكر عن عاصم بورقكم بسكون الراء وهما لغتان وحكى الزجاج قراءة بورقكم بكسر الواو وسكون الراء دون إدغام وروي عن أبي عمرو الإدغام وإنما هو إخفاء لأن الإدغام مع سكون الراء متعذر وأدغم ابن محيصن القاف في الكاف قال أبو حاتم وذلك إنما يجوز مع تحريك الراء وقرأ علي بن أبي طالب بوارقكم اسم جمع كالحامل والباقر وقرأ أبو رجاء بورقكم بكسر الواو والراء والإدغام ويروي أنهم انتبهوا جياغا وأن المبعوث هو تلميذا وروي أنهم صلوا كأنما ناموا ليلة واحدة وبعثوا تلميذا في صبيحتها وروي أن باب الكهف انهدم بناء الكفار منه بطول السنين وروي أن راعيا هدمه ليدخل فيه غنمه فأخذ تلميذا ثيابا رثة منكرا ولبسها وخرج من الكهف فأنكر ذلك البناء المهودم إذ لم يعرفه ثم مشى فجعل ينكر الطريق والمعالم ويتحير وهو في ذلك لا يشعر شعورا تاما بل يكذب ظنه فيما تغير عنده حتى بلغ باب المدينة فرأى على بابها أمارة الإسلام فزادت حيرته وقال كيف هذا بلد دقيوس وبالأمس كنا معه تحت ما كنا فنهض إلى باب آخر فرأى نحو من ذلك حتى مشى الأبواب كلها فزادت حيرته ولم يميز بشرا وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه وطن أنه جن أو انفسد عقله فيقي جيران يدعو الله تعالى ثم نهض إلى بائع الطعام الذي أراد شراءه فقال يا عبد الله بعني من طعامك بهذه الورق فدفع إليه دراهم كأخفاف الربيع فيما ذكر فعجب لها البياح ودفعها إلى آخر بعجبه وتعاطاها الناس وقالوا له هذه دراهم عهد فلان الملك من أين أنت وكيف وجدت هذا الكنز فجعل يبته ويعجب وقد كان بالبلد مشهورا هو وبيته فقال ما أعرف غير أبي وأصحابي خرجنا بالأمس

@ 506 @ من هذه المدينة فقال الناس هذا مجنون اذهبوا به إلى الملك ففزع عند ذلك فذهب به حتى جيء به الملك فلما لم ير دقيوس الكافر تأنس وكان ذلك الملك مؤمنا فاضلا يسمى ببدوسيس فقال له الملك أين وجدت هذا الكنز فقال له إنما خرجت أنا وأصحابي أمس من هذه المدينة فأوينا إلى الكهف الذي في جبل الجلوس فلما سمع الملك ذلك قال في بعض ما روي لعن الله قد بعث لكم أيها الناس آية فلنسر إلى الكهف معه حتى نرى أصحابه ففسار وروي أنه أو بعض جلسائه قال : هؤلاء هم الفتية الذين أرح أمرهم على عهد دقيوس الملك وكتب على لوح النحاس بباب المدينة ففسار الملك إليهم وسار الناس معه فلما انتبهوا إلى الكهف قال تلميذا : أدخل عليهم لئلا يربعوا فدخل عليهم فأعلمهم بالأمر وأن الأمة أمة إسلام فروي أنهم سرروا وخرجوا إلى الملك وعظموه وعظمتهم ثم رجعوا إلى كهفهم وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حيث حدثهم تلميذا فانتظرهم الناس فلما أبطأ خروجهم دخل الناس إليهم فرعب كل من دخل ثم أقدموا فوجدوهم موتى فنتازعوا بحسب ما يأتي في تفسير الآية التي بعد هذه وفي هذا القصص من اختلاف الروايات والألفاظ ما تضيق به الصحف فاختصرته وذكرت المهم الذي به تتفسير الألفاظ هذه الآية واعتمدت الأصح والله المعين برحمته وفي هذه البعثة بالورق الوكالة وصحتها وقد وكل علي بن أبي طالب أخاه عقيلاً عند عثمان رضي الله عنهم وقرأ الجمهور فلينظر بسكون لام الأمر وقرأ الحسن فلينظر بكسرها و ^ أركى ^ معناه أكثر فيما ذكر عكرمة وقال قتادة معناه خير وقال مقاتل : المراد أطيب قال ابن جبير : المراد أحل . # قال القاضي أبو محمد : وهو من جهة ذبائح الكفرة وغير ذلك فروي أنه أراد شراء زيب وقيل بل شراء تمر وقوله ^ وليتلفف ^ أي في اختفائه وتحيله وقرأ الحسن ولينطف بكسر اللام والضمير في ^ إنهم ^ عائد على الكفار آل دقيوس و ^ يظهروا عليكم ^ معناه ينقفوكم بعلوهم وغلبتهم وقولهم ^ يرجموكم ^ قال الزجاج معناه بالحجارة . # قال القاضي أبو محمد : وهو الأصح لأنه كان عازما على قتلهم لو طفر بهم والرجم فيما سلف هي كانت علي ما ذكر قتله مخالف دين الناس إذ هي أشقى لحملة ذلك الدين ولهم فيها مشاركة وقال حجاج ^ يرجموكم ^ معناه بالقول وباقي الآية بين . # قوله عز وجل \$ الكهف 21 \$ # الإشارة بذلك في قوله ^ وكذلك ^ إلى ^ بعثناهم ليتساءلوا ^ أي كما بعثناهم ^ أعثرنا عليهم ^ وأعثر تعدية عثر بالهمزة وأصل العثار في القدم فلما كان العاثر في الشيء منتبها له شبه به من تنبه لعلم شيء عن له وثار بعد خفائه والضمير في قوله ^ ليعلموا ^ يحتمل أن يعود على الأمة

@ 507 @ المسلمة الذين بعث أهل الكهف على عهدهم وإلى هذا ذهب الطبري وذلك أنهم فيما روي دخلتهم حينئذ فتنة في أمر الحشر وبعث الأجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا إنما تحشر الأرواح فشق على ملكهم ذلك وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع إلى الله في حجة وبيان فأعثر الله على أهل الكهف فلما بعثهم الله وتبين الناس أمرهم بسر الملك ورجع من كان شك في بعث الأجساد إلى اليقين به وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله ^ إذ ينتازعون بينهم أمرهم ^ على هذا التأويل ويحتمل أن يعمل في ^ أن ^ على هذا التأويل ^ أعثرنا ^ ويحتمل أن يعمل فيه ^ ليعلموا ^ والضمير في قوله ^ ليعلموا ^ يحتمل أن يعود على أصحاب الكهف أي جعل الله أمرهم آية لهم دالة على بعث الأجساد من القبور وقوله ^ إذ ينتازعون ^ على هذا التأويل ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم والعامل في ^ إذ فعل مضمر تقديره وإذكر ويحتمل أن يعمل فيه ^ فقالوا ^ إذ ينتازعون ^ ابنوا عليهم . # والتنازع على هذا التأويل إنما هو في أمر البناء أو المسجد لا في أمر القيامة والريب الشك والمعنى أن الساعة في نفسها وحقيقتها لا شك فيها وإن كان الشك قد وقع لناس فذلك لا يلحقها منه

شيء وقيل إن التنازع إنما هو في أن اطلعوا عليهم فقال بعض هم أموات وبعض هم أحياء وروي أن بعض القوم ذهب إلى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين فقالت الطائفة الغالبة على الأمر لتتخذ عليهم مسجدا فاتخذوه وقال قتادة ^ الذين غلبوا ^ هم الولاة وقرأ الحسن وعيسى الثقفي غلبوا بضم الغين وكسر اللام والمعنى أن الطائفة التي أرادت المسجد كانت أولا تريد أن لا يبني عليهم شيء وأن لا يعرض لموضعهم فروي أن طائفة أخرى مؤمنة أرادت ولا بد من طمس الكهف فلما غلبت الأولى على أن يكون ببناء ولا بد قالت يكون مسجدا فكان وروي أن الطائفة التي دعت إلى البنيان إنما كانت كافرة أرادت بناء بيعة أو مصنع لكفرهم فمانعهم المؤمنون وقالوا ^ لتتخذ عليهم مسجدا ^ وروي عن عبيد بن عمير أن الله عمى على الناس حينئذ أثرهم وحجبهم عنهم فذلك دعا إلى بناء البنيان ليكون معلما لهم . # قوله عز وجل \$ الكهف 22 - 24 \$ الضمير في قوله ^ سيقولون ^ يراد به أهل التوراة من معاصري محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم اختلفوا في عدد أهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص وقرأ الجمهور ثلاثة وقرأ ابن محيصة ثلاث بإدغام التاء في الثاء وقرأ شبل عن ابن كثير خمسية بفتح الميم إتباعا لعشرة وقرأ ابن محيصة خمسة بكسر الخاء والميم وقوله ^ رجما بالغيب ^ معناه طنا وهو مستعار من الرجم كان الإنسان

@ 508 @ يرمي الموضوع المشكل المجهول عنده بظنه المرة بعد المرة يرحمه به عسى أن يصيب ومن هذا هو الترجمان وترجمة الكتاب ومنه قول زهير # (وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم % وما هو عنها بالحديث المرجم) + الطويل # + والواو في قوله ^ واثمنهم ^ طريق النحوين فيها أنها واو عطف دخلت في آخر إخبار عن عددهم لتفصل أمرهم وتدل على أن هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام . # وتقول فرقة منها ابن خالويه هي واو الثمانية وذكر ذلك الثعلبي عن أبي بكر بن عياش أن قريشاً كانت تقول في عددها ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل الواو في الثمانية . # قال القاضي أبو محمد وقد تقدم شرحها وهي في القرآن في قوله ^ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ^ وفي قوله ^ وفتحت ^ وأما قوله تعالى ^ ثياب أبكارا ^ وقوله ^ سبع ليال وثمانية أيام ^ فتوهم في هذين الموضوعين أنها واو الثمانية وليست بها بل هي لازمة لا يستغني الكلام عنها وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يرد علم عدتهم إليه عز وجل ثم أخبر أن علم ذلك من البشر قليل والمراد به قوم من أهل الكتاب وكان ابن عباس يقول أنا من ذلك القليل وكانوا سبعة واثمنهم كليهم ويستدل على هذا من الآية بأن القرآن لما حكى قول من قال ثلاثة وخمسة قرن بالقول أنه رجم بالغيب فقدح ذلك فيها ثم حكى هذه المقالة ولم يقدح فيها بشيء بل تركها مسجلة وأيضا فيقوي ذلك على القول بواو الثمانية لأنها إنما تكون حيث عدد الثمانية صحيح وقوله تعالى ^ فلا تمار فيهم إلا مرآة ظاهرا ^ معناه على بعض الأقوال أي بظاهر ما أوحيناها إليك وهو رد علم عدتهم إلى الله تعالى وقيل معنى الظاهر أن يقول ليس كما تقولون ونحو هذا ولا يحتج هو على أمر مقرر في ذلك فإن ذلك يكون مرآة في باطن من الأمر وقال التبريزي ^ ظاهرا ^ معناه ذاهبا وأنشد # (وتلك شكاه ظاهرا عنك عارها %) # ولم يبح له في هذه الآية أن يماري ولكن قوله ^ إلا مرآة ^ استعارة من حيث يماريه أهل الكتاب سميت مراجعته لهم ^ مرآة ^ ثم قيد بأنه ظاهر ففارق المرآة الحقيقي المذموم . # والمرآة مشتق من المرية وهو الشك فكانه المشاككة والضمير في قوله ^ فيهم ^ عائد على أهل الكهف وفي قوله ^ منهم ^ عائد على أهل الكتاب المعاصرين وقوله ^ فلا تمار فيهم ^ يعني في عدتهم وحذفت العدة لدلالة ظاهر القول عليها وقوله ^ ولا تقولن لشيء ^ الآية عاتب الله تعالى فيها نبيه صلى الله عليه وسلم على قوله للكفار غدا أخبركم بجواب أسئلتكم ولم يستثن في ذلك فاحتبس عنه الوحي خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وأرجف الكفار به فنزلت عليه هذه السورة مفرجة وأمر في هذه الآية أن يقول في أمر من الأمور إني أفعل غدا كذا وكذا إلا وأن يعلق ذلك بمشيئة الله عز وجل واللام في قوله ^ لشيء ^ بمنزلة في أو كأنه قال لأجل شيء وقوله ^ إلا أن يشاء الله ^ في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الإيجاز تقديره إلا أن تقول إلا أن يشاء الله أو إلا أن تقول إن شاء الله فالمعنى إلا أن تذكر مشيئة الله فليس ^ إلا أن يشاء الله ^ من القول الذي نهى عنه وقالت فرقة قوله ^ إلا أن يشاء الله ^ استثناء من قوله ^ ولا

@ 509 @ تقولن) وهذا قول حكاه الطبري ورد عليه وهو من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى وقوله ^ وإذكر ربك إذا نسيت ^ قال ابن عباس والحسن معناه والإشارة به إلى الاستثناء أي ولتستثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا لتخرج من جملة من لم يعلق فعله بمشيئة الله وقال عكرمة المعنى وإذكر ربك إذا غضبت وتكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في اليمين والآية ليست في الأيمان وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين ولكن من حيث تكلم الناس فيها ينبغي أن نذكر شيئا من ذلك أما مالك رحمه الله وجميع أصحابه فيما علمت وكثير من العلماء فيقولون لا ينفع الاستثناء ويسقط الكفارة إلا أن يكون متصلا باليمين وقال عطاء له أن يستثنى في قدر حلب الناقة العزيرة وقال قتادة إن استثنى قيل أن يقول أو يتكلم فله ثبناه وقال ابن حنبل له الاستثناء ما دام في ذلك الأمر وقاله ابن راهويه وقال طاوس والحسن ينفع الاستثناء ما دام الحالف في مجلسه وقال ابن جبير ينفع الاستثناء بعد أربعة أشهر فقط وقال ابن عباس ينفع الاستثناء ولو بعد سنة وقال مجاهد بعد سنتين وقال أبو العالية ينفع أبدا واختلف الناس في التأويل على ابن عباس فقال الطبري وغيره إنما أراد ابن عباس أنه ينفع في أن يحصل الحالف في رتبة المستثنين بعد سنة من حلفه وأما الكفارة فلا تسقط عنه قال الطبري ولا أعلم أحدا يقول ينفع الاستثناء بعد مدة يقول بسقوط الكفارة قال ويرد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ثم رأى غيرها خيرا منها فليكفر وليأت الذي هو خير . # فلو كان الاستثناء يسقط الكفارة لكان أخف على الأمة ولم يكن لذكر الكفارة فائدة وقال الزهراوي إنما تكلم ابن عباس في أن الاستثناء بعد سنة لمن قال أنا أفعل كذا . . لا لحالف أراد حل يمينه وذهبت فرقة من الفقهاء إلى أن مذهب ابن عباس بسقوط الكفارة والأزموك كل من يقول ينفع الاستثناء بعد مدة إسقاط الكفارة وردوا على القول بعد إلزامه وليس الاستثناء إلا في اليمين بالله لا يكون في طلاق ونحوه ولا في مشي إلى مكة هذا قول مالك وجماعة وقال الشافعي وأصحاب الرأي وطاوس وحماد الاستثناء في ذلك جائز وليس في اليمين الغموس استثناء ينفع ولا يكون الاستثناء بالقول وإنما يكون قولا ونطقا وقوله ^ وقل عسى ^ الآية قال محمد الكوفي المفسر إنها بألفاظها مما أمر أن يقولها كل من لم يستثن وإنها كفارة لنسيان الاستثناء وقال الجمهور هو دعاء مأمور به دون هذا التخصيص وقرأ الجمهور يهديني بإثبات الياء وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وقرأ طلحة من مصروف دون ياء في الوصل وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي والإشارة بهذا إلى الاستدراك الذي يقع من ناسي الاستثناء . # وقال الزجاج المعنى عسى أن يبسر الله من الأدلة على نبوتي أقرب من دليل أصحاب الكهف . # قال القاضي أبو محمد وما قدمته أصوب أي عسى أن يرشدني فيما استقبل من أمري وهذه الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم 31 32 * # قوله عز وجل \$ الكهف 25 - 27 \$

@ 510 @ # قال قتادة ومطر الوراق وغيرهما ^ ولبثوا في كهفهم ^ الآية حكاية عن بني إسرائيل أنهم قالوا ذلك واحتجا بأن قراءة عبد الله بن مسعود وفي مصحفه وقالوا لبثوا في كهفهم وذلك عند قتادة على غير قراءة عبد الله عطف على ^ ويقولون سبعة ^ ذكره الزهراوي ثم أمر الله نبيه بأن يرد العلم إليه ردا على مقالهم وتقييدا له قال الطبري وقال بعضهم لو كان ذلك خيرا من الله لم يكن لقوله ^ قل الله أعلم بما لبثوا ^ وجه مفهوم . # قال القاضي أبو محمد أين ذهب بهذا القائل وما الوجه المفهوم البارع إلا أن تكون الآية خيرا عن لبثهم ثم قيل للمحمود صلى الله عليه وسلم ^ قل الله أعلم بما لبثوا ^ فخيره هذا هو الحق من عالم الغيب فيلزم اختلافكم أيها المخروصون وقال المحققون بل قوله تعالى ^ ولبثوا في كهفهم ^ الآية خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم ثم اختلف في معنى قوله بعد الإخبار ^ قل الله أعلم بما لبثوا ^ فقال الطبري إن بني إسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الإخبار عليهم إلى مدة النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم إنهم لبثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين فأخبر الله نبيه أن هذه المدة في كونهم نياما وأن ما بعد ذلك مجهول للبشر فأمره الله أن يرد علم ذلك إليه فقوله على هذا التأويل ^ لبثوا ^ الأول يريد في نوم الكهف و ^ لبثوا ^ الثاني يريد بعد الإخبار موتى إلى مدة محمد صلى الله عليه وسلم إلى وقت عدمهم بالبلى على الاختلاف الذي سنذكره بعد وقال بعضها إنه لما قال ^ وازدادوا تسعا ^ لم يدر الناس أهي ساعات أم أيام أم جمع أم شهور أم أعوام . # واختلف بنو إسرائيل بحسب ذلك فأمره الله برد العلم إليه يريد في التسع فهي على هذا مبهمة وظاهر كلام العرب والمفهوم منه أنها أعوام والظاهر من أمرهم أنهم قاموا ودخلوا الكهف بعد عيسى يبسير وقد بقيت من الحوارين بقية وحكى النقاش ما معناه أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية

بحساب الأمم فلما كان الإخبار هنا للنبي العربي ذكرت التسع إذ المفهوم عنده من السنين القمرية فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين وقرأ الجمهور ثلاثمائة سنين بنتوين مائة ونصب سنين على البدل من ثلاثمائة وعطف البيان وقيل على التفسير والتمييز وقرأ حمزة والكسائي ويحيى وطلحة والأعمش بإضافة مائة إلى سنين وترك التنوين وكأنهم جعلوا سنين بمنزلة سنة إذ المعنى بهما واحد قال أبو علي إذ هذه الأعداد التي تضاف في المشهور إلى الأحاد نحو ثلاثمائة رجل وثوب قد تضاف إلى الجموع وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة وفي مصحف عبد الله بن مسعود ثلاثمائة سنة وقرأ الضحاك ثلاثمائة سنون بالواو وقرأ أبو عمرو بخلاف تسعا بفتح التاء وقرأ الجمهور تسعا بكسر التاء وقوله ^ أبصر به وأسمع ^ أي ما أبصره وأسمعه . # قال قتادة لا أحد أبصر من الله ولا أسمع وهذه عبارات عن الإدراك ويحتمل أن يكون المعنى أبصر به أي بوجوه وإرشاده هداك وحججك والحق من الأمور . # وأسمع به العالم فتكون أمرين لا على وجه التعجب وقوله ^ ما لهم من دونه من ولي ^ يحتمل أن يعود الضمير في ^ لهم ^ على أصحاب الكهف أي هذه قدرته وحده لم

@ 511 @ بالوالم غير بتلطف لهم ولا اشترك معه أحد في هذا الحكم ويحتمل أن يعود الضمير في ^ لهم ^ على معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار ومشاقبه وتكون الآية اعتراضا تهديدا وقرأ الجمهور ولا يشرك في حكمه أحدا بالياء من تحت على معنى الخبر عن الله تعالى وقرأ ابن عامر والحسن وأبو رجاء وقتادة والجحدري ولا تشرك بالتاء من فوق على جهة النهي للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون قوله ولا تشرك عطفا على ^ أبصر ^ وأسمع ^ وقرأ مجاهد ولا يشرك بالياء من تحت وبالجزم قال يعقوب لا أعرف وجهه وحكى الطبري عن الضحاك بن مزاحم أنه قال نزلت هذه الآية ^ ولثوا في كهفهم ثلاثمائة ^ فقط فقال الناس هي أشهر أم أيام أم أعوام فنزلت ^ سنين وازدادوا تسعا ^ وأما هل دام أهل الكهف وبقيت أشخاصهم محفوظة بعد الموت فاختلفت الروايات في ذلك فروي عن ابن عباس أنه مر بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله فمشى الناس إليه فوجدوا عظاما فقالوا هذه عظام أصحاب الكهف فقال لهم ابن عباس أولئك قوم غنوا وعمدوا منذ مدة طويلة فسمعه راهب فقال ما كنت أحسب أن أحدا من العرب يعرف هذا فقيل له هذا ابن عم نبينا فسكت روت فرقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنهم لم يحجوا بعد . # قال القاضي أبو محمد وبالشام على ما سمعت من ناس كثير كهف كان فيه موتى يزعم محابوه أنهم أصحاب الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ومعهم كلب رمة وبالأندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة وأكثرهم قد انجرت لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم إشارة وبزعم ناس أنهم أصحاب الكهف دخلت إليهم فرأيتهم سنة أربع وخمسمائة وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد وقرب منهم بناء رومي بسمالرقيم كأنه قصر محلق قد بقي بعض جدرانه وهو في فلاة من الأرض حزنة وبأعلى حضرة غرناطة مما يلي القبلة آثار مدينة قديمة رومية يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في آثارها غرائب في قبور ونحوها . # قال القاضي أبو محمد وإنما استسهلت ذكر هذا مع بعده لأنه عجب يتخلد ذكره ما شاء الله عز وجل وقوله ^ واتل ما أوحى إليك ^ الآية من قرأ ولا تشرك بالنبي عطف قوله ^ واتل ^ عليه ومن قرأ ولا يشرك جعل هذا أمرا يدئ به كلام آخر ليس من الأول وكان هذه الآية في معنى الإعتاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقب العتاب الذي كان تركه الاستثناء كأنه يقول هذه أجوبة الأسئلة فائل وحي الله إليك أي اتبع في أعمالك وقيل اسرد بتلاوتك ما أوحى إليك من كتاب ربك لا نقض في قوله ^ ولا مبدل لكلماته ^ وليس لك سواه جانب تميل إليه وتستند والملتحد الجانب الذي يمال إليه ومعنى اللحد كأنه الميل في أحد شقي القبر ومنه الإلحاد في الحق وهو الميل عن الحق ولا يفسر قوله ^ لا مبدل لكلماته ^ أمر النسخ لأن المعنى إما أن يكون لا مبدل سواه فتبقى الكلمات على الإطلاق وإما أن يكون أراد من الكلمات الخبر ونحوه مما لا يدخله نسخ والإجماع أن الذي لا يتبدل هو الكلام القائم بالذات الذي بحسبه يجري القدر . # فأما الكتب المنزلة فمذهب ابن عباس أنها لا تبدل إلا بالتأويل .

@ 512 @ \$ الكهف 28 - 29 \$ # سبب هذه الآية أن عظماء الكفار قيل من أهل مكة وقيل عيينة بن حصن وأصحابه والأول أصوب لأن السورة مكية قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك يريدون عمار بن ياسر وصهيب بن سنان وسلمان الفارسي وابن مسعود وغيرهم من الفقراء كبلال ونحوه وقالوا إن ريح جباتهم تؤذينا فنزلت الآية بسبب ذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم وجلس بينهم وقال الحمد لله الذي جعل من أمي من أمرت أن أصبر نفسي معه وروي أنه قال لهم رحبا بالذي عاتبني فيهم ربي وروي سلمان أن المؤلفه قلوبهم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذويهم قالوا ما ذكر فنزلت الآية في ذلك . # قال القاضي أبو محمد فالآية على هذا مدينة ويشبه أن تكون الآية مكية وفعل المؤلفه قريش فرد بالآية عليهم ^ واصبر ^ معناه احبس ومنه المصبورة التي جاء فيها الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صبر الحيوان أي حبسه للرمي ونحوه وقرأ الجمهور بالغداة وقرأ ابن عامر بالغدوة وهي قراءة نصر بن عاصم ومالك بن دينار وأبي عبد الرحمن والحسن وهي في الخط على القراءتين بالواو فمن يقرأها بالغداة يكتبها بالغدوة كما تكتب الصلوة والزكوة وفي قراءة من قرأ بالغدوة ضعف لأن غدوة اسم معروف فحقه أن لا تدخل عليه الألف واللام ووجه القراءة بذلك أنهم ألحقوها ضربا من التنكير إذ قالوا حيث غدوة يريدون الغدوات فحسن دخول الألف واللام كقولهم الفينة وفينة اسم معرف والإشارة بقوله ^ يدعون ربهم بالغداة والعشي ^ إلى الصلوات الخمس . # قاله ابن عمر ومجاهد وإبراهيم وقال قتادة المراد صلاة الفجر وصلاة العصر . # قال القاضي أبو محمد ويدخل في الآية من يدعو في غير صلاة ومن يجتمع لمذاكرة علم وقد روى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحا وقرأ أبو عبد الرحمن بالغدو دون هاء وقرأ ابن أبي عتبة بالغدوات والعشيات على الجمع وقوله ^ ولا تعد عينك ^ أي لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا والملابس من الكفار وقرأ الحسن ولا تعد عينك بضم التاء وفتح العين وشد الدال المكسورة أي لا تتجاوزها أنت عنهم وروي عنه ولا تعد عينك بضم التاء وسكون العين وقوله ^ من أغفلنا ^ قيل إنه أراد بذلك معينا وهو عيينة بن حصن والأقرع قاله خباب وقيل إنما أراد من هذه صفته وإنما المراد أولا كفار قريش لأن الآية مكية وقرأ الجمهور أغفلنا قلبه بنصب الباء على معنى جعلناه غافلا وقرأ عمرو بن

@ 513 @ فائد وموسى الأسواري أغفلنا قلبه على معنى أهمل ذكرنا وتركه قال ابن جني المعنى من طئنا غافلين عنه وذكر أبو عمرو الداني أنها قراءة عمرو بن عبيد والفرط يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع أي أمره الذي يجب أن يلتزم ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف أي أمره وهواه الذي هو بسبيله وقد فسره المتأولون بالعبارتين أعني التضييع والإسراف وغير خياب عنه بالهلاك وداود بالندامة وابن زيد بالخلاف للحق وهذا كله تفسير بالمعنى وقوله تعالى ^ وقل الحق ^ الآية المعنى وقل لهم يا محمد هذا ^ الحق من ربكم ^ أي هذا القرآن أو هذا الإعراض عنكم وترك الطاعة لكم وصبر النفس مع المؤمنين وقرأ قعب وأبو السمال وقل بفتح اللام قال أبو حاتم وذلك رديء في العربية وقوله ^ فمن شاء فليؤمن ^ الآية توعد وتهديد أي فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله عز وجل وتأولت فرقة ^ فمن شاء ^ الله إيمانه ^ فليؤمن ومن شاء ^ الله كفره ^ فليكفر ^ وهو متوجه أي فحقه الإيمان وحقه الكفر ثم عبر عن ذلك بلفظ الأمر إلزاما وتحريضا ومن حيث للإنسان في ذلك التمسك الذي به يتعلق ثواب الإيمان وعقاب الكفر وقرأ الحسن وعيسى الثقفي فليؤمن وليكفر بكسر اللامين ^ وأعدتنا ^ مأخوذ من العتاد وهو الشيء المعد الحاضر والسرادق وهو الجدار المحيط كالحجرة التي تدور وتحيط الفسطاط وقد تكون من نوع الفسطاط أديما أو ثوبا أو نحوه ومنه قول رؤبة # (يا حكم بن المنذر بن الجارود % سرادق والمجد عليك ممدود) + الرجز + # ومنه قول سلامة بن جندل # (هو المولج النعمان بيتا سماؤه % صدور الفيول بعد بيت مسردق) + الطويل + # وقال الزجاج السرادق كل ما أحاط بشيء . # قال القاضي أبو محمد وهو عندي أخص مما قال الزجاج واختلف في سرادق النار فقال ابن عباس ^ سرادقها ^ حائط من نار وقالت فرقة ^ سرادقها ^ دخان يحيط بالكفار وقوله تعالى (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) وقالت فرقة الإحاطة هي في الدنيا والسرادق البحر وروي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق يعلى بن أمية فيجيء قوله تعالى ^ أحاط بهم ^ أي بالبشر ذكر الطبري

الحديث عن يعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر هي جهنم وتلا هذه الآية ثم قال والله لا أدخله أبداً أو ما دمت حيا وروي عنه أيضا عليه السلام من طريق أبي سعيد الخدري أنه قال سراق النار أربعة جدور كنف عرض كل جدار مسيرة أربعين سنة وقوله عز وجل ^ يغاثوا ^ أي يكون لهم مقام الغوث وهذا نحو قول الشاعر # (تحية بينهم ضرب وجيع %) + الوافر # + أي القائم مقام التحية والمهل قال أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم هو دردي الزيت إذا انتهى حده وقالت فرقة هو كل مانع سخن حتى انتهى حره وقال ابن مسعود وغيره هو كل ما أذيب من ذهب أو فضة أو رصاص أو نحو هذا من الفلز حتى يميع وروي أن عبد الله بن مسعود أهديت إليه سقاية من ذهب أو فضة فأمر بها فأذيبت حتى تميعت وتلونت ألوانا ثم دعا من بيابه من أهل الكوفة فقال ما رأيت في الدنيا

@ 514 @ شينا أدنى شيها بالمهل من هذا يريد أدنى شيها بشراب أهل النار وقالت فرقة المهمل الصديد والدم إذا اختلطا ومنه قول أبي بكر الصديق في الكفن إنما هو للمهلة يريد لما يسيل من الميت في قبره ويقوى هذا بقوله ^ ويسقى من ماء صديد ^ الآية . # وقوله ^ يشوي الوجوه ^ روي في معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تقرب البشرية من الكافر فإذا دنت منه تكررهما فإذا دنت أكثر شوت وجهه وسقطت فيها فروة وجهه # والمرتفق الشيء الذي يرتفق به أي يطلب رفقه والمرتفق الذي هو المتكأ أخص من هذا الذي في الآية لأنه في شيء واحد من معنى الرفق على أن الطير قد فسر الآية به والأظهر عندي أن يكون المرتفق بمعنى الشيء الذي يطلب رفقه باتكأ وغيره وقال مجاهد المرتفق المجتمع كأنه ذهب بها إلى موضع الرفافة ومنه الرفقة وهذا كله راجع إلى الرفق وأنكر الطبري أن يعرف لقول مجاهد معنى والقول بين الوجه والله المعين . # قوله عز وجل \$ الكهف 30 - 31 \$ # قوله عز وجل ^ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ^ اعتراض مؤكد للمعنى مذكر بأفضال الله منبه على حسن جزائه بين قوله تعالى ^ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ^ وقوله ^ أولئك ^ فقوله تعالى ^ أولئك لهم جنات عدن ^ ابتداء وخبر جملة هي خبر ^ إن ^ الأولى ونحو هذا من الاعتراض قول الشاعر # (إن الخليفة إن الله أبسه % سرايا ملك به ترجى الحواتيم) + البسيط + # قال الزجاج ويجوز أن يكون خبر ^ إن ^ في قوله ^ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ^ لأن المحسنين هم المؤمنون فكان المعنى لا يضيع أجرهم . # قال القاضي أبو محمد ومذهب سيبويه أن الخبر في قوله ^ لا نضيع ^ على حذف العائد تقديره ^ من أحسن عملا ^ منهم والعدن الإقامة ومنه المعدن لأن حجره مقيم فيه ثابت وقوله ^ من تحتهم ^ يريد من تحت غرفهم ومبانيهم وقرأ الجمهور من أساور وروى أبان عن عاصم أسورة من غير ألف وبزيادة هاء . # وواحد الأساور إسوار حذف الباء من الجمع لأن الباب أساور وهي ما كان من الحلي في الذراع وقيل ^ أساور ^ جمع إسورة وإسورة جمع سوار وإنما الإسوار بالفارسية القائد ونحوه ويقال في حلي الذراع إسوار ذكره أبو عبيدة معمر ومنه قول الشاعر # (والله لولا صبية صغار % كأنما وجوههم أقمار) # (تضمهم من العتيك دار % أخاف أن يصيبهم إقتار)

@ 515 @ # (أو لازم ليس له أسوار % لما رأيته ملك جبار) # (بيابه ما وضح النهار) + الرجز + أنشده أبو بكر بن الأنباري حاشية في كتاب أبي عبيدة والسندس رقيق الدياج والاستبرق ما غلط منه وقال بعض الناس هي لفظة أعجمية عربت وأصلها استبره وقال بعضهم بل هو الفعل العربي سمي به فهو استبرق من الريق وغير حين سمي به بقطع الألف ويقوي هذا القول أن ابن محيصن قرأ من سندس وإستبرق فجاء موصول الهمزة حيث وقع ولا يجزمه بل بفتح القاف ذكره الأهوازي وذكره أبو الفتح وقال هذا سهو أو كالتسهو و ^ الأرائك ^ جمع أريكة هي السورج في المجال والضمير في قوله ^ وحسنت ^ للجنات وحكى النقاش عن أبي عمران الجوني أنه قال الاستبرق الحرير المنسوج بالذهب وحكى مكي والزهرراوي وغيرهما حديثا مضمنا أن قوله تعالى ^ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ^ الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم سأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الآي فقال النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي أعلم قومك أنها نزلت في هؤلاء الأربعة وهم حضور . # قوله عز وجل \$ الكهف 32 - 34 \$ # الضمير في ^ لهم ^ عائد على الطائفة المتجيرة التي أرادت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرد فقراء المؤمنين ^ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ^ وعلى أولئك الداعين أيضا فالمثل مضروب للطائفتين إذ الرجل الكافر صاحب الجنتين هو يازاء متجبر في قريش أو بني تميم على الخلاف المذكور أولا والرجل المؤمن المقر بالربوبية هو يازاء بلال وعمار وصهيب وأقرانهم ^ وحفناهما ^ بمعنى وجعلنا ذلك لها من كل جهة تقول حفك الله بخير أي عمك به من جهاتك والحفاف الجانب من السرير والقدان ونحوه وظاهر هذا المثل أنه بامر وقع وكان موجودا وعلى ذلك فسره أكثر أهل هذا التأويل ويحتمل أن يكون مضروبا بمن هذه صفته وإن لم يقع ذلك في وجود قط والأول أظهر وروي في ذلك أنهما كانا أخوين من بني إسرائيل ورثا أربعة آلاف دينار فصنع أحدهما بماله ما ذكر واشترى عبدا وتزوج وأثرى وانفق الآخر ماله في طاعات الله عز وجل حتى افتقر والتقى ففخر الغني ووبخ المؤمن فجرت بينهما هذه المحاورة وروي أنهما كانا شريكين حدادين كسبا مالا كثيرا وصنعا نحو ما روي في أمر الأخوين فكان من أمرهما ما قص الله في كتابه وذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد أن بحيرة تبتس كانت هاتين الجنتين وكانت لأخوين فباع أحدهما نصيبه من الآخر وانفق في طاعة الله حتى غير الآخر وجرت بينهما هذه المحاورة قال ففرقها الله في ليلة وإياها عنى بهذه الآية

@ 516 @ وفي بسط قصصهما طول فاختصرته واقتصرته على معناه لقلة صحته ولأن في هذا ما يفى بفهم الآية وتأمل هذه الهيئة التي ذكر الله فإن المرء لا يكاد يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس جنتا غنبا أحاط بهما نخل بينهما فسحة هي مزدرع لجميع الحبوب والماء الغيل يسقى جميع ذلك من النهر الذي قد حمل هذا المنظر وعظم النفع وقرب الكد وأغنى عن النواضح وغيرها . # وقرأ الجمهور كلنا وفي مصحف عبد الله كلا والتاء في كلنا منقلبة من واو عند سيبويه وهو بالتاء أو بغير التاء اسم مفرد واقع على الشيء المثنى وليس باسم مثنى ومعناه كل واحدة منهما والأكل ثمرها الذي يؤكل منها قال الفراء وفي قراءة ابن مسعود كل الجنتين أتى أكله وقوله ^ ولم تظلم منه شيئا ^ أي لم تنقص عن العرف الأثم الذي يشبه فيها ومنه قول الشاعر # (تظلمني مالي كذا ولوى يدي % لوى يده الله الذي هو غالبه) + الطويل + # وقرأ الجمهور وفجرنا بشد الجيم وقرأ سلام ويعقوب وعيسى بن عمر وفجرنا بفتح الجيم دون شد وقرأ الجمهور نهرا بفتح الهاء . # وقرأ أبو السمال والفياض بن غزوان وطلحة بن سليمان نهرا بسكون الهاء وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن عباس ومجاهد وجماعة قراء المدينة ومكة وتمر وثمره بضم التاء والميم جمع ثمار وقرأ أبو عمرو والأعمش وأبو رجاء بسكون الميم فيهما تخفيفا وهي في المعنى كالأولى ويتجه أن يكون جمع ثمرة كبدة وبدن وقرأ عاصم ثمر وثمره يفتح الميم والتاء فيهما وهي قراءة أبي جعفر والحسن وجابر بن زيد والحجاج واختلف المتأولون في الثمر بضم التاء والميم فقال ابن عباس وقتادة الثمر جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ويستشهد لهذا القول بيت النابغة الذبياني # (وما أثمر من مال ومن ولد %) + البسيط + # وقال مجاهد يراد بها الذهب والفضة خاصة وقال ابن زيد (الثمر) هي الأصول التي فيها الثمر . # قال القاضي أبو محمد كأنها ثمار وثمر ككتاب وكتب وأما من قرأ بفتح التاء والميم فلا إشكال في أن المعنى ما في رؤوس الشجر من الأكل ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يعبر بإجازة عن هلاك الثمر والأصول بهلاك الثمر فقط فخصصها بالذكر إذ هي مقصود المستعمل وإذ هلاك الأصول إنما يسوء منه هلاك الثمر الذي كان يرجى في المستقبل كما يقتضي قوله إن له ثمر إن له أصولا كذلك تقتضي الإحاطة المطلقة بالثمر أن الأصول قد هلكت وفي مصحف أبي وأتيناها ثمرنا كثيرا وقرأ أبو رجاء وكان له ثمر بفتح التاء وسكون الميم والمحاورة مراجعة القول وهو من حار يحور . # واستدل بعض الناس من قوله ^ وأعز نفرا ^ على أنه لم يكن أخاه وقال المناقض أراد ب النفر العبيد والخول إذ هم الذين ينفرون في رعائيه وفي هذا الكلام من الكبير والزهو والاعتزاز ما بيانه يغني عن القول فيه وهذه المقالة يازاء قول عيينة والأقرع للنبي صلى الله عليه وسلم نحن سادات العرب وأهل الوبر والمدر فتح عنا سلمان وقرناه . # قوله عز وجل \$ الكهف 35 - 39 \$

@ 517 @ أفرد الجنة من حيث الوجود كذلك إذ لا يدخلهما معا في وقت واحد وظلمه لنفسه كفره وعقائده الفاسدة في الشك في

البعث فقد نص على ذلك قتادة وابن زيد وفي شكه في حديث العالم إن كانت إشارته ب ^ هذه ^ إلى الهيئة من السماوات والأرض وأنواع مخلوقات وإن كانت إشارته إلى جنته فقط فإنما في الكلام تساخف وإغترار مفرط وقلة تحصيل وكأنه من شدة العجب بل والسرور أفرط في وصفها بهذا القول ثم قاس أيضا الآخرة على الدنيا ووطن أنه لم يمل له في دنياه إلا لكرامة يستوجبها في نفسه قال فإن كان ثم رجوع كما يزعم فستكون حالي كذا وكذا وليست مقالة العاصي بن وائل لخباب على حد هذه بل قصد العاصي الاستخفاف على جهة التصميم على التكذيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابن الزبير وثبت في مصحف المدينة منهما يريد الجنتين المذكورتين أولا وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي والعامية وكذلك هو مصحف أهل البصرة منها يريد الجنة المدخولة وقوله ^ قال له صاحبه ^ حكاية أن المؤمن من الرجلين لما سمع كلام الكافر وقفه على جهة التوبيخ على كفر بالله تعالى وقرأ ابن أبي كعب وهو يخاصمه وقرأ ثابت البناني وبك أكفرت ثم جعل يعظم الله تعالى عنده بأوصاف تضمنت النعم والدلائل على جواز البعث من القبور وقوله ^ من تراب ^ إشارة إلى آدم عليه السلام وقوله ^ سواك رجلا ^ كما تقول سواك شخصاً أو حياً أو نحو هذا من التأكيدات وقد يحتمل أن قصد تخصيص الرجولة على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى ولا خنثى وذكر الطبري نحو هذا واختلفت القراءة في قوله ^ لكننا ^ فقرأ ابن عامر ونافع في رواية المسيبي لكننا في الوصل والوقف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي لكن في الوصل ولكننا في الوقف ورجحها الطبري وهي رواية ورش وقالون عن نافع وقرأ ابن عامر وأبي بن كعب والحسن لكن أنا هو الله ربي وقرأ عيسى النخعي والأعمش بخلاف لكن هو الله ربي فاما هذه الأخيرة فبين على الأمر والشأن وأما الذي قبلها فعلى معنى لكن أنا أقول ومن هذه الفرقة من قرأ لكننا على حذف الهمزة وتخفيف النون وفي هذا نظر وأما من قرأ لكننا فأصله عنده لكن أنا حذف الهمزة على غير قياس وأدغمت النون في النون وقد قال بعض النحويين نقلت حركة الهمزة إلى النون فجاء لكننا ثم أدغمت بعد ذلك فجاء لكننا فقرأ بعض القراء أن بالإدغام استغني عن الألف الأخيرة فمنهم من حذفها في الوصل ومنهم من أثبتها في الوصل والوقف ليدل على أصل الكلمة ويتوجه في ^ لكننا ^ أن تكون لكن لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا وضربنا ووقع الإدغام لاجتماع المثليين ثم وجد في ^ ربي ^ على المعنى ولو اتبع اللفظ لقال ربنا ذكره أبو علي ويترجح بهذا التعليل قول من أثبت الألف في حال الوصل والوقف ويتوجه في ^ لكننا ^ أن تكون المشهورة من أخوات إن المعنى لكن قولي هو ^ الله ربي ^ أما أني لا أعرف من يقرأ بها وصلا ووقفاً وذلك يلزم من يوجه هذا الوجه وروى هارون عن أبي

@ 518 @ عمرو ولكنه هو الله ربي بضمير لحق لكن وباقي الآية بين وقوله ^ ولولا إذ دخلت جنتك ^ الآية وصية من المؤمن للكافر ^ ولولا ^ تخصيص بمعنى هلا و ^ ما ^ يحتمل أن تكون بمعنى الذي بتقدير الذي إن شاء الله كائن وفي ^ شاء ^ ضمير عائذ ويحتمل أن تكون شرطية بتقدير ما شاء الله كان ويحتمل أن تكون خير ابتداء محذوف تقديره هو ما شاء الله أو الأمر ما شاء الله وقوله ^ لا قوة إلا بالله ^ تسليم وصد لقول الكافر ^ ما أظن أن تبيد هذه أبدا ^ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي هريرة ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قال بلى يا رسول الله قال لا قوة إلا بالله إذا قالها العبد قال الله عز وجل أسلم عبدي واستسلم وفي حديث أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال افعل يا رسول الله قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم واختلفت القراءة في حذف الياء من ^ ترن ^ وإثباتها فأثبتها ابن كثير وصلا ووقفا وحذفها ابن عامر وعاصم وحمزة فيهما وأثبتها نافع وأبو عمرو في الوصل فقط وقرأ الجمهور أقل بالنصب على المفعول الثاني وقوله ^ أنا ^ فاصلة ملغاة وقرأ عيسى بن عمر أقل بالرفع على أن يكون ^ أنا ^ مبتدأ و ^ أقل ^ خبره والجملة في موضع المفعول الثاني والرؤية رؤية القلب في هذه الآية . # قوله عز وجل \$ الكهف 41 - 44 \$ # هذا الترجي ب عسى يحتمل أن يريد به في الدنيا ويحتمل أن يريد به في الآخرة وتمني ذلك في الآخرة أشرف مقطعا وأذهب مع الخير والصلاح وأن يكون ذلك يراد به الدنيا أذهب في نكايه المخاطب وأشد إيلاما لنفسه والحسيان العذاب كالبرد والصر ونحوه واحد الحسيان حسبانة وهي المرامي من هذه الأنواع المذكورة وهي أيضا سهام ترمى دفعة بآلة لذلك والصعيد وجه الأرض والزلق الذي لا تثبت فيه قدم يعني أنه تذهب أشجاره ونباته ويبقى أرضا قد ذهبت منافعها حتى منفعة المشي فيها فهي وحل لا تثبت ولا تثبت فيه قدم والغور مصدر يوصف به الماء المفرد والمياه الكثيرة كقولك رجل عدل وامرأة عدل ونحوه ومعناه ذاهبا في الأرض لا يستطيع تناوله وقرأت فرقة غورا بضم الغين وقرأت فرقة غورا بضم العين وهمز الواو وغور مثل نوح يوصف به الواحد والجمع المذكر والمؤنث ومنه قول الشاعر # (تظلم جياها نوحا عليه % مقلدة أعتتها صفونا) + الوافر + # وهذا كثير وباقي الآية بين وقوله تعالى ^ وأحيط بثمره ^ الآية هذا خبر من الله عن إحاطة

@ 519 @ العذاب بحال هذا المثل به وقد تقدم القول في الثمر غير أن الإحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد و ^ يقبل كفيه ^ يريد يضع بطن إحداهما على ظهر الأخرى وذلك فعل المثلث المناسف على فائت وخسارة ونحوها ومن عبر بصفق فلم يتفق وقوله ^ خاوية على عروشها ^ يريد أن السقوف وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان عليها فهي خاوية والحيطان علي العروش ^ ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ^ قال بعض المفسرين هذه حكاية عن قول الكافر هذه المقالة في الآخرة ويحتمل أن يريد أنه قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة ويكون فيها زجر للكفرة من قريش أو غيرهم لئلا تجيء لهم حال يؤمنون فيها بعد نعم تحل بهم وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو والحسن وأبو جعفر وشيبة ولم تكن بالتاء على لفظة الفئته وقرأ حمزة والكسائي ومجاهد وابن وثاب ولم يكن بالياء على المعنى الفئته الجماعة التي يلجأ إلى نصرها قال مجاهد هي العشيرة . # قال القاضي أبو محمد وهي عندي من فاء يفيء وزنها فئته حذف العين تخفيفا وقد قال أبو علي وغيره هي من فاءت وليست من فاء وهذا الذي قالوه أدخل في التصريف والأول أحكم في المعنى وقرأ ابن أبي عمير فئته تنصره وقوله ^ هنالك ^ يحتمل أن يكون ظرفا لقوله ^ منتصرا ^ ويحتمل أن تكون ^ الولاية ^ مبتدأ و ^ هنالك ^ خبره وقرأ حمزة والكسائي والأعمش وبحيى بن وثاب الولاية بكسر الواو وهي بمعنى الرياسة والزعامة ونحوه وقرأ الباقون الولاية بفتح الواو وهي بمعنى الموالة والصلة ونحوه ويحكى عن أبي عمرو والأصمعي أن كسر الواو هنا لحن لأن فعالة إنما تجيء فيما كان صنعة أو معنى متقلدا وليس هنا تولي أمر الموالة وقرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع على جهة النعت ل ^ الولاية ^ وقرأ الباقون الحق بالخفض على النعت ^ لله ^ عز وجل وقرأ أبو حيوة لله الحق بالنصب وقرأ الجمهور عبقا بضم العين والقاف وقرأ عاصم وحمزة والحسن عبقا بضم العين وسكون القاف وتثوين الباء وقرأ عاصم أيضا عبقى بياء التانيث والعقب والعقب بمعنى العاقبة . # قوله عز وجل \$ الكهف 45 - 48 \$ # قوله ^ الحياة الدنيا ^ يريد حياة الإنسان بما يتعلق بها من نعم وترفه وقوله ^ كماء ^ يريد هي كماء وقوله ^ فاختلط به ^ أي فاختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء فالبااء في ^ به ^ باء السبب فأصبح عبارة عن صيرورته إلى ذلك لأنه أراد اختصاصا بوقت الصباح وهذا كقول الشاعر الربيع بن ضيع

@ 520 @ # (أصبحت لا أحمل السلاح ولا % أملك رأس البعير إن نفرا) + المنسرح + # والهشيم المتفتت من يابس العشب ومنه قوله تعالى ^ كهشيم المحتظر ^ ومنه هشم الثريد و ^ تذروه ^ بمعنى تفرقه وقرأ ابن عباس تذريره والمعنى تقلعه وترمي به وقرأ الحسن تذروه الريح بالإنفراد وهي قراءة طلحة والنخعي والأعمش وقوله ^ وكان الله ^ عبارة للإنسان عن أن الأمر قبل وجود الإنسان هكذا كان إذ نفسه حاكمة بذلك في حال عقله هذا قول سيبويه وهو معنى صحيح وقال الحسن ^ كان ^ إخبار عن الحال قبل إيجاد الموجودات أي إن القدرة كانت وهذا أيضا حسن فمعنى هذا التاويل تشبيه حال المرء في حياته وماله وعزته وزهوه وبطوره بالنبات الذي خضرة ونضرة عن المطر النازل ثم يعود بعد ذلك ^ هشيميا ^ ويصير إلى عدم فمن كان له عمل صالح يبقى في الآخرة فهو الفائز فكان الحياة بمثابة الماء والخضرة والنضرة بمنزلة النعيم والعزة ونحوه . # وقوله ^ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ^ لفظ الخبر لكن معه قرينة الضعة للمال والبنين لأنه في المثل قيل جحر أمر الدنيا وبنيه فكانه يقول في هذه إنما المال والبنون زينة هذه الحياة المحقرة فلا تتبعوها نفوسكم وقوله ^ زينة ^ مصدر وقد أخبر به عن أشخاص فإما أن يكون على تقدير محذوف وتقديره مفر زينة الحياة الدنيا وإما أن نضع المال والبنين بمنزلة الغنى والكثرة واختلف الناس في ^ الباقيات الصالحات ^ فقال ابن عباس وابن جبير وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل هي الصلوات الخمس وقال الجمهور هي الكلمات الماثور فضلها سبحانه الله والحمد لله

ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم روي في هذا حديث أكثر من الباقيات الصالحات وقاله أيضا ابن عباس وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أبي هريرة وغيره أن هذه الكلمات هي الباقيات الصالحات وقال ابن عباس أيضا الباقيات الصالحات كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للأخرة ورجحه الطبري وقال ابن عباس بكل الأقوال دليل على قوله بالعموم وقوله خير ثوابا وخير أملا صاحبها ينتظر الثواب وينبسط على خير من حال ذي المال والبنين دون عمل صالح وقوله تعالى ويوم نسير الجبال الآية التقدير وإذ ذكر يوم وهذا أفصح ما يتأول في هذا هنا وقرأ نافع والأعرج وشيبة وعاصم وابن مصرف وأبو عبد الرحمن نسير بنون العظمة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والحسن وشبل وقتادة وعيسى تسير بالثاء وفتح الياء المشددة الجبال رفع وقرأ الحسن يسير بياء مضمونه والثانية مفتوحة مشددة الجبال رفعا وقرأ ابن محيصن تسير بياء مفتوحة وسين مكسورة أسند الفعل إلى الجبال وقرأ أبي بن كعب ويوم سيرت الجبال . # وقوله بارزة إما أن يريد أن الأرض لذهاب الجبال والطراب والشجر برزت وانكشفت وإما أن يريد بروز أهلها والمحشورين من سكان بطنها وحشرتناهم أي أقصاهم من قبورهم وجعلناهم لعرضة القيامة وقرأ الجمهور نغادر بنون العظمة وقرأ قتادة تغادر على الإسناد إلى القدرة أو إلى الأرض وروي أبان بن يزيد عن عاصم يغادر بياء وفتح الدال أحد بالرفع وقرأ الضحاك فلم نغدر بنون مضمومة وكسر الدال وسكون الغين والمعادرة الترك ومنه غير الماء وهو ما تركه السيل وقوله صفا أفراد نزل منزلة الجمع أي صفوا وفي الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوا يسمعهم الداعي وينفدهم البصر

@ 521 @ الحديث بطوله وفي حديث آخر أهل الجنة يوم القيامة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا وقوله تعالى لقد جئتمونا إلى آخر الآية مقابلة للكفار المنكرين للبعث ومضمونها التقرع والتوبيخ والمؤمنون المعتقدون في الدنيا أنهم يبعثون يوم القيامة لا تكون لهم هذه المخاطبة بوجه وفي الكلام حذف وبقضيه القول وبحسنه الإيجاز تقديره يقال للكفرة منهم كما خلقناكم أول مرة يقسره قول النبي صلى الله عليه وسلم إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده . # قوله عز وجل الكهف 49 - 50 # الكتاب اسم جنس يراد به كتب الناس التي أحصاها الحفظة لواحد واحد ويحتمل أن يكون الموضوع كتابا واحدا حاضرا وإشفاق المجرمين فرغهم من كشفه لهم وفضحه فشكاية المجرمين إنما هي من الإحصاء لا من ظلم ولا حيف وقدم الصغيرة اهتماما بها لينبه منها ويدل أن الصغيرة إذا أحصيت فالكبيرة أخرى بذلك والعرب أبدا تقدم في الذكر الأقل من كل مقترنين ونحو هذا هو قولهم القمران والعمران سموا بأسم الأقل تنبيها منهم وقال ابن عباس الصغيرة الضحك وهذا مثال وباقي الآية بين وقوله تعالى وإذ قلنا للملائكة الآية هذه الآية مضمونها تقرع الكفرة وتوقيفهم على خطاياهم في ولايتهم العدو دون الذي أنعم بكل نعمه على العموم صغيرها وكبيرها وتقدير الكلام وإذ قلنا وتكررت هذه العبارة حيث تكررت هذه القصة إذ هي توطئة النازلة فأما ذكر النازلة هنا فمقدمة للتوبيخ وذكرها في البقرة إعلام بمبادئ الأمور واختلاف المتأولون في السجود لآدم فقالت فرقة هو السجود المعروف ووضع الوجه بالأرض جعله الله تعالى من الملائكة عبادة له وتكرمة لآدم فهذا كالصلاة للكعبة وقالت فرقة بل كان إيماء منهم نحو الأرض وذلك يسمى سجودا لأن السجود في كلام العرب عبارة عن غاية التواضع ومنه قول الشاعر # ترى الأكم فيه سجدا للحوافر % + الطويل + وهذا جائز أن يكلفه قوم فمنه قول النبي صلى الله عليه وسلم قوموا إلى سيدكم ومنه تقبيل أبي عبيدة عامر بن الجراح يد عمر بن الخطاب حين تلقاه في سفرته إلى الشام ذكره سعيد بن منصور في مصنفه وقوله إلا إبليس قالت فرقة هو استثناء منقطع لأن إبليس ليس من الملائكة بل هو من الجن وهم الشياطين المخلوقين من مارج من نار وجميع الملائكة إنما خلقوا من نور واختلفت هذه الفرقة فقال بعضها إبليس من الجن وهو أولهم وبدعتهم كآدم من الإنس وقالت فرقة بل كان إبليس وقبيله

@ 522 @ جنا لكن جميع الشياطين اليوم من ذريته فهو كنوح في الإنس احتجوا بهذه الآية وتعنيف إبليس على عصيانه يقتضي أنه أمر مع الملائكة وقالت فرقة إن الاستثناء متصل وإبليس من قبيل الملائكة خلقوا من نار فإبليس من الملائكة وعبر عن الملائكة بالجن من حيث هم مستترون فهي صفة تعم الملائكة والشياطين وقال بعض هذه الفرقة كان في الملائكة صنف يسمى الجن وكانوا في السماء الدنيا وفي الأرض وكان إبليس مديرا أمرهم ولا خلاف أن إبليس كان من الملائكة في المعنى إذ كان متصرفا بالأمر والنهي مرسلا والملك مشتق من المالكة وهي الرسالة فهو في عداد الملائكة يتناوله قول اسجدوا وفي سورة البقرة وسورة الأعراف استيعاب هذه الأمور وقوله ففسق معناه فخرج وأنتزح وقال رؤبة # تهوبن في نجد وغورا غائرا % فواسقا عن قصدها جوائز + الرجز + # ومنه قال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وفسقت النواة إذا خرجت من الثمرة وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها وجميع هذا الخروج المستعمل في هذه الأمثلة إنما هو في فساد وقول النبي صلى الله عليه وسلم خمس فواسق يقتلن في الحرم إنما هن مفسدات وقوله عن أمر ربه يحتمل أن يريد خرج عن أمر ربه إياه أي فارقه كما فعل الخارج عن طريق واحد أي منه ويحتمل أن يريد فخرج عن الطاعة بعد أمر ربه بها و عن أي قد تجيء بمعنى بعد في مواضع كثيرة كقولك أطعمتني عن جوع ونحوه فكان المعنى فسق بعد أمر ربه بأن يطيع ويحتمل أن يريد فخرج بأمر ربه أي بمشيئته ذلك له ويعبر عن المشيئة ب الأمر إذ هي أحد الأمور وهذا كما تقول فعلت ذلك عن أمرك أي بجدك وبحسب مرادك وقال ابن عباس في قصص هذه الآية كان إبليس من أشرف صنف وكان له سلطان السماء وسلطان الأرض فلما عصى صارت حاله إلى ما تسمعون وقال بعض العلماء إذا كانت خطيئة المرء من الخطأ فلترجه كآدم وإذا كانت من الكبر فلا ترجه كإبليس ثم وقف عز وجل الكفرة على جهة التوبيخ بقوله أفتتخذونه يريد أفتتخذون إبليس وقوله وذريته ظاهر اللفظ يقتضي الموسوسين من الشياطين الذين يأمرون بالمنكر ويحملون على الأباطيل وذكر الطبري أن مجاهدا قال ذرية إبليس الشيطان وكان يعدهم زنبور صاحب الأسواق يضع رأيته في كل سوق وتين صاحب المصائب والأعور صاحب الربا ومسوط صاحب الأخبار يأتي بها فيلقها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم الذي إذا دخل الرجل يئنه فلم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع . # قال القاضي أبو محمد وهذا وما جانشه مما لم يأت به سند صحيح فبذلك اخترته وقد طول النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد من الصحة فتركها إيجازا ولم يمر بي في هذا صحيح إلا ما في كتاب مسلم من أن للوضوء والوسوسة شيطانا يسمى خنزرت وذكر الترمذي أن للوضوء شيطانا يسمى الولهان والله العليم بتفاصيل هذه الأمور لا رب غيره وقوله وهم لكم عدو أي أعداء فهو اسم جنس وقوله بنس للظالمين بدلا أي بدل ولاية لله عز وجل بولاية إبليس وذريته وذلك هو التعوض من الجن بالباطل وهذا هو نفس الظلم لأنه وضع الشيء في غير موضعه .

@ 523 @ قوله عز وجل الكهف 51 - 54 # الضمير في أشهدتهم عائد على الكفار وعلى الناس بالجملة فتتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين وأهل الطوائف والمتحكيين من الأطباء وسواهم من كل من يتخوض في هذه الأشياء . # قال القاضي أبو محمد وحديثي أبي رضي الله عنه قال سمعت الفقيه أبا عبد الله محمد بن معاذ المهدي بالمهدية يقول سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول ويتأول هذا التأويل في هذه الآية وأنها رادة على هذه الطوائف وذكر هذا بعض الأصوليين وقيل الضمير في أشهدتهم عائد على ذرية إبليس فهذه الآية على هذا تتضمن تحقيرهم والقول الأول أعظم فائدة وأقول إن الغرض المقصود أولا بالآية هم إبليس وذريته وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة وعلى الكهان والعرب المصدقين لهم والمعتظمين للجن حين يقولون أعوذ بعزير هذا الوادي إذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بإبليس وذريته وهم أضلوا الجميع فهم المراد الأول ب المضلين وتندرج هذه الطوائف في معناهم وقرأ الجمهور وما كنت وقرأ أبو جعفر والجحدري والحسن بخلاف وما كنت والصفة ب المضلين تترب في الطوائف المذكورة وفي ذرية إبليس لعنه الله والعرض استعارة للمعين المؤازر وهو تشبيه بالعصا للإنسان الذي يستعين به وقرأ الجمهور عصدا يفتح العين وضم الصاد وقرأ أبو عمرو والحسن بضمهما وقرأ الضاد وفتح العين وفتح الصاد وقرأ عكرمة عصدا بضم العين وسكون الصاد وقرأ عيسى بن عمر عصدا يفتح العين والصاد وفيه لغات غير هذا لم يقرأ بها وقوله ويوم يقول الآية وعبد المعنى وإذ ذكر يوم وقرأ طلحة ويحيى والأعمش وحمزة نقول بنون العظمة وقرأ الجمهور بالياء أي يقول الله تعالى للكفار الذين أشركوا به من الدنيا سواه نادوا شركائي أي على وجه الاستغاثة بهم وقوله شركائي أي على دعوامك أيها المشركون

وقد بين هذا بقوله ^ الذين زعمتم ^ وقرأ ابن كثير وأهل مكة شركاى بياء مفتوحة وقرأ الجمهور شركاى بهمزة فمنهم من حققها ومنهم من خففها والزعم إنما هو مستعمل أبدا في غير اليقين بل أغلبه في الكذب ومنه هذه الآية وأرفع موضعه أن يستعمل زعم بمعنى أخبر حيث تبقى عهدة الخبر على المخبر كما يقول سيبويه رحمه الله زعم الخليل . # وقوله ^ فدعوهم ^ فلم يستجيبوا لهم ظاهره أن ذلك يقع حقيقة ويحتمل أن يكون استعارة كأن فكرة الكفار ونظرهم في أن تلك الجمادات لا تغني شيئا ولا تنفع هي بمنزلة الدعاء وترك الإجابة والأول أبين واختلف المتأولون في قوله ^ موبقا ^ قال عبد الله ابن عمرو وأنس بن مالك ومجاهد هو واد في جهنم يجري بدم وصديد قال أنس يحجز بين أهل النار وبين المؤمنين فقوله على هذا ^ بينهم ^ ظرف وقال الحسن ^ موبقا ^ معناه عداوة و ^ بينهم ^ على هذا

@ 524 @ طرف وبعض هذه الفرقة يرى أن الضمير في قوله ^ بينهم ^ يعود على المؤمنين والكافرين ويحتمل أن يعود على المشركين ومعبوداتهم وقال ابن عباس ^ موبقا ^ معناه مهلكا بمنزلة موضع وهو من قولك وبق الرجل وأوبقه غيره إذا أهلكه فقوله ^ بينهم ^ على هذا التأويل يصح أن يكون طرفا والأظهر فيه أن يكون اسما بمعنى جعلنا توأصلهم أمرا مهلكا لهم ويكون ^ بينهم ^ مفعولا أولا ل ^ جعلنا ^ وغير بعضهم عن هذا الموبق بالموعود وهذا ضعيف ثم أخبر عز وجل عن رؤية المجرمين النار ومعابنتهم لها ووقوع العلم لهم بأنهم مباشروها وأطلق الناس أن الظن هنا بمعنى اليقين ولو قال بدل ^ ظنوا ^ وأيقنوا لكان الكلام منتسقا على مبالغة فيه ولكن العبارة بالظن لا يجيء أبدا في موضع يقين تام قد قاله الحسن بل أعظم درجاته أن يجيء في موضع علم متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون والإفقد يقع ويحسن لا يكاد توجد في كلام العرب العبارة عنه بالظن وتأمل هذه الآية وتأمل قول دريد # (فقلت لهم ظنوا بألفي مدحج %) # وقرأ الأعمش فظنوا أنهم ملاقوها وكذلك في مصحف ابن مسعود وحكى أبو عمرو الداني عن علقمة أنه قرأ ملاقوها بالفاء مشددة من لففت وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الكافر ليرى جهنم ويطن أنها موافقته من مسيرة أربعين سنة . # والمصرف المعدل والمرغ ومنه قول أبي كبير الهذلي # (أزهير هل عن شبيهة بن مصرف % أم لا خلود لبازل متلكف) + الكامل + # وهو مأخوذ من الانصراف من شيء إلى شيء وقوله تعالى ^ ولقد صرفنا ^ الآية المعنى ولقد خوفنا ورجينا وبالغنا في البيان وهذا كله يتمثل وتقريب للأذهان وقوله ^ من كل مثل ^ أي من كل مثال له نفع في الغرض المقصود بهم وهو الهداية وقوله ^ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ^ خبر مقتضب في ضمنه فلم ينفع فيهم تصريف الأمثال بل هم منحرفون يجادلون بالباطل وقوله ^ الإنسان ^ يريد الجنس وروي أن سبب هذه الآية هو النضر بن الحارث وقيل ابن الزبيري . # وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد نام عن صلاة الليل فأيقظه فقال له علي إنما نفسي بيد الله ونحو هذا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضرب خده بيده ويقول ^ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ^ فقد استعمل الآية على العموم في جميع الناس والجدل الخصام والمدافعة بالقول فالإنسان أكثر جدلا من كل ما يجادل من ملائكة وجن وغير ذلك إن فرض وفي قوله ^ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ^ تعليم تفجع ما على الناس وبين فيما بعد . # قوله عز وجل \$ الكهف 55 - 57 \$

@ 525 @ # هذه آية تأسف عليهم وتنبهه على فساد حالهم لأن هذا المنع لم يكن بقصد منهم أن يمتنعوا ليجنهم العذاب وإنما امتنعوا هم مع اعتقادهم أنهم مصيبون لكن الأمر في نفسه يسوقهم إلى هذا فكان حالهم تقتضي التأسف عليهم و ^ الناس ^ يراد به كفار عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تولوا دفع الشريعة وتكذيبها و ^ الهدى ^ هو شرع الله والبيان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والاستغفار هنا طلب المغفرة على فارت الذنب كفرا وغيره و ^ سنة الأولين ^ هي عذاب الأمم المذكورة من الغرق والصيحة والظلمة والريح وغير ذلك ^ أو يأتيهم العذاب قبلا ^ أي مقابلة عيانا والمعنى عذابا غير المعهود فتظهر فائدة التقسيم وكذلك صدق هذا الوعيد في بدر وقال مجاهد ^ قبلا ^ معناه فجأة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ومجاهد وعيسى بن عمر قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرأ عاصم والكسائي وحمزة والحسن والأعرج قبلا بضم القاف والباء ويحتمل معنيين أحدهما أن يكون بمعنى قبل لأن أبا عبيدة حكاهما بمعنى واحد في المقابلة والآخر أن يكون جمع قبيل أي يجنهم العذاب أنواعا وألوانا وقرأ أبو رجاء والحسن أيضا قبلا بضم القاف وسكون الباء وقوله ^ وما نرسل المرسلين ^ الآية كأنه لما تفجع عليهم وعلى ضلالهم ومصيرهم يراهم إلى الخسار قال وليس الأمر كما يظنون والرسول لم نبعتهم ليجادلوا ولا لتتمنى عليهم الاقتراحات وإنما بعثناهم مبشرين من آمن بالجنة ومنذرين من كفر بالنار و ^ يدحضون ^ أي يدحضون معنى يزهقوا والدحض الطين الذي يزهق فيه ومنه قول الشاعر # (وردت ونجى اليشكري نجاؤه % وحاد كما حاد البعير عن الدحض) + الطويل + # وقوله ^ واتخذوا ^ إلى آخر الآية توعيد والآيات تجمع آيات القرآن والعلامات التي ظهرت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ^ وما أنذروا هزوا ^ يريد من عذاب الآخرة والتقدير وما أنذروه فحذف الضمير والهزاء السخر والاستخفاف كقولهم أساطير الأولين وقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقوله ^ ومن أظلم ^ استفهام بمعنى التقرير وهذا أفصح التقرير أن يوقف الأمر على ما لا جواب له فيه إلا الذي يريد خصمه فالمعنى لا أحد ^ أظلم ممن ^ هذه صفته أن يعرض عن الآيات بعد الوقوف عليها بالتذكير وينسى وي طرح كيانته التي أسلفها هذه غاية الانهمال ونسب السيئات إلى البدين من حيث كانت اليدان آلة التكسب في الأمور الجرمية فجعلت كذلك في المعاني استعارة ثم أخبر الله عز وجل عنهم وعن فعله بهم جزاء على إعراضهم وتكسبهم القبيح فإنه تعالى ^ جعل على قلوبهم أكنة ^ وهي جمع كنان وهو كالغلاف الساتر واختلف الناس في هذا وما أشبهه من الختم والطبع ونحوه هل هو حقيقة أو مجاز والحقيقة في هذا غير مستحيلة والتجوز أيضا فصيح أي لما كانت هذه المعاني مانعة في

@ 526 @ الأجسام وحاملة استعيرت للقلوب التي قد أفساها الله تعالى وأقصاها عن الخير وأما الوقر في الآذان فاستعارة بينة لأنا نحس الكفرة يسمعون الدعاء إلى الشرع سماعا تاما ولكن لما كانوا لا يؤثرون ذلك فيهم إلا كما يؤثر في الذي به وفر فلا يسمع شهبوا به وكذلك العمى والصم والبكم كلها استعارات وإنما الخلاف في أوصاف القلب هل هي حقيقة أو مجاز والوقر الثقل في السمع ثم أخبر تعالى عنهم أنهم وإن دعوا إلى الهدى فإنهم لا يهتدون أبدا وهذا يخرج عن العموم كل من قضى الله بهداه في ثاني حال والآخر أن يريد وإن تدعهم إلى الهدى جميعا فلن يؤمنوا جميعا أبدا أي إنهم ربما آمن منهم الأفراد ويضطرنا إلى أحد هذين التأويلين أنا نجد المخبر عنهم بهذا الخبر قد آمن منهم واهتدى كثير . \$ الكهف 58 - 60 \$ # لما أخبر تعالى عن القوم الذين حتم بكفرهم أنهم لا يهتدون أبدا عقب ذلك بأنه للمؤمنين ^ العفور ذو الرحمة ^ ويتحصل للكفار من صفته تعالى بالغفران والرحمة ترك المعالجة ولو أخذوا بحسب ما يستحقونه ليأدرهم بالعذاب المبيد لهم ولكنه تعالى آخرهم إلى موعد لا يجدون عنه منجي قالت فرقة هو أجل الموت وقالت فرقة هو عذاب الآخرة وقال الطبري هو يوم بدر والحشر الموئل المنجي يقال وآل الرجل يئل إذا نجا . # ومنه قول الشاعر # (لا وألت نفسك خيلتها % للعامرين ولم تكلم) # ومنه قول الأعشى # (وقد أخالس رب البيت غفلته % وقد يحاذر مني ثم ما يئل) + البسيط + # ثم عقب تعالى توعدهم بذكر الأمثلة من القرى التي نزل بها ما توعده هؤلاء بمثله وفي قوله ^ وتلك القرى ^ حذف مضاف تقديره ^ وتلك ^ أهل ^ القرى ^ يدل على ذلك قوله ^ أهلكتناهم ^ أهلكتناهم على أهل القرى و ^ القرى ^ والمدن وهذه الإشارة إلى عاد وثمود ومدين وغيرهم . # ^ وتلك ^ ابتداء و ^ القرى ^ صفته و ^ أهلكتناهم ^ خبر ويصح أن يكون ^ تلك ^ منصوبا بفعل يدل عليه ^ أهلكتناهم ^ . # وقرأ الجمهور لمهلكهم بضم الميم وفتح اللام من أهلك ومفعل في مثل هذا يكون لزمان الشيء ولمكانه ويكون مصدرا فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول وقرأ عاصم في رواية أبي بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام وقرأ في رواية حفص لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام وهو مصدر من هلك وهو في مشهور اللغة غير متعد فالمصدر على هذا مضاف إلى الفاعل لأنه بمعنى وجعلنا لأن هلكوا موعدا

@ 527 @ وقالت فرقة إن هلك يتعدى تقول أهلك الرجل وهلكته بمعنى واحد وأنشد أبو علي في ذلك # (ومهمه هالك من تعرجا

(% + الرجز + # فعلى هذا يكون المصدر في كل وجه مضافا إلى المفعول وقوله ^ وإذ قال موسى ^ الآية ابتداء قصة ليست من الكلام الأول المعنى اذكر وائل و موسى ^ هو موسى بن عمران بمقتضى الأحاديث والتواريخ وبظاهر القرآن إذ ليس في القرآن موسى غير واحد وهو ابن عمران ولو كان في هذه الآية غيره لبينه وقالت فرقة منها نوف البكالي أنه ليس موسى بن عمران وهو موسى بن مشني ويقال ابن منسي وأما فتاه فعلى قول من قال موسى بن عمران فهو يوشع بن نون بن إفرائيل بن يوسف بن يعقوب وأما من قال هو موسى بن مشني فليس الفتى يوشع بن نون ولكنه قول غير صحيح رده ابن عباس وغيره والفتى في كلام العرب الشاب ولما كان الخدمة أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة حسن الأدب وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاني وفتاتي فهذا ندب إلى التواضع والفتى في الآية هو الخادم ويوشع بن نون يقال هو ابن أخت موسى عليه السلام وسبب هذه القصة فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى جلس يوما في مجلس لبني إسرائيل وخطب فأبلغ فقيل له هل تعلم أحدنا أعلم منك قال لا فأوحى الله إليه بلى عبدنا خضر فقال يا رب ذلني على السبيل إلى لقيه فأوحى الله إليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ ^ مجمع البحرين ^ فإذا فقدت الحوت فإنه هنالك وأمر أن يتزود حوتا ويرتقب زواله عنه ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة إمضاء العزيمة لا أبرح ^ أسير أي لا أزال وإنما قال هذه المقالة وهو سائر ومن هذا قول الفرزدق # (فما برحوا حتى تهادت نساؤهم % بطحاء ذي قار عياب اللطائم) + الطويل + # وذكر الطبري عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه بمصر فلما استقرت الحال خطب يوما فذكر بالآء الله وأيامه عند بني إسرائيل ثم ذكر نحو ما تقدم وما مر بي قط أن موسى عليه السلام أنزل قومه بمصر إلا في هذا الكلام وما أراه يصح بل المتظاهر أن موسى مات بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين وفي هذه القصة من الفقه الرحلة في طلب العلم والتواضع للعالم وقرأ الجمهور مجمع بفتح الميمين وقرأ الضحاك مجمع بكسر الميم الثانية واختلف الناس في ^ مجمع البحرين ^ أين هو فقال مجاهد وقتادة هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم . # قال القاضي أبو محمد وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو ^ مجمع البحرين ^ هو عند طنجة وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه السائر من دور إلى صبا . # وروي عن أبي بن كعب أنه قال ^ مجمع البحرين ^ بإفريقية وهذا يقرب من الذي قبله وقال بعض أهل العلم هو بحر الأندلس من البحر المحيط وهذا كله واحد حكاه النقاش وهذا مما يذكر كثيرا ويذكر أن القرية التي أتت أن تصيفهما هي الجزيرة الخضراء وقالت فرقة ^ مجمع البحرين ^ يريد بحرا ملحا وبحرا عذبا فعلى هذا إنما كان

@ 528 @ الخضر عند موقع نهر عظيم في البحر وقالت فرقة البحرين إنما هما كناية عن موسى والخضر لأنهما بحرا علم وهذا قول ضعيف والأمر بين من الأحاديث أنه إنما رسم له ماء بحر وقوله ^ أو أمضي حقا ^ معناه أو أمضي على وجهي زمانا واختلف القراء فقرأ الحسن والأعمش وعاصم حقا بسكون القاف وقرأ الجمهور حقا بضمه وهو ثقيل حقب وجمع الحقب أحقاب واختلف في الحقب فقال عبد الله بن عمرو ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون وقال الفراء الحقب سنة واحدة وقال ابن عباس وقتادة أزمان غير محدودة وقالت فرقة الحقب جمع حقة وفي السنة كأنه قال أو أمضي سنين . # قوله عز وجل \$ الكهف - 62 - \$ الضمير في قوله ^ بينهما ^ للبحرين قاله مجاهد وقيل هو لموسى والخضر والأول أصوب وقرأ عبيد الله بن مسلم مجمع بكسر الميم الثانية وقال ^ نسيا ^ وإنما كان النسيان من الفتى وحده نسي أن يعلم موسى بما رأى من حاله من حيث كان لهما زادا وكانا بسبب منه فنسب فعل الواحد فيه إليهما وهذا كما تقول فعل بنو فلان لأمر إنما فعله منهم بعض وروي في الحديث أن يوشع رأى الحوت قد حش من المكنت إلى البحر فرآه قد اتخذ السرب وكان موسى نائما فأشفق أن يوقظه وقال أواخر حتى يستيقظ فلما استيقظ نسي يوشع أن يعلمه ورحلا حتى جاوزا والسبيل المسلك والسرب المسلك في جوف الأرض فشبه به مسلك الحوت في الماء حين لم ينطبق الماء بعده بل بقي كالطاق وهذا الذي ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله جمهور المفسرين أن الحوت بقي موضع سلوكه فارغا وقال قتادة صار موضع سلوكه حجرا صلدا . # وقال ابن زيد إنما اتخذ ^ سبيله سريا ^ في البر حتى وصل إلى البحر ثم عاد على العادة . # قال القاضي أبو محمد وهؤلاء يتأولون ^ سريا ^ بمعنى تصرفا وجولانا من قولهم فحل سارب أي مهمل يرعى حيث شاء ومنه قوله تعالى ^ وسارب بالنهار ^ أي متصرف وقالت فرقة اتخذ ^ سريا ^ في التراب من المكنت إلى البحر وصادف في طريقه حجرا فثقبه وظاهر الأمر أن السرب إنما كان في الماء ومن غريب ما روي في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الآية أن الحوت إنما حيي لأنه مسه ماء عين هنالك تدعى عين الحياة ما مست قط شيئا إلا حيي ومن غريبه أيضا أن بعض المفسرين ذكر أن موضع سلوك الحوت عاد حجرا طريقا وأن موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى أفضى ذلك

@ 529 @ الطريق إلى الجزيرة في البحر وفيها وجد الخضر وظاهر الروايات والكتاب أنه إنما وجد الخضر في صفة البحر يدل على ذلك قوله تعالى ^ فارتدا على آثارهما قصصا ^ وروي في قوله ^ فلما جاوزا ^ أن موسى عليه السلام نزل عند صخرة عظيمة في صفة البحر فنسي يوشع الحوت هنالك ثم استيقظ موسى ورحلا مرحلة بقية الليل وصدر يومهما فجاج موسى ولحقه تعب الطريق فاستدعى الغداء قال أبي رضي الله عنه سمعت أبا الفضل الجوهري يقول في وعظه مشى موسى إلى المناجاة فبقي أربعين يوما لم يحتج إلى طعام ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع في بعض يوم والنصب التعب والمشقة وقرأ عبد الله بن عبيد بن عمير نصبا بضم النون والصاد وبشبه أن يكون جمع نصب وهو تخفيف نصب وقوله ^ أرايت ^ الآية حكى الطبري عن فرقة أنه قالت الصخرة هي الشام عند نهر الذيب وقد تقدم ذكر الخلاف في موضع هذه القصة وقوله ^ نسي الحوت ^ يريد نسيته ذكر ما جرى فيه لك وأما الكسائي وحده أنسانيه وقرأت فرقة أنسانيه وقرأ ابن كثير في الوصل أنسانيه بياء بعد الهاء وفي مصحف عبد الله بن مسعود وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان . # وقوله ^ أن أذكره ^ بدل من ^ الحوت ^ بدل اشتمال وقوله ^ واتخذ سبيله في البحر عجا ^ يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى أي اتخذ الحوت سبيله عجا للناس ويحتمل أن يكون قوله ^ واتخذ سبيله في البحر ^ تام الخير فاستأنف التعجب فقال من قبل نفسه ^ عجا ^ لهذا الأمر وموضع العجب أن يكون حوت قد مات وأكل شقه الأيسر ثم حيي بعد ذلك قال أبو شجاع في كتاب الطبري رأيت به أتيت به فإذا هو شقة حوت وعين واحدة وشق آخر ليس فيه شيء . # قال القاضي أبو محمد وأنا رأيت والشق الذي فيه شيء عليه قشرة رقيقة يشق تحتها شوكة وشقه الآخر ويحتمل أن يكون قوله ^ واتخذ سبيله ^ الآية إخبار من الله تعالى وذلك على وجهين إما أن يخبر عن موسى أنه اتخذ سبيل الحوت من البرح عجا أي تعجب منه وإما أن يخبر عن الحوت أنه اتخذ سبيله عجا للناس وقرأ أبو حيوة واتخذ سبيله فهذا مصدر معطوف على الضمير في ^ أذكره ^ وقوله تعالى ^ قال ذلك ^ الآية المعنى قال موسى لفتاه أمر الحوت وفقده هو الذي كنا نطلب فإن الرجل الذي جئنا له ثم فرجنا يقصان أثرهما لثلا يخطئان طريقهما وقرأ الجمهور نبغي بثبوت الباء وقرأ عاصم وقوم نبع دون باء وكان الحسن يثبتها إذا وصل وبحذفها إذا وقف وقص الأثر أتباعه وتطلبه في موضع خفائه والعبء هو الخضر في قول الجمهور بمقتضى الأحاديث وخالف من لا يعتد بقوله فقال ليس صاحب موسى بالخضر بل هو عالم آخر والخضر نبي عند الجمهور وقيل هو عبد صالح غير نبي والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله هل كانت إلا بوحى الله وروي في الحديث أن موسى عليه السلام وجد الخضر مسجى في ثوبه مستلقيا على الأرض فقال له السلام عليك فرجع الخضر رأسه وقال وأنى بأرضك السلام ثم قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم قال له ألم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا قال بلى ولكني أحببت لقاءك وأن أتعلم منك قال له إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه أنا . # قال القاضي أبو محمد كان علم الخضر معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها . # وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم . # وروي أن موسى

@ 530 @ وجد الخضر قاعدا على تيح البحر وسمي الخضر خضرا لأنه جلس على فروة يابسة فاهتزت تحته خضراء روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والرحمة في هذه الآية النبوة وقد ذكرنا الحديث المضمن أن سبب هذه القصة أن موسى عليه السلام

قبل له تعلم أحدا أعلم منك قال لا وحكي الطبري حديثا آخر مضمونه أن موسى عليه السلام قال من قيل نفسه أي رب أي عبادك أعلم قال الذي يتبعني علم الناس إلى علمه عسي أن يصيب كلمة خير تهديه قال رب فهل في الأرض أحد قال نعم فسأل السبيل إلى لقيه والحديث الأول في صحيح البخاري وقرأ الجمهور من لدنا بتشديد النون وقرأ أبو عمرو من لدنا بضم الدال وتخفيف النون قال أبو حاتم هما لغتان . # قوله عز وجل \$ الكهف 66 - 73 \$ # هذه مخاطبة المستنزل المبالغ في حسن الأدب المعنى هل يتفق لك ويخف عليك وهذا كما في الحديث هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوصلاً وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله ^ هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة ^ وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم ورشدا بضم الراء والشين وقرأ أبو عمرو رشدا بفتح الراء والشين ونصبه على وجهين أحدهما أن يكون مفعولاً ثانياً ب ^ تعلمني ^ والآخر أن يكون حالا من الضمير في قوله ^ أتبعك ^ ثم قال الخضر ^ إنك لن تستطيع معي صبرا ^ أي إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من عملي لأن الظواهر التي علمك لا تعطيه ^ وكيف تصبر على ^ ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب فقرب له موسى الأمر بوعده أنه سيحده ثم استثنى حين حكم على نفسه بأمر فقوى الخضر وصاته وأمره بالإمسك عن السؤال والإكثار لما يراه حتى يبتدئه الخضر لشرح ما يجب بشرحه وقرأ نافع فلا تسألني بفتح اللام وتشديد النون وإثبات الياء وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه حذف الباء فقال تسألني وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي تسألني بسكون اللام وثبوت الياء وقرأ الجمهور خبرا بسكون الباء وقرأ الأعرج خبرا بضمها وقوله ^ فانطلقا ^ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فعرف الخضر فحملاً بغير قول إلى مقصد أمه الخضر وعرفت ^ السفينة ^ بالألف واللام تعريف الجنس لا لعهد عينها فلما ركبا عمد الخضر إلى وتد فجعل يضرب في جنب السفينة حتى قلع به فيما روي لوحين من ألواحها فذلك هو معنى ^ خرقتها ^ فلما

@ 531 @ رأي ذلك موسى عليه ظاهر الأمر على الكلام حين رأى فعلا يؤدي إلى غرفة جميع من في السفينة فوقه بقوله ^ أخرقتها ^ وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم لتغرق أهلها بالياء وقرأ أبو رجاء لتغرق بشد الراء وفتح الغين وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها برفع الأهل وإسناد الفعل إليهم والإمر الشنيع من الأمور كالداهية والإد ونحوه ومنه أمر ابن أبي كيشة ومنه أمر القوم إذ كثروا وقال مجاهد (الإمر) المنكر . # قال القاضي أبو محمد : والامر أخص من المنكر فقال الخضر مجابوا لموسى : ^ ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ^ فتنبه موسى لما أتى معه فاعتذر بالنسيان وذلك أنه نسي العهد الذي كان بينهما هذا قول الجمهور وفي كتاب التفسير من صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت الأولى من موسى نسيانا وفيه عن مجاهد أنه قال كانت الأولى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا وهذا كلام معترض لأن الجميع شرط ولأن العمدة بعد على موسى عليه السلام وإنما هو التأويل إذ جنب صيغة السؤال أو النسيان وروي الطبري عن أبي بن كعب أنه قال إن موسى عليه السلام لم ينس ولكن قوله هذا من معاريف الكلام ومعنى هذا القول صحيح والطبري لم يبينه ووجهه عندي أن موسى عليه السلام إنما رأى العهد في أن يسأل ولم ير إنكار هذا الفعل الشنيع سؤالا بل رآه واجبا فلما رأى الخضر قد أخذ العهد على أعم وجوهه فضمنه السؤال والمعارضة والإنكار وكل اعتراض إذ السؤال أخف من هذه كلها أخذ معه في باب المعارض التي هي مندوحة عن الكذب فقال له ^ لا تؤاخذني بما نسيت ^ ولم يقل له إنني نسيت العهد بل قال لفظا يعطي للمتأول أنه نسي العهد وببستقيم أيضا تأويله وطلبه مع أنه لم ينس العهد لأن قوله ^ لا تؤاخذني بما نسيت ^ كلام جيد طلبه وليس فيه للعهد ذكر هل نسيه أم لا وفيه تعريض أنه نسي العهد فجمع في هذا اللفظ بين العذر والصدق وما يخل بهذا القول إلا أن الذي قاله وهو أبي بن كعب روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت الأولى من موسى نسيانا و ^ ترهقني ^ معناه تكلفني وتضيف علي ومما قص من أمرهما أنهما لما ركبا السفينة وجرت نزل عصفور على جنب السفينة فنقر في الماء نقرة فقال الخضر لموسى ماذا ترى هذا العصفور نقص من ماء البحر فقال موسى قليلا فقال يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا ما نقص هذا العصفور من ماء البحر . # قال القاضي أبو محمد فقيل معنى هذا الكلام وضع العلم موضع المعلومات وإلا فعلم الله تعالى يشبه بمتناه إذ لا يتناهى والبحر لو فرضت له عصفير على عدد نقطه لانتهي وعندي أن الاعتراض باق لأن تناهي معلومات الله محال إذ يتناهى العلم بتناهي المعلومات وقيل فرارا عن هذا الاعتراض يحتمل أن يريد من علم الله الذي أعطاه العلماء قبلهما وبعدهما إلى يوم القيامة فتجيء نسبة علمهما إلى البشر نسبة تلك النقطة إلى البحر وهذا قول حسن لولا أن في بعض طرق الحديث ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كنفرة هذا العصفور فلم يبق مع هذا إلا أن يكون التشبيه بتجاوز إذ لا يوجد في المحسوسات أقوى في القلة من نقطة بالإضافة إلى البحر فكأنها لا شيء إذ لا يوجد لها إلى البحر نسبة معلومة ولم يعن الخضر لتحرير موازنة بين المثال وبين علم الله تعالى .

@ 532 @ # قوله عز وجل \$ الكهف 74 - 78 \$ # فانطلقا ^ في موضع نزولهما من السفينة فمرا بغلمان يلعبون فعمد الخضر إلى غلام حسن الهيئة وضيء فاقطع رأسه ويقال رضه بحجر ويقال ذبحه وقال بعض الناس كان الغلام لم يبلغ الحلم ولذلك قال موسى ^ زكية ^ أي لم تذنب وقالت فرقة بل كان بالغاً شاباً والعرب تبقى على الشاب اسم الغلام ومنه قول ليلي الأخيلية # (غلام إذا هز القناة سقاها %) + الطويل + # وهذا في صفة الحجاج وفي الخبر أن هذا الغلام كان يفسد في الأرض ويقسم لأبويه أنه ما فعل فيقسمان على قسمه ويحميانه ممن يطلبه وقرأ ابن عباس والأعرج وأبو جعفر ونافع والجمهور زكية وقرأ الحسن وعاصم والجحدي زكية والمعنى واحد وقد ذهب القوم إلى الفرق وليس بين وقوله ^ بغير نفس ^ يقتضي أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس وهذا يدل على كبر الغلام وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس وقرأ الجمهور نكرا وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر وشيبة نكرا بضم الكاف واختلف عن نافع ومعناه شيئاً ينكر واختلف الناس أيهما أبلغ قوله ^ إمرا ^ أو قوله ^ نكرا ^ فقالت فرقة هذا قتل بين وهناك مترقب ف ^ نكرا ^ أبلغ وقالت فرقة هذا قتل واحد وذلك قتل جماعة ف ^ إمرا ^ أبلغ وعندي أنهما المعنيين بقوله ^ إمرا ^ أقطع وأهول من حيث هو متوقع عظيم و ^ نكرا ^ أيين في الفساد لأن مكروهه قد وقع ونصف القرآن بعد الحروف انتهى إلى النون من قوله ^ نكرا ^ وقوله ^ ألم أقل لك ^ زجر وإغلاظ ليس في قوله ولا ^ ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ^ وقوله بعد هذا ^ يريد ^ بعدها القصة فأعاد الضمير عليها وإن كانت لم يتقدم لها ذكر صريح من حيث كانت في ضمن القول وقرأ الجمهور فلا تصاحني ورواها أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عيسى ويعقوب فلا تصاحني وقرأ عيسى أيضاً فلا تصاحني بضم التاء وكسر الحاء ورواها سهل عن أبي عمرو والمعنى فلا تصاحني علمك وقرأ الأعرج فلا تصاحني بفتح التاء والياء وشد النون وقوله ^ قد بلغت من لدي عذرا ^ أي قد أعذرت إلي وبلغت إلى العذر من قبلي ويشبه أن تكون هذه القصة أيضاً أصلاً للأجال في الأحكام التي هي ثلاثة وأيام التلوم ثلاثة فتأمله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم من

@ 533 @ لدي بفتح اللام وضم الدال وشد النون 0 وهي لدن اتصلت بها نون الكناية التي في ضميرني ونحوه فوق الإدغام وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وعاصم لدي كالأولى إلا أن النون مخففة فهي لدن اتصلت بها ياء المتكلم التي في غلامي وفرنسي وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه وقرأ أبو بكر عن عاصم لدي بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون وهي تخفيف لدي التي ذكرناها قبل هذه وروي عن عاصم لدي بضم اللام وسكون الدال قال ابن مجاهد وهي غلط قال أبو علي هذا التعليل يشبه أن يكون من جهة الرواية فأما على قياس العربية فهي صحيحه وقرأ الحسن لدي بفتح اللام وسكون الدال وقرأ الجمهور عذرا وقرأ أبو عمرو وعيسى عذرا بضم الدال وحكي الداني إن أبي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عذري بكسر الراء وباء بعدها واسند الطبري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه فقال يوماً رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأى العجب ولكنه قال ^ فلا تصاحني قد بلغت من لدي عذرا ^ وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله موسى لو ددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما وروي في تفسير هذه الآية أن الله جعل هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى وعجبا له وذلك أنه لما أنكر أمر خرق السفينة نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم فلما أنكر أمر الغلام قبل له أين إنكارك هذا من وكرك للقبطي وقضائك عليه فلما أنكر إقامة الجدار

نودي أين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون اجر وقوله ^ فانطلقا ^ يريد انطلق الخضر وموسى بمشيان لارتباد الخضر أمرا ينفذ فيه ما عنده من علم الله فمرا بقربة فطلبا من أهلها أن يطعموهما فأبوا وفي حديث أنهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله واختلف الناس في القرية فقال محمد بن سيرين هي الأيلة . # وهي أبخل قرية وأبعدها من السماء وقالت فرقة هي أنطاكية وقالت فرقة هي برقة وقالت فرقة هي بجزيرة الأندلس روي ذلك عن أبي هريرة وغيره ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وقالت فرقة هي أبو حوران وهي بناحية أذربيجان . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله بحسب الخلاف في أي ناحية من الأرض كانت قصة موسى والله اعلم بحقيقة ذلك وقرأ الجمهور بضيفوهما بفتح الصاد وشد الباء وقرأ أبو رجا بضيفوهما بكسر الصاد وسكون الباء وهي قراءة ابن محيصة وابن الزبير والحسن وأبي رزين والضيف مأخوذ من صاف إلى المكان إذا مال إليه ومنه الإضافة وهي إمالة شيء إلى شيء وقرأ الأعمش فأبوا أن يطعموهما وقوله في الجدار ^ يريد استعارة وجميع الأفعال التي حقها أن تكون للحق الناطقة متى أسندت إلى جماد أو بهيمة فإنما هي استعارة أي لو كان مكان الجماد إنسان لكان ممثلا لذلك الفعل فمن ذلك قول الأعشى # أنتهون ولا ينهى ذوي شطط % كالطعن يذهب فيه الزيت والقتل + البسيط + # فأسند النهي إلى الطعن . # ومن ذلك قوال الشاعر # (يريد الرمح صدر أبي براء % ويرغب عن دماء بني عقيل) + الوافر +

@ 534 @ # ومنه قول عنتره # (وشكا إلي بعبرة وتححم %) + الكامل + # وقد فسر هذا المعنى بقوله لو كان يدري ما المحاورة البيت ومنه قول الناس داري تنظر إلى دار فلان ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تتراءى نارهما وهذا كثير جدا وقرأ الجمهور ينقض أي يسقط وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه أن ينقض بضم الميم وتخفيف الصاد وهي قراءة أبي وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعكرمة أن يناقص بالصاد غير منقوطة بمعنى ينشق طولاً يقال انقاص الجدار وطى البير وانقاصت السن إذا انشقت طولاً وقيل إذا تصدعت كيف كان ومنه قول أبي ذؤيب # (فراق كيقص السن فالصبر أنه % لكل أناس عبرة وجور) + الطويل + # وبروي عنتره وجبور والباء والجيم وقرأ ابن مسعود والأعمش يريد لينقض واختلف المفسرون في قوله ^ فأقامه ^ فقالت فرقة هدمه وقعد بينه ووقع هذا في مصحف ابن مسعود ويؤيد هذا التأويل قول ^ لو شئت لتخذت عليه اجرا ^ لأنه فعل يستحق اجرا وقال سعيد بن جبير مسح بيده وأقامه فقام . # قال القاضي أبو محمد وروي في هذا حديث وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم السلام فقال موسى للخضر ^ لو شئت لتخذت عليه اجرا ^ أي طعاما تأكله وقرأ الجمهور لتخذت وقرأ ابن كثير وأبو عمرو لتخذت وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة وأدغم بعض القراء الذال في التاء ولم يدغمها بعضهم ومن قولهم تخذ قول الشاعر المزق # (وقد تخذت رجلي إلى جنب غررها % نسيقا كأفحوص القضاة المطرق) + الطويل + # وفي جرف أبي بن كعب لو شئت لأوتيت عليه اجرا ثم قال الخضر لموسى بحسب شرطهما ^ هذا فراق بيني وبينك ^ واشترط الخضر وأعطاه موسى أن لا يقع سؤال عن شيء والسؤال أقل وجوه الاعتراضات فالإنكار والتخطئة أعظم منه وقوله ^ لو شئت لتخذت عليه اجرا ^ وإن لم يكن سؤالا ففي ضمنه الإنكار لفعله والقول بتصويب أخذ الأجر وفي ذلك تخطئة ترك الأجر والبين الصلاح الذي يكون بين المصطحبين ونحوهما وذلك مستعار فيه من الظرفية ويستعمل استعمال الأسماء وأما فصله وتكريره ^ بيني وبينك ^ وعدوله عن بيننا فلمعنى التأكيد والسين في قوله ^ سانبك ^ مفارقة بين المحاورتين والصحبتين ومؤذنة بأن الأولى قد انقطعت ثم أخبره في مجلسه ذلك وفي مقامه ^ بتأويل ^ تلك القصص والتأويل هنا للمال . # قوله عز وجل \$ الكهف \$ 79 # قرأ الجمهور لمسكين بتخفيف السين جمع مسكين واختلف في صفتهم فقالت فرقة كانت

@ 535 @ لقوم تجار ولكنهم من حيث هم مسافرون على قلة وفي لجة بحر وبحال ضعف عن مدافعة غصب جائر عبر عنهم ب مسكين إذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها . # قال القاضي أبو محمد وهذا كما تقول لرجل غني إذا وقع في وهدة وخطب مسكين وقالت فرقة كانوا عشرة إخوة أهل عاهات خمسة منهم عاملون بالسفينة لا قدرة بهم على العمل وقرأت فرقة لمسكين بتشديد السين واختلف في تأويل ذلك فقالت فرقة أراد ب المسكين ملاحى السفينة وذلك أن المساك هو الذي يمسك رجل المركب وكل الخدمة يصلح لإمساكه فسمي الجميع مساكين وقالت فرقة أراد المساكين دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك . # قال القاضي أبو محمد والأظهر في ذلك القراءة الأولى وأن معناها أن السفينة لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق لهم واحتج الناس بهذه الآية في أن المسكين الذي له البلغة من العيش كالسفينة لهؤلاء وأنه أصلح حالا من الفقير واحتج من يرى خلاف هذا بقول الشاعر # (أما الفقير الذي كانت حلوته % وفق العيال فلم يترك له سيد) + البسيط + وتحرير هذا عندي أنهما لفظان يدلان على ضعف الحال جدا ومع المسكنة انكشاف وذل وسؤال ولذلك جعلها الله صنفين في قسم الصدقات فأما حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو ليس المسكين بهذا الطواف فجعل المساكين في اللغة أهل الحاجة الذين قد كشفوا وجوههم وأما قول الله تعالى ^ للفقراء الذين أحصروا ^ فجعل الفقراء أهل الحاجة الذين لم يكشفوا وجوههم وقد تقدم القول في هذه المسألة بأوعب من هذا . # وقوله ^ وكان وراءهم ملك ^ قال قوم معناه أمامهم وقالوا وراء من الأضداد وقرأ ابن جبير وابن عباس وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة وقرأ عثمان بن عفان وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة . # قال القاضي أبو محمد وقوله ^ وراءهم ^ هو عندي على يابه وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعا بها الزمن وذلك أن الحادث المقدم الوجود هو الإمام وبين اليد لما يأتي بعده في الزمن والذي يأتي بعد هو مكررة الوراثة وهو ما خلف وذلك بخلاف ما يظهر ببادي الرأي وتامل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الآية معناها أن هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي بعده في الزمن غصب هذا الملك ومن قرأ أمامهم أراد في المكان أي أنهم كانوا يسبرون إلى بلده وقوله تعالى في التوراة والإنجيل إنها بين يدي القرآن مطرد على ما قلنا في الزمن وقوله ^ من وراءهم جهنم ^ مطرد كما قلنا مراعاة الزمن وقول النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة أمامك يريد في المكان وإلا فكونهم في ذلك الوقت كان أمام الصلاة في الزمن وتامل هذه المقالة فإنها مريحة من شغب هذه الألفاظ ووقع لقتادة في كتاب الطبري ^ وكان وراءهم ملك ^ قال قتادة أمامهم ألا ترى أنه يقول ^ من وراءهم جهنم ^ وهي بين أيديهم . # وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن أبي الحسن يضح منها قاله الزجاج ويجوز إن كان رجوعهم في طريقهم على الغاصب فكان وراءهم حقيقة وقيل اسم هذا الغاصب هدد بن يد وقيل اسمه الجلندا وهذا كله غير ثابت وقوله ^ كل سفينة ^ عموم

@ 536 @ معناه الخصوص في الجياد منها الصحاح المارة به . # قوله عز وجل \$ الكهف \$ 80 - 82 # تقدم القول في ^ الغلام ^ والخلاف في بلوغه أو صغره وفي الحديث أن ذلك الغلام طبع يوم طبع كافرا وهذا يؤيد ظاهره أنه كان غير بالغ ويحتمل أن يكون خيرا عنه مع كونه بالغا . # وقيل اسم الغلام جيسور بالراء وقيل جيسون بالنون وهذا أمر كله غير ثابت وقرأ أبي بن كعب فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وقرأ أبو سعيد الخدري فكان أبواه مؤمنان فجعلها كان التي فيها الأمر والشأن وقوله ^ فخشينا ^ قيل هو في جملة الخضر فهذا متخلص . # والضمير عندي للخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الأمر وتكلموا فيه وقيل هو في جهة الله تعالى وعنه عبر الخضر قال الطبري معناه فعلمنا وقال غيره معناه فكرهنا والأظهر عندي في توجيه هذا التأويل وإن كان اللفظ يدافعها أنها استعارة أي على ظن المخالطين والمخالطين لو علموا حاله لوقع منهم خشية الرهق للأبوين وقرأ ابن مسعود فخاف ريك وهذا بين في الاستعارة وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله تعالى من لعل وعسى . # فإن جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية إنما هو بحكم أيها المخاطبون و ^ يرهقهما ^ معناه يحتهما ويكلفهما بشدة والمعنى أن بلقيهما حبه في اتباعه وقرأ الجمهور أن يبذلها بفتح الباء وشد الدال وقرأ ابن محيصة والحسن وعاصم يبذلها بسكون الباء وتخفيف الدال والزكاة شرف الخلق والوقار والسكينة المنطوية على خير ونية والرحم الرحمة والمراد عند فرقة أي يرحمهما وقيل أي يرحمناه ومنه قول رؤبة بن العجاج # (يا منزل الرحم على إدريسا % ومنزل اللعن على إبليسا) + الرجز + # وقرأ ابن عامر رحما بضم الحاء وقرأ الباقون رحما بسكونها واختلف عن أبي عمرو وقرأ ابن عباس ربهما أزكى منه و ^ أقرب رحما ^ وروي عن ابن جريج أنها بدلا غلاما مسلما وروي عن ابن جريج أنها بدلا جارية وحكى النقاش أنها ولدت هي وذريتها سبعين نبيا وذكره المهدوي عن ابن عباس . # قال القاضي أبو

محمد وهذا بعيد ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل وهذه المرأة لم تكن فيهم وروي عن ابن جريج أن أم الغلام يوم قتل كانت حاملا بغلام مسلم وقوله ^ وأما الجدار فكان لغلامين ^ هذان الغلامان صغيران بقرينة وصفهما باليتيم وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد بلوغ . # هذا

@ 537 @ الظاهر وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتيم بعد البلوغ أي كانا يتيمين على معنى التشفق عليهما واختلف الناس في الكنز فقال عكرمة وقتادة كان مالا جسيما وقال ابن عباس كان علما في صحف مدفونة وقال عمر مولى غفرة كان لوحا من ذهب قد كتب فيه عجا للموقن بالرزق كيف يتعب وعجا للموقن بالحساب كيف يغفل وعجا للموقن بالموت كيف يفرح وروي نحو هذا مما هو في معناه قوله ^ وكان أبوهما صالحا ^ ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما ندية وقيل هو الأب السايح وقيل العاشر فحفظا فيه وإن لم يذكر بصلاحي وفي الحديث إن الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في ذريته وجاء في أنباء الخضر عليه السلام في أول قصة ^ فأردت أن أعيبتها ^ وفي الثانية ^ فأردنا أن يبدهما ^ وفي الثالثة ^ فأراد ربك أن يبلغنا ^ وإنما انفرد أولا في الإرادة لأنها لفظه عيب فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله ^ وإذا مرضت فهو يشفيني ^ فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى وأسند المرض إلى نفسه إذ هو معنى نقص ومصيبة وهذا المنزع يطرد في فصاحة القرآن كثيرا ألا ترى إلى تقديم فعل البشر في قوله تعالى ^ فلما زاعوا أراغ الله ^ وتقديم فعل الله تعالى في قوله ^ ثم تاب عليهم ليتوبوا ^ وإنما قال الخضر في الثانية ^ فأردنا ^ لأنه أمل قد كان رواه هو وأصحابه الصالحون وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين وتمنى البديل لهما وإنما أسند الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى لأنها في أمر مستأنف في الزمن طويل غيب من الغيوب فحسن إفادة هذا الموضع بذكر الله تعالى وإن كان الخضر قد أراد أيضا ذلك الذي أعلمه الله أنه يريد هذا توجيه فصاحة هذه العبارة بحسب فهمنا المقصر والله أعلم والأشد كما الخلق والعقل واختلف الناس في قدر ذلك من السن فقيل خمس وثلاثون وقيل ست وثلاثون وقيل أربعون وقيل غير هذا مما فيه ضعف وقول الخضر ^ وما فعلته عن أمري ^ يقتضي أن الخضر نبي وقد اختلف الناس فيه فقيل هو نبي وقيل هو عبد صالح وليس بنبي وكذلك جمهور الناس على أن الخضر مات صلى الله عليه وسلم وتقول فرقة أنه حي لأنه شرب من عين الحياة وهو باق في الأرض وأنه يحق البيت وغير هذا وقد أطنب النقاش في هذا المعنى وذكر في كتابه أشياء كثيرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره كلها لا يقوم على ساق ولو كان الخضر عليه السلام حيا يحق لكان له في ملة الإسلام ظهور والله العليم بتفاصيل الأشياء لا رب غيره ومما يقضي بموت الخضر الآن قول النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد وقوله ذلك تأويل أي مال وقرأت فرقة تستطع وقرأ الجمهور تسطع قال أبو حاتم كذا نقرأ تتبع المصحف وانتزع الطبري من اتصال هذه القصة بقوله تعالى ^ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلا ^ إن هذه القصة إنما جلبت على معنى المثل للنبي صلى الله عليه وسلم في قومه أي لا تهتم بإملاء الله لهم وإجراء النعم لهم على ظاهرها فإن البواطن سائرة إلى الانتقام منهم ونحو هذا مما هو محتمل لكن بتعسف ما فتأمله . # قوله عز وجل \$ الكهف 83 - 86 \$

@ 538 @ اختلف فيمن سأله عن هذه القصة فقيل سأله طائفة من أهل الكتاب وروي في ذلك عقبة بن عامر حديثا ذكره الطبري وقيل إنما سأله قريش حين دلتها اليهود على سؤاله عن الروح والرجل الطواف وقتية ذهبوا في الدهر ليقع امتحانه بذلك وذو القرنين هو الإسكندر الملك اليوناني المقدوني وقد تشدد قافه فيقال المقدوني وذكر ابن إسحاق في كتاب الطبري أنه يوناني وقال وهب بن منبه هو رومي وذكر الطبري حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ذو القرنين شاب من الروم وهو حديث واهي السند فيه عن شيخين من تجيب واختلف الناس في وجه تسميته ب ^ ذي القرنين ^ فأحسن الأقوال أنه كان ذا صفتين من شعرهما قرناه فسمي بهما ذكره المهدوي وغيره والصفائر قرون الرأس ومنه قول الشاعر # (فلثمت فاها أخذنا بقرونها % شرب التزيف لبرد ماء الحشرج) + الكامل + # ومنه حديث في غسل بنت النبي صلى الله عليه وسلم قالت أم عطية فضفرنا رأسها ثلاثة قرون وكثيرا تجيء تسمية النواصي قرونا وروي أنه كان في أول ملكه يرى في نومه أنه يتناول الشمس ويمسك قرنين لها بيديه فقص ذلك ففسر أنه سيغلب على ما ذرت عليه وسمي ذا القرنين وقالت فرقة سمي ذا القرنين لأنه بلغ المغرب والمشرق فكانه حاز قرني الدنيا وقالت فرقة إنه بلغ مطلع الشمس كشف بالرؤية قرنيها فسمي بذلك أو قرني الشيطان بها وقال وهب بن منبه سمي بذلك لأن جنبتي رأسه كانتا من نحاس وقال وهب بن منبه أيضا كان له قرنان تحت عمامته . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله بعيد وقال علي بن أبي طالب إنما سمي ذا القرنين لأنه ضرب على قرن رأسه فمات . # ثم حيي ثم ضرب على قرن رأسه الآخر فمات فسمي بذلك لأنه جرح على قرني رأسه جرحين عظيمين في يومين عظيمين من أيام حربه فسمي بذلك وهذا قريب والتمكن له في الأرض أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها فروي أن جميع من ملك الدنيا كلها أربعة مؤمنان وكافران والمؤمنان سليمان بن داود والإسكندر والكافران نمرود وبخت نصر وقوله ^ وأتيناها من كل شيء سببا ^ معناه علما في كل أمر وأقيسة يتوصل بها إلى معرفة الأشياء وقوله ^ كل شيء ^ عموم معناه الخصوص في كل ما يمكن أن يعلمه ويحتاج إليه وتم لا محالة أشياء لم يؤت منها سببا يعلمها به واختلف في ^ ذي القرنين ^ فقيل هو نبي وهذا ضعيف . # وقيل هو ملك يفتح اللام وروي عن علي بن أبي طالب أنه سمع رجلا يدعو آخر يا ذا القرنين فقال أما كفاكم أن تسميتهم بأسماء الأنبياء حتى تسميتهم بأسماء الملائكة . # وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه فقال ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب . # وقيل هو عبد ملك بكسر اللام صالح نصح لله فأيده قاله علي بن أبي طالب وقال فيكم اليوم مثله وعنى بذلك نفسه والله أعلم . # (وقوله ^ فأتبع سببا ^ الآية قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو فاتبع

@ 539 @ بشد التاء وقرأ عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي فأتبع بسكون التاء على وزن أفعل قال بعض اللغويين هما بمعنى واحد تبع وكذلك تبع وقالت فرقة أتبع بقطع الألف هي عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب وأتبع إنما يتضمن معنى الاقتفاء دون هذه القرائن قاله أبو زيد وغيره . # قال القاضي أبو محمد واستقرأ هذا القائل هذه المقالة من القرآن كقوله عز وجل ^ فأتبعه شهاب ثاقب ^ وكقوله ^ فأتبعهم فرعون ^ وكقوله تعالى ^ فأتبعه الشيطان ^ وهذا قول حكاة النقاش عن يونس بن حبيب وإذا تأملت أتبع بشد التاء لم تربط لك هذا المعنى ولا بد . # والسبب في هذه الآية الطريق المسلوكة لأنها سبب الوصول إلى المقصد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم في عين حمئة على وزن فعلة أي ذات حماة وقرأ عاصم في رواية أبي بكر والباقون في عين حامية أي حارة وقد اختلف في ذلك قراءة معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حمئة وقال معاوية حامية فبعثنا إلى كعب الأحبار ليخبرهم بالأمر كيف هو في التوراة فقال لهما أما العربية فانتما أعلم بها مني ولكني أجد في التوراة أنها تغرب في عين طاط والثابت الطين . # فلما انفصلا قال رجل لابن عباس لوددت أني حضرت يا أبا العباس فكنت أنجدك بشعر تبع الذي يقول فيه ذكر ذي القرنين # (قد كان ذو القرنين جدي مسلما % ملكا تدين له الملوك ويحشد) # (بلغ المشارق والمغرب يتبعني % أسباب أمر من حكيم مرشد) # (فرأى مغار الشمس عند غروبها % في عين ذي خلب وعمرو) + الكامل + # فالخلب الطين والثابت الحمأة الحرمد الأسد ومن قرأ حامة وجهها إلى الحرارة وروي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى الشمس وهي تغيب فقال في نار الله الحامية لولا ما يزعها من الله لأحرقت ما على الأرض وروي أبو ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى الشمس عند غروبها فقال أتدري أين تغرب يا أبا ذر قلت لا قال إنها تغرب في عين حامية فهذا يدل على أن العين هنالك حارة وحامية هي قراءة طلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاص وابنه وابن عمر وذهب الطبري إلى الجمع بين الأمرين فيقال يحتمل أن تكون العين حارة ذات حماة فكل قراءة وصف بصفة من أحوالها وذهب بعض البيهقيين إلى أن ^ في ^ بمنزلة عند كأنها مسامتة من الأرض فيما يرى الرائي ل ^ عين حمئة ^ وقال بعضهم قوله ^ في عين ^ إنما المراد أن ذا القرنين كان فيها أي هي آخر الأرض . # قال القاضي أبو محمد وظاهر هذه الأقوال تخيل والله أعلم قال أبو حاتم وقد يمكن أن تكون حامية مهموزة بمعنى ذات حماة فتكون القراءتان بمعنى واحد واستدل بعض الناس على أن ذا القرنين نبي بقوله تعالى ^ قلنا يا ذا القرنين ^ ومن قال إنه

ليس بنبي قال كانت هذه المقالة من الله له بإلهام و[^] إما أن تعذب[^] بالقتل على الكفر[^] وإما أن تتخذ فيهم حسنا[^] إي بالإجمال على الإيمان واتباع الهدى فكانه قيل له هذه لا تعطيتها إلا إحدى خطتين إما أن تكفر فتعذبها وإما أن تؤمن فتحسن

@ 540 @ إليها وذهب الطبري إلى أن اتخاذ الحسن هو الأسر مع كفرهم فالمعنى على هذا أنهم كفروا ولا بد فخيره الله بين قتلهم أو أسرهم ويحتمل أن يكون اتخاذ ضرب الجزية . # قال القاضي أبو محمد ولكن تقسيم[^] ذي القرنين[^] بعد هذا الأمر إلى كفر أو إيمان يريد هذا القول بعض الرد فتأمل . # قوله عز وجل \$ الكهف 87 - 91 \$ ## ظلم[^] في هذه الآية بمعنى كفر ثم توعد الكافرين بتعذيبه إياهم قبل عذاب الله وعقب لهم بذكر عذاب الله لأن تعذيب ذي القرنين هو اللاحق عندهم المحسوس لهم الأقرب نكايه فلما جاء إلى وعد المؤمنين قدم تنعيم الله تعالى الذي هو اللاحق عن المؤمنين والآخر بإزائه حقير ثم عبر أخيراً بذكر إحسانه في قول اليسر وجعله قولاً إذ الأفعال كلها خلق الله تعالى فكانه سلمها ولم يراع تكسبه وقرأت فرقة نكرا بضم الكاف وفرقة نكرا بسكون الكاف ومعناه المنكر الذي تنكره الأوهام لعظمه وتستهوله وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو وابن عامر[^] جزء الحسنى[^] بإضافة الجزاء إلى[^] الحسنى[^] وذلك يحتمل معنيين أحدهما أن يريد ب[^] الحسنى[^] الجنة والجنة هي الجزاء فأضاف ذلك كما قال دار الآخرة والدار هي الآخرة والثاني أن يريد ب[^] الحسنى[^] أعمالهم الصالحة في إيمانهم فوعدهم بجزاء الأعمال الصالحة وقرأ حمزة الكسائي وحفص عن عاصم جزء الحسنى ينصب الجزاء على المصدر في موضع الحال والحسنى ابتداء خبره في المجزور ويراد بها الجنة وقرأ عبد الله بن أبي إسحاق جزء بالرفع والتنوين[^] الحسنى[^] وقرأ ابن عباس ومسروق جزء نصب بغير التنوين[^] الحسنى[^] بالإضافة قال المهدي ويجوز حذف التنوين لالتقاء الساكنين ووعدهم بذلك بأنه يبسر عليهم أمور دنياهم وقرأ ابن الفقعان يسرا بضم السين وقوله[^] ثم أتبع سببا[^] المعنى ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية إلى مقصده فيجيء سبب الوصول وكان ذو القرنين على ما وقع في كتب التواريخ يدوس الأرض بالجيوش الثقال والسيرة الحميدة والإعداد الموفى والحزم المستيقظ والمتدق والتأييد المتواصل وتقوى الله عز وجل فما لقي أمة ولا مر بمدينة إلا دانت له ودخلت في طاعته وكل من عارضه أو توقف عن أمره جعله عظة وأية لغيره وله في هذا المعنى أخبار كثيرة وغرائب . # كرهت التطويل بها لأنها على ما تأرخ . # وقرأ الجمهور مطلع بكسر اللام وقرأ الأيسر بخلاف وابن كثير وأهل مكة مطلع الشمس بفتح اللام والقوم الزنج قاله فتادة وهم الهنود وما وراءهم وقال النقاش في قوله[^] لم نجعل لهم من دونها سترا[^] معناه أنه ليس لهم ببيان إذ لا تحمل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حر الشمس في أسراب وقيل يدخلون في ماء البحر قاله الحسن وفتادة

@ 541 @ وابن جريج وكثر النقاش في غيره في هذا المعنى والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم وفعلها لقدرة الله تعالى فيهم وينبأ منهم ولو كان لهم أسراب تغني لكان سترا كثيفا وإنما هم في قبضة القدرة سواء كان لهم أسراب أو دور أو لم يكن ألا ترى أن الستر عندنا نحن إنما هو من السحاب والغمام ويرد الهوى ولو سلب الله علينا الشمس لأحرقنا فسيحان المنفرد بالقدرة التامة وقوله[^] كذلك[^] معناه فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب فأوجز بقوله[^] كذلك[^] ثم أخبر الله تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرف في أفعاله ويحتمل أن يكون[^] كذلك[^] استئناف قول ولا يكون راجعا على الطائفة الأولى فتأمل والأول أصوب . # قوله عز وجل \$ الكهف 92 - 95 \$ قرأت فرقة اتبع بشد التاء وقرأت فرقة أتبع بتخفيفها وقد تقدم ذكره وهذه الآية تقتضي أنه لما بلغ مطلع الشمس أي أدنى الأرض من مطلع الشمس[^] أتبع[^] بعد ذلك[^] سببا[^] أي طريقا آخر فهو والله أعلم إما يمته وإما يسره من مطلع الشمس والسدان فيما ذكر أهل التفسير جبلان سدا مسالك تلك الناحية من الأرض وبين طرفي الجبلين فتح هو موضع الردم قال ابن عباس الجبلان اللذان بينهما السد أرمينية وأذربيجان وقالت فرقة هما من وراء بلاد الترك ذكره المهدي . # قال القاضي أبو محمد وهذا كله غير متحقق وإنما هما في طريق الأرض مما يلي المشرق ويظهر من ألفاظ التواريخ أنه إلى ناحية الشمال وأما تعيين موضع فيضعف وقرأ نافع وابن عامر وعاصم السدين بضم السين وكذلك سدا حيث وقع وقرأ حفص عن عاصم بفتح ذلك كله من جميع القرآن وهي قراءة مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وقرأ ابن كثير السدين بفتح السين وضم سدا في يسر واختلف بعد فقال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح هو المصدر وقال الكسائي الضم والفتح لغتان بمعنى واحد وقرأ عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة ما كان من خلقه الله لم يشارك فيه أحد بعمل فهو بالضم وما كان من صنع البشر فهو بالفتح . # قال القاضي أبو محمد ويلزم أهل هذه المقالة أن يقرأ بين السدين بالضم وبعد ذلك سدا بالفتح وهي قراءة حمزة والكسائي وحكى أبو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكس ما قال أبو عبيدة وقال ابن أبي إسحاق وما رأته عينك فهو سد بالضم وما لا يرى فهو سد بالفتح والضمير في[^] دونهما[^] عائذ على الجبلين أي وجدهم في الناحية التي تلي عمارة الناس إلى المغرب واختلف في القوم فقيل هم بشر وقيل جن والأول أصح من وجوه وقوله[^] لا يكادون يفقهون قولاً[^] عبارة عن بعد لسانهم عن السنة الناس لكنهم فقهوا وأفهموا بالترجمة ونحوها وقرأ حمزة والكسائي يفقهون من أفقه وقرأ

@ 542 @ الباقون يفقهون من فقه والضمير في[^] قالوا[^] للقوم الذين من دون السدين[^] وأجوج[^] وأجوج[^] قبيلتان من بني آدم لكنهم ينقسمون أنواعا كثيرة اختلف الناس في عددها فاقتصرت ذكره لعدم الصحة وفي خلقهم تشويه منهم المفرط الطول ومنهم مفرط القصر على قدر الشبر وأقل وأكثر ومنهم صنف عظام الأذان الأذن الواحدة وبرة والأخرى زعرى يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى وهي تعمه واختلفت القراءة فقرأ عاصم وحده بأجوج[^] وأجوج[^] بالهمز وقرأ الباقون بأجوج[^] وماجوج[^] بغير همز فأما من همز فاختلف فقالت فرقة هو اعجمي علتاه في منع الصرف العجمة والتأنيث وقالت فرقة هو معرب من أحج[^] وأج[^] علتاه في منع الصرف التعريف والتأنيث وأما من لم يهمز فأما أن يراهما اسمين أعجميين وإما أن يسهل من الهمز وقرأ رؤبة بن العجاج أجوج[^] وماجوج[^] بهمزة بدل الياء واختلف الناس في إفسادهم الذي وصفوه به فقال سعيد بن عبد العزيز إفسادهم أكل بني آدم وقالت فرقة إفسادهم إنما عندهم توقعا أي سيفسدون فطلبوا وجه التحرز منهم وقالت فرقة إفسادهم هو الظلم والغشيم والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر وهذا أظهر الأقوال لأن الطائفة الشاكية إنما تشكت من ضرر قد نالها وقولهم[^] فهل نجعل لك[^] خرجا[^] استفهام على جهة حسن الأدب والخرج المجبي وهو الخراج وقال قوم الخرج المال يخرج مرة والخراج المجبي المتكرر فعرضوا عليه أن يجمعوا له أموالا يقيم بها أمر السد قال ابن عباس[^] خرجا[^] اجرا[^] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم خرجا[^] وقرأ حمزة والكسائي خراجا وهي قراءة طلحة بن مصرف والأعشى بخلاف عنه وروي في أمر[^] أجوج[^] وماجوج[^] أن أرزاقهم هي من التين بمطرونها ونحو هذا مما لم يصح وروي أيضا أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف والأشئ لا تموت حتى تخرج من بطنها ألف فهم لذلك إذا بلغوا العدد ماتوا وبروى أنهم يتناكحون في الطرق كاليهائم وأخبارهم تضيق بها الصحف فاقتصرت لها لضعف صحتها وقوله[^] قال ما مكني[^] الآية المعنى قال لهم ذو القرنين ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم وأموالكم ولكن أعينوني بقوة الأبدان ويعمل منكم بالأيدي وقرأ ابن كثير ما مكني بنونين وقرأ الباقون ما مكني بإدغام النون الأولى في الثانية وهذا من تأييد الله تعالى لذي القرنين فإنه تهديا في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه فإن القوم لو جمعوا له خرجا[^] لم يمنعه منهم أحد ولوكلوه إلى البنيان ومعونتهم بالقوة أجمل به وأمر بطاول مدة العمل وربما أرى على المخرج والرمد أبلغ من السد إذ السد كل ما سد به والرمد وضع الشئ على الشئ من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع ومنه ردم توبه إذا رفعه برفع متكاثفة بعضها فوق بعض ومنه قول الشاعر # (هل غادر الشعراء من متردم %) + الكامل + # أي من قول يركب بعضه على بعض . # قوله عز وجل

@ 543 @ \$ الكهف 96 - 100 \$ قرأ عاصم وحمزة إيتوني بمعنى جيئوني وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي أتوني بمعنى أعطوني وهذا كله إنما هو استدعاء إلى المناولة لا استدعاء العطية والهبية لأنه قد ارتبط من قوله إنه لا يأخذ منهم الخرج فلم يبق الاستدعاء المناولة وإعمال القوة وإيتوني أشبه بقوله فأعينوني بقوة ونصب الزبر به على نحو قول الشاعر أمرتك الخير حذف الجار فنصب الفعل وقرأ الجمهور زبر بفتح الباء وقرأ الحسن بضمها وكل ذلك جمع زبرة وهي القطعة العظيمة منه

والمعنى فرصه وبناه حتى إذا ساوى بين الصدفين فاختصر ذلك لدلالة الظاهر عليه وقرأ الجمهور ساوى وقرأ قتادة سوى والصدفان الجبلان المتناوجان ولا يقال للواحد صدف وإنما يقال صدفان لاثنتين لأن أحدهما يصادف الآخر وقرأ نافع وحمزة والكسائي الصدفين بضم الصاد وبشدها وفتح الدال وهي قراءة مجاهد والحسن وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بضم الصاد وسكون الدال وهي قراءة أبي رجاء وأبي عبد الرحمن وقرأ الماجشون بفتح الصاد وضم الدال وقراءة قتادة بين الصدفين بفتح الصاد وسكون الدال وكل ذلك بمعنى واحد هما الجبلان المتناوجان وقيل الصدفاً السطحان الأعلىان من الجبلين وهذا نحو من الأول وقوله [^] قال انفخوا [^] إلى آخر الآية معناه أنه كان يأمر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها حتى تحمى ثم يؤتى بالنحاس المذاب أو الرصاص أو بالحديد بحسب الخلاف في القطر فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة فإذا التام واشتد استأنف وصف طاقة أخرى إلى أن استوى العمل وقرأ بعض الصحابة بقطر أفرغ عليه وقال أكثر المفسرين القطر النحاس المذاب ويؤيد هذا ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله إني رأيت سد يأجوج ومأجوج قال كيف رأيته قال رأيت كالبرد المحبر طريقة صفراء وطريقة حمراء وطريقة سوداء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأيته وقالت فرقة الرصاص المذاب وقالت فرقة الحديد المذاب وهو مشتق من قطر يقطر والضمير في قوله [^] استطاعوا [^] ل [^] يأجوج ومأجوج [^] وقرأت فرقة فما استطاعوا بسكون السين وتخفيف الطاء وقرأت فرقة بشد الطاء وفيها تكلف الجمع بين ساكنين و [^] يظهره [^] معناه يعلونه بصعود فيه ومنه في الموطأ والشمس في حجرتها قبل أن تظهر [^] وما استطاعوا له نقياً [^] ليعد عرضه وقوته ولا سبيل سوى هذين إما ارتقاء وإما نقب وروي أن في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ وفي عرضه خمسين فرسخاً وروي غير هذا مما لا ثبوت له فاختصرناه إذ لا غاية للتخصر وقوله في هذه الآية [^] انفخوا [^] يريد بالإكثار وقوله [^] استطاعوا [^] بتخفيف الطاء على قراءة الجمهور قيل هي لغة بمعنى استطاعوا وقيل بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء فقالوا [^] استطاعوا [^] وحذف بعضهم منه الطاء

@ 544 @ فقال استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع وهي لغة مشهورة وقرأ حمزة وحده فما استطاعوا بتشديد الطاء وهي قراءة ضعيفة الوجه قال أبو علي هي غير جائزة وقرأ الأعمش فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا بالتاء في الموضعين وقوله [^] هذا رحمة [^] الآية القائل ذو القرنين وأشار بهذا إلى الردم والقوة عليه والانتفاع به وقرأ ابن أبي عبلة هذه رحمة والوعد يحتفل أن يريد به يوم القيامة ويحتمل أن يريد به وقت خروج يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر دكا مصدر دك يدك إذا هدم ورض وقرأ عاصم وحمزة والكسائي دكاء بالمد وهذا على التشبيه بالناقة الدكاء وهي التي لا سنام لها وفي الكلام حذف تقديره جعله مثل دكاء وأما النصب في [^] دكا [^] فيحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً ل جعل ويحتمل أن يكون جعل بمعنى خلق وينصب [^] دكا [^] على الحال وكذلك أيضاً النصب في قراءة من مد يحتمل الوجهين والضمير في [^] تركنا [^] لله عز وجل وقوله [^] يومئذ [^] يحتمل أن يريد به يوم القيامة لأنه قد تقدم ذكره فالضمير في قوله [^] بعضهم [^] على ذلك لجميع الناس ويحتمل أن يريد بقوله [^] يومئذ [^] يوم كمال السد فالضمير في قوله [^] بعضهم [^] على ذلك [^] يأجوج ومأجوج [^] واستعارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض كالمولاهين من هم خوف ونحوه فشبههم بموج البحر الذي يضطرب بعضه في بعض وقوله [^] ونفخ في الصور [^] إلى آخر الآية معني به يوم القيامة بلا احتمال لغيره فمن تأول الآية كلها في يوم القيامة اتسق تأويله ومن تأول الآية إلى قوله [^] يموج في بعض [^] في أمر يأجوج ومأجوج تأول القول وتركناهم بموجون دأباً على مر الدهر وتناسل القرون منهم فنأثم ثم [^] نفخ في الصور [^] فيجتمعون و [^] الصور [^] في قول الجمهور وظاهر الأحاديث الصحاح هو القرن الذي ينفخ فيه للقيامة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنا الجبهة وأصغى بالأذن متى يؤمر فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولوا حسبنا الله وعلى الله توكلنا ولو اجتمع أهل منى ما أقلوا ذلك القرن وأما النفخات فأسند الطبري إلى أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصور قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين وقال بعض الناس النفخات اثنتان نفخة الفزع وهي نفخة الصعق ثم الأخرى التي هي للقيام وملك الصور هو إسرافيل وقالت فرقة [^] الصور [^] جمع صورة فكأنه أراد صور البشر والحيوان نفخ فيها الروح والأول أمين وأكثر في الشريعة وقوله [^] وعرضنا جهنم [^] معناه أبرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم ثم أكد بالمصدر عبارة عن شدة الحال وروى الطبري في هذا حديثاً مضمناً أن النار ترفع لليهود والنصارى كأنها السراب فيقال هل لكم في الماء حاجة فيقولون نعم وهذا مما لا صحة له . قوله عز وجل \$ الكهف 101 - 106 \$

@ 545 @ # قوله [^] أعينهم [^] كناية عن البصائر لأن عين الجارحة لا نسبة بينها وبين الذكر والمعنى الذين فكروهم بينها وبين [^] ذكرى [^] والنظر في شرعي حجاب وعليها [^] غطاء [^] ثم قال إنهم [^] كانوا لا يستطيعون سمعاً [^] يريد لإعراضهم ونفارهم عن دعوة الحق وقرأ جمهور الناس أحسب الذين بكسر السين بمعنى أظنوا وقرأ علي بن أبي طالب والحسن وابن يعمر ومجاهد وابن كثير بخلاف عنه أحسب بسكون السين وضم الباء بمعنى أكافيهم ومنتهم وفي مصحف ابن مسعود أظن الذين كفروا وهذه حجة لقراءة الجمهور وقال جمهور المفسرين يريد كل من عبد من دون الله كالملائكة وعزير وعيسى فيدخل في [^] الذين كفروا [^] بعض العرب واليهود والنصارى والمعنى أن ذلك ليس كظنهم بل ليس من ولاية هؤلاء المذكورين شيء ولا يجدون عندهم منتفعاً و [^] أعتدنا [^] معناه يسرنا والنزل موضع النزول والنزل أيضاً ما يقدم للضيف أو القادم من الطعام عند نزوله ويحتمل أن يراد بالآية هذا المعنى أن المعد لهم بدل النزول جهنم كما قال الشاعر # (تجة بينهم ضرب وجيع %) + الوافر + ثم قال تعالى [^] هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً [^] الآية المعنى قل لهؤلاء الكفرة على جهة التوبيخ هل خبركم بالذين خسروا عملهم وصل سعيهم في الحياة الدنيا وهم مع ذلك يظنون أنهم يحسنون فيما يصنعونه فإذا طلبوا ذلك فقل لهم [^] أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه [^] وقرأ ابن وثاب قل سننبئكم وهذه صفة المخاطبين من كفار العرب المكذبين بالبعث وحبطت معناه بطلت و [^] أعمالهم [^] يريد ما كان لهم من عمل خير وقوله [^] فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً [^] يحتمل أن يريد أنه لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار لا محالة ويحتمل أن يريد المجاز والاستعارة كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ فهذا معنى الآية عندي وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالأكول الشراب الطويل فلا يزن بعوضة ثم قرأ [^] فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً [^] وقالت فرقة إن الاستفهام تم في قوله [^] أعمالاً [^] ثم قال هم [^] الذين صل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا [^] فقال سعد بن أبي وقاص وهم عباد اليهود والنصارى وأهل الصوامع والديارات وقال علي بن أبي طالب هم الخوارج وهذا إن صح عنه فهو على جهة مثال فيمن صل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن وروي أن ابن الكواء سأله عن [^] الأخسرين أعمالاً [^] فقال له أنت وأصحابك ويضعف هذا كله قوله تعالى بعد ذلك [^] أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه [^] وليس من هذه الطوائف من يكفر بقاء الله وإنما هذه صفة مشركي عبدة الأوثان فاتجه بهذا ما قلناه أولاً وعلي وسعد رضي الله عنهما ذكرا أقواماً أخذوا بحظهم من صدر الآية وقوله [^] أعمالاً [^] نصب على التمييز وقرأ الجمهور فحبطت بكسر الباء وقرأ ابن عباس وأبو السمال فحبطت بفتح الباء وقرأ كعب بن عجرة والحسن وأبو عمرو ونافع والناس فلا نقيم لهم بنون العظمة وقرأ مجاهد فلا يقيم بياء الغائب يريد